الفروق اللغويـة

في القرآن الكريم

تأليف الدكتور عبد الجبار فتحي زيدان
أُستاذ اللغة العربية والنحو القرآني

العراق   الموصل

١٤٤١هـ   ٢٠٢٠م

التمهيد

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد

فمن أراد أن يتعرّف إلى الفروق في المعاني الخاصة بين الألفاظ المتقاربة في معانيها والمتحدة في المعنى العام فليلتجئ في ذلك إلى القرآن الكريم ، ويمعن النظر والتأمّل في مفرداته وتراكيبه ، لأنّ كتاب الله هو الوحيد من بين كلّ كتب البشر الذي براعي في تعبيره المعاني الخاصّة التي يتميّز بها كل لفظ التي تُعدّ كبصمة الأصابع لايتطابق فيها لفظان مهما اشتدّ ترادفهما .

ومن المعروف أنّه لم يصل إلينا من كلام العرب الّا الشعر ، أمّا النثر فلم يصل إلينا من كلامهم إلّا النزر القليل ، والشعرمقيّد بالوزن والقافية، فكثيرًا ما يستعمل الشاعر اللفظ المرادف مراعاة للوزن الشعري لا مراعاة للمعنى ، فكلام البشر كائنًا من كانوا ، ومهما بلغت فصاحتهم إذا جاز أن يعتمد عليه في تقعيد القواعد العامة فإنَّه يجب أن لا يُعتمد عليه في تقعيد القواعد الخاصّة لا في مجال اللغة ولا في مجال النحو ، لأنَّ البشر في كلامهم لا يعنون بالمعاني الخاصة ؛ بل كثيرًا ما يضعون الألفاظ بعضها مكان بعض ما تقاربت معانيها من دون أن يُعنَوا بالفروق المعنوية الخاصة بينها .

وهذا الكتاب يبحث في الفروق اللغوية بين المفردات القرآنية المترادفة المختلفة في الجذر ، أمّا الأبنية والصيغ المتحدة في الجذر فبابه واسع جدًّا قد لا يسعه لاستقصاء البحث فيها كتاب واحد ، وقد عُني بها الباحثون في باب الإعجاز اللغوي والبياني في القرأن الكريم ، وقد تطرقتّ إلى عدد قليل من تلك الأبنية

وقوع الألفاظ بعضها موقع بعض :هذا الكتاب يبحث في ذكر الفروق بين الأفعال المتقاربة في معانيها ، وكذلك بين الأسماء ، وقد اتبعت ترتيب الألفاظ المترادفة حسب الحروف الهجائية لا حسب كثرة استعمالها في القرآن الكريم

والألفاظ المترادفة يصحّ أن يقع بعضها موقع بعض لتقارب معانيها لكنّهاتفترق عن بعضها في معانيها الخاصَّة وإن اتحدت في المعنى العام ، وهذه المعاني الخاصة هي المقصودة في القرآن الكريم ، وفيما يأتي بيان هذه الفروق بين الألفاظ المترادفة في كتاب الله مرتبة حسب الحروف الهجائية :

باب الألف

١-آب إلى الله وأناب وتاب : التوبة إلى الله :وهي الرجوع إلى الله سبحانه بالإقلاع عن ذنب ارتكبه ، كقوله تعالى : (فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ){المائدة : ٣٩}[1]

-الأوب إلى الله : الأوّاب هو الكثير الرجوع إلى الله ، وهو على مراتب ودرجات فأعلاها ما نُسِب إلى الأنبياء كداود وسليمان وأيّوب عليهم السلام ، فهؤلاء يكثرون الرجوع إلى الله لا عن ذنب فعلوه فهم معصومون من ذلك ، بل المراد أنّهم كلّما شغلوا عن ذكر الله في ساعة من الليل أو النهار لا شتغالهم في أمور الحياة اليومية المباحة والضرورية وما أكثرها ! بادروا بالرجوع عن هذا الاشتغال المباح إلى الله بطاعة من الطاعات كالقيام بصلاة الليل ، أو بصلاة الضحى ، أو بالصلاة بين المغرب والعشاء ، أو

---

(١) ينظر : تهذيب اللغة للأزهري ٢١٦/١ ومقاييس اللغة لابن فارس ٣١ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٥٧/١ ولسان العرب لابن منظور : ٢٤٤/٢ وعمدة الحفّاظ للحلبي ٢٧٠/١-٢٧١

بالصيام أو بذكر الله كالتسبيح والتهليل والتكبير ، أو بالدعاء ، وهذا هو ديدن الرسل والأنبياء أنّهم لا يدعون قلوبهم مشغولة كثيرًا بقضاء أمور الدنيا المباحة ، فلا يدعون قلوبهم مشغولة بذلك ساعة ، إلّا وأعقبوها ساعات بطاعة من الطاعات كقوله تعالى : (اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ){ص : ١٧}وقوله تعالى : (وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ ۚ نِعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ){ص : ٣٠}[١]

أمّا الدرجة الثانية فهوما كان دون ذلك وهو ما نُسِب إلى غير الأنبياء ، وهم ليسوا معصومين ،لذلك جاز أن يكون المقصود من كونهم أوّابين رجّاعين إلى الله سبحانه بعد كل زلة وقعوا فيها، وهذا ما جاء في تفسير قوله تعالى : (إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا){الإسراء : ٢٥}[٢]

فهذا معنى الآوّاب إلى الله تعالى ، أمّا التائب فهو من رجع إلى الله عن كبيرة فعلها ، فالله سبحانه يقبل التوبة ممن ارتكب الفاحشة إذا رجع عنها واستغفر ، كما قال تعالى : (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ){آل عمران: ١٣٥}

فالصحيح أنّه إذا جاز أن يكون المراد من قوله تعالى (لِلْأَوَّابِينَ) التائبين من الذنوب فالمراد بها ما كان من صغارها ، وهو اللمم ، وممّا هو

---

(١) العين للفراهيدي ص ٤٦ وجامع البيان للطبري ٧٨/٢٢-٧٩ ، ١٦٠/٢٣-١٦٢ ، ١٨٠ ومقاييس اللغة لابن فارس ص ٥٩ ، ومدارك التنزيل للنسفي ص ٩٥٧ ، ١٠١٧ وعمدة الحفّاظ للحلبي١/١٣٧ وتاج العروس للزبيدي ٢/٢١-٢٣

(٢) ينظر : جامع البيان للطبري ١٥/٨٠-٨٢ ، وزاد المسير لابن الجوزي ٥/٢٠ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠/١٧٨

من مقتضى الطبائع البشريةكما قال تعالى :(الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ){النجم : ٣٢}والمعنى أنّه كلّما وقع في زلّة أو هفوة بادر بالإقلاع عنها وبالرجوع إلى الله تعالى ، أمّا الرجوع عن كبار الذنوب فإنّه يُعبّر عنه بالتوبة ، وهذا ما جاء في تفسير التوّابين في قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ){البقرة : ٢٢٢}قال القرطبي : ((قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) اختُلِف فيه ، فقيل : التوّابون من الذنوب والشرك٠٠٠وقال مجاهد : من الذنوب ، وعنه أيضًا : من إتيان النساء في أدبارهنّ))[١]

تقدم معنى التوبة والأوب أمّا الإنابة فهي الرجوع إلى الله سبحانه مع التضرّع إليه بقلب منكسر يسأله التوبة والفرج كلّما نابته نائبة [٢]

فالإنابة اقترنت بالنوائب التي هي المهمّات والحوادث فيكون المراد من الإنابة الرجوع والتضرّع إلى الله سبحانة عند كلِّ نائبة ، فهي أرقّ وألطف من الأوب والتوبة ، ولذلك جاءت من دون الأوب والتوبة في مواضع المهمّات والحوادث والنوازل المفاجئة كقوله تعالى : (وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ){ص : ٢٤}والمعنى : (((أَنَّمَا فَتَنَّاهُ) ابتليناه (فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ) لزلّته (وَخَرَّ رَاكِعًا) أي : سقط على وجهه ساجدًا لله٠٠٠(وَأَنابَ) ورجع إلى الله بالتوبة))[٣]وقوله تعالى : (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ){ص : ٣٤}

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦٨/٣ وينظر : الكشّاف للزمخشري ٢٦٣/١ وزاد المسير لابن الجوزي ٢١٠/١ وفتح القدير للشوكاني ٢٨٣/١-٢٨٤

(٢) ينظر : مقاييس اللغة ص ٨٧٦-٨٧٧ والمفردات للراغب ص ٥٣١ وعمدة الحفّاظ للحلبي ٢٢٩/٤ والمصباح المنير للفيّومي ص ٦٢٩ وتاج العروس للزبيدي ١٨١/٤-١٨٣

(٣) مدارك التنزيل للنسفي ص ١٠١٩-١٠٢٠

ولذلك اقترنت من دون التوبة والأوب بالتأوّه كما جاء في قوله تعالى : (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ){هود : ٧٥}يعني أنّه ((غير عجول على كلّ من أساء إليه أو كثير الاحتمال ممن آذاه صفوح (أَوَّاهٌ) كثير التأوّه من خوف الله (مُّنِيبٌ)نائب راجع إلى الله، وهذه الصفات دالّةعلى رقّة القلب والرأفة والرحمة ، فبيّن أنّ ذلك مما حمله على المجادلة (في قوم لوط) رجاء أن يُرفع عنهم العذاب ويُمهلوا لعلّهم يحدثون التوبة))[١]

ولذلك اقترنت من دونهما عندما ينتاب الإنسان ضُرٌّ كقوله تعالى : (وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ){الزمر : ٨} وقوله تعالى :(وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ){الروم : ٣٣}

فصفوة ما تقدّم ذكره أنّ الأوْب يعني الرجوع إلى الله بطاعة من الطاعات بعد كلّ ساعة شُغِل فيها عن الطاعة ، أو الرجوع إليه بطاعته بعد كلّ زلّة وقع فيها ، والتائب يعني الراجع إلى الله بالتوبة بعد كلّ ذنب وقع فيه ، والمنيب من تضرّع إلى الله بقلب منكسر بالتوبة والفرج كلّما نابته نائبة

٢-الآخِر والدابر :((الآخِر : خلاف الأول ، ونقيض المتقدِّم))[٢] ((وآخِر يُقابَل به الأوَّل ، وآخَر يقابَل به الواحد))[٣] ((والآخِرُ والآخِرة نقيض المتقدِّم والمتقدِّمة٠٠٠والآخِر : الغائب))[٤]((والآخِر : تالٍ للأول))[٥]

والدابر : التالي والتابع[١] قال الله تعالى : (فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ){الأنعام : ٤٥} ((قال الأصمعي وغيره :

---

(١) مدارك التنزيل ص ٥٠٦

(٢) لسان العرب ٦٥/١

(٣) المفردات للراغب ص ١٧

(٤) العين للخليل ص ٢٠

(٥) مقاييس اللغة ص ٣٠

الدابر : الأصل ، أي : أذهب الله أصله)) [٢]فالدابر هو التالي والتابع الذي يتبع من قبله ويخلفة في سيرته وعمله ، فالقرآن الكريم استعمل لفظ الدابر في هذه الآية ونحوها ؛ لأنَّ المراد قطع دابر الذين تبعوا مَن قبلهم ، وخلفوهم في الظلم ، فهذا هو معنى الدابر في قول تعالى : (وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ){الأعراف : ٧٢} وقوله تعالى : (وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاء مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ){الحجر : ٦٦}

فالدابر والآخر ، وإن كانا لفظين مترادفين فلكلٍّ منهما معناه الخاصّ به ، والدليل على ذلك أنَّ أهل اللغة فرَّقوا بينهما في التعريف ، والدليل على ذلك أيضًا عدم صحة وقوع أحدها موقع الآخر ويؤدي معناه في تراكيب كثيرة ، فلا يصح مثلًا أن يقع الدابرموقع الآخِر في قوله تعالى : (هُوَ الأَوَّلُ وَالأخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ){الحديد : ٣} لأنَّ الآخِر هنا هو الله سبحانه ، وكذلك قوله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ){البقرة : ٨} فالمقصود باليوم الآخِر هنا يوم القيامة ، أو الدار الآخرة ، وكذلك لا يصح أن تحلَّ الدابرةمحل الآخِرة في نحو قوله تعالى : (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآَخِرَةِ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ){البقرة : ٨٦}

–الآخِر والآخَر : الآخر بالكسر كما تقدّم خلاف الأول ، ونقيض المتقدِّم كقوله تعالى : (هُوَ الأَوَّلُ وَالأخِرُ){الحديد : ٣}ويجمع جمع مذكر سالمًا كقوله تعالى : (قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ){الواقفعة : ٤٩–٥٠}والآخَر بالفتح استعمل في القرآن بمعنى أحد

---

(١) ينظر : العين ص ٢٧٩ والمفردات ص ١٧١–١٧٢ وعمدة الحفاظ ٢/٣–٤ وبصائر ذوي التمييز ٢/٥٨٦–٥٨٧

(٢) تهذيب اللغة للأزهري٢/١١٤٢

الشيئين [١]كقوله تعالى : (يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ){يوسف : ٤١}

واستعمل بمعنى غير[٢]كقوله تعالى : (الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ){الحجر : ٩٦}ومؤنثه أُخرى كقوله تعالى : (وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ){طه : ٢٢}ويجمع جمع مذكر سالمًا كقوله تعالى : (وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ){الفرقفان : ٤} ويجمع جمع تكسير كقفوله تعالى : (فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ){القفرة : ١٨٤}

٣-الآل والأهل : الآل والأهل مفردتان متداخلتان في الدلالة حتى إنّه جاز أن تحلّ إحداهما محل الأخرى في مواضع كثيرة ، إلّا أنّ القرآن الكريم استعمل إحداهما دون الأخرى حسب السياق والمعنى المراد .

الآل : ((آلُ الرجل : ذو قرابته ، وأهل بيته))[٣]و((يقال : أوَّلَ الحكم إلى أهله ، أي : أرجعه وردّه إليهم وآلُ الرجل : أهل بيته من هذا أيضًا ؛ لأنّه إليه مآلُهم ، وإليهم مآلُه، وآلُ الرجل : شخصه من هذا أيضًا ، وكذلك آلُ كلِّ شيء ؛ وذلك أنّهم يعبِّرون عنه بآله ، وهم عشيرته ، يقولون آل أبي بكر ، وهم يريدون أبا بكر))[٤]و((الآل : مقلوب عن الأهل٠٠٠إلّا أنّه خُصَّ بالإضافة إلى أعلام الناطقين دون النكرات ودون الأزمنة والأمكنة يقال : آلُ فلان ، ولا يقال آلُ رجل ، ولا آلُ زمان كذا أو موضع كذا ، ولا يقال : آل الخيّاط بل يُضاف إلى الأشرف والأفضل ، يقال آل الله وآل

(١) الصحاح ص ٣٢

(٢) عمدة الحفّاظ ٧٣/١

(٣) العين للخليل ص ٥١-٥٢

(٤) مقاييس اللغة لابن فارس ص ٦١-٦٢

السلطان ، والأهل يضاف إلى الكلّ ، يقال أهل الله وأهل الخيّاط ، كما يقال أهل زمن كذا وبلد كذا ، وقيل۰۰۰يُستعمل فيمن يختصّ بالإنسان اختصاصًا ذاتيًّا ، إمّا بقرابة قريبة ، أو بموالاة ، قال عز وجلّ : (إِنَّ اللَّـهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ){آل عمران : ٣٣}وقال تعالى : (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ){غافر : ٤٦}))[١]

((وقيل : آلُ النبيّ عليه الصلاة والسلام أقاربه ، وقيل المختصّون به من حيث العلم ؛ وذلك أنّ أهل الدين ضربان : ضرب متخصّص بالعلم المُتْقَن والعمل المُحْكم ، فيقال لهم آلُ النبيّ وأمّتُه ، وضرب يختصّون بالعلم على سبيل التقليد ويُقال لهم : أمّة محمد عليه الصلاة والسلام ، ولا يقال لهم آله ، فكلّ آلٌ للنبيِّ أمّةٌ له ، وليس كلّ أمّةٍ له آلُهُ ، وقيل لجعفر الصادق رضي الله عنه : النّاس يقولون : المسلمون كلّهم آلُ النبيّ عليه الصلاة والسلام ، فقال : كذبوا وصدقوا ، فقيل : ما معنى ذلك؟ فقال : كذبوا في أنّ الأمّة كافّتهم آلُه ، وصدقوا في أنّهم إذا قاموا بشرائط شريعته آلُه ، وقوله تعالى : (وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ){غافر : ٢٨}أي : من المختصّين به وبشريعته وجعله منهم من حيث النسب أو المسكن ، لا من حيث تقدير القوم أنّه على شريعتهم))[٢]

((قيل : كان قبطيًّا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرًّا و(من آل فرعون) صفة لرجل ، وقيل كان إسرائيليًّا ، و(من آل فرعون) صلة له۰۰۰والظاهر الأول))[٣]

---

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب ص ٣٥

(٢) المفردات في غريب القرآن ص ٣٥–٣٦ وينظر : عمدة الحفّاظ للحلبي ١/١٤٠–١٤١

(٣) مدارك التنزيل تفسير النسفي ص ١٠٥٧

((ومن المادّة : آلُ الرجل ، وهم من يؤولون إليه ، أو يؤول هو إليهم ، أي : يرجع۰۰۰وقوله تعالى : (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ){غافر : ٤٦} يعني بهم كلّ من آل إليه في دين أو مذهب أو نسب))[١]

–**الأهل** : ((أهل الرجل زوجه ، وأخصّ الناس به ، والتأهّل : التزوّج ، وأهل البيت سكّانه ، وأهل الإسلام : من يدين به ، ومن هذا يقال : فلان أهل كذا أو كذا ، قال الله عز وجلّ : (هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ){المدثر : ٥٦}جاء في التفسير : أنّه ، جلّ وعزّ ، أهلٌ لأن يُتَّقى فلا يُعصَى ، وهو أهل لمغفرة من اتقاه))[٢]((ويقال فلان أهل لكذا ، أي : خليق به))[٣]

و((أهل الرجل من يجمعه وإيّاهم نسب أو دين أو ما يجري مجراهما من صناعة وبيت وبلد ، فأهل الرجل في الأصل من يجمعه وإيّاهم مسكن واحد ، ثمّ تُجُوِّز به فقيل أهل بيت الرجل لمن يجمعه وإيّاهم نسب ، وتُعُورف في أسرة النبيّ عليه الصلاة والسلام مُطلقًا إذا قيل أهل البيت لقوله عزّ وجلّ : (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا){الأحزاب : ٣٣} وعُبِّر بأهل الرجل بامرأته ، وأهل الإسلام الذين يجمعهم ، ولمّا كانت الشريعة حكمت برفع حكم النسب في كثير من الأحكام بين المسلم والكافر قال تعالى : (قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ){هود : ٤٦}))[٤]((أي : ليس من أهل دينك۰۰۰فلم تنفعه بُنوَّة النسب۰۰۰وقوله

---

(١)عمدة الحفّاظ للحلبي ١/١٤٠

(٢)العين ص ٤٥

(٣) المفردات في غريب القرآن ص ٣٤

(٤) المفردات في غريب القرآن ص ٣٤

تعالى : {وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا}[مريم : ٥٥]أي : جميع أمّته ، وأمّة كلّ نبيّ أهله ومنهم : آلُ محمد كلّ تقي))[١]

وقد ذكر العسكري أنّ ((الفرق بين الأهل والآل أنّ الأهل يكون من جهة النسب والاختصاص ، فمن جهة النسب قولك : أهل الرجل لقرابته الأدنَيْنَ ومن جهة الاختصاص قولك : أهل البصرة ، وأهل العلم ، والآل خاصّة الرجل من جهة القرابة أو الصحبة ، تقول آل الرجل لأهله وأصحابه ، ولا تقول آل البصرة وآل العلم ، وقالو : آل فرعون : أتباعه ، وكذلك آل لوط))[٢]

وردت الأهل في القرآن الكريم في مواضع كثيرة ، أمّا الآل فقد وردت في القرآن الكريم في ستة وعشرين موضعًا ، وردت مضافة إلى فرعون (آل فرعون) في أربعة عشر موضعًا ، ومضافة إلى لوط (آل لوط) في أربعة مواضع ، ومضافة إلى إبراهيم (آل إبراهيم) في موضعين ، ومضافة إلى يعقوب (آل يعقوب) في موضعين أيضًا ، ومضافة في موضع واحد إلى موسى ، وهرون ، وعمران ، وداود

ومن صفوة ما جاء في تعريف الآل والأهل في كتب اللغة وتفسير شواهدهما في القرأن الكريم أنّ بينهما فرقين فرقًا في الاستعمال وفرقًا في الدلالة ، ففي الاستعمال أنّ (الآل) لم ترد إلّا مضافة إلى الأعلام من الأنبياء ، ولم ترد مضافة إلى غيرهم إلّا إلى فرعون ، أمّا الأهل فلم ترد مضافة إلى الأعلام بل وردت مضافة إلى الضمير وإلى الاماكن .

وفي الدلالة أنّ (الآل)لا تطلق إلّا على الأتباع كلّهم مع إيمانهم بالمتبوع واتباع منهجه وشريعته وسيرته ، فإذا كان المتبوع من الكفرة كان

---

(١) عمدة الحفّاظ ١٣٦/١

(٢) الفروق اللغوية ص ٣١٥

المراد من الآل كلّ أتباعه الموالين له ، كما جاء هذا في قوله تعالى : (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ){غافر : ٤٦}((وقوله(أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ) يعني بهم كلّ مَن آل إليه في دين أو مذهب أو نسب))[١]

وإذا كان المتبوع من الأنبياء كان المراد كذلك كلّ أتباعه الموالين له وفي هذه الحالة لا يكونون إلّا الأتقياء ، أمّا (الأهل)فلكونها يجوز إضافتها إلى الضمير فقد تُطلق على الزوجة ، كقوله تعالى : (وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ){آل عمران : ١٢١} والمراد بالأهل زوجته عائشة رضي الله عنها [٢] أو تُطلق على الأسرة ، كقوله تعالى : (قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ)){هود :٤١}والمراد بالأهل نساؤه وأولاده ومن معه من المؤمنين إلّا من سبق عليه علم الله أنّه من أهل النار وهو ابنه وإحدى زوجتيه [٣]وتطلَق على الأمة والقوم ، وفي هذه الحالة الثالثة يكون المراد من الأمة والقوم الصالحين منهم ومن كانوا دون ذلك .

قال الله تعالى : (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا){مريم : ٥٤-٥٥}((وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ) أمّته ؛ لأنّ النبيّ أبو أمّته وأهل بيته ، وفيه دليل على أنّه لم يداهن غيره (بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ) يحتملأنّه إنّما خُصَّت هاتان العبادتان ؛ لأنّهما أمّا العبادات البدنية والمالية)) [٤]

---

(١) عمدة الحفّاظ ١/١٤٠

(٢) مدارك التنزيل تفسير النسفي ص ١٨٢

(٣) مدارك التنزيل ص ٤٩٧ وينظر سورة (المؤمنون آية ٢٧) وتفسيره لها ص ٧٥٥-٧٥٦

(٤) مدارك التنزيل ص ٦٧٧

وقال تعالى : (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا){طه : ١٣٢}
(((قوله تعالى :(وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ) قال المفسرون : المراد بأهله قومه ومن كان على دينه ، ويدخل في هذا أهل بيته))[1]

ولا يصحّ في هذين الموضعين استعمال الآل وأن يقال : وكان يأمر آلَه ؛ وأْمُرْ آلَك ، لأنّ الآل إذا إضيفت إلى النبي فلا تطلق إلّا على الأتباع الموالين واالاتقياء ، فلا يناسبهم أن يؤمروا بالصلاة والزكاة ، واستعمل الأهل ؛ لأنّها تُطلق على الأمة والقوم ، وفي الأمّة والقوم صالحون وما دون ذلك .

ويقال الكلام نفسه في المواضع الأخرى ، أي : لما تقدم ذكره ناسب إضافة الأهل من دون الآل في قوله تعالى : (وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ){التوبة : ١٠١-١٠٢}

وقد ورد إضافة أهل إلى الكتاب في واحد وثلاثين موضعًا كقوله تعالى : (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا){آل عمران : ٦٤}

وقوله تعالى : (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ){آل عمران :٦٥}

فاستعمل في جميعه الأهل من دون الآل ، لأنّ منهم المتقي وغير المتقي بدلالة قوله تعالى : (وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ){أل عمران : ٦٩}وقوله تعالى : (وَمِنْ أَهْلِ

---

(١) زاد المسير ٢٤٧/٥

الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ){آل عمران : ٧٥}

و(الآل) تستعمل لدلالة خاصّة لا تستعمَل لها (الأهل) فقد مرّ قول ابن فارس : ((وآل الرجل : شخصه من هذا أيضًا ، وكذلك آل كلِّ شيء ؛ وذلك أنّهم يعبِّرون عنه بآلِه ، وهم عشيرته ، يقولون آل أبي بكر ، وهم يريدون أبا بكر))[١] وقال الحلبي : ((وقوله : فقد أوتي مزمارًا من مزامير آل داود)) أي : داود نفسه و(آل) مقحمة ، كما يقال : مثلك لا يفعل كذا ، يريدون : أنت لا تفعل))[٢]

وهذا حديث نبوي رواه البخاري ولفظه : ((عن أبي موسى عن النبيّ صلى الله عليه وسلّم قال له : يا أبا موسى لقد أُوتيت مِزْمارًا من مزامير آلِ داود . قال الخطّابي قوله : (آل داود) يريد داود نفسه ؛ لأنّه لم ينقل أنّ أحدًا من أولاد داود ولا من أقاربه كان أعطيَ من حسن الصوت ما أُعطِيَ))[٣]

ورواه مسلم ولفظه : ((عن عبد الله بن بُرَيْدة عن أبيه قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إنّ عبد الله بن قيس أو الأشعري: أُعطِيَ مزمارًا من مزامير آلِ داود))[٤]

قال الزمخشري في قول الله تعالى : (وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ){البقرة : ٢٤٨} ((فإن قُلتَ مَن (آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ) قلتُ : الأنبياء من بني يعقوب بعدهما ؛ لأنّ عمران هو ابن قاهث بن لاوي بن يعقوب ، فكان أولاد يعقوب آلهما ، ويجوز أن يراد : مما تركه

---

(١) مقاييس اللغة ص ٦١-٦٢

(٢) عمدة الحفاظ ١٤٠/١

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ٩٠٧/٨ رقم الحديث ٥٠٤٨

(٤) شرح صحيح مسلم للشيخ ابن عثيمين ١٦٨/٣-١٦٩ رقم الحديث ٧٩٣

موسى وهارون ، و(الآل) مقحمة لتفخيم شأنهما))[1] واقتصر النسفي على القول بالتفسير الثاني[2] ((كقوله :

بثينة من آلِ النساء وإنّما   يكنَّ لوصلٍ لا وصال لغائب

يريد بُثَينة من النساء))[3]

ومما يدلّ على أنّ (آل) تستعمل للأتباع المتقين من دون غيرهمعند إضافتها إلى الأنبياء قوله تعالى (اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا){سبأ : ١٣}وقوله تعالى : (وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ){يوسف : ٦}وقوله تعالى : (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ){القمر : ٣٤}

فلا يشكر الله إلّا المتقون ، وإتمام نعمة الله ، والنجاة من عذاب الله إنّما تكون في المتقين وليس في غيرهم

وقوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ){آل عمران : ٣٣}وقوله تعالى : (فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا){النساء : ٥٤}والله لا يصطفي ولا يؤتي الحكمة إلّا للموالين الأتقياء

فهذه دلالة الآل في القرآن الكريم التي تفرّقها من الأهل ، حتى لو جاز كالأهل إضافتها إلى الضمير ، جاء في الدر المصون ((و(مِنْ آل) ٠٠٠اختُلِف فيه على ثلاثة أقوال ، قال سيبويه وأتباعه : إنّ أصله أهل فأُبدلت الهاء همزة٠٠٠ثمّ أُبدلت الهمزة ألفًا٠٠٠وذهب النحّاس إلى أنّ أصله أهل أيضًا إلّا أنّه قلب الهاء ألفًا من غير أن يقلبها أوّلًا همزة٠٠٠ومنهم من قال : أصله أَوَل مشتقّ من آل يؤول ، أي : رجع٠٠٠واختُلِف فيه ، فقيل :

---

(١) الكشّاف ٢٨٩/١

(٢) مدارك التنزيل تفسير النسفي ص ١٢٨

(٣) الدرّ المصون ٥٢٤/٢-٥٢٥

آل الرجل : قرابته كأهله ، وقيل : من كان على شيعته ، وإن لم يكن قريبًا منه ، وقيل : من كان تابعًا وعلى دينه ، وإن لم يكن قريبًا منه ، قال :

فلا تبْكِ مَيْتًا بعد مَيْتٍ أجَنَّه   عليٌّ وعبّاسٌ وآل بكر

ولهذا قيل : إنّ آل النبيّ من آمن به إلى آخر الدهر ، ومن لم يؤمن به فليس بآله ، وإن كان نسيبًا له ، كأبي لهب وأبي طالب ، واختَلَف فيه النحاة : هل يُضاف إلى الضمير أم لا ؟ فذهب الكسائي ،وأبو بكر الزبيدي[١]والنحّاس إلىأنّ ذلك لا يجوز ، فلا يجوز : اللهمّ صلِّ على محمد وآله ، بل : وعلى آل محمد وذهب جماعة منهم ابن السيّد[٢] إلى جوازه واستدلّ بقوله عليه الصلاة والسلام ، لما سُئِل فقيل : يا رسول الله مَن آلُكَ ؟ فقال : آلي كل تقيٍّ إلى يوم القيامة ، وأنشدوا قول أبي طالب :

لا هُمَّ إنّ المرءَ يمـ   نَعُ رحْله فامنع حِلالَك

وانصرْ على آل الصليـ   بِ وعابديه اليوم آلَكَ

وقول ابن نُدْبة :

أنا الفارس الحامي حقيقة والدي   وآلي كما تحمي حقيقة آلِكا

واختلفوا أيضًا فيه : هل يُضاف إلى غير العقلاء ، فيقال : آل المدينة وآل مكة؟ فمنعه الجمهور ، وقال الأخفش : قد سمعناه في البلدان قالوا : أهل المدينة وآل المدينة ، ولا يُضاف إلّا إلى من له قَدْرٌ وخَطَرٌ ، فلا يقال : آل

---

(١) أبو بكر الزُّبيدي هو محمد بن الحسن له الواضح والأبنية وما تلحن فيه العامّة توفيَ سنة ٣٧٩ ينظر : بغية الوعاة ٨٣/١

(٢) ابن السيد البطْليوسي وهو عبد الله بن محمد البطَلْيوسي ، كان عالمًا باللغات والأدب ، متبحّرًا فيهما وصنّف : شرح أدب الكاتب ، وشرح الموطّأ ، وشرح سِقْط الزند ، وشرح ديوان المتنبّي ، وإصلاح الخلل الواقع في الجمل ، والحلل في شرح أبيات الجمل ، والمثلّث ، والمسائل المنثورة في النحو وغير ذلك توفي سنة ٥٢١ ينظر : بغية الوعاة ٥٠/٢-٥١

الإسكاف ولا آل الحَجّام ، وهو (أي : الآل) من الأسماء اللازمة للإضافة معنى لا لفظًا)) [١]

وعلى أيّة حال سواء جاز إضافة (الآل) كـ(الأهل) إلى الضمير والأماكن أم لا ، فإنّه يبقى الفرق قائمًا بينهما ، فإذا قلنا مثلًا : أهل مكّة وأهل المدينة ، عنينا الأبرار والأتقياء منهم ومن كانوا دون ذلك ، وإذا قلنا : آل مكّة وآل المدينة عنينا الأول من دون الثاني ، وقد تقدّم : ((وقيل لجعفر الصادق رضي الله عنه : النّاس يقولون : المسلمون كلّهم آل النبيّ عليه الصلاة والسلام ، فقال : كذبوا وصدقوا ، فقيل : ما معنى ذلك؟ فقال : كذبوا في أنّ الأمّة كافّتهم آله ، وصدقوا في أنّهم إذا قاموا بشرائط شريعته آله))

٤-الآلاء والنِّعَم :وردت النعمة ومشتقّاتها بصيغ مختلفة في القرآن الكريم في مواضع كثيرة ، ووردت الآلاء بهذه الصيغة في القرآن الكريم في أربعة وثلاثينموضعًا ، وردت في سورة الأعراف في موضعين وفي سورة النجم في موضع واحد ووردت في سورة الرحمن في واحد وثلاثين موضعًا، ولم أجد في كتب اللغة ولا في كتب التفسير من ذكر المعنى الأصلي للآلاء ، أو ذكر فعلًا مشتقًّا منه، سوى قولهم بأنّ الآلاء بالمدّ : النعَم ، قال النابغة :

هم الملوك وأبناء الملوك لهم   فضل على النّاس في الآلاء والنِّعَمِ

والآلاء جمع مفرده : أَلْوٌ بالفتح كـ(رَحى وأرحاء) و(قَفا وأقْفاء) وإِلى بالكسر كـ(مِعى وأمعاء) (وحِمل وأحمال) (وضِلْع وأضلاع) (وإِنى وآناء) وأُلْيُ بالضمّ كـ(قُفْل وأقفال) قال الأعشى :

أبيض لا يرهبُ الهُزالَ ولا   يقْطعُ رَحْمي ولا يخون إِلَى [١]

---

(١) الدرّ المصون ١/٣٤١-٣٤٣

وذكر العسكري أنّ ((الفرق بين الآلاء والنِّعَم أنّ الألى واحد الآلاء ، وهي النعمة التي تتلو غيرها من قولك : وَلِيهُ يَلِيهِ إذا قرب منه وأصله وَلَى ، وقيل : واحد الآلاء أَلْي ، وقال بعضهم : الألى مقلوب من أَلِيَ الشيءَ إذا عَظُمَ ، فهو اسم للنعمة العظيمة))[٢]

ويمكن أن نفرّق بين الآلاء والنِّعَم في الأمور الآتية :

١-الآلاء نِعَم الله الكونيّة العامّة العظيمة التي يشترك في التمتّع بها جميع خلقه من دون مقابل ، أمّا النِّعَم فهي خاصّة بمن يتقي الله من النّاس

٢-الآلاء نِعَمٌ ثابتة لا تتغيّر كنعمة الشمس والقمر والهواء والبحر والشجر ، أمّا النِّعم فهي متغيِّرة تُعطى للإنسان مقابل تقواه وطاعته لله قال تعالى : (ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ){الأنفال : ٥٣}

٣-الآلاء نِعَمٌ لا تكون إلّا من الله لأنّه لا يقدر على إنعام الخلق والنّاس بها إلّا هو سبحانه ، كتسخير الشمس والنجوم والبحر والأنهار والليل والنّهار لخدمة الإنسان ، أمّا النِّعَم فيشترك فيها الله والنَّاس كقوله تعالى : (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ){الأحزاب : ٣٧}

يظهر أنّ الفرق بين الآلاء والنِّعَم أنّ الآلاء تستعمل في سياق تذكير النّاس وطواغيتهم بعظم الله وقدرته وعظيم فضله وإنعامه عليهم من خلال تذكيرهم بنعم الله الكونية والعظيمة التي يشترك فيها جميع خلقه والتي لا يقدر عليها إلّا هو سبحانه ، كقوله تعالى : (وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ

---

(١) ينظر : لسان العرب لابن منظور ١٤٣/١ والدرّ المصون للحلبي ٣٦٠/٥ وعمدة الحفّاظ للحلبي ١١٠/١ وتاج العروس للزبيدي ٤٩/٣٧

(٢) الفروق اللغوية ص ٢٢٠

نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّـهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ){الأعراف : ٦٩} ، وقوله تعالى : (وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّـهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ){الأعراف : ٧٤}

فقد جاء التذكير بآلاء الله في الموضع الأول بعد أن ذكر قصة النبيّ هود مع قومه عاد ، وأعادها بعد ذكر قصة النبيّ صالح مع قومه ثمود وعنى بهم في الموضعين الذين أعرضوا عننبيّهم طغيانًا وتكبّرًا، فالمراد من استعمال آلاء الله بيان قدرة الله ، وعلى أنّ الفضل كلّه منه ، وأنّ شركاءهم الذين يعظمونهم لا يملكون من هذه القدرة والنِّعَم شيئًا ، وكذلك قوله تعالى : (وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَـٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ){النجم : ٤٩-٥٦}وقوم المؤتفكة هم قوم لوط والمعنى : (((فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ) أيّها المخاطَب تتشكك بما أولاك من النِّعَم أو بما كفاك من النّقم ، أو بأيِّ نِعَم ربّك الدالّة على وحدانيته وربوبيته تشكك))[1]

فالمراد من اسعمال آلاء الله بيان قدرته حتى إنّ بعض المفسرين القدامى جعل الآلاء بمعنى القدرة فعن ((يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال ابن زيد في قوله تعالى : (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ){الرحمن : ١٣} قال : الآلاء : القدرة ، فبأيِّ آلائه تكذِّب خلقكم كذا وكذا ، فبأيِّ قُدرة الله تكذِّبان أيُّها الثقلان))[2]

(١) مدارك التنزيل للنسفي ص ١١٨٣-١١٨٤

(٢) جامع البيان للطبري ١٤٥/٢٧

وهذه الآلاء الكونية العامّة التي يشترك فيها الخلق كلّه أريد منها تعظيم الله ، وإنّ منها ما أُنعِم بها كلّ إنسان ، وذكّر كلَّ إنسان بها بلفظ النعم لدفعه لشكر الله ومحبّته كقوله تعالى : (أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّـهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً){لقمان : ٢٠} وقوله تعالى : (يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّـهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّـهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ){آل عمران : ١٧١}وقوله تعالى : (وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّـهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّـهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ){النحل : ١٨}وقوله تعالى : (وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّـهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ){النحل : ٥٣}

فذكر الآلاء الكونية لتعظيمه وذكر النعم لشكره وحبّه

٥-**الآن والحميم** : الحميم : الماء الحارّ ، والآن الذي بلغ الغاية في شدة الحرارة [١]و((قال ابن الأنباري : الأنى من بلوغ الشيء منتهاه٠٠٠وقوله تعالى : (لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ){الأحزاب : ٥٣} أي : غير منتظرين نضجه وبلوغه تقول : أنى يأني إذا نضج وقال تعالى : (هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ){الرحمن : ٤٣-٤٤} قيل : هو الذي انتهى في الحرارة وكذلك قوله تعالى : (تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ){الغاشية : ٣-٤} أي : متناهية في شدة الحرارة٠٠٠قال ابن السكيت : الإنى من الساعات ومن بولغ الشيء منتهاه)) [٢]

فالفرق بين الحميم والآن أنّ الحميم الشديد الحرارة ، والآن ما بلغ منتهاه في شدة حرارته أي : ما كان أشد حرارة من الحميم

---

(١) ينظر : الصحاح ص ٥٧ ، ٢٦٥ والمفردات ص ٣٤ ، ١٣٥ وعمدة الحفّا ظ ١٣٣/١ والمصباح المنير ص١٥٣

(٢) تهذيب اللغة للأزهري ٢٢٥/١-٢٢٦

٦-**الآية والسمة والعلامة** : فرق العسكري ((بين الدلالة والعلامة أنّ الدلالة على الشيء ما يُمكِّن كلّ ناظر فيها أن يستدلّ بها عليه ، كالعالَم لمّا كان دلالة على الخالق كان دالًّا عليه لكلِّ مستدلٍّ به ، وعلامة الشيء ما يعرف به المعلَم له ومن شاركه في معرفته دون كلّ واحد ، كالحجر تجعله علامة لدفين تدفنه ، فيكون دلالة لك دون غيرك ، ولا يمكن غيرك أن يستدلّ به عليه إلّا إذا وافقته على ذلك ، كالتصفيق تجعله علامة لمجيء زيد ، فلا يكون ذلك دلالة إلّا لمن يوافقك عليه ، ثم يجوز أن تزيل علامة الشيء بينك وبين صاحبك ، فتخرج من أن تكون علامة له ، ولا يجوز أن تخرج الدلالة على الشيء من أن تكون دالّة عليه ، فالعلامة تكون بالوضع ، والدلالة بالاقتضاء))(١)

وفرّق ((بين العلامة والآية أنّ الآية هي العلامة الثابتة))(٢) وفرّق ((بين العلامة والسّمة أنّ السمة ضرب من العلامات مخصوص وهو ما يكون بالنار مثل سمات الإبل وما يجري مجراها ، وفي القرآن : (سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ){القلم : ١٦} وأصلها التأثير في الشيء)) (٣)

وقوله بأنّ الآية هي العلامة الثابتة فيه نظر لقوله تعالى : (قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً ۚ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا){مريم : ١٠} فقد جعل هذه الآية موقتة حددها بثلاث ليال ، فالآية ما فيها عبرة وعظة أو ما كانت دالّة على وجود الله وقدرته ؛ لذلك سمّى ناقة صالح آية في قوله تعالى : (هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ){الأعراف : ٧٣} وقال تعالى : (قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ

---

(١) الفروق اللغوية ص ٨٢-٨٣

(٢) الفروق اللغوية ص ٨٣

(٣) الفروق اللغوية ص ٨٣

فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ){الأعراف : ١٠٨} وهذه الآية كانت موقتة أيضًا

وسميت آيات كل سورة في القرآن بذلك ؛ لأنّ في كلِّ آية منها عبرة وعظة

فهذه هي الآية وليست كذلك العلامة ، وتعريف العسكري بأنّ العلامة لا يعلمها إلّا من وضعها ، فيه نظر أيضًا ؛ لأنّ العلامة ما يسترشد بها كلّ من ضل الطريق ؛ لذلك تكون ثابتة ومعلومة ، فالجبل علامة ، والراية علامة ، وعلم الرجل إذا صار أعلم ، وهو المشقوقة الشفة العليا والمرأة علماء [١]

وقد وردت العلامة بهذا المعنى وفي موضع واحد وهو قوله تعالى : (وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ){النحل : ١٥-١٦} (((وَعَلَامَاتٍ) هي معالم الطرق وكلّ ما يستدلّ به السابلة من جبل وغير ذلك)) [٢]

((والوسم : التأثير ، والسمة : الأثر ، يقال : وسمتُ الشيءَ إذا أثرت فيه ، قال تعالى : (سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ){الفتح : ٢٩}))[٣]
((والوسم : الكيّ بالنار في الدابّة لتُعرَف من غيرها)) [٤]

فقوله تعالى : (سِيمَاهُمْ) يعني آثار السجود ، فإذا جُعلت هذه الآثار وسيلة لتمييزهم من غيرهم سميت علامات

---

(١) ينظر : الصحاح للجوهري ص ٧٣٨

(٢) مدارك التنزيل ص ٥٩٢

(٣) المفردات ص ٥٤٧

(٤) عمدة الحفّاظ ٣١٢/٤

وقال تعالى : (سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ){القلم : ١٦} (((سَنَسِمُهُ) سنكويه (عَلَى الْخُرْطُومِ) عَلَى أنفه مهانة له وعلمًا يُعرَف به ، وتخصيص الأنف بالذكر ؛ لأنّ الوسم عليه أبشع)) [١] فالوسم هو الأثر الذي جعله على أنفه

٧-**الأب والوالد ، والأمّ والوالدة** : الفرق بينالأب والوالد ((أنّ الوالد لا يُطلَق إلّا على من ولدك من غير واسطة ، والأب ، قد يُطلَق على الجدّ البعيد ، قال تعالى : (مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ){الحج : ٧٨}))[٢]

و((الهمزة والباء والواو ، يدل على التربية والغذو ، أَبَوْتُ الشيءَ آبُوه أَبْوًا : إذا غذوتُه ، وبذلك سُمِّي الأب أبًا))[٣]و((الأب : الوالد ويُسمَّى كل من كان سببًا في إيجاد شيء أو إصلاحه أو ظهوره أبًا))[٤]فالأب بهذه الدلالة يكون اسم جنس ؛ لذلك أطلقه العرب على الوالد والجد مهما بعد ، أي : على الأب الأدني والأب الأعلى، بل الوالد بعينه سَمَّوه أبًأ ، وكان أولى من غيره بهذه التسمية ؛ لأنَّه يُعد السبب المباشر ، لإيجاد أولاده ، وتربيتهم وتغذيتهم ، وإصلاحهم ، وظهورهم ؛ وكذلك الجد هو أحق بهذه التسمية بعد الوالد ؛ لأنَّه السبب في ظهور الأولاد والذرية والأمَّة ، أي : أنَّ معنى الأب يناسبه أكثر مما يناسبه معنى الجد الذي يتضمن ((أصول ثلاثة ، الأول : العظمة ، والثاني : الحظّ ، والثالث : القطع)) [٥] والدليل على ذلك أنَّه لم يرد لفظ الجد ولا الأجداد في القرآن الكريم ، وأمَّا إطلاق الأب على العم ، والخالة ، فهو على سبيل التغليب ، والتغليب شائع في كلام العرب وفي

---

(١) مدارك التنزيل ص ١٢٦٧

(٢) فروق اللغات لابن نعمة الله الجزائري ص ٦١-٦٢

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس ص ٢١-٢٢.

(٤) المفردات للراغب ص ١١ وينظر عمدة الحفاظ ١/٥١-٥٢.

(٥) مقاييس اللغة ص ١٤٨.

القرآن الكريم في حال التثنية والجمع ((ويُسمَّى العم مع الأب أبوين ، وكذلك الأم مع الأب ، وكذلك الجد مع الأب ، قال تعالى في قصة يعقوب :(أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ){البقرة : ١٣٣} وإسماعيل لم يكن من آبائهم وإنَّما كان عمهم))[1]((ويطلَق (الأب) على الجد ، فقيل حقيقة وقيل مجازًا ، وهو الظاهر ، وعلى العمّ والأمّ والخالة ، ولكن بالتغليب ، فيقال : أبوه ، وقيل في قوله تعالى : (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ){يوسف : ١٠٠}إنَّهما أبوه وخالته))[2]

الأمّ والوالدة : ((الأمّ بإزاء الأب وهي الوالدة القريبة التي ولدته ، والبعيدة التي ولدت من ولدته ؛ ولهذا قيل لحوّاء هي أمّنا ، وإن كان بيننا وبينها وسائط٠٠٠والأُمّ قيل : أصله أُمّهة ، لقولهم جمعًا أُمَّهات٠٠٠قال بعضهم : أكثر ما يقال أُمّات في البهائم ونحوها وأُمّهات في الإنسان)) [3]

و((الأمّ : أحد الأبوين٠٠٠ويقال : أُمّهة قال (من الرجز) : أُمّهتي خِنْدَفٌ وإلياس أبي)) [4] فالوالدة هي الأُمّ المباشرة فقط ، فهي تُطلَق على المرأة التي تنجب بغضّ النظر عن صفاتها الحسنة أو القبيحة ، بل هي مجرّد إنجاب يشترك فيه الإنسان والبهيمة ، أمّا الأُمّ فتعني الأمّ المباشرة وغير المباشرة ، أي تعني الوالدة ، والجدة ، وما علا حتى حوّاء ، وكذلك تعني المرضعة ، والمربية ونحوهما ، فقد أطلقها القرآن الكريم على الأصل الكريم ، الذي هو رمز التضحية والفداء والنقاء والطهر ، والحبّ والحنان

---

(1) المفردات للراغب ص ١١ .

(2) عمدة الحفاظ للحلبي ٥٢/١ .

(3) المفردات للراغب ص ٢٧

(4) عمدة الحفاظ للحلبي ١٢١/١

والشفقة ، فلمّا أراد الله سبحانه هذا الجانب من المعاني استعمل الأُمّ من دون الوالدة في قوله تعالى : ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾{المائدة : ٧٥} وقوله تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾{لقمان : ١٤} وقوله تعالى : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾{القصص :٧} وقوله تعالى : ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾{القصص : ١٠} وقوله تعالى : ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾{طه : ٤٠} ولمّا أراد القرآن قضية إثبات نسبة الولد إلى أُمّه المباشرة التي ولدته ؛ لأنّ المقام يتطلّب ذلك ، استعمل الوالدة من دون الأمّ ، كقوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ﴾{المائدة : ١١٠} قال ﴿وَالِدَتِكَ﴾ لأنّه أراد : اذكر نعمتي عليك ، وعلى مريم التي ولدتك ، وقوله تعالى : ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ﴾{البقرة : ٢٣٣} فاستعمل الوالدة من دون الأُمّ ؛ لأنّ القضية تتعلق بالمولود ووالديه ؛ ولأنّ المعنى : أنّه لا يحلُّ للوالدين أن يجعلا مولودهما سببًا للمضارة بينهما ، أي : لا يحلّ أن يتخذا من مولودهما ذريعة لأن يضرّ أحدهما الآخر ، وكذلك قال تعالى ما جاء على لسان عيسى عليه السلام : ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾{مريم : ٣٢} قال : ﴿بِوَالِدَتِي﴾ لأنّه أراد أن يثبت نسبه إلى مريم أنّها هي التي ولدته ، ولو قال : بأُمّي ، لاحتمل أن تكون مريم أو غيرها .

-**الأبوان والوالدان** : ((إنّهم يُغلّبون على الشيء ما لغيره ؛ لتناسب بينهما أو اختلاط ؛ فلهذا قالوا (الأبوين) في الأب والأم ومنه قوله تعالى : (وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ){النساء : ١١} وفي الأب والخالة ، ومنه قوله تعالى : (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ) و(المشرقين) و(المغربين) ومثله

(الخافقان) في المشرق والمغرب ، و(القمرين) في الشمس والقمر ... وقالوا (العُمَرَين) في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما))[1]

((والقرآن الكريم بما أنَّه استعمل الوالد والأب فلا بد من أن يكون ثمة فرق بينهما في الدلالة ، وأنَّهما استعملهما كلًّا في موضعه مراعاة للفرق المعنوي بينهما ، فقد ((خصّ القرآن الكريم كلمة والدة بالأم فقط ، وما سمَّى القرآن الكريم الأب والدًا قط ، أمَّا كلمة والد فقد جاءت في ثلاثة مواضع فقط في القرآن الكريم هي : قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا){لقمان : ٣٣} (في هذه الآية موضعان) وقوله تعالى : (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ){البلد : ٣} وفي هذه المرات الثلاثة ، لم تخص الأب ، بل جاءت عامة تشمل الأب والأم))[2]

ذكر الدكتور أحمد متولّي في موسوعته العلمية السرّ في استعمال ((التثنية بصيغة (أبوين) أحيانًا ، وبصيغة (والدين) أحيانًا أخرى ، الإجابة : أنَّه في المواضع التي يكون فيها جانب الأبُوّة أقوى من جانب الأمومة تأتي صيغة (أبوين) مثل قوله تعالى : (وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ){النساء : ١١} فمقام الحديث في الآية هو الميراث ، والذكر في موضوع الميراث أقوى من الأنثى غالبًا ، فالله يقول (لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ){النساء : ١١} كما أنَّ الذكر يكون عصبة المتوفَّى فيرث ماله كلّه إن لم يكن للميت وارث آخر ، ويأخذ نصيبه إن كان للميت وارث آخر ، ثم يأخذ الباقي بعد استيفاء أصحاب الفروض نصيبهم ، مثال آخر ، قال تعالى : (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ){يوسف : ١٠٠} والرفع هنا هو الظهور ، والظهور أصل في الرجال في كل عصر

---

(1) مغني اللبيب لابن هشام ٢/٦٨٦-٦٨٧ وينظر : الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ١/١٣٩.

(2) الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية ص ٧٥٥

ومصر وليس للنساء فيه حظ ، أمَّا في المواضع التي يكون فيها جانب الأمومة أقوى تأتي صيغة (والدَين) فمثلًا جميع الآيات التي تأمر أو توصي الأبناء بالإحسان إلى الأب والأم ، يُغَلِّب القرآن الحكيم جانب الأمومة على الأبوة كما قال تعالى : (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا){الإراء : ٢٣} فسمى الله تعالى الأم والأب والدين ؛ لأنَّ الأمهات أحوج إلى العطف والإحسان من الآباء))[١]

وقال في الميراث : (وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ) ولم يقل (والداه) لأنَّه غلَّب جانب الأبوة لِما ذكره صاحب الموسوعة ، لكنه قال في الميراث أيضًا: (لِّلرِّجَالِ نَصيِبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ){النساء : ٧} جاء في التفسير أنَّ ((قوله تعالى) : (لِّلرِّجَالِ نَصيِبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ) سبب نزولها أنَّ أوس بن ثابت الأنصاري توفي وترك ثلاث بنات وامرأة ، فقام رجلان من بني عمِّه ، يقال لهما قتادة وعرفطة ، فأخذا ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيئًا ، فجاءت امرأته إلى النبي فذكرت له ذلك ، وشكتِ الفقر فنزلت هذه الآية ، قاله ابن عباس ، وقال قتادة : كانوا لا يورثون النساء ، فنزلت هذه الآية))[٢] فقد غلَّب جانب الأمومة لأنَّ السياق وأسباب النزول تقتضي هذا التغليب .

٨-**الإباء والامتناع** :((الهمزة والباء والياء يدل على الامتناع))[٣]و((أبى فلان يأبى إباء ، أي : ترك الطاعة ومال إلى المعصية ، قال الله

(١) الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية ص ٧٥٤

(٢) زاد المسير ١٣/٢ .

(٣) مقاييس اللغة ص ٢٢

تعالى : (فَكَذَّبَ وَأَبَى){طه : ١٥}))[١]وأبى : امتنع[٢] ((وأبى الشيءَ : كرهه ... والإباء أشد الامتناع)) [٣]

فـ((الإباء : شدة الامتناع ، فكل إباء امتناع ، وليس كل امتناع إباء ، قال تعالى : (وَيَأْبَى اللّهُ إِلّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ){التوبة : ٣٢} وقال تعالى : (وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ){التوبة : ٨} وقال تعالى : (أَبَى وَاسْتَكْبَرَ){البقرة : ٣٤}))[٤]

٩–**الأباريق والأكواب والقوارير والكأس : الأباريق** : قال الراغب في باب برق : ((والإبريق معروف وتُصُوِّر من البرقما يظهر من تجويفه))[٥]((والإبريق : ما له عروة بخلاف الكوب ؛ وسمِّي بذلك لبريقه))[٦]

–**الأكواب** : ((قال الفرّاء : الكوب : الكوز المستدير الرأس الذي لا أذن له))[٧]و((الكوب : قدح لا عروة له وجمعه أكواب))[٨] والكوب : ((إناء ((إناء مستدير لا عروة له ولا خرطوم ، فإن كان له عروة فهو إبريق ، وقال

---

(١) العين للخليل ص ١٥

(٢) ينظر : الصحاح للجوهري ص ٢١

(٣) لسان العرب لابن منظور ٤٢/١

(٤) المفردات للراغب ص ١١ وينظر : عمدة الحفاظ للحلبي ٥٣/١

(٥) المفردات للراغب ص ٤٩

(٦) عمدة الحفّاظ ١٨٣/١

(٧) تهذيب اللغة ٣٠٧٥/٤

(٨) المفردات للراغب ص ٤٦١

الأزهري : الكوب ما لا خرطوم له فإن كان له عروة فهو إبريق٠٠٠وقيل : هو القدح الذي لا عروة له))[١]

–القوارير : والقوارير هو الزجاج ، قال تعالى : (قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ){النمل : ٤٤} أي : ((إنّه صرح ممرد مملّس مستو ومنه الأمرد (مِّن قَوَارِيرَ) من زجاج))[٢] وقال الراغب في باب قر : ((والقوارير معروفة وجمعها قوارير))[٣]و((رفقًا بالقوارير أراد عليه السلام بالقوارير النساء شبّهنّ بالقوارير لضعف عزائمهنّ ، وقلّة دوامهنّ على العهد ، والقوارير يسرع إليها الكسر ، ثمّ لا تقبل الجبر))[٤]وهو : ((من الزجاج)) [٥]((والقارورة : إناء من من زجاج ، والجمع القوارير ، والقارورة أيضًا وِعاء الرطب والتمر ، وتُطلَق القارورة على المرأة ؛ لأنّ الولد أو المني يَقرّ في رحمها كما يَقرّ الشيء في الإناء ، أو تشبيهًا بآنية الزجاج لضعفها ، قال الأزهري : والعرب تكنّي عن المرأة بالقارورة))[٦]

–الكأس :((قال الزجّاج : الكأس : الإناء إذا كان فيه خمر ، فهو كأس ، ويقع الكأس لكلّ إناء مع شرابه ، قال الأزهري : والكأس مهموز وجمعه كؤوس ، وقال ابن بُزُرْجَ : كاص فلان من الطعام والشراب : إذا أكثر منه ، ، وتقول : وجدتُ فلانًا كُؤَصًا كُعَصًا أي : صبورًا باقيًا على شربه وأكله ، قال الأزهري : وأحسِبُ الكأس مأخوذًا منه ؛ لأنّ الصاد والسين

---

(١) عمدة الحفّاظ ٤٣٦/٣

(٢) مدارك التنزيل ص٨٤٩

(٣) المفردات للراغب ص ٤١٥

(٤) تهذيب اللغة ٢٩٢٦/٣

(٥) الصحاح ص ٨٤٩

(٦) المصباح المنير ص ٤٩٧

يتعاقبان في حروف كثيرة لقرب مخرجيهما))[١]و((الكأس : الإناء بما فيه من الشراب، وسُمِّيَ كلٌّ واحد منهما بانفراده كأسًا ، يقال : شربتُ كأسًا ، وكأسٌ طيبة يعني بها الشراب))[٢] و((الكأس : الإناء الذي فيه خمر غالبًا ، قيل : ولا يقال له كأس إلّا وفيه خمر وإلّا فهو قدح٠٠٠وقد يُطلَق على كلّ واحدٍ من الشراب أو الإناء بانفراده كأس ، يقال : كأس خال من الشراب ، وشربتُ كأسًا٠٠٠وتُجمَع على أكؤس وكؤوس نحو أفلس وفلوس))[٣]

وقد وردت هذه الأواني في القرآن الكريم بصيغة الجمع ولم ترد بصيغة الإفراد إلّا الكأس كانت على العكس من ذلك لم ترِد إلّا بصيغة الإفراد ، وقد وردت الأباريق في موضع واحد والقوارير في ثلاثة مواضع والأكواب في أربعة مواضع ، والكأس في ستة مواضع ، وكثيرًا ما وردت مقترنة ببعضها كقوله تعالى : (يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ){الواقعة : ١٨} (((أَكْوَابٍ) جمع كوب ، وهي آنية لا عروة لها ولا خرطوم(وَأَبَارِيقَ) جمع إبريق وهو ما له خرطوموعروة(وَكَأْسٍ) وقدح فيه شراب ، وإن لم يكن فيه شراب فليس بكأس (مِّن مَّعِينٍ) من خمر تجري من العيون))[٤]

وقال الله تعالى : (وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا){الإنسان : ١٥-١٧}((أي : يدير عليهم خدمهم كؤوس الشراب ، والآنية جمع إناء ، وهو وِعاء الشرابَ (وَأَكْوَابٍ) أي : من فضّة ،

---

(١) تهذيب اللغة ٣٠٨٠/٤

(٢) المفردات للراغب ص ٤٦٢

(٣) عمدة الحفّاظ ٣٦٢/٣

(٤) مدارك التنزيل ص ١١٩٩

جمع كوب ، وهو إبريق لا عروة له (كَانَتْ قَوَارِيرَا) كان تامّة ، أي كوِّنتْ فكانت قوارير بتكوين الله ، نصب على الحال (قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ) أي : مخلوقة من فضّة فهي جامعة لبياض الفضّة وحسنها ، وصفاء القوارير وشفيفها ، حيث يُرى ما فيها من الشراب من خارجها (قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا) صفة لقوارير من فضّة ، أي : أهل الجنّة قدّروها على أشكال مخصوصة فجاءت كما قدّروها تكرمة لهم ، أو السقاة جعلوها على قدر ريّ شاربها فهي ألذ لهم وأخفّ عليهم وعن مجاهد : لا تقبض ولا تغيض))[1]

وقال الزجاج : ((ومعنى (قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ) أصل القوارير التي في الدنيا من الرمل فأعلم الله أنّ فضل تلك القوارير أنّ أصلها من فضّة يُرى من خارجها ما في داخلها))[2]

١٠ –**الإباق والفرار والهرب** : **الإباق** : ((قال الله تعالى : (إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ){الصافات : ١٤٠} يقال : أبِق العبد يأبَق إباقًا وأبَق يأبِق إذا هرب وعبدٌ آبق وجمعه أُبّاق)) [3] و((الإباق : هرب العبد من سيده ، ولمّا كان الخلق كلّهم عبيده قال في حق عبده يونس صلى الله عليه وسلّم : (إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ){الصافات : ١٤٠} إذ لله أن يقول ما يشاء ، ولا يجوز أن نقول : أبَق نبيٌّ إنّما ذلك لله تعالى)) [4]

الفرار : ((الفرّ والفرار : الروغان والهرب)) [5]

الهرب : ورد الهرب في موضع واحد هو ((قوله تعالى : (وَلَن نُّعْجِزَهُ

---

(1) مدارك التنزيل ص ١٣٠٧

(2) معاني القرآن وإعرابه ٢٠٧/٥ وينظر : الوسيط للواحدي ٤٠٣/٤

(3) المفردات ص ١٢

(4) عمدة الحفّاظ ٤٧/١

(5) لسان العرب ١٥٠/١١

هَرَبًا){الجنّ : ١٢} الهرب : الذهاب بسرعة عن خوف٠٠٠وجدّ في الذهاب))[1] و((تقول : جاء فلان مُهرِبًا إذا أتاك هاربًا فزعًا))[2]

لم يفرّق أهل اللعة والتفسير بين الفرار والهرب وأرى أنّ الفرق بينهما أنّ الهرب يكون عن فزع وذعر ، فيهرب الإنسان تلقائيًّا وفي حال فزعه ويجدّ في الهرب مسرعًا إلى أية جهة كانت رأى أنّها ستبعده وتنجيه مما هرب منه ، أمّا الفرار فقد يكون عن خوف وغير خوف ويكون الفارّ قد أعدّ له عدة وعيّن الجهة التي سيفرّ إليها وطريقها كقوله تعالى :قال تعالى : (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ){الجمعة : ٨} وقوله تعالى : (قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا){الأحزاب : ١٦} وقوله تعالى (فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ){الذاريات : ٥٠} حتى قوله تعالى : (فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ){الشعراء : ٢١}فقد عزم على الفرار بعد أن أخبره مؤمن من آل فرعون : (قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ){القصص : ٢٠}[3]فهو لم يهرب عن فزع وذعر مفاجئ لم يهيئْ إليه نفسه ، بل استعدّ للفرار وتهيّأ له فأعدّ له ما يلزم وعيّن الجهة التي سيهرب إليها والطريق الآمن الموصل إليها

فالإباق هروب العبد من سيده ، والهرب الذهاب بسرعة من غير تحضير له ، والفرار يكون بعد التهيئة له والتأنّي لتنفيذه

---

(١) عمدة الحفّاظ ٣٤٧/٤-٣٤٨

(٢) العين ص ١٠٠٩

(٣) ينظر : مدارك التنزيل ٨١٦

١١-**الابتغاء والطلب** : ((بغيتُ الشيءَ أبغيه بُغاء ، وابتغيته : طلبته))[١]و((بغيتَ الشيء : إذا طلبتَ أكثر ما يجب ، وابتغيت كذلك ، قال عز وجل : (لَقَدِ ابْتَغَوُاْ الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ){التوبة : ٤٨} وقال تعالى : (يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ){التوبة : ٤٧} والبغي على ضربين : أحدهما محمود ، وهو تجاوز العدل إلى الإحسان ، والفرض إلى التطوع ، والثاني : مذموم ، وهو تجاوز الحق إلى البطل٠٠٠ولأنَّ البغي قد يكون محمودًا ومذمومًا ، قال تعالى : (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ){الشورى : ٤٢} فخص العقوبة ببغيه بغير الحق٠٠٠وبغت المرأة بغاء : إذا فجرت ؛ وذلك لتجاوزها إلى ما ليس لها))[٢]((وابتغى : افتعل من البغي ، وقد غلب اختصاصها للاجتهاد في الطلب ، فإن كان ذلك المطلوب محمودًا فابتغاؤه كذلك ، وكذا عكسه فقوله تعالى : (ابْتِغَاء رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا){الإسراء : ٢٨} محمود ، وقوله تعالى : ((لَقَدِ ابْتَغَوُاْ الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ){التوبة : ٤٨} مذموم))[٣] فالابتغاء هو الاجتهاد في الطلب[٤] فالابتغاء إذن غير الطلب ، وقوله تعالى : (وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ){البقرة : ١٨٧} لا يعني : واطلبوا ما كتب الله لكم ، بل المعنى : واجتهدوا في طلب ما كتب الله لكم

١٢-**الأبد والأجل والأمد والخلود والعمر** : ((قال تعالى : (خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا){النساء : ١٢٢}الأبد : عبارة عن مدّة الزمان الممتدّ الذي لا يتجزّأ

(١) العين ص ٨٢ وينظر : مقاييس اللغة لابن فارس ١٠١

(٢) المفردات ٦٠-٦١.

(٣) عمدة الحفاظ ٢١٥/١ .

(٤) ينظر : بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ٢٦٣/٢.

كما يتجزّا الزمان ، وذلك أنّه يقال : زمان كذا ، ولا يقال : أبد كذا))[١] فالأبد ((زمان لا انقضاء لآخره))[٢] أي : ليست له نهاية

((والخلود هو تَبَرّي الشيء من اعتراض الفساد ، وبقاؤه على الحالة التي هو عليها ، وكلّ ما يتباطأ عنه التغيير والفساد تصفه العرب بالخلود٠٠٠والخلود في الجنّة بقاء الأشياء على الحالة التي عليها من اعتراض الفساد عليها قال تعالى : (أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ){البقرة : ٨٢}٠٠٠وقوله تعالى : (يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ){الواقعة : ١٧}قيل : مُبقَون بحالتهم لا يعتريهم استحالة))[٣] ((وحقيقته أنّهم لا يتغيّرون عن حالتهم التي هم عليها من الوصافة وسنّ الحداثة))[٤] والوصافة : الخدمة ، والوصيف : الخادم ، أي : يبقون ولدانًا ويبقون يخدمون المؤمنين

-**الأبـد والزمـان والأمـد** : لـم يـرد الـزمن والزمـان فـي القـرآن الكـريم و((الأمد والأبد يتقاربان ، لكن الأبد عبارة عن مدّة الزمان التي ليس لها حدٌّ محدود ولا يتقيّد لا يقال : أبد كذا ، والأمد مدَّة لها حدّ مجهول إذا أُطلِق ، وقد ينحصر نحو أن يقال : أمد كذا ، والفرق بين الزمان والأمد أنّ الأمد يقال باعتبار الغاية والزمان عامٌّ في المبدأ والغاية ؛ ولذلك قال بعضهم : المدى والأمد يتقاربان))[٥]

((وقد تجيء لمجرّد الغاية كقوله تعالى : (تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا

([١]) المفردات ص ١٢

([٢]) عمدة الحفّاظ ٤٦/١

([٣]) المفردات ص ١٦٠

([٤]) عمدة الحفّاظ ٥٢٠/١

([٥]) المفردات ص ٢٩

بَعِيدًا){آل عمران : ٣٠} أي : غاية ، وقد تجيء لنهاية بلوغها كقوله تعالى : (وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ){الحديد : ١٦}٠٠٠وكقوله تعالى : (ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا) أي : غاية إقامة٠٠٠وللإنسان أمدان : مولده وموته ، وعن الحجّاج أنّه قال للحسن : ما أمدك ؟ قال : سنتان من خلافة عمر رضي الله تعالى عنه ، أي : وُلِدتُ لسنتين بقيتا من خلافته ، وجمع الأمد : آماد))[١]

–**العمر والأجل** : العمر هو المدة التي يقضيها المرء من الولادة حتى الممات ، والأجل نهاية العمر و((الأجل : المدة المضروبة للشيء٠٠٠قال تعالى : (أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ){القصص : ٢٨}٠٠٠ويقال للمدّة المضروبة لحياة الإنسان أجل فيقال : دنا أجله عبارة عن دنوّ الموت)) [٢] ((وقوله تعالى : (وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى){غافر : ٦٧}عبارة عن ذلك ، وقوله تعالى : (أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ){القصص : ٢٨} أي : المدتين المضروبتين من الثماني والعشر)) [٣]

١٣–الإبداء والإظهار والإعلان والجهر : **الجهر والإظهار** : فرّق العسكري ((بين الجهر والإظهار أنّ الجهر عموم الإظهار والمبالغة فيه ، ألا ترى أنّك إذا كشفت الأمر للرجل والرجلين قلت : أظهرته لهما ، ولا تقول : جهرتُ به إلّا إذا أظهرته للجماعة الكثيرة فيزول الشكّ ؛ ولهذا قالوا : (أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً){النساء : ١٥٣} أي : عيانًا لا شكّ معه ، وأصله رفع الصوت ، يقال : جَهَرَ بالقراءة إذا رفع صوته بها٠٠٠وأصل الجهر إظهار المعنى

---

(١) عمدة الحفّاظ ١١٤/١

(٢) المفردات ص ١٥

(٣) عمدة الحفّاظ ٦٧/١

للنفس ، وإذا أخرج الشيءَ من وعاء أو بيت لم يكن ذلك جهرًا وكان إظهارًا))[1]

قال تعالى في الإظهار : (وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ){التحريم : ٣}

-**الإعلان والجهر** : وفرّق ((بين الإعلان والجهر أنّ الإعلان خلاف الكتمان وهو إظهار المعنى للنفس ، ولا يقتضي رفع الصوت ، والجهر يقتضي رفع الصوت ، ومنه يقال : رجل جهير وجَهْوَري ، إذا كان رفيع الصوت))[2]

و((العلانية ضدّ السرّ وأكثر ما يقال ذلك في المعاني دون الأعيان))[3]

قال تعالى : (وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ){الممتحنة : ١} وقال تعالى : (سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ){الرعد : ١٠}

وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ){الحجرات : ٢}

-**البدو والظهور** : ((بدا الشيء بَدوًا وبَداءً ، أي : ظهر ظهورًا بيِّنًا قال الله تعالى : (وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا){الزمر : ٤٧-٤٨} وقال تعالى : (فَبَدَتْ لَهُمَا

---

(١)الفروق اللغوية ص٣٢٠

(٢) عمدة الحفّاظ ١/١٦٩-١٧٠

(٣) المفردات ص ٣٥٨

سَوْآتُهُمَا){طه : ١٢١} والبدو خلاف الحضر٠٠٠أي : البادية وهيكلّ مكان يبدو ما يعنّ فيه أي يعرض))[١]

((والبدو خلاف الحضر ؛ لأنّها تبدو كلَّ ما يعرفها أي : تكشف وتظهر لخلوّها من ساتر يقال : بدا بدو بدْوًا وبَداءً، أي : ظهر ظهورًا بيّنًا كقوله تعالى : (وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّـهُ){البقرة : ٢٨٤}))[٢]

((وظهرَ الشيءُ أصله أن يحصل شيء على ظهر الأرض فلا يخفى ، وبطنَ إذا حصل في بطنان الأرض فيخفى ، ثمّ صار مستعملًا في كلّ بارز مُبصَر بالبصر والبصيرة قال تعالى : (أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ){غافر : ٢٦}))[٣] وقوله تعالى : (((حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّـهِ){التوبة : ٤٨} أي : بدا ما وعد الله به رسوله والمؤمنين من النصر وفشا دين الإسلام))[٤]

فبدا الشيءُ يعني ظهر ظهورًا بيّنًا واضحًا ، وظهر الشيء يعني : برز وفشا وشاع

وفرّق العسكري (بين البدو والظهور أنّ الظهور يكون بقصد وبغير قصد تقول : استتر فلان ثمّ ظهر ، ويدلّ هذا على قصده للظهور ، ويقال: ظهر أمر فلان وإن لم يقصد لذلك ، فأمّا قوله تعالى : (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ){الروم : ٤١} فمعنى ذلك الحدوث ، وكذلك قولك : ظهرتْ في وجهه حمرو أي : حدثت ، ولم يعن أنّها كانت فيه فظهرتْ ، والبدو ما يكون بغير

([١]) المفردات ص ٤٥

([٢]) عمدة الحفّاظ ١/١٦٩-١٧٠

([٣]) المفردات ٣٣٠

([٤]) عمدة الحفاظ ٣/١٧

قصد تقول : بدا البرق ، وبدا الصبح ، وبدت الشمس ، وبدا لي في الشيء ؛ لأنّك لم تقصد للبدو))[1]

١٤-**الأبكم والأخرس** : لم يرد لفظ الأخرس في القرآن الكريم ، ((قال الله عزّ وجلّ : (صُمٌّ بُكْمٌ){البقرة : ١٨} جمع أبكم ، وهو الذي وُلِد أخرس ، فكلّ أبكم أخرس وليس كلّ خرس أبكم ، قال تعالى : (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ){النحل : ٧٦}))[2]

١٥-**الإبل والبعير والجمل والعشار والعِير والناقة : الإبل** : ، قال الله تعالى : (أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ){الغاشية : ١٧}و((الإبل يقع على البعران الكثيرة ، ولا واحد له من لفظه))[3] ((والإبل : اسم جمع لا واحد له من لفظه ، مفرده جمل أو ناقة)) [4] وجاء في تفسير قوله تعالى : (أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ){الغاشية : ١٧}((وقال قتادة : ذكر الله ارتفاع سُرَر الجنّة ، وفرشها ، فقالوا : كيف نصعدها ، فنزلت هذه الآية ، قال العلماء : إنّما خصّ الإبل من غيرها ؛ لأنّ العرب لم يروا بهيمة قطّ أعظم منها ، ولم يشاهدوا الفيل إلّا الشاذّ منهم ؛ ولأنّها كانت أنفس أموالهم وأكثرها ، لا تفارقهم ولا يفارقونها فيلاحظون فيها العبر الدالّة على قدرة الخالق ، من إخراج لبنها من بين فرث ودم ومن عجيب خَلْقِها ، وهي على عظمها مذلّلة للحمل الثقيل ، وتنقاد للصبيّ الصغير، وليس في ذوات الأربع ما يحمل عليه وقره وهو بارك فيطيق النهوض به سواها))[5]

---

(١) الفروق اللغوية ص٣٢١

(٢)المفردات ص ٦٣ وينظر : عمدة الحفاظ ٢٢٢/١

(٣) المفردات ص ١٢

(٤) عمدة الحفّاظ ٤٩/١-٥٠

(٥) زاد المسير لابن الجوزي ٢٥٢/٨

-**البعيـر** : قـال تعـالى : (وَنَـزْدَادُ كَيْـلَ بَعِيرٍ){يوسـف : ٦٥} ((قـال تعالى : (وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ){يوسف : ٧٢} البعير معروف ويقع على الذكر والأنثى كالإنسان في وقوعه عليهما))[١] و((البعير من الإبل بمنزلة الإنسان من النّاس ، يقال للجمل بعير وللناقة بعير))[٢]

-**الجمل** : ((الجمل : الذكر من الإبل وجمعه جِمال وأجمال۰۰۰وهو أكبر حيوان عند العرب ؛ وذلك يضربون به المثل في العظم ، ومن ثمَّ قال تعالى : (وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ){الأعراف : ٤٠} فعلّق ذلك على ما هو مستحيل ؛ وذلك لأنّه علّقه على ولوج أعظم الأشياء في أضيق الأشياء ، والجمل في الآية هو هذا الحيوان المعروف۰۰۰وسمِّي الجمل جَملًا ؛ لأنّ فيه جَمالًا ، ولذلك أشار إليه بقوله تعالى : (وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ){النحل : ٦}))[٣]

-**العشـار** : ((وناقة عُشَرَاء مرّت من حملها عَشْرَة أشهر ، وجمعها عِشار ، قال تعالى : (وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ){التكوير : ٤}))[٤]((يكون ولدها في بطنها ، وهي أنفس أموال العرب ، وقيل : هي التي تضع لتمام سنة من يوم حملتْ ، وهي أحسن ما تكون ، فلا يعطّلونها إلّا لأمر شديد))[٥]

-**العِيـر** : ((العِير : القوم الذين معهم أحمال المِيرة ، وذلك اسم للرجال والجِمال الحاملة للميرة وإن كان يُستعمل في كلّ واحد من دون الآخر، قال تعالى : (أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ){يوسف : ٧٠}(وَالْعِيرَ الَّتِي

---

(١) المفردات ص ٥٩ وينظر : عمدة الحفّاظ ٢٠٨/١

(٢) الصحاح ٩٨

(٣) عمدة الحفّاظ ٣٤٠/١-٣٤١

(٤) المفردات ص ٣٤٨

(٥) عمدة الحفّاظ ٧٧/٣

أَقْبَلْنَا فِيهَا){يوسف : ٨٢} (وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ){يوسف : ٩٤}))[١]

-**الناقة** : ((قوله تعالى : (هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً){الأعراف : ٧٣} الناقة : الأنثى من الإبل ، وتُجمَع على نوق))[٢]

فالإبل تقابل الناس

والبعير يقابل الإنسان يُطلَق كلٌّ منهما على الذكر والإنثى

والجمل يقابل الرجل الذكر

والناقة تقابل المرأة الأنثى

١٦-**الإبلاس والقنوط واليأس** :جعل جمهور أهل اللغة والتفسير القنوط بمعنى اليأس ولم يشيروا إلى الفرق بينهما ، وقد ورد اليأس في القرآن الكريم في ثلاثة عشر موضعًا ، كقوله تعالى : (الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ){المائدة : ٣}وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ){الممتحنة : ١٣}

وورد القنوط في ستة مواضع ، كقوله تعالى : (قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ){الحجر : ٥٥-٥٦}

واليأس : يبدأ بحرف ليّن وينتهي بحرف السين وهو حرف مهموس ، والقنوط : يبدأ بالقاف وهو حرف مجهور شديد مفخّم ، وينتهي بالطاء وهو صوت شديد انفجاري ، فلفظ كلٍّ منهما ينبئ أنّ القنوط أشدّ من اليأس ، وقد فرّق العسكري بينهما على ((أنّ القنوط أشدّ مبالغة من اليأس))[٣]

---

(١) المفردات ٣٦٧ وينظر : عمدة الحفّاظ ١٤٥/٣

(٢) عمدة الحفّاظ ٢٣٤/٤

(٣) الفروق اللغوية ص ٢٧٥

وقد أشار الزمخشري إلى التفريق بينهما عند تفسيره لقوله تعالى : (لَّا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ){فصلت : ٤٩} ((والقنوط : أن يظهر عليه أثر اليأس فيتضاءل وينكسر)) [١] ((واليأس من صفة القلب ، هو أن يقطع رجاءه من الخير ، والقنوط : أن يظهر عليه آثار اليأس))[٢] ((في الوجه والأحوال الظاهرة))[٣]

فهذا هو الفرق بينهما انّ القنوط أشد مبالغة من اليأس ؛ لذلك استعمل القنوط فيما طال انتظاره ، واشتدّ اليأس منه كقوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا){الشورى : ٢٨} حبس المطر عن مكة سبع سنين ثمّ أنعم الله عليهم بنزول المطر [٤] أي : أنّه بعد أن طال انتظار الناس للغيث أُغيثوا ، وقد عُدّت هذه الآية وحادثة نزولها دليلًا على أنّ فرج الله لعباده يأتي بعد أن يشتدّ يأسهم حتى إذا بلغ درجة القنوط منه جاءهم فرج الله ، فعن قتادة أنّ رجلًا أتى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فقال : يا أمير المؤمنين اشتدّ القحط ، وأجدبت الأرض ، وقنط النّاس ، فقال : مُطِرْتم إذن إن شاء الله ، وتلا قوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا) [٥]

---

(١) الكشّاف ١٩٨/٤ وينظر : أنوار التنزيل تفسير البيضاوي ٧٥/٥

(٢) البحر المحيط لأبي حيّان الأندلسي ٦٦٧/٧ وينظر : مدارك التنزيل تفسير النسفي ص ١٠٧٩ وروح المعاني للآلوسي ٥/١٣

(٣) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي ١٥٥/١٧

(٤) تفسير مقاتل ١٧٨/٣

(٥) ينظر : جامع البيان للطبري ٣٨/٢٥-٣٩ والكشّاف للزمخشري ٢١٨/٤ والجامع لأحكام القرآن ٢٤/١٦ ومدارك التنزيل للنسفي ص ١٠٨٩

وكقوله تعالى : ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾{الزمر : ٥٣} فقد استعمل القنوط هنا للتعبير عن شدّة يأس من ظنّوا أنّ الله لن يغفر لهم ولو تابوا لشعورهم بأنّهم أسرفوا كثيرًا في ارتكاب المعاصي .

–**الإبلاس** : الإبلاس من أبلس بمعنى يئس قال الله تعالى : ﴿إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾{المؤمنون: ٧٧} ((قيل : إنّ إبليس سُمِّي بهذا الاسم ؛ لأنّه لمّا أويس من رحمة الله أبلسَ إبلاسًا ٠٠٠وقال أبو بكر : الإبلاس ، معناه في اللغة : القنوط وقطع الرجاء من رحمة الله٠٠٠وقال : أبلس الرجل : إذا انقطع فلم تكن له حجّة))[1] ((قالوا : ومن ذلك اشتق اسم إبليس ، كأنّه يئس من رحمة الله ، ومن هذا الباب : أبلس الرجلُ : سكتَ))[2] و((الإبلاس : الحزن المعترض من شدة البأس قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾{الروم : ١٢} وقال تعالى : ﴿أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾{الأنعام : ٤٤}٠٠٠ولمّا كان المُبلِس كثيرًا ما يلزم السكوت وينسى ما يعنيه قيل : أبلس إذا سكت وانقطعت حجّتُه))[3]

و((الإبلاس : الحزن المعترض من شدّة اليأس٠٠٠وقيل : الإبلاس : التحيّر واليأس٠٠٠وقال الأزهري : هو السكوت والتحسّر والندم على ما فُرط ، وفُسِّر قوله تعالى : ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ ساكتون متحسّرون نادمون على ما فَرطَ منهم ، وقيل : هو الانقطاع في الحجّة والسكوت عن الجواب ، وكلّ من انقطع عن حُجَّته وسكت فقد أبلسَ٠٠٠فإنّه لمّا كان

([1]) تهذيب اللغة للأزهري ٣٨٥/١

([2]) مقاييس اللغة ص ١١١

([3]) المفردات ص ٦٥

المبلس كثيرًا ما يسكت وينسى ما يعنيه لِما به من شُغل القلب بالحزن الفادح قيل : أبلس))[١]

فالقنوط أشدّ من اليأس والإبلاس أشدّ من اليأس والقنوط ؛ فقد ورد اليأس والقنوط في أمور الدنيا ، أمّا الإبلاس فقد كثر مجيئه في سياق عذاب الله الشديد وأخذهم بغتة وفي مشاهد القيامة وفي مشاهد أحوالهم في النار كقوله تعالى : (حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ){المؤمنون : ٧٧} أي : حتى إذا فتحنا باب الجوع الذي هو أشدّ من الأسر فإذا هم متحيرون آيسون من كلّ خير [٢]

وقوله تعالى : (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ){الروم : ٢} وقوله تعالى : (حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ){الأنعام : ٤٤} وقوله تعالى : (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ){الزخرف : ٧٤-٧٥}

١٧- **الإبــلاغ والأداء** : الإبـلاغ يسـتعمل فـي المعـاني والأداء فـي الأعيان قال تعالى : (لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ){الجنّ : ٢٨} وقال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا){النساء : ٥٨}

١٨-**الأبناء والأولاد والبنون والذرّيّة والعقب** : **الأبناء** : الأبن هوالشيء يتولّد عن الشيء كابن الإنسان وأصل بنائه بنو ، والنسبة إليه بنويوفي المثل : ابنك ابنُ بُوحك ، أي : ابن نفسكالذي ولدته[٣] وقيل : مشتق من البناء ؛ لأنّه بناء أبيه ، أي : أصل في وجوده ، وقيل لكل من كان يحصل من جهته تبنٍّ أو من تربيته هو ابنه ، ولملازم الشيء نحو : هو

---

(١) عمدة الحفّاظ ١/٢٢٧-٢٢٨

(٢) مدارك التنزيل ص ٧٦٢

(٣) ينظر : مقاييس اللغة ص ١١٢-١١٣

ابن السبيل[1] لذلك قرنهم القرآن الكريم بمال الرجل وجعلهما القرآن من زينة الحياة الدنيا التي يتباهى ويتقوّى بهما الإنسان كقوله تعالى : (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا){الكهف : ٤٦}وقوله تعالى : (يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ){الشعراء : ٨٨–٨٩}فالأبناء ما كانوا من الذكور لذلك ذكرهم الله بهذا المعنى في قوله تعالى : (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ){البقرة : ٤٩}وقوله تعالى : (قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ){غافر : ٢٥}

–**الذرّيّة** : الذَرُّ : صغار النمل ، والذُرّيّة فُعْلِيّة من ذرَرَتُ ؛ لأنّ الله ذرّهم في الأرض فنشرهم فيها[2] فالذرّيَة ما تناسل من الرجل ذكورًا وإناثًا وانتشروا في الأرض لكثرتهم وقد ذكرهم الله بهذا المعنى كقوله تعالى : (وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ){البقرة : ١٢٤}وقوله تعالى : (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ){البقرة : ١٢٨}

–**الولد** : الوَلَدُ : اسم يجمع الواحد والكثير ويُطلَق على الذكر الأنثى[3]

–**أولاد الرجل وذريّته** : الأولاد يعني الذكور والإناث وكذلك الذريّة ، والمراد بولد الرجل أبناؤه وبناته وهم في حياته يراهم ويرونه ، بخلاف الذريّة

---

(1) ينظر : عمدة الحفّاظ ٢٣٤/١

(2) ينظر : العين ص ٣١٦ وعمدة الحفّاظ ٤١/٢

(3) ينظر : العين ص ١٠٦٦ والمفردات للراغب ص ٥٥٦ وعمدة الحفّاظ ٣٣٩/٤

؛ لأنّ المراد من الذريّة نسل الرجل من أولاده واولاد أولاده وتمتدّ دلالتها إلى قيام الساعة ، لذلك استعمل الولد في قوله تعالى : (إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا){الكهف : ٣٩} واستعمل الذريّة في قوله تعالى : (أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ){مريم : ٥٨}

وفرّق العسكري ((بين العَقِب والولد أنّ عَقب الرجل ولده الذكور والإناث وولد بنيه من الذكور والإناث ، إلّا أنّهم لا يُسمّون عقبًا إلّا بعد وفاته ، فهم على كلّ ولده))[١]قال تعالى : (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ){الزخرف : ٢٨}(((كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ) في ذريته فلا يزال فيهم من يوحّد الله ويدعو إلى توحيده))[٢]

-**الأبناء والأولاد** : تبيّن أنّ المراد من الأبناء الذكور فقط ، والمراد من الأولاد الذكور والإناث ، لذلك استعمل الأبناء في قوله تعالى : (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ){البقرة : ٤٩}أي : يقتلون أبناءكم ويتركون بناتكم أحياء للخدمة [٣]واستعمل الأولاد في قوله تعالى : (وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ۚ){البقرة : ٢٣٣}استعمل الأولاد ؛ لأنّ المراد الذكور والإناث

-**الأبنــاء والبنــون** : استعمل القرآن الكريم الأبناء بصيغة جمع التكسير والبنون والبنين بصيغة جمع المذكّر السالم ، لم أهتد في البدء إلى سرّ ذلك لكن بعد مقابلة شواهد بعضهما ببعض تبيّن لي أنّه استعمل الأبناء

([١]) الفروق اللغوية ص ٣١٧

([٢]) مدارك التنزيل ص ١٠٩٩

([٣]) ينظر : مدارك التنزيل ص ٥١

فـي أبنـاء الرجـل وأبنـاء ابنائـه وأبنـاء بناتـه ، والـدليل علـى ذلـك قولـه تعـالى : (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَـاءَنَا وَنِسَـاءَكُمْ وَأَنفُسَـنَا وَأَنفُسَـكُمْ ثُـمَّ نَبْتَهِـلْ فَنَجْعَـل لَّعْنَـتَ اللَّـهِ عَلَـى الْكَـاذِبِينَ){آل عمـران : ٦١}((روي أنّـه لمّـا دعـاهم للمباهلـة قـالوا حتـى ننظر ٠٠٠فأتوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وقد غدا محتضنًا للحسين آخذًا بيد الحسن وفاطمة رضـي الله عنها تمشـي خلفه وعلـيٌّ خلفها ، وهو يقول : إذا أنا دعوتُ فأمِّنوا))[١] فقد سمّى ابن بنته ابنًا ، وعليه يكون المراد من الأبنـاء فـي قولـه تعـالى : (الَّذِينَ آتَيْنَـاهُمُ الْكِتَـابَ يَعْرِفُونَـهُ كَمَا يَعْرِفُـونَ أَبْنَـاءَهُمْ){البقرة : ١٤٦} وقولـه تعـالى : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَـارَىٰ نَحْنُ أَبْنَـاءُ اللَّـهِ وَأَحِبَّاؤُهُ){المائدة : ١٨}أبنـاءهم وأبنـاء أبنـائهم ، وأبنـاء بنـاتهم ، فهذا هو المراد من جمع التكسير ، أمّا جمع السالم فالمراد منهم الأبناء وأبناء الأبناء من دون أبنـاء البنـات ؛ ولهذا نقـول فـي التعبير عن العشيرة والقبيلـة : بنـو فلان ، ولا نقول : أبنـاء فـلان ، لأنّ المـراد منهمـا رجوعهم فـي العصـبة إلـى رجل واحد ، أي : أن يكون أبوهم واحدًا كقولنا : بنو هاشم وبنو تغلب وبنو تميم ، ولا يقـال فـي هذا البـاب : أبنـاء هاشم ، وبهذا المعنـى استعمل السـالم فـي القـرآن الكـريم كقولـه تعـالى : (يَـا بَنِـي إِسْـرَائِيلَ){طه : ٨٠}والمـراد بنـو إسرائيل الـذين مـن صـلبه وأصـلاب أبنائـه وأبنـاء أبنائـه وكذلك قولـه تعـالى : (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ){يس : ٦٠} لأنّ البشر جميعهم هم كعشيرة واحدة فأبناء آدم وأبناء أبنائهم ، وأبناء بنـاتهم كلهم يرجعـون إلـى صـلب رجـل واحـد هـو آدم عليـه السـلام ، وكقولـه تعـالى : (وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ){إبراهيم : ٣٥}((وَبَنِـيَّ) أراد بنيه

([١]) مدارك التنزيل ص ١٦٤

من صلبه))[1] وقوله تعالى : (وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ){البقرة : ١٣٢} وقوله تعالى : (وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ۹){يوسف : ٦٧} قال : يا بنيّ ولم يقل : يا أبنائي ، ولأنّ البنين هم عصبة الرجل قرنهم بماله قال تعالى : (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا){الكهف : ٤٦} وقوله تعالى : (يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ){الشعراء : ٨٨-٨٩}

وثمّة لطيفة لغوية في هذا الباب أنّه حين يكون المراد أبناء الأبناء وأبناء البنات استعمل جمع التكسير لانكسار هذا النسب بانضمام ما ليس من عصبته إليه ، واستعمل جمع السلامة لسلامته من ذلك

١٩-أتى وجاء : أقرب معاني الألفاظ المرادفة إلى الإتيان هو المجيء ، قال محقق الفروق اللغوية للعسكري : ((نلاحظ في فروق العسكري شيئًا من التعسف والتكلف ومحاولته التماس الفروق حتى وإن كانت ضعيفة أو ليست بثبت ، ويبدو هذا الأمر واضحًا في طائفة من الألفاظ التي لم يستطع التفرقة بينها ... ويفرق العسكري بين أتى وجاء تفريقًا غير لغوي ، نحوي ، ثم يعترف باستعمال أحدهما موضع الآخر ، وفي اللسان ، المجيء : الإتيان ، وفي مكان آخر منه ، الإتيان : المجيء ، وفي إصلاح المنطق ، وقد أتيته : إذا جئته)) [2]

ومن المعلوم أنَّ معاجم اللغة تعرِّف اللفظ بأقرب المعاني إليه ، وبما أنَّ القرآن الكريم قد استعمل اللفظين معًا فلا بدَّ من أنَّ يكون بينهما فرق ما في الدلالة ؛ لأنَّ اللفظ القرآني لا يطابق معناه إلّا اللفظ نفسه ، بخلاف كلام

---

(١) مدارك التنزيل ص ٥٧١

(٢) الفروق اللغوية ص ٢٣ كلام المحقق في مقدمته للكتاب .

الناس ؛ فالناس غالبًا ما يرومون من استعمال الألفاظ معانيها العامة من دون النظر إلى معانيها الخاصة ؛ لذلك شاع عندهم كُتَّابًا وشعراء وضعهم الألفاظ بعضها موضع بعض ؛ لتقارب دلالاتها ، وهذا إن كان موجودًا في كتب البشر ، فإنَّه لا وجود له البتة في كتاب الله ، وقدفرَّق الراغب بينهما أنَّ ((الإتيان مجيء بسهولة ، ومنه قيل للسيل المار على وجهه أتيٌّ))[1] وأنَّ ((المجيء كالإتيان ، لكن المجيء أعم ؛ لأنَّ الإتيان مجيء بسهولة))[2]أي : أنّ في المجيء صعوبة ومشقّة ، وأنّ في الإتيان يسر وسهولهواستنادًا إلى ذلك فرّق بينهما الزركشي أنّ (جاء) تستعمل في الأعيان لأنّها أشياء محسوسة فيها ثقل ، و(أتى) في المعاني والأزمان فهي أشياء غير محسوسة ولا ثقل ولا وزن فيها ، فقال ما نصّه: ((فذكر الله (جاء) في موضع الأعيان في الماضي ، و(أتى) في موضع المعاني والأزمان وانظر : قوله تعالى : (وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ){يوسف : ٧٢} لأنّ الصواع عين ، وقوله تعالى : (وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ۚ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ){البقرة : ٨٩} لأنّه عين ، وقال تعالى : (وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ){الفجر : ٢٣} لأنّها عين ، وأمّا قوله تعالى : (فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ){النحل : ٦١} فلأنّ الأجل كالمشاهَد ؛ ولهذا يقال : حضرته الوفاة ، وحضره الموت ، وقال تعالى : (قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ){الحجر ٦٣-٦٤}(قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ){الحجر : ٦٣} أي : العذاب لأنّه مرئيٌّ يشاهدونه ، وقال : (وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) حيث لم يكن الحقّ

---

(1) المفردات ص ١٢.

(2) المفردات ص ١٠٩ .

مرئيًّا ، فإن قيل : فقد قال تعالى : (أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا){يونس : ٢٤} وقال تعالى : (وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ){هود : ٥٨} فجعل الأمر آتيًا وجائيًا ، قلنا : هذا يؤيّد ما ذكرناه ؛ فإنّه لمّا قال (جاء) وهم ممن يرى الأشياء ، قال (جاء) أي : عيانًا ، ولمّا كان الزرع لا يُبصَر ولا يُرى قال (أتاها) ويؤيد هذا أنّ (جاء) يُعدَّى بالهمزة ويقال : (فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ){مريم : ٢٣} ولم يرد أتاء بمعنى (ائت) من الإتيان ، لأنّ المعنى لا استقلال له حتى يأتي بنفسه)) [1]

يضاف إلى ما تقدم ذكره أنَّ دلالة (جاء) على معنى المجيء أشد وأأصل مما هو في (أتى) وهذا ما أشار إليه الراغب بقوله : ((والإتيان قد يقال باعتبار القصد ، وإن لم يكن منه الحصول ، والمجيء يقال اعتبارًا بالحصول)) [2] والدليل على ذلك أنَّ (أتى) إذا دخلت عليها همزة التعدية تتغير دلالتها إلى معنى (أعطى) بينما تبقى (جاء) على معناها كقوله تعالى : (فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ){مريم : ٢٣} وتاء الفعل (أتى) صوت مهموس ، وينتهي بألف ليس هناك ما يلزم مدَّها ، بل تحذف تلفظًا عند الوصل ، وجيم الفعل (جاء) صوت مجهور، ومدُّ ألفه مقفَل بالهمزة ، فلفظ الأول أخف ، ولفظ الثاني أقوى .

ومن الشواهد القرآنية التي تبدو فيها (أتى) و(جاء) بمعنى واحد ، قوله تعالى : (وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى {٩} إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لاهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى {١٠} فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي يَا مُوسَى {١١} إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ

---

(1) البرهان ص ٧٥٢-٧٥٣ والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ص ٣٠١

(2) المفردات ص ١٠٩ .

طُوًى){طه : ١١} وقوله تعالى : (فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لاهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ {٢٩} فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي مِن شَاطِئِ الْوَادِي الأيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ){القصص : ٢٩-٣٠} وقوله تعالى : (إِذْ قَالَ مُوسَى لاهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ {٧} فَلَمَّا جَاءهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ){النمل : ٨}

لخفة (أتى) وانتهائها بحركة مفتوحة ناسب استعمالها من دون جاء في الإتيان المفتوح في سورة طه والقصص ، أو للدلالة على أنَّ فاعله لم يتمكَّن من الوصول إلى الغاية التي أراد أن يأتي إليها ، أو لم يستقر فيها بعد ، أو لأنَّه لم يزل في حال إتيان إلى الموضع المراد ، الذي يشبه حال المرور عليه ، جاء في تفسير الآية التي في سورة طه : ((وقوله : (فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ) روى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم : كانت نعلا موسى من جلد حمار ميت ، وهذا قول أكثر المفسرين ، قيل لموسى : لا تدخل الوادي وهما عليك ... ولكن أُمِر بخلعهما ليباشر تراب الأرض المقدسة فتناله ببركتها))[1] ((أي : طأ الأرض حافيًا كما تدخل الكعبة حافيًا))[2] وهذا يعني أنَّ موسى عليه السلام حين ناداه الله لم يكن قد وصل بعد موضع النار ، وإنَّما ((اقترب منها)) [3] وكذلك كانت مناداة الله له في سورة القصص .

---

(1) الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ٢٠٢/٣ وزاد المسير ٢٠٣/٥.

(2) الجامع لأحكام القرآن ١٣١/١١.

(3) تفسير ابن كثير ٢٠٥/٥.

وبخلاف (أتى) (جاء) فلقوّتها ولكونها مقفلة بالهمزة استعملت من دون أتى في سورة النمل ، للدلالة على وصول الغاية التي أراد موسى عليه السلام أن يجيء إليها ، ذلك ببلوغ موضع النار ، حتى ناداه الله وهو في وسطها ، (فَلَمَّا جَاءهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا) جاء في التفسير : فلما أتاها ورأى منظرًا هائلًا عظيمًا حيث انتهى إليها ، والنار تضطرم في شجرة خضراء ، ولا تزداد النار إلّا توقدًا ، ولا تزداد الشجرة إلّا خضرة ونضرة ، ثم رفع رأسه فإذا نورها متصل بعنان السماء ، قال ابن عباس : لم تكن نارًا ، وإنَّما كانت نورًا يتوهج ، وقوله تعالى (مَن فِي النَّارِ) أي : موسى عليه السلام ، وقوله تعالى : (وَمَنْ حَوْلَهَا) أي : الملائكة الذين هم حولها ، والمعنى : بورك فيك يا موسى وأنت في وسط هذه النار، وفي الملائكة الذين هم حولها [١]

فبين (جاء) و(أتى) فروق عامة يمكن أخذها في الحسبان هي : أنَّ الأصل في (جاء) الحصول والقصد وما قرب وأن يكون مصاحبًا لما يجيء به ، والأصل في (أتى) خلاف ذلك ، ومن خلال هذه الفروق العامة يمكن أن ندرس وأن نفرِّق بين دلالة كلٍّ منهما في القرآن الكريم ومن الله الهدى والسداد .

١-الحصول وعدم الحصول : من الأمور التي لم ينوّه بها أهل اللغة والتفسير، وهو يصرحون بوحدة دلالة (جاء) و(أتى) أنَّ القرآن الكريم استعمل من الإتيان الفعل الماضي والمضارع والأمر واسم الفاعل ، ولم يستعمل من المجيء إلّا الفعل الماضي مما يدلّ على أنَّ الأصل في المراد من المجيء حصوله ، ومن الإتيان عدم حصوله ، لذلك لم يستعمل الأول إلّا بالصيغة الدالة على الزمن الماضي التي تفيد في أن الفعل قد حصل ووقع ، في حين

---

(١) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ١٢٢/٧ وتفسير ابن كثير ٧٢/٦.

استعمل الثاني بالصيغ الثلاث الفعل الماضي والمضارع الدال على الحال والاستقبال والأمر الدال على الاستقبال ، وهذا متأتٍّ من أن (جاء) يكون في الأصل فيما حصل ، و(أتى) فيما لم يحصل ؛ لذلك ورد الفعل الماضي من المجيء في القرآن الكريم في ٢٧٧ موضعًا ، وورد الفعل الماضي من الإتيان في ٤٧ موضعًا ، فقد بان السرّ في هذه القضية ولا حاجة بعد ذلك إلى أن نفصّل الفرق الدلالي بينهما في صيغتى المضارع والأمر ، لذلك سنقصر أكثر سعينا في التعرف إلى الفرق الدلالي بينهما في صيغة الفعل الماضي ، كما أنَّ المجيء لم يرد في القرآن الكريم إلّا بهذه الصيغة .

فقد أُسنِد (جاء) إلى تاء المخاطب الواقع فاعلًا في مواضع كثيرة بلغتْ ستة وعشرين موضعًا كانت في جميع المواضع فيما حصل كقوله تعالى : (قَالُواْ الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ){البقرة : ٧١} وقوله تعالى : (قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا){الأعراف : ٧٠} وقوله تعالى : (قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا){يونس : ٧٨} وقوله تعالى : (قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ){يونس : ٨٢} وقوله تعالى (ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى){طه : ٤٠} وقوله تعالى : (قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ){الشعراء : ٣٠} ولم ترد في هذه المواضع فيما لم يحصل إلّا في موضعين في قوله تعالى : (وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلا مُبْطِلُونَ){الروم : ٥٨} وقوله تعالى : (قَالُواْ يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ){هود : ٥٣} واستعمل (جاء) لأنَّه عدّه مما يمكن حصوله ، لأنَّ المراد المجيء بآية من الآيات أو بينة من البينات ، بينما لم يُسنَد (أتى) إلى ضمير المخاطب الفاعل إلّا في موضع واحد ، هو قوله تعالى : (وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ){البقرة : ١٤٥} وقد استعمل (أتى) لأنَّه في حكم غير الحاصل بعد ؛ ولأنَّ المراد معنى الإعمام ؛ والاستغراق

فحمله على أنَّه لا يمكن حصوله ؛ ولأنَّ الإتيان بكل آية يتطلب الإتيان بها مما بعد مصدره وقرب .

٢-القوّة والخفّة : الفرق العام بين الإتيان والمجيء أنَّه إذا أريد التعبير عن سهولة حصول الفعل الذي قد لا يحتاج إلى جهد يُذكر استعمل (أتى) وإلّا استعمل (جاء) فيما ثَقُلَ وعَظُمَ شأنه ، والصعوبة والقوّة يكون في حصول الفعل والسهولة والخفّة تكون في عدم حصوله ؛ لذلك استعمل (جاء) في أهوال يوم القيامة كقوله تعالى : (فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ){عبس : ٣٣} وقوله تعالى : (فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ){النازعات : ٣٤}وقوله تعالى : (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا){الفجر : ٢٢}لكن استعمل (أتى) في قوله تعالى : (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ){الغاشية : ١} لأنّه في معرض الاستفهام عنها ، ولو استعمل الصاخة والطامّة في مثل هذا السياق لقال والله أعلم : هل أتاك حديث الصاخّة ، وهل أتاك حديث الطامّة ، ولو استعمل الغاشية في مثل سياقهما لقال والله أعلم : فإذا جاءت الغاشية ،أي : أنّه استعمل (أتى) لأنّه أسنده إلى الحديث ، يعني إلى الكلام ، وليس من يسمع عن أيّام القيامة كمن يشاهدها ويحضرها ويراها

وأمر الله مرة ذكر مع (جاء) ومرة مع (أتى) فاستعمل (أتى) في قوله تعالى : (أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ){النحل : ١} وقوله تعالى : (أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ) هو تعبير عن المستقبل بصيغة الماضي فالأمر لم يقع بعد ، كما أنّه كان ردًّا على المشركين الذين كانوا يستهينون بقيام الساعة ويستبعدونها ويقولون باستهزاء إئتنا بما تعدنا [1]فبيّن الله لهم أنّ أمره وعذابه شيء يسير عليه وسيأتي فلا تستعجلونه ؛ لذلك استعمل (أتى) وقال : (أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ) لكنّه عندما يحلّ العذاب وينزل أمر العقاب يكون الأمر عندئذ أشدّ وأعظم ؛

---

(1) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي ٣٢٤/٤

لذلك استعمل (جاء) وقال :(فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ){غافر : ٧٨} فالأمر قبل وقعوعه أمر فإذا وقع عظُمّ خطبه ؛ وكذلك في قوله تعالى : (وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ){يوسف : ١٦}فأمر مجيئهم تضمنّ ارتكابهم جرمًا كبيرًا وهو إلقاء أخيهم يوسف في غيابة الجبّ وادعاؤهم بأنّ الذئب أكله

ولذلك استعمل (جاء) في قوله تعالى : (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ){النصر : ١} لأمرين ، الأول : أنّ نصر الله قد وقع وتحقق ، والثاني : أنّ هذا النصر قد جاء بعد ان اقتحم رسول الله صلى الله عليه وسلّم وأصحابه صعوبات جمّة من تهجير وقتل وقتال وتقديم الضحايا في النفس والمال

وكذلك استعمل جاء من دون أتى في قوله تعالى : (فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا){الكهف : ٧١} وقوله تعالى : (فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا){الكهف : ٧٤} وقوله تعالى : (لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا){مريم : ٢٧} لأنّ ما جاءت به خطب جلل ، فقد أنجبت عيسى من غير أبولأنّهم اتهموها بأمر ثقيل وبما عَظُمَ قُبْحُ فعله حسب ظنهم ، واستعمل (أتى) من دون (جاء) فيما يناسب خفته وانتهاءه بحركة مفتوحة كاستعماله فيما يستخفُّ من شأنه كقوله تعالى : (وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى){طه : ٦٩} في حين استعمل (جاء) عندما أراد تعظيم هذا السحر في قوله تعالى : (قَالَ أَلْقُوْاْ فَلَمَّا أَلْقَوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ){الأعراف : ١١٦} واستعمل (جاء) في الموت لعظمة أمره وثقله على كلّ إنسان كقوله تعالى : (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ){ق : ١٩} وقوله تعالى : (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا

يُفَرِّطُونَ){الأنعام : ٦١}وقوله تعالى : (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ){المؤمنون : ٩٩-١٠٠} وهذا هو حال الموت لكنَّه استعمل (أتى) في قوله تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّـهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ){النافقون : ٩-١٠} فاستعمل (أتى) ليخففّ شأنه للمومنين ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنّ قوله : (أَن يَأْتِيَ) يفيد تحذيرهم من موت لم يقع لهم بعد وعبّر عنه بصيغة المضارع وقد ذكّرنا أنّ المجيء لم يرد إلّا بصيغة الماضي

واستعمل (جاء) في قوله تعالى : (حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا){يوسف : ١١٠} واستعمل (أتى) في قوله تعالى : (وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا){الأنعام : ٣٤}تكذيب الأنبياء من قبل قومهم أمر معتاد ، فهذا هو حال كلّ الأنبياء ، أمّا استيئاسهم من النصر فإنّه لم يكن قد حلّ بهم لو لم يكن قد زلزلوا زلزالًا شديدًا ؛ لذلك استعمل (جاء) في الموضع الأول و(أتى) في الموضع الثاني

ولأنَّ (أتى) أخف من (جاء) حتى عُرِّف الإتيان بأنَّه مجيء بسهوله وشُبِّه بالمرور السريع ، استعمله من دون (جاء) في قوله تعالى : (فَأَتَى اللّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ){النحل : ٢٦} فاستعمل (أتى) للتعبير عن سهولة الفعل وسرعته وسرعة مروره مع عِظَم ما حصل في هذا الفعل وهو قلع بنيان الطواغيت وما مكروا من قواعدها ، ومن ذلك قوله تعالى : (فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ){الحشر: ٢} وقوله تعالى : (أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا){إبراهيم : ١٧} ولفظ (جاء) أقوى لذلك استعمله من دون

(أتى) في قوله تعالى : (وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا){هود : ٥٨} للإشارة إلى عظم شأن هذا الأمر .

وقال الله تعالى : (قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى {٥٧} فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنتَ مَكَانًا سُوًى {٥٨} قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى {٥٩} فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى){طه : ٥٧-٦٠} قال : (أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ) ولم يقل : أتيتنا ؛ لأنَّ المراد مصاحبة موسى عليه السلام للمعجزة التي جاء بها التي عبّروا عنها بالسحر ، وأنَّه جاءهم بها عن قرب ، ولمَّا تحدى كل منهما الآخر راح فرعون يجول ويصول ويغدو ويروح ليجمع كيده وسحرته ويحثهم على المنازلة لليوم الموعود يوم الزينة ، لذلك استعمل (ثُمَّ أَتَى) من دون جاء لخفتها وانتهائها بحركة مفتوحة لتلائم السياق الذي شُحِن بالخفة والسرعة والجولان ، ولذلك استعمل (أتى) من دون (جاء) في قوله تعالى : (وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ){النمل : ٨٧} وقوله تعالى : (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ){فصلت : ١١} لأنَّه أريد صدور هذا الفعل منهما وعن بعد بخفّة وسرعة .

٣-مما لاحظته في استعمال كلٍّ منهما في القرآن الكريم أنَّ معنى الحضور والمصاحبة في (جاء) أوضح منه في (أتى) لذلك استعمل (جاء) في قوله تعالى : (لَوْلا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء){النور : ١٣} وقوله تعالى : (وَأَمَّا مَن جَاءكَ يَسْعَى {٨} وَهُوَ يَخْشَى {٩} فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى){عبس : ٨-١٠} وقوله تعالى : (حَتّى إذا جاءنا قال يا ليتَ بَيْني وبينَك بُعْدَ المَشْرِقَينِ فبِئْسَ القرينُ){الزخرف : ٣٨} واستعمل (أتى) في قوله تعالى : (يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ {٨٨} إِلّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ){الشعراء : ٨٩} لأنَّ المراد سلامة القلب فهو المقصود الذي يمثل سلامة الباطن والعقيدة من دون النظر

إلى الفاعل الذي يراد منه الظاهر وعمل الجوارح ، فسلامة القلب هنا الذي يعني باطن العبد كافية ، لتتسع رحمة الله ، فهذه رحمة عامّة لشمولها كلّ أهل التوحيد ، ويكون هذا الأمر أقرب إلى الله وأخصّ من هذا العموم باستعمال (جاء) في قوله تعالى : (مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ وَجَاء بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ){ق : ٣١-٣٣} يضاف إلى ذلك أنّ القلب المنيب يعني القلب الراجع إلى الله بالتوبة والتضرّع إليه كلّما أصابته نائبة ، وأسمى وأخصّ من هذا الخصوص قوله تعالى : (وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإبْرَاهِيمَ {٨٣} إِذْ جَاء رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ){الصافات : ٨٣-٨٤} لأنَّه صرَّح بالمجيء إليه وهو (رَبَّهُ)

٤-استعمال (جاء) فيما قرُبَ وخصّ ، و(أتى) فيما بَعُدَ وعمَّ : فقد كثر استعمال (أتى) لانتهائه بحركة مفتوحة من دون (جاء) فيما بعد ولم يتحدد مبدؤه كقوله تعالى : (هَلْ أَتَى عَلَى الأنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا){الإنسان : ١} وقوله تعالى : (وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى){طه : ٩} وقوله تعالى : (وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ){ص : ٢١} وقوله تعالى : (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ){الذاريات : ٢٤} وقوله تعالى : (هَلْ أتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى){النازعات : ١٥} وقوله تعالى : (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ){البروج : ١٧} وقوله تعالى : (فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا){الحشر : ٢} ولم يستعمل (جاء) بعد (هل) في نحو ما تقدم ، وكذلك قوله تعالى : (وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ){التوبة : ٩٢} استعمل (أتى) للتعبير عن أنَّهم أتوا من أماكن بعيدة وغير محددة ، وقوله تعالى : (فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ){النساء : ٢٥} فالمعني به الفاحشة ، وليس مصدرها ومكانها ومعرفة الزاني بها ، ومن ذلك قوله تعالى : (وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ){الأنبياء : ٤٧}

في حين كثر استعمال (جاء) فيما قرُبَ وتحدّد مبدؤه كقوله تعالى : (أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّن الْغَآئِطِ){النساء : ٤٣} وكثر استعماله فيما خصّ وقرب كاستعماله في كل رسول أرسِل إلى قومه فهو منهم وإليهم وقريب منهم كقوله تعالى : (أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ){البقرة : ٨٧} وقوله تعالى : (وَلَقَدْ جَاءكُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ){البقرة : ٩٢} وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا){النساء : ١٧٠} وقوله تعالى : (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ){المائدة : ١٥} ولم يستعمل (أتى) فيما يتعلق برسل الأقوام إلّا فيما بَعُدَ وعمَّ كقوله تعالى : (كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ){الذاريات : ٥٢} وقوله تعالى : (لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ){القصص : ٤٦} وقوله تعالى : (لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ){السجدة : ٣} ولم يستعمل (جاء) فيما بعد إلّا فيما عُلِمَ مبدؤه واستعملت (مِن) لتحديده ، كقوله تعالى : (وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلا يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ){القصص : ٢٠} وقوله تعالى : (وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ){النمل : ٢٢}

ولكون الفعل (أتى) أخف ولانتهائه بحركة مفتوحة استعملِ من دون (جاء) في المعاني العامة ، كإسناده من دونه إلى العذاب عندما يراد منه معناه العام كقوله تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتُكُم إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ){الأنعام ٤٠} وقوله تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ){الأنعام :

٤٧} وقوله تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ){يونس : ٥٠} ولم يسند العذاب إلى (جاء) إلّا في موضع واحد وبعد أن خُصِّص بـ(ال) العهدية وهو قوله تعالى : (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ){العنكبوت : ٥٣} وكإسناده من دونه إلى اليقين في قوله تعالى : (حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ){المدثر : ٤٧} واليقين معنى عام يوصف به الموت وأجل الإنسان وكل ما هو حق منتظَر ، أي : أنَّ الموت والأجل أخصّ منه ، لذلك أُسندا إلى (جاء) من دون (أتى) في قوله تعالى : (فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ){النحل : ٦١} وقوله تعالى : (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ){الأعراف : ٣٤} وقوله تعالى : (لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ){يونس : ٤٩} وقوله تعالى : (فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا){فاطر : ٤٥} وقوله تعالى : (حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ){الأنعام : ٦١} وقوله تعالى : (حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ){المؤمنون : ٩٩} وقوله تعالى : (وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ){ق : ١٩} ولم يسنَد الموت إلى (أتى) بصيغة الفعل الماضي ، وإنَّما أسنِد إليه بصيغة الفعل المضارع لتفيد استمراره وتكراره كقوله تعالى : (يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ){إبراهيم : ١٧}

ومن ذلك قوله تعالى : (فَلَمَّا جَاء آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ {٦٠} قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ {٦٢} قَالُواْ بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ {٦٣} وَأَتَيْنَاكَ بَالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ){الحجر : ٦٠-٦٤} استعمل جاء في قوله تعالى : (فَلَمَّا جَاء آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ) وفي قوله تعالى : (قَالُواْ بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ) لأنَّه أريد من المجي حضور فاعله ومصاحبته له ، ولأنّ المجيء كان في

قضية خاصة ، تتعلق بآل لوط ، وبما كانوا فيه يمترون ، واستعمل أتى في قوله تعالى : (وَأَتَيْنَاكَ بَالْحَقِّ) لأنَّ الحق من الأمور العامة ، وكقوله تعالى : (بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ){المؤمنون : ٩٠}

٥–القصد وغير القصد : ولأنَّ (أتى) أخفّ كثر استعمالها من دون (جاء) فيما يشبه معنى المرور على الشيء كقوله تعالى : (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَـهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ){الأعراف : ١٣٨} وقوله تعالى : (حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ)النمل : ١٨} وقوله تعالى : (حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا){الكهف : ٧٧} وقوله تعالى : (وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لا يَرْجُونَ نُشُورًا){الفرقان : ٤٠} وقوله تعالى : (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي يَا مُوسَى){طه : ١١} وقوله تعالى : (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي مِن شَاطِئِ الْوَادِي الأيْمَنِ){القصص : ٣٠} وقوله تعالى : (مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ){الذاريات : ٤٢}

ولأنَّ (جاء) أقوى من (أتى) وأأصل ؛ ولأنَ الأجر الذي يكسبه العبد يكون على عمل يقصده قصدًا ، ويبذل فيه جهدًا ما ، استعمله من دون (أتى) في قوله تعالى : (مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ {٨٩} وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ){النمل : ٩٠} وقوله تعالى : (مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ){القصص : ٨٤} ولم يرد : من أتى بالحسنة .

وقد أجمع النحاة على أنَّ (إذا) الشرطية تستعمل فيما تحقق وقوعه أو كثر ، و(إن) الشرطية فيما احتمل أو قل ؛ وندر وقوع إحداهما موقع الأخرى ، ولا يكون ذلك إلّا لنكتة بلاغية[1] ولأنَّ لفظ (جاء) أأصل وأدلُّ من (أتى)على معنى المجيء وحصول معناه ووقوعه ، فقد كثر وقوعه من دون (أتى) بعد (إذا) كقوله تعالى : (حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَا حَسْرَتَنَا){الأنعام : ٣١} وقوله : (حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ){الأنعام : ٦١} وقوله تعالى : (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ){الأعراف : ٣٤} وقوله تعالى : (حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُواْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ){الأعراف : ٣٧} وقوله تعالى : (قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا){الكهف : ٩٨} وقوله تعالى : (فَإِذَا جَاءتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى){النازعات : ٣٤} وقوله تعالى : (فَإِذَا جَاءتِ الصَّاخَّةُ){عبس : ٣٣} فقد وقعت (جاء) في القرآن الكريم بعد (إذا) الشرطية في حدود ٤٥ موضعًا ، بينما لم ترد بعد (إن) الشرطية إلّا في ثلاثة مواضع منها قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ){الحجرات : ٦} واستعمل (جاء) لدلالتها على الحضور والمصاحبة ، والمعنى إن جاءكم فاسق مصاحبًا النبأ الذي جاء به ، أي : جاء هو والنبأ ، ولو قال : إن أتاكم ، لاحتمل أو لاقتضى أنَّه أشاع النبأ من بعيد من دون أن يحضره ويصاحبه .

ولأنَّ (أتى) على شاكلة (إن) الشرطية فقد استعملت بعدها من دون (جاء) في قوله تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتُكُم إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ

(1) ينظر : كتابي : دراسات في النحو القرآني ، (إذا) في القرآن الكريم/دراسة نحوية .

أَغَيْرَ اللّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ){الأنعام ٤٠} وقوله تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ){الأنعام : ٤٧} وقوله تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ){يونس : ٥٠} وقوله تعالى : (فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ){النساء : ٢٥} ولم تُستعمل (أتى) بعد (إذا) إلّا في أربعة مواضع .

ولأنَّ لفظ (جاء) أأصل وأدلُّ من (أتى)على معنى المجيء وحصول معناه ووقوعه ؛ ولأنّ (إذ) الظرفية تستعمل ظرفًا لما مضى ، فهي ظرف لما قد وقع وحصل ، دخلت (إذ) على (جاء) من دون (أتى) في مواضع كثيرة كقوله تعالى : (فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ){الأنعام : ٤٣} وقوله تعالى : (فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا إِلاَّ أَن قَالُواْ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ){الأعراف : ٥} وقوله تعالى : (وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَن قَالُواْ أَبَعَثَ اللّهُ بَشَرًا رَّسُولًا){الإسراء : ٩٤} وقوله تعالى : (فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَونُ إِنِّي لأظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا){الإسراء : ١٠١} وقوله تعالى : (لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي){الفرقان : ٢٩} وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا){الأحزاب : ٩} ولم تدخل (إذ) على (أتى) بل دخلت على (آتى) التي هي بمعنى (أعطى)

وللعلة نفسها دخلت (لقد) و(قد) اللتان تفيدان التوكيد والتحقيق دخلتا على (جاء) من دون (أتى) في مواضع كثيرة كقوله تعالى : (وَلَقَدْ جَاءكُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ){البقرة : ٩٢} وقوله تعالى : (قُلْ قَدْ جَاءكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ){آل عمران : ١٨٣} وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُم){النساء : ١٧٠} وقوله تعالى : (وَلَقَدْ جَاءهُم مِّنَ الأنبَاء مَا فِيهِ

مُزْدَجَرٌ){القمر : ٤} ولم تدخل (قد) أو (لقد) على (أتى) بل دخلتا على (آتى) التي هي بمعنى (أعطى)

ومما أوهم أهل اللغة بوحدة معنييهما ذكرهما معًا في عدة مواضع ، كقوله تعالى : (لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا {٨٩} تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا {٩٠} أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا {٩١} وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا {٩٢} إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا {٩٣} لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا {٩٤} وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا){مريم : ٨٩–٩٥} قال : (لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا) فاستعمل المجيء لأمرين : لما عَظُمَ فيه كفرهم وادعاؤهم أنَّ لله ولدًا ، ولحضورهم هذا الادعاء وملازمتهم إيّاه ، وقال : (إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا) (وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا) فاستعمل الإتيان للتعبير عن يسر حصول إتيانهم الله بهذين الحالين : الفردية والعبودية ، مع ضرورة التنبيه على أنَّ اسم الفاعل كصيغتي المضارع ، والأمر ، ورد من الإتيان ولم يرد من المجيء .

وكقوله تعالى : (فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا){مريم : ٢٧} قال (فَأَتَتْ بِهِ) لأنَّها كانت في مكان توارت فيه عن أنظار الناس ، و(أتى) تستعمل من دون جاء لهذا الغرض ، وقال (لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا) فاستعمل المجيء ، لأنَّهم ارادوا اتهامها بشيء ، عَظُمَ أمره ، وتحضره وتصاحبه ، بل تحمله ، وقوله تعالى : (قَالُواْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِينَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا){الأعراف : ١٢٩} قال ابن عاشور في تفسير هذه الآية : ((والإتيان والمجيء مترادفان ، فذكر المجيء بعد الإتيان ليس لاختلاف المعنى ، ولكنه للتفنن وكراهية إعادة اللفظ ، والإتيان والمجيء مدلولهما واحد))[1] وليس الأمر كما قال ، بل لم يفطن هو ومَن قبله إلى ما نوَّهت به

---

(1) التحرير والتنوير ٢٤٧/٨ .

بأنَّ القرآن الكريم استعمل من الإتيان الصيغ الثلاث : الماضي ، والمضارع ، والأمر ، ولم يستعمل من المجيء إلّا صيغة الفعل الماضي ، فاستعمل الماضي من المجيء من دون الإتيان في قوله تعالى : (وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا) لأنَّه يفيد حصوله ؛ ولأنَّ المراد حصول الأذى في غياب الإتيان ؛ فيكون الإتيان بمثابة فعل غير حاصل ؛ لذلك استعمل المضارع من الإتيان من دون المجيء فقال : (مِن قَبْلِ أَن تَأْتِينَا) ولم يقل : من قبل أن تجيئنا ؛ ولمثل هذا الفرق بينهما ونحوه وغيره مما تقدم ذكره لم ترد صيغة الفعل المضارع من المجيء ، ومن ذلك قوله تعالى : (حَقِيقٌ عَلَى أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ {١٠٥} قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ {١٠٦} فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ {١٠٧} وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء لِلنَّاظِرِينَ){الأعراف : ١٠٥-١٠٨} استعمل لفظ المجيء لا الإتيان فقال : (قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ) للاهتمام بالبينة وهي معجزتاه الظاهرتان المذكورتان ، وتأمَل قوله تعالى : (إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا) قال (جِئْتَ) لأنَّه تعبير عن عمل قد حصل ، وللقيام به أول مرة فهو يحتاج إلى قوة في الفعل ، وقال (فَأْتِ) وهو فعل أمر ، والأمر يدلّ على الاستقبال ، فهو يفيد عدم حصوله ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنّه قد سهل ويسر أمره ؛ لأنّه أراد القيام به للمرة الثانية ؛ وإعادة فعل الشيء تكون أيسر وأسهل ، من فعله أول مرة ؛ لذلك قال : (فَأْتِ بِهَا) ولم يقل : فجئ بها ، ولمثل هذا الفرق بينهما ونحوه وغيره مما تقدم لم ترد صيغة فعل الأمر من المجيء .

فأنت ترى أنَّ ثمة فرقًا بين الإتيان والمجيء ، وإن دقَّ وصعب التعرّف إليه ، على الرغم من إجماع أهل اللغة على أنَّ المجيء هو الإتيان

٢٠-الإتمام والإسباغ والكمال :الإتمام ، والوفاء ، والإسباغ ، والكمال ، ألفاظ مترادفة ، أي : متقاربة في معانيها ؛ لذلك صحَّ أن يقع

بعضها موقع بعض ، فهي وان اتحدت في المعنى العام تفترق عن بعضها بمعانيها الخاصة ، وهي المعاني المقصودة في القرآن الكريم ، فالفرق مثلًا واضح وجليٌّ بين الإتمام والكمال ، يقال : تمَّ الشيء : إذا اكتمل ومن ذلك التميمة ، كأنهم يريدون أنَّها تمام الدواء والشفاء المطلوب[1]فالتمام هو الشيء الذي به يتمّ الشيء ويكتمل ولهذا قال أصحاب النَّظْم : القافية تمام البيت ، ولا يقال : كمال البيت ، ويقولون : البيت بكماله ، أي : باجتماعه ، والبيت (الشعري) بتمامه ، أي : بقافيته ، ويقال : هذا تمام حقك للبعض الذي يتم به الحق ، ولا يقال كمال حقك[2]وتمام الشيء انتهاؤه إلى حد لا يحتاج إلى شيء خارج عنه ، والناقص ما يحتاج إلى شيء خارج عنه [3]

فالتمام هو الجزء الأخير الذي به يتمُّ الشيء ، فتتم به أجزاؤه فيصبح كاملًا ، كقوله تعالى : (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ){القصص : ٢٧}وقال تعالى : (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا){المائدة : ٤} : فقد أجمعوا على أنَّ المراد باليوم يوم عرفة ومعنى : أكملتُ لكم دينكم أي : بيان الفرائض فلم ينزل بعد هذه الآية شيء من الفرائض وقوله : (وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي) يريد أنَّه أنجز لهم ما وعدهم وكان من تمام نعمته أن دخلوا مكة آمنين مطمئنين[4]

---

(1) ينظر : مقاييس اللغة ص ١٢٦ .

(2) ينظر : الفروق اللغوية للعسكري ص ٢٩٤ .

(3) ينظر : المفردات للراغب ص ٤٦٠ وينظر : الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ص ٣٠٢

(4) ينظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ١٥٣/٢-١٥٤ . .

ولو رجعنا إلى معنى التمام والكمال والفرق بينهما يتضح بأنَّ المراد أنَّ الدين كملت فرائضه يوم عرفة الذي حجّ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبأداء هذه الفريضة تمَّت أركان الدين فأصبح بها كاملًا ، وكان إكمال الدين هو آخر النعم التي أنعم بها الله سبحانه على المسلمين ، وأنَّه بإكمال الدين تمت نعم الله علينا ، فأول نعمة أنعمها الله سبحانه على المسلمين مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن النعم الظاهرة التي تلتها فتح مكة ، وكان آخرها إكمال الدين الذي تمَّت به نعمة الله علينا ؛ لذلك قال سبحانه : (وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي) [1]

والسابغ هو التام الواسع[2]((وشيء سابغ ، أي : كامل واف ، وسبَغَ الشيءُ يَسْبُغ سُبوغًا : طال إلى الأرض واتسع ، وكل شيء طال إلى الأرض فهو سابغ ، وقد أسبغ فلان ثوبه ، أي : أوسع ، وسبغت النعمة سُبوغًا : اتسعت ، وإسباغ الوضوء : المبالغة فيه ، وأسبغ الله عليه النعمة : أكملها وأتمَّها ووسَّعها ، وإنَّهم في سبغة من العيش ، أي : سعة ، وسبغَ المطر : دنا إلى الأرض وامتدَّ)) [3]

فلمَّا أراد الله سبحانه وتعالى أن يذكّرنا بنعمه علينا بأنَّها قد أحاطتنا من كل جانب حتى اشتملت علينا كما اشتملت علينا ألبستُنا قال سبحانه : (وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً){لقمان : ٢٠} فلم يستعمل لفظ التمام ولا الكمال بل استعمل لفظ الإسباغ ، لأنَّه يعني التمام والكمال والاتساع فيهما

فالتمام والكمال والإسباغ وإن ترادفت إلّا أنَّ لكل منها معناه ، وقد جاز في كلام الناس أن يقع أحدها موقع الآخر ، لكون الناس لا يعنون

---

(1) ينظر : الكشاف للزمخشري ٥٩٣/١.

(2)ينظر : المفردات ص ٢٢٩ .

(3) لسان العرب ٢١٤/٧-٢١٥.

بالفروق المعنوية الخاصة بينها ، إلّا أنَّ هذا غير جائز في القرآن الكريم ؛ لأنَّ المعاني الخاصة والفروق الدلالية مهما دقَّت بين الألفاظ المترادفة مقصودة في كتاب الله قصدًا .

٢١ –الإثم والجرم والحوب والخطيئة والذنب والسيّئة والوزر :الإثم :
هو البطء والتأخّر [١] والإثم والأثام اسم للأفعال المبطئة عن الثوابوقوله تعالى : (قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ){البقرة : ٢١٩} أي في تناولهما إبطاء عن الخيراتوقوله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ){البقرة : ٢٠٦} أي حملته عزّته على فعل ما يؤثمه وقوله تعالى : (وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا){الفرقان : ٦٨} أي عذابا ، فسمّاه أثامًا لما كان منه، وقيل معنى (يَلْقَ أَثَامًا) أي يحمله ذلك على ارتكاب آثام ، وذلك لاستدعاء الأمور الصغيرة إلى الكببيرة[٢]

الجرم : هوالقطع ، ويقال لصرام النخل : الجرام ، وقد جاء زمن الجرام ، وجرمتُ صوفَ الشاة : أخذته ، والجُرْمُ والجريمة : الذنب[٣] وأصل الجرم قطع الثمرة عن الشجر ، وقول الشاعر في صفة عُقاب : جريمة نامِضٍ في رأس نيق ، فإنّه سمّى اكتسابها لأولادها جَرْمًا من حيث إنّها تقتل الطيور كما قال بعضهم : ما ذو ولد وإن كان بهيمة إلّا ويذنب لأجل أولاده[٤]

([١]) ينظر : مقاييس اللغة ص ٢٧

([٢]) ينظر : المفردات ص ١٤ عمدة الحفّاظ ١/٦١-٦٣

([٣]) ينظر : مقاييس اللغة ص ١٦٢

([٤]) ينظر : المفردات ص ٩٦ وعمدة الحفّاظ ١/٣٢٠-٣٢١

الحوب :وهوزجر البعير ليمضيوالحوب : الإثم الكبير [١]قال الله تعالى : (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا){النساء : ٢} والحَوبة : ما يأثم الإنسان في عقوقه كالأُمّ ونحوها ، وفلان يتحوّب من كذا ، أي : يتأثَّم وفي الحديث : ربِّ تقبّلْ توبتي واغفر حَوبتي ، ويقال : ألحق اللهُ به الحَوبة ، وهي الحاجة والمسكنة ، فإن قيل : فماقياس الحَوْباء ، وهي النّفس؟ قيل له : هي الأصل بعينه ؛ لأنّ إشفاق الإنسان على نفسه أغلب وأكثر [٢] والحوب سُمِّي بذلك لكونه مزجورًا عنه ، والحَوباء هي النفس المرتكبة للحَوب وهي الموصوفة بقوله تعالى : (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ){يوسف : ٥٣}[٣]

وفرّق العسكري بين الذنب والجرم والحَوب بـ((أنّ الذنب ما يتبعه الذمّ أو ما يُتَتَبّع عليه العبد من قبيح فعله ، وذلك أنّ أصل الكلمة الإتباع ، فأمَّا قولهم : قد أذنب الصبيّ فمجاز٠٠٠والأصل في الذنب : الرذل من الفعل كالذَنَب الذي هو أرذل ما في صاحبه ، والجرم ما ينقطع به عن الواجب ؛ وذلك أن أصله في اللغة : القطع ، ومنه قيل للصرام٠٠٠والحوب يفيد أنّه مزجور عنه ، وذلك أنّ أصله في العربية الزجر ، وقد سُمِّيَ الجمل به ؛ لأنّه يُزْجَر ، وحاب الرجل يحوب ، وقيل للنفس حَوباء ؛ لأنّها تُزْجَر وتُدْعى))[٤]

ولم يرد لفظ الحوب إلّا في موضع واحد هو قوله تعالى المذكور : (وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا){النساء : ٢} واستعمل

---

(١) ينظر : العين ص ٢١٩

(٢) ينظر : مقاييس اللغة ص ٢٢٩-٢٣٠

(٣) ينظر : المفردات ص ١٣٩ وعمدة الحفّاظ ٤٦١/١

(٤) الفروق اللغوية ص ٢٦٢

لفظ الحوب ؛ لأنّ أكل أموال اليتامى من أكبر الذنوب التي زجر الله عبده عن ارتكابها

الخطيئة :هي ((تعدّي الشيء ، والذهاب عنه ، يقال : خطَوْتُ أخطو خُطْوَة ، والخُطْوَة بضم الخاء : ما بين الرجلين ، والخَطْوة بفتح الخاء : المرّة الواحدة ، والخطّاء من هذا ؛ لأنّه مجاوزة حدّ الصواب يقال : أخطأ إذا تعدّى الصّواب ، وخَطِئ يَخطأ إذا أذنب ، وهو وجه الباب ؛ لأنّه يترك الوجه الخَيْرَ))[١]والخطيئة والسيّئة يتقاربان ، والخاطئ هو القاصد للذنب وعلى ذلك قوله تعالى : (وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ){الحاقة : ٣٦-٣٧}[٢]

الذنب :الذنب في الأصل الأخذ بذَنَبِ الشيء ، يقال : ذنبتُه أصبتُ ذَنَبه ، ويُستعمَل في كلِّ فعل يُستوخَم عقباه اعتبارًا بذَنَب الشيء، ولذا يُسمَّى الذنب تبعة اعتبارًا لما يحصل من عاقبته، وجمع الذنب ذنوب قال تعالى : (فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ){آل عمران : ١١} وقال تعالى :(فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ){العنكبوت : ٤٠} وقال تعالى : (وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّـهُ){آل عمران : ١٣٥}[٣]

السيّئة :يقال : ((رجلٌ أسوأ ، أي : قبيح ، وامرأة سوآء ، أي : قبيحة٠٠٠ولذلك سُمِّيت السيّئة سيّئة ، وسُمِّيت النار سُوأى لقبح منظرها))[٤] والسيّئة :: ما يصيب الإنسان من سوء في نفسه وولده وماله ، وعُبِّر عن كلِّ ما يَقْبُحُ بالسُّوأى ، ولذلك قوبل بالحسنوالسيِّئة الفعلة القبيحة وهي ضدّ

---

(١) مقاييس اللغة ٢٦٢

(٢) ينظر : المفردات ص ١٥٧-١٥٨ وعمدة الحفّاظ ١/٥١٠-٥١٢

(٣) ينظر : مقاييس اللغة ص ٣٢٢ والمفردات ص١٨٨

(٤) مقاييس اللغة ٤٢١

الحسنةقال تعالى : (مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ){النساء : ٧٩} وقال تعالى : (فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا){النحل : ٣٤} وقال تعالى : (مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ){الأنعام : ١٦٠}وقال تعالى : (فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ){الأعراف : ١٣١} وقال تعالى : (ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ){الأعراف : ٩٥}[1]

فالسوء لفظ عام أو هو اسم جنس يعني كلّ ما يسوء الإنسانَ في حياته

الوِزْرُ :الوزر : الحِمْل الثقيل من الإثم، والوَزَر :الملجأ قال الله تعالى : (كَلَّا لَا وَزَرَ){القيامة : ١١} والوزر : الثقل في الشيء ، والحِمْل الثقيل من الإثم ؛ولذلك سُمِّيَ الذنب وِزْرًا ؛ والوزير سُمِّيَ به لأنّه يحمل الثقل عن صاحبه[2] وقال الراغب : ((والوِزْرُ : الثِقلتشبيهًا بوزر الجبل ، ويُعَبَر بذلك عن الإثم كما يُعَبَّر عنهبالثقل قال تعالى : (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ){النحل : ٢٥} كقوله تعالى : (وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ){العنكبوت : ١٣}٠٠٠والوزير المتحمِّل ثِقْلَ أميره وشُغْلَه))[3]ف((الوزر يفيد أنّه يثقل صاحبه وأصله الثقل ومنه قوله تعالى : (وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ

---

(١) ينظر : المفردات ص ٢٦١ وعمدة الحفّاظ ٢/٢٣٠-٢٣٢

(٢) ينظر : العين ص ١٠٤٧ ومقاييس اللغة ص ٩٥٤-٩٥٥

(٣) ينظر : المفردات ص ٥٤٤-٥٤٥ وعمدة الحفّاظ ٣٠٦/٤

﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ){الشرح : ١-٢} وقال تعالى : (حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا){محمد : ٤} أي : أثقالها يعني السلاح))[1]

ومن شواهد الوزر الأخرى قوله تعالى : (وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ){الأنعام : ٣١}وقوله تعالى :(وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى){الأنعام : ١٦٤}وقوله تعالى : (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ){فاطر : ١٨}

وصفوة ما تقدم ذكره في الفرق بين لإثم والجرم والخطيئة والذنب والسيّئة والوزر أنّ :

الإثم : هو البطء في عمل الخير والتأخّر عنه

والحوب : هو الذنب المزجور عنه

والجرم : وأصل معناه القطع كقطع الثمرة عن الشجرة ؛ لذلك أطلِق على من قطع رأس المرء عن جسده أو قتله فقطعه عن أمّه وأبيه أو عن ولده أو عن زوجته لذلك كانت الجريمة أعظم الذنوب

والخطيئة : تدلّ على تعدّي الشيء ، والذهاب عنه ،أو هي مجاوزة حدّ الصواب يقال : أخطأ إذا تعدّى الصّواب

والذنْبُ : والذنْب (بسكون النون) مأخوذ من الذَّنَب (بفتح النون) وهو الذيل أي : سُمِّي الذنْب بذلك ؛ لأنّ عقوبته تعقب من أذنب ، أو لأنّ ذنْبَه يتبعه كما يتبع صاحب الذَّنَب ذَنَبُهُ ، أي : كما يتبع صاحبَ الذَّيْلِ ذَيْلُهُ من كلّ حيوان ذي ذَنَب ، أو ذَيْل ، أو هو الرذل من الفعل كالذَنَب الذي هو أرذل ما في صاحبه

والسيّئة : وهو من القبح تقول : رجلٌ أسوأ ، أي : قبيح ، وامرأة سوآء ، أي : قبيحة ، وهي لفظ عامّ أو هي اسم جنس تُطلَق على كلُّ ما يغُمُّ

---

[1] الفروق اللغوية ص ٢٦٢

الإنسان من الأمور الدنيوية والأخروية ، ويُطلَق على ما قبح من الأفعال والحسنة ضدّها

والوزر : حمل شيء ثقيل واستعمل في المعاني كحمل ما ثقل من الإثم

-**تكفير السيئات ومغفرة الذنوب** : التكفير هو ((الستر والتغطية ، يقال لمن غطّى درعه بثوب ، قد كَفَرَ درعه٠٠٠ويقال للزارع كافر ؛ لأنَّه يغطي الحبَّ بتراب الأرض ، قال الله تعالى : (كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ){الحديد : ٢٠}))[١]ف((الكفر : أصله التغطية ، ويقال للَّيل كافر ؛ لأنَّه يغطي كل شيء بظلمته٠٠٠ويكفِّر الذنوب : يسترها ، ومعنى ذلك: أنَّ الله سبحانه لا يفضح أصحابها بها))[٢]والكفر : الستر ، ومنه سُمِّي الليل كافرًا ، وأنشدوا من الكامل للبيد :

يعلو طريقة متنها متواترٌ   في ليلة كفرَ النجومَ غمامُها

والمتواتر هنا المطر [٣]

((معناه : يعلو طريقة متن هذه البقرة متواترٌ : أي : مطر متتابعٌ٠٠٠وقوله : كفر النجومَ ، معناه : غطّاها ، يقال : كفرتُ المتاعَفي الوعاء ، إذا غطّيته ، ويقال : كفر على درعه بثوب ، إذا ستره ، وسُمِّي الكافر كافرًا ؛ لأنّه يغطّي نِعَم الله ، سبحانه وتقدّس توحيده ، ويقال لليل كافر ؛ لأنّه يستر الأشياء بظلمته٠٠٠وقول الله تعالى : (كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ

---

(١) مقاييس اللغة ص ٨١٢-٨١٣

(٢) الوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٨٢-٢٨٣ .

(٣) ينظر : الدر المصون ١/١٠٦-١٠٧

الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ){الحديد : ٢٠} معناه : أعجب الزرّاعَ ، وواحدهم كافر ، وإنّما قيل للزارع كافرًا ؛ لأنّه إذا ألقى البذر في الأرض ، غطّاه بالتراب))[(١)]

((وكفَرَ الشيءَ ، وكفَّره : غطَّاه٠٠٠ وغابت الشمس في الكافر، أي : البحر٠٠٠وعُنِي بالكافر : الساتر للحق ٠٠٠ والكفارة : ما يغطي الإثم ، ومنه كفارة اليمين والقتل والظهار ، والتكفير : ستر الذنوب وتغطيتها ، قال تعالى : (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُواْ وَاتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ){المائدة : ٦٥})) [(٢)] فـ((أصل الغُفْر : التغطية)) [(٣)] و((السَّتْر))[(٤)]

و((المِغْفَر ، والمِغْفرة ، والغِفارة : زَرَدٌ يُنسَج من الدروع على قدر الرأس يُلْبَس تحت القلنسوة٠٠٠قال ابن شميل المِغْفَر : حِلَقٌ يجعلها الرجل أسفل البيضة تُسْبَغ على العنق فتقيه))[(٥)]

يتبيَّن من تعريف أهل اللغة أنّ المغفرة دون التكفير ، وقد أحسن من عرّف التكفير بالتغطية والمغفرة بالستر ، فالليل سُمِّي كافرًا لأنّه يغطي كلّ الناس ويغشيهم بظلامه ، أمّا الغفر فيعني ستر الشيء بساتر ، فالمغفرة مثلًا تكون حائلًا لرأس المقاتل تقيه سهام عدوّه فهو يُرى من قبله ، أمّا التغطية فتكون بجعل المقاتل في كمين أو ملجأ فيغطّيه هذا الكمين أو الملجأ ويغشاه

---

(١) شرح القصائد السبع الطوال لأبي بكر بن الانباري ٤٥١-٤٥٢ والبيت للبيد في معلقته رقمه في القصيدة ٤٢ وينظر شرح القصائد العشر وورد متواترًا على الحال ص ١٨١

(٢) بصائر ذوي التمييز ٤/٣٦١-٣٦٥ .

(٣) العين للخليل ص ٧١٦

(٤) مقاييس اللغة ص ٦٩٦

(٥) لسان العرب لابن منظور ٦٥/١١

حتى لا يُرى من قبل عدوّه ، وقد قال العسكري : ((الفرق بين الغطاء والسترأنّ الستر ما يسترك وإن لم يكن ملاصقًا لك مثل الحائط والجبل ، والغطاء لا يكون إلّا ملاصقًا ألا ترى أنّك تقول : تسترّتُ بالحيطان ولا تقول تغطيت بالحيطان وإنّما تغطيت بالثياب لأنّها ملاصقة))(١)

فتكفير السيّئات يعني تغطيتها حتى يزال ويُمحى أثرها ، ومغفرة الذنب يعني سترها ، وفصّل ابن قيِّم الجوزية الفرق بين تكفير السيّئات ومغفرة الذنوب ، في كتابه : منازل السائرين ، وذكر أنّ المراد من الذنوب الذنوب الكبيرة ، والمراد من السيّئات الذنوب الصغيرة ، والدليل على ذلك قوله تعالى : (إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا){النساء : ٣١}فالتكفير يكون للذنوب الصغيرة دون الكبيرة ، والدليل على ذلك الحديث الذي رواه مسلم : ((عن أبي هريرة أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : كان يقول : الصلوات الخمس والجُمُعَةُ إلى الجُمُعَةِ ورمضان إلى رمضان مكفِّراتٌ لما بينهنَّ إذا اجتنب الكبائر))(٢)

والتكفير اقترن بالسيّئات ولم يقترن بالذنوب ، والمغفرة اقترنت بالذنوب ولم تقترن بالسيّئات ، وذكر أنّ التكفير هو الستر والإزالة ، فتكفير السيّئات يعني سترها وإزالتها ، فلا يبقى لها أثر بعد ذلك ، والمغفرة هي الوقاية والحفظ ، فمغفرة الذنوب يعني سترها ووقاية صاحبها من المحاسبة والعقاب ، وذكر أنّ هذا هو معنى كلٍّ منهما إذا اجتمعا واقترنا بالذكر ، فإذا انفرد كلٌّ منهما بالذكر دخل أحدهما في معنى الآخر ، ولم أجد ذكرهما معًا إلّا في موضعين في قوله تعالى :(رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ){آل : ١٩٣}((رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا) كبائرنا (وَكَفِّرْ عَنَّا

---

(١) الفروق اللغوية ص ٣٢٢

(٢) شرح صحيح مسلم ٥٠٠/١ رقم الحديث ٢٣٣

سَيِّئَاتِنَا) صغائرنا))[1] وفي قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ){الأنفال : ٢٩}((وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ) أي : الصغائر (وَيَغْفِرْ لَكُمْ) ذنوبكم ، أي : الكبائر))[2]

وقد انفرد كلٌّ منهما بالذكر من دون الآخر في كلّ المواضع الباقية فمن شواهد انفراد المغفرة من دون التكفير قوله تعالى : ((قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ){آل عمران : ٣١)وقوله تعلى : (قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ){يوسف : ٩٧}وقوله تعالى : (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ){الزمر : ٥٣}

ومن شواهد انفراد التكفير من دون المغفرة قوله تعالى : (لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا){الفتح : ٥}وقوله تعالى : (وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ){التغابن : ٩}

وهذا متاتٍّ من أنّ انفراد التكفير بالذكر كان لتغليب السيئات على الذنوب ، وإعمامهما بمعنى التكفير ، أي : أنّه سبحانه يكفِّر الذنوب الصغيرة والكبيرة ، وانفراد المغفرة كان لتغليب الذنوب على السيئات وإعمامهما بمعنى المغفرة ، أي : أنّه سبحانه يغفر الذنوب الصغيرة والكبيرة

(١) مدارك التنزيل للنسفي ص ٢٠٤

(٢) مدارك التنزيل للنسفي ص ٤١٠

٢٢-الاجتبــاء والاختيــار والإرادة والاصــطفاء والإيثــار والتفضــيل :

الاجتبـاء : ((يقـال : جبيتُ المـاء فـي الحـوض جمعتـه ، والحـوض الجـامع جابية ، وجمعها جَواب قال الله تعالى : (وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ){سبأ : ١٣} ومنـه استعير جبيتُ الخراج جِباية ، ومنـه قولـه تعـالى : (يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا){القصص : ٥٧} والاجتباء الجمع على طريق الاصطفاء قال عزّ وجلّ : (فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ){القلم : ٥٠} وقال تعالى : (وَإِذَا لَـمْ تَـأْتِهِم بِآيَـةٍ قَـالُوا لَـوْلَا اجْتَبَيْتَهَـا){الأعراف : أي : يقولـون : هـلّا جمعتها تعريضًا منهم تخترع هذه الآيات وليست من الله ، واجتباء اللهِ العبد تخصيصه إيّاه بفيض إلهي يتحصّل منه أنواع من النِّعم بلا سعي من العبد ، وذلك للأنبياء وبعض من يقاربهم من الصديقين والشهداء كما قال تعالى : (وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ){يوسف : ٦} وقـال تعـالى : (وَاجْتَبَيْنَـاهُمْ وَهَـدَيْنَاهُمْ إِلَـىٰ صِـرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ){الأنعام : ٨٧}))[١]

و((الاجتبـاء : الاصـطفاء مـن جبيـت المـاء فـي الحـوض إذا جمعتـه مختارًا لـه)) [٢] وقال الزجاج في قوله تعالى (وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ){يوسف : ٦} ((معناه : يختارك ويصطفيك ، وهو مشتق من جبيتُ الشيءَ إذا حصّلتَه لنفسك ومنـه جبيـتُ المـاءَ فـي الحـوض))[٣] ((وجِبايـة الخَـراج : جمعـه

---

(١) المفردات للراغب ص ٩٢-٩٣

(٢) عمدة الحفّاظ ٣٠٥/١

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٧٤/٣ وينظر : تهذيب اللغة للأزهري ٥٢٧/١ وتاج العروس ١٥٧/٣٧

وتحصيله))[١]

-**الاختيار** : ((الاختيار طلب ما هو خير وفعله ، وقد يقال لما يراه الإنسان خيرًا وإن لم يكن خيرًا وقوله تعالى : {وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ}[الدخان : ٣٢] يصحّ أن يكون إشارة إلى إيجاده تعالى إيّاهم خيرًا ، وأن يكون إشارة إلى تقديمهم على غيرهم ، والمختار في عرف المتكلّمين يقال لكلّ فعل يفعله الإنسان لا على سبيل الإكراه ، فقولهم هو مختار في كذا ، فليس يريدون به ما يراد بقولهم : فلان له اختيار ، فإنّ الاختيارأخذ ما يراه خيرًا ، والمختار يقال للفاعل والمفعول)) [٢]

و((الاختيار : الاصطفاء٠٠٠والاختيار في عرف الفقهاء والمتكلّمين هو ضد الإكراه)) [٣]

وفرّق العسكري ((بين الإرادة والاختيار أنّ الاختيار إرادة الشيء بدلًا من غيره٠٠٠وأصل الاختيار الخير ، فالمختار (بمعنى اسم الفاعل) هو المريد لخير الشيئين في الحقيقة ، أو خير الشيئين عند نفسه من غير إلجاء واضطرار ، ولو اضطر الإنسان إلى إرادة شيء لم يُسمَّ مختارًا له ؛ لأنّ الاختيار خلاف الاضطرار))[٤]

{وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ}[الدخان : ٣٢] ((أي : عالمين بمكان الخيرة وبأنّهم أحقاء بأن يُختاروا)) [٥]((أي : اختارهم الله على عالمي زمانهم على علم منه باستحقاقهم لذلك ، وليس المراد أنّه اختارهم

(١) تهذيب اللغة للأزهري ٥٢٧/١

(٢) المفردات للراغب ص ١٦٧

(٣) عمدة الحفّاظ ٥٤٧/١

(٤) الفروق اللغوية ص ١٤٢

(٥) مدارك التنزيل ص ١١١٢

علـى جميـع العـالمين بـدليل قولـه تعـالى فـي هـذه الأمّـة : (كُنـتُمْ خَيْـرَ أُمَّـةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّـاسِ){آل عمران : ١١٠} وقيل : علـى كلّ العالمين لكثرة الأنبياء فيهم ، ومحل (عَلَىٰ عِلْمٍ) النصب على الحال من فاعل(اخْتَرْنَاهُمْ) أي : حال كون اختيارنا لهم على علمٍ منّا ، و(عَلَى الْعَالَمِينَ) متعلّق بـ(اخْتَرْنَاهُمْ)))[1] فاختيار الله عباده هو اختيار من هم خيرً العباد

-**الاصـطفاء** : ((الاصـطفاء افتعـال مـن الصـفو ، وهـو تنـاول صـفو الشـيء))[2] والاصـطفاء مـن الصـفاء و((أصـل الصـفاء خلـوص الشـيء مـن الشوب ، ومنـه الصـفا للحجـارة الصـافية٠٠٠والاصـطفاء تنـاول صـفو الشـيء كمـا أنّ الاختيـار تنـاول خيره والاجتبـاء تنـاول جبايتـه ، واصـطفاء الله بعض عباده قد يكون بإيجاده إيّاه تعالى صافيًا عن الشوب الموجود في غيره ، وقد يكـون باختيـاره وبحكمـه وإن لـم يتعـرّ ذلـك مـن الأوّل قـال تعـالى : (اللَّـهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ){الحجّ : ٧٥} وقال تعالى : (إِنَّ اللَّـهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ){آل عمران : ٣٣} وقـال تعـالى : (وَإِذْ قَالَـتِ الْمَلَائِكَـةُ يَـا مَـرْيَمُ إِنَّ اللَّـهَ اصْـطَفَاكِ وَطَهَّـرَكِ وَاصْـطَفَاكِ عَلَـىٰ نِسَـاءِ الْعَـالَمِينَ){آل عمـران : ٤٢}وقـال تعـالى : (قَـالَ يَـا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّـاكِرِينَ){الأعراف : ١٤٤}))[3] فاصـطفاء الله عبـاده يعنـي تخليصـهم مـن الشوائب الموجودة عند غيرهم

وفرّق العسكري ((بين الاصطفاء والاختيار أنّ اختيارك الشـيء أخذك خير ما فيـه فـي الحقيقـة أو خيره عندك ، والاصطفاء أخذ ما يصفو منـه))

---

(١) فتح القدير ٧١٨/٤

(٢) عمدة الحفّاظ ٣٤٥/٢

(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب ص ٢٩٤

[1]وفرّق ((بين الاختيار والإيثار أنّ الإيثار على ما قيل هو الاختيار المقدّم والشاهد قوله تعالى (قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا){يوسف : ٩١} أي : قدّم اختيارك علينا ، وذلك أنّهم كلّهم كانوا مختارين عند الله ؛ لأنّهم كانوا أنبياء٠٠٠وتقول في الفاعل مختار لكذا وفي المفعول مختار من كذا))[2]

–**الإيثار والتفضيل : الإيثار** :وهو من الأثر ((ويستعار الأثر للفضل والإيثار للتفضّل ، ومنه آثرته))[3]

–**والتفضيل** : يدخل ضمن سنة الله العامة التي لا تبديل لها والتي يحكمها عدل الله وحكمته من ذلك تفضيل المجاهدين على القاعدين كقوله تعالى : (فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا){النساء : ٩٥}وتفضيل بعض الناس على بعض في الرزق كقوله تعالى : (وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ){النحل : ٧١} وتفضيل الرجال على النساء في القوامة كقوله تعالى : (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَاللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ){النساء : ٣٤} وتفضيل بعض الأنبياء على بعض كقوله تعالى : (وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا){الإسراء : ٥٥}

هذا هو التفضيل فهو جار في سنة الله العامة في خلقه ، أمّا الإيثار فيكون فيما خرج عن سنة الله العامّة وهو تقديم شيء على شيء وحسبما يراه الإنسان ويؤمن به ويكون تعبيرًا عن خلقه واأفعاله ، كمن قدّم دنياه على آخراته في الاهتمام والعناية كقوله تعالى : (بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا){الأعلى

(١) الفروق اللغوية ص ٣١٩

(٢) الفروق اللغوية ص ١٤٣

(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب ص ١٣

: ١٦} وكتقديم الله سبحانه يوسف عليه السلام على إخوته في الرعاية والمنزلة لعلو إيمانه على إيمانهم ولحسدهم إيّاه وغدرهم به ولصرف نفسه عن السوء والفحشاء كما جاء هذا في قوله تعالى (قَالُوا تَاللَّـهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّـهُ عَلَيْنَا){يوسف : ٩١} وتقديم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم مصلحة إخوانهم في الإسلام على مصلحتهم الخاصّة في قوله تعالى : (وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ){الحشر : ٩}

فصفوة ما تقدّم أنّ اختيار الله عباده هو اختيار خيرهم ، وإيثاره إيّاهم هو تقديم بعض من اختار على غيره ممن اختارهم ، واصطفاؤهم هو تخليص من اختارهم وآثرهم من الشوائب الموجودة عند غيرهم ، واجتباؤهم هو تحصيلهم والاعتناء بهم كأنّه اجتباهم لنفسه

٢٣-**الأجداث والقبور** : وردت الأجداث في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع هي :

قول الله تعالى : (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ){يس : ٥١}

وقوله تعالى : (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ ۖ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ){القمر : ٦-٨}

وقوله تعالى : (يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ){المعارج : ٤٣}

ووردت القبور في خمسة مواضع هي :

قول الله تعالى : (وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ){الانفطار: ٤}

وقوله تعالى : (أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ){العاديات : ٩}

وقوله تعالى : (وَأَنَّ اللَّـهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ){الحج : ٧}

وقوله تعالى : (وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ){فاطر : ٢٢}

وقوله تعالى : (قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ){الممتحنة : ١٣}

((والقبر : مكان الميت٠٠٠وأقبرته : جعلت له مكانًا يُقبر فيه))[١]

و((يقال : قبرته ، أي : دفنته في اللحد))[٢]

فهذا تعريف القبر موافق لشواهده وتفسيرها ، فالمراد من القبر استقرار الميت في قبره في قوله تعالى : (وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ){فاطر : ٢٢}

وقوله تعالى : (قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ){الممتحنة : ١٣}

وكذلك قوله تعالى: (وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ){الحج : ٧}

وقوله تعالى : (وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ){الانفطار: ٤}

وقوله تعالى : (أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ){العاديات : ٩}

فإنّها تعني بعث من في القبور فحسب ولم تعن إحياءهم وسيرهم السريع للمحشر والحساب ، ولا حالاته

فهذه شواهد القبور فهي تتحدّث جميعها عن الأماكن التي دُفِن فيها الموتى ، فهي قبور بقيت على حالها وبقي فيها أمواتها ، لكن لن تكون هناك قبور يوم تُبَعثَر في قوله تعالى : (وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ){الانفطار: ٤}فبعثرة القبور يعني ((قلب ترابها))[٣]فقوله تعالى : (((بُعْثِرَتْ) قُلِبَتْ وأُخرِجَ ما فيها ،

([١]) المفردات للراغب ص ٤٠٦

([٢]) عمدة الحفاظ ص ٢٦٤

([٣]) معاني القرآن وإعرابه للزجّاج ٢٢٨/٥والوسيط للواحدي ٤٣٣/٤ والمفردات للراغب ص ٥٨

يقال : بعثرتُ المتاع وبحثرته إذا جعلت أسفله أعلاه))[1]فحين يحين بعث الموتى وإحياؤهم لن تكون هناك قبور ، لذلك سمّى الله سبحانه الأماكن التي يُبْعَث منها الأموات بالأجداث ، فشواهد الأجداث الثلاثة لا تتحدّث عن موتى بل عن أحياء كانوا موتى وهم الآن يخرجون من الأجداث يركضون كأنّهم في سباق وفيما يلي شواهد الأجداث وتعريفها وتفسيرها :

لم أجد في كتب اللغة والتفسير من ذكر المعنى الأصلي للأجداث ؛ لأنّهم لم يذكروا فعلًا أُشتقّ منه ، ولو ذكروه لتعرّفنا إلى المعنى الأصلي من خلال دلالته واستعمالاته في اللغة ، ولم أجد أيضًا من ذكر الفرق بين الأجداث والقبور ، واكتفوا بقولهم بأن الجدث يعني القبر وجمع الجدث الأجداث ، لكن وجدتُ أبا عبيدة يقول في تفسير قوله تعالى : {فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ}يس : ٥١}((مِّنَ الْأَجْدَاثِ) واحدها جَدَثٌ ، وهي لغة أهل العالية ، وأهل نجد يقولون : جَدَفٌ (يَنسِلُونَ) يسرعون))[2]

وقال الأزهري : ((قال ابن السكيت وغيره : يقال للقبر : جَدَفٌ وجَدَثٌ))[3]

وفي الصحاح : ((والجدف : القبر ، وهو إبدال الجدث ، قال الفراء : العرب تعقب بين الفاء والثاء في اللغة ، فيقولون : جدث وجدف ، وهي الأجداث والأجداف))[4] وفي لسان العرب : (الجدث : القبر٠٠٠وقد قالوا : جدف ، فالفاء بدل من الثاء))[1]

([1]) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥١٨

([2]) مجاز القرآن ص ٢٣٤.

([3]) تهذيب اللغة ٥٥١/١.

([4]) الصحاح للجوهري ص ٥٩ وينظر : لسان العرب ٩٧/٣ ولم أجد قول الفرّاء هذا في كتابه معاني القرآن ، وقد روى كتابه هذا عدة رواة منهم من رواه كاملًا ومنهم رواه ناقصًا

وقد وجدتّ أنّ هناك علاقة بين دلالة الجدف والجدث في اللغة وبين حال بعثهم جاء في كتب اللغة : ((وجدف الطائر : إذا كان مقصوصًا فرأيته إذا طــار ، كأنّــه يــردّ جناحيــه إلــى خلفــه ، ومنــه سُــمِّي مجــداف السفينة٠٠٠ويقال : جدف الرجل في مشيته : إذا أسرع٠٠٠والطائر إذا طيَّر مـن جناحيـه شـيئًا عنـد الفَـرَق (أي : عنـد الفـزع) مـن الصـقر ، يقـال : جدَف))[2]

و((جدف الطائر يجدف جدوفًا : إذا كان مقصوص الجناحين فرأيته إذا طار كأنّه يردّهما إلى خلفه٠٠٠وقيل : هو أن يكسر من جناحيه، ثمّ يميل عند الفرَق من الصقر))[3]

((وجدف الرجل : ضرب باليدين ، وفي الصحاح : جَدَفَ الرجل : ضرب باليد٠٠٠والذي يظهر أنّ معناه : الإسراع في المشي ، وذلك أنّ الرجل إذا أسرع في مشيته ضرب بيديه وحرّكهما٠٠٠والجدف : تقطيع الصوت في الحُداء٠٠٠قال الفرّاء : وأجدفوا ، أي : جلَّبوا وصاحوا ، والتجديف : الكفر بالنعم ، يقال منه : جدّف تجديفًا٠٠٠يقال : لا تُجَدِّفوا بنعمة الله ، أي : لا تكفروها٠٠٠وسئل رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم : أيّ العمل شرّ؟ قال : التجديف ، قالوا : وما التجديف ؟ قال : ليس لي وليس عندي))[4]

ولعل قوله المذكور المنسوب إليه ضمن أقوله التي لم ينقلها إلينا راوي كتابه الذي بين أيدينا

(1) لسان العرب ٩٧/٣

(2) تهذيب اللغة للأزهري ٥٦٠/١ وينظر : الصحاح للجوهري ص ١٥٩

(3) لسان العرب لابن منظور ٩٧/٣

(4) تاج العروس للزبيدي ٣٩/٢٣-٤٢ وينظر : المصادر السابقة

فهذا هو معنى الإجداث وهو موافق تمامًا لمعنى شواهدها في القرآن الكريم

جاء في تفسير قول الله تعالى : (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ){يس : ٥١}((يَنسِلُونَ) أي : يخرجون بسرعة))[١] (((إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ) يعدون))[٢] والعدو : الجري

وقوله تعالى : (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ ۖ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ){القمر : ٦-٨} (((يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ) وهي القبور (كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ) ينبت بعضهم في بعض ، والمعنى أنّهم يخرجون فزعين لا جهة لأحد منهم فيقصدها ، والجراد لا جهة له تكون أبدًا مختلفة بعضها في بعض (مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ) مقبلين إلى صوت إسرافيل))[٣]

(((كأنّهم جراد منتشر) في كثرتهم وتفرّقهم في كلّ جهة والجراد مثل في الكثرة والتموّج ، يقال في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض : جاؤوا كالجراد (مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ) مسرعين مادّي أعناقهم إليه))[٤]

وقول الله تعالى : (يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ){المعارج : ٤٣-٤٤} (((سِرَاعًا) أي : يخرجون بسرعة كأنّهم يستبقون إلى عَلَم نُصِب لهم٠٠٠ومن قرأ (نُصُب) بضمتين ، فقال الحسن يعني أنصابهم ، وهي الأصنام يسرعون إليها أيّهم يستلمها أوّلًا ، ومعنى

([١]) زاد المسير ٢٨٥/٦ وينظر : الوسيط للواحدي ٥١٦/٣

([٢]) مدارك التنزيل تفسير النسفي ص ٩٩١

([٣]) الوسيط ٢٠٨/٤ وينظر : زاد المسير ٢٩٣/٧

([٤]) مدارك التنزيل تفسير النسفي ص ١١٨٦

(يُوفِضُونَ) يسرعون))[1]((كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ) قرأ ابن عامر وحفص عن عاصم بضمّ النون والصاد ، وعامر ونافع وحمزة والكسائي بفتح النون وسكون الصاد ، وهي في معنى القراءة الأولى إلّا أنّه مصدر كقول القائل : نصبتُ الشيء أنصبه نصبًا ، قال قتادة : معناه : كأنّهم إلى شيء منصوب يسرعون ، وقال ابن جرير : كأنّهم إلى صنم منصوب يسرعون))[2]

و(سِرَاعًا) على وزن فِعال من سارع تفيد معنى المشاركة ، أي : كأنّهم في سباق : كلٌّ منهم يريد أن يسبق غيره ، فهي حالة تشبه حالالمتسابقين في الملاعب الرياضية ، فكلّ رياضيٍّ ينتظر صافرة الحَكَم حتى إذا أطلقها حاول أن يبدأ مسرعًا في الجري قبل زميله ، ويشتدّ في عدوه وركضه ليستلم قبل غيره الهدف ، إنّه مشهد جميل يرسمه القرأن الكريم في التعبير ، لكنّه عسير وموحش لمن قصّر في طاعة الله

واالعجيب في التعبير القرآني أنّ الحالة التي يكون عليها الناس عند بعثهم وخروجهم من قبورهم للحشر والحساب تمثّل نفس ما تعنيه الأجداث والأجداف في اللغة ؛ لذلك استعمل الأجداث ولم يستعمل القبور فقال : (مِّنَ الْأَجْدَاثِ)و(يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ) وما قيل : من القبور ، ويخرجون من القبور

والأجداث لم تستعمل إلّا في حال بعث الأموات من قبورهم ، فذكر الأجداث ولم يذكر القبور ؛ لأنّه أريد أنّه كذلك وهكذا يكون حال الأموات ولا سيّما الكفّار منهم حين يخرجون من الأجداث لحشرهم وحسابهم ، فقد اقترنت الأجداث بهذه الحالات ، بخلاف القبور ، وهذا ظاهر واضح من خلال المقارنة بينهما في التعبير وفي التعريف والتفسير

---

(1) الوسيط ٣٥٥/٤

(2) زاد المسير ١٢١/٨-١٢٢ وينظر : جامع البيان للطبري ١٠٥/٢٩

فخلاصة ما قال أهل اللغة في تعريف الجدف الذي جعلوه بمعنى الجدث : جدف الطائر يجدف جدوفًا : إذا كان مقصوص الجناحين فرأيته إذا طار كأنّه يردّهما إلى خلفه وقيل : هو أن يكسر من جناحيه، ثمّ يميل عند الفزع من الصقر ، والجدف : الإسراع في المشي ، والضرب بيديه وتحريكهما ، والجدف : تقطيع الصوت ، والإجداف : الجلبة والصياح والتجديف : الكفر بالنعم ،

فهذا هو معنى الجدف الذي جعلوا الجدث بمعناه، وهو موافق تمامًا لمعنى الأجداث وشواهدها في القرآن الكريم فخلاصة ما جاء في تفسير شواهد الأجداثأنّ الأموات يخرجون من الأجداث بسرعة فزعين يتموّجون في سيرهم يختلط بعضهم في بعض لا جهة لأحد منهم فيقصدها ، لذلك يقبلون إلى صوت إسرافيل ومادّين أعناقهم إليه.

٢٤-**الأجر والثواب والجزاء** : الأجر جزاء العمل [١]وقال العسكري في ((الفرق بين الثواب والأجر أنَّ الأجر يكون قبل الفعل المأجور عليه والشاهد أنَّك تقول : ما أعمل حتى آخذ أجري ، ولا تقول : لا أعمل حتى آخذ ثوابي ؛ لأنَّ الثواب لا يكون إلّا بعد العمل)) [٢]

-**الثواب والجزاء** : والجزاء لفظ مرادف للثواب ، وهو قريب جدًّا من معناه ، حتى إنَّه لشدة تقاربهما لم أجد في كتب اللغة من فرَّق بينهما ، ولكن مع ذلك فلا بدّ من أن تكون دلالة الثواب غير دلالة الجزاء ، وأوّل دليل على ذلك أنَّ أهل اللغة عرفَّوا كلًا منهما بغير ما عرَّفوا به الآخر ، فالثواب : هو العود والرجوع ، يقول : ثاب يثوب إذا رجع [٣]

---

(١) ينظر : مقاييس اللغة ص ٤٢١

(٢) الفروق اللغوية ص ٢٦٦

(٣) ينظر : مقاييس اللغة ص ١٤٤

و((أصل الثوب رجوع الشيء إلى حالته الأولى التي كان عليها ، أو إلى الحالة المقدَّرة المقصودة بالفكرة ، والثوب سُمِّيَ بذلك لرجوع الغزل إلى الحالة التي قُدِّرتْ له، والثواب ما يرجع إلى الإنسان من جزاء أعماله ، فيسمَّى الجزاء ثوابًا تصورًا أنَّه هو هو ، ألا ترى كيف جعل الله الجزاء نفس الفعل في قوله تعالى : (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ {٧} وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ){الزلزلة : ٧-٨} ولم يقل جزاءه ، والثواب يقال في الخير والشر ٠٠٠والإثابة تستعمل في المحبوب ، قال تعالى : (فَأَثَابَهُمُ اللّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء الْمُحْسِنِينَ){المائدة : ٨٥}))[١] و((الجزاء : الغِناء والكفاية٠٠٠والجزاء ما فيه الكفاية من المقابلة ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًّا فشرٌّ)) [٢]

نخلص مما ذكره أهل اللغة أنَّ الثواب يعني إرجاع عاقبة العمل إلى صاحبه خيرًا كان أم شرًّا ، كما قال تعالى : (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ {٧} وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) ومضمون هذه الحقيقة تجده في قوله تعالى : (قَدْ جَاءكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ){الأنعام : ١٠٤} وقوله تعالى : (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِّلْعَبِيدِ){فصلت : ٤٦} فالعمل الصالح يعود ثوابه إلى صاحبه ، وكذلك العمل السيِّئ ، وقوله تعالى : (فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ){الزمر : ٤١} وقوله تعالى : (مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا){الإسراء : ١٥} وقوله

---

(١) المفردات ص ٨٨-٨٩ وينظر : عمدة الحفاظ ٢٩٢/١ ، ٣٢٥ وبصائر ذوي التمييز ٣٣٧/٢ ،٣٨٠

(٢) المفردات ص ٩٨

تعالى : (وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ){النمل : ٤٠} وقوله تعالى : (وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ){العنكبوت : ٦} وقوله تعالى : (وَمَن تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ){فاطر : ١٨} وقوله تعالى : (وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ){البقرة : ١١٠} وقوله تعالى : (وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ اللّهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ){البقرة : ٢٧٢} وقوله تعالى : (إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لانفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا){الإسراء : ٧} فهذه الآيات ونحوها تتضمن أنَّ ما يعمله العبد من خير وشر يعود له أو عليه .

وهذا هو دلالة الثواب يعني أنَّ عاقبة العمل ترجع إلى صاحبه خيرًا كان أم شرًّا ، أمَّا الجزاء فمعناه((قيام الشيء مقام غيره ، ومكافأته إيّاه ، يقال : جزيتُ فلانًا أجزيه جزاء ، وجازيته مجازاة ، وهذا رجل جازيك من رجل ، أي : حسبك ، ومعناه : أنَّه ينوب مناب كل أحد)) [1] ومما يتضمن هذا المعنى قوله تعالى : (يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ){الانفطار : ١٩}

فالجزاء ليس كالثواب يعني إرجاع أجر العمل إلى عامله ، بل يعني مجازاته بما ينوب عنه ، وقيام الشيء مقام غيره ، ومكافأته إيّاه ، أو مجازاته بما هو أسمى وأعظم ؛ لذلك استعمل القرآن الكريم لفظ الجزاء من دون الثواب للتعبير عن هذا المعنى في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا){لقمان : ٣٣} وقوله تعالى : (وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً){البقرة : ٤٨} لأنَّ المراد النيابة عن الشيء ، والقيام مقامه

---

(١) مقاييس اللغة ص ١٦٦

٢٥-**الأحد والواحد** : قال أبو حاتم الرازي : ((وقلنا : إنَّ الأحد أكمل من الواحد ، ألا ترى أنَّك لو قلتَ : فلان لا يقوم له واحد ، جاز في المعنى أن يقوم له اثنان أو ثلاثة فما فوقهما ، وإذا قلت : فلان لا يقوم له أحد ، فقد جزمت أنَّه لا يقوم له واحد ولا اثنان فما فوقهما ، وفي الأحد خصوصية ليست في الواحد ، تقول : ليس في الدار واحد ، فيجوز أن يكون واحدًا من الدواب أو الطير أو الوحش أو الإنس ، فكأنَّ الواحد تعم الناس وغير الناس ، وإذا قلت : ليس في الدار أحد ، فهو مخصوص للآدميين دون سائرهم))[(١)] لذلك استعمل (أحد) دون (واحد) في قوله تعالى : (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ){الإخلاص : ١} ليكون المعنى أنّه ليس له واحد ولا اثنان ولا ما فوقهما ، وذكر ابن عاشور أنّ أحد ((صفة مشبهة مثل حَسَن٠٠٠وصيغة الصفة المشبّهة تفيد تمكّن الوصف في موصوفها بأنّه ذاتيّ ؛ فلذلك أوثر (أحد) هنا على واحد لأنّ واحد اسم فاعل لا يفيد التمكّن٠٠٠فإذا قيل(اللَّهُ أَحَدٌ) فالمراد أنّه متفرّد بالألوهية ، وإذا قيل : الله واحد فالمراد أنّه واحد لا متعدد فمن دونه ليس بإله٠٠٠فلمّا أريد في صدر البعثة النبوية إثبات الوحدة الكاملة لله تعليمًا للناس كلّهم وإبطالًا لعقية الشرك وُصِف الله في هذه السورة بـ(أحد) ولم يوصف بـ(واحد) لأنّ الصفة المشبّهة نهاية ما يمكن به تقريب معنى وحدة الله إلى أهل اللسان العربي المبين ، وقال ابن سينا في تفسير له لهذه السورة إنّ (أحد) دالٌّ على أنّه واحد من جميع الوجوه٠٠٠قلتُ : قد فهم المسلمون هذا فقد ورد أنّ بلالًا كان إذا عُذِّب على الإسلام يقول : أحد أحد ، وكان شعار المسلمين يوم بدر : أحد أحد))[(٢)]

وقد يفرّق بين الأحد والواحد من وجوه :

---

(١) الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ٣٣/٢

(٢) التحرير والتنوير ٥٣٧/٣-٥٣٨

أحدها : أنّ الواحد يستعمل وصفًا مطلقًا ، والأحد يختصّ بوصف الله تعالى نحو قوله تعالى : (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ){الإخلاص : ١}

والثاني : أنّ الواحد أعمّ موردًا ؛ لأنّه يطلق على من يعقل وغيره ، والأحد لا يطلق إلّا على من يعقل

والثالث : أنّ الواحد يجوز أن يُجعَل له ثان ؛ لأنّه لا يستوعب جنسه بخلاف الأحد ألا ترى أنّك لو قلت : فلان لا يقاومه واحد ، جاز أن يقاومه اثنان أو أكثر

والرابع : أنّ الواحد يدخل في الحساب والضرب والعدد والقسمة والأحد يمتنع دخوله في ذلك

والخامس : أنّ الواحد يؤنّث بالتاء ، والأحد يستوي فيه المذكّر والمؤنّث

والأحد الفرد الذي لا يتجزّأ ولا يقبل الانقسام[١]

٢٦-الإحصاء والعدّ :قال تعالى : (وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا){النحل : ١٨}{إبراهيم : ٣٤}

((أحصيتُ الشيء : إذا أعددته وأطقته)) [٢] و((الإحصاء : التحصيل بالعدد ، وقوله تعالى : (وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا){الجن : ٢٨} أي : حصله وأحاط به ، وروي : استقيموا ولن تُحصوا ، أي : لن تُحصِّلوا ذلك)) [٣] وقال الفيروزآبادي : ((ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، وقوله صلى الله عليك في

---

(١) ينظر : فروق اللغات

(٢) مقاييس اللغة ص ٢١٢ .

(٣) المفردات ص ١٢٧ .

الأسماء الحسنى : من أحصاها دخل الجنة [١] قيل : أي : من عدَّها وقرأها ، وقيل : من حفظها وضبطها ، وقيل : من عرَفها وعرَف معناها ، وقيل : من تخلّق بها حسب الطاقة البشرية ، وقوله : استقيموا ولن تُحصُوا [٢] أي : لن تحصّلوا ذلك ، ووجه تعذّر إحصائه وتحصيله ، هو أنَّ الحق واحد والباطل كثير ، بل الحق بالإضافة إلى الباطل كالنقطة بالإضافة إلى أجزاء الدائرة ، وكالمَرْمَى من الهدف ، وإصابة ذلك صعب عسير)) [٣]

فصفوة ما تقدَّم ذكره أنَّ الإحصاء لا يعني عدَّ الشيء فحسب ، بل عدُّه ، وتحصيله ، والإحاطة به ومعرفة تفاصيل المعدود وجزئيّاته ، فإذا قيل لمدير إعدادية : كم يبلغ عدد الطلاب ؟ فقال مثلا ٩٠٠طالب ، فهذا هو العدّ ، لكن إذا أضاف فقال : عدد طلاب الرابع منهم كذا ، والخامس كذا، والسادس كذا ، وعد الذكور منهم كذا ، والإناث كذا ، وعدد المتزوجين من الذكور كذا ، ومن الإناث كذا ، فهذا التفصيل يُعدُّ شيئًا من الإحصاء

٢٧–ا**الأحفاد والأسباط والقبائل : الأحفاد** : ((الحَفْدُ : الخفّة في العمل والخدمة٠٠٠وفي سورة القنوت : وإليك نَسعى ونحفد ، أي : نخف في مرضاتك ، والاحتفاد : السرعة في كلِّ شيء وقوله عزّ وجلّ (بَنِينَ وَحَفَدَةً){النحل : ٧٢} يعني البنات ، وهنّ خدم الأبوين في البيت ، ويقال : الحَفَدَة : ولد الولد ، وعند العرب الحفدة الخدم))[٤]

و((الحفدة : الأعوان٠٠٠والسرعة إلى الطاعة حَفْدٌ٠٠٠ويقال في قوله تعالى : (بَنِينَ وَحَفَدَةً){النحل : ٧٢} إنّهم الأعوان وهو

---

(١) من حديث أخرجه الشيخان والترمذي .

(٢) الحديث أخرجه أحمد .

(٣) بصائر ذوي التمييز ١٢٨/٢–١٢٩ .

(٤) العين ص ١٩٨–١٩٩

الصحيح))[1]((قال تعالى : (بَنِينَ وَحَفَدَةً){النحل : ٧٢} جمع حافد وهو المتحرّك المتبرّع بالخدمة أقارب كانوا أو أجانب ، قال المفسّرون هم الأسباط ونحوهم وذلك أنّ خدمتهم أصدق وفلان محفود ، أي : مخدوم وهم الأختان والأصهار))[2]

((وقال المفسرون : هم الأسباط ، يعنون أولاد الأولاد ، وقال آخرون : هم الأختان والأصهار ، وكأنّهم رأوا أنّ خدمة هؤلاء أصدق من خدمة غيرهم ؛ فلذلك خصّوهم بالمثال)) [3]

قال الطبري في تفسير قوله تعالى : (وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً){النحل : ٧٢} ((اختلف أهل التأويل في المعنيين بالحفدة فقال بعضهم : هم الأختان ، أختان الرجلعلى بناته...

وقال آخرون :هم أعوان الرجل وخدمه...

وقال آخرون : هم ولد الرجل وولد ولده...

وقال آخرون : بنو امرأة الرجل من غيره...

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : إنّ الحفدة في كلام العرب : جمع حافد...والحافد في كلامهم : هو المتخفف في الخدمة والعمل...وإذا كان معنى الحفدة ما ذكرنا من أنّهم المسرعون في خدمة الرجل المتخففون فيهاوكان الله تعالى : ذكرُه أخبرنا أنّ مما أنعم به علينا أن جعل لنا حفدة تحفد لنا...وإذا كان ذلك كذلك فلكلّ الأقوال التي ذكرنا وجه في الصحّة ومخرج في التأول))[4]

---

(1) مقاييس اللغة ص ٢١٨

(2) المفردات ص ١٢٩

(3) عمدة الحفّاظ ٤٣٠/١

(4) جامع البيان ١٧١/١٤-١٧٦

ولا شكّ في أنّ أقرب المعنيين بالحفدة هم أبناء الأبناء ، فهم ألصق من غيرهمبوالدَيهم ووالدَي والدَيهم وأكثر رغبة وحرصًا من غيرهم بخدمتهم

-**الأسباط** :((السَّبْطُ : نبات كالثيِّل يَنبتُ في الرمال له طول ، الواحدة سَبَطَة ، ويُجمَع على أسباط٠٠٠والسَّبْط من أسباط اليهود بمنزلة القبيلة من قبائل العرب ، وكانوا بنو إسرائيل اثني عشر سِبْطًا ، عدد بني إسرائيل ، وهم بنو يعقوب بن إسحاق ، لكلّ ابن سِبْط من ولده٠٠٠وإنّه لَسبط الأصابع ، أي : طويلها))[1]((والسين والباء والطاء أصل يدلُّ على امتداد٠٠٠ويقال : أسبطَ الرجل إسباطًا ، إذا امتدَّ وانبسط))[2]و((أصل السِّبْط انبساط في سهولة٠٠٠٠والسِّبْط ولد الولد كأنّه امتداد الفروع قال تعالى : (وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ){البقرة : ١٣٦} أي : قبائل كلّ قبيلة من نسل رجل أسباطًا أمما))[3] ((وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ) السبط الحافد ، وكان الحسن والحسين سبطي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، والأسباط حفدة يعقوب ذراري أبنائه الإثني عشر))[4]

و((قوله تعالى : (وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ){البقرة : ١٣٦}جمع سبط ، وهم في بني إسرائيل كالقبائل في العرب ، وأحسن منه ما قاله الأزهري: الأسباط في ولد إسحاق والقبائل في ولد إسماعيل ؛ فعلوا ذلك تفرقة بين أولاد الآخرين ، أعني إسحاق وإسماعيل، ولكنّ الأسباطإنّما هم أولاد يعقوب بن إسحاق ،

---

(١) العين ص ٤٠٦

(٢) مقاييس اللغة ص ٤٢٧

(٣) المفردات ص ٢٢٩

(٤) مدارك التنزيل ص ٨٠

واشتقاق ذلك من الامتداد والتفريع ؛ لأنّ السبط ولد الولد ، فكأنّ النسب امتدّ وانبسط وتفرّع))[1]

وقيل : ((السبط ولد الولد ، وقيل : ولد الابن والابنة ، وفي الحديث : الحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، رضي الله عنهما ٠٠٠والسبط من اليهود كالقبيلة من العرب ، وهم الذين يرجعون إلى أب واحد ، سُمِّي سبطًا ليفرَّق بين ولد إسماعيل وولد إسحاق وقوله عزّ وجلّ : (وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا){الأعراف : ١٦٠}٠٠٠والأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من العرب)) [2]

فالأسباط هم أبناء الأبناء من دون أبناء البنات ؛ لأنّ المراد الذين يرجعون إلى أب واحد ، وقد نصّ القرآن الكريم أنّ هذا الأب هو يعقوب عليه السلام ، وأنّ الاثني عشر سبطًا هم من أبناء أبنائه الاثني عشر ، وهذا هو الذي ثبت في كلام الله في الشواهد القرآنية ، ولا عبرة بعد ذلك بكلام من خالف هذه الحقيقة ، أمّا إطلاق السبط على ابني بنت رسول الله صلى الله عليه وسلّم كما جاء في الحديث فهو من باب التوسع والتجوّز في معناه ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فأنّه عليه الصلاة والسلام سماهما وعدّهما سبطيه ؛ لأنّه أراد أن النسب إليه سيمتدّ وينتشر وينبسط عن طريقهما ، وهذا ما حصل

فإذا كان المراد من الأسباط أبناء الأبناء ، والمراد أيضًا من الأحفاد أبناء الأبناء فما الفرق بينهما ؟ والجواب أنّ التفريق بينهما يكون من خلال مراعاة المعنى الأصلي لتسمية كلٍّ منهما ، فإذا أريد معنى امتداد النسب وانتشاره استُعمل الأسباط كما جاء في قوله تعالى : (وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ

([1]) عمدة الحفّاظ ١٦٧/٢

([2]) لسان العرب ١١١/٧

أَسْبَاطًا أُمَمًا){الأعراف : ١٦٠} وقوله تعالى : (وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ){البقرة : ١٣٦} فالمراد كما هو واضح امتداد النسب وتفرّعه ، وإذا أريد معنى الخدمة والأعوان استُعمل الأحفاد ، كما جاء في قوله تعالى : (بَنِينَ وَحَفَدَةً){النحل : ٧٢} وهذا ما أكّده أهل التفسير ، وتأمّل كيف أنّ القرآن الكريم قرن الحفدة بالبنين فقال :(بَنِينَ وَحَفَدَةً){النحل : ٧٢} ولم يقرن الأسباط بالبنين ، ويقل : بنين وأسباط ؛ لأنّ المرء يتقوّى ببنيه وخدمتهم وخدمة بنيهم له ، فهناك تناسق وانسجام بين البنين والحفدة ، ولا تجد ذلك بين البنين والأسباط

٢٨-**الأحلام والرؤى** :((الحُلْم بالضمّ : ما يراه النائم ، تقول منه : حَلَمَ واحتلم٠٠٠والحِلْمُ بالكسر : الأناة ، تقول منه حَلُمَ الرجل بالضمّ)) [١]

((ورأى في منامه رؤيا على فُعْلى بلا تنوين وجمع الرؤيا رُؤى)) [٢]((والرؤيا : ما يُرى في المنام وهو فُعْلى٠٠٠وروي : لم يبق من مبشّرات النبوّة الّا الرؤيا))[٣]

فالرؤى من مبشرات النبوّة ، وليست الأحلام كذلك ، بل هي أضغاث كما جاء وُصفها في القرآن الكريم قال الله تعالى : (قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ){يوسف : ٤٤}((أي : هي أضغاث أحلام ، أي : تخاليطها وأباطيلها وما يكون من حديث نفس أو وسوسة شيطان))[٤]وقد اتّهم المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلّم بأنّ ما يدعيه من الوحي هوتخاليط أحلام قال تعالى : (بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ){الأنبياء : ٥}

---

(١) الصحاح ص ٢٥٨

(٢) الصحاح ص ٣٨٢

(٣) المفردات ص ٢١٧

(٤) مدارك التنزيل ص ٥٣٢

فالأحلام استعملت في القرآن الكريم بهذه الدلالة ، أمّا الرؤيا فعلى العكس من ذلك فقد استعملت على أنّها نوع من الوحي ، قال الله تعالى : (وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ){الصافات : ١٠٥} وقال تعالى : (لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ){الفتح : ٢٧}

فـ((الحلم والرؤيا كلاهما ما يراه الإنسان في المنام لكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن ، والحلم : ما يراه من الشر والشيء القبيح ، ويؤيده الحديث : الرؤيا من الله والحلم من الشيطان)) [١]

٢٩–الإخبات والخضوع والضراعة : الإخبات : الإخبات هو الاطمئنان ، وأصله من الخبت وهو المكان المنخفض من الأرض كالغائط وقوله تعالى : (وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ){هود : ٢٣}أي : اطمأنّوا وسكنت نفوسهم ومنه قوله تعالى : (فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ){الحج : ٥٤} ويُعبّر بذلك عن اللين والتواضع))[٢]

–**الضراعة** : الضعف والاستكانة والذلّ واللين[٣]قال تعالى : (فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا){الأنعام : ٤٣}

وفرّق العسكري : ((بين الخضوع والإخبات أنّ المخبت هو المطمئنّ بالإيمان ، وقيل : هو المجتهد بالعبادة ، وقيل : الملازم للطاعة والسكون ، وهو من أسماء الممدوح مثل المؤمن والمتقي ، وليس كذلك الخضوع ؛ لأنّه يكون مدحًا وذمًّا ، وأصل الإخبات أن يصير إلى خبت تقول : أخبت إذا صار إلى خبت وهو الأرض المستوية الواسعة ، كما تقول : أنجد إذا صار

---

(١) فروق اللغات ص ١١٥–١١٦

(٢) عمدة الحفّاظ ٤٨٢/١

(٣) ينظر : المفردات ص ٣٠٦ وعمدة الحفّاظ ٣٧٦/٢

إلى نجد ، فالإخبات على ما يوجبه الاشتقاق هو الخضوع المستمر على استواء))[1]

٣٠-الاختلاف والتفاوت : فرّق العسكري ((بين الاختلاف والتفاوت أنّ التفاوت كلّه مذموم ، ولهذا نفاه الله عن فعله فقال تعالى : (مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ){الملك : ٣} ومن الاختلاف ما ليس بمذموم ألا ترى قوله تعالى : (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ){البقرة : ١٦٤} فهذا الضرب من الاختلاف يكون على سنن واحد ، وهو دالٌّ على علم فاعله ، والتفاوت هو الاختلاف على غير سنن ، وهو دالٌّ على جهل فاعله)) [2]

٣١-الإخراج والإظهار والإنبات : قال الله تعالى : (وَاللّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ){البقرة : ٧٢} والإظهار نقيض الكتمان ، والإخراج نقيض الإدخال ، والقلب كالوعاء يدخل المرء أسراره فيه ، ثم يكتمها ويسترها بمعنى لا يكشف عنها ويظهرها ، والله سبحانه وتعالى يفعل ما هو أعظم من كشف أسرارهم ، وهو إخراجها من مقرها في القلوب .

وقال الله تعالى : (وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ){البقرة : ٢٢}والمراد الإخراج بعينه ، ولو قيل : فأنبت به من الثمرات رزقًا لكم لأفاد تذكيرنا بمراحل نمو النبات من بدء كونه حبة وبذرة إلى أن صارت شجرة مثمرة ، فلمَّا لم يكن المراد هذا ، وإنَّما تذكيرنا بالمُحَصَّل النهائي الناتج من نعمة إنزال الماء من السماء استعمل الإخراج لا الإنبات

---

(١) الفروق اللغوية ص ٢٨٠-٢٨١

(٢) الفروق اللغوية للعسكري ص ١٧٦-١٧٧

وقال : (فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ) وإذا قُصِد تذكير الإنسان بمعنى نمو شيء ومراحل تطوره استعمل الإنبات لا الإخراج كما جاء هذا في قوله تعالى : (وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا){نوح : ١٧} فاستعمل الإنبات للحاجة إلى معناه في سياق هذه الآية ، لأنَّه أراد التنبيه على ((أنَّ الإنسان هو من وجه نبات ، من حيث إنَّ بدأه ونشأه من التراب ، وأنَّه ينمو نموه))[١]

فالفرق واضح بين الإخراج والإظهار والإنبات ، فالخروج هو النفاذ عن الشيء ، وإخراجه من مقره وهو نقيض الدخول[٢]

والظهور : بروز الشيء وانكشافه[٣]والنبات والإنبات يدل على نماء في مزروع ثم يستعار [٤]

٣٢–الإخفاء والحجاب والستر والغشاء والغطاء ، والكتمان ، والكنّ :

–**الكتمان والإخفاء** : فرّق العسكري ((بين الكتمان والإخفاء أنّ الكتمان هو السكوت عن المعنى وقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ){البقرة : ١٥٥٩} أي : يسكتون عن ذكره ، والإخفاء يكون في ذلك وغيره ، والشاهد أنّك تقول : أخفيتُ الدرهم في الثوب ، ولا تقول : كتمتُ ذلك ، وتقول : كتمتُ المعنى وأخفيته ، فالإخفاء أعمّ من الكتمان)) [٥]

---

(١) المفردات ص ٥٠٢

(٢) ينظر : العين للفراهيدي ص ٢٣٦ ومقاييس اللغة ص ٢٥٤ ، والمفردات للراغب ص ١٥١

(٣) ينظر : مقاييس اللغة ص ٥٥٤ .

(٤) ينظر : مقاييس اللغة ص ٨٨٠.

(٥) الفروق اللغوية ص٣٢١

قال تعالى : (وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ){البقرة : ٣٣} فجعل الكتمان الذي يعني السكوت عن الشيء ، يقابل الإبداء الذي يعنى إظهار الشيء ظهورًا بيّنًا

-**الكنّ والستر** : فرّق العسكري ((بين قولك : سترته وبين قولك : كننته : أنّ معنى كننتُه : صنتُه ، وقيل : الدر المكنون ؛ لأنّه في حُق يصان فيه ، وجارية مكنونة في الحجاب ، أي : مصونة قال الأعشى من السريع : وبيضة في الدِّعص مكنونة ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠

والبيضة ليست بمستورة ، وإنّما هي مصونة عن الترجرج والانكسار ، وأكننتُ الشيءَ في تفسي : إذا صنتُه عن الأداء٠٠٠وفي القرآن : (وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ){النمل : ٧٤}))[١]

وفرّق ((بين الغطاء والستر : أنّ الستر ما يسترك عن غيرك وإن لم يكن ملاصقًا لك مثل الحائط والجبل ، ألا ترى أنّك تقول : تستَّرْتُ بالحيطان ، ولا تقول : تغطيتُ بالحيطان ، وإنّما تغطيتُ بالثياب ؛ لأنّها ملاصقة لك والغشاء أيضًا لا يكون إلّا ملاصقًا))[٢]

والشاهد في الستر الذي يستر عن غيرك ولا يكون ملاصقًا قوله تعالى : (حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا){الكهف : ٩٠}

والشاهد في التغطية التي تكون ملاصقة قوله تعالى : (كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا){الكهف : ١٠١}وقوله تعالى : (لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ){ق : ٢٢}

---

(١) الفروق اللغوية ص٣٢١-٣٢٢

(٢) الفروق اللغوية ص٣٢٢

والشاهد في الغشاء قوله تعالى : (فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ){طه : ٧٨}فالغشاء أبلغ من التغطية ؛ لذلك جعله من أسماء القيامة قال تعالى : (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ){الغاشية : ١}

–**السرُّ والكتمان** : ((الكتمان : ستر الحديث يقال : كتمته كتمًا وكِتمانًا٠٠٠فال تعالى : (وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ){البقرة : ٢٨٣}))[١] و((قيل : المكتوم يختصّ بالمعاني كالأسرار والأخبار ؛ لأنّ الكتمان لا يستعمل إلّا فيهما ، والمستور يختصّ بالجثث والأعيان ؛ لأنّ الأصل في الستر تغطية الشيء بغطاء ، ثمّ استعمل في غيرها تجوّزًا٠٠٠ويؤيده عبارة الدعاء٠٠٠: ولا تبرز مكتومي ولا تكشف مستوري))[٢]

–**الستر والحجاب والغطاء** : فرّق العسكري بينها ((أنّك تقول : حجبني فلان عن كذا ، ولا تقول : سترني عنه ولا غطّاني ، وتقول : احجبتُ بشيء كما تقول : تستّرْتُ به ، فالحجاب هو المانع والممنوع به ، والستر هو المستور به٠٠٠ألا ترى أنّك لا تقول لمن منع غيره من الدخول إلى الرئيس داره من غير قصد المنع له : إنّه حجبه ، وإنّما يقال : حجبه إذا قصد منعه ، ولا تقول : احتجبتُ بالبيت إلّا إذا قصدتَ منع غيرك عن مشاهدتك ، ألا ترى أنّك إذا جلستَ في البيت ولم تقصد ذلك لم تقل : إنّك قد احتجبتَ ، وفرق آخر أنّ الستر لا يمنع من الدخول على المستور والحجاب يمنع))[٣]

فـ((الحجب والحجاب المنع من الوصول٠٠٠وقوله تعالى : (وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ){الأعراف : ٤٦} ليس يعني به ما يحجب البصر ، وإنّما يعني ما

---

(١) المفردات ص ٤٤٤

(٢) فروق اللغات ص ١٥٠–١٥١

(٣) الفروق اللغوية ص٣٢٢

يمنع من وصول لذة أهل الجنة إلى أهل النّار، وأذيّة أهل النّار إلى أهل الجنّة))[1] ومن ذلك قوله تعالى : (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا){الإسراء : ٤٥}

فالحجاب يعني المنع من الوصول ، والستر يعني ستره من الرؤية والمعنى : ((حجابًا لا يُرى فهو مستور))[2]

٣٣-الإدُّ والإمر والعجب :الإدُّ : هو ((الأمر العظيم ، قال الله تعالى : (لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا){مريم : ٨٩} أي : عظيمًا))[3]((أي : أمرًا مُنكرًا يقع فيه جَلَبَة))[4]وقد ورد الإدّ في القرآن الكريم في موضع واحد هو الموضع المذكور

الإمر :((العجب كقوله تعالى : (قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا){الكهف : ٧١}))[5] ((أي : مُنْكَرًا))[6] وقد ورد الإمر في القرآن الكريم في موضع واحد هو الموضع المذكور

العجب : ((العُجْب (بضم العين وسكون الجيم) وهو أن يتكبّر الإنسان في نفسه تقول : هو مُعْجَبٌ بنفسه ، وأمر عجيب ، وذلك إذا استُكْبِرَواستُعْظِمَ ، قالوا : وزعم الخليل أنّ بين العجيب والعَجَب فرقًا ، فأمّا العجيب والعَجَب مثله فالأمر يُتَعَجَّبُ منه ، وأمّا العُجاب فالذي يجاوز حدّ العجيب قال :وذلك مثل الطويل والطُّوال ، فالطويل في النّاس كثير ،

---

(1) المفردات ص ١١٣

(2) مدارك التنزيل ص ٦٢٥

(3) مقاييس اللغة ص ١٠-١١

(4) المفردات ص ١٨

(5) مقاييس اللغة ص ٥٣-٥٤

(6) المفردات ص ٣٠

والطُّوال : الأهوج الطول))[1] و((العَجَبُ والتعجّب حالة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب الشيء ، ولهذا قال بعض الحكماء : العَجَبُ ما لا يُعْرَف سببه))[2]

وفرّقالعسكري ((بين العجب والإمْر : ((أنّ الإمْر العجب الظاهر المكشوف ، والشاهد أنّ أصل الكلمة الظهور ، ومنه قيل للعلامة : الأمارة لظهورها وفي القرآن الكريم : (فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا){الكهف : ٧١}))[3]فالإمر هو العجب الظاهر ، وخرق السفينة التي ركبها الخضر وموسى عليهما السلام منكر ظاهر ؛ لأنّه جاء عقيب إحسان صاحب السفينة لهما بالركوب في السفينة ، لذلك عجب موسى عليه السلام من ذلك عجبًا ظاهرًا فعبّر عنه بالإمر

وفرّق ((بين العجَب والإدّ ، أنّ الإدَّ العجَب المُنكَر...فالإدُّ : العجَب الذي خَرَجَ عمّا في العادة من أمثاله))[4] وأنكر الأمور والأقوال أن تَجْعل لله ولدًا ؛ لذلك استعمل الإدّ في قوله تعالى : (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا){مريم : ٨٨-٩٣}

---

(١) مقاييس اللغة ص ٦٤٥

(٢) المفردات ص ٣٣٤

(٣) الفروق اللغوية ص ٢٨٨

(٤) الفروق اللغوية ص ٢٨٨

فالإمر : العجب الظاهر يكون للأمور المنكرة الظاهرة ، والإدّ : أشدّ العجب ويكون للمنكر البشع الذي خرج عن المألوف والعرف والعادة ، أمّا العجب فيكون لما كان دون ذلك ، أي : للمنكر الاعتيادي لذلك استعمل العَجَب ومشتقاته في مواضع عديدة ، كقوله تعالى : (أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ){يونس : ٢} واستعمل كلًّا من الإدّ والإمر مرة واحدة

٣٤-**الإدراك والرؤية** : قال الله تعالى :(لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ){الأنعام : ١٠٣} قال الطبري : ((اختلف أهل التأويل في تأويل قوله : (لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ) فقال بعضهم : معناه : لا تحيط به الأبصار ، وهو يحيط بها ... واعتلّ قائلو هذه المقالة لقولهم هذا بأن قالوا : إنَّ الله قال : (حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ) قالوا : فوصف الله تعالى ذكره الغرق بأنَّه أدرك فرعون ، ولا شك أنَّ الغرق غير موصوف بأنَّه رآه ، ولا هو مما يجوز وصفه بأنَّه يرى شيئًا ، قالوا : فمعنى قوله : (لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ) بمعنى : لا تراه ، بعيد ؛ لأنَّ الشيء قد يدرك الشيءَ ولا يراه)) [1]

وقال الزجاج : ((وقوله عز وجل : (لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ) أعْلَمَ عز وجل أنَّه يدرك الأبصار ، وفي هذا الإعلام دليل على أنَّ خلقه لا يدركون الأبصار ، أي : لا يعرفون كيف حقيقة البصر ، وما الشيء الذي صار به الإنسان يُبصر بعينيه دون أن يبصر من غيرهما من سائر أعضائه ، فأعلم أنَّ خلقًا من خلقه لا يدرك المخلوقون كنهه ، ولا يحيطون بعلمه فكيف به عز وجل ، فالأبصار لا تحيط به ، فأمَّا ما جاء من الأخبار في الرؤية وصحّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغير مدفوع ، وليس في هذه الآية دليل على دفعه ؛ لأنَّ معنى هذه الآية معنى

---

(1) جامع البيان ٣٤٨/٧.

إدراك الشيء ، والإحاطة بحقيقته ، وهذا مذهب أهل السنة والعلم والحديث))[١]

وقال الواحدي : ((قوله : (لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ) الإدراك : الإحاطة بكنه الشيء وحقيقته ، وهو غير الرؤية ؛ لأنَّه يصحّ أن يقال : رآه وما أدركه ، فالأبصار ترى الله عز وجل ، ولا تحيط به ، كما أنَّ القلوب تعرفه ولا تحيط به ... وعلى هذا التفسير نقول : إنَّ البارئ سبحانه يُرى ولا يُدرَك ؛ لأنَّ معنى الإدراك : الإحاطة بالمرئي ، وإنَّما يجوز ذلك على من كان محدودًا وله جهات)) [٢] فنحن مثلًا نرى القمر ويمكن لأبصارنا أن تحيط به ، فنرى حدوده وجهاته ، وكذلك نرى السماء لكننا لا نرى حدودها وجهاتها فلا تحيط أبصارنا بها .

وجعل الإدراك بمعنى الرؤية أعطى للمعتزلة الحجة على أنَّ الله سبحانه ((متعال أن يكون مُبصَرًا)) [٣] وأنَّه لا يُرى لا في الدنيا ولا في الآخرة ، قال ابن عطية : ((أجمع أهل السنة على أنَ الله تعالى يُرى يوم القيامة ، يراه المؤمنون ... وكان الإمام أبو عبد الله النحوي يقول : مسألة العلم حلقتْ لحى المعتزلة ، ثم ورد الشرع بذلك ، وهو قوله عز وجل : (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ {٢٢} إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ){القيامة : ٢٢-٢٣} وتعدية النظر يأتي إنَّما هو في كلام العرب لمعنى الرؤية لا لمعنى الانتظار على ما ذهبت إليه المعتزلة ، وذكر هذا المذهب لمالك فقال : فأين هم عن قوله تعالى : (كَلا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ){المطففين : ١٥} ... ومنه قول النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فيما صحَّ عنه وتواتر وكثر نقلُه : إنكم ترون ربكم يوم القيامة

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢/٢٢٥

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٢/٣٠٦-٣٠٧

(٣) الكشاف ٢/٥٢ .

كما ترون القمر ليلة البدر ونحوه من الأحاديث على اختلاف ترتيب ألفاظها ، وذهبت المعتزلة إلى المنع من جواز رؤية الله تعالى يوم القيامة ... وتمسكوا بقوله تعالى : (لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ) وانفصل أهل السنة عن تمسكهم بأنَّ الآية مخصوصة في الدنيا ، ورؤية الآخرة ثابتة بأخبارها ، وانفصال آخر وهو أن يُفرَّق بين معنى الإدراك ومعنى الرؤية ، ونقول : إنَّه عز وجل تراه الأبصار ولا تدركه ، وذلك الإدراك يتضمن الإحاطة بالشيء والوصول إلى أعماقه وحوزه من جميع جهاته)) [١]

وقال البيضاوي : (((لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ) أي : لا تحيط به ... واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف ؛ إذ ليس الإدراك مطلق الرؤية)) [٢] وقال النسفي : ((وتشبُّث المعتزلة بهذه الآية لا يستتب ؛ لأنَّ المنفي هو الإدراك لا الرؤية ، والإدراك هو الوقوف على جوانب المرئي وحدوده ، وما يستحيل عليه الحدود والجهات يستحيل إدراكه لا رؤيته)) [٣] وقال أبو حيان الأندلسي : (((لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ) الإبصار قيل : معناه : الإحاطة بالشيء ، وبذلك فسَّره هنا ابن عباس ، وقتادة ، وعطية العوفي ، وابن المسيب ، والزجاج ... ولا تنافي الرؤية انتفاء الإدراك ... (وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ) دلالة على أنَّ الإدراك لا يراد به هنا مجرد الرؤية ؛ إذ لو كان مجرد الرؤية لم يكن له تعالى بذلك اختصاص ولا تمدح ؛ لأنَّا نحن نرى الأبصار ، فدلّ على أنَّ معنى الإدراك الإحاطة بحقيقة الشيء ، فهو تعالى لا تحيط بحقيقته الأبصار ، وهو محيط بحقيقتها)) [٤]

---

(١) المحرر الوجيز ٣٣٠/٢.

(٢) أنوار التنزيل ١٧٦/٢ .

(٣) مدارك التنزيل ص ٣٣٦.

(٤) البحر المحيط ٢٥٢/٤.

((وعن عكرمة أنَّه قيل له : (لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ) قال : ألست ترى السماء ؟ قال : بلى ، قال : فكلّها ترى ؟!)) [١]

٣٥-أدلى دلوه ودلى دلوه : قال الجوهري : ((ودلوتُ الدلوَ : نزعتها ، وأدليتها : أرسلتها في البئر لتمتلئ ، وقد جاء في الشعر الدالي بمعنى المدلي)) [٢] وقد أخذ ابن سيده بما أجاز الجوهري مجيئه في الشعر فقال : ((ودلوتها ، وأدليتها : إذا أرسلتها لتستقي بها ، وقيل : أدلاها ليستقي بها ، ودلاها : جبذها ليخرجها))[٣] وكذلك الفيروزآبادي فقد قال في قاموسه : ((ودلَوْتُ وأدليتُ : أرسلتها في البئر ، ودلاها جبذها ليخرجها)) [٤] والحقيقة أنّ قول الجوهري : ((وقد جاء في الشعر الدالي بمعنى المدلي)) يعني أنّه جعل استعمال دلوتها بمعنى أدليتها مقصورًا على الشعر ، فيدخل ضمن الضرورات الشعرية ؛ لذلك أجمع أهل اللغة على أنّ أدليتُ الدلو بمعنى أرسلتها في البئر ، ودلوتها بمعنى أخرجتها من البئر ، قال الخليل : ((وأدليتها في البئر ، وقول الله عز وجل : (فَأَدْلَى دَلْوَهُ){يوسف : ١٩} ودلوتها : ملأتها ونزعتها من البئر ملأى))[٥] وقوله : وأدليتها في البئر : يعني : أرسلتها في البئر ، فهذا معنى : أدليتها ، ودلوتها : نزعتها من البئر ملأى ، وقال الزجاج : ((ومعنى تدلوا في اللغة ، إنَّما أصله من أدليتُ الدلو : إذا أرسلتها لِلْمَلْء ، ودلوتها إذا أخرجتها ، ومعنى : أدلى لي فلان بحجته : أرسلها وأتى بها على صحّة ، فمعنى : (وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ)

---

[١] تفسير القرآن العظيم ٢٢٤/٣.

[٢] الصحاح ص ٣٥٠

[٣] المحكم ٤٢٧/٩

[٤] تاج العروس ، كلام الفيروزآبادي المكتوب باللون الأحمر ٣١/٣٨

[٥] العين ص ٣٠٢.

أي : تعملون على ما يوجبه الإدلاء بالحجّة ، وتخونون في الأمانة))[١] وقال الأزهري : ((يقال : أدليتُ الدلو : إذا أرسلتها في البئر لتملأها ، ودلوتها : إذا أخرجتها وجذبتها من البئر ملأى)) [٢] وقال ابن فارس : ((الدال واللام والحرف المعتل أصل يدلُّ على مقاربة الشيء ومداناته بسهولة ورفق ، يقال : أدليتُ الدلو : إذا أرسلتها في البئر ، فإذا نزعْتَ فقد دلَوْتَ ... ويقال : أدلى فلان بحجته : إذا أتى بها ، وأدلى بماله إلى الحاكم : إذا دفعه إليه ، قال جل ثناؤه : (وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ){البقرة : ١٨٨}))[٣] وجاء في اللسان : ((وأدليتها : إذا أرسلتها في البئر لتستقي بها ، ودلاها : جبذها ليخرجها)) [٤] فقد أجمع أهل اللغة على أنَّ أدلى الدلو يعني : أرسلها ، لا جبذها ، أو أخرجها

وفي قول الله تعالى : (فَأَدْلَى دَلْوَهُ){يوسف : ١٩} قال الراغب : ((دلَوْتُ الدَّلْوَ : إذا أرسلتُها ، وأدليتُها : أي : أخرجتُها ، وقيل يكون بمعنى أرسلتها)) [٥] وقال الفيروزآبادي : ((ودلوتُ الدلو : أرسلتُها في البئر ، وأدليتها : أخرجتها)) [٦] وما قاله الفيروزآبادي هو كلام الراغب نفسه ، والفيروزآبادي كثيرًا ما ينقل كلام الراغب ومن دون أن ينسبه إليه ، وهذا عيب ، وهناك عيب ثانٍ ، وهو أنّه ينقل عنه ما لم يصحّ ، وخلاف ما أثبته أهل اللغة والتفسير ، وهذا ما نبَّه عليه المحقق بقوله ((تبع في هذا الراغب ،

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٢٣/١.

(٢) تهذيب اللغة ١٢١٣/٢

(٣) مقاييس اللغة ص ٢٩٧ وينظر : المحكم لابن سيده ٤٢٧/٩

(٤) لسان العرب ٢٩٤/٥ .

(٥) المفردات ص ١٧٨ .

(٦) بصائر ذوي التمييز ٦٠٥/٢.

والذي في اللغة عكس ما قاله هنا ، فالإدلاء : إرسال الدلو في البئر ، ودلْوُها جذبها من البئر ، والمفسرون يجمعون في قوله تعالى : (فَأَدْلَى دَلْوَهُ){يوسف : ١٩} على أنَّ المراد إرسال الدلو في البئر ليملأها))[١] وهذا هو الذي أجمع عليه أهل اللغة كما تقدم وكذلك أهل التفسير ، قال ابن قتيبة : (((فَأَدْلَى دَلْوَهُ) أي : أرسلها ، يقال : أدلى دلوه : إذا أرسلها للاستقاء ، ودلى يدلو : إذا جذبها ليخرجها))[٢]وقال الزجاج : (((فَأَدْلَى دَلْوَهُ) يقال : أدليتُ الدلو : إذا أرسلتها لتملأها، ودلوتها : إذا أخرجتها)) [٣] وقال القرطبي : ((يقال : أدلى دلوه : أرسلها ، ودلاها : أخرجها)) [٤] وقال البيضاوي : (((فَأَدْلَى دَلْوَهُ) فأرسلها في الجُبِّ ليملأها فتدلّى بها يوسف ، فلما رآه : (قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلاَمٌ)))[٥] وقال الحلبي : ((قوله تعالى : (فَأَدْلَى دَلْوَهُ){يوسف : ١٩} أي : أرسل الدلو ، يقال : أدلى الدلو ، أي : أرسلها ، فدلاها ، أي : أخرجها)) [٦]

٣٦-الأرائك والسُّرُر : الأرائك : ((الأريكة : سرير في حجلة ، فالحجلة والسرير أريكة))[٧]((والحجلة : بالتحريك ، واحدة حِجال العروس ، وهي بيت يُزَيّن بالثياب والأسِرّة والستور))[٨] ((والأريكة سرير منجَّد مزيَّن في

---

(١) بصائر ذوي التمييز ٦٠٥/٢ هامش (٧)

(٢) تفسير غريب القرآن ص ٢١٤.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٧٨/٣.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٥٢/٢

(٥) أنوار التنزيل ١٥٨/٣ .

(٦) عمدة الحفاظ ٢١/٢ وينظر : الدر المصون ٤٥٦/٦

(٧) العين ص ٢٣

(٨) الصحاح ص ٢١٤

في قبة أو بيت ، فإذا لم يكن فيه سرير فهو حجلة ، والجمع الأرائك))[١]و((الأريكة حجلة على سرير جمعها أرائك))[٢]((والأريكة ما يُتَّكَا عليه ، عن الزهري ، وقال ثعلب : السرير في الحجلة فإن كان منفردًا فليس بأريكة))[٣]

السُّرُر : ((والسرير جمعه سُرُر))[٤]((والسرير الذي يُجلَس عليه من السرور ؛ إذ كان ذلك لأولي النعمة ، وجمعه أسِرّة وسُرُر))[٥] ((وفي الحديث : ملوك على الأسِرة))[٦]

يبدو أنّه قد بان الفرق بين الأرائك والسُّرُر ، وقد وردت الأرائك في خمسة مواضع منها قوله تعالى : (مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۚ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا){الكهف : ٣١}((خصّ الاتكاء ؛ لأنّه هيئة المتنعمين والملوك على أسرتهم))[٧]وقوله تعالى : (هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ){يس : ٥٦}

ووردت السُّرُر في ستة مواضع منها قوله تعالى : (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ){الحجر : ٤٧} (((وَنَزَعْنَا مَا فِي

---

(١) الصحاح ص ٣٨

(٢) المفردات ص ٢٠

(٣) عمدة الحفّاظ ٨٦/١

(٤) الصحاح ص ٤٨٩

(٥) المفردات ص ٢٣٦

(٦) عمدة الحفّاظ ١٨٩/٢

(٧) مدارك التنزيل ص ٦٥٠

صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ) وهو الحقد الكامن في القلب ، أي : إن كان لأحدهم غلٌّ في الدنيا على آخر نزع الله ذلك في الجنّة من قلوبهم وطيَّب نفوسهم))[1]

وقوله تعالى : (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ){الطور : ٩-٢٠} (((مُتَّكِئِينَ) حال من الضمير في كلوا واشربوا (عَلَىٰ سُرُرٍ) جميع سرير (مَّصْفُوفَةٍ) موصول بعضها ببعض (بِحُورٍ) جمع حوراء (عِينٍ) عظام الأعين حسانها))[2]

مما تقدّم يتبيّن أنّ الفرق بين الأرائك والسُّرُر أنّ الأرائك تكون عالية ومشرفة ، ولهذا جاء في الأولى من دون الثانية أنّهم عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ في موضعين في سورة المطففين في الآية ٣٥ (عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ){المطففين : ٣٥}وفي قوله تعالى : (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ){المطففين : ٢٢-٢٣} (((عَلَى الْأَرَائِكِ) الأسرّة في الحجال(يَنظُرُونَ) إلى كرامة الله ونعمه وإلى أعدائهم كيف يُعذَّبون))[3]

وقد ذكرتُ أنّ الأرائك وردت في خمسة مواضع والسُّرُر في ستة مواضع ، لكن في أحدها كانت تعني سُرُرَ الملوك في الدنيا وهو قوله تعالى : (وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ){الزخرف : ٣٣-٣٥} وعليه تكون سُرُرُ المؤمنين في الجنَّة وأرائكهم قد تساويا في عدد ورودهما في كتاب الله

---

(1) مدارك التنزيل ص ٥٨٢

(2) مدارك التنزيل ص ١١٧٤

(3) مدارك التنزيل ص ١٣٣١

٣٧-**الإرادة والمشيئة** : ذكر أهل اللغة أنَّ المشيئة هي الإرادة بعينها وأنَّ أكثر المتكلمين لم يفرقوا بينهما[١] بل بينهما فرق أساسي يمكن إيضاحه بما يأتي :

١-يتجلّى الفرق بينهما من خلال تعريف أهل اللغة أنفسهم لكل منهما فقد جاء في كتبهم في باب الشيء ، شئتُ الشيءَ أشاؤه شيئًا ومشيئة ، وكلّ شيء بشيئة الله أي : بمشيئة الله ، والشيء معلوم ، ويُطلَق على الموجود والمعدوم وجمعه أشياء ، فقد أكدوا أنَّ الشيء مصدر شاء ، والظاهر أنَّه مصدر بمعنى اسم المفعول ، أي : الأمر المشيء [٢] وعرفوا الإرادة بأنَّها تعني الطلب[٣] ((والفرق بين الطلب والإرادة أنَّ الإرادة قد تكون مضمرة لا ظاهرة ، والطلب لا يكون إلّا لما بدا بفعل أو قول ، وهل محلّ الإرادة الرأس أو القلب ، فيه خلاف))[٤] وقال الراغب : ((والمشيئة عند أكثر المتكلمين كالإرادة سواء ، وعند بعضهم : المشيئة في الأصل إيجاد الشيء وإصابته ، وإن كان قد يُستعمل في التعارف موضع الإرادة ، فالمشيئة من الله تعالى هي الإيجاد ، ومن الناس هي الإصابة ، قال : والمشيئة من الله تقتضي وجود الشيء ، ولذلك قيل : ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، والإرادة منه لا تقتضي وجود المراد ، لا محالة...ومشيئته لا تكون إلّا بعد مشيئته (أي : مشيئة الإنسان لا تكون إلّا بعد مشيئة الله) روي أنَّه لما نزل قوله تعالى : (لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ){التكوير : ٢٨} قال الكفار : الأمر

---

(١) ينظر : الصحاح للجوهري ص ٥٧٢ والمفردات للراغب ص ٢٨١ ولسان العرب ١٦٩/٨-١٧٠ وتاج العروس ٢٠٨/١-٢٠٩ .

(٢) ينظر : المصادر السابقة نفسها .

(٣) ينظر : العين ص ٣٧٦ ومقاييس اللغة ص ٣٦٠ ولسان العرب ٢٥٩/٦.

(٤) تاج العروس ٦٩/٨-٧٠.

إلينا إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم ، فأنزل الله : (وَمَا تَشَاؤُونَ إِلّا أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ){التكوير : ٢٩}))[١] وقال : ((والإرادة منقولة من راد يرود : إذا سعى في طلب شيء...وجُعِلَ اسمًا لنزوع النفس إلى الشيء مع الحكم فيه بأنَّه ينبغي أن يُفعَل أو لا يُفعَل...فإذا استعمل في الله فإنَّه أراد به المنتهى دون المبدإ فإنَّه يتعالى عن معنى النزوع ، فمتى قيل أراد الله فمعناه حكم فيه أنَّه كذا وليس بكذا))[٢]

فالمشيئة من الله تعني الإيجاد ومن الإنسان تعني الإصابة ، ومن هنا يتجلّى الفرق بين قولنا : شاء فلان الزنا ، وأراد فلان الزنا ، فالأول تعني إصابة الزنا ، وهذا يعني وقوعه وحصوله ، والثاني : إرادته وطلبه بمعنى نواه فلا يفيد وقوعه ولا حصوله

وقول الراغب : ((ولذلك قيل : ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن)) قد ورد في الحديث ، فعن بعض بنات النبي صلى الله عليه وسلم ، أنَّه قال لها : قولي حين تصبحين : سبحان الله وبحمده ، ولا قوة إلّا بالله ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، أعلم أنَّ الله على كل شيء قدير ، وأنَّ الله قد أحاط بكل شيء علمًا ، من قالهنَّ حين يصبح حُفِظ حتى يمسي ، ومن قالهنَّ حين يمسي حُفظ حتى يصبح[٣] وعن زيد بن ثابت أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم علمه دعاء ، وأمره أن يتعاهد به أهله كل يوم ، قل حين تصبح : لبيك اللهم لبيك...ما شئتَ كان وما لم تشأ لم يكن [٤]

---

(١) المفردات ص ٢٨١.

(٢) المفردات ص٢١٤.

(٣) جمع الفوائد ٤٩٩/٢.

(٤) جمع الفوائد ٥٠١/٢.

المشيئة والإرادة من الله : ذهب أهل اللغة إلى أنَّ المشيئة تعني الإرادة ، ففي نحو قولك : شاء الله كذا ، معناه عندهم : أراد الله كذا ، وليس الأمر ما ذهبوا إليه ، بل المعنى في الحقيقة : أوجد الله كذا ، وهذا ما صرح به الراغب بقوله المذكور ((فالمشيئة من الله تعالى هي الإيجاد ، ومن الناس هي الإصابة)) ولذا فإنَّ قوله صلى الله عليه وسلم : ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، لا يعني : ما أراده الله كان ، وما لم يرده لم يكن ، بل المعنى : ما أحدثه الله كان ، وما لم يحدثه لم يكن ، أو ما أنشأه الله كان ، وما لم ينشئه لم يكن ، وقد أجمعوا أيضًا على أنَّ الشيء كالمشيئة مصدر شاء ، فيكون معناه في الأصل والحقيقة وبعد التصرف بصيغة الفعل : ما شيَّأه الله كان وما لم يُشَيِّئْه لم يكن ، بمعنى : ما جعله الله شيئًا كان ، وما لم يجعله شيئًا لم يكن ، وبعد حذف ما جاز حذفه لدلالة السياق عليه ، يكون التقدير : ما شيَّأَ الله كان وما لم يُشَيِّئْ لم يكن ، وبعد إرجاع الفعل إلى صيغته التي كان عليها ، يصبح التقدير : ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وهو التركيب الذي جاء في الحديث ، وهذا القول الذي جاء في الحديث يقرر حقيقة واقعة أنَّ الإنسان لا يمكن له أن يُشَيِّئَ أمرًا إلّا إذا كان هذا الأمر قد شَيَّأه الله سبحانه ، لكنه يمكن أن يريد أمرًا لم يرده الله ، وهذه الإرادة الممكنة من الإنسان على قسمين ، الأول : أن يريد الشيءَ ولا يستطيع فعله ، كأن يريد الخلود في الدنيا ، لكنه لا يستطيع أن يُخَلِّد نفسه ؛ لأنَّ الخلود لم يشأْه الله ، وما لم يشأ لم يكن ، والثاني : أن يريد الشيءَ ويفعله ، كأن يريد الزنا ويزني ؛ لأنَّ الزنا مما شاءه الله ، أي : مما جعله الله شيئًا ، وما شاء الله كان ، فالإنسان وأفعاله جميعها خيرها وشرها من خلق الله ، فالإنسان لا يخلق أفعاله ، وإنَّما يكون السبب في حدوثها ، لذلك يثاب على فعل خيرها ، ويعاقب على فعل شرها .

فالمشيئة في قوله صلى الله عليه وسلم : ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، تشمل أمور الخير والشر جميعًا ، لأنَّ هذا هو الكائن ، فكما شاء الله الخير شاء الشر ، لكنه سبحانه شاء الأولَ وأراده لعباده ، وشاء الثاني ولم يرده لعباده ، فشاء ما شاء وأراد ما أراد لاختبار الناس ليميز مؤمنهم من كافرهم ، فالله سبحانه مثلًا شاء العدل والعفة والأمانة وأرادها ، وشاء الظلم ، والزنا ، والخيانة ، لكنه ما أرادها ، وشاء اليسر وأراده ، وشاء العسر ولم يرده ؛ لذلك قال سبحانه : (يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ){البقرة : ١٨٥} والمعنى : يريد الله بكم اليسر الذي شاءه ، وأراده ، ولا يريد بكم العسر الذي شاءه ، وما أراده ، وهذه إرادة ربانية تكون بعد المشيئة ، وهناك إرادة ثانية تكون قبل المشيئة وهي التي بها شاء ما شاء ، كما جاء في قوله تعالى : (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ){النحل : ٤٠} وقوله تعالى : (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ){يس : ٨٢} فقولنا مثلًا : شاء الله الشرّ وما أراده ، لا يعني أنّ الأشرار قادرون على فعل الشرّ من دون إرادة الله ، فما من شيء يمكن أن يحدث خارجًا عن إرادة الله سبحانه ، فلو أراد الله لمنع الظالمين من أن يظلموا ، لكنّه سبحانه لم يمنعهم لاختبارهم ، وليقيم الحجة عليهم يوم القيامة أنّه أدخلهم النار لظلمهم ، وليختبر المظلومين ويجازيهم على قدر صبرهم على ظلم الظالمين لهم

فالفرق كما قلنا بين المشيئة والإرادة جلي وأساسي ، فكيف يصح مثلًا أن نجعل قوله تعالى : (وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ) بمعنى : وما تريدون إلّا أن يريد الله ؟! لأنَّ الإنسان يمكن له أن يريد أمورًا كثيرة ، وإن كان الله سبحانه لا يريدها ؛ فالإرادة عمل قلبي ، وليس العبرة بما يريد ، وإنَّما بفعل ما يريد ، أي : العبرة بما يشاؤه لا بما يريده فيكون قوله تعالى : (وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ) معناه : وما تنشئون شيئًا إلّا أن ينشئه اللهُ ، بمعنى : وما تجعلون من شيء شيئًا إلّا ما يخلقه اللهُ ويجعله شيئًا .

-**المشـيئة والإرادة مـن الإنسـان :** مـن خـلال تعريـف أهـل اللغـة للمشيئة والإرادة اتضـح أنَّ شاء من الإنسان تعني الإصابة ، أمَّا أراد فتعني منه الطلب ، مع ملاحظة الفرق المذكور بينهما ((أنَّ الإرادة قد تكون مضمرة لا ظـاهرة ، والطلـب لا يكـون إلّا لمـا بـدا بفعـل أو قـول ، وهـل محـل الإرادة الرأس أو القلب ، فيه خلاف))[1] ولا يكون بين صاحب المشيئة وتحقيق ما شاء فاصل زمني ، ويكون بين الإرادة وإصابة المراد مهلة زمنية ، وهي من الإنسان قد تطول أو تقصر ، وقد لا يصيب الإنسان مراده عجزًا أو يعدل عنه لسبب ، لأنَّها منه تكون كمعنى نوى ، أمَّا شاء فإنَّها تعني منه جعل الشيء شيئًا .

وبما أنَّ المشيئة تعني إيجاد الشيء ، فهي تعني حصول المشيء ، والإرادة لا تعني حصول المراد بعد ؛ لأنَّ الإرادة تعني الطلب ، فهي كمعنى عزم ، أو نوى ، أو كمعنى حَكَمَ ولم ينفذ الحكم بعد ؛ لأنَّ المشيئة فعل حسي ، والإرادة فعل قلبي ، فالمشيئة من الإنسان تعنى اكتساب الشيء وحصوله ، والإرادة تعني طلب الشيء ، فيكون الفرق بينهما كالفرق بين الوجود والعدم ، فقولك : شاء فلان الزنا[2] يعني أنَّه زنا ، وقولك : أراد فلان الزنا ، يعني أنَّه لم يزن ، وإنَّما أراده وطلبه ، وقد يغير المرء رأيه ، فيعدل عن طلبه وعمَّا أراده ، أو يعجز عن فعله ؛ ولهذا فإنَّ الله سبحانه يحاسب من شاء الزنا ، وشرَّع جلده أو رجمه ، ولكن لا يحاسب من أراد الزنا ، ولم

---

(١) تاج العروس ٨/٦٩-٧٠.

(٢) جاز أن يقال : شاء الله الزنا ، والمعنى : أنَه : خلق أسبابه ومقدماته ، فأسبابه وجود الرجل والمرأة ، ووجود الشهوة الجنسية في كليهما ، والله هو الذي خلق الرجل والمرأة ، وخلق الميل بينهما ، فلو لم يخلق الله الإنسان وشهوته ، لما حصل الزنا ، كذلك كل فعل يفعله الإنسان ، وقد منح الله لكل إنسان القدرة على فعل الخير ، والقدرة على فعل الشر ، وقد أمره الله بفعل الأول ، ونهاه عن فعل الثاني ، من أجل امتحانه واختباره

يُشَرِّع جلده أو رجمه ، فالمشيئة غير الإرادة إلّا أنَّ الذي أوهم أهل اللغة والتفسير بوحدة معنييهما هو شيوع وضع المشيئة موضع الإرادة في كلام الناس ، وهذا ما صرَّح به الراغب بقوله المذكور : ((المشيئة في الأصل إيجاد الشيء وإصابته ، وإن كان قد يُستعمل في التعارف موضع الإرادة)) [1]

-**مشيئة الله ومشيئة الإنسان** : لاعتقاد أهل اللغة أنَّ الموجد للشيء هو الله وحده سبحانه ، لم يجعلوا المشيئة من الإنسان بمعنى إيجاد الشيء بل جعلوها بمعنى إصابة الشيء ، وهذا تحريف واضح للدلالة ، فلو أراد الله سبحانه معنى الإصابة لاستعمل لفظها وقال مثلًا : فمن أصاب ذكره ، بدلًا من أن يقول : (فَمَن شَاء ذَكَرَهُ){المدثر : ٥٥} والله سبحانه قد شارك الإنسانَ في صفاته ، ونسب إليه من صفاته ، فمن الأول قوله تعالى : (وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ {١٤} اللّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ){البقرة : ١٥} فقد قابل البارئ عز وجل استهزاءه باستهزاء البشر ، لكن ليس استهزاؤهم كاستهزائه ، فاستهزاؤه حق ، واستهزاؤهم باطل ، ومن ذلك قوله تعالى : (إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا {١٥} وَأَكِيدُ كَيْدًا){الطارق : ١٤-١٥} وكيد البشر ليس ككيد الله سبحانه ، ومن ذلك قوله تعالى : (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ){الأنفال : ٣٠} ومن الثاني أنَّ الله سبحانه قد قصر الهداية والإضلال على نفسه فقال تعالى : (أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ اللّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً){النساء : ٨٨} وقال تعالى : (وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلكِن يُضِلُّ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء){النحل : ٩٣} ومع ذلك فقد نسب الله سبحانه الإضلال إلى الإنسان ، فقال جل وعلا : (وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ){آل

---

(١) المفردات ص٢١٤.

عمران : ٦٩} وقوله تعالى : (إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا {١١٧} لَّعَنَهُ اللّهُ وَقَالَ لاتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا {١١٨} وَلأُضِلَّنَّهُمْ){النساء : ١١٩} وقوله تعالى : (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ){المائدة : ٧٧} وقوله تعالى : (قَالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّن الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَـؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـكِن لاَّ تَعْلَمُونَ){الأعراف : ٣٨} وقوله تعالى : (وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى){طه : ٧٩}

وكذلك نسب الهداية إلى الإنسان فقد نسبها إلى نبيه المصطفى في قوله تعالى : (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ){الشورى : ٥٢} ونسبها إلى قوم من عباده في قوله تعالى : (وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ){الأعراف : ١٥٩} وقوله تعالى : (وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ){الأعراف : ١٨١} وقوله تعالى : (وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا){الأنبياء : ٧٣} وقوله تعالى : (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا){السجدة : ٢٤}

فالاستهزاء ، والكيد ، والحرب ، والمكر ، والإضلال ، والهداية ، هذه الصفات والأفعال ونحوها ، وإن نُسِبتْ نفسها إلى الله والبشر إلّا أنَّ المنسوبة إلى الله ليست كالمنسوبة إلى البشر ، فالله يضحك ويغضب ويتكلم وينزل من العرش إلى السماء الدنيا ، لكن ليس كما يضحك البشر ويغضبون ويتكلمون وينزلون ، هذه هي الحقيقة ولا إشكال فيها لأربعة أمور:

الأمر الأول : أنَّ الله سبحانه فصل هذا الإشكال بقوله تعالى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ){الشورى : ١١} فليس كمثل الله شيء لا في ذاته ولا في صفاته .

الأمر الثاني : أنَّ كل شيء يفعله البشر لا يكون إلّا بعد أن يشاءه الله ، فمشيئتهم مسبوقة بمشيئته ، فخالق كل شيء وموجده ومنشئه هو الله وحده ، ولا يستطيع البشر أن ينشئوا أو يفعلوا شيئًا إلا شيئًا أنشأه الله قبل ذلك ، وهذا ما تضمنه بكل وضوح قول الله تعالى : (وَمَا تَشَاؤُونَ إِلّا أَن يَشَاء اللَّهُ){الإنسان ٣٠} وقوله تعالى : (وَمَا تَشَاؤُونَ إِلّا أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ){التكوير : ٢٩} وقوله تعالى : (فَمَن شَاء ذَكَرَهُ {٥٥} وَمَا يَذْكُرُونَ إِلّا أَن يَشَاء اللَّهُ){المدثر : ٥٦}

الأمر الثالث : نسب الله سبحانه المشيئة إلى الإنسان ؛ لأنَّه يُعدُّ السبب في إنشائها ، فقد نسب الله سبحانه إلى فرعون أنَّه أضل قومه في قوله تعالى : (وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى){طه : ٧٩} لأنَّه كان السبب في إضلالهم ، بل نسب إبراهيم عليه السلام إلى الأصنام أنَّها أضلَّت الناس مع أنَّها أحجار لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل ولا تضر ولا تنفع ، قال تعالى : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ {٣٥} رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ){إبراهيم : ٣٤-٣٥} فقد نسب إليها أنَّهنَّ أضللن كثيرًا من الناس ، لأنَّها كانت السبب في إضلالهم .

الأمر الرابع : أنَّ الله سبحانه قادر على أن يمنع الإنسان من أن يفعل أي فعل كان ، إلّا أنَّه جل وعلا منحه ومكَّنه من فعل الخير ومن فعل الشر ، لاختباره أيفعل الأول أم يفعل الثاني ؟! ولهذا منح الله الإنسان المشيئة لاختباره ، أيشاء خيرًا وما يرضي الله أم يشاء شرًا وما يغضب الله ؟!

٣٨-الإرجاء والاستراج والإملاء والإمهال : الإرجاء : ((أرجأتُ الأمر أخّرته٠٠٠ومنه سُمِّيت المرجئة)) [1]فـ((المرجئة اسم فاعل من هذا ؛ لأنّهم لا يحكمون على أحد بشيء في الدنيا بل يؤخّرون الحكم إلى يوم

(١) الصحاح للجوهري ص ٣٩٢ وينظر العين للخليل ص ٣٣٧

القيامـة)) [1] قـال تعـالى : (تُرْجِـي مَـن تَشَـاءُ مِـنْهُنَّ وَتُـؤْوِي إِلَيْـكَ مَـن تَشَـاءُ){الأحزاب : ٥١} (((ترجـئ) مهمـوزة وغيـر مهمـوزة ، وهمـا لغتـان ، والإرجاء والتأخير ، يقال : أرجأت الأمر وأرجيته : إذا أخرته٠٠٠والمعنى : أنّ الله سبحانه وسّع على رسوله صلّى الله عليه وسلّم وجعل الخيار إليه في نسائه ، فيؤخّر من شاء منهنّ ويؤخّر نوبتها ويتركها ولا يأتيها من غير طلاق ، ويضمّ إليه من شاء منهنّ ويضاجعها ويبيت عندها ، وقد كان القسم واجبًا عليه حتى نزلت هذه الآية)) [2]

وقال تعالى : (قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ){الأعراف : ١١١}((أي : أخّر واحبس ، أي : أخّر أمره ولا تعجل)) [3]

-**الاستدراج** : قال تعالى : (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ)**{الأعراف : ١٨٢}** ((سنستدرجهم : معناه نأخذهم درجة فدرجة ، وذلك إدناؤهم من الشيء شيئًا فشيئًا كالمراقي والمنازل في ارتفاعها ونزولها)) [4]

-**الإملاء** : ((الإملاء : الإمداد ، ومنه فيل للمدة الطويلة مَلاوة من الدهر٠٠٠قال تعالى : (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ){الأعراف : ١٨٣} أي : أمهلهم)) [5] ((أي : أمهاهم وأطيل مدتهم)) [6]((إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ) أخذي شديد ، سمّاه كيدًا

---

(١) المصباح المنير ص ٢٢١-٢٢٢

(٢) فتح القدير للشوكاني ٣٦٦/٤

(٣) مدارك التنزيل ص ٣٧٩

(٤) المفردات للراغب ص ١٧٤

(٥) المفردات للراغب ص ٤٩٤-٤٩٥

(٦) عمدة الحفّاظ ١١٣/٤

؛ لأنّه شبيه بالكيد من حيث إنّه في الظاهر إحسان ، وفي الحقيقة خذلان))[1] ((أي : أطيل لهم المدة وأمهلهم وأؤخّر عنهم العقوبة وجملة (إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ) مقررة لما قبلها من الاستدراج والإملاء))[2]

–الإمهال : ((المهل : التؤدة والسكون٠٠٠وأمهلته : رفقتُ به))[3]و((فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا){الطارق : ١٧} أي : ارفق بهم وأخِّر أمرهم ، وهو وعيد كمعنى قوله تعالى : (ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ){الحجر : ٣}٠٠٠والإمهال : الرفق ، ومنه المهلة ، وهي الانتظار والتأخير))[4]((فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ) أي : لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به (أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا) أنظرهم٠٠٠(رُوَيْدًا) مهلًا يسيرًا ، ولا يُتكلَّم بها إلّا مصغَّرة ، وهي من رادت الريح ترود رودًا تحرّكت حركة ضعيفة))[5]

فالإرجاء هو التأخير ، والاستدراج هو الأخذ شيئًا فشيئًا ، والإملاء هو التأخير لمدة طويلة للاستدراج ، والإمهال الإنظار مع عدم الاستعجال للتهديد والوعيد

٣٩–الأرحام والأقارب : الأقارب : الأدنون من العشيرةوقربان الملك وقرابينه : وزراؤه وجلساؤه، وأقرباؤك وأقاربك وأقربوك : عشيرتك الأدنون وفي التنزيل : (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِين){الشعراء : ٢١٤}[6]والأرحام من الرحمة التي تدلّ على الرقة والعطف والرأفة ، يقال من ذلك : رحمه يرحمه : إذا رقَّ

---

(١) مدارك التنزيل ص ٣٩٧

(٢) فتح القدير للشوكاني ٣٤٥/٢

(٣) المفردات للراغب ص ٤٩٧

(٤) عمدة الحفّاظ ١٢٠/٤

(٥) مدارك التنزيل ص ١٣٣٩

(٦) ينظر : مقاييس اللغة ص ٧٧١–٧٧٢ وتاج العروس ٥/٤

له وعطف عليه ، والرَّحِم علاقة القرابة ، ثم سُمِّيت رحِم الأنثى رَحِمًا من هذا ؛ لأنَّ منها ما يكون ما يُرحَم ويُرَقُّ له من ولد[1]((والرَّحِم رَحِمُ المرأة ... ومنه استعير الرَّحِم للقرابة لكونهم خارجين من رَحِم واحدة))[2] ((وبينهما رَحِم ، أي : قرابة قريبة)) [3]

من تعريف أهل اللغة للقرابة والأرحام يمكن تحديد كل منهما ، والتفريق بينهما أنَّ الأرحام تعني في البدء الأم ؛ لأنَّ الأرحام سُمُّوا أرحامًا لخروجهم من رحم واحدة ، ثمَّ الأب ؛ لأنَّك خرجتَ من صلبه ، وكان السبب في وجودك ، ثم الأولاد ؛ لأنَّهم من صلبك ورحم زوجتك ، ثم الأخوة ؛ لأنَّهم من رحم واحدة ، ثم أولاد الإخوة ، فهم من الأرحام ؛ والدليل على ذلك أنَّ الله سبحانه جعل بنات الأخ وبنات الأخت من المحارم ، ثم الأعمام والأخوال ، والدليل على ذلك أيضًا أنَّ الله سبحانه جعل العمات والخالات من المحارم ، وهنا تنتهي حدود الأرحام ، والله أعلم ، ثم بعد ذلك تبدأ القرابة بأولاد الأعمام ، وأولاد الأخوال ، والدليل على ذلك أنَّه لم يجعل بناتهم من المحارم ، والأرحام تخصُّ ما تقدم ذكرهم ، والقرابة عامّة تعني الأرحام وما تجاوز حدودها ، والقرآن الكريم استعمل لفظ الأرحام في قوله تعالى : (وَاتَّقُوا اللَّـهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّـهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا){النساء : ١}وقوله تعالى : (وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّـهِ ۗ إِنَّ اللَّـهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ){الأنفال : ٧٥} لأنَّه أراد أن يخصَّ ما ارتبطت ببعضها بصلة الرحم ، وكانوا أقرب القرابة التي تبدأ بالأم ، وتنتهي بالخالة ، ولو استعمل لفظ القرابة لاحتمل أن تعنيهم وتعني ما تجاوزهم من الأقرباء

---

(١) ينظر : مقاييس اللغة ص ٣٧٥

(٢) المفردات للراغب ص ١٩٨

(٣) لسان العرب ١٢٦/٦

٤٠–**الأزّ والهزّ** : **الأزّ** : ((الهمزة والزاء يدلٌّ على التحرّك والتحريك والإزعاج٠٠٠الشيطان يؤزّ الإنسانَ على المعصية أزًّا . قال الله تعالى : (أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا){مريم : ٨٣} قال أهل التفسير : تزعجهم إزعاجًا٠٠٠قال الخليل : الأزّ غليان القدر٠٠٠قال أبو زيد : الأزّ صوت الرعد))[١]

(((تَؤُزُّهُمْ أَزًّا){مريم : ٨٣} أي : تُرجعهم إرجاع القدر إذا أزّت أي اشتدّ٠٠٠وأزّه أبلغ من هزّه))[٢]

–**الهزّ** : ((الهاء والزاء أصل يدلّ على اضطراب في شيء وحركة ، وهززتُ القناة فاهتزّت ، واهتزّ النبات ، وهزّته الريح ، وهزّ الحادي الإبل بِحُدائه واهتزّت هي في سيرها ، وهزيز الريح : حركتها وصوتها))[٣]

فالأزّ أبلغ وأشدّ من الهزّ ، والهمزة في الأزّ صوت مجهور شديد ، والهاء في الهزّ صوت مهموس رخو ، فصوت الهمزة أقوى وأشدّ من صوت الهاء فجعل الصوت الأقوى للمعنى الأقوى ، والصوت الأضعف للمعنى الأضعف .

وورد الأزّ في موضع واحد هو الموضع المذكور : (أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا){مريم : ٨٣} وورد الهزّ في أربعة مواضع منها قوله تعالى : (وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا){مريم : ٢٥}

---

(١) مقاييس اللغة ص ١١

(٢) المفردات ص ٢١ وينظر : عمدة الحفّاظ ٨٨/١

(٣) مقاييس اللغة ص ٩٢٢ وينظر : المفردات ص ٥٦٧

٤١-**أزف وقرب : أزف وقرب** : قرب ضد بعد ، وأزِف أبلغ من قرب فأزف الشيء اشتدّ قربه فـ((أزف يُعبّر به في ما ضاق وقته)) [١] قال تعالى : (أَزِفَتِ الْآزِفَةُ){النجم : ٥٧}

٤٢-**الأسى والبثّ والحزن :الأسى** : ((الأسى الحزن وحقيقته إتباع الفائت بالغمّ يقال : أسيتُ عليه أسًى وأسيتُ له قال تعالى : (فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ){المائدة : ٦٨}))[٢]((فهو قريب من التأسّي ، ويقال : أسيتُ له ، أي : لأجله))[٣]

-**البثّ والحزن** :قال الله تعالى : (إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّه){يوسف : ٨٦} البث : يفيد أنَّه ينبث ولا ينكتم من قولك : أبثثته ماعندي ، وبثثته : أعلنته إياه ، فحقيقته في اللغة ما يرد على الإنسان من الأشياء المهلكة التي لا يتهيأ له أن يخفيها ، فالبث : ما أبداه الإنسان ، والحزن : ما أخفاه ؛ لذلك يكون البث أشد الحزن الذي لا يصبر عليه صاحبه حتى يبثه ويشكوه ؛ لذا عطف البث على الحزن لما بينهما من الفرق في المعنى ، وهو ما ذكرناه[٤]

فالأسى الحزن على ما فات ولم يُستدرك أمره ، والحزن ما أخفاه ، والبثّ ما بثّه وأعلنه

٤٣-**الاستئناس والاستئذان** : قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ

---

(١) عمدة الحفّاظ ٨٨/١

(٢) المفردات ص ٢٢

(٣) عمدة الحفّاظ ٩٢/١

(٤) ينظر : الفروق اللغوية ص ٢٩٨ والجامع لأحكام القرآن ١٨١/٥ وفروق اللغات ص ٦٥ .

لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ){النور : ٢٧} وقال تعالى : (وَإِذَا بَلَغَ الأطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ){النور : ٥٩}وقال تعالى : (وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ){الأحزاب : ٥٣}))

والاستئذان مرادف للاستئناس ، لكنْ بينهما فرق في الدلالة على الرغم من هذا الترادف ، فالاستئناس من الأنس وهو الطمأنينة ، وزوال الوحشة أو خلافها ، وأذن له أباحه أو سمح له ، والاستئذان : طلب الأذن[١] والاستئناس غير الاستئذان ، وإن قيل بأنَّه بمعناه ، قال الفرّاء : ((والاستئناس في كلام العرب : اذهبْ فاستأنس هل ترى أحدًا ، فيكون هذا : انظروا من في الدار)) [٢]وقال الطبري : ((اختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم : تأويله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتًا غير بيوتكم حتى تستأذنوا ...وقال آخرون ، معنى ذلك : حتى تؤنسوا أهل البيت بالتنحنح والتنخّم وما أشبهه حتى يعلموا أنَّكم تريدون الدخول عليهم))[٣] وهذا هو الصحيح ، بل من الأصح أن يكون المراد : حتى يعلموا أنَّكم تريدون استئذانهم بالدخول ، أي : الاستناس يكون قبل الاستئذان ، وقال الزجاج : ((فمعنى (حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا) حتى تستعلموا أيريد أهلها أن يُدخَلوا أم لا))[٤] وقال الواحدي : ((حتى تستعلموا وتنظروا وتتعرفوا (وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا) هو أن يقول : السلام عليكم ، أدخلُ ؟)[٥] فالاستئناس يكون قبل السلام ، والاستئذان يكون بعده ، وقال الزمخشري : (((تَسْتَأْنِسُوا) فيه وجهان ،

([١]) المفردات للراغب ص ١٩ ، ٧٣ ولسان العرب ١٧٢/١.

([٢]) معاني القرآن ١٥١/٢ .

([٣]) جامع البيان ١٣١/١٢-١٣٣.

([٤]) معاني القرآن وإعرابه ٣١/٤ .

([٥]) الوسيط ٣١٥/٣ .

أحدهما : أنَّه من الاستئذان الظاهر الذي هو خلاف الاستيحاش ... ويجوز أن يكون من الأنس، وهو أن يتعرف هل ثمّةَ إنسان ؟))[1] وقال ابن عطية : (((تَسْتَأْنِسُوا) تستعلموا ، أي : تستعلموا من في البيت وتستبصروا ... واستأنس ، وزنه استفعل فكأنَّ المعنى في (تستأنسون) تطلبون ما يؤنسكم ويؤنس أهل البيت))[2] وقال البيضاوي : ((أو من الاستئناس الذي هو خلاف الاستيحاش ، فإنَّ المستأذن مستوحش خائف أن لا يُؤذن له))[3] وقال النسفي : ((والاستئناس في الأصل الاستعلام والاستكشاف ، استفعال من أنس الشيء ، أي : حتى تستعلموا أيطلق لكم الدخول أم لا ؟ وذلك بتسبيحة أو بتكبيرة أو بتحميدة أو بتنحنح))[4] ((وعن أبي هبيرة قال : كان عبد الله : إذا دخل الدار استأنس وتكلم ورفع صوته ، وقال مجاهد : (حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا) قال : تنحنحوا وتنخموا ، وعن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أنَّه قال : إذا دخل الرجل بيته استحب له أن يتنحنح أو يحرك نعليه)) [5] ومعنى : إذا دخل بيته : إذا أراد أن يدخل بيته ، كما تقول : إذا أكلتَ فسم باسم الله ، وقولك : إذا سافرتَ فحضِّر متاعك ، أي : إذا أردت أن تأكل ، وإذا أردت أن تسافر ((وقيل : إنَّ معنى (تَسْتَأْنِسُوا) تستعلموا ، أي : تستعلموا من في البيت ، قال مجاهد : بالتنحنح أو بأيِّ وجه أمكن ويتأتَّى قدر ما يُعلَم أنَّه قد شُعِر به ويدخل إثر ذلك ... قلتُ وهذا نصٌّ في أنَّ الاستئناس

([1]) الكشاف ٣/٢٢٠.

([2]) المحرر الوجيز ٤/١٧٥.

([3]) أنوا ر التنزيل ٤/١٠٣.

([4]) مدارك التنزيل ص ٧٧٦ .

([5]) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥/٣٩٥.

غير الاستئذان ، كما قال مجاهد ومن وافقه))[١] فالاستئناس ليس هو الاستئذان بل هو الممهد له

٤٤-الاستطاعة والطاقة والقدرة : الاستطاعة : ((الاستطاعة استفالة من الطوع وذلك وجود ما يصيربه الفعل متأتّيًا ، وهي عند المحققين اسم للمعاني التي بها يتمكّن الإنسان مما يريده من إحداث الفعل ، وهي أربعة أشياء : بنيةٌ مخصوصة للفاعل ، وتصوّر للفعل ، ومادّة قابلة لتأثيره ، وآلة إن كان الفعل آليًّا كالكتابة فإنّ الكاتب يحتاج إلى هذه الأربعة في إيجاده الكتابة ، وكذلك يقال فلان غير مستطيع للكتابة إذا فقد واحدًا من هذه الأربعة فصاعدًا ، ويضادّه العجز ، وهو أن لا يجد أحد هذه الأربعة فصاعدًا ، ومتى وجد هذه الأربعة فمستطيع مطلقًا ، ومتى وجد بعضها دون بعض فمستطيع من وجه وعاجز من وجه: وقوله تعالى : (هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا){المائدة : ١١٢} فقيل : إنّهم قالوا ذلك قبل أن قويت معرفتهم بالله ، وقيل : إنّهم لم يقصدوا قصد القدرة وإنّما قصدوا أنّه هل تقتضي الحكمة أن يفعل ذلك ؟ وقيل : يستطيع ويطيع بمعنى واحد ، ومعناه : هل يجيب ؟٠٠٠وقرئ : (هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ) (بنصب ربَّك) أي : سؤال ربّك))[٢] ((قرأ الكسائي وحده (هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ) بالتاء ونصب الباء٠٠٠وقرأ الباقون : (هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ) بالياء ورفع الباء ، قال أبو علي وجه قراءة الكسائي بالتاء أنّ المراد : هل تستطيع سؤالَ ربِّك))[٣]

-**الطاقة** : ((والطاقة : اسم لمقدار ما يمكن للإنسان أن يفعله بمشقة ، وذلك تشبيهبالطوق المحيط بالشيء فقوله تعالى : (رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٥٢/١٢.

(٢) المفردات ص ٣٢٣ وينظر : عمدة الحفّاظ ٤٢١/٢-٤٢٣

(٣) الحجة في علل القراءات السبع لأبي علي النحوي ٤٤٩/٢-٤٥٠

طَاقَةَ لَنَا بِهِ){البقرة : ٢٨٦} أي : ما يصعب مزاولته وليس معناه : لا تحمّلنا ما لا قدرة عليه ؛ وذلك لأنّه تعالى قد يحمل الإنسان ما يصعب عليه))[١]

وفرّق العسكري ((بين القدرة واالطاقة أنّ الطاقة غاية مقدرة القادر واستفراغ وسعه في المقدور ، يقال : هذه طاقتي ، أي : قدر إمكاني ، ولا يقال لله تعالى : مطيق لذلك))[٢]

-**القدرة** : إذا وُصِفَ بها الإنسان فاسم لهيئة له بها يتمكّن من فعل شيء ما ، وإذا وُصِفَ الله تعالى بها فهي نفي العجز عنه ومحال أن يوصف غير الله بالقدرة المطلقة معنى ، وإن أُطلق عليه لفظًا بل حقّه أن يقال قادر على كذا ، ومتى قيل قادر فعلى سبيل معنى التقييد ؛ ولهذا لا أحد غير الله يوصف بالقدرة من وجه إلّا ويصحّ أن يوصف بالعجز من وجه ، والله تعالى هو الذي ينتفي عنه العجز من كلّ وجه ، والقدير هو الفاعل لِما يشاء على قدر ما تقتضي الحكمة لا زائدًا عليه ولا ناقصًا عنه ، ولذلك لا يصحّ أن يوصف به إلّا الله تعالى٠٠٠وإذا استعمل في البشر فمعناه المتكلِّف والمكتسب للقدرة ، يقال : قدرتُ على كذا قُدرةً قال تعالى : (لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا){البقرة : ٢٦٤}))[٣]

٤٥-**الاستغفار والتوبة** :الاستغفار طلب المغفرة بالدعاء كقولك : استغفر الله وأتوب إليه ، والتوبة : الندم على الخطيئة مع العزم على ترك المعاودة إلى الذنب الذي تاب عنه ، وهذا هو الفرق بينهما [٤]

---

(١) المفردات ص ٣٢٤-٣٢٥ وينظر : عمدة الحفّاظ ٤٢٦/٢

(٢) الفروق اللغوية ص ١٢٦

(٣) المفردات ص ٤١٠-٤١١ وينظر : عمدة الحفّاظ ٢٧٦/٣-٢٨١

(٤) ينظر : الفروق اللغوية ص ٢٦٤ .

فالتوبة غير الاستغفار ، لذلك كثيرًا ما عُطفتْ التوبة على الاستغفار في القرآن الكريم كقوله تعالى : (وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ){هود : ٣} وقوله تعالى : (وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ){هود : ٥٢} وقوله تعالى : (وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ){هود : ٩٠}

كما أنَّ للاستغفار باللسان فضيلة تميَّز بها من بين الفضائل قال الطبري في تفسير الاستغفار في سورة نوح : ((عن الشعبي قال : خرج عمر يستسقي فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فأُمطروا ، فقالوا يا أمير المؤمنين : ما رأيناك استسقيت فقال فقد طلبتُ المطر بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر ، ثم قرأ : (اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا){نوح : ١٠}))[١] وقال القرطبي : ((في هذه الآية والتي في هود دليل على أنَّ الاستغفار يستنزل به الرزق والأمطار٠٠٠وقال الأوزاعي : خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال٠٠٠اللهم اغفر وارحمنا واسقنا فرفع يديه ورفعوا أيديهم فسُقوا ، وقال ابن صبيح : شكا رجل إلى الحسن (البصري) الجدوبة فقال له : استغفر الله ، وشكا آخر إليه الفقر ، فقال له : استغفر الله : وقال له آخر : ادع الله لي أن يرزقني ولدًا ، فقال له : استغفر الله ، وشكا إليه آخر جفاف بساتينه ، فقال له : استغفر الله ، فقلنا له في ذلك ، فقال : ما قلتُ من عندي شيئًا ، إنَّ الله تعالى يقول في نوح : (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا {١٠} يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا

---

(١) جامع البيان ٢٩/١١١-١١٢ ، وينظر : الوسيط للواحدي ٣٧٥/٤ ((والمجاديح : واحدها مجدح٠٠٠والمجدح نجم من النجوم٠٠٠وهو عند العرب من الأنواء الدالّة على المطر ، فجعل الاستغفار مُشَبَّهًا بالأنواء مخاطبة لهم بما يعرفون ، لا قولًا بالأنواء ، وجاء بلفظ الجمع ؛ لأنَّه أراد الأنواء جميعها التي يزعمون أنَّ من شأنها المطر)) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢٣٩/١ .

{١١} وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا){نوح : ١٠-١٢}))[١] ((وشبَّه الاستغفار بالأنواء الصادقة التي لا تُخطئ)) [٢]

٤٦-الاستكبار والاستنكاف : الاستكبار : ((الكاف والباء والراء أصل صحيح يدلُّ على خلاف الصِّغَر، يقال : هو كبير وكُبار وكُبّار)) [٣]

-**الاستنكاف** : ((النون والكاف والفاء أصلان يدلُّ أحدهما على قطع شيء وتنحيته ، والآخر على عضو من الأعضاء٠٠٠والأصل الآخر النّكَف : جمع نكفة ، وهي غدة في أصل اللِّحي ، يقال : إبل منكِّفة : ظهرت نكفاتها ، ثمّ قيس عليه فقيل : نَكِفَ من الأمر واستنكف : إذا أنف منه ، معنى القياس في هذا أنّه لمّا أنِفَ أعرض عنه ، وأراه أصل لَحْيِه ، كما يقال : أعرض إذا ولّاه عارضه ، وترك مواجهته ، والآنِف من هذا ، كأنّه شَمَخَ بأنْفه دونه ، والقياس في جميع هذا واحد والله أعلم بالصواب)) [٤]

وفرّق االعسكري ((بين الاستكبار والاستنكاف أنّ في الاستنكاف معنى الأنفة ، وقد يكون الاستكبار طلبها الكبير من غير أنفة وقال تعالى : (لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّـهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا){النساء : ١٧٢}أي : يستنكف عن الإقرار بالعبوديّة ويستكبر عن الإذعان بالطاعة))[٥] (((لَّن

---

(١) الجامع لأحكام القرآن١٨/٢٢٢-٢٢٣ وينظر : الكشاف للزمخشري ٤/٦٠٥ ، ومدارك التزيل ص ١٢٨٤ ، واللباب في علوم الكتاب ١٩/٣٨٦.

(٢) الكشاف ٤/٦٠٥ .

(٣) مقاييس اللغة ص ٧٩٩

(٤) مقاييس اللغة ص ٩١٧

(٥) الفروق اللغوية ص ٢٧٨

يَسْتَنكِفَ) أي : لن يأنف أن يكون عبدًا لله (وَيَسْتَكْبِرْ) يترفّع ويطلب الكبرياء))[١]

٤٧-**الاستماع والسمع والإصغاء والصغو : السمع** : ((السمع قُوّة في الأذن به يُدرِكُ الأصوات ، وفعله يقال له السمع أيضًا ، وقد سمع سمعًا ، ويُعَبَّر تارة بالسمع عن الأذن نحو قوله تعالى : (خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ){البقرة : ٧}وتارة عن فعلهكالسماع نحو قوله تعالى : (إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ){الشعراء : ٢١٢} وتارة عن الفهم وتارة عن الطاعة تقول : اسْمعُ ما أقول لك ، ولم تسمع ما قلتُ ، وتعني : لم تفهم قال تعالى : (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا){الأنفال : ٣١} وقوله تعالى : (قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا){البقرة : ٩٣} فهمنا قولك ولم نأتمر لك وقوله تعالى : (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ){الأنفال : ٢١} يجوز أن يكون معناه فهمنا وهم لا يفهمون ، وأن يكون معناه فهمنا وهم لا يعملون بموجبه وإذا لم يعمل بموجبه فهو في حكم من لم يسمع)) [٢]

-**الاستماع** : ((واستمعتُ لكذا ، أي : أصغيتُ)) [٣]والاستماع ((الإصغاء نحو قوله تعالى : (نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ){الإسراء : ٤٧} وقوله تعالى : (وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ){الأنعام : ٢٥} وقوله تعالى : (وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ){يونس : ٤٢})) [٤] ((واستمع : لما كان بقصد ؛ لأنّه لا يكون إلّا بالإصغاء وسمع : يكون بقصد وبدونه))[٥]

---

(١) مدارك التنزيل ص ٢٦٨

(٢) المفردات ص ٢٥٠

(٣) الصحاح ص ٥١٢

(٤) المفردات ص ٢٥١

(٥) المصباح المنير ص ٢٨٩

-**الصـغو والإصـغاء** : ((الصـغو : الميـل ، يقـال : صـغت النجـوم والشمس مالت للغروب ، وصغيتُ الإناءَ وأصغيته وأصغيت إلى فلان : ملتُ إليـه بسـمعي نحـوه ، قـال تعـالى : (وَلِتَصْـغَىٰ إِلَيْـهِ أَفْئِـدَةُ الَّـذِينَ لَا يُؤْمِنُـونَ بِالْآخِرَةِ){الأنعام : ١١٣}))[١]

و((صغا يصغو ويصغي صُغُوًّا ، أي : مال ، وكذلك صَغِيَ بالكسر يصغَى صَغًى وصُغِيًّا ٠٠٠وأصغيتُ إلى فلان : إذا ملتَ بسمعك نحوه)) [٢]

فصغا إليه وصغت فهو صاغ وهي صاغية ، وأصغى إليه وأصغت فهو مصغ وهي مصغية وكلاهما بمعنى مال إليه بسمعه ، فجاز استعمال الثلاثي والرباعي ، وجاء في القرآن في موضعين وكلاهما من الثلاثي هما قولـه : (فَقَـدْ صَـغَتْ قُلُوبُكُمَـا){التحريم : ٤} وقولـه تعـالى : (وَلِتَصْـغَىٰ إِلَيْهِ){الأنعام : ١١٢}[٣]

وفرّق العسكري ((بين السمع والاستماع أنّ الاستماع هو استفادة المسموع بالإصغاء إليه ليفهم ؛ ولهذا لا يقال : إنّ الله يستمع ، وأمّا السماع فيكون اسمًا للمسموع ، يقال لِما سمعته من الحديث : هو سماعي ، وقد يقال للغناء سماع ، ويكون بمعنى السمع ، تقول : سمعتُ سماعًا ، كما تقول : سمعتُ سمعًا ، والتسمّع طلب السمع ، مثل التعلّم طلب العلم)) [٤]

وفرّق ((بين السمع والإصغاء أنّ السمع هو إدراك المسموع ، والسمع أيضًا اسم الآلة التي بها يسمع ، والإضغاء هو طلب إدراك المسموع بإمالة السمع إليه ، يقال : صغا يصغو إذا مال ، وأصغى غيره ، وفي القرآن : (إن

---

(١) المفردات ص ٢٩٢

(٢) الصحاح ص ٥٩١

(٣) ينظر : لسان العرب ٢٤٦/٨

(٤) الفروق اللغوية ص ١٠٣

تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا){التحريم : ٤}أي : مالت وصِغوك مع فلان ، أي : ميلك)) [١]

فالفرق بين السمع والاستماع أنّ السمع ما كان بقصد وغير قصد والاستماع ما كان بقصد

وقد جعلوا الاستماع بمعنى الإصغاء ، والحقيقة أنّ بينهما فرقًا وهو أنّ الإصغاء والصغو أشدّ من الاستماع وينبئ عن ذلك أنّ الصاد أفخم من السين ، والدليل على ذلك أنّ في الإصغاء والصغو يتحقق المطلوب منه ، فقد جعله الله دليل التوبة في قوله تعالى : (إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا){التحريم : ٤} وقد ذمّ الله سبحانه المصغين إلى زخرف القول والغرور وجعله بمثابة المستجبين له والمؤمنين به في قوله تعالى : (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ){الأنعام : ١١٢–١١٣} وليس كذلك الاستماع فقد كان المشركون يستمعون إلى القرآن الكريم ولم يستجيبوا له قال تعالى : (وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ){يونس : ٤٢} وقال تعالى : (وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ){الأنعام : ٢٥}

فقد أسند الصغو إلى الأفئدة والقلوب وأسند الاستماع إلى الحاسة ، فالاستماع ما كان بالحاسة ولقصد فهم ما يستمع إليه ، والإصغاء والصغو ما كان بالفؤاد والقلب ولقصد إدراك حقيقة ما يصغى إليه

وهناك حقيقة من المفيد التنبيه عليها وهو أنّه شاع عند كثير من الباحثين قولهم : قل آذان مصغية ، ولا تقل آذان صاغية ، والصواب جواز

---

(١) الفروق اللغوية ص ١٠٣

هذين القولين على حدٍّ سواء ، بل الذي ورد في القرآن الكريم الثلاثي من دون الرباعي الذي اسم فاعله صاغ وصاغية

٤٨-**الاستهزاء والسخرية** : قال الله تعالى : **(**وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ اتَّقَواْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ**)**{البقرة : ٢١٢}

وفرّق العسكري ((بين الاستهزاء والسخرية أنَّ الإنسان يُستهزأ به من غير أن يسبق منه فعل يُستهزَأ به من أجله ، والسخر يدلُّ على فعل يسبق من المسخور منه ، والعبارة من اللفظين تدلُّ عن صحة ما قلناه ، وذلك أنَّك تقول : استهزأتُ به ، فتعدي الفعل منك بالباء ، والباء للإلصاق ، كأنَّك ألصقت به استهزاء من غير أن يدل على شيء وقع الاستهزاء من أجله ، وتقول : سخرتُ منه ، فيقتضي ذلك من وقع السخر من أجله ، كما تقول : تعجَّبتُ منه ، فيدلُّ ذلك على فعل وقع التعجب من أجله))[١] وهو كقولك أيضًا : ضحكتُ منه ، فيدلُّ ذلك على فعل وقع الضحك من أجله ، من ذلك مثلًا قوله تعالى : (وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ {٣٨} فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ**)**{هود : ٣٧-٣٨} جاء في التفسير : ((قالوا يا نوح صرتَ بعد النبوة نجارًا ، وقال عامَّة المفسرين : إنَّهم رأوه ينجر الخشب ، ويهيِّئ شبه البيت العظيم ، فإذا سألوه عن ذلك قال : أعمل سفينة تجري في الماء ، ولم يكونوا رأوا قبل ذلك السفينة ، ولا ماء هناك ، فكانوا يتضاحكون ويتعجبون من عمله لها ، فقال نوح : (إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُون) قال ابن الأنباري : إن تسخروا منَّا لما

---

(١) الفروق اللغوية ص ٢٨٥

ترون من صنعة الفلك ، فإنَّا نعجب من غفلتكم)) [1] ((والمعنى : إن تسخروا منَّا بسبب عملنا للسفينة اليوم ، فإنَّا نسخر منكم غدًا عند الغرق)) [2]

فإذا كان السخر يعني الضحك مما يفعله مَن نسخر منه ، فإنَّ الهزء والاستهزاء يعني الضحك على من نستهزئ به ((من غير أن يدل على شيء وقع الاستهزاء من أجله)) كما قال العسكري ، وهذا واضح في قوله تعالى : (وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ {١٤} اللّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ){البقرة : ١٤–١٥} وهذا هو استهزاء المنافقين بالمؤمنين أنَّهم إذا لقوا المؤمنين قالوا : نحن مثلكم مؤمنون ، وإذا انصرفوا إلى زعمائهم الكفرة ، قالوا لهم : نحن معكم ، فالاستهزاء يعني نصب المكايد بالمستهزَأ به ، أمَّا السخر فهو احتقار من نسخر منه ، احتقاره لجهله ، أو لسوء أفعاله ، أو أقواله ، أو احتقاره لطاعته لله ولصومه وصلاته ، أو احتقاره لشكله ، أو لعيب في جسده ، كالعرج والعَوَر ، أو لفقره وقلة ماله ، وهذا ما عناه قوله : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الأيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ){الحجرات : ١١}

وقد تتداخل هاتان الدلالتان ، وهو أنَّ الأمر يبدأ بالاستهزاء ، وهو نصب المكيدة بمن نهزأ به ، فإذا وقع فيها ، وظنَّها حقيقة وعمل بمقتضاها تعقبها السخرية ؛ لأنَّه سيُسخر منه حينئذ كيف صدَّق بهذا الهزء ، وتصرَّف بموجبه

---

(١) الوسيط للواحدي ٥٧٣/٢

(٢) فتح القدير للشوكاني ٦٣٣/٢–٦٣٤

والله سبحانه يعذب الكافرين يوم القيامة بالاستهزاء لا بالسخرية ، قال تعالى : (وَلَقَدِ اسْتُهْزِىءَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ){الأنعام : ١٠}{الأنبياء : ٤١} واستهزاء الله جل وعلا بالكافرين في الدنيا يكون بـ((استدراجهم من حيث لا يعلمون، وأمَّا في الآخرة بأن يُفتح لأحدهم باب إلى الجنة ، فيقال : هَلُمَّ هَلُمَّ ، فيجيء بكربه وغمِّه ، فإذا جاء أُغلِق دونه ، ثم يُفتح له باب آخر ، فيقال : هَلُمَّ هَلُمَّ ، فيجيء بكربه وغمِّه ، فإذا أتاه أُغلِق دونه ، فما يزال كذلك حتى إنَّ الرجل لَيُفتح له باب ، فيقال : هَلُمَّ هَلُمَّ ، فما يأتيه (من الإياس) وقد روي ذلك بسند جيِّد في المستهزئ بالناس)) [١] ((وذكر ابن المبارك أيضًا : أخبرنا الكلبي عن أبي صالح في قوله تعالى : (اللّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ){البقرة : ١٥} قال : يقال لأهل النار ، وهم في النار : اخرجوا ، فتفتح لهم أبواب النار ، فإذا رأوها قد فُتحتْ أقبلوا إليها يريدون الخروج ، والمؤمنون ينظرون إليهم وهم على الأرائك ، فإذا انتهوا إلى أبوابها غُلِقتْ دونهم ، فذلك قوله تعالى : (اللّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ){البقرة : ١٥} ويضحك منهم المؤمنون حين غُلقتْ دونهم)) [٢] فتأمَّل كيف بدأ الأمر بالاستهزاء بالكافرين من لدن زبانية جهنم ، ثم انتهى الأمر بالسخرية منهم من لدن المؤمنين ، وهم متكئون على سررهم ينظرون إليهم ويضحكون

٤٩ –**الإسراف والتبذير** : الإسراف : قال الراغب : ((السَّرف تجاوز الحدّ في كل فعل يفعله الإنسان وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر قال تعالى : (وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا){الفرقان : ٦٧}قال سفيان : ما أنفقت في غير طاعة الله فهو سَرَف وإن كان قليلًا٠٠٠وسُمِّي

---

(١) روح المعاني للآلوسي ١٦١/١

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠٦/١٩

قوم لوط مسرفين من حيث إنّهم تعدّوا في وضع البذر في الحرث المخصوص له المعنيّ بقوله : ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾{البقرة : ٢٢٣}٠٠٠وقوله تعالى : ﴿فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ﴾{الإسراء : ٣٣} فسرفه أن يقتل غير قاتله)) [١]

-**التبذير** : ((التبذير التفريق وأصله إلقاء البذر وطرحه ، فاستعير لكلّ مُضَيِّع لماله فتبذير البذر تضييع في الظاهر لمن لم يعرف مآل ما يلقيه . قال الله تعالى : ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾{الإسراء : ٢٦-٢٧})) [٢]

قيل في التفريق بين الاإسراف والتبذير إنّ الإسراف يكون التبذير في الحلال والمباح ، والتبذير يكون في الحرام ، والصحيح عندي أنّ الإسراف يكون في مجاوزة الحدّ في كل فعل يفعله الإنسان كما قال الراغب سواء كانت هذه المجاوزة في الحدّ في الحلال أو في الحرام فمن الأول قوله تعالى : ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾{الأعراف : ٣١}أي : كلوا واشربوا إلى حدّ الشبع والارتواء ، ولا تسرفوا بأن تتجاوزا حدّ الشبع إلى التخمة [٣] ((ومن الإسراف الأكل لا لحاجة وفي وقت شبع)) [٤] ومن أمثلة الإسراف أن يعدّ الرجل له ولأهله من الطعام فوق مائدة الغداء والعشاء ما يزيد كثيرًا عن حاجته وحاجتهم ، فيبقى نصفه أو أكثر فضلة فيرميها في سلّة الفضلات

ويكون الإسراف في الحرام أيضًا وهو أن يتجاوز الحدّ المعتاد منه

---

(١) المفردات ص ٢٣٨ وينظر : عمدة الحفّاظ ٢/١٩٣-١٩٤

(٢) المفردات ص ٤٥ وينظر : عمدة الحفّاظ ١٧١/١

(٣) مدارك التنزيل ص ٣٦٠

(٤) فتح القدير ٢٥٥/٢

كمجاوزة حد الزنا بالنساء إلى الزنا بالرجال كما فعل قوم لوط وهذا واضح في قوله تعالى : (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ){الأعراف : ٨٠–٨١}وهذا هو المعنى المراد من قوله تعالى : (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ){الزمر : ٥٣} يعني الذين تجاوزا الحدّ المعتاد في ارتكاب الكبائر ، والمعاصي والإفراط ، والغلوّ فيها في الكميّة والكيفية [١]

هذا هو الإسراف أمّا التبذير فلم يرد في القرآن الكريم إلّا في قوله تعالى : (وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا){الإسراء : ٢٦–٢٧} ((قيل : التبذير تفريق المال في غير الحلّ والمحلّ ، فعن مجاهد : لو أنفق مدًّا (شيئًا قليلًا) في باطل كان تبذيرًا))[٢] و((التبذير تفريق المال كما يُفرّق البذر كيفما كان من غير تعمّد لمواقعه٠٠٠أو هو الإنفاق في غير الحق وإن كان يسيرًا ، قال الشافعي : التبذير إنفاق في غير حقّه ، ولا تبذير في عمل الخير٠٠٠قال أشهب بن مالك : التبذير : هو أخذ المال من حقّه ووضعه في غير حقّه))[٣]

فالتبذير هو تفريق الأموال التي ينفقها وتضييعها ، ذلك بوضعها في غير محلّها ، وجعلها في غير مواضعها لجهله أو لسوء تصرّفه .

٥٠–أسقى وسقى : ((السَّقي والسُّقيا أن يعطيه ما يشرب ، والإسقاء أن يجعل له ذلك يتناوله كيف شاء ، فالإسقاء أبلغ من السقي ؛ لأنّ الإسقاء

---

(١) ينظر : مدارك التنزيل ص ١٠٤٣وفتح القدير ٥٨٦/٤

(٢) مدارك التنزيل ص ٦٢١

(٣) فتح القدير ٢٧٤/٣

هو أن يجعل له ما يُسقى منه ويشرب، تقول : أسقيته نهرًا قال تعالى (في الأول) : (وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا){الإنسان : ٢١}٠٠٠وقال في الإسقاء : (وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا){المرسلات : ٢٧}))[1]

و((قوله تعالى : (نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا){المؤمنون : ٢١} وقُرِئ بضم النون وفتحها من أسقاه وسقاه٠٠٠سقاه : ناوله ماء ليشربه ، وأسقاه : جعل له ماءيشرب منه ، فالسَّقْي والسُّقيا : أن تعطيه ما يشرب ، والإسقاء أن تجعل له ذلك يتناوله كيف شاء ، والإسقاء أبلغ من السقي)) [2]

((اختلفوا في قوله تعالى : (نُّسْقِيكُم) فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية حفص، وحمزة ، والكسائي (نُسْقِيكُم) برفع النون ، وقرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر وابن عامر (نّسْقِيكُم) بفتح النون ، قال أبو علي : أمّا من قال : (نُّسْقِيكُم) بالرفع فعلى أن يكون المعنى : جعلنا ما في ضروعها من ألبانها سقيا لكم ، وقد قالوا : أسقيناهم نهرًا : إذا جعلته سقيا لهم ، وهذا كأنّه أعمّ ؛ لأنّه ما هو سقيا لهم لا يمنع أن يكون للشفة ، وما للشفة فقد يمتنع أن يكون سقيا٠٠٠ومن قال (نّسْقِيكُم) بالفتح جعل ذلك مختصّا به للشفاة دون المزارع والمراعي فلم يكن مثل الماء في قوله تعالى :(وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا){المرسلات : ٢٧} لأنّه ذا يصلح لأمرين فمن ثَمّ جاء قوله تعالى : (وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا){الإنسان : ٢١})) [3]

٥١-الإسلام والإيمان : الإسلام : روى مسلم عن ((عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قال بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلّم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا

(١) المفردات ص ٢٤٣ وينظر : الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ص ٣٠٢

(٢) عمدة الحفّاظ ٢٠٥/٢-٢٠٦

(٣) الحجة في علل القراءات السبع لأبي علي النحوي٢٧/٤

يُرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منّا أحد حتى جلس إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفّيه على فخذيه وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّدًا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتُؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطت إليه سبيلًا . قال : صدقتَ ، قال : عجبنا له يسأله ويصدّقه ، قال : فأخبرني عن الإيمان قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتُؤمن بالقدر خيره وشرّه ، قال : صدقتَ ، قال : فأخبرني عن الإحسان ، قال : أن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن فإنّه يراك٠٠٠قال ثمّ انطلق فلبثتُ مليًّا ، ثمّ قال لي : يا عمر ، أنذرني من السائل ؟ قلتُ : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنّه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم))[١]

فهذا الحديث الذي رواه مسلم حدّد بوضوح لا لبس ولا إشكال فيه ما هو الإسلام وما هو الإيمان وما هو الإحسان ، وحدّد الفرق بدقّة بين الإسلام والإيمان ، لكن هناك علاقة وارتباط بين الإسلام والإيمان ، وهي أنّه لا يصحّ أحدهما من دون الآخر ، حتى إنّ العلاقة بينهما علاقة الجسد بالروح ، والدليل على ذلك ما قاله الراغب في تعريف كلّ منهما

فقد قال الراغب في تعريف الإسلام : ((الإسلام في الشرع على ضربين :

أحدهما : دون الإيمان ، وهو الاعتراف باللسان ، وبه يُحقَن الدم حصل معه الاعتقاد أو لم يحصل ، وإيّاه قُصِد بقوله تعالى : (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَـٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُم){الحجرات : ١٤}

والثاني : فوق الإيمان وهو أن يكون مع الاعتراف اعتقاد بالقلب

---

(١) شرح صحيح مسلم ٧٦/١ رقم الحديث ٨

ووفاء بالفعل واستسلام لله في جميع ما قضى وقدّر ، كما ذُكِر عن إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى : (إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ){البقرة : ١٣١} وقوله تعالى : (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ){آل عمران : ١٩} وقوله تعالى : (تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ){يوسف : ١٠١}٠٠٠وقوله تعالى : (إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ){النمل : ٨١} أي : منقادون للحقّ مذعنون له وقوله تعالى : (يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا){المائدة : ٤٤} أي : الذين انقادوا من الأنبياء الذين ليسوا من أولي العزم الذي يهتدون بأمر الله ويأتون بالشرائع))[١]

وقال في تعريف الإيمان : ((الإيمان لغة : التصديق ، وعند كثير من أهل العلم : اعتقاد بالجَنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان ، ولم يشترط الأشاعرة عمل الأركان))[٢] و((الإيمان يستعمل تارة للشريعة التي جاء بها محمد صلّى الله عليه وسلّم وعلى ذلك قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ){المائدة : ٦٩}ويوصف به كلّ من دخل في شريعته مُقرًّا بالله وبنبوته ، قيل : وعلى هذا قال تعالى : (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ){يوسف : ١٠٦}

وتارة يستعمل على سبيل المدح ويراد به إذعان النفس للحقّ ، وذلك باجتماع ثلاثة أشياء : تحقيق القلب ، وإقرار باللسان ، وعمل بحسب ذلك بالجوارح ، وعلى هذا قوله تعالى : (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَـٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ){الحديد : ١٩) ويقال لكلّ واحد من الاعتقاد والقول الصدق والعمل الصالح إيمان قال تعالى : (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ

---

(١) المفردات ص ٢٤٨

(٢) عمدة الحفّاظ ١٢٤/١

بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ){البقرة : ١٤٣}أي : صلاتكم ، وجعل الحياء وإماطة الأذى من الإيمان٠٠٠وجعل النبيّ عليه الصلاة والسلام ستة أشياء في خبر جبريل حيث سأله فقال : ما الإيمان ؟ والخبر معروف)) [١]

فالإسلام عمل الجوارح ، وهو عمل ظاهري ، ويتمثّل بتأدية الفرائض وأركان الإسلام التي من بينها إقامة الصلاة ، إلّا أنّ إقامة الصلاة هذه مثلًا لا يمكن أن يتمّها المسلم لو لم يكن مؤمنًا بالله ، وهذا ما جاء في كلام الله قال تعالى : (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ){البقرة : ٤٥-٤٦} كما أنّ الركن الأول من الإسلام الذي هو شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمدًا رسول الله يمثل ركنين من أركان الإيمان وهما الإيمان بالله ، والإيمان برسله

فهذا مثال على علاقة الإسلام بالإيمان ، أمّا علاقة الإيمان بالإسلام فمن بينها أنّه قد تقدّم تعريف الإيمان عند كثير من أهل العلم : بأنّه هو اعتقاد بالجَنان ، وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان

-**الإحسان** : ((الإحسان يقال على على وجهين : أحدهما ، الإنعام على الغير يقال : أحسن إلى فلان ، والثاني : إحسان في فعله ، وذلك إذا علم علمًا حسنًا أو عمل عملًا حسنًا٠٠٠والإحسان أعمّ من الإنعام قال تعالى : (إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ){الإسراء : ٧}وقوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ){النحل : ٩٠} فالإحسان فوق العدل ؛ وذاك أنّ العدل هو أن يعطي ما عليه ويأخذ ما له، والإحسان أن يعطي أكثر ممّا عليه ويأخذ أقلّ ممّا له ، فالإحسان زائد على العدل ، فتحرّي العدل واجب ، وتحرّي الإحسان ندبٌ وتطوّع٠٠٠ولذلك عظّم الله تعالى ثواب المحسنين فقال تعالى : (وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ){العنكبوت : ٦٩} وقال تعالى :

([١]) المفردات ص ٣١

(وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ){البقرة : ١٩٥}))[١]

فالإسلام هو القيام بأركانه الخمسة : الشهادة ، والصلاة ، وصوم رمضان ، والزكاة ، والحج لمن استطاع إليه سبيلا ، والإيمان هو الإيمان بأركانه الستة : الإيمان بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والإيمان بالقدر خيره وشرّه من عند الله

والإحسان هو أن يزيد على ما فُرِض ووجب عليه ، وهذا لا يتأتى إلّا لمن عظُم إيمانه ويقينه بالله حتى صار يعبد الله كأنّه يرى الله

٥٢-الاشتراء والبيع والشراء :الاشتراء : قال الله تعالى : (أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى){البقرة : ١٦}

ذكر الطبري أنَّ المفسرين أجمعوا على أن قوله تعالى : (أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى) يعني أنَّهم : ((باعوا هداهم الذي كانوا عليه بضلالتهم حتى استبدلوها منه)) [٢] أي : أجمعوا على أنَّ المعنى : اشتروا الضلالة بالهدى

وقال الزجاج : ((وقوله عز وجلَّ : (أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى) ومعنى الكلام أنَّ كلَّ من ترك شيئًا وتمسَّك بغيره فالعرب تقول للذي تمسَّك به قد اشتراه)) [٣] فهؤلاء قد تمسكوا بالضلالة ؛ ولهذا قال تعالى : (اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ) وقال الواحدي : ((قوله تعالى : (أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى) حقيقة الاشتراء الاستبدال ، والعرب تجعل من آثر شيئًا

([١]) المفردات ص ١٢٤-١٢٥ وينظر : عمدة الحفّاظ ٤١٠/١-٤١٣

([٢]) جامع البيان ١٥٧/١

([٣]) معاني القرآن وإعرابه ٨٨/١

علـى شـيء مشـتريًا لـه ، وبائعًا للآخـر ، وإن لـم يكـن ثَمَّ شـراء ولا بيـع ظاهر : قال ابن عباس : أخذوا الضلالة وتركوا الهدى)) [١]

وقد ورد فعل الاشتراء في واحد وعشرين موضعًا ، وكان في جميعها بمعنـى الاشـتراء ، كقولـه تعـالى الـذي تقـدم ذكـره : (أُوْلَـئِكَ الَّـذِينَ اشْـتَرُوُاْ الضَّـلاَلَةَ بِالْهُـدَى) وقولـه تعـالى : (أولَـئِكَ الَّـذِينَ اشْـتَرَوُاْ الْحَيَـاةَ الـدُّنْيَا بِالآَخِرَةِ){البقرة : ٨٦} وقوله تعالى : (أُولَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّـلاَلَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ){البقرة : ١٧٥} وقوله تعالى : (إِنَّ الَّـذِينَ اشْـتَرَوُاْ الْكُفْرَ بِالإِيمَـانِ لَـن يَضُـرُّواْ اللّـهَ شَـيْئًا وَلهُـمْ عَـذَابٌ أَلِـيمٌ){آل عمران : ١٧٧} وقوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّـلاَلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ السَّبِيلَ){النسـاء : ٤٤} وقولـه تعـالى : (وَمِـنَ النَّـاسِ مَـن يَشْـتَرِي لَهْـوَ الْحَـدِيثِ لِيُضِـلَّ عَـن سَـبِيلِ اللَّـهِ بِغَيْـرِ عِلْمٍ){لقمان : ٦} ومن ذلك قوله تعالى : (وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ){البقرة : ١٠٢} والمعنى : ولقد علم اليهود أنَّ من اشترى السحر واختاره وترك الحق ما له في الآخرة من نصيب[٢] وقوله تعالى : (وَإِذَ أَخَذَ اللّـهُ مِيثَـاقَ الَّـذِينَ أُوتُـواْ الْكِتَـابَ لَتُبَيِّنُنَّـهُ لِلنَّـاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَـهُ فَنَبَـذُوهُ وَرَاء ظُهُـورِهِمْ وَاشْـتَرَوْاْ بِـهِ ثَمَنـاً قَلِـيلاً فَبِـئْسَ مَـا يَشْـتَرُونَ){آل عمـران : ١٨٧} والمعنى : واشتروا بكتاب الله وعهده عرَضًا يسيرًا ، وهو ما كانوا يأخذونه من سفلتهم[٣] وقوله تعالى : (وَلاَ تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّـايَ فَـاتَّقُونِ){البقرة : ٤١} والمعنـى : ((ولا تشـتروا ، ولا تسـتبدلوا بآيـاتي ،

([١]) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٩٢/١ وينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيـز لابـن عطيـة الأندلسـي ٩٨/١ وزاد المسير فـي علـم التفسير لابـن الجـوزي ٣٢/١

([٢]) ينظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ١٨٦/١

([٣]) ينظر : الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٥٣١/١ ومدارك التنزيل للنسفي ص ٢٠٢

يعني : ما في التوراة من بيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ، ثمنًا قليلًا ، عرضًا يسيرًا من الدنيا ، وذلك أنَّ رؤساء اليهود كانت لهم مآكل يصيبونها من سفلتهم وعوامّهم فخافوا إن هم بيَّنوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وتابعوه أن تفوتهم تلك المآكل والرياسة ، واختاروا الدنيا على الآخرة))[1] أي : اشتروا الدنيا بالآخرة ، وهذا هو أيضًا معنى قوله تعالى : (فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ){البقرة : ٧٩} وقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَـئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ){البقرة : ١٧٤} وقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ){آل عمران : ٧٧} وقوله تعالى : (وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلّهِ لاَ يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَـئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ){آل عمران١٩٩} فقد جاء فعل الاشتراء بمعنى الاشتراء في كل مواضع وروده في القرآن الكريم ، ولم يختلف فيها أهل التفسير إلّا في قوله تعالى : (بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أنَزَلَ اللّهُ){البقرة : ٩٠} فقد ذكروا أن اشتروا هنا بمعنى باعوا ، والصحيح أنَّ (اشْتَرَوْاْ) في هذا الموضع هو أيضًا بمعنى الاشتراء المعروف ، والمعنى : ((أنَّ المكلَّف إذا كان يخاف على نفسه من عقاب الله تعالى يأتي بأعمال يظنُّ أنَّها تخلِّصه من العقاب ، فكأنَّه قد اشترى نفسه بتلك الأعمال ، فهؤلاء اليهود لمَّا اعتقدوا

([1]) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ١/١٢٨

فيما أتوا به أنَّه يخلِّصهم من العقاب ، ويوصلهم إلى الثواب فقد ظنوا أنَّهم اشتروا أنفسهم به ، فذمَّهم الله تعالى ، وقال : (بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ))) [١]

–**الشراء** :جاء الشراء بمعنى البيع قال الله عز وجل : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ){البقرة : ٢٠٧}))والمعنى : يبيع نفسه ، وبيعها يكون ببذلها في طاعة الله ، وقوله تعالى : (فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ){النساء : ٧٤} أي : يبيعون الحياة الدنيا بالآخرة ، وقوله تعالى : (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ){يوسف : ٢٠} والمعنى : باعوه .

–**البيع** : أمَّا البيع فلم يستعمل في القرآن الكريم بمعنى البيع وحده ، ولا بمعنى الاشتراء وحده ((وقوله صلى الله عليه وسلم : البيِّعان بالخيار[٢] يريد البائع والمشتري))[٣] وقال تعالى : (إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ){التوبة : ١١١} والمعنى ((فافرحوا أيها المؤمنون ، وهو أنَّكم إذا بذلتم أنفسكم وأموالكم في الجهاد أخذتم من الله الجنة)) [٤]وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ){الجمعة : ٩} قال الطبري : ((وقوله تعالى : (وَذَرُوا الْبَيْعَ) يقول : دعوا البيع والشراء إذا نودي للصلاة عند يوم الجمعة...عن الضحاك قال : إذا زالت الشمس

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ٢/٢٨٠

(٢) أخرجه البخاري ومسلم في باب البيوع

(٣) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للحلبي ١/٢٤٩

(٤) الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ٢/٥٢٦

حُرِّم البيع والشراء))[1]و((قال الحسن : إذا أذَّن المؤذن يوم الجمعة لم يحلَّ الشراء والبيع)) [2]((أي : دعوا التجارة في ذلك الوقت))[3]

فصفوة ما تقدّم :

أنّ الاشتراء استعمل في القرآن بمعناه المعروف

واستعمل الشراء بمعنى البيع

واستعمل البيع بمعنى الاشتراء والبيع معًا ، أي : استعمل بمعنى التجارة

٥٣- الأشر والبطر والفرح : ((الأشر : شدة البطر ، وقد أشِرَ يأشَر أشَرًا قال تعالى : (أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ){القمر : ٢٥-٢٦}فالأشر أبلغ من البطر ، والبطر أبلغ من الفرح ؛ فإنّ الفرح وإن كان في أغلب أحواله مذمومًا لقوله تعالى : (إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّـهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ){القصص : ٧٦} فقد يُحمَد تارة إذا كان على قدر ما يجب وفي الموضع الذي يجب كما قال تعالى : (قُلْ بِفَضْلِ اللَّـهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ){يونس: ٥٨} وذلك أنّ الفرح قد يكون من سرور بحسب قضية العقل ، والأشر لا يكون إلّا فرحًا بحسب قضية الهوى))[4] والأشر : ((الفرِح المتكبّر))[5]

([1]) جامع البيان ١١٤/٢٨

([2]) الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ٣٠٠/٤

([3]) زاد المسير ٥٤/٨

(٤) المفردات ص ٢٣

(٥) عمدة الحفّاظ ٩٢/١

٥٤-الاعتراف والإقرار : ((يقال : اعترف بالشيء : إذا أقرّ ، كأنّه عَرَفه فأقّر به))[١]((الاعتراف : الإقرار بالذنب والذلّ والمهانة والرضى به))[٢]((والاعتراف الإقرار وأصله إظهار معرفة الذنب)) [٣]

-**الإقرار** :((الإقرار : ضدّ الجحود ؛ وذلك أنّه إذا أقرّ بحقّ فقد أقرّه قراره))[٤]((الإقرار إثبات الشيء ، وقد يكون ذلك إثباتًا إمّا بالقلب وإمّا باللسان وإمّا بهما معًا)) [٥]

وفرّق العسكري ((بين الإقرار والاعتراف أنّ الإإقرار فيما قاله أبو جعفر الدامغاني حاصله إخبار عن شيءء ماض ، وهو في الشريعة ملزم للحكم٠٠٠وقال بعضهم : الاعتراف مثل الإقرار إلّا أنّه يقتضي تعريف صاحبهالغير أنّه قد التزم ما اعترف به ، وأصله من المعرفة ، وأصل الإقرار من التقرير ، وهو تحصيل ما لم يصرّح به القول ، ولهذا اختار أصحاب الشروط : أقرّ به ، ولم يختاروا : اعترف به .

قال أبو هلال أيّده الله تعالى : يجوز أن يقرّ بالشيء ، وهو لا يعرف أنّه أقرّ به ، ويجوز أن يقرّ بالباطلالذي لا أصل له ، ولا يقال لذلك اعتراف ، إنّما الاعتراف هو الإقرار الذي صحبته المعرفة بما أقرّ به مع الالتزام له ، ولهذا يقال : الشكر اعتراف بالنعمة ، ولا يقال إقرار بها؛ لأنّه لا يجوز أن يكون شكرًا إلّا إذا قارنت المعرفة موقع المشكوربالمشكور له في أكثر الحال ، فكلّ اعتراف إقرار ، وليس كلّ إقرار اعترافًا ؛ ولهذا اختار

---

(١) مقاييس اللغة ص ٦٥٩

(٢) العين ص ٦٢٤

(٣) المفردات ص ٣٤٥

(٤) مقاييس اللغة ص ٧٤٣-٧٤٤

(٥) المفردات ص ٤١٤

أصحاب الشروط ذكر الإقرار لأنّه أعمّ ، ونقيض الاعتراف الجحد ، ونقيض الإقرار الإنكار))[1]

ويمكن إيضاح الفرق بين الإقرار والاعتراف بإيضاح الفروق بينهما في الأمور الآتية :

١-أنّ الإقرار بالشيء يعني تأييده والتصديق به وإثباته عن طريق هذا التأييد والتصديق ، أمّا الاعتراف بالشي فعلى العكس من ذلك ؛ لأنّه يعني عدم تأييده والتصديق به

٢-أنّ الإقرار بالشيء يكون مقترنًا به وحاصلًا في وقته ، أمّا الاعتراف بالشيء لا يكون مقترنًا به لأنّه يحصل فيما بعد

٣-أنّ الإقرار بالشيء كان لاعتقاد صاحبه أنّ هذا الشيء حق ، أمّا الاعتراف فما حصل إلّا بعد أن تبيّن لصاحبه أنّ هذا الشيء باطل

٤-أنّ الغاية من الإقرار بالشيء تثبيته ، والغاية من الاعتراف تعريف الآخرين باعتراف صاحبه بأنّه ما فعله باطل

لذلك فإنّه ما جاء الإقرار إلّا في أمور الحقّ كقوله تعالى : (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ){البقرة : ٨٤}

وقوله تعالى : (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ){آل عمران : ٨١}

---

(١) الفروق اللغوية ص ٥٩-٦٠

والاعتراف ما جاء إلّا في أمور الباطل ، ولم يرد إلّا في الاعتراف عن الذنوب كقوله تعالى : (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ){التوبة : ١٠٢}

ولأنّ حصوله يكون فيما بعد فإنّه جاء في مشاهد يوم القيامة كقوله تعالى : (فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ){الملك : ١١}وقوله تعالى : (فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ){غافر : ١١}

٥٥-الإعراض والصفح والعفو والغفر : الصفح :((وصفحتُ عنه أوليته منّي صفحة جميلة معرضًا عن ذنبه٠٠٠أو تجاوزتُ الصفحة التي أثبتُّ فيها ذنبه من الكتاب إلى غيرها))(١)((وصفحتُ عن الأمر أعرضتُ عنه وتركته))(٢)

والصفح عن المرء وإن عرِّف بالإعراض عنه فبينهما فرق معنوي أساسيٌّ ، فقولك صفحتُ عن فلان يفيد أنّك أعرضتَ عن صفحة ماضيه وأقبلتَ إليه بصفحة جديدة ، وقولك : أعرضتُ عن فلان : تركته ، فالصفح يكون مع الإخوان والأقارب ومن ترجو منه الخير فيما يستقبل والإعراض يكون مع غيرهم

فاستعمل الصفح بمعنى البدء بصفحة جديدة جميلة كقوله تعالى : (فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ){البقرة : ١٠٩} وقوله تعالى : (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ){المائدة : ١٣}أي : ((فاعف عن مؤمنيهم))(٣)فقدقرن الصفح بالعفو وهذا يدلّ على أنّ المراد عدم ترك أهل الكتاب فعسى أن يُرجى من بعضهم خيرًا ، وقوله تعالى : (وَلْيَعْفُوا

---

(١) المفردات ص ٢٩٣

(٢) المصباح المنير ص ٣٤٢

(٣) مدارك التنزيل ص ٢٧٨

وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ){النور : ٢٢}والمراد كما هو واضح من سبب النزول الإعراض عن صفحة ماضي من آذاك والبدء معه بصفحة جديدة ، فهذه الآية ((نزلت في شأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين حلف أن لا ينفق على مسطح ابن خالته لخوضه في عائشة رضي الله عنها ، وكان مسكينًا بدريًّا مهاجرًا ، ولمّا قرأها النبيّ ، صلى الله عليه وسلّم، على أبي بكر ، رضي الله عنه ، قال : بلى أحبّ أن يغفر الله لي ، وردّ إلى مسطح نفقته))[1]

قال تعالى : (فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ){الزخرف : ٨٩}وكذلك قوله تعالى : (فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ){الحجر : ٨٥} قال الطبري في تفسير هذا الآية : ((يقول : فأعرض عنهم إعراضًا جميلًا ، واعف عنهم عفوًا حسنًا٠٠٠وكان جماعة من أهل التأويل تقول : هذه الآية منسوخة٠٠٠بقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله الله ، وأنّ محمدًا عبده ورسوله لا يقبل منهم غيره))[2] أي : ((أعرض عنهم إعراضًا بغير جزع وهذا منسوخ بآية القتال))[3] فالمراد البدء بصفحة جديدة جميلة إمّا بالتعامل معهم أو بقتالهم

أمّا الإعراض فقد استعمل بمعنى الترك كقوله تعالى : (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا){النساء : ٦٣}وقوله تعالى : (وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا){النساء : ٨١}وقوله تعالى : (أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا){المائدة : ٤٢}وقوله تعالى : (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ

---

(١) مدارك التنزيل ص ٧٧٤

(٢) جامع البيان ١٤/٦٢-٦٣

(٣) الوسيط للواحدي ٣/٥١

فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ){الأنعام : ٦٨}وقوله تعالى : (لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ){الأنعام : ١٠٦}وقوله تعالى : (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ){الأعراف : ١٩٩}

وكذلك قوله تعالى (وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا){النساء : ١٦}فاستعمل الإعراض ولم يستعمل الصفح ؛ لأنّ المراد ترك أذيتهما

-**العفو**: ((وعفوتُ عنه : قصدتُ إزالة ذنبه صارفًا عنه ، فالمفعول متروك و(عن) متعلق بمضمر فالعفو هو التجاوز عن التجافي عن الذنب))[١] ((والعفو يقتضي إسقاط اللوم والذمّ))[٢]

((والصفح : ترك التثريب وهو أبلغ من العفو ؛ ولذلك قال تعالى : (فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ){البقرة : ١٠٩} وقد يعفو الإنسان ولا يصفح))[٣] ((وقال البيضاوي : العفو ترك عقوبة المذنب ، والصفح : ترك لومه٠٠٠ويدلّ عليه قوله تعالى : ((فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا) ترقيًا في الأمر بمكارم الأخلاق من الحسن إلى الأحسن ، ومن الفضل إلى الأفضل))[٤]

الغفر : ((وقيل : اغفروا هذا الأمر بِغَفْرته ، أي : استروه بما يجب أن يُسْتَر به))[٥] قال تعالى : (وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ){الشورى : ٣٧} ((وقد يقال غفرَ له إذا تجافى عنه في الظاهر وإن لم يتجاف عنه في

---

(١) المفردات ص ٣٥٢

(٢) الفروق اللغوية ص ٢٦٤

(٣) المفردات ص ٢٩٣

(٤) فروق اللغات ص ١٦١

(٥) المفردات للراغب ص ٣٧٦

الباطن)) نحو قوله تعالى : (قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ){الجاثية : ١٤})[١]

وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ){التغابن ١٤} هكذا ينبغي أن تكون علاقتنا مع أزواجنا وأولادنا أن نعفو عنهم فلا نقابل سيئتهم بالسيئة ، وأن نصفح عنهم لا أن نعرض عنهم ونتركهم . وأن نغفر ذنوبهم أي : نسترها ولا نفضحهم ؛ لأنّ هذا ما تقتضيه صلة الرحم

٥٦-الأعمى والأكمه والعمى والعمه: الأعمى من ذهب بصر عينيه كلتيهما ، ورجل أعمى وامرأة عمياء [٢]وورد الأعمى في أربعة عشر موضعًا ، وأكثر استعمالاتهكان في باب المجاز كقوله تعالى : (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ){الأنعام : ٥٠} وورد قليلًا على الحقيقة كقوله : (لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ){النور : ٦١}

والأكمه : من وُلِد وهو أعمى [٣] وورد في موضعين أحدهما قوله تعالى : (وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّـهِ){آل عمران : ٤٩}

-العمى والعمه : ((العمى يقال في افتقاد البصر والبصيرة ، ويقال في الأوّل أعمى وفي الثاني أعمى وعَمٍ ، وعلى الأول قوله تعالى : (أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ){عبس : ٢} وقوله تعالى : (لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ){النور : ٦١} وعلى الثاني ما ورد من ذمّ العمى في القرآن الكريم نحو قوله تعالى : (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ){البقرة : ١٨} وقوله تعالى : (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا

---

(١) المفردات للراغب ص ٣٧٦

(٢) ينظر : مقاييس اللغة ص ٦٠٤

(٣) ينظر : مقاييس اللغة ص ٧٩٢

النُّورُ){فاطر : ٢٠}وقوله تعالى : (وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا){الإسراء : ٧٢} وقال تعالى : (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ){الحج : ٤٦} وقوله تعالى : (وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى){فصلت : ٤٤}هو جمع أعمى نحو حُمُرجمع أحمر ، والمراد أعمى البصيرة لا البصر وقوله تعالى : (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ){الأعراف : ٦٤} أي : عمين عن الحق [١]

ـالعمه : ((العمه : التردد في الأمر من التحيّر يقال : عَمَهَ فهو عَمِهٌ وعامِهٌ وجمعه عُمَّهٌ قال تعالى : (وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ){البقرة : ١٥}))[٢]((وعَمِهٌ أبلغ من عامهٍ ، والجمع عُماهٌ وعُمَّهٌ ومعنى التحيّر في الطغيان أنّهم ليسوا على بصيرة مما هم عليه إن كانوا متوغّلين فيه محسنين له))[٣]

٥٧-**الأعين والعيون** : استعملت الأعين بمععنى العين الباصرة ، والعيون بمعنى العين الجارية ، والأعين جمع قلّة والعيون جمع كثرة ، وكلّ إنسان لا يملك أكثر من عينين ، فعُبّر عنها بجمع القلّة ، وأمّا العيون الجارية فكثيرة ؛ لذلك عُبّر عنها بجمع الكثرة ، فمن الأول قوله تعالى : (وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ){المائدة : ٨٣} ومن الثاني قوله تعالى : (فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ){الشعراء : ٥٧}

٥٨-**الافتراء والإفك والبهتان والخرص والزور والكذب :الافتراء :** الأصل في الفرية والافتراء قطع الشيء لإفساده أو لإصلاحه ، وغلب

---

(١) ينظر : المفردات للراغب ص ٣٦٢ وعمدة الحفّاظ ١٢٦/٣

(٢) ينظر : المفردات للراغب ص ٣٦٢

(٣) عمدة الحفّاظ ١٢٦/٣

استعماله في الأوّل ، وفلان يفري الفريَّ : إذا كان يأتي بالعجب ، كأنّه يقطع الشيء قطعًا عجبًاويقال : فَرَى فلانٌ كذِبًا يفريه : إذا خلَقَه، واستعمل في القرآن في الكذب والشرك والظلم ، وفي الكذب نحو قوله تعالى : (افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا){الأنعام : ١٤٠} وقوله تعالى : (وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ){المائدة : ١٠٣} وقوله تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ){يونس : ٣٨} [١]

–**الإفك** : ((أفكته عن الأمر : صرفته عنه بالكذب الباطل٠٠٠الذي يأفك الناس عن الحقّ ، أي : يصدّهم عنهبالباطل)) [٢] والإفك : ((قلب الشيء وصرفه عن جهته٠٠٠وأفكتُ الرجلَ عن الشيء : إذا صرفته عنه قال الله تعالى : (قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا){الأحقاف : ٢٢}))[٣]و((الإفك : كلُّ مصروف عن وجهه الذي يَحِقّ أن يكون عليه ومنه قيل للرياح العادلة عن المَهابّ مؤتفكة٠٠٠وقوله تعالى : (قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ){التوبة : ٣٠} أي : يُصْرَفون عن الحقّ في الاعتقاد إلى الباطل ومن الصدق في المقال إلى الكذب ، ومن الجميل في الفعل إلى القبيح٠٠٠وقوله تعالى : (قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا){الأحقاف : ٢٢}فاستعملوا الإفك في ذلك لَمّا اعتقدوا أنّ ذلك صرف من الحقّ . فاستعمل ذلك لِما قلنا))[٤]

([١]) ينظر : العين ص ٧٤٢ ومقاييس اللغة ص ٧٣٥والمفردات ٣٩٤

([٢]) العين ص ٣١

([٣]) مقاييس اللغة ص ٤٦

([٤]) المفردات ص ٢٤

-**البهتان** : ((الباء والهاء والتاء أصل واحد ، وهو كالدهش والحَيرة))[١] و((بَهَتَ الرجلُ يَبْهَتُه بَهْتًا ، وباهته : استقبله بأمر يقذفه به ، وهو منه بريئ لا يعلمه ، فيُبْهَتُ منه ، والبهتان والبهيتة : الباطل الذي يُتحَيَّر من بطلانه))[٢] و((في حديث بيعة النساء : (وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ){الممتحنة : ١٢} هو الباطل الذي يُتَحَيَّر منه ، وهو من البهت التحيُّر ، والألف والنون زائدتان ، يقال : بَهَتَه يَبْهَتُه ، والمعنى : لا يأتين بولد من غير أزواجهنَّ فينسبنه إليهم ، والبهتُ : الكذب والافتراء ، ومنه حديث الغيبة : وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتَّه ، أي : كذبت وافتريت عليه))[٣]

و((قال الله عزَّ وجلَّ : (فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ)البقرة : ٢٥٨} إذا دهش وتحيَّر ، وقد بهته ، قال عز وجل : (سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ){النور : ١٦} أي : كذب يُبهتُ سامعه ، قال الله تعالى : (وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ){الممتحنة : ١٢} كناية عن الزنا ، وقيل : بل ذلك كل فعل شنيع يتعاطينه باليد ، والرِّجل من تناول ما لا يجوز ، والمشي إلى ما يُقبَح))[٤] و((البَهْتُ : التحيّر٠٠٠ومن ذلك البهتان ، وهو الباطل الذي يحير الناظر فيه٠٠٠وقوله تعالى : (سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ){النور : ١٦} أي :

---

(١) ينظر : العين للخليل ص ٩٠ ومقاييس اللغة ص ١١٤ وينظر : العين للخليل ص ٩٠ ولسان العرب ٢/١٦٢-١٦٣

(٢) المخصص لابن سيده ٤/٢٨٢

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ١/١٦٧ وينظر : العين للخليل ص ٩٠ ومقاييس اللغة لابن فارس ص ١١٤ ولسان العرب ٢/١٦٢-١٦٣

(٤) المفردات ص ٦٨ وينظر :عمدة الحفاظ ١/٢٣٦

كذب فظيع متبالغ في القبح ، يحيِّر من يسمعه ويُدهشه)) [١] فالبهتان إذن هو كل ما شنع وفظع من الأقوال والأفعال حتى يُدهش ويحيَّر من يسمعه ((لكونه قيل في أمِّ المؤمنين رضي الله عنها ، وصدوره مستحيل شرعًا من مثلها)) [٢] و((هو الكذب الذي يواجه به صاحبه على وجه المكابرة له قال تعالى : ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾{النساء : ١٥٦} فإنّ اليهود كانوا يواجهون مريم عليها السلام بالقذف ، وينسبونها إلى ما لا ينبغي من القول بالمشافهة))[٣]

-**الخرص** : ((والخرْص الحَزْر في العدد والكيل ، والخارص : يخرُص ما على النخلة ، ثمّ يقسِّم الخَراج على ذلك))[٤] ((وهو حَزْرُ الشيء ، يقال : خَرَصْتُ النخلَ : إذا حَزَرْتَ ثمره ، والخرّاص : الكذاب ، وهو من هذا ؛ لأنّه يقول ما لا يعلم ولا يَحُقُّ))[٥]((وقيل : الخَرْصُ الكذب في قوله تعالى :﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾{الزخرف : ٢٠}قيل معناه يكذبونوقوله تعالى : ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾**{الذاريات : ١٠}** قيل : لُعِن الكذابون ، وحقيقة ذلك أنّ كلّ قول مقول عن ظنٍّ وتخمين يقال خَرْصٌ سواء كان مطابقًا للشيء أو مخالفًا له من حيث إنّ صاحبَه لم يقله عن علم ولا غَلَبَة ظنٍّ ، بل اعتمد فيه على الظنّ والتخمين ، كفعل الخارص في خَرْصه ، وكلّ من قال قولًا على هذا النحو قد يُسَمَّى كاذبًا وإن كان قولًا مطابقًا للمقول المُخْبَر عنه))[٦]

---

(١) عمدة الحفاظ ٢٣٦/١

(٢) فتح القدير للشوكاني ١٦/٤

(٣) فروق اللغات ص ٦٣

(٤) العين ص ٢٣٨

(٥) مقاييس اللغة ص ٢٥١

(٦) المفردات ص ١٥٢

-**الزور** :((والزَّور ميل في الزّور والأزور المائل الزَّور وقوله تعالى : (وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ){الكهف : ١٧} **أي** : تميل٠٠٠وقيل للكذب زُور لكونه مائلًا عن جهته قال تعالى : (فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا){الفرقان : ٤})) [١] وقال الله تعالى : (وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ){الحج : ٣٠}

فـ((الزُّور : الكذب وزوَّر كلامه أي : زخرفه ، وزوّرت الكلام في نفسي هيّأته وازورّ عن الشيء وتزاور عنه مال))[٢]

وفرّق العسكري ((بين الزور والكذب والبهتان : أنّ الزور هو الكذب الذي قد سُوِّيَ وحُسِّن في الظاهر ليحسب أنّه صدق، وهو من قولك : زوّرْتُ الشيءَ إذا سوَّيته وحسّنته٠٠٠وقيل : أصله فارسي من قولهم :زور ، وهو القوّة ، وزوَّرته قوَّيته ، وأمّا البهتان فهو مواجهة الإنسان بما لم يحبّه وقد بهته)) [٣]

-**الكذب** : ((خلاف الصدق))[٤] الكذب اسم موضوع للكذب فإنّه قد يكون في حقّ المتكلِّم نفسه ، ولذا يقال : فعلتُ كذا ولم أفعل كذا مع عدم صدقه في ذلك ، هو كاذب ، ولا يقال هو مفترٍ وكذا من مدح أحدًا بما ليس فيه ، يقال : إنّه كاذب في وصفهولا يقال هو مفترٍ ؛ لأنّ ذلك مما يرتضيه المقول فيه غالبًا وقال سبحانه عن الكفّار : (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ){الأنعام : ٢١}

---

(١) المفردات ص ٢٢٤

(٢) المصباح المنير ص ٢٦٠

(٣) الفروق اللغووية ص ٥٨-٥٩

(٤) مقاييس اللغة ص ٨٠٤

وصفوة ما تقدّم ذكره في الفرق بين الكذب والافتراء والإفك والبهتان والخرص والزورأنّ :

الكذب خلاف الصدق

والافتراء : اختلاق الكذب

والإفك : قلب الشيء وصرفه عن الحقّ في الاعتقاد إلى الباطل ومن الصدق في المقال إلى الكذب ، ومن الجميل في الفعل إلى القبيح

والبهتان : هو الكذب الذي يُبْهِتُ سامعَه لفظاعته أي : كذب فظيع مُتبالغ فيه يُحَيِّر من يسمعه ويُدْهِشُه

والخَرْص :كلّ قول مقول عن ظنٍّ وتخمين ، يسمّى كذبًا سواء كان مطابقًا للواقع أم لا ؛ لأنّه لم يقله قائلُه عن علم ولا غَلَبَة ظنٍّ .

والزور : تزيين الكذب وزخرفته والميل عن الحق

٥٩-الإفضاء والرفث : قال الله تعالى : (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ){البقرة :١٨٧} وقال تعالى : (وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا){النساء : ٢١}

قال ابن جني : ((وأنت لا تقول : رفثتُ إلى المرأة ، وإنَّما تقول : رفثتُ بها ، أو معها ؛ لكنَّه لما كان الرفث هنا بمعنى الإفضاء ، وكنتَ تعدّي (أفضيتُ) بـ(إلى) كقولك : أفضيتُ إلى المرأة ؛ جئتَ بـ(إلى) مع الرفث إيذانًا وإشعارًا إنَّه بمعناه)) [١] ومثل هذا قال ابن سيده [٢] ونسب الواحدي إلى الأخفش قوله : ((إنَّما عدّاه بـ(إلى) لأنَّه بمعنى الإفضاء)) [٣] وجاء في الدر المصون : ((وعدَّى (الرفث) بـ(إلى) وإنّما يتعدّى بالباء لما

---

(١) الخصائص ٢/ ٩٢.

(٢) ينظر : المحكم ١/ ١٤١ ، ولسان العرب ٦/ ١٨٨ .

(٣) الوسيط ٢٨٦/١ .

ضُـمِّن مـن معنـى الإفضـاء ، كأنَّـه قيـل : أُحِّـلَّ الإفضـاء إلـى نسـائكم بالرفث))[1]

هذا ما قاله اللغويون والمفسرون ، وليس الأمر كما قالوا ، وكان الأولى بهم أن يبينوا الفرق في الدلالة بين الرفث والإفضاء ؛ ليصلوا من خلال ذلك إلى معرفة السرّ من استعمال (إلى) بدلًا من الباء .

فـ(الرفث) وإن جعله أهل اللغة والتفسير بمعنى (الإفضاء) ؛ ليسوغوا به هذا التضمين ، فإنَّ بينهما فرقًا في الدلالة فـ((الرفث : كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من أهله)) [2] وقال ابن فارس : ((الراء والفاء والثاء : أصل واحد ، وهو كل كلام يُستحيا من إظهاره)) [3] وقال ابن سيده : ((الرفث : الجماع وغيره مما يكون بين الرجل وامرأته ، يعني التقبيل ، والمغازلة ونحوهما مما يكون في حال الجماع)) [4]

هذه دلالة الرفث ، أمَّا الإفضاء ، فقد قال الفراء : ((الإفضاء : أن يخلو بها وإن لم يجامعها)) [5] وهو المجامعة عند أبي عبيدة [6] وقال الزجاج : ((الإفضاء : أصله الغشيان، وقال بعضهم : إذا خلا فقد أفضى ، غشي أو لم يغش)) [7] وجاء في تهذيب اللغة : ((ويقال : أفضى فلان إلى

---

(١) ٢٩٢/٢ ، وينظر : أنوار التنزيل ، تفسير البيضاوي ١٢٦/١ .

(٢) تهذيب اللغة للأزهري : ١٤٣٧/٢

(٣) مقاييس اللغة : ص ٣٤٥ .

(٤) المحكم : ١٤١/١٠

(٥) معاني القرآن : ١٨٢/٢ .

(٦) مجاز القرآن : ص ٥٧ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه : ٢٦/٢ .

إلى فلان : إذا وصل إليه ، وأصله أنَّه صار في فرجته وفضائه...وعن ابن الأعرابي : أفضى الرجل : دخل على أهله ، قال : وأفضى أيضًا : إذا جامعها ، قال : والإفضاء في الحقيقة : الانتهاء ، ومنه قول الله ، جل وعز : (وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا){النساء : ٢١} أي : انتهى وأدَّى ، ويقال : أفضى الرجل جاريته : جامعها)) [١] ((ويقولون : أفضى الرجل إلى امرأته : باشرها...وأفضى إلى فلان بسرِّه إفضاءً)) [٢] ((وأفضيتُ إلى فلان بسرِّي ، وأفضى الرجل امرأته : باشرها وجامعها)) [٣]

فهذه دلالة الإفضاء : خلو الرجل بامرأته ، أو مجامعتها ، وعندها تتكشف للرجل أسرارها الأُنثوية ، فإذا طلقها في هذه الحال ، استحقت أن تأخذ من الرجل المهر كلّه ؛ ثمنًا لانكشاف سرّها له ، ولمجامعتها وفضّ بكارتها ، فاستعمال لفظ (الإفضاء) هو الملائم هنا لسياق الآية في سورة النساء ، أمَّا الآية الواردة في سورة البقرة ، فهي في سياق الصيام ، ومما يستلزم فيه : الصوم عن الفحش في الكلام ، والنظر إلى ما حرّم الله من عورات النساء ، أو مغازلتهنَّ أو تقبيلهنَّ أو مجامعتهنَّ ، وقد ظنّ بعض الصحابة أنَّ هذه الأمور ، كما هي محرَّمة عليهم في النهار ، فهي كذلك محرَّمة عليهم في الليل مع زوجاتهم ، فكان من المناسب أن يستعمل لفظ (الرفث) الذي يدلّ على ما تقدَّم ذكره

فبين (الرفث) و(الإفضاء) فرق واضح في الدلالة ، ولكل منهما سياقه وموضعه ، ومن الواضح أنَّ النحاة والمفسرين قد اضطروا إلى تحريف

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري ٢٧٩٦/٣ .

(٢) مقاييس اللغة : ص ٧٣٩ .

(٣) الصحاح : ص ٨١٤ .

دلالة اللفظ القرآني عن طريق التضمين ، من أجل أن يسوغوا تعدي (الرفث) بـ(إلى) مع أنَّه من الجائز استعمال دلالة هذا الحرف مع (الرفث) لأنَّ المراد إحلال رفثهم الموجه إلى نسائهم ليالي الصيام ، كما أنَ ادعاءهم بأنَّ (الرفث) يتعدى بالباء ، ولا يتعدى بـ(إلى) يردُّه ما جاء في كتاب العين للفراهيدي : ((الرفث : الجماع ، رفث إليها وترفَّث)) [1]

٦٠-**الأفواه والألسنة** : قال الله تعالى : (يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَفِي قُلُوبِهِمْ){آل عمران : ١٦٧}وقال تعالى : (فَرَدُّواْ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ){إبراهيم : ٩}

بين الأفواه والألسنة وإن ترادفا فرق واضح لا يخفى ، قال ابن فارس : ((الفاء والواو والهاء أصل صحيح يدل على تفتح في الشيء ، من ذلك الفوه : سعة الفم ... ويقول أهل العربية : إنَّ أصل الفم فوه)) [2]وقال : ((اللام والسين والنون أصل صحيح واحد يدل على طول لطيف غير بائن في عضو أو غيره ، من ذلك اللسان معروف ، وهو مذكر ، والجمع ألسن ، فإذا كثر فهي الألسنة))[3] فالفرق اللغوي بينهما بيِّن .

فـ((أفواه جمع فم ، وأصل فوه فم ، وكل موضع علَّق الله تعالى حكم القول بالفم فإشارة إلى الكذب ، وتنبيه أنَّ الاعتقاد لا يطابقه نحو قوله تعالى : (ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ){الأحزاب : ٤} وقوله تعالى : (مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لابَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلا كَذِبًا){الكهف : ٥} وقوله تعالى : (يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ){التوبة : ٨} وقوله تعالى : (فَرَدُّواْ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ){إبراهيم : ٩} وقوله تعالى :

---

(١) العين ص ٣٥٩ .

(٢) مقاييس اللغة ص ٧٢٤.

(٣) مقاييس اللغة ص ٨٣٣

(مِنَ الَّذِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ){المائدة : ٤١} وقوله تعالى : (يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ){آل عمران : ١٦٧}))[١] ومن ذلك قوله تعالى : (قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ){آل عمران : ١١٤} وقوله تعالى : (ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ){التوبة : ٣٠} وقوله تعالى : (يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ){التوبة : ٣٢} وقوله تعالى : (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ){يس : ٦٥}وقوله تعالى : (يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ){الصف : ٨}

و((اللسان الجارحة ، ويقال لكل قوم لسان ، أي : لغة قال تعالى : (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا){مريم : ٩٧} وقال تعالى : (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ){الشعراء ١٩٥} وقال تعالى : (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ){الروم : ٢٢} فاختلاف الألسنة إشارة إلى اختلاف اللغات وإلى اختلاف النغمات ، فإنَّ لكل إنسان نغمة مخصوصة يميزها السمع ، كما أن له صورة مخصوصة يميزها البصر)) [٢]

ولأنَّ اللسان يُعدُّ جارحة اللغة والنطق فقد جعله القرآن الكريم المترجم الحقيقي لما استقر في القلب من خير أو شر أو حق أو باطل ؛ لذلك قال تعالى : (فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً){الأحزاب ١٩} أمَّا الفوه الذي يعنى سعة الفم وجمعه الأفواه فهو العضو الواسع الذي يكون فضفاضًا تجول فيه الكلمات ، فاستعماله للقول يكون ((تنبيهًا على أنَّه

([١]) المفردات ص ٤٠٥ .

([٢]) المفردات ص ٤٦٩.

صادر عن غير عقد ، ولا ربط بينه ، وإنَّما هو شيء يمرّ باللسان من غير عقد بالجنان))[١] قال الله تعالى : (إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ){النور : ١٥} قال الزمخشري : ((فإن قلتَ : ما معنى قوله : (بِأَفْوَاهِكُم) والقول لايكون إلّا بالفم ؟ قلتُ : معناه : أنَّ الشيء المعلوم يكون علمه في القلب فيترجم عنه اللسان ، وهذا الإفك ليس إلّا قولًا يجري على ألسنتكم ، ويدور في أفواهكم من غير ترجمة عن علم في القلب كقوله تعالى : (يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ){آل عمران : ١٦٧}))[٢] وقال البيضاوي : ((وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم) أي : تقولون كلامًا مختصًّا بالأفواه بلا مساعدة من القلوب))[٣] فبين الأفواه والألسنة فرق بيِّن في الدلالة والاستعمال والقرآن الكريم استعمل الأفواه في كل موضع للإشارة إلى القول الكذب والنفاق وما خالف الحقيقة والواقع والعقيدة ، واستعمل الألسنة في كل موضع للتعبير عن اللغة .

٦١-**الأفول والغيب والغروب** : فرّق العسري ((بين الأفول والغيوب أنّ الأفول هو غيوب الشيء وراء لشيء ؛ ولهذا يقال : أفل النجم ؛ لأنّه يغيب وراء جهة الأرض ، والغيوب يكون في ذلك وفي غيره ، ألا أنّك تقول : غاب الرجل إذا ذهب عن البصر ، وإن لم يستعمل إلّا في الشمس والقمر والنجوم ، والغيوب يستعمل في كلّ شيء))[٤]

((والأفول غيبوبة النيّرات كالقمر والنجوم قال تعالى : (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا

---

(١) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ٢٦٠/٣ ..

(٢) الكشاف : ٢١٤/٣ وينظر : مدارك التنزيل ص ٧٧٣ .

(٣) أنوار التنزيل ١٠١/٤.

(٤) الفروق اللغوية ص ٣٣٧

رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ){الأنعام : ٧٦-٧٨}))[١]

-**الغروب** : ((الغرب : غيبوبة الشمس، يقال : غربت تغرب غَرْبًا وغُروبًا))[٢]

-**الغيب** : ((الغيب مصدر غابت الشمس وغيرها إذا استترت عن العين٠٠٠واستعمل في كلّ غائب عن الحاسّة ، وعمّا يغيب عن علم الإنسان))[٣]

فالغيب هو كلّ ما غاب عن عين الإنسان وحواسّه ، وهو ما كان ضدّ الحاضر والمُشاهَد ، كالجنّ والملائكة والجنّة والنار

والغروب : استعمل في غروب الشمس ، وكلّ ما غرب في جهة المغرب

والأفول استعمل في اختفاء الشيء بعد ظهوره وبزوغه وبروزه ، لذلك استعمل في اختفاء الكوكب والشمش والقمر بعد بزوغها ، ولذلك يقال : أفل نجم فلان ، لمن ظهر واشتهر ثم قلتّ شهرته

٦٢-الإقامة والثواء واللبث والمكث : الإقامة : قال الراغب : (يُعبَّر بالإقامة عن الدوام نحو قوله تعالى : (وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ)**{المائدة : ٣٧}**))[٤] **و(مُّقِيمٌ)** صيغة اسم الفاعل من أقام ،وإفادته للدوام لم يجئ من

---

(١) المفردات للراغب ص ٢٤

(٢) المفردات للراغب ص ٣٧٣

(٣) المفردات للراغب ص ٣٨١

(٤) المفردات ص ٤٣٦ وينظر : عمدة الحفّاظ ٣٥٧/٣

معنى الفعل ، بل من هذه الصيغة ؛ لأنّ اسم الفاعل في اللغة يدلّ على الثبات

قال ابن فارس : (القاف والواو والميم أصلان صحيحان ، يدلّ أحدهما على جماعة ناس ، وربّما استعير في غيرهم ، والآخر على انتصاب أو عزم)) [١]

وجاء في اللسان : ((ويجيء القيام بمعنى الوقوف والثبات ، يقال للماشي : قف لي ، أي : تحبَّسْ مكانك حتى آتيك ، وكذلك : قم لي ، بمعنى : قف لي ، وعليه فسّروا قوله تعالى : (وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا){البقرة : ٢٠} قال أهل اللغة والتفسير : قاموا هنا بمعنى وقفوا وثبتوا في مكانهم غير متقدمين ولا متأخّرين٠٠٠ومنه : قامت الدابّة إذا وقفت عن السير ، وقام عندهم الحق ، أي : ثبت ولم يبرح ، ومنه قولهم : أقام بالمكان هو بمعنى الثبات ، ويقال : قام الماء إذا ثبت متحيّرا لا يجد منفذًا ، وإذا جمد أيضًا ، قال وعليه فسّر بيت أبي الطيّب :

وكذا الكريم إذا أقام ببلدة سال النُّضّار بها وقام الماء

أي : ثبت متحيّرًا جامدًا٠٠٠وأقام بالمكان إقامًا وإقامة٠٠٠وأقام الشيء أدامه من قوله تعالى : (وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ){البقرة : ٣})) [٢] ((وكذلك الرجل إذا وقف وثبت يقال : إنّه قام٠٠٠وكلّ من ثبتَ على شيء وتمسّك به فهو قائم عليه))[٣]

ووردت الإقامة بمعنى الاستقرار في الحضر بعد طول السفر قال تعالى : (تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ){النحل : ٨٠}

---

(١) مقاييس اللغة ص ٧٥٧

(٢) لسان العرب ١٢/٢٢٣-٢٢٤

(٣) تاج العروس ٣٣/١٧٨-١٨٢

-**الثواء** : ((الثواء : الإقامة مع الاستقرار يقال : ثوى يثوي ثَواءً قال تعالى : (أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ){الزمر : ٦٠}٠٠٠وقيل : من أمَّ مثواك ؟ كناية عمّن نزل به ضيف ، والثويَّة مأوى الغنم))[١] و((الثواء طول المُقام٠٠٠وأثويتُ به : أطلت الإقامة به٠٠٠ومثوى الرجل منزله))[٢]

فالثواء هو الإقامة مع الاستقرار ؛ لذلك عبِّر عن الثواء بمسكن الرجل ، ومثوى الغنم ، ومثوى أهل النار ، وهو المكان الذي ينتهون إليه وفيه يستقرّون ، أعاذنا الله منه ومن أهله ، وأهل التفسير يجعلون قوله تعالى : (وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ){القصص : ٤٥} بمعنى : وما كنت مقيمًا[٣] فيجعلون الثواء بمعنى الإقامة والحقيقة أنّ بينهما فرقًا ظاهرًا ، فليس المعنى ما ذكروه ، ويمكن توضيح الفرق بين الإقامة والثواء أنّ الإقامة تعني ما تعنيه الدول اليوم من الإقامة فكثيرٌ من الدول تقبل بالوافدين إليها من الأجانب من دول أخرى فتجيز لهم البقاء في دولها إلى أجل مسمّى تنقضي بانقضائه أو يجدّد ، فبقاء الأجانب في هذه الدول تسمّى إقامة ، ويطلَق عليهم اسم المقيمين ، ولا تُطلَق هذه التسمية على أهل البلد ، وهذا هو المعنى المراد من قوله تعالى : (وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ) أي : ما كنت من أهل مدين وسكّانها ؛ ولهذا عرّفوا الثواء بطول الإقامة

---

(١) المفردات ص ٨٩ وينظر : عمدة الحفّاظ ١/٢٩٥-٢٩٦

(٢) لسان العرب ٣/٥٦

(٣) ينظر : جامع البيان للطبري ٢٠/٩٥ والوسيط للواحدي ٣/٤٠١ والكشّاف للزمخشري ٣/٤٠٤

فالفرق بين الإقامة والثواء أنّ الإقامة تعني طول اللبث أمّا الثواء فيعني دوام اللبث ،ولهذا يقال للغريب الذي يطول بقاؤه في غير بلده مقيم ، ولا يقال ذلك لمن كان من أهل البلد

-**اللبث** : قال الفرّاء في تفسير قوله تعالى : (فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ){هود : ٦٩}((فما أبطأ عن مجيئه بعجل))[١] وقال الشوكاني : ((قال أكثر أهل التفسير (أن) هنا بمعنى حتى ، أي : فما لبث حتى جاء ، وقيل : إنّها في محلّ نصب بسقوط حرف الجر والتقدير : فما لبث عن أن جاء ، أي : ما أبطأ إبراهيم عن مجيئه بعجل ، و(ما) نافية قاله سيبويه ، وقال الفرّاء : فما لبث مجيئه ، أي : ما أبطأ مجيئه))[٢] و((لبث بالمكان أقام به ملازمًا له قال تعالى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا){العنكبوت : ١٤}وقال تعالى : (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ){يونس : ٤٥} وقال تعالى : (أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ){سبأ : ١٤}))[٣]

((واللَّبِثُ : البطيء ٠٠٠واللُبثة بالضمّ : التوقّف كالتلبّث))[٤]

فاللبث لا يعني الاستقرار في المكان ، بل يعني التوقّف و((الإبطاء والتأخر))[٥] وفي الحديث : فاستلبث الوحي[٦] ، أي : أبطأ وتأخّر ، وقوس

(١) معاني القرآن ٣٣٨/١

(٢) فتح القدير ٦٤٩/٢

(٣) المفردات ص ٤٦٥

(٤) تاج العروس ١٩٠/٥

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر ٥٨١/٢

(٦) رواه البخاري ، ينظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ٣٢٣/٥ رقم الحديث ٢٦٣٧ وشرح صحيح مسلم ٦٧/٨ رقم الحديث٢٧٧٠

لَبـاث : بطيئـة ، فاللبـث يعنـي الإبطـاء والتـأخّر مـدة قـد تقصـر كقولـه تعالى :(فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ){هود : ٦٩}أي : ما تأخّر بل عجل فيه[١]وقد يطول كقوله تعالى : (فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ){يوسف : ٤٢}وقوله تعالى : (فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا){العنكبوت : ١٤}وأهل النار الذين كانوا يظنّون أنّهم سيلبثون في الدنيا زمنًا طويلًا يقولون عن لبثهم في الدنيا أنّهم لم يلبثوا فيها إلّا ساعة من نهار قال تعالى : (كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ){الأحقاف : ٣٥}

-**المكث** : ((المكث : ثبات مع انتظار ، يقال : مكث مُكثًا قال تعالى : (فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ){النمل : ٢٢} وقال تعالى : (قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ){الزخرف : ٧٧} وقال تعالى : (قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ){القصص : ٢٩}))[٢]

و((المكث : الإقامة مع الانتظار ٠٠٠والماكث : المنتظر))[٣]

والمكث : الانتظار ، والماكث : المنتظر ، ورجل مكيث أي : رزين فالمكث يعني الانتظار ، وهذا الانتظار قد يقصر كقوله تعالى : (فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ){النمل : ٢٢} ومعنى غير بعيد غير طويل ، وتمكّثَ إذا انتظر أمرًا وأقام عليه ، والمكث : الإقامة مع الانتظار ، وفي الحديث أنّه توضأ مكيثًا أي : بطيئًا غير مستعجل[٤]

---

(١) ينظر : لسان العرب ١٣/١٥٨-١٥٩ والنهاية في غريب الحديث والأثر ٢/٥٨١ ومدارك التنزيل ص ٥٠٥

(٢) المفردات ص ٤٩١ وينظر : عمدة الحفّاظ ٤/١٠٣

(٣) تاج العروس ٥/٢٠٣-٢٠٤

(٤) لسان العرب ١٤/١٠٩

فالمكث هو الانتظار وهذا الانتظار قد يقصر كما تقدّم وقد يطول بل قد يكون انتظارًا أبديًّا لا ينقضي كما قال تعالى : (وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ){الزخرف : ٧٧-٧٨}

٦٣-**الأُكُل والثمر** : ((الأُكُل لِما يؤكَل))[١] و((الأَكْل بالفتح المصدر وبالضمّ الشيء المأكول٠٠٠وقوله تعالى : (كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا){الكهف : ٣٣} أي : ما تثمره فيؤكَل))[٢]

و((الثمر : اسم لكل ما يُتطعّم به من أعمال الشجر))[٣]و((الثمر حمل الأشجار))[٤] ((والشيء المأكول من كلّ شيء يقال له أُكُل)) [٥]

فالفرق بين الأُكُل والثمر أنّ الأوّل أعمّ من الثاني ؛ لأنّه يعني كلّ ما يُؤكَل فيشمل الثمر وغيره

٦٤-**الألباب والحجر والعقول والنُّهى : الألباب** : ((اللّب : لبّ كلّ شيء من الثمار : داخله الذي يُطرَح خارج٠٠٠واللُّباب : الخالص من كلّ شيء))[٦] ((اللّبّ معروف من كلِّ شيء ، وهو خالصه وما يُنتَقى منه ؛ ولذلك سُمِّيَ العقل لُبًّا ورجل لبيب ، أي : عاقل ، وقد لَبَّ يَلِبُّ، وخالص كلِّ شيء لبابه))[٧] و((اللُّبُّ العقل الخالص من الشوائب ؛ وسُمِّيَ بذلك لكونه

---

(١) المفردات للراغب ص ٢٤

(٢) عمدة الحفّاظ ٩٨/١

(٣) المفردات للراغب ص ٨٦

(٤) عمدة الحفّاظ ٢٨٥/١

(٥) المحرر الوجيز لابن عطية ٣٥٩/١

(٦) العين ص ٨٦٣

(٧) مقاييس اللغة ص ٨١٦

خالصَ ما في الإنسان من معانيه كاللُّباب واللُّبُّ من الشيء ، وقيل : هو ما زكى من العقل فكلّ لُبٍّ عقلٌ وليس كلُّ عقلٍ لُبًّا ، ولهذا عَلّقَ اللهُ تعالى الأحكام بأولي الألباب : (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ){البقرة : ٢٦٩}))[١]

وفرّق العسكري ((بين العقل واللّبّ : أنّ قولنا : اللب يفيد أنّه من خالصصفات الموصوف به ، والعقل يفيد أنّه يحصر معلومات الموصوف به ، فهو مفارق له من هذا الوجه ، ولباب الشيء ولبّه خالصهولمّا لم يجز أن يوصف الله تعالى بمعان بعضها أخلص من بعض لم يجز أن يوصَف باللبّ))[٢]

وفرّق ((بين العقل والنُهى : أنّ االنُّهى هو النهاية في المعارف التي لا يحتاج في مفارقة الأطفال ومن يجري مجراهم ، وهي جمع واحدها النُّهْية ، ويجوز أن يقال : أنّها تفيد أنّ الموصوف بها يصلح أن ينتهي إلى رأيه ، وسُمِّيَ الغدير نهيًا ؛ لأنّ السيل ينتهي إليه والتنهية : المكان الذي ينتهي إليه السيل ، والجمع التناهي وجمع النُّهى : أنه وأنهاء))[٣]

-**الحجر** : ((الحاء والجيم والراء أصل واحد مطَّرد ، وهو المنع والإحاطة على الشيء ، فالحَجْر حَجْر الإنسان، وقد تُكسر حاؤه ، ويقال : حجر الحاكم على السفيه حَجْرًا ، وذلك منعه إيّاهمن التصرّف في ماله ، والعقل يُسَمّى حِجْرًا ؛ لأنّه يمنع من إتيان ما لا ينبغي ، كما سُمِّيَعقلًا تشبيهًا له بالعقال .قال الله تعالى : (هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ){الفجر : ٥}))[٤]

---

(١) المفردات ص ٤٦٥ وينظر : عمدة الحفّاظ ٤/٤-٥

(٢) الفروق اللغوية ص ٩٨

(٣) الفروق اللغوية ص ٩٨

(٤) مقاييس اللغة ص ٢٣٩

((والحَجْر والتحجير أن يُجعّل حول المكان حجارة يقال : حَجَرْتُه تحجيرًا فهو محجور ، وسُمِّي ما أُحيط به الحجارة حِجْرًا ، وبه سُمَّي حِجْر الكعبة وديار ثمود قال تعالى : (وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ){الحجر : ٨٠}وتُصُوِّر من الحَجْر معنى المنع لِما يحصل فيه فقيل للعقل حِجْر لكون الإنسانفي منع منه ممّا تدعو إليه نفسه وقال تعالى : (هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ){الفجر : ٥}))))[١] ((والحِجْر بالكسر : العقل لأنّه يمنع صاحبه من الجهل))[٢]

وورد الحِجْر بمعنى العقل في موضع واحد هو الموضع المذكور(هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ) (((لِّذِي حِجْرٍ) عقل سُمِّي به ؛ لأنّه يحجر عن التهافت فيما لا ينبغي ، كما سُمِّي عقلًا ونهية لأنّه يعقل وينهي))[٣]

-**العقول** :((العقل ، وهو الحابس عن ذميم القول والفعل))[٤]

و((العقل : يقال للقوة المُتَهَيِّئَة لقبول العِلْم ، ويقال للعِلْم الذي يستفيده الإنسان بتلك القُوَّة عَقْلٌ...وإلى الأوّل (القُوَّة المتهيِّئة) أشار صلى الله عليه وسلّم ، بقوله : ما خلق خلْقًا أكرم عليه من العقل ، وإلى الثاني (العلم) أشار بقوله : ما كسبَ أحدٌ شيئًا أفضل من عقل يهديه إلى هُدًى أو يردُّه عن ردى ، وهذا العقل هو المعنيُّ بقوله تعالى : (وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ){العنكبوت : ٤٣}وكلُّ موضع ذَمَّ الله فيه الكفّاربعدم العقل فإشارة إلى الثاني (العلم) دون الأول (القوّة المتهيئة) نحو قوله تعالى : (وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ۚ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ){البقرة :

([١]) المفردات ص ١١٤

([٢]) عمدة الحفّاظ ٣٧٥/١

([٣]) مدارك التنزيل ص ١٣٤٥

([٤]) مقاييس اللغة ٥٨١

١٧١}ونحو ذلك من الآيات وكلّ موضع رُفِع التكليفُ عن العبد لعدم العقل فإشارة إلى الأوَّل (القوّة المتهيئة)))[١]

-**النُهى** : ((والنُّهى : الغدير حيث ينخرم السيل في الغدير فيوسَّع ، والجميع النِّهاء ، وتنهية الوادي : حيث ينتهي إليه السيول))[٢] ((والنُهْية : العقل ؛ لأنّه ينهى عن قبيح الفعل ، والجمع : نُهًى))[٣]((والنُّهْيَة : العقل الناهي عن القبائح ، جمعها نُهَى))[٤]

و((قوله تعالى : (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ){طه : ٥٤}النُّهَى جمع نُهْيَة ،وهو العقل ؛ لأنّه ينهي صاحبه عن ارتكاب القبيح ، وقيل : لأنّه ينتهي إلى رأيه واختياراته))[٥]

فلأنّ المراد من الألباب العقول الخالصة من الشوائب وما زكى منها لم تستعمل العقول بل استعملت من دونها الألباب ، واستعملت في ستة عشر موضعًا كقوله تعالى : (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ){البقرة : ١٧٩}وقوله تعالى : (وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ){البقرة : ١٩٧}(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ){آل عمران : ١٩٠}وقوله تعالى : (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ){يوسف : ١١١}وورد النُّهى في موضعين في قوله تعالى : (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ){طه : ٥٤} وقوله تعالى : (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ){طه : ١٢٨}

---

(١) المفردات ص ٣٥٥ وينظر : عمدة الحفّاظ للحلبي ١٠٧/٣

(٢) العين ص ٩٩٢-٩٩٣

(٣) مقاييس اللغة ٨٧٤

(٤) المفردات ص ٥٣٠

(٥) عمدة الحفأظ ٢٢٦/٤

وقد تقدّم أنّ النُّهَى جمع نُهْيَة ، وهو العقل ؛ لأنّه ينهي صاحبه عن ارتكاب القبيح من الأفعال ، وقد جاءت الآية في الموضع الأوّل بعد ذكر قصة هرون وموسى مع فرعون نهياه عن تعذيب بني إسرائيل وعن طغيانه فلم يمتثل لأمرهما فحلّ به ما حلّ فناسب أن يأتي بعد ذكر ذلك قوله تعالى : (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ){طه : ٥٤} وجاءت الآية في الموضع الثاني بعد ذكر قصّة آدم عليه السلام وحوّاء نهاهما الله عن أكل الشجرة فأكلا منها فحل بهما ما حلّ فناسب أيضًا أن يأتي بعد ذكر ذلك قوله تعالى : (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ){طه : ١٢٨}

٦٥–الإلحاد والشرك والكفر : الشرك : ((الشين والكاف والراء أصلان ، أحدهما يدلّ على مقارنة وخلاف انفراد ، والآخر يدلّ على امتداد واستقامة ، فالأوّل : الشِّرْكَة ، وهو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما))(١)

والشرك المحرّم أن تشرك غير الله مع الله في العبادة وفي الألوهية وهذا هو أعظم الشرك قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا){النساء : ٤٨}

–**الكفر** : ((الكاف والفاء والراء ، أصل صحيح يدل على معنى واحد ، وهو الستر والتغطية ، يقال لمن غطى درعه بثوب ، قد كفر درعه ، والرجل المُكَفِّر : الرجل المتغطي بسلاحه ، ويقال للزارع كافر ؛ لأنَّه يغطي الحبَّ بتراب الأرض ، قال الله تعالى : (كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ){الحديد : ٢٠} ورماد مكفور : سَفَت الريح التراب عليه حتى غطته ... والكفر : ضد الإيمان ؛ سُمِّي لأنَّه تغطية الحق ، وكذلك كفران

(١) مقاييس اللغة ص ٤٧٦

النعمة : جحودها وسترها ، والكافور : كِمُّ العنب قبل أن يُنَوِّر ؛ وسُمِّي كافورًا ؛ لأنَّه كفَرَ الوليع ، أي : غطاه)) [١] والوليع : الطلع

وقال العسكري : ((الكفر : أصله التغطية ، ويقال لليل كافر ؛ لأنَّه يغطي كل شيء بظلمته ، وكفَرَ الغمام النجوم ، أي : سترها ••• وكفَرَ النعمة ، إذا لم يشكرها ، كأنَّه سترها ، ويقال لوعاء كل ثمرة : كافور ؛ لأنَّه يغطيها••• ويكفِّر الذنوب : يسترها ، ومعنى ذلك: أنَّ الله سبحانه لا يفضح أصحابها))[٢] وقال ابن الجوزي : ((الكفر : التغطية والستر ، وأنشدوا من الكامل للبيد :

يعلو طريقة متنها متواترًا   في ليلة كفرَ النجومَ غمامُها)) [٣]

((وكفَرَ الشيءَ ، وكفَّره : غطَّاه••• وغابت الشمس في الكافر، أي : البحر••• وفي الحديث : أهل الكفور : أهل القبور ••• وعُنِي بالكافر : الساتر للحق ••• والكفارة : ما يغطي الإثم ، ومنه كفارة اليمين والقتل والظهار ، والتكفير : ستر الذنوب وتغطيتها ، قال تعالى : (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُواْ وَاتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ){المائدة : ٦٥} أي : سترناها حتى تصير كأن لم تكن)) [٤]

فهذه هي دلالة الكفر ، وهي التغطية والستر ، فهناك كفر التوحيد ، أي : تغطية توحيد الله بإنكاره ، وكفر إبليس بإشراك من أشرك به كانت بتغطيته بتبرئته منه .

---

(١) مقاييس اللغة ص ٩٦٨.

(٢) الوجوه والنظائر ص ٢٨٢–٢٨٣ .

(٣) نزهة النواظر ص ٢٤٤–٢٤٥ .

(٤) بصائر ذوي التمييز ٣٦١/٤–٣٦٥ .

ويبدو من تعريف الكفر في اللغة الذي يعني الستر والتغطية ، أنَّه كان في الأصل في الأمور المادية ، ويكون الستر بأشياء محسوسة ، كالتراب ، أو الوعاء ، أو ماء البحر ، أو ظلمة الليل ، ثم انتقل إلى الأمور المعنوية ، وهو الغالب في القرآن الكريم ، ويبدو أنَّ هذه الدلالة للفظ الكفر عامة ، فكل ما دل على التغطية والستر يمكن أن يُعبَّر عنه بلفظ الكفر ، كما تبين ذلك من تعريف الكفر في معاجم اللغة ، كما أنَّه لا يكون إلاَّ مقيَّدا بالشيء الذي يكفره ، أي : بالشيء الذي يغطيه ويستره حقًّا كان أم باطلاً ، وهذا القيد لا يمكن حصره في عدد معين ، ولا ضبطه في أمور معينة ، ويُعرف من نية المتكلم ؛ فالمؤمن بالله مثلًا يستطيع أن يقول : إني كافر ؛ لأنَّه يعني أنَّه كافر بالشيطان ، أو بالمبادئ الوضعية غير الإسلامية ، وللكفر بالله صور عديدة ، كالكفر بربوبيته ، والكفر بألوهيته ، أو بصفاته ، أو بتوحيده ، وهناك من هو مؤمن بنبوة عيسى عليه السلام ، لكنَّه كافر برسالة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، ومن لا يؤمن بأنَّ الصلاة حق يجب تأديتها ، يُعَد كافرًا بها ، وإذا أطلق لفظ الكفر من غير تقييده يُعرف هذا القيد بقرينة من السياق

((وكفر النفاق : ، وهو أن يؤمن بلسانه ، والقلب كافر)) (١) فاستنادًا إلى هذه الدلالة صح أن يُسمَّى المنافق كافرًا ؛ لأنَّه يغطي كفره الباطني بإيمانه الظاهري ، وما صح أن يُسمَّى الكافر منافقًا ؛ لأنَّ الكافر يظهر كفره ، ولا يغطيه بإخفائه ، كما يفعل المنافق .

ولما كان المقصود بالكفر الكفر بأمور معنوية ؛ كان من المعتاد أن يُعبَّر عن تغطيتها وسترها بإنكارها ، أو جحودها ، أو البراءة منها ، أو ما كان دائرًا حول هذا المعنى كعدم الاعتراف والإقرار بها ، أو أي لفظ آخر

---

(١) العين ص ٨٤٨ .

يناسب السياق ، من ذلك مثلًا أنَّه يمكن أن نسمي المعلِّم كافرًا ؛ لأنَّه يغطي جهل المتعلِّم بالعلم ، كما سُمِّي الفلاح كافرًا ؛ لأنَّه يغطي الحب بالتراب .

ولكلٍّ من الشرك والكفر حالات مختلفة ومراتب ودرجات ، فهناك شرك دون شرك وكفر دون كفر ، فأوضح وأعظم معاني المشرك هو من أشرك مع الله غير الله في العبادة ، والألوهية ، وأوضح وأعظم معاني الكافر هو من غطّى وجود الله بنكران وجوده ، وأدناهما الحلف بغير الله ، لقوله صلى الله عليه وسلّم : من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك [1] فهو قد أشرك ؛ لأنّ الحلف فيه تعظيم للمحلوف به فمن حلف بغير الله كائنًا من كان فقد جعله شريكًا لله عزّ وجلّ في هذا التعظيم ، وهو قد كفر ؛ لأنّه غطّى وجوب الحلف بالله إذا أراد أن يحلف بجواز الحلف بغيره

-**الإلحاد** : تقدم تعريف الشرك والكفر أمّا الإلحاد فهو من اللحد و((اللحد حفرة مائلة عن الوسط٠٠٠ولحد بلسانه إلى كذا مال ، قال تعالى : (لِّسَانُ الَّذِي يَلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ){النحل : ١٠٣} من لحد وقرئ (يُلحِدونَ) من ألحد ، وألحد فلان : مال عن الحقّ والإلحاد ضربان : إلحاد إلى الشرك بالله ، وإلحاد إلى الشرك بالأسباب ، فالأوّل ينافي الإيمان ويبطله ، والثاني يوهن عُراه ولا يبطله ومن هذا قوله تعالى : (وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ){الحج : ٢٥} وقوله تعالى : (وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ){الأعراف : ١٨٠}والإلحاد في أسمائه على وجهين : أحدهما : أن يوصف بما لايصحّ أن يوصف به ، والثاني : أن يتأوّل أوصافه على ما لا يليق به)) [2]

((وألحد جار عن الحقّ٠٠٠قوله تعالى : (لِّسَانُ الَّذِي يَلْحِدُونَ إِلَيْهِ

---

(١) أخرجه الترمذي والحاكم بإسناد صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما

(٢) المفردات ٤٦٧ وينظر : عمدة الحفّاظ ١٤٥/٣

أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ){النحل : ١٠٣} أي : يميلون إليه أعجميٌّ ، وكانوا يقولون ، أخزاهم الله ، إنّ نبيّنا محمدًا صلى الله عليه وسلّم يعلمّه عدّاس عبدٌ لثقيف ، قال الله تعالى ردًّا عليهم : إنّ لسان الذي نحوتم إليه أعجميٌّ ، ولسان محمد صلّى الله عليه عربيٌّ مبين ، فبينهما بون شاسع ، قوله تعالى : (وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ){الأعراف : ١٨٠} أي : يميلون فيصفون ربّهم بغير ما يجوز عليه نفيا وإثباتًا من أشياء افتروها عليه ، تعالى عمّا يقولون)) [١]

ويمكن توضيح الفرق بين الإلحاد والكفر من خلال قوله تعالى :(وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ) فلو قال سبحانه : يكفرون بأسمائه فإنَّ الكفر يعني التغطية فيكون المعنى أنّهم غطّوا أسماء الله بنكرانهم وجحودهم لها ، أو بعدم العمل بها ، أمّا الإلحاد بها فلا يعني ذلك ، وإنّما يعني الإقرار بها لكنّ بعد ميلهم عنها ويكون ذلك بتحريف حقيقة دلالاتها ومقاصدها ، وهذا ما جاء في تفسير الآية كما تقدّم وقد جاء في تفسير : (((وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ) ((واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحقّ والصواب فيها فيسمّونه بغير الأسماء الحسنى ، وذلك أن يسمّوه بما لا يجوز عليه نحو أن يقولوا : يا سخيٌّ يا رفيق ؛ لأنّه لم يسمِّ نفسه بذلك ، ومن الإلحاد تسميته بالجسم والجوهر والعقل والعلّة)) [٢] و((الإلحاد : الميل وترك القصد ، يقال : لحد الرجل في الدين وألحد : إذا مال ، ومنه اللحد في القبر ؛ لأنّه في ناحية وقرئ (يَلْحِدونَ) وهما لغتان ، والإلحاد في أسمائه سبحان يكون على ثلاثة أوجه : إمّا بالتغيير كما فعله المشركون فإنّهم أخذوا اسم اللات من الله ، والعُزَّى من العزيز ومناة من المنّان ، أو بالزيادة عليها بأن يخترعوا أسماء

(١) عمدة الحفّاظ ١٢/٤-١٣

(٢) مدارك التنزيل ص ٣٩٧

من عندهم لم يأذن بها الله ، أو بالنقصان منها بأن يدعوه ببعضها دون بعض)) [١]

٦٦-الإلّ والذمّة والعقد والعهد والميثاق : الإلّ : ((الإلّ : الربوبيّة٠٠٠والإلّ في قوله تعالى : (كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً){التوبة : ٨}(لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً){التوبة : ١٠} يقال في بعض التفاسير هو الله عزّ وجلّ ، والإلّ : قربى الرَّحِم٠٠٠والألّة : أداة الحرب))[٢]والإلّ ((السبب يُحافَظ عليه والربوبيّة ، قال المفسّرون : الإلّ : الله جلّ ثناؤه ، وقال قوم هي قُرْبى الرَّحِم قال :

هم قطعوا من إلٍّ ما بيننا عُقوقًا ولم يوفوا بعهد ولا ذِمَمْ

قال ابن الأعرابي : الإلُّ : كلّ سبب بين اثنين٠٠٠والإلُّ : العهد)) [٣] ((فقوله : (لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً) أي : لا يرقبون عهدًا ولا قرابة ولا حِلفًا))[٤]ولا يرقبوا : لا يراعوا [٥]

-**الذِّمّة** : ((خلاف الحمد ، يقال : ذممتُ فلانًا أَذُمُّه فهو ذميم ومذموم إذا كان غير حميد٠٠٠وأهل الذِمَّة : أهل العقد ، قال أبو عُبيد : الذِمّة : الأمان٠٠٠ويقال : أهل الذِّمَّة ؛ لأنّهم أدَّوا الجزية فأَمِنوا على دمائهم وأموالهم)) [٦] ((والذّمام ما يُذَمُّ الرجل على إضاعته من عهد))[٧]و((قوله

---

(١) فتح القدير ٣٤٢/٢

(٢) العين ص ٣٤

(٣) مقاييس اللغة ص ١٣-١٤

(٤) عمدة الحفّاظ ١٠٣-١٠٤

(٥) ينظر : مدارك التنزيل ص ٤٢٧

(٦) مقاييس اللغة ص ٣١٧

(٧) المفردات للراغب ص ١٨٨

تعالى : (وَلَا ذِمَّةً) الذِّمَّة قيل : العهد ومنه سُمّيَ المعاهَد ذِمِّيًا لأنّه أعطى العهد وقال ابن عرفة : الذِّمَّة : الضمان ومنه : هو في ذِمَّتي أي ضماني ، وأهل الذِّمَّة من ذلك ؛ لأنّهم أُدخلوا في ضمان المسلمين ، وقال أبو عُبيد الذِّمّة : ما يُتَذَمَّمُ منه ، قلتُ : يعني أنّها مشتقَّة من الذَمّ ، يعني أنّه يُذَمُّ الرجلُ على إضاعة ما يُعاهدهم عليه أو يُؤتَمَن٠٠٠وقيل : الذِّمَّة : الأمان ، ومنه الحديث : ويسعى بذِمَّتهم أدناهم))[1]

–**العهد** :((العهد : الوصيّة والتقدّم إلى صاحبك بشيء ومنه اشتقّ الذي يكتَب للولاة ويجمَع على عهود))[2] ((وأصله الاحتفاظ بالشيء وإحداث العهد به فمن ذلك قولهم : عَهِدَ الرجل يَعْهَدُ عَهْدًا وهو من الوصيّة ، وإنّما سُمِّيتْ بذلك ؛ لأنّ العهد مما ينبغي الاحتفاظ به ، ومنه اشتقاق العهد الذي يُكتَب للولاة من الوصيّة))[3] و((العهد : حِفظ الشيء ومراعاته حالًا بعد حال ، وسُمِّيَ المَوثِق يلزم مراعاته عَهْدًا قال تعالى : (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا){الإسراء : ٣٤}أي : أوفوا بحفظ الأيْمان٠٠٠وعهد فلان إلى فلان يَعْهَدُ أي : ألقى إليه العَهْد وأوصاه بحفظه))[4]

–**الميثاق** :((وثقتُ بفلان٠٠٠والوثيق : المُحكَم٠٠٠والوِثاق : الحبل٠٠٠والوثيقة في الأمر : إحكامه والأخذ بالثقة٠٠٠والميثاق من المواثقة والمعاهدة))[5] و((تدلّ على عَقْدٍ وإحكام ، ووثَّقْتُ الشيءَ : أحكمته وثاقة موثَّقة الخَلْق ، والميثاق : العهد المُحْكَم ، وهو ثِقة ، وقد وَثِقْتُ

(١) عمدة الحفّاظ ٤٧/٢

(٢) العين ص ٦٩٠

(٣) مقاييس اللغة ص ٦١٧

(٤) المفردات ص ٣٦٤

(٥) العين ص ١٠٣٤-١٠٣٥

به))[1]((والميثاق : عَقْدٌ مُؤكَّد بيمين وعهد قال تعالى : (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ){آل عمران : ٨١}))[2]

صفوة ما تقدّم ذكره أنّ الإلّ يعني السبب الذي ينبغي أن يراعى ويُحافَظ عليه ويمنع من الفرقة ومن أن يغدر إنسان بإنسان أو جماعة بجماعة ومن هذه الأسباب القربى وصلة الرحم ، أو وحدة الإيمان بالله أو الدين والمذهب ، أو الوفاء بالعهد أو الحلف المبرَم بينهما أو الجيرة ، أو الصداقة ، وما إلى ذلك من أسباب الصلة التي ينبغى أن تراعى وتمنع المرء من الاعتداء على أخيه التي تربطه به بمثل هذه الروابط ، والمراد بالذِمَّة ما يُذَمُّ الرجلُ على إضاعة ما عاهد عليه غيره ومن جعلهم بأمانه ، وهذا هو المعنى المراد من الإلّ والذِّمَّة في قوله تعالى : (لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً) أي : لم يراع المشركون أيًّا من أسباب الصلة هذه التي تربطهم بمن آمنوا منهم ويُذمُّون على خرقها فضربوا بها جميعًا عرض الحائط ولم يرد (الإلّ) و(الذِمَّة) إلّا في الموضعين المذكورين .

والمراد بالعهد حفظ ما تعاهد عليه طرفان لأنّه مما ينبغي الاحتفاظ به والاستمرار بمراعاته مرة بعد أخرى ، لذلك قال سبحانه : (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا){الإسراء : ٣٤}والمراد بالميثاق إحكام العهد ، والعَقْدُ المُؤكَّد بيمين وهذا هو معنى العهد والميثاق في قوله تعالى : (الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ){البقرة : ٢٧}

٦٧-**ألفى ولقي ووجد : اللقاء** : قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ){الأنفال : ٤٥} وقال تعالى : (قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ){الجمعة : ٨}

---

(1) مقاييس اللغة ص ٩٤٧

(2) المفردات ص ٥٣٥

فـ((اللقاء مقابلة الشيء ومصادفته معًا)) [١] و((قوله تعالى : (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا){البقرة : ١٤} اللقاء : مصادفة الشيء للشيء ومقابلته له معًا)) [٢]

–**ألفى** :وردت ألفى في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع ، هي : قوله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ){البقرة : ١٧٠} وقوله تعالى : (وَاسُتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ){يوسف : ٢٥} وقوله تعالى : (إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءهُمْ ضَالِّينَ){الصافات : ٦٩} قال ابن فارس : ((ألفيته : لقيته ووجدته)) [٣] وقال الراغب : ((ألفيتُ : وجدتُ)) [٤] وقال الحلبي : ((يقال : ألفيتُ الشيءَ : وجدته ، وألفيته : لقيته))[٥] فألفى : فيها شيء من دلالة وجد ، وشيء من دلالة : لقي وصادف ، تقول : بحثتُ عن زيد حتى وجدته ، ولا تقول : بحثتُ عن زيد حتى ألفيته ولقيته ، فألفى الشيءَ ولقيه : يعني وجده أو لقيه ، لكن من غير ترقب وتوقع ، أو طلب وبحث ، كقوله تعالى : (وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ) وتقول : وجدتُ زيدًا صادقًا ، تقول ذلك عند وجودك إيّاه أول مرة ، فإذا عاشرته وعايشته زمنًا ، وهو باق على صدقه ، تقول : ألفيتُ زيدًا صادقًا ، وعلى المعنى الأول جاء قوله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ){لقمان : ٢١} وعلى المعنى

(١) المفردات للراغب ص ٤٧٢

(٢) عمدة الحفّاظ ٣٧/٤

(٣) مقاييس اللغة ص ٨٣٧ .

(٤) المفردات ص ٤٧١.

(٥) عمدة الحفاظ ٣٣/٤ .

الثاني جاء قولـه تعالـى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ) فقد سوَّغوا اتباع آبائهم في المعنى الثاني بطول ما أَلْفَوا وأَلِفُوا عليه آباءهم ، وسوَّغوا اتباعهم في المعنى الأول بقولهم : (قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ){المائدة : ١٠٤}

٦٨-**ألقى ورجم ورمى وطرح وقذف ونبذ : الإلقاء** : ((الإلقاء : طرح الشيء حيث تلقاه ، أي : تراه ، ثمّ صار في التعارف اسمًا لكلّ طرح قال تعالى : (فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ){طه : ٨٧}وقال تعالى : (قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ){طه : ٦٥}وقال تعالى : (فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ){طه : ٣٩}))[١]

-**الرجم** : ((الرِّجام : الحجارة ، والرَّجم : الرمي بالرِّجام يقال : رُجِمَ فهو مرجوم قال تعالى : (قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ){الشعراء : ١١٦} أي : المقتولين أقبح قتلة ، وقال تعالى : (وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ){هود : ٩١} وقال تعالى : (إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا){الكهف : ٢٠} ويستعار الرجم للرمي بالظنّ والتوهم وللشتم والطرد نحو قوله تعالى : (سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ){الكهف : ٢٢} وقوله تعالى : (قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا){مريم : ٤٦} أي : لأقولنّ فيك ما تكره ، والشيطان الرجيم المطرود عن الخيرات وعن منازل الملأ الأعلى٠٠٠والمراجمة المسابّة الشديدة استعارة كالمقاذفة))[٢]

([١]) المفردات ص ٤٧٣ وينظر عمدة الحفّاظ ٣٨/٤-٣٩

([٢]) المفردات ص ١٩٧

فـ((أصل الرجم الرمي بالحجارة ، وهي الرِّجام ، وهو أشد حالات الرمي ؛ لذلك يستعار في الشتم الشنيع والقتل الفضيع قال تعالى : (لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا){مريم : ٤٦} أي : أقولنّ فيك قولا سيِّئًا ، وقيل : لأقتلنّك شرّ قتلة ، أو لأخرجنّك ، أو لأطرحنّ عليك الحجارة وقوله تعالى : (لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ){الشعراء : ١١٦} يحتمل جميع ما ذكرناه))[١]

–**الرمي** : ((الرمي يقال في الأعيان كالسهم والحجر نحو قوله تعالى : (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ){الأنفال : ١٧}ويقال في المقال كناية عن الشتم كالقذف نحو قوله تعالى : (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ){النور : ٤–٦}))[٢]

–**الطرح** : ((الطرح : إلقاء الشيء وإبعاده ، والطروح المكان البعيد ، ورأيته مِن طَرْحٍ ، أي : بُعْدٍ ، والطرح المطروح لقلّة الاعتداد بهقال تعالى : (اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ){يوسف : ٩}))[٣]((ويكون الإطراح غالبًا إلقاء الشيء غير معتدٍّ به))[٤]

---

(١) عمدة الحفّاظ ٧٧/٢

(٢) المفردات ص ٢١١

(٣) المفردات ص ٣١٤

(٤) عمدة الحفّاظ ٣٩٧/٢

-**القذف** : ((القذف : الرمي البعيد ، ولاعتبار البعد قيل : منزل قَذَفٌ وقذيف وبلدة قذوف بعيدة قال تعالى : (أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ){طه : ٣٩}٠٠٠وقال تعالى : (وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ){الأحزاب : ٢٦} وقال تعالى : (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ){الأنبياء : ١٨}وقال تعالى : (وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ){الصافّات : ٨-٩}واستعير القذف للشتم والعيب كما استعير الرمي))[1]

وقوله تعالى : (((وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ){سبأ : ٥٣}استعارة لرجمهم بالظون الكاذبة والأوهام الفاسدة ، وأشار بذلك إلى ما كان يقولون في حقّه عليه الصلاة والسلام ، هو ساحر وشاعر ومجنون وغير ذلك من أكاذيبهم٠٠٠وأصل القذف الرمي من بُعْدٍ))[2]

-**النبذ** : ((النبذ : إلقاء الشيء وطرحه لقلّة الاعتداد به ، ولذلك يقال : نبذته نَبْذَ النعل الخَلِققال تعالى : (لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ){الهمزة : ٤} وقال تعالى : (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا){آل عمران : ١٨٧}لقلّة اعتدادهم به وقال تعالى : (أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم){البقرة : ١٠٠} أي : طرحوه لقلّة الاعتداد به ، وقال تعالى : (فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ){القصص : ٤٠} وقال تعالى : (فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ){الصافّات : ١٤٥}٠٠٠والنبيذ التمر والزبيب الملقى مع الماء في الإناء ثمّ صار اسمًا للشراب المخصوص)) [3]

---

(1) المفردات ص ٤١٤

(2) عمدة الحفّاظ ٣/٢٨٥-٢٨٦

(3) المفردات ص ٥٠٢-٥٠٣

فقوله تعالى : (((فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا){آل عمران : ١٨٧}تمثيل عن قلّة مبالاتهم به ، لم يكتفوا بطرحه بل لا يهمّون به ؛ لأنّ الإنسان قد يرمي الشيءمع التفاته إليه وفي المثل : نبذه نَبْذَ النعل الخَلِقِ٠٠٠وقوله تعالى : (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا){مريم : ١٦} أي : اعتزلت وتنحّت يقال : انتبذ فلان مجلسه))[1]

فصفوة ما تقدّم ذكره أنّ الرمي هو الأصل ، فهو اسم جنس يُطلّق على الرمي بالأعيان والمعاني وعلى كلّ حالاته ، فيدخل ضمن معناه العامّ الرمي والإلقاء والرجم والطرح والقذف والنبذ

فالإلقاء يعني طرح الشيء في المكان الذي تريده وحيث تراه ، أو حيث تحبّ ولهذا يقال : ((ألقيته عليه بمعنى أمليته وهو كالتعليم))[2]

والرجم أشد معاني الرمي ، إذ هو في الأصل الرمي بالحجارة ، فإذا استعير استعير في أشدّ حالات الشتم والقتل

والقذف هو رمي الشيء من بُعْدْ ؛ لذلك يستعار في قذف المقذوف بالتهم البعيدة عن شخصه وأخلاقه وطبعه المعروف بها

والطرح والنبذ يعني كلاهما إلقاء الشيء وإبعاده ، لقلّة الاعتداد به والفرق بينهما أنّ النبذ أشدّ من الطرح ، وقد ورد النبذ في مواضع كثيرة ولم يرد الطرح إلّا في موضع واحد ، هو الموضع المذكور في سورة يوسف

٦٩-الأمت والحدب : قال تعالى (لا تَرى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا){طه : ١٠٧} وقال تعالى : (وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ){الأنبياء : ٩٦}

والمراد بالعوج الأودية وبالأمت الروابي والآكام [3] والمراد بالحدب كلّ

---

(١) عمدة الحفّاظ ١٣٧/٤

(٢) الصباح المنير ص ٥٥٨

(٣) ينظر : جامع البيان للطبري٢٤٦/١٦

ما أشرف من الأرض وبرز وغلظ وارتفع [١]

٧٠-**الامتحان والبلاء والفتنـة : الامتحان** : قال الراغب : ((المَحْنُ والامتحـان نحـو الابـتلاء نحـو قولـه تعـالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۖ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ){الممتحنـة : ١٠} وقـد تقدّم الكـلام فـي الابـتلاء قـال تعـالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ){الحجـرات : ٣}))[٢]

وقـال الحلبـي : ((قولـه تعـالى : (فَامْتَحِنُوهُنَّ){الممتحنـة : ١٠} أي : اختبروهنّ وجرّبوهنَّ وابتلوهنّ وقد تقدّم الكـلام فـي الابـتلاء ، وأصـله مـن : امتحنتُ الذهبَ والفضَّـة : إذا أذبتهما لتختبرهما أهما خالصـان أم لا ؟ قـال أبـو عبيد : (أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ){الحجرات : ٣} أي : صفّاها وهذَّبها٠٠٠قال شَمر : هو المصفّى المُهذَّب ، وهذا بمعنى ما تقدّم ؛ فإنَّ التصفية والتخليص من واد واحد))[٣]

-**البلاء** : قـال الراغب : ((يقـال : بلـيَ الثـوب بلًـى وبَـلاءً ، أي : خلق٠٠٠وبلوته اختبرته كأنّي أخلقته من كثرة اختباري لـه٠٠٠ولهذا قيل : ابليتُ فلانًا إذا اختبرته٠٠٠إنّ اختبار الله للعباد تارة بالمسارّ ليشكروا ، وتـارة بالمضارّ ليصبروا ، فصارت المحنة والمنحة مقتضية للشكر، والقيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر ، فصـارت المنحـة أعظـم البلاءين ، وبهـذا النظـر قـال عمـر : بُلينـا بالضـرّاء فصـبرنا وبُلينـا بالسـرّاء فلـم

(١) ينظر : لسان العرب ٥١/٤

(٢) المفردات ص ٤٨٤

(٣) عمدة الحفّاظ ٧٦/٤

نصبر ٠٠٠قال تعالى : (وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً){الأنبياء : ٣٥}٠٠٠وقوله عزّ وجلّ : (وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ){البقرة : ٤٩} راجع إلى الأمرين ، إلى المحنة التي في قوله عزّ وجلّ : (يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ){البقرة : ٤٩} وإلى المنحة التي أنجاهم: (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ){البقرة : ٤٩}))[١] وهذا ما كان في قوله تعالى : (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ){البقرة : ٤٩}

–**الفتنة** : قال الراغب : ((أصل الفتن إدخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته٠٠٠وجُعلت الفتنة كالبلاء في أنّهما يستعملان فيما يُدفَع إليه الإنسانُ من شدة ورخاءوهما في الشدة أظهر معنًى وأكثر استعمالًا وقد قال فيهما : (وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً){الأنبياء : ٣٥} وقال في الشدّة (إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ){البقرة : ١٠٢}٠٠٠وقال تعالى : (وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا){التوبة : ٤٩}٠٠٠وقال تعالى : (وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ۖ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا){الإسراء : ٧٣} أي : يوقعونك في بليّة وشدّة في صرفهم إيّاك عمّا أوحيَ إليك وقوله تعالى : (فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ){الحديد : ١٤} أي : أوقعتموها في بليّة وعذاب))[٢]

وقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ){البروج : ١٠} قيل : معناه حرّقوهم بالنّار ، وذلك أنّهم لمّا خدّوا أخاديد في الأرض ملؤوها نارًا ، وكانت على أفواه السكك فمن أبى دينهم ألقوه في تلك الحفرة ، وأصله من فتنت الفضّة : إذا أدخلتها النار ليتميّز جيدها من رديئها ، ثمّ أطلق ذلك

---

(١) المفردات ص ٦٦-٦٧ وينظر : عمدة الحفّاظ ٢٣١/١-٢٣٢

(٢) المفردات ص ٣٨٦-٣٨٧

على الابتلاء والامتحان .

وقوله تعالى : (وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا){طه : ٤٠} أي : ابتليناك بضروب من الاختبارات ، وسأل ابن جبير أبن عبّاس رضي الله عنهم عن ذلك فقال : ابتلى الأبناءَ بالذبح فنجا ، فهذه فتنة يا ابن جبير ، وقتل القبطيَّ ونجا فهذه فتنة يا ابن جبير ، والفتون على هذا جمع ، وقيل : بل هو مصدر

وقوله تعالى : (وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ){البقرة : ٢١٧} أي : الشرك والحمل عليه ، وذلك أنّهم كانوا يعذبون ضعفة المسلمين ليرجعوا إلى الكفر ، كفعل بني جُمَحَ ببلال وغيره حتى اشتراه أبو بكر وأعتقه

وقوله تعالى : (يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ){الذاريات : ١٤} أثرها وما تسبّب عنه افأطلق السيب وأراد مسبِّبه

وقوله تعالى : (أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا){التوبة : ٤٩}))[١]((يعني : أنّ الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلّف))[٢]

وحّدَ الراغب ومن تبعه بين دلالات الامتحان والبلاء والفتنة ، والحقيقة أنّ لكلٍّ منها معناها الخاص ، فقد اتضح أنّ المراد من الابتلاء هو اختبار الإنسان بالشدة والضرّاء ليُرى أيصبر أم يجزع ؟ واختباره بالنعمة والسرّاء لِيُرى أيشكر أم يبطر ؟

فالبلاء هو الاختبار أمّا الفتنة فهي مادة الابتلاء ، أي : هي إيقاع الإنسان في شدة من أجل اختباره بهذه الشدّة ، وقد يفتن الإنسان نفسه بأن يوقعها في الشدّة

أمّا الامتحان فهو تنقية التقي والصادق بإيمانه وفرزه من غير التقي

---

(١) عمدة الحفّاظ ١٩٧/٣-١٩٨

(٢) مدارك التنزيل ٤٣٩

والكاذب أو تنقيته مما علق به من شوائب ، فتأمّل إلى قوله تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّـذِينَ آمَنُـوا إِذَا جَـاءَكُمُ الْمُؤْمِنَـاتُ مُهَـاجِرَاتٍ فَـامْتَحِنُوهُنَّ ۖ اللَّـهُ أَعْلَـمُ بِإِيمَـانِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ){الممتحنة : ١٠}

فيمتحن المهاجرات لفرز المؤمنات منهنّ من غير المؤمنات ليفرَّق بينهما في الحكم والمعاملة وهو عدم إرجاع المؤمنات منهنّ إلى الكفّار

وكذلك قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّـهِ أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّـهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ){الحجرات : ٣} ((والمعنى : أخلصها للتقوى من قولهم : امتحن الذهب وفتنه إذا أذابه فخلص إبريزه من خبثه ونقاه ، وحقيقته عاملها معاملة المختبر فوجدها مخلصة ، وعن عمر رضي الله عنه : أذهب الشهوات عنها))[١]

٧١–الأمر والشأن والخَطْب : الأمر : ((الأمر : نقيض النهي ، والأمر واحد الأمور)) [٢] و((الأمر يقال على وجهين : أحدهما : الذي جمعه أوامر ، وهو استدعاء الفعل بالقول من الأعلى إلى الأدنى، وذلك نحو قولك : افعل ، والثاني : الذي جمعه أمور ، وهو الشأن ، والقصة ، والحال)) [٣]

((ويكنى عن كل شيء بالأمر ؛ لأنَّ كل شيء يكون فإنَّما يكون بأمر الله ؛ فسميت الأشياء أمورًا ؛ لأنَّ الأمر سببها)) [٤] فالأمر اسم جنس يُطلق على كل شيء ، فكل ما قام ويقوم به الإنسان ، وكل ما أصابه أو

---

(١) مدارك التنزيل ١١٥٠

(٢) العين ص ٣٧ ، وينظر : مقاييس اللغة ص ٥٣ .

(٣) نزهة الأعين ص ٥٩.

(٤) تأويل مشكل القرآن ص ٢٧٧

يصيبه ، وكل ما حدث ويحدث ، وكل ما خلق الله ، تدخل جميعها في معنى الأمر ، بل هل مِن شيء لا ينطبق عليه اسم الأمر ومعناه ؟! ، حتى إنَّ الله جل وعلا جمع أشياء العالمين كلها بالخلق والأمر في قوله : (أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ){الأعراف : ٥٤}

الشأن : والشأن هو الحال[١] و((يدلّ على ابتغاء وطلب ، من ذلك قول العرب : شأنْتُ شأنَه : أي : قصدتُ قصده وأنشدوا :

يا طالب الجودِ إنّ الجودَ مكرُمةٌ   لا البخلُ منك ولا من شأنك الجودا

قالوا : معناه ولا من طلبك الجودا ، ومن ذلك قولهم : ما هذا من شأني ، أي : ما هذا من مطلبي والذي أبتغيه ، وأمّا الشؤون فما بين قبائل الرأس ، الواحد شأن ، وإنّما سُمِّيتْ بذلك لأنّها مجاري الدمع ، كأنّ الدمع يطلبها ويجعلها لنفسه مسيلًا))[٢]ولهذا تجد في الكليات اسم : معاون العميد لشؤون الطلبة ، والمراد كما هو واضح : معاون العميد لمطالب الطلبة وما يحتاجونه ويبتغونه ، ويبدو أنّ هذا هو المراد من دلالة الشأن في قوله تعالى : (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ){يونس : ٦١}وقوله تعالى : (فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ){النور : ٦٢}و((وقوله تعالى : (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ){الرحمن : ٢٩} أي : من إحياء هذا وإماتة هذا ، وإغناء هذا وإفقار هذا ، وإسعاد هذا وإشقاء هذا ، والأصل في الشأن الحال ، وذلك مجاز عن تصرّفه في خلقه بما أراد ، وقسرهم على ما شاء لا كما يريدون ويشاؤون))[٣]

(١) ينظر : الصحاح للجوهري ص ٥٣٠

(٢) مقاييس اللغة ص ٤٦٧

(٣) عمدة الحفاظ ٢٤٧/٢

الخَطْب : ((الكلام بين اثنين٠٠٠والخطب : الأمر يقع ؛ وإنّما سُمِّي بذلك لِما يقع من التخاطب والمراجعة))[1]و((الخَطْبُ والمخاطبة والتخاطب المراجعة في الكلام ، ومنه الخُطْبة والخِطْبة ، لكن الخُطْبة' بضم الخاء تختصَّ بالموعظة ، والخِطْبة بكسر الخاء بطلب المرأة٠٠٠والخَطْب : الأمر العظيم الذي يكثر فيه التخاطب قال تعالى :(قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ){طه : ٩٥}وقال تعالى : (قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ){الحجر : ٥٧})) وفصل الخطاب : ما ينفصل به الأمر من الخِطاب))[2]وقال تعالى : (قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ){يوسف : ٥١}

٧٢-**الأمل والرجاء والطمع : الأمل** : ((الهمزة والميم واللام أصلان ، الأوّل التثبّت والانتظار ، والثاني : الحبل من الرّمل ، فأمّا الأول فقال الخليل : الأمل الرجاء٠٠٠وهذا فيه بعض الانتظار ، وقال أيضًا : التأمّل : التثبّت في النظر٠٠٠والأصل الثاني قال الخليل : والأميل حبل من الرّمل٠٠٠قال الأصمعي : في المثل : قد كان بين الأَميلين مَحَلٌّ ، يراد قد كان في الأرض مُتَّسَع))[3]

و((الأمل : رجاء مستمرّ ؛ فلأجل هذا قيل للنظر في الشيء إذا استمرّ وطال : تأمّل)) [4]

يتبيّن من التعريف اللغوي للأمل أنّ الأمل يعني الهدف البعيد السامي الذي يطمح ويرجو المرء أن يصل إليه ، ولهذا عبّر عنه القرآن الكريم بالأماني البعيدة التي تحتاج إلى طول انتظار التي تشغل الكفّار عن

---

(١) مقاييس اللغة ص ٢٦٢-٢٦٣

(٢) المفردات ص ١٥٦-١٥٧

(٣) مقاييس اللغة ص ٥٤ وينظر : العين للفراهيدي ص٣٨

(٤) الفروق اللغوية للعسكري ص ٢٧٥

الإيمان في قوله تعالى : (ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ){الحجر : ٣}

وهذا الأمل حتى لو حصلوا عليه بعد مرّ الانتظار وطوله فهو سراب فانْ ، فهؤلاء شغلوا بأمل الدنيا هذا عن أمل الآخرة الذي هو خير وأبقى قال تعالى : (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا){الكهف : ٤٦}

ولم يستعمل من الأمل الفعل ، بل ما ورد إلّا في هذين الموضعين

-**الرجاء** : ((الراء والجيم والحرف المعتلّ أصلان متباينان ، يدلُّ أحدهما على الأمل ، والآخر على ناحية الشيء ، فالأوّل : الرجاء ، وهو الأمل يقال : رجوت الأمر أرجوه رجاء ، ثمّ يتّسع في ذلك ، فربّما عُبِّر عن الخوف بالرجاء، قال الله تعالى : (مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا){نوح : ١٣}أي : لا تخافون له عظمة، وناس يقولون : ما أرجو ، أي : ما أبالي . وفسّروا الآية على هذا ، وذكروا قول القائل :

إذا لسعته النحلُ لم يَرْجُ لسْعَها ٠٠٠

قالوا : معناه : لم يكترث))[١]

فالرجاء إذن يختلف عن الأمل ، وإن جُعِلَ بمعناه ، فإذا جعلنا الرجاء بمعنى الأمل ، فهو أمل فيه خوف من عدم الحصول على ما يرجوه وفيه اهتمام واكتراث بالمرجو ، وبهذا المعنى استعمل في القرأن الكريم كقوله تعالى : (أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ){البقرة : ٢١٨} قال ابن عطية : ((و(يَرْجُونَ) معناه : يطمعون ويستقربون٠٠٠والرجاء أبدًا معه خوف ولا بدّ ، كما أنّ الخوف معه رجاء ، وقد يتجوّز أحيانًا ويجيء الرجاء بمعنى ما يقارنه من الخوف٠٠٠وقال الأصمعي : إذا اقترن حرف النفي

---

(١) مقاييس اللغة ص ٣٧٤

بالرجاء كان بمعنى الخوف كقوله تعالى : (لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا){يونس ٧ ، ١١ ، ١٥}{الفرقان : ٢١} المعنى : لا يخافون ، وقد قيل : إنّ الرجاء في الآية على بابه . أي : لا يرجون الثواب في لقائنا))[١]((وعن قتادة : هؤلاء خيار هذه الأمّة ، ثم جعلهم الله أهل رجاء كما تسمعون ، وإنّه من رجا طلب ، ومن خاف هرب))[٢]وقال الشوكاني : ((وقوله : (يَرْجُونَ) معناه يطمعون ، وإنّما قال (يَرْجُونَ) بعد تلك الأوصاف المادحة التي وصفهم بها ؛ لأنّه لا يعلم أحد في هذه الدنيا أنّه صائر إلى الجنّة ، ولو بلغ في طاعة الله كلّ مبلغ))[٣]

وقال تعالى : (إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ){النساء : ١٠٤}

-**الطمع** : ((الطاء والميم والعين أصل واحد صحيح يدلُّ على رجاء في القلب قويٌّ للشيء))[٤] كقوله تعالى : (لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ){الأعراف : ٤٦}وقوله تعالى : (إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ){الشعراء : ٥١}

فالأمل هو الرجاء الذي فيه تثبت وطول انتظار

والرجاء هو الأمل الذي يكتنفه خوف واهتمام واكتراث

والطمع هو شدة الرجاء

(١) المحرر الوجيز ١/٢٩١-٢٩٢

(٢) الكشاف للزمخشري ١/٢٥٦ وينظر : مدارك التنزيل ص ١١٢

(٣) فتح القدير ١/٢٧٤

(٤) مقاييس اللغة ص ٥٣٨

٧٣-**الإملاق والفقر والمسكنة : الإملاق** : ((الإملاق : كثرة إنفاق المال والتبذير حتى يورث حاجة، وقوله تعالى : (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ){الإسراء : ٣١} أي : الفقر والحاجة))[١]

(وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ){الأنعام : ١٥١}

((ومن المجاز : أملق زيد : أنفق ماله حتى افتقر ، قال الصاغاني وهو جار مجرى الكناية ؛ لأنّه إذا أخرج ماله من يده ردفه الفقر ، فاستعمل لفظ السبب في موضع المُسَبَّب قال الله تعالى : (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ){الأنعام : ١٥١}))[٢]

وورد الإملاق في موضعين هما الموضعان المذكوران

-**الفقر** : ((الفقر يستعمل على أربعة أوجه :

الأوّل : وجود الحاجة الضرورية وذلك عامّ للإنسان ما دام في دار الدنيا ، وعلى هذا قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّـهِ ۖ وَاللَّـهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ){فاطر : ١٥}

والثاني : عدم المقتنيات وهو المذكور في قوله تعالى : (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ){التوبة : ٦٠}

الثالث : فقر النفس وهو الشرهالمعني بقوله عليه الصلاة والسلام : كاد الفقر أن يكون كفرًا

الرابع : الفقر إلى الله المشار إليه بقوله عليه الصلاة والسلام : اللهمّ أغنني بالافتقار إليك ، ولا تفقرني بالاستغناء عنك ، وإيّاه عُنِي بقوله تعالى : (رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ){القصص : ٢٤}))[٣]

---

(١) العين ص ٩٢٥ وينظر : عمدة الحفّاظ ١٠٨/٤

(٢) تاج العروس ٢٣٣/٢٦

(٣) المفردات ص ٣٩٩

((والفقر : الخلة والحاجة الضرورية ، ويقال : أشدّ الحاجة ، وهو مأخوذ من فقار الظهر؛ كأنّه لاحتياجه انكسر فقاره فهو لا ينهض ، كما قيل : إنّ المسكين من السكون ؛ لاحتياجه سكن وانقطع عن الحركة ، وقيل : فعيل بمعنى مفعول ، فالفقير هو المكسور الفقار على التشبيه))[١]

-**المسكنة** : ((والمسكين قيل هو الذي لا شيء له وهو أبلغ من الفقير وقوله تعالى : (أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ){الكهف : ٧٩} فإنّه جعلهم مساكين بعد ذهاب السفينة أو لأنّ سفينتهم غير معتدّ بها في جنب ما كان لهم من المسكنة))[٢] و((المسكين من السكون ؛ لأنّ المسكين تسكن حركته ، واختُلِف فيه مع الفقير فقيل : هو أصلح حالًا منه ؛ لأنّه جعله ملكا في قوله تعالى : (أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ)))[٣]

وفرّق العسكري ((بين الفقر والمسكنة : أنّ الفقر فيما قال الأزهري في تأويل قوله تعالى : (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ){التوبة : ٦٠} الفقير : الذي لا يسأل ، والمسكين : الذي يسأل ومثله عن ابن عبّاس والحسن وجابر بن زيد ومجاهد وهو قول أبي حنيفة ، وهذا يدلّ على أنّه رأى المسكين أضعف حالًا وأبلغ في جهة الفقر ، ويدلُّ عليه قوله تعالى : (لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا){البقرة : ٢٧٣} فوصفهم بالفقر وأخبر مع ذلك عنهم بالتعفف حتى يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، ولا يحسبهم أغنياء إلّا ولهم ظاهر جميل وعليهم بزة حسنة...

---

(١) عمدة الحفّاظ ٢٤٢/٣

(٢) المفردات ص ٢٤٤

(٣) عمدة الحفّاظ ٢٠٩/٢

وعن أبي يوسف أن نصف المال لفلان ، ونصفه للفقراء والمساكين ، وهذا يدلّ على أنّه جعلهما صنفًا واحدًا ، والقول قول أبي حنيفة ، ويجوز أن يقال : المسكين هو الذي يرقّ له الإنسان إذا تأمّل حاله ، وكلّ من يرقّ له الإنسان يسمّيه مسكينًا))[1]

والحقيقة أنّه قد اختُلِف اختلافًا كبيرًا في الفرق بين الفقير والمسكين حتى ذكر القرطبي أنّ علماء اللغة وأهل الفقه اختلفوا في الفرق بين الفقير والمسكين على تسعة أقوال وهي الأقوال الآتية :

١-أنّ الفقير أحسن حالًا من المسكين

٢-أنّ المسكين أحس حالًا من الفقير

٣-أنّهما سواء لا فرق بينهما في المعنى

٤-الفقير : المحتاج المتعفف ، والمسكين : السائل

٥-الفقير : الذي له المسكن والخادم ، والمسكين : الذي لا مال له

٦-الفقراء من المهاجرين ، والمساكين من الأعراب الذين لم يهاجروا

٧-الفقير الذي يتحمّل ويقبل الشيء سرًّا ولا يخشع ، والمسكين : الذي يخشع ويستكنّ وإن لم يسأل .

٨-الفقراء فقراء المسلمين ، والمساكين : الطوّافون

٩- الفقراء فقراء المسلمين ، والمساكين فقراء أهل الكتاب[2]

وفرّق العسكري ((بين الفقير والمُمْلِق أنّ المُمْلِق مشتقٌّ من الملق ، وهو الخضوع والتضرّع ، ومنه قيل للأجمة المفترشة : مَلَقَةٌ والجمع مَلَقات ، فلمّا كان الفقير في أكثر الحال خاضعًا متضرّعًا سُمِّي مُمْلِقًا ، ولا يكون إلّا بعد غنى ، كأنّه صار ذا ملق ، كما تقول : أطفلت المرأة إذا صار لها طفل

---

(١) الفروق اللغوية ص ٢٠٠-٢٠١

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ٨/١١٩-١٢١

، ويجوزأن يقال :إنّ الإملاق نقل إلى عدم التمكّن من النفقة على العيال ؛ ولهذا قال الله تعالى : (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ){الإسراء : ٣١} أي خشية العجز عن النفقة عليهم))[١]

ويبدو عندي أنّ الفقير أشدّ حاجة من المسكين ؛ لأنّ المسكين يمكن أن يغني نفسه عن طريق السؤال ، والدليل على ذلك أنّ الله سبحانه قدّم الفقير على المسكين

وصفوة ما تقدّم ذكره في الفرق بين الفقير والمسكين والمُمْلِق أنّ

الفقير : هو الفقير الذي لا يسأل الناس

والمسكين : هو الفقير الذي يسأل الناس

والمُمْلِق : هو العاجز عن النفقة على عياله

أمّا فيما يتعلق بسرّ تقديم رزق الآباء على رزق الأولاد في قوله : (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ){الأنعام : ١٥١} وتقديم رزق الأولاد على رزق الآباء في قوله تعالى : (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ){الإسراء : ٣١}

والجواب أنّه قدّم رزق الآباء في الأنعام ؛ لأنّ قوله : (مِّنْ إِمْلَاقٍ) يعني أنّهم فقراء عاجزون عن االنفقة ، فالخطاب موجّه إلى آباء فقراء والمعنى : لا تقتلوا أولادكم من فقر بكم أي : لا تقتلوهم بسبب فقركم وعجزكم عن الإنفاق فـ(نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ)

وقدّم رزق الأولاد في الإسراء لأنّ قوله : (خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ) يعني أنّ الآباء ليسوا فقراء وإنّما هم الآن أغنياء ، لكنّهم يخشون الفقر إذا أنفقوا على أولادهم ؛ لذلك قدّم رزق الأولاد عليهم[١]

---

(١) الفروق اللغوية ص ٢٠٢

٧٤-الأنام ، والبريّة ،والبشر ، وبنو آدم ، والجِبِلّة ، والعالَم :

-الأنام : ((الأَنام : ما على ظهر الأرض من جميع الخلق ، ويجوز في الشعر الأنيم)) [٢](وقال المفسرون في قول الله تعالى : (وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ){الرحمن : ١٠}هم الجِنّ والإنس))[٣] وجاء في أساس البلاغة : ((لو رزقنا الله عدل سلطانه لأنام أنامه في ظلِّ أمانه)) [٤]وقال الفيّومي : ((الأنام : الجِنّ والإنس ، وقيل : ما على وجه الأرض من جميع الخلق)) [٥] وجاء في التاج للزبيدي في باب أنَم : ((الأَنام : كسحاب ، أهمله الجوهري ، واختُلِف فيه فقيل : من أنَّم ، وقيل : أصله وِنام من وَنَمَ : إذا صوَّت من نفسه كإناء ووِناء ، وهو الخَلْق ، أو كلّ ما يعتريه النوم ، أو الجنّ والإنس ، وبه فُسِّر قوله تعالى : (وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ) وهما الثقلان ، أو جميع ما على وجه الأرض من جميع الخَلْق ، والعجب من الجوهري كيف أغفله وهو في القرآن)) [٦] وقيل الأنام ((الحيوان ، وقيل : بنو آدم خاصّة ، وقيل : هم الإنس والجنّ)) [٧] وإذا كان الزبيدي عجب من إغفال الجوهري للأنام في صحاحه المختصّ باللغة لا بالقرآن ، فأنا أشد منه عجبًا

---

(١) ينظر : درّة التنزيل وغرّة التأويل للخطيب الإسكافي ص ١٣٥-١٣٦ والبرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني ص ٦٩ وكشف المعاني في متشابه القرآن لابن جماعة ص ٥٦

(٢) العين ص ٤٥

(٣) تهذيب اللغة ٢٢٠/١

(٤) أساس البلاغة للزمخشري ص ٢٤

(٥) المصباح المنير ص ٢٦

(٦) تاج العروس الزبيدي ١٣٣/٣١ وينظر : لسان العرب ١٧٦/١

(٧) الدر المصون للحلبي ١٥٨/١٠ وينظر : اللباب في علوم الكتاب ٣٠٤/١٨

من إغفال الأصبهاني والحلبي والفيروزآبادي من ذكر الأنام في كتبهم التي خصّصوها لدراسة مفردات القرآن الكريم : المفردات في غريب القرآن ، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، فلم أجد في هذه الكتب ذكر الأنام لا في باب أنّم ولا في باب وَنَم ، كما أنّي لم أجد أيضًا ابن فارس ذكره في كتابه : مقاييس اللغة

وإذا تذكرنا بأنّه ليس الذي على ظهر الأرض بنو آدم خاصّة ، أو الإنس والجنّ من دون غيرهم ، أو الحيوان وحده ، بل الذي على ظهرها : الإنس ، والجنّ ، والحيوان ، والماء ، والحجر ، والشجر وغيرها ، فيكون التأويل الصحيح والمناسب لدلالة الأنام في قوله تعالى : (وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ) هو ما قاله الخليل في العين بأنّ المراد من الأنام ما على ظهر الأرض من جميع الخلق .

-**البشر** :((البشرة ظاهر الجلد ، والأدمة باطنه ، كذا قال عامّة الأدباء ... وجمعها بشر وأبشار ، وعُبِّر عن الإنسان بالبشراعتبارًا بظهور جلده من الشعر بخلاف الحيوانات التي عليها الصوف أو الشعر أو الوبر ، واستوى في لفظ البشر الواحد والجمع ، وثُنِّي فقال تعالى : (أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا){المؤمنون : ٤٧} وخُصَّ في القرآن كل موضع اعتُبر من الإنسان جثته وظاهره بلفظ البشر ، نحو قوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاء بَشَرًا){الفرقان : ٥٤} وقال عز وجل : (إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ){ص : ٧١} ولمّا أراد الكفار الغضَّ من الأنبياء اعتبروا ذلك فقالوا : (إِنْ هَذَا إِلا قَوْلُ الْبَشَرِ){المدثر : ٢٥} وقال تعالى : (فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ){القمر : ٢٤} وقال تعالى : (قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا){يس : ١٥} وقال تعالى : (فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ){المؤمنون : ٤٧} وقال تعالى : (فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا){التغابن : ٦} وعلى هذا قال : (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ){الكهف : ١١٠} تنبيهًا

أنَّ الناس يتساوون في البشرية ، وإنَّما يتفاضلون بما يختصون به من المعارف الجليلة ، والأعمال الجميلة ؛ ولذلك قال بعده : (يُوحَى إِلَيَّ) تنبيهًا أني بذلك تميَّزتُ عنكم ...وقوله تعالى : (وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ){يوسف : ٣١}))[١] ((تنبيه أنّه لحسنه الفائق يمتنع أن يكون بشرًا بل ملك)) [٢] فـ((البشر : الخَلْقُ ، وسموا بشرًا اعتبارًا بظهور جلدهم من الشعر والصوف والوبر بخلاف الحيوانات فإنَّها مستترة بما ذُكِر)) [٣]

وفرّق العسكري ((بين النّاس والبشرأنّ قولنا البشر يقتضي حسن الهيأة ، وذلك أنّه مشتق من البشارة ، وهي حسن الهيأة ، يقال : رجل بشير وامرأة بشيرة ، إذا كان حسن الهيأة ؛ فسُمِّي النّاس بشرًا ؛ لأنّهم أحسن الحيوان هيأة ، ويجوز أن يقال إنّ قولنا بشرًا يقتضي الظهور ، وسمّوا بشرًا لظهور شأنهم ، ومنه قيل لظاهر الجلد بشرة ، وقولنا النّاس يقتضي النّوس وهو الحركة ، والناس جمع ، والبشر واحد وجمع))[٤]

ويمكن الجمع بين الأقوال المذكورة بأنّ البشر سُمّوا بشرًا لظهورهم ، وأنّهم متساوون كلّهم من حيث مساواتهم في بشرتهم ، فليس بشرة أحدهم من ذهب والآخر من خزف ، وهم يمثلون حقيقة البشر الشكلية التي تميّزهم من غير جنس البشر ،كجنس الجن ، وجنس الملائكة ، وجنس البهائم ؛ لذلك استعمل البشر في قوله تعالى : (إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ){المدثر : ٢٥} وقوله تعالى : (وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ){المدثر : ٣١} وقوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ){البقرة :

---

(١) المفردات ص ٥٢-٥٣

(٢) عمدة الحفاظ ١٩٢/١

(٣) عمدة الحفاظ للحلبي ١٩١/١-١٩٢وينظر : بصائر ذوي التمييز ٢٠٣/٢

(٤) الفروق اللغوية ص ٣٠٩

٢٨}وقوله تعالى : (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ){ص : ٧١}وقوله تعالى : (فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا){مريم : ١٧}وهم في الحسن الحقيقي الخَلْقي يتميّزون بلون البشرة وصفائها ، لذلك استعمل البشر في قوله تعالى : (وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَذَا بَشَرًا) لأنّه أريد تمييزه من كلّ البشر بجماله ، واستعمل البشر في قوله تعالى : (قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا){مريم : ٢٠}لأنّه أريد ظهوره ، ظهوره في اليقظة والحقيقة ، واستعمل البشر في قوله وتعالى : ((قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا) ونحوه لأنّه أريد مساواتهم في ظاهر جلدهم وبشرتهم

١-**البريّة** : وردت (البَريّة) في القرآن الكريم في موضعين هما في قول الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ){البيّنة : ٦-٧}

أمّا البريّة فهي من برأ بمعنى خلقَ ((ومنه البارئ في أسمائه وتعالى٠٠٠وأصل تركيب البرْء لخلوص الشيء من غيره ، والمديون من دينه ، أو الإنشاء كـ: بَرَأَ الله آدم من طين٠٠٠والبرْء أخصّ من الخلْق٠٠٠كـ : برأ الله النسمة ، وخلق السماوات والأرض)) [(١)] أي : أنّ الخلق عامّ والبرء يكون في النفس تشريفًا لها ، ويظهر الفرق بينهما في قوله تعالى : (هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ){الحشر : ٢٤} ((هو الله الخالق يعني خالق كلِّ شيء ، خلق النطفة ، والمضغة ، ثمّ قال (البارئ) الأنفس حين برأها بعد

---

(١) تاج العروس ١/١١٨-١١٩

مضغة إنسانًا)) [١] (((والْخَالقُ) : المقدِّر لما يوجده (والْبَارِئُ) المميز بعضه من بعض بالأشكال المختلفة)) [٢]

فـ(الفرق بين الناس والبريّة أنّ قولنا : برية يقتضي تميّز الصورة ، وقولنا : النَّاس لا يقتضي ذلك ؛ لأنّ البريّة من فعيلة من : برأ الله الخلق ، أي : ميّز صورهم ، وترك همزه لكثرة الاستعمال٠٠٠وسُمّيَ بريّة ؛ لأنّ الله عزّ وجلّ قطعهم من جملة الحيوان، فأفردهم بصفات ليست لغيرهم)) [٣]

–**بنو آدم** :واستعمل بني آدم عندما يكون مضمون السياق له علاقة بخلق آدم وقصته ، كما في قول الله تعالى : (يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ){الأعراف : ٢٦} وقوله تعالى : (يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا){الأعراف : ٢٧}وقوله تعالى : (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ){الأعراف : ٣١} وقوله تعالى : (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا){الإسراء : ٧٠} وقوله تعالى : (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ){يس : ٦٠} وقوله تعالى : (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ){الأعراف : ١٧٢} وهذه الذرية كلّها تعود إلى آدم

---

(١) تفسير مقاتل ٣٤٥/٣

(٢) الكشاف ٤٩٧/٤

(٣) الفروق اللغوية للعسكري ص ٣٠٨

فتجد أنّ السياقات في هذه الآيات لها علاقة بخلق آدم وقصته مع إبليس وتكريم الله له ، وقصة خروجه من الجنة وكشف عورته عندما أكل من الشجرة ، وتوبة الله عليه وما إلى ذلك من القضايا

-**الجِبِلّ** : والجِبِلّ والجِبِلّة (بكسر الجيم والباء وتشديد اللام) ورد في القرآن الكريم في موضعين : في قوله تعالى : (وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ){الشعراء : ١٨٤} وقوله تعالى : (وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ){يس : ٦٢} والجِبِلّ مأخوذ من الجَبَل ((وفلان ذو جِبِلّة ، أي : غليظ الجسم ، وثياب جيّد الجِبِلّة ، وتصوّر منه معنى العظم ، فقيل للجماعة العظيمة جِبِلٌّ ، قال الله تعالى : (وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا){يس : ٦٢}أي : جماعة تشبيهًا بالجَبَل في العِظَم٠٠٠ومنه قوله عزّ وجلّ : (وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ){الشعراء : ١٨٤} أي : المجبولين على أحوالهم التي بُنُوا عليها وسُبُلهم التي قُيّضوا لسلوكها المشار إليها بقوله تعالى : (قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ){الإسراء : ٨٤}))[١]

وقال العسكري في ((الفرق بين الناس والجِبِلّة أنّ الجِبِلّة اسم يقع على الجماعات المجتمعة من النّاس حتى يكون لهم معظم وسواد ، وذلك أنّ أصل الكلمة الغلظ والعِظَم ، ومنه قيل : الجبل ؛ لغلظه وعِظَمه ورجل جَبْل وامرأة جَبْلة غليظة الخلق ، وفي القرآن : (وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ){الشعراء : ١٨٤} وقال تعالى : (وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا){يس : ٦٢}أي : جماعات مختلفة مجتمعة أمثالكم)) [٢]

االعالم : ((ومن الباب العالَمون ؛ ذلك أنَّ كل جنس من الخلق فهو في نفسه مَعْلَم وعَلَم ٠٠٠قال الله تعالى : (الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) قالوا :

---

(١) المفردات ص ٩٢

(٢) الفروق اللغوية ٣٠٩

الخلائق أجمعون)) [١] وقال العسكري : ((العالَم : يقع على الملائكة والإنس والجن ، وقيل : أهل كل زمان عالَم ، وقيل كل ما يحوي الفلك عالَم ، والناس يقولون : العلَم العلوي ، يعنون السماء وما فيها ، والعالَم السفلي ، يريدون الأرض وما عليها٠٠٠قال المُفضَّل : العرب تقول : العالَمِين في الرفع والنصب والجر ؛ لأنَّه جمع لا نظير له)) [٢]

٧٥-**الانبجاس والانفجار** : ((يقال : بَجَس الماءُ وانبجس انفجر ، لكن الانبجاس أكثر ما يقال فيما يخرج من شيء ضيق ، والانفجار فيه وفيما يخرج من شيء واسع ، ولذلك قال عزّ وجلّ : (فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا){الأعراف : ١٦٠} وقال في موضع آخر :(فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً){البقرة : ٦٠} فاستُعمل حيث ضاق المخرج اللفظان)) [٣]

وردت قصة موسى ، عليه السلام ، في سورة البقرة ، قال الله تعالى : (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ {٥٨} فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ

(١) مقاييس اللغة ص ٥٩٦ .

(٢) الوجوه والنظائر ص ٢٣٧-٢٣٨ . والمفضَّل هو المُفَضَّل بن محمد الضَّبِّي أبو العبّاس ، وقيل : أبو عبد الرحمن ، له االاختيار الشعري المشهور بالمفضليات وكان عالمًا بالنحو والشعر والغريب وأيّام النَّاس ، وكان يكتب المصاحف بيده ويقفها في المساجد تكفيرًا لما كان يكتبه في أهاجي النّاس ، توفِّي رحمه الله سنة ١٦٨ه ينظر : بغية الوعاة ٢٤٨/٢ والأعلام للزركلي٢٨٠/٧

(٣) المفردات ص ٤٢

يَفْسُقُونَ {٥٩} وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ){البقرة : ٥٨-٦٠}

ووردت في سورة الأعراف قال الله تعالى : (وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ {١٦٠} وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ){الأعراف : ١٦٠-١٦١}

قال الكرماني : ((قوله :(فَانفَجَرَتْ){البقرة : ٦٠} وفي الأعراف : (فَانبَجَسَتْ) ١٦٠ لأنّ الانفجار : انصباب الماء بكثرة ، والانبجاس : ظهور الماء ، وكان في السورة (يعني البقرة) (كُلُواْ وَاشْرَبُواْ) فذكر بلفظ بليغ ، وفي الأعراف (كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) وليس فيه (وَاشْرَبُواْ) فلم يبالغ فيه))[١]

جاءت القصة في سورة البقرة ، في مقام التكريم ، وتذكير بني إسرائيل بنعم الله عليهم ، أمَّا في سورة الأعراف فقد تكررت القصة ، لكن في سياق التوبيخ ، الذي يناسبه استحقاقهم بعقاب الله تعالى عليهم ، وقد أوضح ابن الزبير الغرناطي هذا القصد بالمقابلة بين الألفاظ المتشابهة في السورتين ، التي منها قوله تعالى في سورة البقرة : (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ) فأسند الله القول إلى نفسه تكريمًا للمخاطبين الذين هم بنو إسرائيل ، يقابل ذلك في سورة الأعراف قوله تعالى : (وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ) فلم يسند القول

---

(١) البرهان في توجيه متشابه القرآن ص ٣٠ وينظر : كشف المعاني في متشابه القرآن لابن جماعة ص ١٩

إلى نفسه ، إهانة لهم ، لأنَّ المقام هنا مقام توبيخ ، والتي منها قوله تعالى في سورة البقرة : (فَانفَجَرَتْ) يقابله في سورة الأعراف : (فَانبَجَسَتْ) والانبجاس أقل تدفقًا من الانفجار؛ لتدلَّ على أنَّ العيون بدأت أول مرة بانفجارها ، فلمَّا عصوا أوامر الله ، واستمروا في أذاهم لموسى عليه السلام ، قلَّ تدفق ماء العين ، حتى انتهت إلى انبجاسها[1]

٧٦-**الانتظار والتربّص** : فرَّق العسكري : ((بين الانتظار والتربّص أنّ التربّص طول الانتظار (والانتظار) يكون قصير المدة وطويلها ، ومن ثَمَّ يُسمّى المتربّص بالطعام وغيره متربّصًا ؛ لأنّه يطيل الانتظار لزيادة الربح ، ومنه قوله تعالى : (إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ){المؤمنون : ٢٥}وأصله من الربصة وهي التلبّث ، يقال : ما لي على هذا الأمر رُبصة ، أي : تلبّث في الانتظار حتى طال)) [2]

وأضيف إلى ما ذكره العسكري أنّ التربّص أشدّ من الانتظار وهذا ما ينبئ عنه لفظ التربّص فهو أثقل تلفظًا من الانتظار ، فالباء صوت شفوي شديد انفجاري وفوق ذلك أنه حرف مضعَّف ، والصاد صوت احتكاكي مفخَّم مُطبَق ، فقد أريد من استعمال التربّص الانتظار الذي فيه ثقل على النفس وتكلّف وترقب ، لذلك كان أغلب شواهده في تربّص ما حدد موعده ، وهذا ما نلحظه من شواهده كقوله تعالى : (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ){البقرة : ٢٢٨} وقوله تعالى : (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا){البقرة : ٢٣٤}وقوله تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ){الطور : ٣٠-٣١}والمعنى : نتربّص به ((حوادث الدهر ، أي :

---

(١) ملاك التأويل للغرناطي ص ٤٠

(٢) الفروق اللغوية ص ٨٩

ننتظر نوائب الزمان فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة (قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ) (أي) أتربّص هلاككم كما تتربّصون هلاكي))[١] وقوله تعالى : (إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ){المؤمنون : ٢٥} معناه : أي : به ((جنون فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ) فانتظروا واصبروا عليه إلى زمان حتى ينجلي أمره فإن أفاق من جنونه وإلّا قتلتموه))[٢] وقوله تعالى : (الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ){النساء : ١٤١}

وانتظارما حدد موعده أو احتمل وقوعه في حياة المنتظر أثقل على النفس من انتظار ما طال أمده وأبهم أمره ، لذلك كانت شواهد الانتظار جميعها تتعلقّ بعذاب الله ، أو بقيام الساعة كقوله تعالى : (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ){الأنعام : ١٥٨}

فالانتظار معروف أمّا التربّص فقد استعمل في الانتظار الذي فيه تكلّف وترقب واهتمام به وبموعده

٧٧-**الإنزال والتنزيل** : الإنزال ما كان إنزالًا دفعة واحدة ، والتنزيل ما كان شيئًا فشيئًا بالتدريج ، وعليه قوله تعالى : (نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ){آل عمران : ٣-٤} فخصّ القرآن بالتنزيل ، لنزوله منجّمًا مفرّقًا في ثلاث وعشرين سنة وخصّ التوراة والإنجيل بالإنزال لنزولهما جملة واحدة

---

(١) مدارك التنزيل ص ١١٧٥

(٢) مدارك التنزيل ص ٧٥٥

وجاز التعبير عن إنزال القرآن جملة واحدة من دون النظر إلى تنجيمه كقوله تعالى : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا){الكهف : ١} واستعمل الإنزال في قوله تعالى : (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ){القدر : ١} لأنّ المراد إنزاله دفعة واحدة من السماء السابعة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ، ثمّ نزوله بعد ذلك مفرّقًا على قلب الرسول صلّى الله عليه وسلّم وحسب الحوادث والمناسبات في ثلاث وعشرين سنة ، وقد يستعمل لفظ التنزيل عند التنبية إلى الغرض من نزوله آيات آيات ، وهو لتيسير حفظه وفهمه ولنعيَ أحكامه شيئًا فشيئًا كقوله تعالى : (وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا){الإسراء : ١٠٦}

٧٨-**الإنسان والإنس والنّاس : الإنسان :** ((إنّ اشتقاق الإنسان من النسيان ، واصله إنسيان ، فلهذا يُصغَّر فيقال : أُنَيسيان والنسيان لا يكون إلّا بعد العلم ، فسُمّي الإنسان إنسانًا ؛ لأنّه ينسى ما عمله)) (١)

((وإنّما قيل في الإنسان أصله إنسِيان ؛ لأنّ العرب قاطبة قالوا في تصغيره أُنَيْسِيان فدلّت الياء الأخيرة على الياء في تكبيره إلّا أنّهم حذفوها لمّا كثرالإنسان في كلامهم)) (٢) و((وتقدير إنسان : فِعلان٠٠٠وقال قوم : أصله إنسيان على إفعلان٠٠٠واستدلّوا عليه بقول ابن عبّاس : إنّه سُمِّيَ إنسانًا ؛ لأنّه عُهِد إليه فنسي)) (٣) ونقل ابن منظور قول االجوهري وقال : ((وروي

---

(١) الفروق اللغوية ص ٣٠٧

(٢) تهذيب اللغة ٢١٧/١

(٣) الصحاح ص ٥٨ وينظر : المفردات للراغب ص ٣٣ والمصباح المنير للفيّومي ص ٢٦

عن ابن عبّاس رضي الله عنهما أنّه قال : إنّما سُمِّي الإنسان إنسانًا ؛ لأنّه عُهِد إليه فنسيَ وقول ابن عبّاس حجة قويّة له)) [1]

وهذه هي طبيعة الإنسان التي ذكرها الله في القرآن الكريم في قوله تعالى : (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا){طه : ١١٥} وقوله تعالى : (أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ){يس : ٧٧-٧٨} وقوله تعالى : (وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ){الزمر : ٨}وقوله تعالى : (نَسُوا اللَّـهَ فَنَسِيَهُمْ){التوبة : ٦٧} (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ){الكهف : ٥٧} لذلك وعظنا الله سبحانه أن ندعوه ونستغفره من مغبة النسيان كلّما إنتابنا ووقعنا فيه ، قال الله تعالى : (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا){البقرة :٢٨٦}

-**الإنس** : ((الأُنس والاستئناس والتأنّس واحد ، وقد أنستُ بفلان ، وقيل : إذا جاء الليل استأنس كلّ وحشيَ واستوحش كلّ إنسيّ ، والآنسة : الجارية الطيبة النفس التي تحبّ قربها وحديثها))) [2] وقال الأزهري : ((وأخبرني المنذري عن ثعلب عن سلمة عن الفرّاء : قلتُ للذُبَيري : إيش قولهم : كيف ترى ابن إنسك ، بكسر الألف ؟ فقال : عزاه إلى الإنس٠٠٠وقال أبو زيد : إنسيٌّ وإنس ، وجنّيّ وجنّ ، وعربيٌّ وعرب)) [3] ((وقيل للإنس إنسٌ ؛ لأنّهم يُؤنَسون ، أي : يُبصَرون ، كما قيل : للجنّ جِنٌّ ؛ لأنّهم لا يُؤنَسون ، أي : لا يُرَون ، وقال محمد بن عرفة الملقّب بنفطويه ،

---

(1) لسان العرب ١٧٠/١

(2) العين ص ٤٤

(3) تهذيب اللغة للأزهري ٢١٥/١-٢١٦

وكان عالمًا : سُمِّيَ الإنسيّون إنسيّين ؛ لأنّهم يُؤنَسون ، وسمِّي الجنّ جِنًّا ؛ لأنّهم مُجتنّون عن رؤية الناس ، أي : متوارون)) [١] وقال ابن فارس : ((الهمزة والنون والسين أصل واحد ، وهو ظهور الشيء ، وكلُّ شيء خالف طريقة التوحّش ، قالوا الإنس خلاف الجنّ ، وسمّوا لظهورهم ، يقال : آنستُ الشيء : إذا رأيته ٠٠٠والأنس : أنسُ الإنسان بالشيء إذا لم يستوحش منه ، والعرب تقول : كيف ابن إنسك ؟ إذا سأله عن نفسه)) [٢]وقال العسكري : ((إنّ الإنسيّ يقتضي مخالفة الوحشيّ ، ويدلّ على هذا أصل الكلمة ، وهو الأنس ، والأنس خلاف الوحشة ، والناس يقولون : إنسيّ ووحشيّ ، وأمّا قولهم : إنسيّ ووحشيّ ، والإنس والجِنّ ، أُجرِيَ في هذا مجرى الوحش ، فاستعمل في مضادة الإنس)) [٣]فـ((الإنس خلاف الجنّ)) [٤] ((والإنس : الجيل المقابل للجنّ٠٠٠قال تعالى : (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ){الأنعام : ١٣٠} سُمّوا بذلك ؛ لأنّهم كانوا يُؤنَسون أي : يُبصَرون بخلاف الجنّ ، فإنهم كانوا يَخفون ، أي : يستترون فلا يُبصَرون)) [٥]

وصفوة ما يتبيّن من تعريف أهل اللغة للإنس أنّ الإنس سمّوا بذلك ؛ لأنّه يُؤنَس بهم لظهورهم ، بخلاف الجنّ فإنّه يُستوحش بهم لاستتارهم ؛ لذلك جُعِل الإنس ما يقابل الجنّ ، وهذا ما جاء في القرآن الكريم ، فلم يُذكَر الإنس إلّا ذُكِرَ بجنبهم الجنّ ، فقد ورد الإنس في كتاب الله في ثمانية عشر موضعًا ، اقترن ذكرهم في جميعها بالجنّ ، من ذلك قول الله تعالى :

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري ٢١٧/١

(٢) مقاييس اللغة ص ٥٦

(٣) الفروق اللغوية ص ٣٠٧

(٤) المفردات ص ٣٣

(٥) عمدة الحفاظ للحلبي ١٢٩/١

(وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ){الأنعام : ١١٢}وقوله تعالى : (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ){الأنعام : ١٢٨} وقوله تعالى : (قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا){الأعراف : ٣٨} وقوله تعالى : (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ){الأعراف : ١٧٩}وقوله تعالى : (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا){الإسراء : ٨٨} وقوله تعالى : (وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ){النمل : ١٧} وقوله تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ){فصلت : ٢٩} وقوله تعالى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ){الذاريات : ٥٦} وقوله تعالى : (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا){الجن : ٦}

النّاس :وأصله من((النَّوس: تذبذب الشيء ، وقد ناسَ ينوسُ وأناسه غيره ، وفي حديث أمّ زَرْع : أناسَ من حُلِيٍّ أُذُنَيَّ٠٠٠ورجل نَوَّاس : بالتشديد : إذا اضطرب واسترخى ، والناس : قد يكون من الإنس والجنّ وأصله أُناس (بضم الهمزة فخفّف، ولم يجعلوا الألف واللام عوضًا من الهمزة المحذوفة ؛ لأنّه لو كان كذلك لما اجتمع مع المُعَوَّض منه قول الشاعر :

إنّ المنايا يطلعْ نَ على الأُناس الآمنينا))[1]

و((النّاس : اسم وُضِع للجمع كالقوم والرّهط ، وواحده إنسان من غير لفظه ، مشتق من ناس ينوس ، إذا تدلّى وتحرّك فيُطلَق على الإنس

---

(1) الصحاح ص ٥٨ ، ١٠٧٧ وينظر : لسان العرب ٣٨٢/١٤ وعمدة الحفّاظ ٢٣٢/٤-٢٣٣ وتاج العروس ٣٠٤/١٦ والحديث رواه البخاري رقم الحديث ٥١٨٩ صحيح البخاري ١٩٧/٩ ورواه مسلم رقم الحديث ٢٤٤٨ صحيح مسلم ٢٣٨/٧

والجنّ ، قال تعالى : (الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ){النّاس : ٥}ثمّ فسّر (النّاس) بالجنّ والإنس ، فقال : (مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ){النّاس : ٦}وسمّى الجنّ ناسًا٠٠٠وكانت العرب تقول : رأيتُ ناسًا من الجنّ))[١]

فواحد الإنس الإنسيّ ، وواحد النّاس إنسان ، وأصل النّاس النّوس وهو تذبذب الشيء وحركته ، وأصل الإنسان النسيان ؛ فجمع كلٌّ منهما هذين الأصلين ، أي : سُمِّي كلاهما الجمع ومفرده بذلك لنسيانهما وحركتهما

وهذه هي طبيعة الإنسان والناس النسيان والحركة التي ذكرها القرآن الكريم في قوله تعالى : (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا){طه : ١١٥} وفي قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ){الانشقاق : ٦} والكدح : عمل الإنسان وجهده في الخير والشر ، والسعي والدؤوب في باب الدنيا والآخرة فلا يزال الإنسان يذهب ويجيء في هذا الكدح حتى يلقى الله ، أي : حتى مماته[٢]وهذا هو أيضًا حال الجنّ سُمّوا ناسًا لنسيانهم ولحركتهم

-**الإنس والنّاس** :يمكن إجمال الفروق بين الإنس والنّاس في الأمور الآتية :

١-الإنس سمّوا بذلك ؛ لأنّه يُؤنَس بهم لظهورهم ، بخلاف الجنّ فإنّه يُستوحش بهم لاستتارهم ؛ لذلك جُعِل الإنس ما يقابل الجنّ ، فلم يُذكَر الإنس إلّا ذُكِرَ بجنبهم الجنّ ، أمّا الناس فقد سُمّوا بذلك لحركتهم الدائبة في الخير

---

(١) المصباح المنير للفيومي ص ٦٣٠

(٢) ينظر : تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٢٨ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٥/٢٥٠ وزاد المسير لابن الجوزي ٨/٢٦٧ واللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي ٢/٢٤٣

والشرّ ؛ لذلك لم يقترن ذكرهم بذكر الجنّ على الرغم من أنّ الناس ذكروا في القرآن الكريم في نحو مئتي موضع

٢–والإنس كلّما ذُكِر يراد منهم دائمًا جنس الإنس المقابل لجنس الجنّ ، أمّا الناس فقد يراد منهم جميع الناس أو بعضهم وحسب السياق ، فقد أُريد منهم جميع الناس كقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ){الحج : ١}وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ){البقرة : ٢١} وقوله تعالى : (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّـهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا){الأعراف : ١٥٧}

وقد يراد بالناس طائفة معيّنة من الناس ، أو شخص واحد بعينه كقوله تعالى : (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّـهُ مِن فَضْلِهِ){النساء : ٥٤} ((وفي المراد بالناسفي قوله تعالى : (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ) أربعة أقوال :

أحدها : النبي محمد ، صلى الله عليه وسلم .

والثاني : النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر ، وعمر .

والثالث : العرب .

والرابع : النبي ، صلى الله عليه وسلم ، والصحابة)) [1]

وقوله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ){البقرة : ١٣} ((وفي المراد بالناس هنا ثلاثة أقوال : أحدها : جميع الصحابة ، قاله ابن عباس ، والثاني : عبد الله بن سلام ومَن أسلم معه قاله مقاتل ، والثالث : معاذ بن جبل ، وسعد بن معاذ ، وأسيد بن بن حضير ، وجماعة من وجوه الأنصار ، عدَّهم الكلبي))[2]

([1]) زاد المسير ٦٧/٢ وينظر : جامع البيان للطبري ١٦٦/٥–١٦٧ والوسيط ٦٧/٢ والكشّاف ٥١١/١ والمحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي ٦٨/٢

([2]) زاد المسير ٢٨/١ وينظر : جامع البيان ١٤٧/١

وقوله تعالى : (لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ){يوسف : ٤٦} (((لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ) يعني : الملك وأصحابه ، والعلماء الذين جمعهم لتعبير الرؤيا))[١]

وقوله تعالى : (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكم){آل عمران : ١٧٣} ((قوله تعالى : (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ) في المراد بالناس ثلاثة أقوال :

أحدها : أنَّهم ركْب لقيهم أبو سفيان ، قاله ابن عباس

والثاني : أنَّه نعيم بن مسعود .

والثالث : أنَّهم المنافقون)) [٢]

٣-افترن ذكر الإنس بذكر الجنّ في كل مواضع وروده في القرآن الكريم في حين لم يقترن ذكر الناس بالجِنّ ، بل اقترن بالجِنّة بمعنى الجنّ وفي ثلاثة مواضع فقط ، وقد ورد الناس كما ذكرتُ في نحو مئتي موضع ، فقد جعل الإنس يقابل الجنّ ، وجعل الناس يقابل الجِنّة في المواضع الثلاثة الآتية : قوله تعالى : (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ){هود : ١١٩} وقوله تعالى : (وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ){السجدة : ١٣} وقوله تعالى في سورة الناس : (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ)

---

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٦١٦/٢وينظر : زاد المسير ١٧٨/٤ والجامع لأحكام القرآن ١٤٦/٩ ومدارك التنزيل ص ٥٣٣ وفتح القدير ٣٨/٣ والتحرير والتنوير ٧٣/١٢

(٢) زاد المسير ٤٠٢/١ وينظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ص ٥٢-٥٣ والوسيط ٥٢١/١-٥٢٢ والمحرر الوجيز ٥٤٢/١

و((الجِنّة والجِنّ : قيل واحد ، والتاء فيه للمبالغة)) [1]

٤–والفرق الرابع بينهما أنّه قد تقدّم أنّ الإنس سمّوا بذلك ؛ لأنّه يُؤنَس بهم لظهورهم ، بخلاف الجنّ فإنّه يُستوحش بهم لاستتارهم ، أي : أنّ لكلٍّ منهما ما يميّزه من الآخر ، فهما لا يشتركان عند ذكرهما معًا في السياق نفسه بصفة الظهور ، ولا يشتركان بصفة الاستتار ، فليس بين الإنس والجنّ صفة مشتركة في هذا الباب ، أمّا الناس فقد سُمّوا بذلك لحركتهم الدائبة في الخير والشرّ ؛ وهذه صفة يشترك فيها الناس والجنّ ؛ يضاف إلى ذلك اشتراكهم في التكليف ، لذلك هناك من ذهب إلى أنّه قد يراد بالناس الجنّ والناس وسيأتي بيان ذلك بالتفصيل في باب الفرق بين الجنّ والشياطين

٧٩–**الإنسان والرجل والمرء** : تقدّم أنّ الإنسان سُمِّيَ بذلك من الحركة أو من النسيان ، وتبيّن أنّه هو الاصل فيكون المراد من ذكره تذكيره بأصله كقوله تعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ){الحجر : ٢٦}وقوله تعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ){المؤمنون : ١٢–١٣}وقوله تعالى : (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ){البلد : ٤} وقوله تعالى : (خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ){العلق : ٢}وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ){الانفطار : ٦–٨}ولأنّ المراد من الإنسان كلّ إنسان أو في الأعمّ الأغلب جعل الأحكام العامّة يُعبّر عنها بلفظ الإنسان كقوله تعالى : (وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا){العنكبوت : ٧}وقوله تعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ){ق : ١٦} أو يراد به حقيقة

([1]) اللباب في علوم الكتاب ٦٠٢/١٠

الإنسان في الأعمّ الأغلب ؛ ولذلك فإنّه يذكر عندما يراد أن تذكر صفة من صفاته التي جُبِل عليها وأنّه هو هكذا في الأصل كقوله تعالى :(وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا){النساء : ٢٨} وقوله تعالى : (وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ){يونس : ١٣} وقوله تعالى : (وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ){هود :٩}وقوله تعالى (إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ){إبراهيم : ٣٤} وقوله تعالى : (خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ){النحل : ٤}وقوله تعالى : (وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا){النحل : ١١}وقوله تعالى : (وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا){الإسراء : ٦٧}وقوله تعالى : (وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا){الإسراء : ٨٣}وقوله تعالى : (وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا){الإسراء : ١٠٠}وقوله تعالى (وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا){الكهف : ٥٤}وقوله تعالى :(فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ){الفجر : ١٥-١٦}وقوله تعالى : (إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ){المعارج : ٢٠٢٣}وقوله تعالى : (إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ){العاديات : ٦}(لكفور ، أي : إنّه لنعمة ربّه خصوصًا لشديد الكفران)) [1]فهذا هو حال الإنسان في الاصل والأغلب إلّا من رحم ربي وأنعم الله عليه بنعمة الإيمان واالصبر وشكر الله؛ ولأنّ الإنسان هو كذلك فقد اتجه تذكير الله إليه ووعظه بلفظ الإنسان لعله يتذكّر ويخشى كقوله تعالى في سورة العصر : (وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾

(١) مدارك التنزيل للنسفي ص ١٣٦٩

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)ولذلك حين يُذكّر بيوم القيامة يذكَر بلفظ الإنسان كقوله تعالى : (وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا){الزلزلة : ٣}

–**الرجل** :ذكر العسكري أنّ ((الفرق بين الرّجُل والمرْء أنّ قولنا : رجل يفيد القوَّة على الأعمال ، ولهذا يقال في مدح الإنسان : إنّه رجل ، والمرْء يفيد أنّه أدب نفس ، ولهذا يقال : المروءة أدب مخصوص))(١)

يقال ((هذا رجل أي: ليس بأنثى ، وهذا رجل : أي : كامل٠٠٠ورجل رجيل ، أي : مشّاء٠٠٠وترجّل القوم : نزلوا عن دوابّهم في الحرب))(٢)((وإنّما سُمُّوا رَجُلًا ؛ لأنّهم يمشون على ارجلهم٠٠٠فأمّا قولهم تَرَجَّل النهار ، إذا ارتفع فهو من الباب ، كأنّه استعارة ، أي : إنّه قام على رِجْلِه ، وكذلك رجَّلْتُ الشِّعْر ، هو من هذا ، كأنّه قويٌّ))(٣)((ورَجُلٌ رجيل ، أي : قويٌّ على المشي))(٤)((واشتُقَّ من الرِّجْل رَجُلٌ وراجل للماشي بالرِّجْلِ))(٥)((أي : قويٌّ على المشي بالرِّجْل وجمعه رِجال))(٦)

–**المَرْء** : ((والمرأة تأنيث المرء))(٧) و((يقال امْرُؤٌ وامرآن وقوم امْرِئٍ ، والمرأة تأنيث امْرِئٍ ، والمُرُوَّةُ كمال الرُجُولِيَّة))(٨)و((يقال مَرْءٌ ومَرْأَةٌ وامْرُؤٌ

(١) الفروق اللغوية ص ٣١٠

(٢) العين ص٣٤٠

(٣) مقاييس اللغة ص ٣٧٣

(٤) الصحاح للجوهري ص ٣٩٦

(٥) المفردات للراغب ص ١٩٦–١٩٧

(٦) عمدة الحفّاظ للحلبي ٧٦/٢

(٧) العين ص ٩٠٣

(٨) مقاييس اللغة ص ٨٥٨

وامْرأَةٌ قال تعالى : (إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ){النساء : ١٧٦} وقال تعالى : (وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا){مريم : ٥} والمُرُوَّةُ كمال المَرْء كما أنّ الرُجُوليَّة كمال الرَّجُل))[1]قال الجوهري : ((والمُرُوءة : الإنسانية ، ولك أن تشدّد ، قال أبو زيد : مَرُؤَ الرَّجُلُ صار ذا مُرُوءة فهو مَرِيء على فعيل وتمَرَّأَ تكلَّف المُروءة٠٠٠والمَرْء : الرَّجُلُ يقال : هذا مَرْءٌ صالح ومررتُ بمَرْءٍ صالحٍ ورأيتُ مَرْءًا صالحًا، وضم الميم لغة وهما مَرْآن صالحان ، ولا يُجْمَع على لفظه ، وبعضهم يقول : مَرْأَةٌ ومَرَةٌ أيضًابترك الهمزة وبتحريك الراء بحركتها، فإن جئتَ بألف الوصل كان فيه ثلاث لغات : فتح الراء على كلّ حال حكاها الفرّاء وضمّها على كلِّ حال ، تقول : هذا امْرَأٌ ورأيت امْرَأً ومررتُ بامْرَإٍ وواعرابها على كلّ حال ، تقول : هذا امْرُؤٌ ، ورأيتُ امْرُؤًا ومررتُ بامْرُؤٍ وإعرابها على كلّ حال ، تقول : هذا امْرُؤٌ ، ورأيتُ امْرَأً ومررتُ بامْرِئٍ معربًا من مكانين ولا جمع له من لفظه ، وهذه امْرَأَةٌ مفتوحة الراء على كلِّ حال))[2]((والمُروءةُ آداب نفسانيّة تَحْمِلُ مُراعاتُها الإنسانَ على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات يقال : مَرُؤَ الإنسانُ وهو مَرِئٌ مثل قَرُبَ فهو قريب ، أي : ذو مُرُوءَةٍ قال الجوهري وقد تُشَدّد فيقال مُرُوَّةٌ))[3]
((والمرْء : الإنسان ، أي : رجلًا كان أو امرأة))[4]

لقد بان الفرق بين الرجل والمرء فالأول يدلُّ على الرجولة والقوّة والثاني يدلُّ على المروءة والإنسانية ، هذا هو الفرق الأول ، والثاني أنّ

---

(١) المفردات للراغب ص ٤٨٧

(٢) الصحاح ص ٩٧٨-٩٧٩

(٣) المصباح المنير ص ٥٦٩

(٤) تاج العروس للزبيدي ٢٨٧/١

الرجل دلالته مقصورة على الذكر دون الأنثى ، والمرأة مقصورة على الأنثى دون الذكر والمرْء يشملهما فهو كالإنسان يشمل الذكر والأنثى

فلدلالة الرجل على القوّة وأنّه هو أقوى من المرأة جسدًا وعقلًا لم يجعل الله الرسل والأنبياء إلّا من الرجال ؛ لذلك ذُكِرَ من دون المرء في هذا الباب كقوله تعالى : (قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ){المائدة : ٢٣}وقوله تعالى : (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ){الأنعام : ٩}وقوله تعالى : (أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ){الأعراف :٦٣}وقوله تعالى : (وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا){الأعراف : ١٥٥}وقوله تعالى : (أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ){يونس : ٢}

ولدلالة الرجل على الذكر من دون الأنثى ولجواز شمول المرء كليهما ، فقد ذكر الرجل من دون المرء في أمور الحياة السياسية والسيادية والفكرية لكون الرجل أرجح من المرأة عقلًا وأحكم منها تدبيراً وتصرّفا في هذه الأمور كقوله تعالى : (مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ){الأحزاب : ٤}جاء في التفسير أنّ هذه الآية نزلت في جميل بن معمر الفهري ادعى أنّ له قلبين يعقل بكلّ واحد منهما أفضل من عقل محمد صلّى الله عليه وسلّم(١)وقوله تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ){سبأ : ٧}وقوله تعالى : (قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ){سبأ : ٤٣}

ولدلالة الرجل على الذكر من دون الأنثى ولجواز شمول المرء كليهما ، فقد ذكر الرجل من دون المرء عندما يكون المراد الذكر وحده كقوله

---

(١) ينظر : زاد المسير ١٨٨/٦

تعالى : (وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا){الكهف : ٣٢}وقوله تعالى : (قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا){الكهف : ٣٧} وقوله تعالى :(وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا){الجنّ : ٦}فهذا ما كان يفعلونه من دون النساء

وقوله تعالى : (وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ){الأعراف : ٤٦}وقد جاء في التفسير : أنّهم ذكور وليسوا بإناث(١)وقوله تعالى : (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ){التوبة : ١٠٨}

ولكون الرجل يُذكر في مجال القوّة فقد ذكر من دون المرء كقوله (مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا){الأحزاب : ٢٣}وقوله تعالى : (رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ){النور : ٣٧}

لذلك فإنّ الرجل يُذكر كلّما أريد مقابلته بالمرأةكقوله تعالى : (فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ){البقرة : ٢٤٨}

فالرجل يُذكر في سياق القوة وأنّه يراد به الذكر دون الأنثى أمّا المرء فلم يُذكَر في هذا السياق وأنّه يراد به الرجل والمرأة على حدٍّ سواء فقد بان الفرق بين الرجل والمرء ،كقوله تعالى : (فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ){البقرة : ١٠٢}ذكر المرء لأنّ المراد كما هو واضح التفريق بين الرجل وامرأته ، وبين المرأة وزوجها ، وقوله تعالى :(وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ){الأنفال : ٢٤} أي : يحول الله بالموت

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤٧/٧

بين المرء وما يتمنّاه قلبه رجلًا كان أم امرآة [1]وقوله تعالى : (يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا){عمّ : ٤٠} فالمراد بالمرء الرجل والمرأة معًا، وهذا هو المراد من الكافر وقوله تعالى : (يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ){عبس : ٣٧}فهذا هو حال الإنسان رجلًا كان أم امرأة

وقد جاء في سورة النساء ما يتعلّق بالميراث في الآية ١٢ والآية الأخيرة ١٧٦ وقد لحظت في سياق هاتين الآيتين في الموضعين ما أثار انتباهي وفضولي قال تعالى : (وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ){النساء : ١٢}وقال تعالى : (يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ۚ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ){النساء : ١٧٦} فقد ساءلت نفسي لِم ذكر في الموضع الأول الرجل والمرأة وذكر في الموضع الثاني لفظ (امرؤ)بدلًا منهما ،لِمَ لَمْ يوحِّد بينهما بتعبير الأول أو بتعبير الثاني على الرغم من أنّ الكلام في الموضعين يتعلّق بميراث الكلالة ولم ألحظ بينهما فرقًا سوى أنّه ذكر في الموضع الأول السدس وفي الثاني النصف ؟!

فرجعت إلى أهل التفسير فعرّفوا الكلالة أنّه اسم يقع على الوارث والموروث يقال : كلّ الرجل كلالة ، أي : صار كلًّا ، وهو الذي لا ولد له ولا والد ، و((قوله تعالى : (وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ){النساء : ١٢}يعني من الأمّ بإجماع المفسّررين ، وكذلك في قراءة سعد بن أبي وقّاص : وله أخ أو أُخت

(١) ينظر : مدارك التنزيل ص ٤٠٩

من أُمِّه)) [1] جاء في محاسن التأويل : ((اتفق العلماء على المراد من قوله تعالى : (وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ){النساء : ١٢} الأخ والأُخت من الأمّ ، وقرأ سعد بن أبي وقّاص وغيره من السلف ، وكذا فسّرها أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه فيما رواه قتادة عنه قال الكرخي : القراءة الشاذَّة كخبر الآحاد ؛ لأنّها ليست من قبل الرأي ، وأطلق الشافعي الاحتجاج بها فيما حكاه البويطي ؛ لأنّها منقولة عن النبيّ صلّى ولا يلزم من انتفاء خصوصيّة قرآنيّتها انتفاء خصوص خبريّتها ، وقال القرطبي : أجمع على أنّ الإخوة ههنا هم الإخوة لأمّ قال : ولا خلاف بين أهل العلم أنّ الإخوة للأب والأمّ أو للأب ليس ميراثهم هكذا فدلّ على إنّ الإخوة المذكورين في قوله تعالى قوله تعالى : (وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ){النساء : ١٧٦} هم الإخوة لأبوين ، أو لأب ، لطيفة : إفراد الضمير في قوله تعالى : (وَلَهُ أَخٌ) إما لعوده على الميت المفهوم من المقام ، أم على واحد منهما ، والتذكير للتغليب ، أو على الرجل ، واكتفى بحكمه عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركهما فيه))[2]

فالآية ١٢ من سورة النساء تعني : وإن مات رجل أو امرأة وليس له أو لها ولد ولا والد ، وله أو لها أخٌ أو أخت من أمّ ، فلكلّ واحد منهما السدس ، فإن كان الإخوة أو الأخوات لأمّ أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث ، يُقَسَّم بينهم بالسويّة لا فرق بين الذكر والأنثى[3]

---

(١) الوسيط للواحدي ٢/٢٣-٢٤

(٢) محاسن التأويل للقاسمي ٣/٤٥-٤٦

(٣) ينظر : جامع البيان للطبري ٤/٣٥١-٣٥٤ والوسيط ٢/٢٣-٢٤ وزاد المسير ٢/٢٠ وأنوار التنزيل للبيضاوي ٢/٦٤ ومدارك التنزيل للنسفي ص ٢١٥

والأخوة والإخوات لأمّ لا يدخلون في عصبة الرجل أو المرأة بل الذين يدخلون في عصبتهما الأخوة والأخوات من أبيهم وأمّهم ، أو من أبيهم وهذا يعني أنّه لا يكون للرجل االموروث كلالة في العصبة قبل هلاكه إلّا هو ، لذلك أطلق عليه لفظ الرجل ، وكذلك المرأة الموروثة كلالة لايكون لها في العصبة قبل هلاكها إلّا هي ، لذلك أطلق عليها لفظ المرأة ، ولم يذكرهما بلفظ امرؤ ؛ لأنّه لم يكن هناك في الحالين ذكر وأنثى بل إمّا أن يكون ذكر واحد فقط أو أنثى واحدة فقط

أمّا الآية في الموضع الثاني أي : الآية ١٧٦ من سورة النّساء فالأمر مختلف فمعنى قوله تعالى :(((إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ){النساء : ١٧٦} إن إنسان مات))[١] فالمراد من (امْرُؤٌ) الإنسان الذكر والأنثى وقوله تعالى : (يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ۚ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ){النساء : ١٧٦} قال الواحدي : (((قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ) قال ابن عبّاس يريد : من ليس له ولد ولا والد (إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ) أراد ولا والد ، فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر ، ودلّ على المحذوف : أنّ الفتيا في الكلالة ، والكلالة من ليس له ولد ولا والد فإن كان له أحدهما لم يُسمّ كلالة ، وقوله (وَلَهُ أُخْتٌ) أراد : من أُمّه وأبيه ؛ لأنّ ذكرَ أولاد الأمّ قد سبق في أوَّل السورة (فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ) هذا بيان نصف فرضها عند الانفراد ، ولها نصف المال بالتسمية ، وقوله :(وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ) يعني أنّ الأخ يستغرق ميراث الأخت إذا لم يكن للأخت ولد ، وهذا في الأخ من

---

(١) جامع البيان للطبري ٤٩/٦

الأب والأمّ ، أو من الأب وقوله : (فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ) ظاهر))[1]

وهذا يعني أنّه يكون مع الرجل االموروث كلالة في العصبة قبل هلاكه أخته الشقيقة أو أختاه ، وكذلك يكون مع المرأة الموروثة كلالة في العصبة قبل هلاكها أخوها الشقيق أي : يكون في الحالين في العصبة ذكر وأنثى لذلك عبّر عنهما بلفظ أمرؤ ؛ لأنّه يشمل الذكر والأنثى

-**الإنسان والمرْء** : لم يتطرّق العسكري إلى الفرق بين الإنسان والمرء ، لكن تطرّق إلى الفرق بين الرجل والمرء ، والفرق بينهما ظاهر ، فحيثما يكون المراد الذكر دون الأنثى استعمل الرجل ، وحيثما يكون المراد الذكر والأنثى استعمل المرء ، والمرْء معرفة والنكرة منه امرؤ في حال الرفع وامرئ في حال الجر وامرأ في حال النصب ولم يردِ في القرآن الكريم منصوبًا ، فالفرق بين الرجل واالمرء لوضوحه لا يحتاج إلى تفصيل ، لكن قد يصعب التفريق بين الإنسان والمرء لأنّ كليهما يُطلَق على الذكر والأنثى

تبيّن فيما تقدّم أنّ الإنسان هو الاصل ؛ لذلك يُذكَر الإنسان في المواضع التي براد منها تذكيره بأصله كما تقدّم

ولأنّ المراد من الإنسان كلّ إنسان أو في الأعمّ الأغلب جعل الأحكام العامّة يُعبّر عنها بلفظ الإنسانفإنّه يذكر عندما يراد أن تذكر صفة من صفاته التي جُبِل عليها وأنّه هو هكذا في الأصل كما تقدّموكقوله تعالى(بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ){القيامة : ٣-٥} أي : ((ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان (يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ){القيامة : ٦}سؤال

---

(١) الوسيط ٢/١٤٥-١٤٦ وينظر : جامع البيان للطبري ٦/٤٩-٥٦ وزاد المسير ٢/١٥٨-١٥٩ وأنوار التنزيل للبيضاوي ٢/١١٢ ومدارك التنزيل ص ٢٦٩

مُتَعَنِّتٍ مستبعد لقيام الساعة))[١] ومثل هذه الصفات العامّة نُسِبَتْ إلى الإنسان ولم تُنْسَب إلى المرء لذلك ذكره في قوله تعالى : (يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ){القيامة : ١٠}

أمّا المرء فيذكر في القضايا الخاصّة كقوله تعالى في قضيّة من قضايا الميراث كما تقدّم في قوله تعالى : (إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ){النساء : ١٧٦}

وقد تقدّم أنّ المرء مشتقٌّ من المروءة ((والمُروءةُ آداب نفسانيّة تَحْمِلُ مُراعاتُها الإنسانَ على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات))[٢]فـ((الأدب يقع على كلّ رياضة محمودة يتخرّج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل))[٣] لذلك يذكَر المرء في هذا السياق كقوله تعالى : (كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ){الطور : ٢١}لأنّ هذه الآداب النفسيّة مكتسبة ، وهي التي تجعل صاحبها يغترّ بما عنده منها فيطلب ما لا ينبغي أن يطلبه كقوله تعالى : (بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً){المدثر : ٥٢}ويطمع بأنّ ما عنده من هذه الآداب تؤهله بدخول الجنّة ((ويقولون إن دخل هؤلاء الجنّة كما يقول محمد صلى الله عليه وسلّم فلندخلنّها قبلهم))[٤] قال تعالى : (أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا ۖ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ){المعارج : ٣٨-٣٩}((أي : من النطفة المذرة لذلك أبهم إشعارًا بأنّه منصب يُستَحيا من ذكره))[٥] وهذا أيضًا يدخل في باب مراعاة الآداب في التعبير

---

(١) مدارك التنزيل ص ١٣٠٢

(٢) المصباح المنير ص ٥٦٩

(٣) المصباح المنير ص ٩

(٤) مدارك التنزيل ص١٢٨١

(٥) مدارك التنزيل ص١٢٨١

ويذكر المرْء ليذكّر بالمروءة التي خرقها كقوله تعالى في حديث الإفك :(لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ){النور : ١١} فلا ينبغي لصاحب المروءة أن يطعن أو يشكّ بعرض أطهر مخلوق ، وقوله تعالى :(يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِلِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ){عبس : ٣٤-٣٧} فليس من المروءة أن يتخلّى صاحب المروءة عن والديه في يوم الشدة وليس من المروءة أن لا يُعنَى إلّا بنفسه لكن فعل ذلك لهول ما يرى ، وذكر المرء في قوله تعالى : (فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ){البقرة : ١٠٢} للتذكير بأنّه ليس من المروءة أن يقبل كلّ من الزوجين أن يسعى ساع لإفساد العلاقة بينهما

وقد قال العسكري : ((إنّ اشتقاق الإنسان من النسيان ، وأصله إنسيان فلهذا يُصغَّر فيقال أُنَيْسيان ، والنسيان لا يكون إلّا بعد علم ، فسُمِّيَ الإنسان إنسانًا لأنّه ينسى ما علمه ، وسمُّيت البهيمة بهيمة ؛ لأنّها أبهمت عن العلم والفهم ولا تعلم ولا تفهم بخلاف الإنسان ، والإنسانيّة خلاف البهيميّة في الحقيقة ، وذلك أنّ الإنسان يصحّ أن يعلم إلّا أنّه ينسى ما علمه ، والبهيمة لا يصحّ أن تعلم))[1]لذلك يُذكَر الإنسان في مشاهد القيامة عندما يُعْرّض في حال تذكّره لأعماله أو إخباره بها كقوله تعالى : (يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ){النازعات : ٣٥}وقوله تعالى (يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ){الفجر : ٢٣}وقوله تعالى : (يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ){القيامة : ١-١٣} بينما استعمل المرء في قوله تعالى : (يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ){عمّ : ٤٠}فهو ينظر أعماله وليس يتذكّرها كما أنّ المراد ينظر ما عنده من أدب النفس

---

(١) الفروق اللغوية ص ٣٠٧

وكثيرًا ما يشكّ الإنسان في البعث ؛ لأنّه نسي كيف خُلِق قال تعالى : (أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ){ق : ١٥}فلأنّ الإنسان نسي هذه الحقيقة قال تعالى : (أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ){القيامة ٣-٤}

٨٠-**أنعم الله ونعمه** : تُقسَّم جموع التكسير في اللغة العربية على قسمين : جموع قلة وجموع كثرة ، أمَّا جموع القلة فتجيء على أربعة أوزان : على وزن فِعْلة ، مثل : فِتْية ، جمع فتى ، وعلى وزن أفعال ، مثل : أطفال ، جمع طفل ، وعلى وزن أفعلة ، مثل : أرغفة ، جمع رغيف ، وعلى وزن أفْعُل ، متل : أنْعُم ، جمع نعمة ، أمَّا جموع الكثرة فأوزانها كثيرة ، منها ما كان على وزن ، فِعَل ، مثل : نِعَم ، جمع نعمة ، ولأنَّ الإنسان كائنًا من كان ، نبيًّا كان أم غير نبيٍّ ، ليس بوسعه أن يشكر نِعَمَ الله كلّها ، بل إذا استطاع أن يشكر بعضها ، دلّ ذلك على عظم طاعته لله وتقواه ؛ لذلك استعمل القرآن (أنْعُم) الصيغة الدالّة على جمع القلة ، فقال تعالى في حقّ إبراهيم عليه السلام: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ {١٢٠} شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ){النحل : ١٢٠-١٢١}

إلّا أنَّ القرآن الكريم لمَّا أراد أن يُذكِّر عباده بعظم نعمه عليهم وكثرتها استعمل (نِعَم) الصيغة الدالة على جمع الكثرة ، فقال تعالى : (أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً){لقمان : ٢٠}

٨١-**الإنفاق والزكاة والصدقة** :الإنفاق من نفق و((النون والفاء والقاف أصلان صحيحان يدلّ أحدهما على انقطاع شيء وذهابه ، والآخر : على إخفاء شيء وإغماضه ومتى حصِّل الكلام تقاربا ، فالأول : نفقت الدابة نُفوقًا ماتت ، ونفق السِّعْر نَفاقًا ، وذلك أنّه يمضي فلا يكسد٠٠٠والنفقة لأنّها

تمضي لوجهها ، ونَفَقَ الشيء : فنيَ يقال : قد نَفِقَت نفقة القوم ، وأنفق الرجلُ : افتقر ، أي : ذهب ما عنده ومنه قوله تعالى : (إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ){الإسراء : ١٠٠}٠٠٠والأصل الآخر : النَّفَقُ : سَرَبٌ في الأرض له مِخْلَصٌ إلى مكان))[١] فسُمّيت النفقة بذلك ؛ لأنّها تمضي لوجهها

والزكاة من زكا و((الزاء والكاف والحرف المعتلّ أصل يدلّ على نماء وزيادة ، ويقال الطّهارة زكاة المال ، قال بعضهم سُمِّيتْ بذلك ؛ لأنّها ممّا يُرجى به زكاة المال ، وهو زيادته ونماؤه ، وقال بعضهم : سُمِّيتْ زكاة ؛ لأنّها طهارة ، قالوا : وحجة ذلك قوله جلّ ثناؤه (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا){التوبة : ١٠٣} والأصل في ذلك كلّه راجع إلى هذين المعنيين ، وهما النماء والطّهارة)) [٢]

والصدقة من صَدَقَ و((الصاد والدال والقاف أصل يدلّ على قوّة في الشيء٠٠٠من ذلك الصِّدْقُ خلاف الكذب ، سُمّيَ لقوّته في نفسه ، وأصل ذلك شيء صَدْقٌ أي : صُلْبٌ٠٠٠ومن الباب الصّدقة : ما يتصدّق به المرء عن نفسه وماله))[٣]

فالزكاة مال معلوم ومحدد فرض على الأغنياء يُصرَف على الأصناف الثمانية المعروفة والمذكورة في القرآن الكريم ، والصدقة ما تطوّع به المرء من ماله لمساعدة محتاجين يعرفهم أو يتعرّف إليهم ، أمّا الإنفاق فهو عامّ يُطلَق على الزكاة والصدقة وعلى ما تعدّاهما ويكون على قسمين : إنفاق ملزم به المرء عند المقدرة ويحاسبه الله عليه إذا قصّر فيه كالإنفاق على زوجته وأولاده ، أو الإنفاق على والديه ، أو الإنفاق على زوجته بعد

---

(١) مقاييس اللغة ص ٩٠٨

(٢) مقاييس اللغة ص ٣٨٦

(٣) مقاييس اللغة ص ٥٠٥

طلاقها حتى تنتهي عِدَّتُها ، كقوله تعالى : (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ){البقرة : ٢١٥}وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۖ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ){الممتحنة : ٩-١١} وقوله تعالى : (أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ){الطلاق : ٦} فهذا الإنفاق ونحوه ملزم به المسلم مع أنّه غير داخل في باب الزكاة والصدقة

وإنفاق غير ملزم به كالإنفاق بما ينفع الناس كالمشاركة في بناء المستشفيات والمدارس والإنفاق في الجهاد في سبيل الله كقوله تعالى : (وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ){البقرة : ١٩٥}

ويُطْلَق على الإنفاق فيما لا يرضي الله ، وعلى ما كان في معصيته وما كان في الصدّ عن دين الله بل ما كان رياء كقوله تعالى : (قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ){التوبة : ٥٣-٥٤}وقوله تعالى : (وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا){الكهف : ٤٢}وقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ){الأنفال : ٣٦} وقوله تعالى : (أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ){البقرة : ٢٦٤}

فالزكاة خاصّة والإنفاق عام يكون فيما أمر الله به وفيما نهى عنه ، أما الصدقة فهي عامّة فيما أمر به من دون ما نهى عنه ، فقد أطلِقت الصدقة على الزكاة كقوله تعالى : (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ){التوبة : ٦٠}وأُطلقت على الزكاة والتطوّع كقوله تعالى : (إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ){البقرة : ٢٧١}فقيل : إنّ المراد بإبداء الصدقة صدقة الزكاة ؛ لأنّها فرض ، والجهر بالفرائض أفضل لنفي التهمة ، والمتطوّع إذا أراد أن يُقتَدى به كان إظهار الصدقة أفضل [1]

جاء في كتاب اللباب : ((أمّا الزكاة المفروضة فالإظهار فيها أفضل ، حتى يقتدي النّاس به ، كالصلاة المكتوبة في الجماعة ، والنافلة في البيت أفضل٠٠٠واعلم أنّ الصدقة تُطْلَق على الفرض والنفل٠٠٠وقال صلّى الله عليه وسلّم : نفقة المرء على عياله صدقة ، والزكاة لا تُطْلَق إلّا على الفرض))[2]

([1]) ينظر : مدارك التنزيل للنسفي ص ١٣٩

([2]) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي ٤/٤٢٥ والحديث رواه البخاري ينظر : فتح الباري ٤٠٢/٧ رقم الحديث ٤٠٠٦

٨٢-الانفصام والقصم : الانفصام : ((الفاء والصاد والميم أصل صحيح يدلّ على انصداع شيء من غير بينونة ، منذلك الفصم ، وهو أن ينصدع الشيء من غير أن يبين))[١]

-**القصم** : ((القاف والصاد والميم أصل صحيح يدلّ على الكسر ،يقال : قصمتُ الشيء قصمًا ، والقصم يحطم ما لقي ، وقال الله تعالى : (وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ){الأنبياء : ١١} أراد الله ، والله أعلم ، إهلاكه إيّاهم ، فعبّرعنه بالكسر))[٢] ((أي : حطّمناها وهشّمناها وذلك عبارة عن الهلاك ويسمّى الهلاك قاصمة الظهر))[٣]

ورد القصم في موضع واحد هو الموضع المذكور ، وكذلك ورد الانفصام في موضع واحد ، قال الحلبي : ((قوله تعالى : (فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا){البقرة : ٢٥٦} أي لا انقطاع لها ، يقال : فصمتُ الشيءَ إذا كسرته أو قطعته من غير بينونة فيه بعضه من ببعض ، فإذا فصلته منه قيل له ، قصمَ بالقاف ؛ ولذلك كان نفي الانفصام في الآية أبلغ ؛ لأنّه إذا انتفى الفصم مع قلّته فلينتف القصم بطريق أولى))[٤]

والفصم مبدوء بالفاء ، والفاء صوت شفوي مهموس رخو مخرجه من بين الشفا العليا وأطراف الثنايا العليا ، والقصم مبدوء بالقاف والقاف صوت لهوي مجهور شديد ، ويتمّ النطق به برفع أقصى اللسان حتى يلتقي بأدنى

---

(١) مقاييس اللغة ص ٧٣٨

(٢) مقاييس اللغة ص ٧٧٦

(٣) المفردات ٤٢٢

(٤) عمدة الحفّاظ ٢٣٤/٣

الحلق واللهاة مع عدم السماح للهواء بالمرور من الأنف ، وبعد ضغط الهواء مدة من الزمن يندفع فيحدث صوتًا انفجاريًّا

والقصم أقوى من الفصم ، والقاف أقوى من الفاء فجعل الصوت الأقوى للمعنى الأقوى ، والصوت الأخف للمعنى الأخفّ

٨٣-**الله والإلــه** : ((الله ، قيل : أصله إله فحُذفتْ همزته وأُدخِل عليه الألف واللام فخُصّ بالباري تعالى ؛ ولتخصصه به قال تعالى : (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا){مريم : ٦٥} وإله جعلوه اسمًا لكلّ معبود لهم))[١]

فالله لا يُطلَق إلّا على الباري عزّ وجلّ ، أمّا الإله فيُطلَق عليه كقوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَـٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَـٰهٌ){الزخرف : ٨٤} ويُطلَق على المعبود بالباطل كقوله تعالى : (وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ){المؤمنون : ١١٧}

٨٤-**الإلهام والوحي : الإلهام** : ((اللام والهاء والميم أصل صحيح يدلّ على ابتلاع شيء ، ثمَّ يقاس عليه ، تقول العرب : التهم الشيء : التقمه ، ومن هذا الباب : الإلهام ، كأنّه شيء أُلْقِيَ في الرُّوع فالتهمه . قال الله تعالى : (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا){الشمس : ٧-٨} والتهم الفصيل ما في ضرع أُمِّه : استوفاه))[٢]و((الإلهام إلقاء الشيء في الرُّوع ويختصّ ذلك بما كان من جهة الله تعالى وجهة الملأ الأعلى قال تعالى : (فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا)}الشمس : ٨}))[٣] ((ولهمه كـ(سمعه) لهمًا بالفتح وتلهَّمه والتهمه ، وقلّما يقال : إلَّا التهمه ، أي : ابتلعه

(١) المفردات ص٢٥-٢٦

(٢) مقاييس اللغة ص ٨٢٢

(٣) المفردات ص ٤٧٤

بمرّة))[1]((وألهمه الله تعالى خيرًا ، لقَّنه إيَّاه ، والإلهام : ما يُلْقَى في الرُّوع بطريق القيض ، ويختصّ بما من جهة الله والملأ الأعلى ، ويقال : إيقاع شيء في القلب يطمئنّ له الصدر يخصُّ اللهُ به أصفياءه))[2]

-**الوحي** : ((الواو والحاء واالحرف المعتلّ : أصل يدلُّ على إلقاء علم في إخفاءأو غيره إلى غيرك ، فالوحي : الإشارة . والوحي : الكتاب والرسالة ، وكلّ ما ألقيته إلى غيرك حتّى علمه وحي كيف كان ، وأوحى الله تعالى ووحى٠٠٠وكلّ ما في باب الوحي فراجع إلى هذا الأصل)) [3]

و((أصل الوحي الإشارة السريعة ولتضمّن السرعة قيل أمرٌ وحيٌّ وذلك يكون بالكلام٠٠٠وقد يكون بصوت مُجَرَّد عن التركيب ، وبإشارة ببعض الجوارح ، وبالكتابة٠٠٠وبالوسواس٠٠٠ويقال بالكلمة الإلهية التي تُلقى إلى أنبيائه وأوليائه وحيٌ٠٠٠وذلك إمّا برسول مُشاهَد تُرى ذاتُه ويُسمَع كلامُه كتبليغ جبريل عليه السلام للنبيّ في صورة معيَّنة، وإمّا بسماع كلام من غير معاينة كسماع موسى عليه السلام كلام الله ، وإمّا بإلقاء في الرُّوع٠٠٠وإمّا بإلهام نحو : (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ){القصص : ٧} وإمّا بتسخير نحو قوله تعالى : (وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ){النحل : ٦٨} أو بمنام))[4]

فالفرق بين الإلهام والوحي أنّ الأصل في الوحي هو إلقاء علم إلى غيركفي إخفاء ويكون بوسائل متعددة ، ولهذا ورد الوحي في مواضع كثيرة ، أمّا الإلهام فهو ابتلاع الشيء جملة واحدة ، وهو ما ألقي في نفس الإنسان

---

(١) تاج العروس للزبيدي ٢٦١/٣٣

(٢) تاج العروس للزبيدي ٢٦٢/٣٣

(٣) مقاييس اللغة ص ٩٥٠

(٤) المفردات ص ٥٣٨-٥٣٩

من الخير والشر عند خلقه ، وأعلمها بالفطرة ما هو الشر ، وما هو الخير ، فهوَ إلهام يبتلعه المرء ويجرعه جملة واحدة ومرة واحدة، ولا يتكرر ويبقى أثره في الإنسان حتى وفاته ؛ ولهذا ورد في موضع واحد هو الموضع المذكور : (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا){الشمس : ٧-٨}

فيكون كلّ وحي بعد ذلك هو غير هذا الإلهام فالوحي مثلًا في قوله تعالى : (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ){القصص : ٧} هو إيقاع شيء في القلب يطمئنّ له الصدر يخصُّ اللهُ به أصفياءه وأولياءه

٨٥-**أوصى ووصّى** :تقدّم الكلام فيأنزل ونزّل أنّ أنزل ما كان إنزالًا دفعة واحدة ، ونزّل ما كان شيئًا فشيئًا بالتدريج ، وكذلك أوصى ووصّى ؛ لذلك استعملت أوصى بالإيصاء بالأمور الحسّيَّة المتعلّقة بإرث الميت ؛ لسهولة تأدية هذه الوصية ، ولأنها تُؤدّى دفعة واحدة ، كقوله تعالى : (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ){النساء : ١١}

أمّا وصّى فاستعملت فيما يتطلّب الاستمرار في تأديته ؛ لذلك استعملت فيما يتعلّق بتأدية التكاليف وشرع الله والبرّ بالوالدين كقوله تعالى : (شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ){الشورى : ١٣} وقوله تعالى : (وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا){الأحفاف : ١٥}

أمّا قوله تعالى : (وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا){مريم : ٣١}فقد قال أوصاني ولم يقل وصّاني لأنّه هو كلام عيسى عليه السلام في المهد وهو صبيّ لمّ يُكلّف بعد بالصلاة والزكاة

٨٦-**الإياب والرجوع والردّ والعَود والفيء والمصير :العود** : ((العود الرجوع إلى الشيء بعد الانصراف عنه إمّا انصرافًا بالذاتأوبالقول والعزيمة))[١]

-**الرجوع والرد** : يستعمل أهل اللغة والتفسير الرجوع والردّ بمعنى واحد لشدة ترادفهما ويمكن أن تجد الفرق بينهما من خلال التعريف ، فقد عُرِّفَالردّ بأنَّه ((أصل واحد مطرد منقاس وهو رجع الشيء ، تقول : رددتُ الشيء أرده ردًّا ، وسمِّي المرتدّ ؛ لأنَّه ردَّ نفسه إلى كفرها))[٢] وعُرِّفَالرجوع كما تقدم بأنَّه ((أصل كبير مطّرد يدلُّ على ردٍّ وتكرار))[٣] وهذا هو الفرق الأول بينهما أنَّ الرجوع يدل من دون الردّ على التكرار ، وهذا هو معناه في قوله تعالى : (فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ {٣} ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِأً وَهُوَ حَسِيرٌ){الملك : ٣-٤} لأنَّه أراد تكرار البصر بالرجوع إليه ، فمعنى قوله (فَارْجِعِ الْبَصَرَ) كرر البصر والنظر ، ومعنى قوله : (ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ) كرر النظر مرة بعد مرة [٤]

((ومن هذا الردّ إلى الله تعالى نحو قوله : (ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ){التوبة : ٩٤} وقوله تعالى : (ثُمَّ رُدُّواْ إِلَى اللّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ){الأنعام : ٦٢} فالردّ كالرجع في قوله تعالى : (ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ){البقرة : ٢٨}))[٥] ولذلك لم أجد أحدًا من أهل اللغة أو التفسير من تطرَّق إلى الفرق بين الرجع في قوله : (فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا

([١]) المفردات ص ٣٦٤

([٢]) مقاييس اللغة ص ٣٣٢ .

(٣) مقاييس اللغة ص ٣٧٢

([٤]) ينظر : جامع البيان ٦/٢٩ والوسيط ٣٢٦/٤ وزاد المسير ٨٧/٨

([٥]) المفردات ص ١٩٩وينظر : عمدة الحفاظ ٨٢/٢-٨٤

تَحْزَنَ){طه : ٤٠} والردّ في قوله تعالى : (فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ){القصص : ١٣}

وبما أنَّ القرآن الكريم قد استعمل هذين اللفظين فلا بدَّ من أن يكون أحدها غير الآخر ، ويجب علينا جميعًا أن نؤمن بهذه الحقيقة ، وإذا بدا لنا لفظان قرآنيان أنَّهما بمعنى واحد فهو لجهلنا بالفرق الدلالي الموجود حتمًا بينهما ، والجهل بالشيء لا يعني عدم وجوده ، وقد ظهر لي أنَّ الردّ أو الارتداد غير الرجوع ، ففي قولك مثلًا : خرج فلان من بيته صباحًا ورجع إليه مساءًا ، تقول رجع ولا تقول ارتدَّ ؛ لأنَّ المراد في المعتاد والأغلب رجوعه إلى بيته بخطوات مساوية وموازية لخطوات خروجه منه ، فإن كان رجوعه أخصر وأسرع فالأصح والأدق أن يقال : ارتدَّ لا رجع

ونقول : سمن فلان ورجع نحيلا ، إذا كان قد تدرَّج نحوله تدرَّج سمنه ، فإذا أصابه النحول فجأة ، وجب أن نقول : سمن فلان وارتدَّ نحيلًا ، نقول هذا وذاك إذا أردنا التعبير بدقة عمّا يدلُّ عليه كلٌّ منهما ، فرجوع الشيء إلى ما كان عليه بخطوات متتالية بنحو انصرافه عنه يُسمَّى رجوعًا ، أمَّا رجوعه إليه بخلاف ذلك وبخطوة واحدة فهر الارتداد ، وبهذا المعنى الذي يمثل الفرق العام بينهما استعملا في القرآن الكريم ، فإذا أراد المعنى الأول استعمل لفظ الرجوع ، وإذا أراد الثاني استعمل لفظ الردّ ، فقد قال (فَرَجَعْنَاكَ) في سورة طه لأنَّه أراد أن يكون تسلسل رجوعه إلى بيت أمَّه موازيًا لتسلسل وصوله إلى بيت فرعون ، وهذا ما يدلَّ عليه السياق فقد بدأ الوصول بالإيحاء إلى أمِّه ، ثم قذفه في التابوت ، ثمَّ قذفه في اليمِّ ، ثم رميه بالساحل ، ثم إلقاء محبة الناس عليه ، ثمَّ دخوله بيت فرعون ، قال تعالى : (قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى {٣٦} وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى {٣٧} إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى {٣٨} أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى

عَيْنِي {٣٩} إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى {٤٠} وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي){طه : ٣٦-٤١} وتأمَّل أنَّ هذه الآيات تضمنت أيضًا تسلسل منِّ الله ونعمه على موسى برجوعه إلى أمِّه ، ثم تنجيته من الغم بعد قتله الرجل المصري ، ثم لبثه سنين في أهل مدين ، ثم مجيئه على قدر الله ، ثمَّ اصطناعه الله لنفسه .

وقال في سورة القصص (فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ) لأنَّه أراد رجوعه إلى أمّه بخطوة واحدة ، بخلاف وصوله إلى فرعون بعدة خطوات متتالية ، قال الله تعالى : (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ {٧} فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ {٨} وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ {٩} وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ {١٠} وَقَالَتْ لاخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ {١١} وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ {١٢} فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ){القصص : ٧-١٣}

واستعمل لفظ الردّ من دون الرجوع لأنَّه أدلُّ على قدرة الله ، وهذه هي الدلالة المرادة في سياق هذه السورة ، وهذا ما تلحظه في قوله تعالى : (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ) وقوله تعالى : (وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) ولذلك قال (فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ) ليكون تحقيقًا لقوله تعالى : (إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ)

وليس الردّ في قوله تعالى : (ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ){التوبة : ٩٤} وقوله تعالى : (ثُمَّ رُدُّواْ إِلَى اللّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ)){الأنعام : ٦٢} هو بمعنى الرجوع في قوله تعالى (ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ){البقرة : ٢٨} كما ادعى الراغب[1] فقد استعمل الردّ في سورة التوبة والأنعام ؛ لأنَّه أراد الردّ إليه سبحانه بنقلة واحدة ، واستعمل الرجوع في سورة البقرة ؛ لأنَّه أراد الرجوع إليه بخطواته المتتالية ، وهذا ما يدلّ عليه السياق بكل وضوح ، فقد تقدمته مراحل النشأة والمصير مُرَتّبة مرحلة بعد مرحلة ، قال الله تعالى : (كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ){البقرة : ٢٨}

–**الرجوع والعَود** :كذلك يستعمل أهل اللغة والتفسير الرجوع والعود بمعنى واحد ،والحقيقة أنَّهما ليسا معنيين متطابقين ، ولكن يبدوان كذلك لشدة تقاربهما ، وقد ذكرت من قبل غير مرة أنَّ اللفظ القرآني لا يطابق معناه إلّا اللفظ نفسه ، وبما أنَّ القرآن الكريم قد استعمل هذين اللفظين كلًّا منهما في مواضع كثيرة ، فلا بدَّ من أن يكون بينهما فرق في الدلالة ، وأنَّه قد استعمل كلًّا منهما لدلالته ، ويمكن التعرف أيضًا إلى هذا الفرق من خلال التعريف ، فقد عُرِّف الرجوع كما تقدم بأنَّه يعني الرجوع إلى ما كان منه البدء ((ورجع عوده على بدئه ، أي : رجع في الطريق الذي جاء منه))[2] أمَّا العود فيعني القيام بالعمل مرة ثانيه فـ((قول القائل : أعاد فلان كذا ، لا يفيد إلّا إعادته مرة واحدة))[3]((العود : تثنية الأمر عودًا بعد بدء ، بدأ ثم عاد ، والعودة مرة

---

(1) ينظر : المفردات ص ١٩٩وعمدة الحفاظ ٢/٨٢-٨٤

(2) الكليات للكفوي ص ٤٠٠

(3) ينظر : الفروق اللغوية للعسكري ص ٥١

واحدة ... وتقول : عاد فلان علينا معروفُه : إذا أحسن ثم زاد))[1]((العين والواو والدال أصلان صحيحان ، يدلُّ أحدهما على تثنية في الأمر ... وقولهم : عاد فلان بمعروفه ، وذلك إذا أحسن ثم زاد ... ويقولون : أعاد الصلاةَ والحديثَ))[2] فالعود غير الرجوع ، فقولك : رجع فلان إلى بيته ، يعني أنَّه سلك في رجوعه إليه طريق ذهابه ، حتى وصل إلى ما بدأ الذهاب منه ، ولا يكون هذا المعنى هو المراد ، إذا قلنا : عاد فلان إلى بيته ، بل المراد أنَّه كان من قبل في بيته ، ثم صار فيه مرة ثانية ، ولأنَّهما اختلفا في المعنى اختلفا في الاستعمال ، من ذلك ورود الرجوع متعديًا إلى معموله بـ(إلى) من دون اللام ، و(في) كقوله تعالى : (لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ){المنافقون : ٨} وقوله تعالى : (وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ){الأعراف : ١٥٠} وقوله تعالى : (فَإِن رَّجَعَكَ اللّهُ إِلَى طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ){التوبة : ٨٣} وقوله تعالى : (يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ){التوبة : ٩٤} وقوله تعالى : (حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى){طه : ٩١} وقوله تعالى : (فَلَمَّا رَجِعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُواْ يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ){يوسف : ٦٣} وقوله تعالى : (يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ){سبأ : ٣١} وقوله تعالى : (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ {٢٧} ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً){الفجر : ٢٧-٢٨} وورد قوله تعالى : (وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الامُورُ){البقرة : ٢١٠}{آل عمران : ١٠٩}{الأنفال : ٤٤}{الحج : ٧٦}{فاطر : ٤}{الحديد : ٥} وتكرر كثيرًا لفظ الرجوع إلى الله ، كقوله تعالى : (وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ){البقرة : ٢٨١} وقوله تعالى : (إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى){العلق : ٨} وكذلك تكرر لفظ المرجع إلى الله سبحانه ، كقوله تعالى : (إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا){المائدة :

---

(1) العين ص ٦٩٣

(2) مقاييس اللغة ص ٦٢٢

٤٨} وقوله تعالى : (ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ){الأنعام : ١٠٨} وورود العود متعديًا إلى معموله باللام و(في) من دون (إلى) كقوله تعالى : (لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ {٨٨} قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللّهُ مِنْهَا){الأعراف : ٨٨–٨٩} والمعنى : أن تعودوا في ملتنا كما كنتم ، وقوله تعالى : (أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى){الإسراء : ٦٩} أي : يعيدكم في البحر كما كنتم فيه قبل ذلك ، وقوله تعالى : (مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى){طه : ٥٥} : والمعنى : نعيدكم في الأرض ترابًا ، كما كنتم فيها ترابًا ، وقوله تعالى : (كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ){الحج : ٢٢} أي : أعيدوا في قعر النار ، كما كانوا ، وقوله تعالى : (وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ){الأنعام : ٢٨} من الإشراك بالله ، وقوله تعالى : (يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ){النور : ١٧} وقوله تعالى : (وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا){المجادلة : ٣} وقوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ){المجادلة : ٨} فالعود يعني تثنية العمل ، أو القول ، أو الحالة ، أو المقام في مكان ، كما قال تعالى : (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ){الأعراف : ٢٩} جاء في التفسير أنَّ ((في قوله تعالى : (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) ثلاثة أقوال :

أحدها : كما بدأكم سعداء وأشقياء ، كذلك تُبعثون .

والثاني : كما خُلِقتم بقدرته ، كذلك يعيدكم .

والثالث : كما بدأكم لا تملكون شيئًا ، كذلك تعودون))[١] وهذا الاختلاف بينهما في الاستعمال متاتٍّ كما تقدم من أنَّ الرجوع يعني الرجوع إلى ما كان منه البدء ، أي : الرجوع إلى الشيء بعد التخلي عنه وتركه ،

---

(١) زاد المسير ٣/١٤٢

أمَّا العود فيعني تثنية الشيء ، أو تثنية حالته ، فقوله تعالى (ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ){البقرة : ٢٨} يعني : أنَّنا كنا عند الله قبل أن يخلقنا ، ثم انتقلنا إلى الدنيا ، ثم رجعنا إليه بعد موتنا وبعثنا ، ولو قيل : ثُمَّ إِلَيْهِ تعودون ، لأفاد أنَّنا عدنا للحالة التي كنَّا عليها ، أي : كنا بالأمس عند الله ، ثم صرنا اليوم عنده ، فقولك : رجع فلان إلى بيته ، معناه سلك في طريق رجوعه إليه طريق ذهابه منه ، ولو قلت : عاد إليه ، لكان المراد : عاد إلى بيته كما خرج منه ، وهذا الفرق الذي بينهما في الأعيان هو نفسه عند استعمالهما في المعاني ، كقولك : رجع فلان إلى صدقه ، وعاد فلان إلى صدقه ، فالأول يفيد أنَّه سلك في رجوعه إلى صدقه طريق انصرافه عنه ، وهذا يدلُّ أيضًا على انصرافه عنه قبل رجوعه إليه ، والثاني يفيد تثنية صدقه ، من دون أن يدلّ على أنَّه قد انصرف عنه قبل ذلك ، فالرجوع إلى الشيء يعني الرجوع إلى مبتدأه ، وإعادته لا يعني الرجوع إليه بل إعادة حالته

فالرجوع يعني الرجوع إلى الشيء بعد تركه أو بعد الذهاب عنه ، فيكون بين الشيء والرجوع إليه فاصل ؛ لذلك جاء تعديه إليه بـ(إلى) لا باللام ؛ لأنَّه أطول بناءً ، وليس كذلك العود فليس بينهما فاصل لذلك جاء تعديه إليه باللام لا بـ(إلى) لأنَّه أقصر بناء ، فـ(إلى) مركب من ثلاثة أحرف واللام من حرف واحد ، فالرجوع غير العود

و((قال الزجاج : يقال : قد عاد إليَّ من فلان مكروه ، وإن لم يكن قد سبقه مكروه قبل ذلك ، وتأويله أنّه لحقني مكروه ، ومنه قوله تعالى : (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا){الأعراف : ٨٨} والمعنى : أو لتدخلنّ في ديننا فإنّه عليه السلام لم يكن على دينهم قطّ))[1]

---

(1) فروق اللغات ص ١٣٩

وهذا متأتٍّ من أنّ عاد ((هي من أخوات كان قد تستعمل بمعنى صار ، فلا تستدعي الرجوع إلى حالة سابقة بل عكس ذلك ، وهو الانتقال من حالة سابقة إلى حالة مستأنفة ، والعرب تقول : عاد فلان شيخًا ، وهو لم يكن شيخًا قطّ ، وعاد الماء آجنًا ، وهو لم يكن آجنا فيعود ، ومنه قوله تعالى: (يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ){البقرة : ٢٥٧} وهم لم يكونوا في نور قطّ ، وقد يراد بالعود مطلق الصيرورة كما في قوله تعالى : (قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم){الأعراف : ٨٩} لأنّ شعيبًا لم يكن في ملتهم قطّ حتّى عاد بعد انتقال منها))[١]

-**الرجوع والمصير والإياب** :تقدّم تعريف الرجوع والعود والردّ أمّا الإياب فقد تقدّم تعريفه عند ذكر الفرق بينه وبين التوبة والإنابة وملخَّص ما ذكرته: ((آبت الشمس إيابًا : إذا غابت في مآبها ، أي : مغيبها))[٢] و((المَؤوبة الشمسُ ، وتأويبها المشرق والمغرب ، تدأب يومها وتؤوب المغرب))[٣]((وكلّ شيء رجع إلى مكانه فقد آب ٠٠٠وفي الحديث : شغلونا عن صلاة الوسطى حتى آبت الشمس٠٠٠لأنّها ترجع بالغروب إلى الموضع الذي طلعت منه))[٤]

استعمل الرجوع في القرآن الكريم في مواضع كثيرة ، وجاء استعماله في مواضع الدنيا وحالاتها ، وجاء استعماله في رجوع الأمور إلى الله كقوله تعالى : (وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ){البقرة : ٢١٠}وفي رجوع النّاس إليه كقوله تعالى : (ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ){البقرة : ٢٨}

---

(١) الكليات للكفوي ص ٥٥٤

(٢) العين ص ٤٦

(٣) مقاييس اللغة ص ٥٩

(٤) تاج العروس ٢/٢١-٢٣

واستعمل المصير في ثمانية وعشرين موضعًا ، بمعنى رجوع الناس إلى الله كقوله تعالى : (وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ){البقرة : ٢٨٥}واستعمل في رجوع الكافرين إلى الآخرة في جهنّم ، ورجوع المؤمنين إلى الآخرة في الجنّة ولم يستعمل الفعل منه إلّا في موضع واحد وهو قوله تعالى : (أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ){الشورى : ٥٣}

وورد الأوب في القرآن الكريم في سبعة عشر موضعًا ، جاء بمعنى تسبيح الطير والجبال بصيغة (أوِّبي) في موضع واحد ، وجاء بمعنى الرجوع إلى طاعة الله في الدنيا بصيغة (الأوّابين) في ستة مواضع ، وبمعنى الرجوع إلى الآخرة في جهنّم أو الجنّة بصيغة (مآب) في تسعة مواضع ، وجاء بمعنى الرجوع إلى الله في الآخرة بصيغة (إياب) في موضع واحد وهو قوله تعالى: (إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم){الغاشية : ٢٥-٢٦}

فالفرق بين الإياب وبين الرجوع والمصير في القرآن الكريم أنّ كلا الرجوع والمصير يستعمل في الأعيان والمعاني ، والإياب لم يستعمل إلّا في الأعيان وفي النّاس خاصّة ، وقد استعملت ثلاثتهم في رجوع النّاس إلى الله سبحانه ، والفرق بين مصير الناس إلى الله ورجوعهم إليه أنّه قد قُصِد من رجوع الناس إليه رجوعهم إلى الآخرة من حيث مجيئهم منها ، بمعنى أنّهم وردوا المكان الذي صدروا منه ،أي : أنَّها صدرت منه سبحانه ، ثم وردتْ إليه، وقصد من المصير في قوله تعالى : (غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)وقوله تعالى : (لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأمُورُ){الشورى : ٥٣} أنّ كل الناس وكلّ أمورهم منتهاها إليه سواء كان ابتداؤها منه أم لا .

وكذلك الإياب فهو كالرجوع والمصير لكنّه يعنى ((الرجوع إلى منتهى القصد ، والرجوع يكون لذلك ولغيره ، ألا ترى أنّه يقال : رجع إلى بعض الطريق ، ولا يقال : آب إلى بعض الطريق ، ولكن يقال : إن حصل

في المنزل ؛ ولهذا قال أهل اللغة : التأويب ، أن يمضي الرجل في حاجته ثمّ يعود فيثبت في منزله ، وقال أبو حاتم السجستاني رحمه الله : التأويب أن يسير النهار أجمع ليكون عند الليل في منزله۰۰۰وهذا يدلُّ على أنّ الإياب الرجوع إلى منتهى القصد ، ولهذا قال تعالى : (إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم){الغاشية :٢٥-٢٦}كأنّ القيامة منتهى قصدهم ؛ لأنّها لا منزلة بعدها))[١]

-**الرجوع والفيء** : فرّق العسكري ((بين الرجوع والفيء أنّ الفيء هو الرجوع من قرب ، ومنه قوله تعالى : (لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ){البقرة : ٢٢٦} ومنه سُمِّيَ مال المشركين فيئًا لذلك ، كأنّه فاء من جانب إلى جانب))[٢] والفيء : ((هو ما فاء من جانب إلى جانب))[٣] ومنه قوله تعالى : (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ){النحل : ٤٨}((والمعنى : أو لم يروا إلى ما خلق الله من الأجرام التي لها ظلال متفيئة عن أيمانها وشمائلها ، أي : ترجع الظلال من جانب إلى جانب منقادة للهتعالى غير ممتنعة عليه فيما سخّرها له من التفيؤ))[٤]

---

(١) الفروق اللغوية ص ٣٣٩

(٢) الفروق اللغوية ص ٣٣٨

(٣) الفروق اللغوية ص ٣٤٤

(٤) مدارك التنزيل ص ٥٩٧

–**رجع وانقلب** : قال الله تعالى : (ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ){الملك : ٤}أجمع أهل التفسير على تفسير (يَنقَلِبْ) بمعنى يرجع[١]

والحقيقة أنّ ثمّة فرقًا واضحًا بينهما وهو أن رجوع الشيء يعني رجوعه إلى ما كان عليه ، والانقلاب هنا يعني انقلابه إلى ضدّ ما كان عليه ، كأن ينقلب ظهر الشيء إلى بطنه ، أو إعلى الشيء إلى أسفله ، فإذا انقلب مرّة ثانية فإنّه حينئذ سيرجع إلى ما كان عليه ؛ لأنّه سينقلب بطن الشيء إلى ظهره ، وأسفل الشيء إلى أعلاه ، أي : أنّ كلّ رجوع يساوي انقلابين متتالين .

وقد وجدتُ فيما بعد أنّ العسكري فرّق ((بين الرجوع والانقلاب أنّ الرجوع هو المصير إلى الموضع الذي قد كان فيه قبل ، والانقلاب المصير إلى نقيض ما كان فيه قبل)) [٢]

٨٧–**الإيتاء والعطاء** : قال ابن فارس في تعريف الإيتاء : ((تقول :أتاني فلان إتيانًا وأَتْيًا وأَتْيَة وأَتْوة ولا يقال : إتيانة واحدة إلّا في اضطرار شاعر وهو قبيح٠٠٠والإيتاء : الإعطاء ، تقول : آتى يُؤْتي ، وتقول : هاتِ بمعنى آتِ ، أي : فاعل فدخلت الهاء على الألف))[٣]

وقال في تعريف العطاء : ((العين والطاء والحرف المعتلّ أصل واحد صحيح يدلّ على أخذ ومناولة٠٠٠فالعطو : التناول باليد٠٠٠ويقولون :

([١]) ينظر : الكشاف للزمخشري ٥٦٤/٤ والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ٤٢٠/٨ ومدارك التنزيل للنسفي ١٢٦٢

([٢]) الفروق اللغوية ص ٣٣٩

([٣]) مقاييس اللغة ص ٢٣–٢٤وينظر : العين للخليل ص ١٧

إنّ التعاطي تناول ما ليس له بحق ، يقال : فلان يتعاطى ظلمَ فلان ، وفي كتاب الله : (فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ){القمر: ٢٩}))[١]

((وآتى إليه الشيءَ : ساقه٠٠٠والإيتاء : الإعطاء ، آتى يُؤْتي إيتاءً ، أي : أعطاه ، وآتاه الشيءَ : أعطاه٠٠٠وآتاه : جازاه٠٠٠وقد قُرئ (وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ){الأنبياء : ٤٧}أتينا بها وآتينا بها ، فأتينا : جئنا ، وآتينا أعطينا فهو أفعلنا وإن كان جازينا فهو فاعلنا : آتاه وأتى به ومنه قوله تعالى : (فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا){الكهف: ٦٢} أي ائتنا به)))[٢]

وقال الكفوي : ((الإيتاء : كلّ موضع ذُكِر في وصف الكتاب (آتينا) فهو أبلغ من كلّ موضع ذُكِر فيه (أوتوا) لأنّ (أُوتوا) قد يقال إذا أوتيَ من لم يكن له قبول و(آتينا) يقال فيمن كان منه قبول ، والإيتاء أقوى من الإعطاء ، إذ لا مطاوع له يقال : آتاني فأخذته ، وفي الإعطاء يقال : أعطاني فعطوتُ ، وما له مطاوع أضعف في إثبات مفعوله مما له مطاوع ؛ ولأنّ الإيتاء في أكثر مواضع القرآن فيما له ثبات وقرار كالحكمة والسبع المثاني والملك الذي لا يُؤتى إلّا لذي قوَّة ، والإعطاء فيما ينتقل منه قضاء الحاجة منه كإعطاء كلّ شيء خلقه لتكرر حدوثه ذلك باعتبار الموجودات ، وإعطاء الكوثر للانتقال منه إلى ما هو أعظم منه ، وكذا قوله تعالى : (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ){الضحى : ٥}للتكرر إلى أن يرضى كلّ الرضا))[٣]

وجاء في فروق اللغات : ((قال الفاضل النيسابوري : في الإعطاء دليل التملّك دون الإيتاء . انتهى ، قلتُ : ويؤيده : قوله تعالى : (إِنَّا

---

(١) مقاييس اللغة ص ٦٨٥ وينظر : العين ص ٦٥٣

(٢) لسان العرب ١/٥٠-٥١ وينظر : الصحاح للجوهري ص ٢٦-٢٧

(٣) الكلّيّات ص ١٧٥

أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) فإنّه كان له منع من شاء منه كالمالك ، وأمّا القرآن فحيث أنّ أمّته مشاركون له في فوائده ، ولم يكن له منعهم منه قال : (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ)))[1]

ممّا مرّ ذكره يمكن إيضاح الفرق بين الإيتاء والإعطاء في الأمور الآتية :

١-لأنّ الإيتاء أقوى من الإعطاء استعمل الإيتاء من دون الإعطاء للأشياء العظيمة : في القرآن العظيم ، وفي الملك ، وفي الحكمة ؛ لأنّ كلًّا من هذه الأمور شيء عظيم لا يُعطاه إلّا من له قوّة كما جاء هذا في قوله تعالى : (وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ){البقرة : ٢٥١}وقوله تعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ){الحجر : ٨٧}وقوله تعالى :(أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ){البقرة : ٢٥٨} وقال تعالى : (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ){آل عمران : ٢٦}وقوله تعالى : (فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا){النساء : ٥٤}وقوله تعالى : (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ){لقمان : ١٢}وقوله تعالى : (وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ){ص : ٢٠}وقوله تعالى : (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا){البقرة : ٢٦٩}

٢-الإيتاء فيه معنى الوجوب والإلزام ، أمّا الإعطاء ففيه معنى التفضّل والإكرام ، لذلك استعمل الإعطاء من دون الإيتاء ،في قوله تعالى :

([1]) الفروق اللغويّة لنعمة الله الجزائري ص ٦٢ وعلّق المحقق في الهامش فقال : ((هذا استخدام لـ(حيث) فيه معنى التعليل وهو مولّد غير فصيح)) وشيء آخر لم يعلّق عليه المحقق وهو استعمال (أنّ) بفتح الهمزة بعد حيث والصحيح كسرها لأنّ (حيث) تضاف إلى الجملة ولا تضاف إلى المفرد ، والجملة بفتح الهمزة تكون مصدرًا مؤوّلًا والمصدر المؤوّل في حكم المفرد ، ولا أدري إن كان هذا التصحيف من المصنّف أم من المحقّق ؟!

(وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ){النجم : ٣٤}وأكدى : وقطع هذا العطاء ، ونزلت هذه الآية في الوليد بن المغيرة اتّبع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فعيّره أحد المشركين وحثّه لتركه والرجوع إلى الشرك فقبل بأن يعطيه شيئًا من ماله فلمّا رجع إلى شركه قطع عنه المال وبخل به ولم يتمّه[١]فقال (أعطى) لأنّه كان يعطيه على سبيل المنّ عليه ، وبعد أن أسعد الله المؤمنين بدخول الجنّة قال تعالى : (وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۖ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ){هود : ١٠٨}وإعطاء نهر الكوثر للنبيّ صلى الله عليه وسلّم فيه زيادة تفضّل من الله أن خصّ نبيّه محمّدًا بنهر الكوثر ليسقي منه أُمّته يوم القيامة : ولذلك استعمل الإعطاء في قوله تعالى : (كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا){الإسراء : ٢٠}لأنّ في هذا الإعطاء مَنًّا به على كلِّ عباده مؤمنين كانوا أم غير مؤمنين ،

لذلك استعمل الإيتاء من دون الإعطاء في الزكاة لأنّها واجب تُعطى لمستحقيها من دون منٍّ كقوله تعالى : (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ){البقرة : ٤٣}وقوله تعالى : (وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ){البقرة : ١٧٧}وقوله تعالى : (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ){المائدة : ٥٥}

٣-تقدّم أنّ أهل اللغة عرّفوا الإعطاء بأنّه ما دلّ على أخذ ومناولة باليد ؛ لذلك فإنّه يكون في القضايا المادّية والتمليك والقضايا الخاصّة ؛ لذلك قال تعالى : (حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ){التوبة : ٢٩}لأنّه أريد معنى الإعطاء بعينه هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنّ الجزية يدفعها الذمّي مقابل شيء يأخذه وهو أمنه وحرّيته والدفاع عنه وعدم إلزامه بالقتال

---

(١) ينظر : مدارك التنزيل للنسفي ص ١١٨٢ واللباب في علوم الكتاب ١٨/٢٠٠-٢٠١

للدفاع عن أمن الدولة ، كما أنّها تكون عوضًا عن الزكاة التي يدفعها المسلم فهو إذن يأخذ أكثر مما يعطي ، أي : أنّ هناك عطاء وأخذًا

وممّا لحظته أنّ في الزكاة جانبين : الأول : أنّها واجب تُعطى لمستحقيها من دون منٍّ ، والثاني : أنّ فيها معنى التفضّل والإكرام ومعنى الأخذ والعطاء والدليل على ذلك قوله تعالى : (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا){التوبة : ١٠٣}فإذا روعي الجانب الأوّل عبّر عنها بلفظ الزكاة واستعمل الإيتاء كما تقدّم ، وإذا روعيَ فيها الجانب الثاني عبّر عنها بلفظ الصدقة واستعمل الإعطاء كقوله تعالى : (وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ){التوبة : ٥٨}وكذلك استعمل في المال الذي يدفعه صاحبه بمنٍّ وتفضّل كما تقدّم في قوله تعالى : (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ){النجم : ٣٣-٣٤}وقال تعالى (وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ){البقرة : ١٧٧}استعمل الإيتاء ؛ لأنّه أريد مساعدة المعسرين والمحتاجين من أقاربه لهذا المال ، وأن يدفعها إليهم عن طيب نفس ويلزم نفسه بهذا المساعدة كما ألزم نفسه بالزكاة لحاجة ذوي رحمه إليها ، أمّا قوله تعالى : (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ){الليل : ٥} فهي في سياق آخر ، فقد نزلت هذه الآية في أبي بكر رضي الله عنه ومن كان على شاكلته إلى قيام الساعة كما قال المفسرون[1]فقد كان كثير التصدّق بأمواله ولم يقتصر على إنفاقها في الزكاة ، أو في المحتاجين من أقاربه ، بل كانت عامّة لخدمة دين الله وأهله ، ولم يكن مُلزَمًا بأن ينفق كلّ أمواله ، فقد أخرج أبو داود والترمذي عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال أمرنا رسول الله (ﷺ) أن نتصدق فوافق ذلك

([1]) ينظر : اللباب في علوم الكتاب ٣٧١/٢٠-٣٧٢

مـالًا عنـدي، قلـت: اليـوم أسـبق أبـا بكـر (فـي العطـاء) فجئـت بنصـف مـالي، فقـال (لـي) رسـول الله ، مـا أبقيـت لأهلك (يـا ابـن الخطـاب) قلـتُ: مثلـه، وأتـى أبـو بكـر (ﷺ) بكل مـا عنده (من مـال) فقـال: يـا أبـا بكـر: مـا أبقيـتَ لأهلك؟ قال: أبقيتُ لهم الله ورسوله، فقلتُ: لا أسبقه في شيء، أبدًا" قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

٤-الإعطاء يكون في الأشياء المادّية كما تقدّم من تعريفه ، والإيتاء يكون في الأشياء المادّيّة والمعنوية كقوله تعالى : (وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَـٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ){البقرة : ٢٠١-٢٠٢}فاستعمل الإيتاء من دون الإعطاء ؛ لأنّ الحسنة اسم جنس يُراد بها الحسنات المادية كالرزق والمال ، والأولاد ، والمسكن ، والحرث ، والأنعام ، ويُراد بها الحسنات المعنوية ، كالصحّة والعافية والأمن والأمان والإيمان ورضا الله

٥-الإيتاء يكون في الأشياء العامّة والإعطاء يكون في الأشياء الخاصّة كما تقدّم من تعريفه كقوله : (قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ){طه : ٥٠} فقد أعطى كلّ مخلوق خلقه قضايا خاصّة به تلائم معيشته لم يعطها لمخلوق آخر

جاء في البرهان : ((قال الجُوَيني : لا يكاد اللغويون يفرّقون بين الإعطاء والإيتاء ، وظهر لي بينهما فرق انبنى عليه بلاغة في كتاب الله ، وهو أنّ الإيتاء أقوى من الإعطاء ؛ لأنّ الإعطاء له مطاوع ، يقال : أعطاني فعطوتُ ، ولا يقال : آتاني فآتيت ، وإنّما يقال : آتاني فأخذت ، والفعل الذي له مطاوع أضعف في إثبات مفعوله من الذي لا مطاوع له٠٠٠قال : وتفكّرتُ في مواضع من القرآن ، فوجدتّ ذلك مراعى ، قال الله تعالى : (تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ){آل عمران : ٢٦}لأنّ الملك شيء عظيم لا يُعطيه إلّا من له قوّة٠٠٠وقال تعالى : (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ){البقرة :

٢٦٩} لأنّ الحكمة إذا ثبتت في المحل دامت وقال : (وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ){الحجر : ٨٧} لعظم القرآن وشأنه

وقال : (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ){الكوثر : ١} لأنّ النبيّ وأمّته يردون على الحوض، ورود النازل على الماء ، ويرتحلون إلى منازل العزّ والأنهار الجارية في الجنان ، والحوض للنبيّ صلى الله عليه وسلّم عند عطش الأكباد قبل الوصول إلى المقام الكريم فقال : (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) لأنّه يترك ذلك عن قرب ، وينتقل إلى ما هو أعظم منه .

وقال تعالى : (أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ){طه : ٥٠} لأنّ من الأشياء ما له وجود في زمان واحد بلفظ الإعطاء ، وقال : (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ){الضحى : ٥} لأنّه تعالى بعد ما يرضي النبيّ يزيده وينتقل به من كلّ الرضاإلى أعظم ما كان يرجو ، لا بل حال أمّته كذلك (يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ)

وقال تعالى : (حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ){التوبة : ٢٩} لأنّها موقوفة على قبول منّا ، وهم لا يؤتون إيتاء عن طيب قلب ، وإنّما هو عن كُرْه ، إشارة إلى أنّ المؤمن ينبغي أن يكون إعطاؤه للزكاة بقوّة ، لا يكون كإعطاء الجزية ، فانظر إلى هذه اللطيفة الموقفة على سرٍّ من أسرار الكتاب))[١]

٨٨-**الإيلاء والحلف والقسم واليمين : الإيلاء** : ((ألوت في الأمر قصّرتُ فيه٠٠٠وما ألوته جُهدًا أي ما أوليته تقصيرًا بحسب الجهد فقولك جهدًا تمييز وكذلك ما ألوته نصحًا وقوله تعالى : (لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا){آل عمران : ١١٨} منه ، أي : لا يقصرون في جلب الخبال (والخبال الفساد)

([١]) البرهان في علوم القرآن للزركشي ص ٧٥٤-٧٥٥ والإتقان في علوم القرآن ص ٣٠٢-٣٠٣

وقال تعالى : (وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ){النور : ٢٢} قيل : هو يفتعل من ألوت (بمعنى قصّرتُ) وقيل : هو من آليتُ (بمعنى) حلفتُ وقيل نزل في أبي بكر رضي الله عنه وكان قد حلف على مِسطَح أن يزوي عنه فضله٠٠٠وحقيقة الإيلاء والأَلِيّة الحَلِف المقتضي لتقصير قي الأمر الذي يحلف عليه ، وجُعِل الإيلاء في الشرع للحَلِف المانع من جماع المرأة وكيفيته وأحكامه مختصّة بكتب الفقه)) [١]

((وفي الحديث : من يتألَّ على الله يكذبْه أي : من حلف أنّ الله يدخل فلانًا الجنّة أو النار وشبه ذلك يكذِّبْه)) [٢]

((وما ألوت ذلك أي : ما استطعته٠٠٠والعرب تقول : أتاني فلان في حاجة فما ألوت ردّه أي : ما استطعتُ ، وأتاني في حاجة فألوت فيها أي : اجنهدت٠٠٠ويقال أيضًا : ما ألوته أي : لم أستطعه ولم أطقه وقال ابن الأعرابي في قوله عزّ وجلّ (لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا){آل عمران : ١١٨} أي : لا يقصرون في فسادكم٠٠٠قال ابو الهيثم : الألوُ من الأضداد يقال : ألا يألو إذا فتر وضعف وكذلك ألّى وأتلى ، قال : وألّى وتألّى إذا جتهد٠٠٠وقد تألّيت وأتليتُ وآليتُ على الشيء وآليته على حذف الحرف : أقسمتُ وفي الحديث : من يتألّ على الله يكذَبْه أي : من حكم عليه وحلف كقولك : والله ليدخلنّ الله فلانًا النار٠٠٠وفي حديث أنس بن مالك أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلّم آلى من نسائه شهرًا أي : حلف لا يدخل عليهنّ٠٠٠وفي حديث علي عليه السلام : ليس في الإصلاح إيلاء ، أي : أنّ الإيلاء إنّما يكون في الضرار والغضب لا في النفع والرضا)) [٣]

([١]) المفردات للراغب ص ٢٦

([٢]) عمدة الحفّاظ ١/١٠٩-١١٠

([٣]) لسان العرب ١/١٤١-١٤٢

((وآلى يُؤلي إلاء ، وأْتلى يأْتلي إئتلاء ، وتألّى يتألّى تَألِّيًا : أقسم وحلف يقال : آليتُ على الشيء وأليته٠٠٠وقال الفرّاء : الإئتلاء الحَلِف وبه فُسِّر قوله تعالى : (وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ){النور : ٢٢} أي : لا يحلف)) [١]

وقال تعالى : (لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ){البقرة : ٢٢٦} و(يُؤْلُونَ) من الإيلاء وهو الحَلِف[٢] قال ابن عبّاس : هو أن يحلف بالله أن لا يطأ زوجته[٣]

-**الحلف** : ((الحاء واللام والفاء أصل واحد ، وهو الملازمة ، يقال : حالف فلان فلانًا : إذا لازمه ، ومن الباب الحَلِف ، يقال : حلَف يحلِفحَلِفًا ، وذلك أنّ الإنسان يلزمه الثبات عليها))[٤] فـ((الحلف : العهد بين القوم ، والمحالفة المعاهدة))[٥] قال الله تعالى : (وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ){التوبة : ٤٢}وقال تعالى : (وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ){التوبة : ٥٦}وقال تعالى : (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ){التوبة : ٦٢} فاستعمل الحَلِف لأنّهم أرادوا معنى المعاهدة

-**القسم** :((القاف والسين والميم أصلان صحيحان ، يدلُّ أحدهما على جمال وحسن ، والآخر على تجزئة شيء ، فالأول : القَسام ، وهو الحسن والجمال ، وفلان مقسَّم الوجه ، أي : ذو جمال٠٠٠والأصل الآخر :

---

(١) تاج العروس ٣٧/٤٥-٤٦ وينظر : معاني القرآن ٢/١٥٠

(٢) ينظر : الدر المصون ٢/٤٣٤

(٣) ينظر : الوسيط للواحدي ١/٣٣١ وفتح الفدير ١/٢٩١

(٤) مقاييس اللغة ص ٢٢٣

(٥) اللمفردات ص ١٣٤ وينظر : عمدة الحفّاظ ١/٤٤٢

القَسْم (بفتح القاف وسكون السين) مصدر قسمتُ الشيء قسْمًا ، والنصيب قِسْمٌ بكسر القاف ، فأمَّا اليمين فالقَسَم (بفتح القاف والسين) وأصل ذلك من القسامة ، وهي الأيمان تُقسَم على أولياء المقتول إذا ادعوا دم مقتولهم على ناس اتهموهم به))[1]و((القَسْمُ : مصدر قَسَمَ يَقْسِمُ قَسْمًا ، والقِسْمَة مصدر الاقتسام ، ويقال أيضًا : قَسَمَ بينهم قِسْمَةً٠٠٠والقَسَمُ : اليمين ، ويجمع على أقسام ، والفعل أقسم)) [2] ((وأقسم : حلَف ، وأصله من القسامة ، وهي أيمان تُقسَم على أولياء المقتول ثم صار اسمًا لكلّ حَلِف))[3]قال الله تعالى : (إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ){القلم : ١٧}

–**اليمين** : ((واليمين : الحَلِف ، وكل ذلك من اليد اليمنى٠٠٠وسميَ الحَلِف يمينًا ؛ لأنّ المحالفين كأنّ أحدهما يصفق بيمينه على يمين صاحبه))[4]((واليمين في الحَلِف مستعار من اليد اعتبارًا بما يفعله المعاهد والمحالف وغيره)) [5]((واليمين في القسم ؛ لأنّ الحالف غالبًا يصفّق بيمينه))[6]

قال الله تعالى : (لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّـهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ

---

(1) مقاييس اللغة ص ٧٧٤ وينظر : المفردات للراغب الأصفهاني ص ٤٢٠ وعمدة الحفاظ للحلبي ٣٠٧/٣

(2) العين ص٧٨٨

(3) المفردات ص ٤٢٠

(4) مقاييس اللغة ص ٩٧٢

(5) المفردات ص٥٧٨

(6) عمدة الحفّاظ ٣٥٨/٤

أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ){المائدة : ٨٩}وقال تعالى : (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ){المجادلة : ١٦}وقال تعالى : (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ){المنافقون : ٢}

وفرّق العسكري ((بين القسم والحلف أنَّ القسم أبلغ من الحلف ؛ لأنَّ معنى قولنا : أقسم بالله ، أنَّه صار ذا قسم بالله ، والقسْم : النصيب ، والمراد أنَّ الذي أقسمَ عليه من المال وغيره قد أحرزه ودفع عنه الخصم بالله ، والحلف من قولك : سيف حليف ، أي : قاطع ماض ، فإذا قلت : حلفَ بالله ، فكأنَّك قلتَ : قطع المخاصمة بالله ، فالأول أبلغ ؛ لأنَّه يتضمن معنى الآخر مع دفع الخصم ، ففيه معنيان ، وقولنا : حَلَفَ ، يفيد معنى واحدًا ، وهو قطع المخاصمة فقط ، وذلك أنَّ من أحرز الشيء باستحقاق في الظاهر ، فلا خصومة بينه وبين أحد فيه ، وليس كلّ من دفع الخصومة فقد أحرزه ، واليمين اسم للقسم مستعار ، وذلك أنَّهم كانوا إذا تقاسموا على شيء تصافقوا بأيمانهم ، ثم كثر ذلك حتى سمي القسم يمينًا))[١]

والظاهر أنّ القسم هو الأصل ؛ لذلك ذكر أهل اللغة والنحو حروف القسم ، ولم يذكروا حروف الحلف، أمّا الحلف فهو قسم أريد به معنى المعاهدة والحفاظ عليها والاستمرار في مراعاتها ومن هنا جاء في العلاقات الدولية مصطلح الحلف والتحالف ، وفي الحلف أيضًا معى معاهدة الله سبحانه على الإيفاء بما تضمّنه الحلف ؛ لذلك كان فيه دفع الكفّارة إذا لم يوف بما حلف عليه ، ولذلك قال سبحانه : (ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ){المجادلة : ١٦} ولم يقل : ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إذا أقسمتم

---

(١) الفروق اللغوية ص ٦٨

أمّا الإيلاء فحقيقته الحَلِف المقتضي لتقصير في الأمر الذي يحلف عليه ، وجُعِل الإيلاء في الشرع للحَلِف المانع من جماع المرأة وكيفيته وأحكامه مختصّة بكتب الفقه

باب الباء

١-**الباطل والداحض** : ((إنّ أصل الإبطال الإهلاك ، ومنه سُمِّي الشجاع بطلًا لإهلاكه قرنه ، وأصل الإدحاض الإذلال ، فقولك : أبطله يفيد أنّه أهلكه ، وقولك : أدحضه يفيد أنّه أزاله ، ومنه مكان دحض : إذا لم تثبت عليه الأقدام ، وقد دحض : إذا زلّ ، ومنه قوله تعالى : (حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ){الشورى : ١٦})) [١]

٢-**الباقي والدائم** : قال الله تعالى :(مَاعِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ){النحل : ٩٦}وبين الدوام والبقاء فرق واضح في الدلالة ، وإن كان من مرادفاته وأقرب المعاني إليه ، وهذا ما تلمسه في كتب اللغة نفسها ، فقد قالوا في البقاء : ((وبقي الشيء يبقى بقاء ، وهو ضد الفناء))[٢]و((البقاء : ثبات الشيء على حاله الأولى ، وهو يضادُّ الفناء)) [٣] ((والبقية : ما يبقى عند زوال ما كانت معه البقية جملة واحدة))[٤] ((والبقاء : عدم الفناء))[٥] وقالوا في الدوام : ((ماء دائم : ساكن ، والدوام مصدر دام يدوم، ودام الماء يدوم دومًا ، وأدمته إدامة : إذا سكَّنته ، وكل شيء سكَّنته فقد أدمته)) [٦] و((أصل

---

(١) الفروق اللغوية للعسكري ص ٢٦٥

(٢) العين للخليل ص ٨٣.

(٣) المفردات ص ٦٢ وينظر : بصائر ذوي التمييز ٢٢٠/٢

(٤) نزهة الأعين ص ٧٦

(٥) عمدة الحفاظ للحلبي ٢١٨/١

(٦) العين للخليل ص ٣١٠

الدوام السكون ، يقال : دام الماء ، أي : سكن ، ونُهي أن يبول الإنسان في الماء الدائم)) [١] ((أي : الماء الساكن)) [٢] ((والديمة : مطر يكون مع سكون٠٠٠والديمة من المطر الذي لا رعد فيه ، ولا برق تدوم يومها٠٠٠ومنه قيل للماء يسكن ولا يجري دائم٠٠٠ودام البحر يدوم : سكن٠٠٠ويقال للطائر إذا صفَّ جناحيه في الهواء وسكَّنهما ولم يحركهما ، كما تفعل الحِدَأُ والرّخَمُ : قد دوَّم الطائر تدويمًا ، وسُمِّي تدويمًا لسكونه وتركه الخفقان بجناحيه)) [٣]

فالباقي ما كان ضد النافد والفاني فقوله تعالى : (مَاعِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ) يعني : أنّ ما عندكم ينفد ويفنى وما عند الله لا ينفد ولا يفنى

فالباقي والبقية لا تعني، الدوام ، وإنَّما يعني ما بقي من الشيء ، فالشيء الباقي ، أو البقية : هو الباقي من دون نظائره ، بمعنى أنَّ نظائرة لم تبق وبقي هو من دونها ، أي : زالت وهو لم يزُل من دونها ، كقوله تعالى : (فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ {٧} فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ){الحاقة : ٧-٨}وهذا كقوله تعالى : (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا){الكهف : ٤٦} وكذلك كل ما يكسبه الإنسان ويحصل عليه في الدنيا لا يبقى منه شيء إلّا ما ابتغى به وجه الله ، فهو الباقي من دون كلّ ما اكتسبه من دنياه ، فلأنّه أريد هذا المعنى قال سبحانه : (مَاعِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ) ولو قيل : مَاعِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ دائم ، لما عبّرت عن هذا المعنى ، وقد قال سبحانه : (خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ

---

(١) المفردات ص ١٨٢

(٢) عمدة الحفاظ ٣٢/٢

(٣) لسان العرب ٣٢٩/٥-٣٣٠

رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ){هود :١٠٧} ولو قيل : ما بقيت السماوات والأرض ، لأفاد فناء ما يناظرهما وبقاءهما من دونها ، وما أريد هذا المعنى ، وقال (ما دامت) لأنّه أريد ثبات السماوات والأرض وعدم زوالهما

٣-**الباقي والغابر** : الغابر من ((غَبَرَ : إذا بقي ، قال الله تعالى : (إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ){العنكبوت : ٣٣}))[١] ((والغابر : الماكث بعد مضيّ ما هو معه قال تعالى : (فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ {١٧٠} إِلا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ){الشعراء : ١٧٠-١٧١}يعني : فيمن من بقي ولم يسر مع لوط)) [٢]

وتقدّم تعريف الباقي بأنّه يعني ما بقي من الشيء ، فالشيء الباقي ، أو البقية : هو الباقي من دون نظائره ، بمعنى أنَّ نظائرة لم تبق وبقي هو من دونها ، أي : زالت وهو لم يزُل من دونها ، ولذلك سمِّي بالباقي كما قال تعالى : :(مَاعِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ){النحل : ٩٦} فالباقي والغابر يتحدّان بمعنى بقائهما من دون نظائرهما إلّا أنّهما يفترقان في أمر أساسيّ ، هو أنّ الباقي يبقى من دون أن تبقى نظائره ، وهذا يعني أنّ المراد من الباقي أنّه يبقى وتفنى نظائره ، أمّا الغابر فهو الذي يبقى من دون نظائره ليهلك من دونهم ،، أي : أنّ المراد من الغابر على العكس من ذلك أنّه يفنى وتبقى نظائره ، وأنه يهلك وتنجو نظائره ، وأنّه يشقى وتسعد نظائره قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى : (فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ){الأعراف : ٨٣}((مِنَ الْغَابِرِينَ) من الذين غبروا في ديارهم ، أي :

---

(١) مقاييس اللغة ص ٧٠٤

(٢) المفردات ص ٣٧١

بقوا فهلكوا)) [١] أي ((من الباقين في العذاب ، والتذكير لتغليب الذكور على الإناث، وروي أنّها التفتت فأصابها حجر فماتت)) [٢]

٤ –**البئـر والجـب** : **البئـر** : ((قـال عز وجلّ : (وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَـةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ){الحج : ٤٥}))[٣]

–**الجبّ** : قال الخليل : ((الجبُّ : بئر غير بعيدة القعر))[٤] ((قال الله تعـالى : (وَأَلْقُـوهُ فِـي غَيَابَـتِ الْجُبِّ){يوسـف : ١٠} أي : بئـر لـم تُطْـوَ ، وتسميته بذلك إمّا لكونـه محفورًا في جبوب ،أي : فـي أرض غليظـة ، وإمّا لأنّـه قد جُبَّ ، والجَبّ قطـع الشـيء مـن أصـله كجبّ النخـل ، وقيـل زمـن الجِباب نحو زمن الصرام ، وبعير أجبُّ مقطوع السنام)[٥]

و((البئر معروف ، وهو ما حُفِرَ وطُوي أي : ثُنِيَ ، والثمد ما لم يُطْوَ ، يقـال : بـأرتُ آبـارًا وبئـرًا وبـؤرة أي حفيـرة ، ومنـه اشْـتُقَّ البئـر ، وهـي فـي الأصل حفيرة يُستَر رأسها ليقع فيها من مرّ عليها ، يقال لها : المغواة وعُبِّرَ بهـا عـن النميمـة الموقعـة فـي البليّـة ، والجمـع مـآبر وبئـار ٠٠٠قـال تعـالى : (وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَـةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ){الحج : ٤٥} وقيل : ليس المراد بئرًا بعينها ولا قصـرًا بعينـه ، وإنّمـا ذلـك علـى إرادة الجـنس ، وقيـل : بـل هـي بئـر وقصـر معيَّنان٠٠٠فقال جماعة من أهل التفسير: إنّها بئر بحضرموت ، وإنّ صالحًا صلى الله عليه وسلّم لمّا نزل بهذه البقعة وحفرها مات فسُمِّيت بحضرموت ،

---

(١) الكشاف ١٢١/٢

(٢) مدارك التنزيل ص ٣٧٣

(٣) المفردات للراغب ص ٧١

(٤) العين ص ١٢٣

(٥) المفردات للراغب ص ٩٠

فقام قومه بعده يستقون من هذه البئر))[١] والثمد : الحفرة يكون فيها ماء كماء المطر[٢] و((الجُبّ : هو اسم ركيّة لم تُطْوَ ، وإذا طُوِيتْ فهي بئر))[٣] وطوى البئر بناها وعرّشها بالحجارة والآجُر [٤]

((والجُبّ البئر مذكّر ، وقيل : هي البئر لم تُطوَ ، وقيل : هي الجيدة الموضع من الكلأ ، وقيل : هي البئر الكثيرة الماء البعيدة القعر ٠٠٠وقيل : لا تكون جُبًّا حتى تكون مما وُجِدَ لا ممّا حفره الناس٠٠٠وقال الليث : الجُبّ البئر غير البعيدة))[٥] ((وعن الفرّاء : بئر مجبّبة الجوف إذا كان في أوسطها أوسطها أوسع شيء منها مُقبَّبة ، وقالت الكِلابيّة : الجُبُّ : القليب الواسعة الشحوة ، وقال أبو حبيب : الجُبّ ركيّة تُجاب في الصفا))[٦] والقليب الواسعة الواسعة الشحوة : البئر الواسعة الجوف [٧]

يتبيّن ممّا تقدّم ذكره أنّ الفرق بين الجبّ والبئر ، أنّ البئر ما حفره أناس ، والجبّ هو ممّا وُجِد لا ممّا حفره الناس ، هذا هو الفرق الأوّل ، والفرق الثاني أنّ البئر ما طُوي ، والجبّ ما لم يُطْوَ ، والفرق الثالث أنّ الجبّ ما جُبّ من الأرض أي قُطِع منها أو لأنّها كانت في أرض جبوب أي في أرض صخرية وغليظة ، وواسعة الجوف وليس كذلك البئر ، والفرق

---

(١) عمدة الحفّاظ ١٥٣/١

(٢) ينظر : لسان العرب ٣٧/٣-٣٨

(٣) الكليات للكفوي ص ٢٩٥

(٤) ينظر : لسان العرب ١٦٦/٩

(٥) ينظر : لسان العرب ٦٥/٣ وتاج العروس ٧٤/٢

(٦) تاج العروس٧٤/٢-٧٥

(٧) ينظر : لسان العرب٣٤/٨

الرابع ذكره الخليل كما تقدّم وهو قوله : ((الجبُّ : بئر غير بعيدة القعر))

٥-**البأساء والضرّاء** : ((البأس : الشدّة في الحرب٠٠٠والبؤس : الشدة في العيش))[١]و((الضَرّبالفتح ضد النفع٠٠٠فالضُرّ بالضم الهُزال ، والضِرّ بالكسر تزوج المرأة على ضِرّة ، أي : على امرأة كانت قبلها))[٢]

فالبأساء هي الشدة في الحرب والشدة في العيش ، والضرّاء هي الهزال وخلاف النفع وقد فسّر الزمخشري قوله تعالى : (وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ){البقرة : ١٧٧})) ((والبأساء : الفقر والشدّة ، والضراء المرض والزمانة))[٣] وقال في تفسير قوله تعالى : (فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ){الأنعام : ٤٢} ((وقيل : البأساء القحط والجوع ، ، والضرّاء : المرض ونقصان الأموال والأنفس))[٤]

وجاء في منتقى التفاسير : البأساء : كلّ ضرٍّ أصاب الإنسان في غير نفسه مثل موت الولد وتلف المال ، والضرّاء كلّ ضرٍّ أصاب الإنسان في نفسه كالمرض

٦-**بئس وساء** :قال تعالى : (لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ){المائدة : ٦٢}وقال تعالى : (وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ){المائدة : ٦٦}كلاهما اسلوب إنشائي للذمَ ، والبأس شدة الحال والمآل ، والمشقة والعذاب والفقر والخوف والبلاء والمكروه ، فقوله تعالى : (لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)معناه : تَعِسَ عملهم ، أو ما أشدّ شقاء أعمالهم ، والعمل السيء القبيح ، قال الخليل :

---

(١) مقاييس اللغة ص ١٢١

(٢) مقاييس اللغة ص ٥١٣

(٣) الكشّاف ٢١٨/١ وينظر : مدارك التنزيل ص ٩٤ ويقصد بالزمانة : الأمراض المزمنة ينظر : المصباح المنير ص ٢٥٦

(٤) الكشّاف ٢٢/٢ وينظر : مدارك التنزيل ص ٣٢١

((وتقول : ساء ما فعل فلان صنيعًا ، أي : قبح صنيعه صنيعًا)) [1]فمعنى (سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ) قبُحَ عملهم ، أو ما أقبح أعمالهم

٧--**البتّ والبتر والبتك** : ((البتك يقارب البتّ ، لكن البتك يُستعمَل في قطع الأعضاء والشعر ، يقال : بتكَ شعره وأذنه قال الله تعالى : (فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ){النساء : ١١٩} ومنه سيف باتك : قاطع للأعضاء ، وبتكتُ الشعر تناولتُ قطعة منه٠٠٠وأمّا البتّ فيقال في قطع الحبل والوصل٠٠٠والبتر يقارب ما تقدّم لكن يستعمل في قطع الذنب ، ثمّ أُجري مجرى العَقب فقيل فلان أبتر إذا لم يكن له عَقِبٌ يخلفه٠٠٠وقيل عن طريق التشبيه خُطبة بتراء لِما لم يذكر فيها اسم الله ، وذلك لقوله عليه الصلاة والسلام : كلّ أمر لا يُبدأ فيه بذكر الله فهو أبتر ، وقوله تعالى : (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ){الكوثر : ٣} أي : المقطوع الذكر ، وذلك أنّهم زعموا أنّ محمدًا ينقطع ذكره إذا انقطع عمره لفقدان نسله)) [2]

فالبتّ يُستعمل في قطع الحبل والوصل ، والبتك في قطع الأعضاءوالشَّعَر ، والبتر في قطع الذنب والنسل والخير والبركة

٨-**البحر واليمُّ** : شاع عند أهل اللغة أنَّهم عرّفوا اليمّ بأنَّه يعني البحر[3] ولم يعرّفوا البحر بأنَّه يعني اليمّ ، وقال الزجاج في تعريف اليمّ في قوله تعالى : (فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ){الأعراف : ١٣٦} ((وهو البحر ، وكذلك هو في الكُتُبُ الأُوَل))[4] وجاء في المُعَرَّب ((ابن قتيبة :

---

(١) كتاب العين ص ٤٥٣-٤٥٤.

(٢) المفردات للراغب ص ٤١ وينظر : عمدة الحفّاظ ١/١٥٦-١٥٧

(٣) ينظر : العين للخليل ص١٠٧٦ والمفردات للراغب ص ٥٧٧ وعمدة الحفاظ للحلبي ٣٥٧/٤ وبصائر ذوي التمييز ٣٩٤/٥ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٠٠/٢.

اليمُّ : البحر بالسريانية))[(١)] وقال الحلبي : ((اليمُّ : البحر ، قيل مطلقًا ، وقيل هو الذي غرق فيه فرعون بخصوصه ، ويسمَّى أساف ، وقيل هو البحر بلغة الحبشة)) [(٢)] وقال السيوطي : ((قال ابن قتيبة اليمُّ : البحر بالسريانية ، وقال ابن الجوزي : بالعبرانية ، وقال شيذلة : بالقبطية))[(٣)]

والصحيح أنَّ اليمَّ لفظ عربي بالأصالة ، والدليل على ذلك قول الخليل : ((وتقول : يُمَّ الساحلُ : إذا طما عليه اليمُّ ، فغلب عليه)) [(٤)] وقال ابن فارس : ((يُمَّ الرجل فهو ميموم : إذا وقع في اليمِّ فغرق))[(٥)] وقال الحلبي : ((واليمُّ : البحر ، والمشهور أنَّه عربي ... وقال ابن قتيبة : إنَّه البحر بالسريانية ، وقيل بالعبرانية ، والمشهور أنَّه لا يتقيد ببحر خاص ، وقال الهروي في عربيته : واليمُّ : البحر الذي يقال له إساف ، وفيه غرق فرعون ، وهذا ليس بجيد ، لقوله تعالى : (فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ){القصص : ٧} والمراد به نيل مصر ، وهو غير الذي غرق فيه فرعون)) [(٦)]

فاليمّ لفظ عربي ، وهو لا يعني البحر ، بل يعني لُجَّة البحر أو النهر ، وهذا ما قال به أهل اللغة أنفسهم ، قال الخليل : ((اليمُّ : البحر ... ويقال : لُجَّته)) [(٧)] ولُجَّة الماء : معظمه ، وتردد أمواجه ، وجَلَبَتُها واختلاط

---

(١) المُعَرَّب من كلام الأعجمي للجواليقي ص ١٦٨

(٢) عمدة الحفاظ للحلبي ٣٥٧/٤

(٣) الإتقان في علوم القرآن ص ٢١٣

(٤) العين ص ١٠٧٦

(٥) مقاييس اللغة ص ٩٧٠

(٦) الدر المصون ٤٣٧/٥

(٧) العين ص ١٠٧٦ وينظر : تهذيب اللغة للأزهري ٣٩٨٤/٤ ولسان العرب ٣٢٣/١٥ وتاج العروس ٨٠/٣٤ وبصائر ذوي التمييز ٣٩٤/٥

أصواتها[١] ولو تأمَّلتَ مواضع استعمال اليمّ في القرآن الكريم لوجدتها تختلف عن مواضع استعمال البحر فيه ، فسياقات الأُولى تلائمها ما تعنيه لُجّة الماء ، ماء بحر كان أم ماء نهر ، وسياقات الثانية تلائمها ما يعنيه البحر بمعناه المعروف ، فقد ورد اليمّ في القرآن الكريم في ثمانية مواضع :

١-قال الله تعالى : ((فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ){الأعراف : ١٣٦}

٢-وقال الله تعالى : (أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ){طه : ٣٩} وورد اليمّ في هذا الشاهد مرّتين

٣-وقال الله تعالى : (فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ){طه : ٧٨}

٤-وقال الله تعالى : (لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا){طه : ٩٧}

٥-وقال الله تعالى : (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ){القصص : ٧}

٦-وقال الله تعالى : (فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ){القصص : ٤٠}

٧-وقال الله تعالى : (فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ){الذاريات : ٤٠}

استعمل اليمّ في قوله تعالى : (فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ)لأنَّ الذي يجعل التابوت يسير ويدفعه إلى الساحل لجّة الماء لا سكونه ، وكذلك الحال في الآيات الباقية المذكورة ، فنسف ما يراد نسفه ، وإغراق من يراد إغراقهم من الظالمين ونبذهم لهذا الغرض ، وأن يغشيهم ما

---

(١) ينظر : لسان العرب ١٣/١٧١-١٧٢

يغرقهم يكون برميهم في معظم الماء ولجّته التي تصطخب لشدتها وتردد أمواجها ، لا أن يكون ذلك في ماء ساكن هادئ

أمَّا البحر فلم يستعمل في هذه الحالات من العقاب والهلاك ونحوها ، وإنَّما استعمل في سياق النعمة كقوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ){النحل : ١٤} وقوله تعالى : (اللَّهُ الَّذِي سخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ){الجاثية : ١٢} واستُعمِل وهو يعني البحر من الساحل إلى الساحل ، كقوله تعالى : (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَـهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ){الأعراف : ١٣٨} وقوله تعالى : (فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ){الشعراء : ٦٣} واستُعمل كثيرًا في ما يقابل البرّ ، كقوله تعالى : (وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ){الأنعام : ٥٩} وقوله تعالى : (أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا){المائدة : ٩٦} وقوله تعالى : (قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ){الأنعام : ٦٣} وقوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ){الأنعام : ٩٧} واستُعمل وهو ما له حدود تفصله عن غيره ؛ لذلك جاء من البحر المثنى والجمع ، ولم يرد ذلك من اليمّ ، كقوله تعالى : (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ){فاطر : ١٢} وقوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا){الكهف : ٦٠} وقوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا){الفرقان : ٥٣} وقوله تعالى : (وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا){النمل :

٦١} وقولـه تعـالى : (مَـرَجَ الْبَحْـرَيْنِ يَلْتَقِيَـانِ {١٩} بَيْنَهُمَـا بَـرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ){الرحمن : ١٩-٢٠} وقوله تعالى : (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ){التكوير : ٦} وقوله تعالى : (وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ){الانفطار : ٢} فكما استُعمِل اليمّ في المواضع التي لم يُستعمّل فيها البحر ، استُعمل البحر في المواضع التي لم يُستَعمل فيها اليمّ ؛ لأنَّ لكل منهما دلالته ، فجعل أحدهما بمعنى الآخر يعني تحريفًا لدلالة كل منهما ، وهذا مثل من أمثلة كثيرة على أنّ الألفاظ المترادفة مهما تقاربت معانيها بينها فروق معنوية خاصّة ، وهي المقصودة في القرآن الكريم ، فجعل أحدها بمعنى الآخر تحريف للمعاني الخاصّة المرادة في كتاب الله .

٩-**البخس والنفص** : النقص عام ، يكون على سبيل الحق ويكون على سبيل الظلم و((البخس نقص الشيء على سبيل الظلم قال تعالى : (وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ){هود : ١٥} وقال تعالى : (وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ){هود : ٨٥}{الأعراف : ٨٥}))[١]

١٠-**البخل والشحّ والضنُّ والقتر** : قال العسكري في ((الفرق بين الشحّ والبخل أنّ الشحّ الحرص على منع الخير٠٠٠والبخل منع الحق فلا يقال لمن يؤدي حقوق الله تعالى : بخيل))[٢] و((قد يُفرَّق بينهما بأنّ الشحَ : البخل مع حرص ، فهو أشدّ من البخل ، وقيل : الشحّ : اللؤم ، وأن تكون النفس حريصة على المنع ، وقد أُضيف إلى النفس في قوله تعالى : (وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ){النساء : ٢٨} لأنّه غريزة فيها٠٠٠والبخيل يبخل بما في يده ، والشحيح يشحّ بما في أيدي النّاس، وعلى ما في يده حتى لا

---

(١) المفردات للراغب ص ٤٣ وينظر : عمدة الحفّاظ ١/١٦٢-١٦٣

(٢) الفروق اللغوية ص ٢٠٠

يرى في أيدي النّاس شيئًا إلّا تمنّى أن يكون له بالحلّ والحرام ، ولا يقنع بما رزقه الله تعالى))[١]

((فالشحّ بخل مع حرص))[٢] ((والشحّ أشدّ البخل))[٣]((والشحّ : اللؤم وأن تكون نفس الرجل كزة حريصة على المنع ، وأمّا البخل فهو المنع نفسه ، وقيل : الشحّ أكل مال أخيك ظلمًا ، والبخل منع مالك ، وعن كسرى : الشحّ أضرّ من الفقر ؛ لأنّ الفقير يتسع إذا وجد ، بخلاف الشحيح))[٤] : لذلك اتصف بالشحّ ألدّ أعداء الإسلام والمسسلمين فذمّ القرآن أهله فقال تعالى : (أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ) وقال تعالى : (فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ){الأحزاب : ذ٩} وقال تعالى : (وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ){الحشر : ٩}

الضنُّ :((الضاد والنون أصل صحيح يدلُّ على بخل بالشيء يقال : ضَنِنْتُ بالشيء أضَنُّ به ضنًّا وضَنانة ، ورجل ضنين ، وهذا عِلْق مضَنَّة ومَضِنّة إذا كان نفيسًا يُضَنُّ به))[٥] (وقوله تعالى (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ){التكوير : ٢٤} أي : ما هو ببخيل ، والضَنَّة هو البخل بالشيء النفيس٠٠٠وفلان ضِنّيٌّ بين أصحابي ، أي هو النفيس الذي أضِنّ به))[٦] وفرّق العسكري بين البخل ((وبين الضنّ أنّ الضنَّ أصله أن يكون بالعواري

---

(١) فروق اللغات ٦٨-٦٩

(٢) المفردات للراغب ص ٢٦٥

(٣) عمدة الحفّاظ للحلبي ٢/٢٥٣-٢٥٤ وينظر : الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ص ٣٠١

(٤) مدارك التنزيل للنسفي ص ١٢٢٥

(٥) مقاييس اللغة ص ٥١٢

(٦) المفردات ص ٣١١

، والبخل بالهبات ؛ ولهذا تقول هو ضنين بعلمه ، ولا يقال : بخيل بعلمه ؛ لأنّ العلم أشبه بالعارية منه بالهبة ؛ وذلك أنّ الواهب إذا وهب شيئًا خرج من ملكه ، فإذا أعار شيئًا لم يخرج من أن يكون عالمًا به، فأشبه العلم العارية ، فاستعمل فيه من اللفظ ماوضع لها ؛ ولهذا قال سبحانه : (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ) ولم يقل ببخيل))[١] والضنين لم يرد في القرآن الكريم إلّا في موضع واحد هو الموضع المذكور .

–**القتر** : ((القتر : تقليل النفقة وهو بإزاء الإسراف وكلاهما مذمومان قال تعالى : (وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا){الفرقان : ٦٧}٠٠٠وقد قترتُ الشيءَ وأقترته وقتّرته أي : قللته ، ومقتر فقير)) [٢] و((قوله تعالى : (وَلَمْ يَقْتُرُوا) أي : لم يضيقوا ، والقتر التضييق ، يقال : قترتُ وأقترته وقتّرته ، أي : ضيَّقتُ الإنفاق٠٠٠وقوله تعالى : (وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ){البقرة : ٢٣٦} أي : وعلى الفقير الذي ضُيِّقَ عليه رزقه))[٣]

١١– **البداء والنسخ** : فرّق العسكري ((بين النسخ والبداء أنّ النسخ رفع حكم تقدّم بحكم ثان أوجبه كتاب أو سنّة٠٠٠والبَداء أصله الظهور ، تقول : بدا لي الشيء إذا ظهر ، وتقول : بدا لي في الشيء إذا ظهر لك فيه رأي لم يكن ظاهرًا لك فتركته لأجل ذلك ، ولا يجوز على الله البداء لكونه عالمًا لنفسه ، وما ينسخه من الأحكام ويثبته إنّما هو على قدر المصالح لا أنّه يبدو له من الأحوال ما لم يكن باديًا)) [٤]

---

(١) الفروق اللغوية ص ١٩٩ قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بظنين ، وقرأ الباقون بضنين ينظر : الميسّر في القراءات الأربع عشرة ص٥٨٦

(٢) المفردات ص ٤٠٩

(٣) عمدة الحفَّاظ ٢٦٩/٣

(٤) الفروق اللغوية ص ٧٢

١٢-البدع والبرء والخَلْق والذَّرْء والفطر والنَّشْء : البرء : ((بَرَأَ اللهُ الخَلْقَ يَبْرَؤُهم بَرْءًا فهو بارئ))[١]((وقوله تعالى : (هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ){الحشر : ٢٤} فالخالق هو القادر الموجد من العدم ، والبارئ خُصَّ بوصف الله تعالى فإنّه أخصُّ من الخالق ؛ لأنّه خلْق بترتيب مسوٍّ ، ثمّ التصوير بعد ذلك ؛ فلذلك جاءت عدّة الصفات متتالية على أبدع سياق، وقوله تعالى : (فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ){البقرة : ٥٤} تنبّه على أخصّ الصفتين ؛ فلذلك قال :(بَارِئِكُمْ) دون خالقكم ؛ لأنّه أبعث على التوبة))[٢] فهذا هو الفرق بين الخلق والبرء أنّ الخلق يكون عامًّا وقد كان المقصود به هنا خلق المضغة والعلقة والعظم واللحم والعصب ، ثم جاء بعده البرء وهو برء الروح والنفس والحركة والحياة ، ثم بعده تصوير المرء وهو في بطن أمّه

-**الخَلْق** :((وخلقْتُ الأديمَ : قدَّرْتُه)) [٣]و((الخاء واللام والقاف أصلان : أحدهما : تقدير الشيء ، والآخَر : ملاسة الشيء ، فأمّا الأوَّل : فقولهم : خَلَقْتُ الأديمَ للسِّقاء إذا قدَّرْتَه٠٠٠وأمّا الأصل الثاني : فصخرة خَلْقاء : ، أي : مَلْساء))[٤]و((الخَلْقُ أصله التقدير المستقيم ويُستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء قال تعالى : (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ){الأنعام : ١} بدلالة قوله تعالى :(بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ){البقرة : ١١٧} ويستعمل في إيجاد الشيءمن الشيءنحو : (الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ){الأعراف : ١٨٩}(خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ){النحل : ٤} (وَلَقَدْ خَلَقْنَا

---

(١) العين ص ٦٣ وينظر : مقاييس اللغة لابن فارس ص ٨٨

(٢) عمدة الحفّاظ ١٧٢/١

(٣) العين ص ٢٦٥

(٤) مقاييس اللغة ص ٢٦٨

الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ){المؤمنون : ١٢} (وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ){الرحمن : ١٥}وليس الخلق الذي هو الإبداع إلّا لله تعالى ولهذا قال في الفصل بينه وبين غيره : (أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ){النحل : ١٧}أمّا الذي يكونبالاستحالة فقد جعله الله تعالى لغيره في بعض الأحيان كعيسى : (وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي){المائدة : ١١٠} والخلق لا يستعمل في كافة الناس إلّا على وجهين : أحدهما في معنى التقدير...والثاني في الكذب نحو قوله تعالى : (وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا){العنكبوت : ١٧} إن قيل : قوله تعالى : (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ){المؤمنون : ١٤} يدلُّ على أنّه يصحّ أن يوصَف غيرُه بالخلق ، قيل : إنّ ذلك معناه : أحسن المقدّرين ، أو يكون على تقدير ما كانوا يعتقدون ويزعمون أنّ غير الله يبدع ، فكأنّه قيل : فاحْسِب أنّ ههنا مبدعين وموجِدين فالله أحسنهم إيجادًا على ما يعتقدون))(١)

وقد فرّق العسكري بين البرء والخلق بـ((أنّ البرء هو تمييز الصورة ، وقولهم : برأ الله ، أي : ميّز صورهم ، وأصله القطع ، ومنه البراءة ، وهي قطع العلقة ، وبرئتُ من المرض : كأنّه انقطعت أسبابه عنك ، وبرئتُ من الدين ، وبرأ اللحم من العظم : قطعه ، وتبرّأ من الرجل : إذا انقطعت عصمته منه))(٢)

-**الذَّرْء** :((ذرأَ اللهُ الخَلْقَ يَذْرَؤُهم ذَرْءًا أي : خلَقَهم))(٣) و((ذرأ الله الخلق ، أي : أوجد أشخاصهم))(٤)و((قوله تعالى : (يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ){الشورى :

---

(١) المفردات ص ١٦٣-١٦٤ وينظر : عمدة الحفّاظ للحلبي ٥٢٦/١-٥٢٧

(٢) الفروق اللغوية ص ١٥٦

(٣) العين ص ٣١٦

(٤) المفردات ص ١٨٥

١١} أي : يكثّركم بالتزويج ، يقال : ذرأ الله الخلقَ ، والذَّرْء : إظهار الله ما ابرأه ، يقال : ذرأ الله خلْقَه ، أي : أظهر أشخاصهم قال تعالى : (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ){الأعراف : ١٧٩}))[١]

وفرّق العسكري بين الذرء والخلق بـ((أنّ أصل الذرء الإظهار ، ومعنى : ذرأ الله الخلق : أظهرهم بالإيجاد بعد العدم ، ومنه قيل للبياض الذّرْأة ؛ لظهوره وشهرته٠٠٠ومنه قوله تعالى : (تَذْرُوهُ الرِّياحُ){الكهف : ٤٥}))[٢]

–**الفَطْر** : قال الخليل : ((فَطَرَ اللهُ الخَلْقَ ، أي : خَلَقهم وابتدأ صَنْعَة الأشياء ، وهو فاطر السماوات والأرض))[٣]((قال عز وجلّ : (الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ){فاطر : ١} قال ابن عبّاس : كنت ما أدري ما فاطر السماوات والأرض حتى احتكم إليّ أعرابيّان في بئر ، فقال أحدهما : أنا فطرتها ، أي : ابتدأت حفرها ، وأخبرني المنذري عن ابن عبّاس أنّه سمع ابن الأعرابي يقول : أنا أول من فطر هذا ، أي : ابتدأه))[٤]((وقوله تعالى : (فاطِر السَّماواتِ){الأنعام : ١٤} وفرّق العسكري ((بين الفعل والفطر أنّ الفطر إظهار الحادث بإخراجه من العدم إلى الوجود كأنّه شقّ عنه فظهر))[٥] فالفطر يعني إيجاد الشيء من العدم من ذلك قوله تعالى : (وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ

(١) عمدة الحفّاظ ٣٩/٢

(٢) الفروق اللغوية ص ١٥٦

(٣) العين ص ٧٤٧

(٤) تهذيب اللغة ٢٨٠٣/٣

(٥) الفروق اللغوية ص١٥٢

الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ){الإسراء : ٤٩-٥١} ما قيل : خلقكم ؛ لأنّ الخلق عامّ يعني الخلق من لا شيء والخلق من شيء ، فقولهم : (مَن يُعِيدُنَا) يفيد استبعادهم أن يعيد خلقهم بعد مماتهم فقال لهم سبحانه (قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) أي الذي خلقكم أوّل مرّة ومن لا شيء ، وأنتم مقرّون بذلك ، كأنّه سبحانه أراد أن يذكّرهم بأنّ الذي خلقكم من العدم قادر أن يعيدكم لأنّ من قدر على الخلق الأوّل قادر على الخلق الثاني من باب أولى ، وهذا كقوله تعالى : (أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ){ق : ١٥} ولهذا بهتوا بهذا الردّ باستعمال الفطر واضطرّوا أن يعترفوا ويقولون : (مَتَىٰ هُوَ)

البدع : قال تعالى :(بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ){البقرة : ١١٧} ((قال الزجاج : بديع السماوات والأرض : منشئها على غير احتذاء ولا مثال ، وكلّ من أنشأ ما لم يُسبَق إليه قيل له : أبدعت ، ولهذا قيل لمن خالف السنّة مبتدع ؛ لأنّه أحدث في الإسلام ما لم يسبقه إليه السلف)) [(١)]و((الإبداع إنشاء صنعة بلا احتذاء واقتداء ومنه قيل ركيّة بديع أي : جديدة الحفر ، وإذا استعمل في الله تعالى فهو إيجاد الشيء بغير آلة ولا مادة ولا زمان ولا مكان وليس ذلك إلّا لله))[(٢)]((أي : أنشأهما من غير تقدم مثال))[(٣)]

-**النَّشْء** : ((النَّشْء : أَحْداثُ النَّاس الصِّغار٠٠٠والنّاشئ : الشابّ يقال : فتًى ناشئ ، ولم أسمع هذا النعت في الجارية ، والفعل : نشأ يَنْشَأُ نَشَأً ونشْأَةً وَنَشاءة))[(٤)] فـ((النون والشين والهمزة : أصل صحيح يدلُّ على

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري ٢٩٣/١

(٢) المفردات للراغب ص ٤٣

(٣) عمدة الحفّاظ ١٦٦/١

(٤) العين ص ٩٥٨

ارتفاع في شيء وسمو ، ونشأ السحابُ : ارتفع ، وأنشأه اللهُ : رفعه ومنه : (إنَّ ناشِئَةَ الَّيل){المزمل : ٦} يراد بها ، والله أعلم ، القيام والانتصاب للصلاة٠٠٠والناشئ: الشابّ الذي نشَأَ وارتفع وعلا))[١]و((النشء والنشاة إحداث الشيء وتربيته٠٠٠والإنشاء إيجاد الشيء وتربيته وأكثر ما يقال ذلك في الحيوان قال تعالى : (قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ){الملك : ٢٣}٠٠٠وقوله تعالى : (أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ){الزخرف : ١٨}أي : يربّى تربية كتربية النساء))[٢] و((الإنشاء : ابتداء الخلق ، وكلّ من ابتدأ خلق شيء واخترعه فقد أنشأه ، ومنه أنشأ الشاعر القصيدة ، وأنشأ فلان يفعل كذا ، أي : ابتدأ في فعله))[٣]

وقال العسكري في النشء : ((إنّ الإنشاء هو الإحداث حالًا بعد حال من غير احتذاء على مثال ومنه يقال :نشأ الغلام وهو ناشئإذا نما وزاد شيئًا فشيئًا والاسم النشوء))[٤] وقال في الفطر : ((إنّ الفطر : إظهار الحادث بإخراجهمن العدم إلى الوجود كأنّه شقّ عنه فظهر ، وأصل الباب الشقّ ومع الشقّ الظهور ومن ثمّ قيل : تفطّر الشجر إذا تشقّق بالورق))[٥]

فملخّص الفروق بين بدع ، وبَرْأ ، وخَلَق ، وذرأ ، وفطرَ ، وأنشأ أنّ الخلق عامّ فالله سبحانه خلق كل شيء ، وخصّ (برأ) بخلق الروح والنفس وخُصّ ذلك بالإنسان ، وذرأ الله الخلق أظهر أشخاصهم وكثّرهم بالتناسل ونشرهم في طول الأرض وعرضها ، وبدع الشيء خلقه من غير احتذاء

---

(١) مقاييس اللغة ص ٨٩٨

(٢) المفردات ص ٥١٦

(٣) عمدة الحفّاظ للحلبي ١٧٥/٤

(٤) الفروق اللغوية ص ١٥٢

(٥) الفروق اللغوية ص ١٥٢

ومثال ، وفطرَ الله الشيءَ : ابتدأ خلْقَه من العدم ؛ لأنّه هو أول من خَلَقَه ، كقولك : حفرْتُ البئرَ ، أي : أنا أوّل من حفرها ، وأنشأ الإنسانَ ، هو أيضًا بمعنى إيجاده من العدم ومن غير احتذاء لكن المراد تنشئته بعد ذلك وتربيته ومراعاته طورًا بعد طور ، وحالًا بعد حال من جنين في الرحم إلى رضيع في حضن أمّه إلى صبي يمشي إلى فتى قوي الساعد ، إلى رجل كما قال تعالى : (قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا){الكهف : ٣٧}

١٣-**البدن والجسد والجسم : البدن** :((الباء والدال والنون أصل واحد ، وهو الشخص دون شَواه ، وشَواه : أطرافه ، يقال : هذا بدن الإنسان ، والجمع الأبدان ، وكذلك البدنة التي تُهدى للبيت ، قالوا سمِّيت كذلك ؛ لأنَّهم كانوا يستسمنونها ...وتُسمَّى الدرعُ البدنَ ؛ لأنَّها تضم البدن))[١]و((البَدَن : الجسد ، لكن البدن يقال اعتبارًا بعظم الجثة ، والجسد يقال اعتبارًا باللون ، ومنه قيل : ثوب مُجسَّد ، ومنه قيل : امرأة بادن وبدين ، عظيمة البدن ، وسميت البَدَنَة بذلك لسمنها ... فقد يُسمَّى الدرع بَدَنَة ؛ لكونها على البدن))[٢] ((والبدن من الجسد ما سوى الرأس والشَّوى))[٣] والشَّوى : الأطراف : الرِّجْلان واليدان ((والبدن من المَنكِب إلى الألْية))[٤] وفرّق العسكري ((بين الجسد والبدن أنَّ البدن هو ما علا من جسد الإنسان ؛ ولهذا يقال للدرع القصير الذي يلبس الصدر إلى الصرَّة بَدَن ؛ لأنَّه يقع على البدن ، وجسم الإنسان كلّه جسد ، والشاهد أنَّه يقال لمن قُطِع بعض

---

(١) مقاييس اللغة ص ٧٩

(٢) المفردات ص ٤٤-٤٥ وينظر : تاج العروس للزبيدي ١٣٣/٣٤

(٣) لسان العرب ٤٠/٢

(٤) تاج العروس ١٣٣/٣٤

أطرافه : إنَّه قُطِع شيء من جسده ، ولا يقال : شيء من بدنه ، وإن قيل فعلى بُعْد ... ولمَّا كان البدن هو أعلى الجسد وأغلظه ، قيل لمن غلظ من السمن : قد بَدَنَ ، وهو بدين ، والبُدْنُ : الإبل المُسمَّنة للنحر ، ثم كثر ذلك حتى سُمِّي ما يُتَّخذ للنحر : بَدَنة ، سمينة كانت أو هزيلة))[1] ((بصيرة في البدن ، وهو من الجسد : ما سوى الرأس والشَّوى ... وقيل في الفرق بين البدن والجسد : إنَّ البدن يقال اعتبارًا بعظم الجثة ، والجسد اعتبارًا باللون))[2]

أجمع أهل التفسير وأهل اللغة على أنَّ قوله تعالى : (وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ) معناه : وما جعلناهم ذوي أجساد إلّا ليأكلوا الطعام ، وذلك أنَّهم قالوا : (مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ){الفرقان : ٧} فأعلمهم الله أنَّ الرسل أجمعين يأكلون الطعام ، وأنَّهم يموتون ، ذلك أنَّ العرب إذا جاءت بين كلامين بجحدين كان الكلام إخبارًا ، ومعنى الآية : إنَّما جعلناهم جسدًا ليأكلوا الطعام ، وهذا يدلُّ على أنَّ ذوي الأجساد يأكلون الطعام ، وأنَّ الملائكة روحانيون لا يأكلون الطعام[3]

وأنت ترى أنَّ الجسد بدلالته المذكورة هو الملائم والموافق من دون البدن لمعنى الآية ومضمونها وسياقها ؛ لأنَّ الإنسان لا يأكل ولا يعيش من دون رأس ؛ لذلك أنَّ الله تعالى ذكره لمَّا وصف الرسل بأنّهم يأكلون الطعام

---

(١) الفروق اللغوية ص ١٨٠

(٢) بصائر ذوي التمييز ٢٣٢/٢

(٣) ينظر : تفسير مقاتل ٣٥٣/٢ ومعاني القرآن للفراء ١١٢/٢وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٨٤ وجامع البيان للطبري ٩/١٧ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣١٢/٣ وتهذيب اللغة للأزهري ٦٠٢/١ والوسيط للواحدي ٢٣١/٣ ولسان العرب ١٤٥/٣ وروح المعاني للآلوسي ١٤/٩

وصفهم بأنَّهم جسد ، الذي يعني جسم الإنسان كله برأسه وبدنه وأطرافه ، ولم يوصفهم بأنَّهم بدن ، الذي يعني جسم الإنسان من دون رأسه وأطرافه ، لذلك لم أجد في كتب التفسير بدءًا بتفسير مقاتل المتوفى ١٥٠هـ [١] وانتهاء بتفسير روح المعاني للآلوسي المتوفى١٢٧٠هـ من ذكر أو نقل أنَّ الجسد هنا يعني البدن

الجسد والجسم :(الجيم والسين والميم يدلٌّ على تجمع الشيء ، فالجسم كل شخص مُدرَك)) [٢]((والجيم والسين والدال يدلٌّ على تجمع الشيء أيضًا ، واشتداده ، من ذلك جسد الإنسان)) [٣] و((الجسد هو الجسم إلّا أنَّه أخصّ منه من وجهين ، قال الخليل رحمه الله : لا يقال الجسد لغير الإنسان من خلق الأرض ونحوه (كالحيوان) وأيضًا فإنَّ الجسد ما له لون ، والجسم

---

(١) ملاحظة تتعلق بتفسير مقاتل تحقيق أحمد فريد ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ٢٠٠٣م=١٤٢٤هـ: عند رجوعي إلى تفسير المفسرين لقوله تعالى : (وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ){الأنبياء : ٨} وجدتُ مقاتل يقول في تفسيره ما نصه : ((قال أبو محمد : قال أبو العباس ثعلب : قال الفراء : (وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا) إلاَّ ليأكلوا الطعام)) تفسير مقاتل ٣٥٢/٢-٣٥٣ وينظر : معاني القرآن للفراء ١١٢/٢ وهذا لا يصح ولا يعقل أن يكون كلام مقاتل ؛ لأنَّ صاحب التفسير متوفى ١٥٠هـ ، والفراء : ولادته ١٤٤هـ ووفاته ٢٠٧هـ ، وثعلب : ولادته ٢٠٠هـ ووفاته ٢٩٠هـ ينظر : نزهة الألبَّاء ص ٨١-٨٤ وص ١٧٣-١٧٦ والذي حملني على ذكر هذه الملاحظة أنِّي لم أجد المحقق في الهامش يعلق على هذا النص المذكور في تفسير مقاتل ، ومن المؤكد أنَّه ليس من كلامه ، وقد يكون من كلام الراوي ، فكان من الواجب على المحقق أن يحذف النص أو أن يبيِّن مصدره ، أو ينبِّه عليه .

(٢) مقاييس اللغة ص ١٦٧

(٣) مقاييس اللغة ص ١٦٧

يقال لما لا يبين له لون ، كالماء والهواء ... والجسم ما له طول وعرض وعمق ، ولا تخرج أجزاء الجسم عن كونها أجسامًا ، وإن قُطِّع ما قُطع ، وجُزِّئَ ما جُزئَ ... قال الله تعالى : (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ){المنافقون : ٤} تنبيهًا أن لا وراء الأشباح معنى معتدٌّ به ... والجسمقيل : هو الشخص ، والشخص قد يخرج من كونه شخصًا بتقطيعه وتجزئته بخلاف الجسم))(١)

فالبدن يُطلّق على الشخص دون رأسه ويديه ورجليه ، والجسد يُطلَق على الشخص كلّه ، والجسم يُطلَق على جسم الإنسان والحيوان وعلى كلّ عين من الأعيان المادّية مما كان له لون وطول وعرض

١٤- **البدنة والهدي** : فرّق العسكري ((بين الهدي والبدنة أنّ البدن ما تَبّدن من الإبل أي : تسمن يقال : بدنت الناقة إذا سمنتها٠٠٠والبدنة لا يقتضي إهداؤها إلى موضع ، والهدي يقتضي إهداؤه إلى موضع لقوله تعالى : (هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ){المائدة : ٩٥} فجعل بلوغ الكعبة من صفة الهدي فمن قال : عليّ بدنة جاز له نحرها بغير مكة ، وهو كقوله : عليّ جزور ، ومن قال : عليّ هدْي ، لم يجز أن يذبحه إلّا بمكة ، وهذا قول جماعة من التابعين ، وبه قال أبو حنيفة ومحمد رحمهم الله ، وقال غيرهم إذا قال : عليّ بدنة أو هدي فبمكة ، وإذا قال : جزور ، فحيث يرى ، وهو قول أبي يوسف)) (٢)

---

(١) المفردات ص ٩٨-٩٩ وينظر : عمدة الحفاظ ٣٢٦/١ وبصائر ذوي التمييز ٣٨٣/٢

(٢) الفروق اللغوية ص ٣٣٩-٣٤٠

١٥-**البر والحسن والخير والصلاح** : البَرّ بالفتح حلاف البحر قال تعالى : ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾{الأنعام : ٥٩}

والبِرّ بالكسر الإحسان وخلاف العقوق قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾{المجادلة : ٩}

والبُرّ بالضم الفمج ولم يرد في القرآن[١]

والحسن والإحسان ضد السوء والإساءة قال الله تعالى : ﴿وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾{القصص : ٧٧}

والخير ضد الشر قال الله تعالى : ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾{القصص : ٨٤}

والصلاح ضد الفساد قال الله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾{البقرة : ١١}

١٦-**البزوغ والشروق والطلوع** : **البزوغ** :و((الباء والزاء والغين أصل واحد ، وهو طلوع الشيء وظهوره ، يقال : بَزَغَت الشمس ، وبزَغ ناب البعير: إذ طلع))[٢] و((بزغت الشمس بزوغًا ، أي : بدأ طلوعها ، ونجوم بوازغ : طوالع))[٣]((قال الله تعالى : ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً﴾{الأنعام : ٧٨} وقال تعالى : ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا﴾{الأنعام : ٧٧} أي : طالعًا منتشرَ

---

(١) ينظر : الصحاح ص ٨٤ المفردات ص ٤٥

(٢) مقاييس اللغة ص ٩١

(٣) العين ص ٧١

الضوء، وبَزَغَ النابُ تشبيهًا به ، وأصله من بَزَغَ البيطارُ الدابّة أسال دمها فبَزَغَ هو أي سال))[١]

–**الشروق** : ((الشين والراء والقاف أصل واحد يدلُّ على إضاءة وفتح ، من ذلك شَرَقَت الشمس : إذا طلعت ، وأشرقت ، إذا أضاءت ، والشروق طلوعها))[٢]((والشّرْقُ خلاف الغَرْب ، والشروق كالطلوع ، وشَرَقَ يَشْرُق شُروقًا ، ويقال لكل شيء طَلَعَ من قبل المشرق ، وأمّا المستعمل فللشمس والقمر))[٣] و((شرَقَت الشمس شُروقًا طَلَعَت))[٤]

–**الطلوع** : ((الطاء واللام والعين أصل يدلُّ على ظهور وبروز ، يقال : طلعت الشمسطُلوعًا ومَطْلَعًا ، والمَطْلِع موضع طلوعها ، قال الله تعالى : (سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ){القدر : ٥}فمن فتح اللام أراد المصدر ، ومن كسر أراد الموضع الذي تطلع منه ، ويقال : طَلَع علينا فلان إذا هجم ، وأطلعتك على الأمر إطلاعًا٠٠٠ومن الباب : استطلعتُ رأي فلان، إذا نظرتماالذي يبرزإليك منه))[٥]

وفرّق العسكري : ((بين الطلوع والبزوغ والشروق أنّ البزوغ أوّل الطلوع ، ولهذا قال : (فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً) أي : لمّا رآها في أوّل أحوال طلوعها تفكّر فيها فوقع له أنّها ليست بإلاه ؛ ولهذا سُمِّي الشرط تبزيغًا لأنّه شق خفي كأنّه أول الشق٠٠٠وقيل : البزوغ نحو البروز ، وبزغ قوائم الدابّة

---

(١) المفردات ص ٥٠

(٢) مقاييس اللغة ص ٤٧٦

(٣) العين ص ٤٧٥

(٤) المفردات ص ٢٦٨

(٥) مقاييس اللغة ٥٣٥–٥٣٦

إذا شرطها ليبرز الدم ، والشروق : الطلوع ، تقول طلعت ، ولا يقال شرق الرجل كما يقال : طلع الرجل فالطلوع أعمّ))[١]

فبزوغ الشمس أول طلوعها ، وبزوغ الشيء أوّل ظهوره وبروزه ، والشروق خلاف الغروب ، والشروق يقال لكل شيء طَلَعَ من قبل المشرق ، وغلب استعماله في الشمس والقمر ، والطلوع عام يقال طلعت الشمس وطلع الفجر وطلع فلان ، ويستعمل طلوع الشمس في غير باب شروقها ، فيقال : طلعت الشمس ، ولا يقال : أشرقت عند ظهورها من غمام حجبها في أثناء النهار

١٧-**البستان والجنّة والحديقة :الحديقة** : ((حدائق ذات بهجة جمع حديقة ، وهي قطعة من الأرض ذات ماء سُمّيت تشبيهًا بحدَقَة العين في الهيأة وحصول الماء فيها))[٢] والحديقة ((هي القطعة من الأرض المستديرة ذات النخل والماء تشبيهًا بحدقة الإنسان في الهيئة وجمعها الماء ، وقيل : الحديقة ما أحاط بها البناء من البساتين مطلَقًا))[٣]

((والجّنة غير البستان وإن كانا معنيين مترادفين ، فقد ((قالوا : الجَنَّة : الحديقة ذات النخل والشجر ، قال أبو علي في التذكرة : لا تكون في كلامهم جَنَّة إلّا وفيها نخيل وعنب ، فإن لم يكونا فيه ، وكانت ذات شجر فحديقة لا جَنَّة)) [٤]

ولم يرد لفظ البستان في القرآن الكريم ، وكيف يصح أن نجعل الجنة

---

(١) الفروق اللغوية ص ٣٤٥

(٢) المفردات ص ١١٦

(٣) عمدة الحفّاظ ٣٨٣

(٤) تاج العروس ٢٠٦/٣٤

بمعنى البستان لأنَّ ((البستان فارسيٌّ مُعَرَّب ، ويجمع بساتين))[١] كما أنَّ في ذلك تحريفًا لدلالة اللفظ القرآني ، لأنَّ دلالة الجنة غير دلالة البستان ، فالجَنَّة من الجِنِّ الذي يعني الستر ، وسميت كذلك ؛ لأنَّها تستر ما تحتها من الأرض بأشجارها وورقها ، كما بيَّن ذلك أهل اللغة ، أمَّا البستان فهو ((مُعَرَّب بوستان ، فـ(بو) بمعنى الرائحة ، و(سِتان) بالكسر الجاذب ، جمعه بساتين))[٢]

فالبستان لفظ فارسي معرَّب ولم ترد في القرآن الكريم بل ورد الجنّة ، ((والبستان : كلّ أرض يحوطها حائط ، وفيها نخيل متفرّقة وأشجار ، يمكن الزراعة في وسط الأشجار فهي بستان ، معرّب بوستان ، وإن كانت الأشجار ملتفّة لا يمكن زراعة أرضها فهي كَرْم))[٣] و((البستان : الجنّة إن كان فيه نخل))[٤]

والجنّة هي الحديقة ذات الشجر والنخيل والعنب وسميت بالجنة ؛ لأنّها تستر ما تحتها من الأرض لكثافة أشجارها وورقها

والحديقة هي ما كانت ذات شجر وماء سميت بالحديقة تشبيهًا لها بحدقة العين

١٨–**البصر والرؤية والنظر** : البصر يقال للجارحة الناظرة نحو قوله تعالى : (وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ){النحل : ٧٧} وقوله تعالى : (لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ){مريم : ٤٢} وقال تعالى : (رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا){السجدة : ١٢}

---

(١) المُعَرَّب من كلام الأعجمي للجواليقي ص ٣٢

(٢) تاج العروس ١٤٣/٤

(٣) الكليات للكفوي ص١٨٨

(٤) الكليات للكفوي ص٢٠٥

والبصر يُطلَق على الجارحة تارة وعلى القوّة التي فيها أخرى ، والبصيرة للإدراك الذي في القلب ، ويقال لها بصر أيضًا ، فالبصر يُطلَق بإزاء هذه المعاني الثلاثة ، ولا يكاد يقال في الجارحة بصيرة ، ومن الجارحة أبصرتُ ، ومن البصيرة بصرته وبصرتُ به قال تعالى : (فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ){القصص : ١١}أي : تفطَّنت وقلّما يقال من البصر : بصرتُ وقوله تعالى : (قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي){يوسف : ١٠٨} أي : على معرفة وتحقق وقوله تعالى : (بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ){القيامة : ١٤}أي : عليه من جوارحه بصيرة تَبصره وتشهد عليه يوم القيامة كقوله تعالى : (يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ){النور : ٢٤} وقال ابن عرفة : أي عليها شاهد لعملها ، وقال الأزهري : عالمة بما جنى عليها٠٠٠وقوله تعالى : (لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ){الأنعام : ١٠٣} حمله أكثر المتكلمين على الجارحة ، وجمع البصر أبصار وجمع البصيرة بصائر[١]

وفي الصحاح : ((البصر : حاسّة الرؤية ، وأبصرتُ الشيء : رأيته ، والبصير خلاف الضرير ، والبصر : العلم ، وبصرتُ بالشيء علمته))[٢]

–**الرؤية** :إدراك المرئي ، وهو حسب قُوى النفس على أضرب :

الأوّل : بالحاسة وما يجري مجراها كقوله تعالى : (لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ){التكاثر : ٦–٧}وقوله تعالى : (يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ){آل عمران : ١٣}

الثاني : بالوهم والتخيُّل نحو : أرى أنّ زيدًا منطلق ونحو قوله تعالى : (وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا){الأنفال : ٥٠}

---

(١) ينظر : المفردات للراغب ص ٥٤ وعمدة الحفّاظ ١٩٥/١

(٢) الصحاح ص ٩٣ وينظر : المصباح المنير ص ٥٠

والثالث : بالتفكّر كقوله تعالى : (إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ){الأنفال : ٤٨}

والرابع : بالعقل كقوله تعالى : (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ){النجم : ١١}

ورأى إذا عُدِّي إلى مفعولين اقتضى معنى العلم نحو قوله تعالى : (وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ){سبأ : ٦} وقال تعالى : (إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا){الكهف : ٣٩} وإذا عُدِّي رأى بـ(إلى) اقتضى معنى النظر المؤدّي إلى الاعتبار كقوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ){الفرقان : ٤٥}

وقوله تعالى : (قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ){الإسراء : ٦٢} وقوله تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ){الأنعام : ٤٠} ونحوه معناها في هذا كلِّه أخبرني وأخبروني ويلزم حينئذٍ فتح التاء مفردة على كلّ حال [١]

-**النظر** : ((النظر تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته ، وقد يراد به التأمّل والفحص وهو الروية ، يقال : نظرتُ فلم تنظر ، أي : لم تتأمّلولم تتروَّ وقوله تعالى : (قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ){يونس : ١٠١} أي : تأمّلوا ٠٠٠ويقال : نظرت إلى كذا إذا مددت طرفك إليه ، رأيته أو لم تره ، ونظرتُ فيه إذا رأيته وتدبّرته ، قال تعالى : (أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ){الغاشية : ١٧} نظرتُ في كذا تأمّلته ، وقوله تعالى : (أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ){الأعراف : ١٨٥} فذلك حثٌّ على تأمّل حكمته في خلقها ، ونظر الله تعالى إلى عباده ، هو إحسانه وإفاظة نعمه عليهم٠٠٠والنظر الانتظار ، يقال : نظرته وانتظرته وأنظرته أخّرته٠٠٠ويستعمل النظر في التحيّر في الأمور نحو قوله تعالى : (فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ){البقرة : ٥٥}))[٢]

---

(١) ينظر : المفردات للراغب ص ٢١٦-٢١٧ وعمدة الحفّاظ ٥٦/٢

(٢) المفردات للراغب ص ٥٢٠-٥٢١

تبيّن من تعريف أهل اللغة للبصر والرؤية والنظر أنّ بينها فروقًا واضحة ، لكن لكثرة استعمال كلٍّ منها في باب المجاز أدىّ إلى تداخل دلالاتها ، ويمكن إجمال الفروق الأساسية بينها أنّ :

بصر الشيء يعني إبصار صورته وشكله بحاسة البصر .

ورؤية الشيء يعني إدراك حقيقته بالحاسة ، أو بالوهم والتخيل ، أو بالتفكّر ، أو بالعقل والعلم ، فالفرق بين البصر والرؤية أنّ بصر الشيء يعني إبصاره بحاسّة البصر ورؤيته يعني إدراك حقيقته ، وهذا هو الفرق بينهما حتى عند جعل الرؤية بمعنى إدراك الشيء بالحاسّة ، لأنّ إدراك الشيء يكون بعد إبصاره ، فقوله تعالى مثلًا : (يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ){آل عمران : ١٣} تقديره : أبصروهم فرأوهم مثليهم

والنظر في الشيء يعني تدبّره وتأمّله ، ولهذا كثر تعدّيه إلى مفعوله بـ(في) وإذا تعدّى بـ(إلى) أفاد توجيه النظر إليه سواء أبصره ورآه أم لم يبصره ولم يره

وقوله تعالى : (قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي){الأعراف : ١٤٣} يعني اجعلني أراك بمدّ وتوجيه طرفي إليك ، وقد يوجّه المرء إلى الشيء طرفه ونظره ولا يبصره كما قال تعالى : (وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ){الأعراف : ١٩٨}

١٩-بطر النعمة وكفرها :الكفر في اللغة يعني التغطية ، وكفر معيشته إذا لم يشكرها ، كأنّه غطّاها بعدم شكرها وبجحودها ، أمّا بطر المعيشة فلا يعني جحودها بل ((البطر سوء استعمال النعمة ، وكذلك جاء في تفسير قولهتعالى : (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا){القصص : ٥٨}))[١]و((البطر : سوء احتمال الغنى ، وهو أن لا يحفظ حقّ الله فيه)) [١]

---

(١) الفروق اللغوية للعسكري ٢٥٩

و((البطر دَهَشٌ يعتري الإنسان من سوء احتمال النعمة وقلّة القيام بحقّها وصرفها إلى غير وجهها)) [٢]كأن يبذّر ما أنعم الله عليه ويسيء التصرّف فيه

٢٠-البعث والإحياء :((الباء والعين والثاء أصل واحد ، وهو الإثارة ، ويقال : بعثتُ الناقة : إذا أثرتها)) [٣] و((أصل البعث إثارة الشيء وتوجيهه ، يقال بعثته فانبعث ، ويختلف البعث بحسب اختلاف ما عُلِّق به ، فبعثتُ البعير : أثرته وسيَّرته ، وقوله تعالى : (وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللّهُ){الأنعام : ٣٦} أي : يخرجهم ويسيِّرهم إلى القيامة...وقوله عز وجل : (فَبَعَثَ اللّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ){الأنعام : ٣١} أي : قيَّضه)) [٤]

فالبعث غير الإحياء ، فقولك : أحيا الله الشيءَ ، يعني : أنَّه جعل الحياة تدبُّ فيه ، وقولك : بعثَ اللهُ الشيءَ ، يعنى أثاره وحرَّكه بعد أن كان جامدًا ساكنًا لا يتحرك ؛ لذلك فالبعث في قوله تعالى : (ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)((أصله الإثارة)) [٥] والدليل على أنَّ الإحياء لا يعني البعث أنَّه لا يصح أن يقع موقعه ويؤدي معناه في كثير من التراكيب ، كقوله تعالى : (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ){البقرة : ١٢٩} وقوله تعالى : (وَلَقَدْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا){المائدة :

---

(١) مدارك التنزيل ص ٨٧٥

(٢) المفردات ص ٥٥

(٣) مقاييس اللغة ص ١٠٠

(٤) المفردات ص ٥٨ وينظر : عمدة الحفاظ للحلبي ٢٠٥/١ وبصائر ذوي التمييز ٢١٤/٢-٢١٥

(٥) مدارك التنزيل ص ٥٣

١٢} } وقوله تعالى : (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ){الأنعام : ٦٦}

٢١-**البعث والإرسال** :((الراء والسين واللام أصل واحد مطّرد يدلُّ على الانبعاث والامتداد ، فالرَّسْلُ : السير السهل ، وناقة رَسْلة لا تكلفك سياقًا))[١] و((أصل الرِّسْل : الانبعاث على التُّؤَدَة)) [٢] وقال العسكري في ((الفرق بين البعث والإرسال ، أنَّه يجوز أن يبعث الرجل إلى الآخر لحاجة تخصُّه دونك ودون المبعوث إليه ، كالصبي تبعثه إلى المكتب فتقول : بعثته ، ولا تقول : أرسلته ؛ لأنَ الإرسال لا يكون إلاَّ برسالة ، وما يجري مجراها))[٣]

وأرى أنَّ الفرق بين بعث الرسل وإرسالهم ، أنَّ بعثهم يكون بتقييضهم وتهيئتهم للناس من الواقع الذي يعيشون فيه ، لإثبات أنَّ هذا المبعوث ليس بدعًا عليهم ، وأنَّ طبيعته لا تخالف طبيعتهم ، للتعبير عن أنَّ الرسالة التي جاؤوا بها صُنِعت من واقع البشر ، فتكون قابلة للتطبيق ، وصالحة لهم ، أمَّا الإرسال فمعناه أنَّ أمره صادر من السماء ، فيستعمل لفظه للدلالة على أنَّه أمر رباني ، وأنَّ الرسول لا دخل له فيما أرسل به ، أي : أنَّ رسالته ربانية سماوية ، فكل نبي ورسول هو مبعوث من الأرض ، وهو مرسل أمره من السماء ، وجاء الجمع بين أمري هاتين الصفتين في قوله تعالى : (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ){الجمعة : ٢} فدلَّ قوله تعالى (بَعَثَ) على الأمر الأول ، ودلَّ قوله تعالى (رَسُولًا) على الأمر الثاني .

---

(١) مقاييس اللغة ص ٣٣٤-٣٣٥

(٢) المفردات ص ٢٠٢ وينظر : عمدة الحفاظ ٩٠/٢ وبصائر ذوي التمييز ٦٩/٣

(٣) الفروق اللغوية ص ٢٩٩

٢٢-**البعث والنشور** : ((النون والشين والراء أصل صحيح يدلُ على فتح شيء وتشعبه...ومنه : نشرتُ الكتاب : خلاف طويته))[١]((نشرتُ الثوب والكتاب : بسطتُه))[٢]((وانتشار الناس : تصرفهم في الحاجات...وقيل : نشروا بمعنى انتشروا))[٣]و((النشر في الأصل : بسط الشيء ومدُّه ، ونقيضه : الطيُّ ، ويستعار في مواضع تدل عليها القرينة ، فيقال : نشر الله الموتى ، أي : أحياهم ، وانتشر الناس في حوائجهم : تفرقوا))[٤] والنَشْرُ : القوم المتفرقون الذين لا يجمعهم رئيس، وجاء القوم نَشْرًا ، أي : متفرقين ، وانتشرت الأبل والغنم : تفرَّقتْ[٥]وفرّق العسكري ((بين البعث والنشور أنَّ بعث الخلق اسم لإخراجهم من قبورهم إلى الموقف ، والنشور اسم لظهور المبعوثين وظهور أعمالهم للخلائق ، ومنه قولك : نشرتُ اسمك ، ونشرتُ فضيلة فلان ، إلّا أنَّه قيل : أنشر الله الموتى ، بالألف ، ونشرتُ الفضيلة والثوب للفرق بين المعنيين))[٦]

فبعث الناس من قبورهم يعني إثارتهم وإقامتهم وإخراجهم منها ، ونشرهم يعني جعلهم ينتشرون في الأرض بعد بعثهم ، ويتفرقون فيها حتى يجمعهم موقف الحشر ؛ لتُنشَر فيه صحائف أعمالهم ، فالفرق بينهما ظاهر

٢٣-**البعد والسحق** : قال الفرّاء : ((إنَّ العرب لتجمع بين الحرفين ، وإنَّهما لواحد ، إذا اختلف لفظاهما ، قال عَدِيٌّ بن زيد :

---

(١) مقاييس اللغة ص ٨٩٩

(٢) العين ص ٩٥٩ .

(٣) المفردات ص ٥١٥

(٤) نزهة الأعين ص ٢٨٢.

(٥) ينظر : لسان العرب ١٤/٢٥٦-٢٥٧ .

(٦) الفروق اللغوية ص ٣٠٠

وقدَّمَتِ الأديمَ لراهِشَيهِ وألفى قولها كَذِبًا ومَيْنا

وقولهم : بُعْدًا وسُحْقًا ، والبُعْدُ والسُّحْقُ واحد))[1]

أمَّا قوله بأنَّ البعد والسحق بمعنى واحد فخطأ ؛ لأنَّ الفرق بينهما ظاهر ، فأين السحق من البعد ؟! ومعاجم اللغة نفسها لم تذكر أنَّ السحق يعني البعد ، بل جعلوه أحد معنييه وقد جعل ابن فارس للسحق أصلين ((أحدهما البعد ، والآخر إنهاك الشيء حتى يبلغ به إلى حال البلى ، فالأول السحق ، وهو البعد ، قال الله جل ثناؤه : (فَسُحْقًا لاصْحَابِ السَّعِيرِ){الملك : ١١} ...والأصل الثاني : سحقتُ الشيء أسحقه سحقًا ، والسحق : الثوب البالي ، ويقال : سحقه البلى فانسحق))[2]و((السَّحْق دون الدَّق ... وقالوا للثوب البالي : سحقه البِلى ودعكه اللُّبْسُ...وهو يسحقُه سَحْقًا ، ويقال : سَحَقَه وسَحَجَه : إذا طرده طردًا شديدًا...والسُّحْقُ : البعد ، ولغة أهل الحجاز : بُعْدٌ له وسُحْقٌ ، يجعلونه اسمًا ، والنصب على الدعاء عليه ، أي : أبعده اللهُ وأسحقه...والعين تسحق الدَّمع سحقًا ، ودمع منسحق ، ودموع مساحيق ، كما تقول : منكسر ومكاسير...ومكان سحيق ، أي : بعيد)) [3]

والصحيح أنَّ السحق لا يعني البعد ، بل هو كما قال ابن فارس المذكور : ((إنهاك الشيء حتى يبلغ به إلى حال البلى)) و((السَّحْقُ تفتيت الشيء ، ويستعمَل في الدواء إذا فُتِّتَ ، يقال : سحقته فانسحق ، وفي الثوب إذا أخلق ، يقال : أسحق ، والسَّحْقُ : الثوب البالي ، ومنه قيل : أسحق الضرع ، أي : صار سَحْقًا لذهاب لبنه ... وقيل : أبعده الله وأسحقه ، أي :

---

(١) معاني القرآن ٣٧/١

(٢) مقاييس اللغة ص ٤٣١

(٣) العين ص ٤١٣

جعله سحيقًا ، وقيل : سحقه ، أي : جعله باليًا ، قال تعالى : (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ {١٠} فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لاصْحَابِ السَّعِيرِ){الملك :١٠– ١١} وقال تعالى : (وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ){الحج : ٣١}))[١]وقال الفيروزآبادي : ((وسَحَقَتِ الرياحُ الأرضَ قشرتها بشدة هبوبها ، وسحقه البلاءُ ومحقه فانسحق ، ولعن الله السَّحاقات ، وقد سحقتْها وساحقتْها ، وهما تتساحقان ، وسحقت العينُ الدَّمعَ صبتّه))[٢]

فهذا هو معنى السَّحْق ، والبعد خلاف القرب[٣] أمَّا جعل السحق بمعنى البعد فهو من باب التعبير عن شدته ، فالمكان البعيد جدًّا يُسمَّى سحيقًا ؛ لأنَّه لشدة بعده ينسحق الشيء فيه ، ولم يرد السحق في القرآن الكريم إلّا في الموضعين المذكورين ، فقوله تعالى : (فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) ليس معناه : في مكان بعيد ؛ لأنَّه لو أراد معنى البعد لاستعمل لفظه ، أو قال : في مكان عميق ؛ كما قال تعالى : (وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ){الحج : ٢٧} فعبَّر عن شدة بعد أوطان الزائرين عن بيت الله الحرام الذي جاؤوا لزيارته والحج فيه بالعمق ؛ لأنَّ الشيء البعيد جدًّا عنك يكون في عمق وأسفل منك ؛ لكون الأرض كروية ، وهذا من أعجاز القرآن الكريم في هذا المجال ، فقوله تعالى إذن (فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) ليس معناه : كما ذكرتُ : في مكان بعيد ، بل قد يكون البعيد خيرًا من المكان القريب ، بل المعنى : في مكان ينسحق فيه الشيء ، وهو ملائم لعقوبة مَن يشرك بالله ؛ لأنَّه لا ذنب أعظم منه ، قال تعالى :

---

(١) المفردات ص ٢٣٤ وينظر : بصائر ذوي التمييز ٢٠١/٣

(٢) بصائر ذوي التمييز ٢٠١/٣

(٣) ينظر : مقاييس اللغة ص ١٠٠والمفردات ص ٥٨

(إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا){النساء : ٤٨} وقال تعالى : (إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا){النساء : ١١٦} وقال تعالى : (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ){لقمان : ١٣}

وقد ورد البعد في القرآن الكريم في مواضع كثيرة ، ووردت بصيغة (بُعْدًا) في ستة مواضع منها قوله تعالى : (وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ){هود : ٤٤} والمراد الدعاء عليهم بالهلاك والبعد من رحمة الله ونحوه[١] وكذلك قوله تعالى (فَسُحْقًا لاصْحَابِ السَّعِيرِ) يراد منه الدعاء عليهم بالهلاك والبعد من رحمة الله[٢]

فلا معنى إذن من جعل السحق في قوله تعالى (فَسُحْقًا لاصْحَابِ السَّعِيرِ) بمعنى البعد ؛ لأنَّ (سُحْقًا) و(بُعْدًا) أريد من كليهما الدعاء على الظالمين بالبعد من رحمة الله ، وبما أنَّ البعد يعني خلاف القرب ، والسحق يعني التفتيت يكون الدعاء بالسحق أشد من الدعاء بالبعد ؛ لذلك استعمل الأول من دون الثاني في قوله تعالى : (فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لاصْحَابِ السَّعِيرِ) لأنَّه كان دعاء عليهم ، وهم في النار ، جاء في تفسير هذه الآية ((قال سعيد بن جبير ، وأبو صالح : السحق : واد في جهنم ، يقال له سُحْق)) [٣] وجاء في الحديث أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((لن

---

(١) ينظر : الوسيط للواحدي ٥٧٥/٢ والكشاف ٣٨٣/٢ وزاد المسير ٨٧/٤ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٣/٩ وأنوار التنزيل للبيضاوي ١٣٦/٣ ومدارك التنزيل ص ٤٩٨ وتفسير ابن كثير ٢٢٧/٤

(٢) ينظر : الوسيط للواحدي ٣٢٨/٤ والمحرر الوجيز ٣٤٠/٥ وأنوار التنزيل ٢٢٩/٥ ومدارك التنزيل ص ١٢٦٣

(٣) زاد المسير ٨٨/٨ وينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥٨/١٨ وفتح القدير للشوكاني ٣٢٣/٥

يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم [١] وفي حديث آخر : لا يدخل أحد النار إلّا وهو يعلم أنَّ النار أولى به من الجنة))[٢]

٢٤-البعل والزوج : البعل :((قوله عز وجل : (أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ){الصافات : ١٢٥} قيل : إنَّ بعلًا كان صنمًا من ذهب يعبدونه ، وقيل : أتدعون بعلًا ، أي : ربًّا ، يقال : أنا بعل هذا الشيء ، أي : ربّه ومالكه ، كأنّه قال : أتدعون ربًّا سوى الله٠٠٠وإنما سُمِّي زوج المرأة بعلًا ؛ لأنَّه سيّدها ومالكها٠٠٠وامرأة حسنة التبعّل إذا كانت مطاوعة لزوجها محبّة له)) [٣]((والبعل هو الذكر من الزوجين ، ولما تُصوِّر من الرجل الاستعلاء على المرأة ، فجُعِلَ سائمها والقائم عليها ، سُمِّي باسمه كل مستعل على غيره ، فسمَّى العرب معبودهم الذي يتقربون إليه إلى الله بعلًا ؛ لاعتقادهم ذلك في نحو : (أَتَدْعُونَ بَعْلًا))) [٤] و((البعل : الزوج ... والبعل أيضًا : مالك الشيء وسيده ؛ وذلك أنَّهم تصوروا من بعل المرأة لما كان مستوليًا عليها ومستعليًا أنَّه مالكها سموا ربَّ الشيء بعلَه))[٥] ((والبعل : الزوج٠٠٠والبعل : السيّد ، والبعل : المالك)) [٦] ((وتبعَّلت المرأة : أطاعت بعلها ، وتبعَّلت له : تزيَّنت))[٧]

---

(١) صحيح صححه الألباني في صحيح الجامع

(٢) تفسير ابن كثير ١٤٢/٨

(٣) تهذيب اللغة ٣٦٢/١-٣٦٣وينظر : لسان العرب ١١٥/٢

(٤) المفردات ص ٥٩ وينظر : عمدة الحفاظ ٢١٠/١ وبصائر ذوي التمييز ٢٦٠/٢ .

(٥) عمدة الحفاظ ٢١٠/١ وينظر : بصائر ذوي التمييز ٢٦٠/٢ .

(٦) المضباح المنير للفيومي ص ٥٥-٥٦.

(٧) لسان العرب ١١٦/٢وينظر : تاج العروس ٥٣/٢٨-٥٤

الزوج :((يقال لكل واحد من القرينين من الذكر والأنثى في الحيوانات المتزاوجة زوج ، ولكلِّ قرينين فيها وفي غيرها زوج كالخفّ والنعل ، ولكل ما يقترن بآخر مماثلًا له أو مضادّا زوج ، قال تعالى : (فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ){القيامة : ٣٩}[١]

((والرجل زوج المرأة ، وهي زوجه أيضًا ، هذه هي اللغة العالية وبها جاء القرآن ، نحو : (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ){البقرة : ٣٥}))[٢] ((والزوج : الفرد الذي له قرين)) [٣] ((وقال بعض النحويين : أمّا أمّا الزوج فأهل الحجاز يضعونه للمذكر والمؤنث وضعًا واحدًا ، تقول المرأة : هذا زوجي ، ويقول الرجل هذه زوجي قال تعالى : (وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ){النساء : ٢٠}))[٤] ((وجمع الزوج : أزواج)) [٥] ((والأزواج : القرناء والضرباء والنظراء)) [٦]

يتبين من تعريف أهل اللغة أنّ البعل في باب العلاقة الزوجية يُطلَق على سيِّد هذه العلاقة ومالكها ، ومن له الكلمة في أمرها ، ويُطلَق على من له الطاعة من قبل زوجته كالتزيّن له ؛ لذلك استعمل لفظ البعل من دون الزوج في قوله تعالى : (وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا){البقرة : ٢٢٨} لأنّه أريد التعبير على من له الكلمة والأمر بردهنَّ ، لكنه استعمل الزوج من دون البعل في قوله تعالى : (وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ

---

(١) المفردات في غريب القرآن ص ٢٢٣ .

(٢) المصباح المنير للفيومي ص ٢٥٩ وينظر : تاج العروس ١١/٦.

(٣) لسان العرب ٧٥/٧.

(٤) تاج العروس ١١/٦

(٥) المفردات للراغب ص ٢٢٣

(٦) تاج العروس ١٣/٦

فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ){البقرة : ٢٣٢} لأنّ الخطاب موجّه هنا إلى أولياء المطلقات وليس إلى أزواجهنّ ، فليس الأمر والكلمة لهم في هذا السياق ، قال الواحدي : ((وفي الآية ما يقطع على صحة قول من قال : لا نكاح إلّا بوليّ ؛ لإجماع المفسرين أنّ الخطاب للأولياء)) [1]

واستعمل البعل في قوله تعالى : (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ){النور : ٣١} فقد تقدم قول الأزهري : ((وامرأة حسنة التبعّل إذا كانت مطاوعة لزوجها محبّة له)) [2] وتقدم قول أهل اللغة : ((وتبعَّلت المرأة : أطاعت بعلها ، وتبعَّلت له : تزيَّنت)) [3] و((باعل الرجل امرأته مباعلة وبعالًا من باب قاتل لاعبها)) [4] فالتبّعل مقترن بتزيّن المرأة لبعلها

أمّا الزوج فلأنّه لفظ يشترك فيه الرجل والمرأة فأحدهما زوج للآخر وشريكه ونظيره ومماثل له ، أي : أنّه أريد بلفظ الزوجية أن تكون العلاقة بينهما علاقة وئام وتوافق وانسجام ، لذلك استعمل لفظ الزوج في قوله تعالى : (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا){الأعراف : ١٨٩}ولأنّ موت الرجل لا يقطع العلاقة الزوجية استعمل الأزواج في حالة عدة الوفاة كقوله تعالى : (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم){البقرة : ٢٤٠} وإذا فقدت هذه العلاقة الزوجية بالطلاق لم يعبّر عن المطلقات بالأزواج بل بالنساء كقوله تعالى : (لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ){البقرة : ٢٣٦}

---

(١) الوسيط ٣٤٠/١

(٢) تهذيب اللغة ٣٦٢/١-٣٦٣وينظر : لسان العرب ١١٥/٢

(٣) لسان العرب ١١٦/٢وينظر : تاج العروس ٥٣/٢٨-٥٤

(٤) المصباح المنير ص ٥٦

أمّا قوله تعالى : (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ){المجادلة : ١-٤}

فقد ذكر الزوج في بدء السورة ؛ لأنّه لم يصدر حكم بعد بشأن الظهار ، لكن لمّا أصدر الحكم وبيّن أنّه حرام حتى أوجب له كفارة غليظة مما يدلّ على أنّ الظهار من الأمور التي تكدّر العلاقة الزوجية استعمل النساء ولم يستعمل الأزواج

فقد أريد بلفظ الزوجية أن تكون العلاقة بين الرجل والمرأة علاقة وئام وتوافق وانسجامفإذا تصدّعت هذه العلاقة بالنشوز ، أو تكدّرت بشي ما كعدم الإنجاب استعمل لفظ البعل ، لأن الغرض من استعمال لفظ الزوجية لم يتحقق أو لم يكتمل ؛ لذلك استعمل البعل في قوله تعالى : (وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا){النساء :٢٨} لظهور الخلاف بين الزوجين ، وكذلك استعمل البعل في قوله تعالى : (قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ){هود : ٧٢}لتكدّر هذه العلاقة بعدم الإنجاب ، يضاف إلى هذا أنّها أشارت باستعمال (وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا) بأنّ زوجها لكبر سنّه قد تعطّلت عنده صفة البعولة ، ((قيل : كان إبرهيم ابن مئة وعشرين سنة ، وقيل ابن مئة يزيد عليها في قول مجاهد سنة ، وقيل : إنّها عرضت بقولها

(وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا) أي : عن ترك غشيانه لها))[1]يعني : أنّه فقد معاشرتي معاشرة جنسية فكيف يأتيني منه الحمل والولد ؟! وكما يفقد الرجل معنى الزوجية لعدم جماع زوجته فكذلك تفقد المرأة معنى الزوجية عندما يحلف الرجل بعدم التقرّب إليها ، لذلك استعمل النساء ولم يستعمل الأزواج في قوله تعالى : (لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ){البقرة : ٢٢٦}

٢٥-**البغض والكره والقِلى والمقت :البغض** :((البغض : نفار النفس عن الشيء الذي ترغب عنه٠٠٠قال الله عز وجلّ : (وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ){المائدة : ٦٤}))[2] ((وهو ضد الحبّ فإنّ الحبّ استئناس النفس إلى الشيء الذي ترغب فيه))[3]

-**الكره** : ((الكره ما يناله من ذاته وهو يعافه ، وذلك على ضربين : أحدهما: ما يُعاف من حيث الطبع ، والثاني : ما يُعاف من حيث العقل والشرع ؛ ولهذا يصحّ أن يقول الإنسان في الشيء الواحد إنّي أريده وأكرهه ، بمعنى أريده من حيث الطبع وأكرهه من حيث العقل والشرع ، أو أريده من حيث العقل والشرع وأكرهه من حيث الطبع)) [4]

فالبغض : ضد الحبّ فالمؤمن يبغض الكافرين ويحبّ المؤمنين ، وكرهُ الشيء يعني الرغبة عنه ، إمّا من حيث الشرع ككره الزنا والخمر ، أو من حيث الطبع ككره القتال كما تعالى : (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ){البقرة : ٢١٦}

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥٣/٩-٥٤

(٢) المفردات ص ٦٠

(٣) عمدة الحفّاظ ٢١٢/١

(٤) المفردات ص ٤٤٨

وكثيرًا ما تسمع من العوامّ قولهم : إنّي أكره فلانًا ، وهم يريدون كرهه في القلب ، وهذا المعنى يجب أن يُعبّر عنه بالبغض لا بالكره ، لأنّ كره الشيء لا يكون بالقلب ، بل يكون بالطبع أو الشرع أو كليهما ، ولهذا يصح أن يقال : أكره هذا الطعام ، ولا يصحّ أن يقال : أبغض هذا الطعام[1]وهذا هو الفرق الأساسي بينهما أنّ البغض يكون بالقلب ، والكره لا يكون بالقلب بل بالطبع أو الشرع

–**القلى** : ((القِلى : شدة البغض يقال : قلاه يقليه ويقلوه قال تعالى : (مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ){الضحى : ٣} وقال تعالى : (قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ){الشعراء : ٤٢٩})) [2]

–**المقت** : ((المقت : بغض من أمر قبيح رَكِبَه))[3]والمقت : ((كلمة تدلّ على شناءة وقبح)) [4] و((المقت : البغض الشديد لمن تراه تعاطى قبيحًا ٠٠٠قال تعالى : (وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا){النساء : ٢٢} وكان يُسمّى تزوّج الرجل امرأة أبيه نكاح المقت))[5]

و((قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ){غافر : ١٠} المقت : أشد البغض ،

---

(١) ينظر : الفروق اللغوية للعسكري ص١٤٧

(٢) المفردات ص ٤٢٩ وينظر : عمدة الحفّاظ ٣٣٧/٣

(٣) العين ص ٩٢٠

(٤) مقاييس اللغة ص ٨٦٨

(٥) المفردات ص ٤٩١

فهو أخصّ من البغض والمعنى : أنّ مقتَ الله إيّاكم أشدّ من بغضكم لأنفسكم حين يتبيّن لكم في الآخررة سوء عاقبتكم))[1]

فالبغض أشدّ الكره ، والقلى شدة البغض ، والمقت البغض الشديد لمن تراه تعاطى قبيحًا أي هو بغض مع احتقار

٢٦–البغي والجنف والجور والحيف وضيزى والظلم والعدوان والقسط والهضم :

–**البغي** : ((الباء والغين والياء أصلان ، أحدهما : طلب الشيء ، والثاني : جنس من الفساد٠٠٠والأصل الثاني : قولهم : بغى الجرحُ إذا ترامى إلى فساد ، ثمّ يُشتقُّ من هذا ما بعده ، فالبغيُّ الفاجرة ، تقول : بغتْ تبغي بِغاءً ، وهي بَغيٌّ ، ومنه أن يبغي الإنسانُ على آخَر٠٠٠والبغي : الظلمُ))[2] و((بغت السماءُ تجاوزت في المطر حدّ المحتاج إليه ، وبغى تَكَبَّرَ وذلك لتجاوزه منزلته إلى ما ليس له قال تعالى : (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ){القصص : ٧٦} وقال تعالى : (فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ){الحجرات : ٩}))[3]

–**الجَوْر** : لم يرد الجور بمعنى الظلم إلّا في قوله تعالى : (وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ){النحل : ٩}و((الجيم والواو والراء أصل واحد وهو الميل عن الطريق)) [4] و((الجور : نقيض العدل٠٠٠والجور : ترك القصد في السير والفعل منه : جار يجور)) [5]و(((وَمِنْهَا جَائِرٌ) أي : عن

([1]) عمدة الحفّاظ ١٠٢/٤

([2]) مقاييس اللغة ص ١٠١

([3]) المفردات ص ٦١

([4]) مقاييس اللغة ص ١٨٠

([5]) العين ص ١٦٣

السبيل ، قيل : هو عادل عن المحجّة ، وذلك عبارة عن الطريق الموصلة إلى الخير وإلى الشرّ فقال تعالى : (وَعَلَى اللَّـهِ قَصْدُ السَّبِيلِ)أي : مستوى الطريق ، ثمّ أخبر أنّ من الطرق ما هو خارج عن هذا القصد ، ناكب عنه))[1] ((أي : مائل عن الاستقامة))[2]

وفرّق العسكري بين الظلم والجور بـ((أنّ الجور خلاف الاستقامة في الحكم وفي السيرة السلطانيّة تقول : جار الحاكم في حكمه والسلطان في سيرته إذا فارق الاستقامة في ذلك ، ألا ترى أنّ خيانة الدانق والدرهم [3]تُسمّى ظلمًا ولا تُسمّى جورًا ، فإن أخذ ذلك على وجه القهر أو الميل سُمِّيَ جورًا ، وهذا واضح ، وأصل الظلم نقصان الحقّ والجور العدول عن الحقّ من قولنا : جار عن الطريق إذا عدل عنه ، وخولف بين النقيضين فقيل : فينقيض الظلم الإنصاف ، وهو إعطاء الحق على التمام ، وفي نقيض الجور العدل ، وهو العدول بالفعل إلى الاستقامة))[4]

-**الجنف** : قال الخليل :((الجنف : الميل في الكلام وفي الأمور كلّها ، تقول : جنف فلان علينا ، وأجنف في حكمه ، وهو شبيه بالحيف إلّا أنّ الحيف من الحاكم خاصّة ، والجنف عامّ ومنه قول الله عزّ وجلّ : (فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا){البقرة : ١٨٢} وقوله جلّ وعزّ : (فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ){المائدة : ٣} أي : متمايل متعمّد))[5] وقال

---

(1) المفردات ص ١٠٨ وعمدة الحفّاظ ٣٥٨/١

(2) مدارك التنزيل ص ٥٩١

(3) الدانق : مُعَرَّب وهو سدس درهم فالدرهم ستة دوانق ينظر : المصباح المنير ص ١٩٣ ، ٢٠١

(4) الفروق اللغوية ص ٢٥٩

(5) العين للخليل ص ١٦٠

الأزهري : ((قلتُ : أمّا قوله : الحيف من الحاكم خاصّة ، فهو خطأ ، والحيف يكون من كلّ مَن حاف ، أي : جار ، ومنه قول بعض الفقهاء : يُردُّ من حيف الناحل ما يُردُّ من جنف الموصي ، والناحل إذا فضّل بعض أولاده بنُحل فقد حاف وليس بحاكم ، وأخبرني المنذري عن أبي الهيثم أنّه قال : الجنف : الميل والجور))[1]

–**الحيف** :((الحاء والياء والفاء أصل واحد ، وهو الميل يقال : حاف عليه يحيف : إذا مال ومنه تحيّفْتُ الشيءَ : إذا أخذته من جوانبه ، وهو قياس الباب ؛ لأنّه مال عن عُرْضه إلى جوانبه))[2] و((الحيف : الميل في الحكم، حاف يحيف حيفًا)) [3] **و**((الحيف : الميل في الحكم والجنوح إلى أحد الجانبين قال الله تعالى : (أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّـهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ){النور : ٥٠} ويقال : تحيّفتُ الشيء أخذته من جوانبه))[4]((والمعنى أم يخافون أن يحوف الله عليهم في الحكم))[5] ولم يرد الحيف إلّا في هذا الموضع المذكور

فالحيف والجنف هو الميل في الحكم والقضاء عن اتباع الحق والعدل ،والفرق بينهما فيما يبدو لي أنّ الجنف أشدّ وأعمّ من الحيف

–**ضيزى** :((تقول : ضزتُه حقّه أي : منعته ضَيْزًا وقوله تعالى : (أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ){النجم : ٢٢}أي :

---

(1) تهذيب اللغة ٦٧٠/١

(2) مقاييس اللغة ص ٢٣٤

(3) العين ص ٢٢٥

(4) المفردات ص ١٤٢

(5) عمدة الحفّاظ ٤٧٥/١

ناقصـة))[١]((أصلـه فُعْلـى فكسـرت الضـاد لليـاء))[٢]((وقيـل : جـائرة يقـال : ضـازه يضيزه ، أي : جار عليه في القسمة ، وأصلها ضُيْزى فقلبت الضمّة كسرة ؛ وإنّما قيل ذلك إذ ليس في كلامهم فِعْلى صفة بل فُعْلى ، وقرأ ابن كثير ضِئْزى))[٣]وجاء في اللسان : ((ضاز في الحكم أي : جار ، وضازه حقّه يضيزه ضَيْزًا نقصه وبخسه ومنعه))[٤] فضيزى ((من ضازه يضيزه : إذا ضامه وجار عليه ، فمعنى ضيزى ، أي : جائرة ، قال الشاعر[٥] :

ضازتْ بنو أُسْدٍ بحكمهم   إذ يجعلون الرأسَ كالذنبِ))[٦]

فمعنى الآية : ((جعلكم لله البنات ولكم البنين قسمة ضيزى ، أي: جائرة من ضازه يضيزه إذا ضامه))[٧]

ولم ترد ضيزى في القرآن الكريم إلّا في موضع واحد هو الموضع المذكور

-**الظلم والهضم** : عرّف ابن فارسالظلم بأنّه ((هو وضع الشيء في غير موضعه))[٨]((والظلم يقال في مجاوزة الحق الذي يجري مجرى نقطة

---

(١) العين ص ٥٥٧ وينظر : مقاييس اللغة ص ٥٢٠

(٢) المفردات ص ٣١١

(٣) عمدة الحفّاظ ٣٩٠/٢ ((وقرأ ابن كثير ضِئْزى مهموزة ، وقرأ الباقون ضِيزى بغير همز)) الحجة في علل القراءات السبع لأبي علي النحوي ٣٨٦/٤

(٤) لسان العرب ٧٥/٩

(٥) البيت في الشعر المنسوب إلى امرئ القيس

(٦) الدر المصون للحلبي ٩٥/١٠

(٧) مدارك التنزيل ص ١١٨٠

(٨) مقاييس اللغة ص ٥٥٣.

الدائرة ، ويقال فيما كثر وفيما يقلّ من التجاوز ، ولهذا يُستعمَل في الذنب الكبير وفي الذنب الصغير؛ ولذلك يقال لآدم في تعدّيه ظالم وفي إبليس ظالم ، وإن كان بين الظلمين بون بعيد))[١]((والظلم عند أهل اللغة وكثير من العلماء وضع الشيء في غير موضعه المختصّ به إمّا بزيادة أو نقصان ، وإمّا بعدول عن وقته أو مكانه))[٢]

((والهاء والضاد والميم أصل صحيح يدلُّ على كَسْرٍ وضغط وتداخل ، وهضمتُ الشيء : كسرته))[٣] و((الهضم : شَدْخٌ[٤] ما فيه رخاوة٠٠٠قال رخاوة٠٠٠قال تعالى : (وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ){الشعراء : ١٤٨} أي : داخل بعضه في بعض كأنّما شُدِخَ ، والهاضوم ما يهضم الطعام٠٠٠واستعير الهضم للظلم قال تعالى : (فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا){طه : ١١٢}))[٥]((أي : نقصًا وفي التفسير : لا يخاف أن يُظلَمَ فيحمل ذنبَ غيره ، ولا يُهْتَضَمَ فيُنقصَ من حسناته ، ومنه دواء يهضم الطعامَ ، أي : ينقص ثقلُه ، ويقال : هضمتُه واهتضمتُه ، أي : نقصتُه حقّه٠٠٠قيل : والظلم والهضم متقاربان ، وفرّق الماوردي فقال : الظلم منع جميع الحق والهضم منع بعضه))[٦]

وقال العسكري في ((الفرق بين الظلم والهضم أنَّ الهضم نقصان بعض الحق٠٠٠والظلم يكون في البعض والكل ، وفي القرآن (فَلا يَخَافُ

---

(١) المفردات ص ٣٢٧–٣٢٨ وينظر : عمدة الحفّاظ للحلبي ٩/٣

(٢) عمدة الحفّاظ للحلبي ١٠/٣

(٣) مقاييس اللغة ص ٩٣٧

(٤) الشدخ : الكسر

(٥) المفردات ص ٥٦٩

(٦) عمدة الحفّاظ ٢٥٢/٤–٢٥٣

ظُلْمًا وَلا هَضْمًا) أي : لا يمنع حقه ولا بعض حقه ، وأصل الهضم في العربية : النقصان)) [١] وقال الزمخشري : ((الظلم : أن يأخذ من صاحبه فوق حقه ، والهضم : أن يكسر من حق أخيه ، فلا يوفيه له ، كصفة المطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ويسترجحون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يُخسرون ، أي : فلا يخافون جزاء ظلم ولا هضم)) [٢]

فالظلم يكون بمحاسبة الإنسان على إساءة عملها بعقوبة أكثر مما تستحقه ، والهضم يكون بمجازاة الإنسان على إحسان عمله بأجر أقل مما يستحقه ، والمعنى فلا يخاف هذه الزيادة في العقوبة ، ولا يخاف هذا النقصان في الأجر والثواب

–**االعدوان** : ((العين والدال والحرف المعتلّأصل واحد صحيح يرجع إليه الفروع كلّها ، وهو يدلّ على تجاوز في الشيء وتقدّم لما ينبغي أن يقتصر عليه٠٠٠قال الخليل : والعدوان : الظلم الصراح)) [٣] و((العدوان : هو التعدّي في الأمر ، وتجاوز ما ينبغي له أن يقتصر عليه٠٠٠والعدوان والاعتداء والعداء والعدوى والتعدّي: الظلم البراح)) [٤]

((ومن العدوان المحظور ابتداءًقوله تعالى : (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ){المائدة : ٢} ومن العدوان الذي هو على سبيل المجازاة ويصحّ أن يُتعاطى مع من ابتدأ قوله تعالى : (فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ){البقرة : ١٩٣}وقوله تعالى : (وَمَن

(١) الفروق اللغوية ص ٢٦٠.

(٢) الكشاف ٨٦/٣ .

(٣) مقاييس اللغة ص ٦٤٧

(٤) العين ص ٦١١

يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا){النساء : ٣٠} وقوله تعالى : (فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ){البقرة : ١٧٣}))[١]

وقال العسكري : ((الاعتداء أصله تجاوز الحد ، ومنه قيل : عداه جاوزه : إذا جاوز قدره ، وسُمِّي العدو عدوًا ؛ لتجاوزه حد السعي والمشي))[٢] وكذلك قوله تعالى :(أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلا عُدْوَانَ عَلَيَّ){القصص : ٢٨}معناه : أنَّه إذا قضيتُ أحد الأجلين ، فلا يُعتدى علَيَّ بأن يُطلَب مني أن أتجاوز مدة أحدهما .

–**العدوان والبغي** : قالوا في تعريفِ العدوان والبغي أنّه ما تجاوز الحد ولكونهما كذلك فقد قابل القرآن بين كلِ منهما بالإثم ، فقد قرن الإثم بالعدوان في قوله تعالى : (وَلا تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)(المائدة : ٢} فـ((الإثم في أصل اللغة التقصير ، أثمَ يأثم إذا قصّر))[٣]و((الإثم والآثام : اسم للأفعال المبطئة عن الثواب ، وجمعه آثام ولتضمنه معنى البطء قال الشاعر:

جُماليّةٌ تغتلي بالروادف إذا كذب الآثماتُ الهجيرا))[٤]

فقابل بين الإثم والعدوان ؛ لأنّ الإثم تقصير والعدوان ما تجاوز الحدّ فالمراد النهي عن التفريط في العمل وعن الإفراط فيه

وكذلك قابل للمراد نفسه بين الإثم والبغي في قوله تعالى : (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ

---

(١) المفردات ص ٣٣٩

(٢) الوجوه والنظائر ص ٢٧ .

(٣) الفروق اللغوية للعسكري ص ٢٦١

(٤) المفردات للراغب ص ١٤

الْحَـقِّ){الأعراف : ٣٣} قـال الفـرّاء : (((الْإِثْـمَ) مـا دون الحـدّ (وَالْبَغْـيَ) الاستطالة على النّاس))[١]

وبـين البغـي والعدوان فـروق معنوبـة خاصّـة وإن اتحـدا فـي المعنـى العـام فـ((البغي : طلـب تجـاوز الاقتصـاد فيمـا يُتحـرَّى ، تجـاوزه أو لـم يتجـاوزه٠٠٠قـال الحِبّـانيُّ : أصـل البغـي الحسد ، وسُمِّيَ الظلـمُ بغيًـا ؛ لأنّ الحاسد ظالم ، قلتُ : هو داخل في قولنا مجاوزة الحدّ ؛ لأنّ الحاسد تجاوز ما ليس له ، واستدلّ على أنَّ البغي الحسد بقوله تعالى : (وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْـدِ مَـا جَـاءَهُمُ الْعِلْـمُ بَغْيًـا بَيْنَهُمْ){الشـورى : ١٤}))[٢]وجـاء فـي اللسـان : ((وبغى الرجل علينا بغيًا : عدل عن الحقّ واستطال٠٠٠وكلّ مجاوزة وإفراط على المقدار الذي هو حدّ الشيء بَغْيٌ ، وقال اللحياني : بغى على أخيه بغيًا حسده٠٠٠والبغي : أصله الحسد ، ثمّ سُمِّيَ الظلم بغيًا ؛ لأنّ الحاسد يظلم المحسود جُهْدَه إراغة زوال نعمة الله عليه عنه))[٣]

وقال الطبري في تفسير الآية المذكورة (((بَغْيًا بَيْنَهُمْ) يقول : بغيًا من بعضكم على بعض وحسدًا وعداوة على طلب الدنيا))[٤]

فالبغي والعدوان وإن اتحدا بمعنى تجاوز الحدّ فهناك فرق في هذا التجـاوز أنّ فـي تجاوز البغـي شيئًا مضـافًا إلـى تجاوز العدوان ففـي تجـاوز البغي معنى الحسد والطلب والترامي إلى فساد ، وتجاوز الحدّ المحتاج إليه ،

---

(١) معاني القرآن ٢٥٤/١ وينظر : عمدة الحفّاظ للحلبي ٦٣/١

(٢) عمدة الحفّاظ ٢١٥/١ والحبّاني هو محمد بن حِبّان بن أحمد بن معبد التميمي ، أبو حاتم البستي توفي سنة ٣٥٤هـ = ٩٦٥م ينظر : الأعلام للزركلي ٧٨/٦

(٣) لسان العرب لابن منظور ١٢٢/٢ ((وراغ فلان إلى كذا مال إليه سرًّا ، وأرغتُ الصيد إراغة طلبتُه وأردته)) المصباح المنير ص ٢٤٦

(٤) جامع البيان ٢٢/٢٥

وتجاوزه منزلته إلى ما ليس له ، وفي البغي ((الاستطالة على الناس))[١]وهذا هو المعنى االمراد من قوله تعالى : (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ){القصص : ٧٦} وقال تعالى : (فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ){الحجرات : ٩}

والدليل على أنّ بينهما فرقًا في الدلالة اقترانهما في قوله تعالى : (فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ){البقرة : ١٧٣} قال الراغب : (((غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ : غير باغ لتناول لذة ، ولا عاد ، أي : متجاوز سدّ الجوعة))[٢]وقال الحلبي : (قوله :(فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ) أي : ولا متجاوز ما حدّ له يقال : عدا يعدو وعُدوانًا : إذا تجاوز ما حُدَّ له))[٣]

وقال : ((وقيل : البغي : الاستطالة على الناس والكبر ومنه قوله تعالى : (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ){الأعراف : ٣٣}٠٠٠وقوله تعالى : (فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ){البقرة: ١٧٣} أي : غير متعدٍّ ما حُدَّ له ، وقال ابن عرفه (غَيْرَ بَاغٍ) غير طالبها وهو عند غيرها (وَلَا عَادٍ) أي : غير متعدٍّ ما حُدَّ له٠٠٠وقيل : (غَيْرَ بَاغٍ) أي : غير طالب ما ليس له طلبه ، ولا متجاوز لِما رُسِمَ له))[٤]أي : أنّ العدوان يعني تجاوز الحدّ ، والبغي يعني ذلك مع طلبه وتحرّيه

–**الظلم والبغي** :فرّق العسكري بين الظلم والبغي بـ((أنّ الظلم ما ذكرناه (وهو نقصان الحقّ) والبغي شدّة الطلب لِما ليس ليس بحقّ بالتغليب ،

---

(١) عمدة الحفّاظ ٦٣/١

(٢) المفردات ص ٣٣٩

(٣) عمدة الحفّاظ ٣٩/٣

(٤) عمدة الحفّاظ ٢١٥/١

وأصله في العربية شدّة الطلب ، ومنه يقال : دفعنا بغيَ السماء خلفنا ، أي شدة مطرها ، وبغى الجرح يبغي : إذا ترامى إلى فساد يرجع إلى ذلك ، وكذلك البغاءوهو الزنا ، وقيل في قوله تعالى : (وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ){الأعراف : ٣٣} إنّه يريد الترؤس على الناس بالغلبة والاستطالة))[١]

-**القسْطُ** :((القاف واالسين والطاء أصل صحيح يدلُّ على معنيين متضادّين والبناء واحد ، فالقِسْط (بكسر القاف) العدل ويقال منه: أقسط يُقْسِط قال الله تعالى : (إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ){المائدة : ٤٢ ، الحجرات : ٩ ، الممتحنة : ٨} والقَسْطُ (بفتح القاف) : الجور ، والقُسوط العدول عن الحقّ يقال : قَسَطَ إذا جار يَقْسِطُ قَسْطًا٠٠٠ومن الباب الأوّل : القِسْطُ (بكسر القاف) : النصيب ، وتقّسْطنا الشيءَ بيننا، والقِسطاس : الميزان ، قال الله سبحانه : (وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ){الإسراء : ٣٥ ، الشعراء : ١٨٢}))[٢]و(الإقساط : العدل في القسمة والحكم ، وتقول : أقسطتُ بينهم وأقسطتُ إليهم---والقِسْطُ : الحُصَّة التي تنوبه ، وتقسّطوا بينهم الشيءَ ، أي : اقتسموه بالتسْوية فكلّ مقدار قِسْط في كلّ شيء))[٣]

و((القِسْطُ : هو النصيب بالعدل كالنَّصَف والنَّصْفة قال تعالى : (وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ){الرحمن : ٩} والقَسْطُ (بفتح القاف) هو أن يأخذ قِسْط غيره ، وذلك جَوْر ، والإقساط أن يُعطِيَ قِسْطَ غيره ، وذلك إنصاف ، ولذلك قيل قَسَطَ الرجلُ إذا جار ، وأقسط إذا عدل قال

(١) الفروق اللغوية ص ٢٦٠

(٢) مقاييس اللغة ص ٧٧٤

(٣) العين ص ٧٨٨

تعالى : (وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا){الجنّ : ١٥}وقال تعالى : (وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ){الحجرات : ٩}))[١]

وصفوة ما تقدّم ذكره في الفرق بين البغي والجور والحيف وضيزى والظلم والعدوان والقسط والهضم أنّ :

البغي : هو كالعدوان تجاوز للحدّ ، مضافًا إليه طلبه وتحرّيه والاستطالة على النّاس بدافع الكبر والحسد

والجور هو الميل عن دين الله الحق المستقيم

والحيف هو الميل في الحكم والقضاء عن اتباع الحق والعدل

وضيزى : من ضاز في الحكم يضيزه ضَيْزًا نقصه حقَّه وبخسه ومنعه ، ولم ترد إلّا في قضية الحكم في القسمة ، وهي جعل المشركين البنات لله والبنين لهم ، ويمكن القياس بجواز تسمية كل قسمة على نحوها بأنّها قسمة ضيزى ، وهي أن يُعطى أرذل الناس القسمة الأسمى ، ويعطى لأكرمهم القسمة الأدنى ، وكذلك من يساوي أدنى الأشياء بأعلاها كما مرّ في قول الشاعر : ضازتْ بنو أُسْدٍ بحكمهم إذ يجعلون الرأسَ كالذنبِ

الظلم : لفظ عامّ أو اسم جنس ؛ لأنّه يعني وضع الشيء في غير موضعه ، لذلك جاز أن يُطلَق على كل أنواع الظلم ، ثمّ يحدد نوعه حسب السياق كما حصل هذا عند اقترانه بالهضم

والعدوان : تجاوز للحدّ المرسوم له وتعدٍّ لما ينبغي أن يقتصر عليه ويفترق عن البغي بأنّه لا يفيد معنى الطلب والحسد والاستطالة على الناس

والقَسْط (بفتح القاف) : هو أن يأخذ المرء قِسْط غيره ، أي : أن يأخذ حقّ غيره ، ولذلك قيل قَسَطَ الرجلُ إذا جار ، وأقسط إذا عدل

والهضم : من هضم حسنات المحسن ونقص حقّه

---

(١) المفردات ص ٤٢٠ وينظر : عمدة الحُفّاظ٣/٣٠٦-٣٠٧

٢٧-البغيّ والزانية والمسافحة : الزانية : ((الزنا : وطء المرأة منغير عقد شرعيّ قال تعالى : (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ){النور : ٢}))(١)

فهذا هو المعنى الأصلي والعام والمطلق للزنا ، فإذا اتخذت الزانية الزنا مهنة لها ، تمارسه مع كلّ الرجال فتكون حينئذ قد بغت وفجرت ؛ لذلك تسمّى بغيًّا قال الله تعالى : (وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا){النور : ٣٣}))(٢) وقال تعالى : (قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا){مريم : ٢٠}

فإذا اتخذت لها خليلًا وعاشرته كما تعاشر المرأة زوجها ومن دون عقد شرعي سميت مسافحة ، وهذا ما فُهِم من قوله تعالى : (مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ){النساء : ٢٥} والأخدان جمع الخدن وهو الخليل المصاحب(٣)

٢٨-بكّة ومكّة : بكّة :قال الخليل : ((البكّ دقُّ العنق ، وسُمِّيتْ بكّة ؛ لأنّ الناس يبكُّ بعضهم بعضًا في الطّواف ، أي : يدفع بعضهم بالازدحام ، ويقال : بل سُمِّيت ؛ لأنّها كانت تبكُّ أعناق الجبابرة إذا ألحدوا فيها بظلم))(٤) وقال ابن فارس : ((الباء والكاف في المضاعف أصل يجمع التزاحم والمغالبة٠٠٠تبكُّ : تزدحم ، قال ابن الأعرابي : تباكّت الإبل : إذا ازدحمت عل الماء فشربت))(٥)

---

(١) المفردات ص ٢٢٢ وينظر : عمدة الحفّاظ ١٤٩/٢

(٢) المفردات ص ٦١

(٣) ينظر : المفردات ص ١٥٠

(٤) العين ص ٨٤

(٥) مقاييس اللغة ص ٧٠-٧١

وسُمِّي المسجد الحرام بـ(بكّة) ((من التباكّ ، أي : الازدحام ؛ لأنّ النّاس يزدحمون فيه للطواف))[1]((وفي الحديث : فتباكَّ النّاسُ عليه . أي : ازدحموا ، وقيل : مكّة اسم للبلد ، وبكّة اسم لبطنها ، وهو جميع المسجد ، وقيل : بل اسم لموضع الطَّواف ؛ لأنّ النّاس يتباكّون فيه ، أي يزدحمون ، وقيل : بل اسم للبيت خاصّة ؛ لأنّه يبكُّ من قصده بسوء ؛ ولأنّ النّاس يتباكّون حوله)) [2]

-**مكة** : ((الميم والكاف أصل صحيح يدلّ على انتقاء العظم ، ثمّ يقاس عليه ، يقولون : تمكَّكتُ العظمَ : أخرجتُ مُخَّه ، وامتكَّ الفصيل ما في ضرع أُمِّه : شربه ، والتمكّك : الاستقصاء...ويقال : سُمّيت مكّة لقلّة الماء فيها ، كأنّ ماءها قد امتكَّ . وقيل : سُمِّيت لأنّها تَمُكُّ من ظلم فيها ، أي : تُهلكهوتقصمه كما يمكّ العظم ، وينشدون : يا مكّةُ الفاجرَمُكِّي مَكًّا))[3] و((قال الخليل : سُمِّيت بذلك ؛ لأنّها وسط الأرض كالمخّ الذي هو أصل ما في العظم))[4]

وقد وردت مكّة في موضع واحد هو قوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ){الفتح : ٢٤}وكذلك وردت بكّة في موضع واحد هو قوله تعالى : (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ){آل عمران : ٩٦}(((إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ) والواضع هو الله سبحانه ، ومعنى وضع الله بيتًا للنّاس أنّه جعله متعبَّدًا لهم فكأنّه قال : إنّ أوّل متعبَّد للناس الكعبة ، وفي الحديث : إنّ المسجد الحراموُضِع قبل

---

(١) المفردات ص ٦٢

(٢) عمدة الحفّاظ ١/٢٢١-٢٢٢

(٣) مقاييس اللغة ص ٨٤٣-٨٤٤

(٤) المفردات ص ٤٩١ وينظر : عمدة الحفّاظ ١٠٤/٤

بيت المقدس بأربعين سنة ، قيل : أول من بناه إبراهيم عليه السلام ، وقيل : هو أوّل بيت حجّ بعد الطوفان))[١]

وتأمّل إعجاز القرآن الكريم أنّه قال (**مكّة**) في سياق التعريف بها أنّها مكان من الأمكنة ، أو بلد من البلدان ، وقال (**بكّة**) في سياق كونها بيتًا يحجّ إليها النّاس ويزدحمون فيها عند تأدية مناسك الحج كالطواف فيها حول الكعبة

٢٩ –االبلد ، والقرية ، والمدينة ، والمصر : البلد : ((البلد : كلّ موضع مُسْتَحيز من الأرض ، عامر أو غير عامر ، خال أو مسكون ، والطائفة منه بلدة ، والجميع البلاد ، والبلد : اسم يقع على الكورة))[٢]والكورة : الصقع[٣] والصقع : الناحية من البلاد [٤] ((والبلد : المكان المختطّ المحدود المتانِّس باجتماع قطّاعه وإقامتهم فيه ، وجمعه بلاد وبلدان)) [٥] ((والبلد هو المكان المحدود ، وغالبًا يكون مُسّوَّرًا ، وقد لا يكون)) [٦] ((والبلد : كل موضع من الأرض غامر ، أو عامر ، مسكون ، أو خال ، والقطعة منه بلدة))[٧]

---

(١) مدارك التنزيل ص١٧٣

(٢) العين للخليل ص ٨٤

(٣) المصباح المنير ص ٥٤٣

(٤) المصباح المنير ص ٣٤٥

(٥) المفردات للراغب ص ٦٤

(٦) المفردات للراغب ص ٦٤

(٧) الكليات للكفوي ص ١٨٨

وقال الحلبي : ((وقوله : ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا﴾{البقرة : ١٢٦} يعني مكّة ، وقال تعالى في موضع آخر : ﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾{التين : ٣} فأتى بمكّة مُعَرّفًا ومُنَكّرًا ، فقيل : إنّه في حال التنكير لم يكن بلدًا بل كان بريّة ، فقال : اجعل في هذا المكان القفر بلدًا من بلدان الناس يسكنونه لعمارة حرمك وزيارة نبيّك ، وفي حال التعريف كان قد صار بلدًا وسُكنى فأتى به مُعرَّفًا ، وقيل : لأنّه عليه الصلاة والسلام علم أن يكون به سكن النّاس ، أتى به كالشاهد)) [١] وقال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾{ابراهيم : ٣٥}((والفرق بين هذه وبين ما في البقرة أنّه قد سأل فيها أن يجعله من جملة البلدان التي يأمن أهلها ، وفي الثاني أن يخرجه من صفة الخوف إلى الأمن ، كأنّه قال : هو بلد مخوف فاجعله آمنًا)) [٢]

-**القرية** :ذُكِرت القرية في القرآن الكريم في خمسة وثلاثين موضعًا ، وتسمَّى القرية قرية إذا أريد منها معنى ((الأبنية التي تجمع الناس ، من قولهم : قريتُ الماء في الحوض إذا جمعته)) [٣] و((القرية سُمِّيتْ قرية لاجتماع الناس فيها...وجمع القرية قُرى)) [٤] ((فاشتقاق القرية من قريتُ...ويقال لبيت النمل قرية ؛ لأنَّه يجمع النمل ، فالقرية تجمع

---

(١) عمدة الحفاظ للحلبي ٢٢٦/١

(٢) مدارك التنزيل تفسير النسفي ص ٥٧١

(٣) الكليات للكفوي ص ٦١٨

(٤) مقاييس اللغة لابن فارس ص ٧٧١

أهلها))[١]والقرية هي أول مكان يُجتمع فيها للسكنى ؛ لذلك يكون أول من يؤسسها ناس يربط بينهم نسب واحد كأولاد العمّ والأقارب ،

–**المدينة** :المدينة من((مَدَنَ بالمكان أقام به ، ومنه المدينة ، وهي فَعيلة ، وتُجمع على مدائن ، بالهمز...وفيه قول آخر : أنَّه مَفعِلة من دِنْتُ ، أي : مُلِكْتُ...وسُئِلَ أبو علي الفسوي عن همزة مدائن فقال : فيه قولان ، مَن جعله فَعيلة من قولك : مَدَنَ بالمكان أقام به همزه ، ومن جعله مَفْعِلَة ، من قولك دِينَ ، أي : مُلِكَ ، لم يهمزه ، كما لا يهمز معايش ، والمدينة : الحصن يُبنى في أُصْطُمَّةٍ الأرض[٢] مشتق من ذلك ، وكلُّ أرض يُبنى بها حصن في أصْطُمَّتها فهي مدينة ، والنسبة إليها مديني ، والجمع مدائن ومُدُن...والمدينة : اسم مدينة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة غلبتْ عليها تفخيمًا لها ، شرَّفها الله وصانها))[٣] ((والمدينة : البلدة التي كثر سكانها ، مدن بالمكان : أقام فيه))[٤]

فإذا أريد هذا المعنى استعمل لفظ المدينة ، كما استعمله في قوله تعالى : (وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ){التوبة : ١٠١} وقوله تعالى : (إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ){الأعراف : ١٢٣} وقوله تعالى : (مَا

---

(١) الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ١٤٣/١تفسير قوله تعالى : (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً){البقرة : ٥٨}

(٢) ((والأُسْطُمُّ مجتمع البحر ، وأُسْطُمَّة كلِّ شيء معظمه)) ووسطه ، والأُصْطُمَّة لغة في الأُسْطُمَّة . لسان العرب ١٨٣/٧

(٣) لسان العرب ٤٠/١٤

(٤) عمدة الحفاظ للحلبي ٧٩/٤ وينظر : بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ٤٩٠/٤

كَانَ لاهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللّهِ){التوبة : ١٢٠}

والقرية تُسمَّى مدينة إذا اتخذت للإقامة والاستقرار فيها ؛ لأنّه عند ذلك يكثر سكانها ، وتتعدد وتختلف طوائفها فتنمو وتتطور بينهم علاقاتهم ، حتى يصبحوا ذوي حضارة وتمدّن

ولأنّ سكان القرية يجمعهم نسب واحد ومذهب واحد ، فهم إمّا أن يكونوا أمّة واحدة على الظلم والكفر ، أو أمّة واحدة على الهدى والإيمان ، بخلاف سكان المدينة فلا يخلو أهلها من مؤمنين وكافرين ، والله لا يُحلّ عذابه على أهل بلدة إلّا إذا عمّ فيها الفجور ؛ لذلك اقترن عقاب الله وعذابه بالقرية من دون المدينة من ذلك قول الله تعالى : (وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ){الأعراف : ٤} وقوله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ){الأعراف ٩٤} وقوله تعالى : (وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا){الإسراء : ٥٨}

ولذلك قيل في قوله تعالى : (فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا){الكهف : ٧٧} وقوله تعالى : (وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا){الكهف : ٨٢} والمدينة هنا هي القرية نفسها إلّا أنّه سمّاها قرية في قوله تعالى : (حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا) لما كانت في سياق اجتماع كلّ أهلها على عدم قبول ضيافة الخضر وموسى عليه السلام ، وسمّاها مدينة

لمّا ذكر أنّ فيها من هو صالح ، وهو أبو اليتيمين ، فكان السياق هنا مختلفًا عمّا كان هناك ، فاختلفت التسمية لاختلاف السياقين والله أعلم

–**المصر** :((والمِصْر ، وهو الحدّ ، يقال : إنّ أهل هَجَر يكتبون في شروطهم : اشترى فلان الدار بمصورها ، أي : حدودها٠٠٠والمصر : كلّ كورة يقسم فيها الفيء والصدقات)) [(١)]((والمصر : كلّ كورة تقام فيها الحدود ، وتُغزى منها الثغور ، ويُقسّم فيها الفيء والصدقات من غيرمؤامرة الخليفة ، وقد مصَّر عمر بن الخطّاب سبعة أمصار منها : البصرة ، والكوفة ، فالأمصار عند العرب تلك ، وقوله تعالى : (اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ){البقرة : ٦١}من الأمصار ؛ ولذلك نوَّنه ، ولو أراد مصر الكورة بعينها لما نوَّن ؛ لأنّ الاسم المؤنث (يعني العلم المؤنث) في المعرفة لا يُجرى (أي :لا يُصْرَف) ومصرُ : هي اليوم كورة معروفة بعينها لا تُصْرَف))[(٢)]لذلك فإنّ ((قوله تعالى : (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ){يوسف : ٩٩} هي هذا البلد المعروف ؛ ولذلك مُنعت من الصرف بخلاف (اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ){البقرة : ٦١}من الأمصار ، وقيل : هي بلد بعينه ، وإنّما صُرِف لخفة لفظه نحو هند وليس بصحيح ؛ لأنّه أعجمي٠٠٠ولذلك قال بعضهم إنّه مُعَرّب من مِصراييم ، وقيل : بل عربيّ الوضع)) [(٣)]

فهو على كلّ حال ممنوعة من الصرف إن لم يكن للعلمية والعجمة ، فللعلمية والتأنيث

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ص ٨٦٣ وينظر : عمدة الحفاظ للحلبي٤/٩٥

(٢) العين لخليل ص ٩١٣

(٣) عمدة الحفاظ للحلبي٤/٩٥

وقد وردت (مصر) في القرآن الكريم في خمسة مواضع جاءت بمعنى البلد المعروف في أربعة مواضع وهي الموضع المذكور ، وقوله تعالى : (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا){يونس : ٨٧} وقوله تعالى : (وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ){يوسف : ٢١} وقوله تعالى (وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ){الزخرف : ٥١} وقد وردت (مصر) في هذه المواضع الأربع ممنوعة من الصرف ؛ لأنّ المراد بلد بعينه ، البلد العربي المعروف ، فهي علم مؤنّث ، وجاءت مصروفة في موضع واحد وهو الموضع المذكور : ((اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ){البقرة : ٦١}أي : اهبطوا مصرًا من الأمصار

تقدم تعريف أهل اللغة للبلد بأنّه ((المكان المختطّ المحدود)) [١] ((والبلد هو المكان المحدود)) [٢] ((والبلد : كل موضع من الأرض غامر ، أو عامر ، مسكون ، أو خال ، والقطعة منه بلدة))[٣]

وتقدّم تعريف المصر بأنّه ((الحدّ ، يقال : إنّ أهل هَجَر يكتبون في شروطهم : اشترى فلان الدار بمصورها ، أي : حدودها٠٠٠والمصر : كلّ كورة يقسم فيها الفيء والصدقات)) [٤] ((والمصر : كلّ كورة تقام فيها الحدود ومصرُ)) [٥]

(١) المفردات للراغب ص ٦٤

(٢) المفردات للراغب ص ٦٤

(٣) الكليات للكفوي ص ١٨٨

(٤) مقاييس اللغة لابن فارس ص ٨٦٣ وينظر : عمدة الحفاظ للحلبي٤/٩٥

(٥) العين لخليل ص ٩١٣

فإذا كان البلد ما له حدود تفصله عن نظائره ، والمصر ما له حدود تفصله عن نظائره فما الفرق إذن بينهما ؟ وقد تبيّن بأنّ المراد من الأمصار ما يقابل الأقاليم ضمن الدولة الواحدة فقد تقدّم تعريف الخليل للمصر قوله : ((وقد مصَّر عمر بن الخطّاب سبعة أمصار منها : البصرة ، والكوفة ، فالأمصار عند العرب تلك)) [١] فهذا هو المصر أمّا البلد فهو ما يقابل الدولة ، والبلاد الإسلامية يعني الدول الإسلامية .

وقد عرّفوا البلدة بقولهم ((البلد : كلّ موضع مُسْتَحيز من الأرض ، عامر أو غير عامر ، خال أو مسكون ، والطائفة منه بلدة))[٢] وبقولهم : ((والقطعة منه بلدة))[٣]وقد وردت البلدة في خمسة مواضع : في قول الله تعالى : (إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا){النمل : ٩١} يعني مكّة [٤]وقوله تعالى : (كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ){سبأ : ١٥}[٥] ((وقال ابن عبّاس : كانت سبأ على ثلاث فراسخ من صنعاء)) وقوله تعالى : (وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ){الزخرف : ١١} وقوله تعالى : (رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ){ق : ١١} وقوله تعالى : (لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا){الفرقان : ٤٩}

فتكون البلدة قطعة من البلد ، أو جزءًا منه

---

(١) العين لخليل ص ٩١٣

(٢) العين للخليل ص ٨٤

(٣) الكليات للكفوي ص ١٨٨

(٤) مدارك التأويل تفسير النسفي ص ٨٥٨

(٥) مدارك التأويل تفسير النسفي ص ٩٦٠

٣٠-**البهائم والدوابّ** : ((البهيمة ما لا نطق له ؛ وذلك لما في صوته من الإبهام لكن خُصَّ في التعارف بما عدا السباع والطير فقال تعالى : (أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ){المائدة : ١})) [١]

والدوابّ اسم يُطلَق على كلّ شيء يدبُّ على الأرض وقوله تعالى : (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ){الأنفال : ٥٥} فإنّها في جميع الحيوانات وقال تعالى : (وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّـهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا){هود : ٦} [٢]

فالبهائم ما لا نطق لها ما عدا السباع والطير ، والدواب كلّ ما يدبّ على الأرض من إنسان وحيوان وطير

٣١-البيت ، والدار ، والقصر ، والمأوى ، والمسكن ،والمنزل :

-**البيت** : ((البيت من بيوت النّاس وبيت من أبيات الشعر وبيوتات العرب أحياؤها ٠٠٠ومن فسّر بات على النوم فقد أخطأ ، ألا ترى أنّك تقول : بتُّ أراعي النجوم، معناه : بتُّ أنظر إليها فكيف نام وهو ينظر إليها؟)) [٣]

((والبيت من بات يبيت بيتوتة ومبيتًاومباتًا فهو بائت ، وتأتي نادرًا بمعنى نام ليلًا ، وفي الأعمّ الأغلب بمعنى فعل ذلك الفعل ليلًا ، كما اختصّ الفعل في ظلّ بالنهار ، إذا قلتَ : بات يفعل كذا فمعناه فعله بالليل ، ولا يكون إلّا مع سهر الليل وعليه قوله تعالى : (وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا){الفرقان: ٦٤}٠٠٠وبات الرجل إذا سهر الليل كلّه في طاعة أو معصية ، وقال الليث : من قال : بات بمعنى نام فقد أخطأ ألا ترى أنّك تقول : بات يرعى النجومَ ، ومعناه : ينظر إليها ، وكيف ينام من يراقب

---

(١) المفردات للراغب ص ٦٩ وينظر : عمدة الحفّاظ ٢٣٨/١-٢٣٩

(٢) ينظر المفردات للراغب ص ١٧١ وعمدة الحفّاظ ٣/٢

(٣) العين ص ٩٦

النجوم٠٠٠والبيت : المسكن٠٠٠وبيت العرب شرفها))[١]((والبيت : مجمع الشمل٠٠٠ومنه يقال لبيت الشعر بيت على التشبيه ؛ لأنّه مجمع الألفاظ والحروف والمعاني على شرط مخصوص وهو الوزن٠٠٠والبيت : عيال الرجل والذين يبيت عندهم)) [٢]((وأصل البيت مأوى الإنسان بالليل ؛ لأنّه يقال بات أقام بالليل ، كما يقال ظلّ بالنهار ٠٠٠وعُبِّر عن مكان الشيء بأنّه بيته ، وصار أهل البيت متعارفًا في آل النبيّ عليه الصلاة والسلام٠٠٠وبيت الله والبيت العتيق مكّة قال الله عز وجلّ : (وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ){الحج : ٢٩}))[٣]

سُمّي البيت بذلك ؛ لأنّه مكان يُتّخذ للمبيتكقوله تعالى : (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ){الأنفال : ٥}((مِن بَيْتِكَ) يريد بيته بالمدينة أو المدينة نفسها))[٤]

–**الدار** :((الدار : المحلُّ يجمع البناء والعرصة [٥] والعَرْصَة أنثى قال ابن جني : هي من دار يدور لكثرة حركات الناس فيها...والدار اسم جامع للعرصة والبناء والمحلَّة ، وكلُّ موضع حلّ به قوم ، فهو دارهم ، والدنيا دار الفناء ، والآخرة دار القرار ، ودار السلام)) [٦]

---

(١) المصباح المنير ص ٦٧–٦٨

(٢) مقاييس اللغة ص ١٢٠

(٣) المفردات ص ٦٩–٧٠

(٤) مدارك التنزيل ص ٤٠٤

(٥) ((وعَرْصَة الدار وسطها ، وقيل هو ما لا بناء فيه ، والعَرْصَة : كل بقعة بين الدور ليس فيها بناء ، وقيل : هي كلُّ موضع واسع لا بناء فيه)) لسان العرب ٩٨/١٠

(٦) لسان العرب ٣٢٥/٥

و((قوله تعالى : (تِلْكَ الدَّارُ الأخِرَةُ){القصص : ٨٣} هي المنزل ، سُمِّيتْ دارًا لدوران أهلها بها ، أو لدورانها هي بأهلها ، وإحاطتها بهم...وتُطلَق ، ويراد بها البلد ، والضِّيع ، والدنيا كلّها ، ومنه قيل : دار الدنيا ، ودار الآخرة ، وتطلق الدار على الجنَّة ، كقوله تعالى : (لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ){الأنعام : ١٢٧} وعلى النار : قال تعالى : (دَارَ الْبَوَارِ){إبراهيم : ٢٨})) [١]

–**القصر** : ((والقصر : الحبس ومنه حديث معاذ : فإنّ له ما قصره في بيته أي : حبسه ، وفي حديث أسماء الأشهلية : إنّا معشر النساء محصورات مقصورات ، أي : محبوسات ممنوعات٠٠٠والقصر من البناء معروف٠٠٠سُمِّي بذلك لأنّه تُقْصَرُ فيه الحُرَمُ ، أي : يُحْبَسُ وجمعه قصور وفي التنزيل: (وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا){الفرقان : ١٠})) [٢] والقصر هو البناء الضخم والبيت الفخم الواسع [٣] لأنّه في الأصل يبنى لحبس محارم الرجل فيه من أجل أن لا تُرى من الأجانب ؛ لذلك يكون ما ضخم بناؤه وعلا سياجه قال تعالى : (فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ){الحج : ٤٥} (((وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ) مجصص من الشيد أو مرفوع من شادَ البناءَ رفعه)) [٤]وقال تعالى : (تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا){الفرقان : ١٠}وهذا يدلّ على أنّ القصور ما كان أفخم البيوت وأوسعها وأعلاها وكان لا يملكها إلّا الملوك وأشراف الملأ وكبار السادة

---

(١) عمدة الحفاظ ٢/٣٠-٣١

(٢) تاج العروس ١٣/٢٣٣

(٣) ينظر : تهذيب اللغة ٣/ ٢٧٥٣ ، ٢٩٧٢

(٤) ينظر : مدارك التنزيل ص٧٤٢

المأوى: المكان ألذي يأوي إليه الإنسان والحيوان [1]

المسكن : وهو من ((السكون ثبوت الشيء بعد تحرّك ، ويستعمل في الاستيطان نحو : سكن فلان مكان كذا ، أي : استوطنه ، واسم المكان مَسْكَن قال تعالى : (تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ){الفرقان : ٢٥})) [2]

المنزل :والمنزل موضع النزول[3]فالمنزل اسم مكان للنزول ، فكل مكان يُنزَل فيه يُسمَّى منزلاً

وصفوة ما تقدّم ذكره أن يُسمَّى الموضع حسب الصفة المرادة منه ، فأنَّا أسمي مثلًا بيتي بيتًا إذا أردتُ معنى المبيت فيه ليلًا ، وأسميه منزلًا إذا أردت معنى النزول فيه ، وأسميه مسكنًا إذا أردت منه معنى هدوئي وسكوني فيه عن الحركة أو قلتها ، ومعنى اتخاذي إياه للجلوس والراحة ، وأسمّيه قصرًا إذا أردتُ منه معنى البناء والسياج العالي لقصر محارمي فيه ، وحجب أنظار الأجانب عنهنَّ ، وأسميه مأوى إذا أردت معنى الرجوع واللجوء إليه بعد كلِّ طواف أطوفه خارجه ، وأسميه دارًا إذا أردتُ معنى دوراني فيه لسعته وتعدد مرافقه ، فهذه الأسماء ، وإن ترادفت واتحدت في المعنى العام تفترق عن بعضها بمعانيها الخاصة المذكورة ، والبليغ يختار منها ما يلائم المقام ، فوضع بعضها في سياق الآخر إخلال بهذه البلاغة ، وبحسن التعبير ودقته وتسمَّى دارًا إذا أريد منها المعنى الذي ذكره أهل اللغة للدار ، هذا هو كلام أهل الفصاحة والبلاغة ، وإذا جاء في كتب اللغة والتفسير تسمية بعضها

---

(١) ينظر : العين ص ٤٩الصحاح للجوهري ص ٤٨ والمصباح المنير ص ٣٢

(٢) المفردات ص ٢٤٤

(٣) ينظر : العين ص ٤٩ والصحاح للجوهري ص ٤٨ والمصباح المنير ص ٦٠١

ببعض ، ، فإنَّما يقولون ذلك من باب تعريف اللفظ بما يرادفه ، أي : تعريفه بالقريب من معناه ، فلا يقصدون أنَّهامتطابقة في دلالاتها

وقد ظهر أنّ القصر ما كان أفخم من الدار ، والدار ما كان أفخم من البيت ، فالبيت أقلّهم شأنًا ، بعد ذلك تأمّل قوله تعالى : (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ){التحريم : ١١}فامرأة فرعون لم تقل : ربّ ابن لي عندك دارًا أو قصرًا بل بيتًا ؛ لأنّهلم تكن غايتها من طلبها أن يكون لها دار واسع أو قصر فخم ، بل كانت غايتها من طلبها أن تكون عند جوار الربّ ففكّرت بالجار ولم تفكر بالدار

والدار كما تقدم اسم جامع للعرصة والبناء والمحلَّة ، وكلُّ موضع حلّ به قوم ، فهو دارهم ، وهي من دار يدور لكثرة حركات الناس فيها [١] وسُمِّيتْ دارًا لدوران أهلها بها ، أو لدورانها هي بأهلها[٢] والقرآن الكريم اختار لفظ (ديّار) في قوله تعالى : (وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا){نوح : ٢٦} ليكون ملائمًا للمقام ، لأنَّه أراد أن يذكر بأنَّه أخذهم وهم يدورون ، يذهبون ويجيئون في أذى نبيهم صالح حتى بلغ سعيهم الطائش إلى عقر الناقة التي بعثها الله إليهم آية

باب التاء

١-تاب الله عليه وعفا عنه وغفر له وكفَّر عنه :و((وتاب الله عليه : غفر له وأنقذه من المعاصي ، فهو توّاب مبالغة واستتابه سأله أن يتوب))[٣]((وتاب الله عليه : عاد عليه بالمغفرة٠٠٠والله التوّاب يتوب على

---

(١) ينظر : لسان العرب ٣٢٥/٥

(٢) عمدة الحفاظ ٣٠/٢-٣١

(٣) المصباح المنير ص ٧٨

عبده بفضله إذا تاب إليه من ذنبه٠٠٠وقوله تعالى : (عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ){المزمّل : ٢٠} أي : رجع بكم إلى التخفيف ، وقوله تعالى : (عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ){البقرة : ١٨٧} أي : أباح لكم ما كان حُظِر عليكم))[١]

((قال المفسّرون : كان الجماع في أوّل فرض الصيام محرّمًا في ليالي الصيام والأكل والشرب بعد العشاء الآخرة ، فأحلّ الله تعالى ذلك كلّه إلى طلوع الفجر٠٠٠وقال الوالي عن ابن عبّاس : كان المسلمون في شهر رمضان إذا صلّوا العشاء الآخرة حُرِّم عليهم النساء والطعام إلى مثلها من القابلة ، ثمّ إنّ ناسًا أصابوا من الطعام والنساء في شهر رمضان بعد العشاء (فبكوا وندموا) فشكوا ذلك إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأنزل الله تعالى هذه الآية (عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ)))[٢]

((والتوبة من الله على عباده الرجوع بهم من المعصية إلى الطاعة ، ومنه قوله تعالى : (فَتَابَ عَلَيْكُمْ)في قوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ){البقرة : ٥٤}وقد يكون الرجوع بهم من الحظر إلى الإباحة كقوله تعالى : (فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا

(١) تهذيب اللغة للأزهري ٢١٦/١ وينظر : الجامع لأحكام القرآن للقطبي ٢٥٧/١ ولسان العرب : ٢٤٤/٢

(٢) الوسيط للواحدي : ٢٨٥/١-٢٨٦ وينظر : جامع البيان للطبري ١٩٣/٢-١٩٤ ومدارك التنزيل للنسفي ص ٩٩

عَنكُمْ){البقرة : ١٨٧} أي : أباح لكم ما حظره ، وقد يكون من الأثقل إلى الأخفّ كقوله تعالى : (عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ){المزمّل : ٢٠}))[١]

وفي البصائر : ((وتاب الله عليه : وفّقه للتوبة ، أو رجع به من التشديد إلى التخفيف ، أو رجع عليه بفضله ، وقبوله))[٢] ((وقوله تعالى : فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ){البقرة : ٣٧}أي : قبل توبته ، أو وفقه للتوبة وكان ذلك))[٣]

وقوله تعالى : (((فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ){المائدة : ٣٩}يقبل توبته))[٤]

وقوله تعالى : (((وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ){المائدة : ٧١}قال مقاتل : (ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) يقول : تجاوز عنهم فرفع عنهم البلاء ، فلم يتوبوا بعد رفع البلاء))[٥] وقال الزجّاج : (((ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) أي : أرسل إليهم محمّدًا يعلمهم أنّ الله جلّ وعزّ قد تاب عليهم إن آمنوا وصدّقوا، فلم يؤمنوا أكثرهم))[٦] وقال ابن الجوزي : (((ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) فيه قولان :

أحدهما رفع عنهم البلاء ، قاله مقاتل ، وقال غيره هو ظفرهم بالأعداء ، وذلك مذكور في قوله تعالى : (ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا){الإسراء : ٦}

---

(١) عمدة الحفّاظ للحلبي ١/٢٧٠-٢٧١

(٢) بصائر ذوي التمييز ٢/٣٠٤

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١/٢٥٧

(٤) مدارك التنزيل للنسفي ص ٢٨٤

(٥) تتفسير مقاتل ١/٣١٣

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٢/١٥٨

والثاني : أنّ معنى (تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) أرسل إليهم محمَّدًا صلى الله عليه وسلّم يعلمهم أنّ الله قد تاب عليهم إن آمنوا وصدّقوا))[١]

فهذا هي معاني توبة الله على عباده أمّا عفوه عنهم ومغفرته لهم لهم فقد قال الخليل : ((العفو : تركك إنسانًا استوجب عقوبة))[٢] وقال ابن فارس : ((عفو الله عن خلقه ، وذلك تركه إيّاهم فلا يعاقبهم قال الخليل : وكلّ من استحقّ عقوبة فتركته فقد عفوتَ عنه ، وهذا الذي قاله صحيح ، وقد يكون أن يعفو الإنسان عن الشيء بمعنى الترك ، ولا يكون ذلك عن استحقاق ، ألا ترى أنّ النبيّ عليه الصلاة والسلام قال : عفوت عنكم عن صدقة الخيل ، فليس العفو ها هنا عن استحقاق ، ويكون معناه : تركتُ أن أوجب عليكم الصدقة في الخيل٠٠٠قال الشيباني : عفا ظهرُ البعير : إذا تُرِكَ لا يُرْكَب ، وأعفيتُه أنا))[٣]

((وأصل الغُفْر : التغطية))[٤] ((فالغَفْر : السَّتْر ، والغُفْران والغَفْر بمعنى ، يقال : غفر الله ذنبه غَفْرًا ومغفرة وغُفْرانًا))[٥]و((غفر له : صفح عنه))[٦]و((عفا الله عنك : أي : محا ذنوبك٠٠٠وعافاه الله : محا عنه الأسقام))[٧]

---

(١) زاد المسير لابن االجوزي ٢٣٩/٢ وينظر : تفسير مقاتل

(٢) العين ص ٦٥٧

(٣) مقاييس اللغة ص ٥٧٦

(٤) العين للخليل ص ٧١٦

(٥) مقاييس اللغة ص ٦٩٦

(٦) المصباح المنير للفيّومي ص ٤٤٩

(٧) المصباح المنير للفيّومي ٤١٩

وذكر العسكري أنّ : ((الفرق بين العفو والغفران أنّ الغفران يقتضي إسقاط العقاب ، وإسقاط العقاب هو إيجاب الثواب٠٠٠والعفو يقتضي إسقاط اللوموالذمّ ولا يقتضي إيجاب الثواب ، ولهذا يُستعمل في العبد فيقال : عفا زيد عن عمرو ، وإذا عفا عنه لم يجب عليه إثابته))[1]

و((فُرّق بينهما بأن العفو : ترك العقاب على الذنب ، والمغفرة تغطية الذنب بإيجاب المثوبة٠٠٠وقيل : العفو : إسقاط العذاب ، والمغفرة أن يستر عليه بعد ذلك جرمه له عن عذاب الخزي والفضيحة٠٠٠فالعفو : اسقاط العذاب الجسماني ، والمغفرة : إسقاط العذاب الروحاني ، والتجاوز يعمّهما ، وقال الغزالي[2] : في العفو مبالغة ليست في الغفور ، فإنّ الغفران ينبئ عن الستر ، والعفو ينبئ عن المحو ، وهو أبلغ من الستر ؛ لأنّ الستر للشيء قد يحصل مع إبقاء أصله ، بخلاف المحو فإنّه إزالته جملة ورأسًا))[3]

أمّا التكفير فقد تقدّم أنّ المراد من الذنوب الذنوب الكبيرة ومن السيّئات الذنوب الصغيرة ، والتكفير يراد منه تكفير الذنوب الصغيرة ؛ لذلك لم يقترن إلّا بالسيّئات ، ويظهر هذا الفرق بينهما في ما جاء في تفسير قوله تعالى : (فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ){البقرة : ١٨٧} فقد أسقط عنهم اللّوم ومحا ذنب أكلهم وجماعهم نساءهم في ليالي رمضان بنسخ تحريم ذلك وإباحته

وقوله تعالى : (عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ){التوبة : ٤٣}قال الطبري : ((عن قتادة : قوله :

---

(١) الفروق اللغوية ص ٢٦٤

(٢) هو أبو حامد الغزالي المعروف ، صاحب كتاب : إحياء علوم الدين ، ومن كتبه : تهافت الفلاسفة توفي ٥٠٥هـ

(٣) فروق اللغات ص١٧٣-١٧٤

(عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ) عاتبه كما تسمعون ، ثمّ أنزل الله التي في سورة النور ، فرخّص له في أن يأذن لهم إن شاء فقال : (فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ)[النور : ٦٢]فجعله الله رخصة في ذلك من ذلك٠٠٠عن عمرو بن ميمون الأودي قال : اثنتان فعلهما رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لم يُؤمَر فيهما بشيء : إذنه للمنافقين ، وأخذه من الأسارى))[١]((قال سفيان بن عينييه : انظر إلى هذا اللطف بدأه بالعفو قبل أن يعيّره بالذنب قال قتادة : ثمّ أنزل بعده نسخ هذه الآية : (فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ)))[٢]

فلو قال سبحانه غفر الله لك لِمَ أذنت لهم ، لكان سبحانه قد عَدَّ إذنه للمنافقين ذنبًا كبيرًا ، وأنّ الله سبحانه قد غفر له هذا الذنب ، ولو قال سبحانه كفّر الله عنك لِما أذنت لهم ، لكان سبحانه قد عدَّ إذنه لهم سيّئة ، أي : ذنبًا صغيرًا ،وأنّ الله سبحانه قد كفّر عنه هذا الذنب ، لكن لمّا قال له سبحانه (عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ) أفاد بأنّ الله سبحانه لم يَعُدَّ إذنه لهم لا ذنبًا كبيرًا ولا ذنبًا صغيرًا ، بل زاد ذلك وأكّد محوه بنسخهفصلُّوا معي عليه وسلِّموا تسليمًا وقولوا : اللهمّ صلِّ وسلِّم على نبيِّنا محمد ، اللهمّ واحشرنا معه ومع آله وصحبه

فعفو الله عن الذنب محوه من صحيفة صاحبه كأنّه لم يفعله ، ومغفرته للذنب وتكفيره ستره ، وليس محوه ، أي : يبقى في صحيفة صاحبه لكنّه لا يحاسبه ولا يعاقبه عليه ، فـ(عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله من نوقش الحساب هلك ، فقلت : يا رسول فإنّ الله عزّ وجلّ يقول في كابه : (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا

---

(١) جامع البيان ١٦٢/١٠

(٢) الوسيط للواحدي ٥٠٠/٢

يَسِيرًا){الانشقاق : ٧-٨} قال : ذاك العرض رواه البخاري))[١]((وهو أن تُعرَض سيئاته ثمّ يغفرها الله له))[٢]فالله سبحانه يعرضها عليه فحسب ، فيذكره بذنوبه التي غفرها الله له ، لأنّها لا تمحى من صحيفته ، فيخبره بأنّه فعل كذا وكذا ثم يسترها عليه ، وليس كذلك ذنوبه الله عفا عنها الله ؛ لأنّه محاها من صحيفته ، وقد قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٩].

٢-**التأويل والتفسير** :((التأويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ولا يصحّ إلّا ببيان غير لفظه)) [٣]و((تأويل الكلام وهو عاقبته وما يؤول إليه وذلك قوله تعالى : (هَلْ يَنْظُرُونَ إلّا تَأْوِيلَهُ{الأعراف : ٥٣} يقول : ما يؤول إليه في وقت بعثهم ونشورهم))[٤]((وأوَّل الكلام تأويلًا إذا ردَّه إلى الوجه الذي يُعرَف منه معناه))[٥]و((التأويل ٠٠٠هو ردُّ الشيء إلى الغاية المرادة منه))[٦]((والتأويل يكون بمعنى التفسير ٠٠٠ويكون بمعنى ما يؤول إليه الأمر ، واشتقاقه من آلَ الأمر إلى كذا يؤول إليه))[٧]

---

(١) الوسيط للواحدي ٤٥٢/٤

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ٢٢٨/٨

(٣) العين ص ٤٨ .

(٤) مقاييس اللغة ص ٦٢.

(٥) الوجوه والنظائر ص ٩٨ .

(٦) المفردات ص ٣٦.

(٧) الجامع لأحكام القرآن ١٦/٤-١٧.

وقال الطبري في تفسير قوله تعالى : (هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ){آل عمران : ٧} : ((اختلف أهل التأويل في معنى التأويل٠٠٠وقال آخرون : بل معنى ذلك : عواقب القرآن ، وقالوا إنَّما أرادوا أن يعلموا متى يجيء ناسخ الأحكام٠٠٠وقال آخرون معنى ذلك (وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ) ما تشابه من آي القرآن يتأولونه))[١]

وقال الزجاج : ((ومعنى ابتغائهم تأويله أنَّهم طلبوا تأويل بعثهم وإحيائهم ، فأعلم الله أنّ تأويل ذلك ووقته لا يعلمه إلّا الله ، والدليل على ذلك قوله عزّ وجلّ : (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ){الأعراف : أي : يوم يرون ما وُعِدوا به من البعث والنشور والعذاب))[٢]

وقال الحلبي : ((وهل التفسير والتأويل الواردان في القرآن مترادفان أو متغايران ؟ فقيل : التفسير معرفة مدلولات الألفاظ وأسباب النزول والوقائع ، أمّا التأويل فهو ردّ اللفظ إلى ما يليق به من المعنى ؛ ولذلك يجوز لمن تثبت قدمه في العلم أن يتكلّم فيه باجتهاده ، ونظره هذا أحسن ما قيل في الفرق بينهما ، وقال الهروي : قال أبو العبّاس : التأويل التفسير والمعنى واحد ، وقال غيره : التفسير كشف المراد عن اللفظ ، والتأويل : ردّ أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر٠٠٠قلتُ : التأويل تفعيل من آل يؤول ، أي : رجع ، فمعنى التأويل : الرجوع باللفظ عن ظاهره إلى معنى يستقيم به ذلك اللفظ ؛ ولذلك يقابل بينه وبين االظاهر ، فيقال : الظاهر والمؤوَّل ،

---

(١) جامع البيان٢١٣/٣ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٣١٩/١ وينظر : الجامع لأحكام القرآن ١٦/٤.

كتأويلنا قوله تعالى : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ){المائدة : ٦٤} على أنّ المراد النعمة والقدرة ، وكجمعنا بين قوله تعالى : (فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ){الحجر : ٩٢-٩٣}وبين قوله تعالى : (فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ){الرحمن : ٣٩) بأنّ يوم القيامة ذو مواطن وأزمنة مختلفة ، فيُسألون في وقت ، ولا يُسألون سؤال تكرمة ، بل سؤالُ تقريع وتوبيخ ، لذلك قال تعالى : (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ){آل عمران : ٧} عند من وقف عند (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) وهو الظاهر ، كان ابن عبّاس ، وحقّ له أن يقول لقوله عليه الصلاة والسلام في حقّه : اللهمّ فقّهه في الدين وعلّمه التأويل ، يقول : أنا منهم))[1]

وصفوة ما تقدم ذكره في التفريق بين التأويل والتفسير قول ابن فارس في الأول : ((ومن هذا الباب تأويل الكلام وهو عاقبته وما يؤول إليه))[2]وقوله في التفسير : ((الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدلّ على بيان شيء وإيضاحه))[3]و((الفَسْر : التفسير ، وهو بيان وتفصيل للكتاب وفسَره يفسِره فَسْرًا ، وفسَّره تفسيرًا ، والتفْسِرة : اسم للبول الذي ينظر فيه الأطبّاء يُسْتدَلّ به على مرض البدن))[4]

وقد ورد التأويل في القرآن الكريم في سبعة عشر موضعًا ، وورد التفسير في موضع واحد هو قوله تعالى : (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا){الفرقان : ٣٣}

---

(١) عمدة الحفّاظ للحلبي ٣/٢٢٩-٢٣٠

(٢) مقاييس اللغة ص ٦٢

(٣) مقاييس اللغة ص ٧٣٨

(٤) العين للخليل ص ٧٤٣

ويمكن إيضاح الفرق بينهما من مقابلة شاهد التفسير في هذه الآية بما جاء من شواهد التأويل في السياق المشابه له وورد ذلك في موضعين في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا){النساء : ٥٩}والسياق واضح جدًّا أنّه استعمل التأويل من دون التفسير ؛ لأنّ المراد أنّ حلّ ما يُختلَف ويُتنازع فيه يكون بالرجوع إلى الكتاب والسنّة وهذا ما جاء في كتب التفسير[١]

والموضع الثاني قوله تعالى : (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا){الإسراء : ٣٥}

قال الطبري : (((وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) يقول : وأحسن مردودًا عليكم وأولى إليه فيه فعلكم ذلك ؛ لأنّ الله تبارك وتعالى يرضى بذلك عليكم فيحسن لكم عليه الجزاءوبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل٠٠٠عن قتادة قوله : (وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) أي : خيرًا ثوابًا وعاقبة ، وأخبرنا أنّ ابن عبّاس كان يقول : يا معشر الموالي : إنّكم وُلّيتم أمرين بهما هلك الناس قبلكم ، هذا المكيال وهذا الميزان ، قال : وذُكِر لنا أنّ نبيّ الله صلى الله عليه وسلّم كان يقول : لا يقدر رجل على حرام ثمّ يدعه ، ليس به إلّا مخافة الله إلّا أبدله الله في عاجل الدنيا قبل الآخرة ما هو خير له من ذلك))[٢]

أمّا قوله تعالى : (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا){الفرقان : ٣٣} فقد قال الطبري في تفسيره: ((وعنى بقوله :(وَأَحْسَنَ

---

(١) ينظر مثلًا : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩٠/٥-١٩٣

(٢) جامع البيان ٩٩/١٥-١٠٠ وينظر : الوسيط للواحدي ١٠٧/٣ والكشاف للزمخشري ٦٣٩/٢ ومدارك التنزيل للنسفي ص ٦٢٣

تَفْسِيرًا) وأحسن مما جاؤوا به من المثل بيانًا وتفصيلًا ، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل))[1]

وقال الزمخشري في تفسير قوله تعالى (وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) : ((إلّا أتيناك نحن بالجواب الحق الذي لا محيد عنه ، وبما هو أحسن معنى ، ومؤدّى من سؤالهم ، ولمّا كان التفسير هو التكشيف عمّا عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا : تفسير هذا الكلام : كيت وكيت، كما قيل : معناه كذا وكذا))[2]

وقال الحلبي : ((قوله تعالى : (إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا){الفرقان : ٣٣}((أي : كشفًا وبيانًا ، والتفْسِرة لغة : الكشف لِما ينظر فيه الطبيب فينكشف له ذلك الداء٠٠٠وتفسير القرآن : بيان ألفاظه وبيان معانيه وأحكامه))[3]

فاستعمل إذن التفسير من دون التأويل ؛ لأنّه أراد دلالة الأول من دون الثاني كما جاء في كتب التفسير

٣- **التتابع والتواتر** : قال الحريري في درّة الغوّاص : تقول : جاءتنا الخيل متتابعة إذا جاء بعضها إثر بعض بلا فصل ، ومن ذلك قوله تعالى : (فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ){النساء : ٩٢}

وجاءت متواترة : إذا تلاحقت وبينها فصل ويؤيده قوله تعالى : (ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىٰ){المؤمنون : ٤٤} ومن المعلوم أنّه كان بين رسول ورسول فترة من الزمن [4]

---

(١) جامع البيان ١٧/٢٩

(٢) الكشّاف ٢٧١/٣

(٣) عمدة الحفاظ ٢٢٩/٣-٢٣٠

(٤) ينظر : فروق اللغات ص ٨٥

٤-**تبقي وتذر** :قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى : (سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ){المدثر : ٢٦-٢٩}((لا تبقي شيئًا يُلقى فيها إلاَّ أهلكته ، وإذا هلك لم تذره هالكًا حتى يعاد)) (١) أي : يعود كما كان(٢) و((قال مجاهد : لا تبقي من فيها حيًّا ، ولا تذره ميتًا ، تحرقهم كلما جُددوا)) (٣) والدليل على صحة هذا التفسير قوله تعالى : (إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيى){طه : ٧٤} أي : لا يموت فينجو من العذاب ، ولا يحيى حياة طيبة .

٥-**التتبير والخراب والدمار والهدم والهلاك** : الخراب ضد العمران قال تعالى : (يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ){الحشر : ٢} وترك المكان قال تعالى : ((وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّـهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا){البقرة : ١١٤} بتركها من قبل المصلين وانقطاع ذكر الله فيها (٤)

والهلاك موت الإنسان والأشياء قال تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّـهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ){الملك : ٢٨} وقال تعالى : (وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّـهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ){البقرة : ٢٠٥} فالهلاك موت الأشياء ولا يدلّ على العقوبة دائمًا

والدمار هلاك دالّ على العقوبة قال تعالى : (وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ

---

(١) الكشاف ٦٣٧/٤.

(٢) ينظر : مدارك التنزيل ص ١٢٩٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٦٣/١٠.

(٤) ينظر : مدارك التنزيل ص ٧٣

فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ){الأعراف : ١٣٧} وقال تعالى : (وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا){الإسراء : ١٦}

والهدم ضد البناء قال تعالى : (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا){الحج : ٤٠}

التتبير : ((التبار : الهلاك ، وتبره يتبره : بالغ في إهلاكه قال تعالى : (وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا){الفرقان : ٣٩} وأصله من التبر وهو الكسر)) [١] ((وتبّره تتبيرًا ، أي : كسّره وأهلكه وقوله تعالى : (إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ){الأعراف : ١٣٩})) [٢]

و((التِّبر : الفتات من الذهب والفضّة قبل أن يصاغا٠٠٠وكلّ شيء كسرته وفتّته فقد تبّرْته)) [٣]

فالفرق بين الهلاك والدمار والتبار أنّ التبار هو المبالغة في الهلاك والتدمير

٦-**التثريب والتفنيد واللّوم** : **التثريب** : ((التثريب : اللّوم والأخذ على الذنب))[٤] و((التثريب : التقريع والتقهير بالذنب قال الله تعالى : (قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ){يوسف : ٩٢}))[٥]

---

(١) عمدة الحفّاظ ٢٥٥/١

(٢) الصحاح ص ١٢٣

(٣) تهذيب اللغة للأزهري ٤٢٤/١

(٤) مقاييس اللغة ص ١٣٧

(٥) المفردات ص ٨٤

التفنيد : ((الفاء والنون والدال أصل صحيح يدلّ على ثقل وشدّة٠٠٠من ذلك الفِنْد : الشِّمراخ من الجبل ، وقال قوم هو الجبل العظيم٠٠٠وممّا يقاس عليه التفنيد ، وهو اللوم ؛ لأنّه كلام يثقل على سامعه ويشتدّ))[١]

و((قولهتعالى : {قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ}{يوسف : ٩٤} التفنيد : نسبة الإنسان إلى الفَنَد ، والفَنَد : الفساد والخَبَل وضعف الرأي ، وقيل : معناه : تلوموني ، وهو راجع لِما ذكرتُ ، وقيل : معناه : تُخَرِّفونِ أي : تقولون : قد خَرِفْتَ ، وفي الحديث :ما ينتظر أحدكم إلَّا هَرَمًا مُفْنِدًا))[٢]((والتفنيد النسبة إلى الفند ، وهو الخرف وإنكار العقل من هرم٠٠٠والمعنى : لولا تفنيدكم إيّاي لصدَّقتموني)) [٣]

اللّوم : ((وهو العذل ، تقول : لُمْتُه لَوْمًا))[٤] و((اللوم عذل الإنسان بنسبته إلى ما فيه لوم))[٥] وفرّق العسكري : ((بين اللوم والتثريب : أنّ التثريب شبيه بالتقريع والتوبيخ ، تقول : وبّخه وقرّعه وثرّبه بما كان منه ، واللوم قد يكون لِما يفعله الإنسان في الحال ، ولا يقال لذلك تقريع وتثريب وتوبيخ ، واللوم يكون على الفعل الحسن ، ولا يكون التثريب إلّا على قبيح٠٠٠ويجوز أن يقال : التثريب الاستقصاء في اللوم والتعنيف ، وأصله

---

(١) مقاييس اللغة ص ٧٢١

(٢) عمدة الحفّاظ ٢٥٣/٣

(٣) مدارك التنزيل ص ٥٤٤

(٤) مقاييس اللغة ص ٨٢٤

(٥) المفردات ص ٤٧٦

من الثرب وهو شحم الجوف ؛ لأنّ البلوغ إليه هو البلوغ إلى الموضع الأقصى من البدن))[١]

وورد التثريب في موضع واحد ، هو الموضع المذكور، وما فعله أُخوة يوسف بيوسف عليه السلام عمل قبيح جدًّا، فهم يستحقون أن يُقَرَّعوا عليه وأن يُثَرَّبوا عليه تثريبا لا أن يلاموا عليه ؛ لذلك استعمل التثريب و(قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ) ولم يقل : لا لوم عليكم اليوم

٧-ا**التجسس والتحسس : التجسس :** ((جسسته بيدي ، أي : لمسته لأنظر مَجَسَّه ، أي : مَمَسَّه ، والجسُّ جسُّ الخبر ، ومنه التجسس للجاسوس ، والجسّاسة دابّة تَجُسُّ الأخبار وتأتي الدجّال ، والجواسُّ من الإنسان : اليدان والعينان والفم والشمّ ، الواحدة جاسّة ، ويقال : بالحاء))[٢]((الجيم والسين أصل واحد ، وهو تعرّف الشيء بمسٍّ لطيف . يقال : جسَسْتُ العِرْق وغيرَه جسًّا ، والجاسوس : فاعول من هذا ، لأنّه يتخبَّرُ ما يريده بخفاء ولطف ، وذُكِرَ عن الخليل أنّ الحواسّالتي هي مشاعر الإنسان ربّما سُمِّيتْ جواسّ. قال ابن دريد : وقد يكون الجِسُّ بالعين ، وهذا يصحِّح ما قاله الخليل ، وأنشد : فاعصَوصَبوا ثمّ جسّوه بأعينهم))[٣] ((قال الله تعالى : (وَلَا تَجَسَّسُوا){الحجرات : ١٢} أصل الجسّ مسُّ العِرْق وتعرُّفُ نبضه للحكم به على الصحّة والسَّقَم ، وهو أخصّ من الحسّ فإنّ الحسّ تعرُّفُ ما يدركه الحسّ ، والجسّ تعرّفُ حال ما من ذلك ، ومن لفظ الجسّ اشتقّ الجاسوس))[٤]

---

(١) الفروق اللغوية ص ٦٥

(٢) العين ص ١٤٢

(٣) مقاييس اللغة ص ١٥١

(٤) المفردات ص ٩٨

وورد التجسّس في موضع واحد هو الموضع المذكور .

–**التحسس** :((الحَسُّ : القتل الذريع۰۰۰والحِسُّ : الحَسيس تسمعه يمرُّ بك ولا تراه))[1](الحاء والسين أصلان : فالأوّل غلبة الشيء بقتل أو غيره ،والثاني : حكاية صوت عند توجّع وشبهه، فالأوّل : الحسّ : القتل ، قال الله تعالى : (إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ){آل عمران : ١٥٢}ومن ذلك الحديث : حسّوهم بالسيف حَسًّا وفي الحديث في الجراد : إذا حسَّه البرد ، والحسيس : القتيل . قال الأفوه : وقد تردّى كلُّ قِرن حسيس . ويقال : إنّ البرد مَحَسَّةٌ للنبات۰۰۰ومن هذا الباب قولهم : احسَسْتُ ، أي : علمتُ ، قال الله تعالى : (هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ){مريم :٩٨}وهذا محمول على قولهم : قتلتُ الشيء علمًا ، فقد عاد إلى الأصل الذي ذكرناه ، ويقال للمشاعر الخمس : الحواسّ ، وهي : اللمس ، والذوق ، والشمّ ، والسمع ، والبصر ، ومن هذا الباب قولهم : للذي يطرد الجوع بسخائه : حسحاس۰۰۰

والأصل الثاني : قولهم : حسّ ، وهي كلمة تقال عند التوجّع ، ويقال : حسِسْتُ له فأنا أحسّ : إذا رققْتُ له ، كأنّ قلبك أَلِمَ شفقة عليه))[2]

و((الحاسّة القوّة التي بها تُدرَك الأعراض الحسّية۰۰۰وقوله تعالى : (فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ){آل عمران : ٥٢} فتنبيه أنّه قد ظهر منهم الكفر ظهورًا بان للحسّ فضلًا عن الفهم ، وكذا قوله : (فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ){الأنبياء : ١٢}وقوله تعالى : (هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ){مريم :٩٨} أي : هل تجد بحاستك أحدًا منهم ؟ وعُبِّر عن الحركة بالحسيسقال تعالى : (لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا){الأنبياء : ١٠٢}))[3] ((قوله

---

(١) العين ص ١٨٨

(٢) مقاييس اللغة ص ١٨٩–١٩٠

(٣) المفردات ص ١٢١

تعالى : (فَتَحَسَّسُوا){يوسف : ٨٧} أي : تطلبوه بحواسّكم ، وتحسّس في الخير ، وتجسّس في الشرّ٠٠٠ويقال : حسستُ بمعنى فهمتُ وعلمتُ ، لكن لا يقال إلّا فيما كان من جهة الحاسّة ، وأمّا أحسستُه فحقيقته : أدركته بحاسّتي٠٠٠وفي الحديث : كان في مسجد الخَيف فسمع حسّ حيّة ، أي : حركتها ، وهو أن تسمع ما يقرب منكولا تراه))[١]

ما قيل في الفرق بين التجسّس والتحسّس : ((والتجسس : التنقير عن بواطن الأمور ، وأكثر ما يقال في السرّ ، ولذلك يقال : الجاسوس : صاحب سرّ الشيء ، والناموس : صاحب سرّ الخير٠٠٠وقال ثعلب : التجسس بالجيم : ما طلبته لغيرك من معرفة أمور النّاس ، والتحسس بالحاء : ما تطلبه لنفسك . وقيل : التجسّس بالجيم في العورات ، والتحسّس في الخير ؛ ولذلك قال : (يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ){يوسف : ٨٧} وقيل : التجسّس بالجيم تتبّع العورات ، والتحسّس الاستماع ، وفي الحديث : ولا تجسّسوا ولا تحسّسوا

وقيل : أصل التجسس من الجسّ ، وهو مسّ العِرْق ، وتعرّف نبضه ليُحكمَ به على الصحّة والسّقم ، وعلى هذا فهو أخصّ من التحسّس بالحاء ، فإنّ الجسّ بالجيم تعرّف ما لا يدركه بالحاء ، والحسّتعرّفُ حال ما من ذلك ، واشتقّ من الجسّ بالجيم : الجاسوس، ولم يشتَقّ من الحسّ))[٢]

٨-**التحيّة والسلام** : فرّق العسكري ((بين السلام والتحيّة أنَّ التحية أعمُّ من السلام ، قال المبرد : يدخل في التحية : حياك الله ، ولك البشرى ،

---

(١) عمدة الحفّاظ ١/٤٠٧-٤٠٨

(٢) عمدة الحفّاظ ١/٣٢٦-٣٢٧

ولقيت الخير ، وقال أبو هلال أيده الله ، ولا يقال لذلك سلام ، إنَّما السلام قولك : سلام عليك)[1]

وكذلك يدخل في التحية السلام ، فالسلام نوع من أنواعالتحية **قال تعالى** : (وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ){يونس : ١٠}{إبراهيم : ٢٣} وقال تعالى : (تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ){الأحزاب : ٤٤}

((وقوله عزّ وجلّ : (وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا){النساء : ٨٦} وقوله عزّ وجلّ : (فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ){النور : ٦١}فالتحيّة أن يقال : حيّاك الله ، أي : جعل لك حياة وذلك إخبار ، ثمّ يُجعَل دعاء ويقال : حيّا فلان فلانًا تحيّة إذا قال له ذلك))[2]

٩-التدبّر والتفكّر : **التدبّر** : ((التدبير : نَظَرٌ في عواقب الأمور ، وفلان يتدبَّر أعجاز أمور قد ولَّت صدورها ، واستدبر من أمره ما لم يكن استقبل ، أي : نظر فيه مستدبرًا فعرف عاقبة ما لم يعرف من صدره))[3]((وتدبّرتُه تدبّرًا : نظرتُ في دُبره ، وهو عاقبته وآخرُه))[4]

-**التفكّر** : ((الفاء والكاف والراء تردد القلب في الشيء ، يقال : تفكّر : إذا ردّد قلبه معتبرًا)) [5] ((والتفكّر : التأمّل)) [6] ((والفِكْر : بالكسر تردد القلب بالنظر))[1]

---

(١) الفروق اللغوية ص ٧١ .

(٢) المفردات ص ١٤٥

(٣) العين ص ٢٧٩-٢٨٠

(٤) المصباح المنير ص ١٨٩

(٥) مقاييس اللغة ص ٧١٨

(٦) الصحاح ص ٨١٩

فالتدبّر يكون في معرفة االشيء وإدراك أسراره ، والتفكّر يكون في تأمل الشيء والاعتبار بعبره ؛ لذلك اختصّ التدبّر في تدبّر القرآن الكريم فقد ورد التدبّر في أربعة مواضع جميعها في تدبّر القرآن الكريم منها قوله تعالى : (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا){النساء : ٨٢}

واستعمل التفكّر في التأمل فيما خلق الله لجني العبر منه ، وورد في ثلاثة عشر موضعًا منها قوله تعالى : (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ){آل عمران : ١٩١}

١٠-التراب ، والثرى ، والحمأ ، والصعيد ، والصلصال ، والطين ، والفخار :

-**التراب** : ((التراب : معروف وهو اسم جنس ، واحده ترابة))[٢]((والتراب : الأرض نفسها))[٣]وورد في القرآن الكريم في سبعة عشر موضعًا وقد استعمل ويراد به التراب حقيقة أي : بمعناه المعروف الذي يمثل أصل الأرض كقوله تعالى : (إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ){آل عمران : ٥٩}وقوله تعالى : (أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ){النحل : ٥٩}فالإنسان خُلِق من تراب الأرض وإذا مات دُفِنَ فيها فيعود ترابًا كما كان ، قال تعالى : (أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ){ق : ٣}

---

(١) المصباح المنير ص ٤٧٩

(٢) عمدة الحفّاظ ٢٥٨/١

(٣) المفردات ص ٧٩ وينظر : عمدة الحفّاظ ٢٥٨/١

الثرى :((الثرى : التراب الندي ومنه الحديث : فإذا كلب يأكل الثرى من العطش٠٠٠أو الذي إذا بلّ لم يصر طينًا))[1] وورد في موضع واحد هو((قوله تعالى : ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾{طه : ٦} وهو التراب الندي الذي تحت هذا التراب الظاهر ، وقيل : ما تحت الأرض السابعة)))[2]

الحمأ :((الحمأ والحمْأة بفتح فسكون : الطين الأسود المنتنّ))[3]وورد في ثلاثة مواضع منها ((قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾{الحجر: ٢٦}الحمأ والحمأة : االطين الأسود المنتنّ))[4] ((والمسنون : المُصَوَّر ، وقد سننتُه أَسنُّه : إذا صوّرته))[5]((والحمأ المسنون في الآية المنتنّ المتغيّر٠٠٠وسنّ الماءُ فهو مسنون ، أي : تغيّر ٠٠٠ومسنون مصبوب على سُنّة الطريق٠٠٠وإنّما يتغيّر إذا قام بغير ماء جارٍ ، وقال بعضهم : مسنون : طويل ، وقال أبو عبيدة : المسنون : المصبوب ، ويقال : المسنون : المصبوب على صورة ، وقال الفرّاء : المسنون : المحكوك))[6]قال الواحدي : (((وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ) يعني آدم (مِن صَلْصَالٍ) وهو طين يصلصل إذا نقر عليه ، يقال : صلّ الحديد وصلصل إذا صوّت ، وقال ابن عبّاس في رواية الوالبي : الصلصال : الطين اليابس٠٠٠عن السدّي عمّن حدّثه عن ابن عبّاس قال :

---

(١) تاج العروس٣٧/١٣٥

(٢) عمدة الحفّاظ ٢٧٧/١ وينظر : مدارك التنزيل ص ٦٨٧

(٣) تاج العروس ١٥٣/١

(٤) عمدة الحفّاظ ٤٥٠/١

(٥) الصحاح ص ٥١٨

(٦) تاج العروس ٣٥/١١٨-١١٩

خُلِقَ آدم من أديم الأرض فأُلقيَ على الأرض حتى صار طينًا لازبًا ، وهو الطين الملتزق ، ثمّ تُرِك حتى صار حمأً مسنونًا ، وهو المنتنّ ، ثمّ خلقه الله بيده ، فكان أربعين يومًا مُصَوَّرًا ، حتى يبس فصار صلصالًا كالفخار إذا ضُرِبَ عليه صلصل ، فذلك الصلصال والفخار مثل ذلك . وقوله : (مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ) الحمأ : الطين الأسود المنتنّ ، والمسنون المتغيّر الرائحة ، يقال : سنّ الماءُ فهو مسنون ، أي : تغيّر ، وقال سيبويه المسنون المُصَوَّرعلى صورة ومثال من سنة الوجه أي : صورته))[١] وقال النسفي : (((وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ) أي آدم (مِن صَلْصَالٍ) طين يابس غير مطبوخ (مِّنْ حَمَإٍ) صفة لصلصال ، أي : خلقه من صلصال كائن من حمأ ، أي : طين أسود متغيّر (مَّسْنُونٍ) مُصَوَّر، وفي الأول كان ترابًا ، فعُجِنَ بالماء فصار طينًا ، فمكث فصار حمأ ، فخلص فصار سلالة ، فصور ويبس فصار صلصالًا فلا تناقض))[٢] ((ثمّ صيّره جسدًا ولحمًا ونفخ فيه من روحه))[٣]

–**الصعيد** :((فأمّا الصعيد فقال قوم : وجه الأرض ، والمكان عليه تراب أو لم يكن . قال الزجاج : ولا يختلف أهل اللغة أنّ الصعيد ليس بالتراب ، وهذا مذهب يذهب إليه أصحاب مالك بن أنس ، وقولهم : إنّ الصعيد وجه الأرض سواء كان ذا تراب أو لم يكن ، هو مذهبنا ، إلّا أنّ الحقّ أحق أن يُتّبع ، والأمر بخلاف ما قاله الزجاج ، وذلك أنّ أبا عبيدة حكى عن الأصمعي أنّ الصعيد التراب ، وفي الكتاب المعروف بالخليل ،

---

(١) الوسيط ٤٤/٣

(٢) مدارك التنزيل ص ٥٨٠

(٣) محاسن التأويل للقاسمي ٣٣٤/٦

قولهم : تيمَّمْ بالصعيد ، أي : خذ من غباره ، فهذا خلاف ما قاله الزجّاج)) [١]والأصحّ ما ذهب إليه الزجاج كما سيأتي والله أعلم

((والصعيد يقال لوجه الأرض قال تعالى : (فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا){النساء : ٤٣} وقال بعضهم : الصعيد يقال للغبار الذي يصعد من الصعود ؛ ولهذا لا بدّ للمتيمم أن يعلق بيده غُبار))[٢]((ولذلك يُشترَط في التيمم أن يعلق بيده غبار))[٣]

وورد الصعيد الذي جاز به التيمم في موضعين أحدهما قوله تعالى : (فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ){النساء : ٤٣}

قال الزجاج : (((فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا) معنى تيمموا اقصدوا ، والصعيد وجه الأرض ، فعلى الإنسان في التيمم أن يضرب بيديه فيمسح بهما جميعًا وجهه ، وكذلك يضرب ضربة واحدة فيمسح بهما يديه ، والطيّب هو النظيف الطاهر ، ولا يبالي أكان في الموضع تراب أم لا ؛ لأنّ الصعيد ليس هو التراب ، إنّما هو وجه الأرض ترابًا كان أو غيره ، ولو أنّ أرضًا كانت كلّها صخرًا لا تراب عليها ثمّ ضرب المتيمم يده على ذلك الصخر لكان ذلك طهورًا إذا مسح به وجهه قال الله تعالى عزّ وجلّ : (فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا){الكهف : ٤٠} فأعلمك أنّ الصعيد يكون زلقًا٠٠٠لا أعلم بين أهل اللغة اختلافًا في أنّ الصعيد وجه الأرض))[٤]

---

(١) مقاييس اللغة ص٤٨٥

(٢) المفردات ص ٢٩١

(٣) عمدة الحفّاظ ٣٣٦/٢

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٤٥/٢ وينظر : مدارك التنزيل ص ٢٢٩ وتفسير ابن عثيمين ٢٣٦/٤ وتفسير القاسمي ١٢٢/٣

-**الصلصال** : ((الصاد واللام أصلان : أحدهما يدلُّ على ندى وماء قليل ، والآخر على صوت٠٠٠وأمّا الصوت فيقال : صلّ اللِّجام وغيره : إذا صوَّت ، فإذا كثر ذلك منه ، قيل : صَلصلَ ، وسُمّي الخزف صلصالًا لذلك ؛ لأنّه يصوِّتُ ويصلصل)) [١]((والصلصال : الطين الحرّ خُلِطَ بالرمل فصار يتصلصل إذا جفّ ، فإذا طُبِخ بالنار فهو الفخار٠٠٠والطين ما لم يُجعل خزفًا سُمِّيَ به لتصلصله ، وكلّ ما جفّ من طين أو فخار فقد صلّ صليلًا٠٠٠والصلصال : الطين اليابس الذي يصلُّ من يبسه ، أي : يُصَوِّت ومنه قوله تعالى : (مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ){الرحمن : ١٤} قال هو صلصال ما لم تصبه النّار فإذا مسّته فهو حينئذ فخّار))[٢]

وورد الصلصال في أربعة مواضع منها ((قوله تعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ){الحجر: ٢٦} الصلصال : الطين اليابس الذي له صوت وصلصلة ، تردد الصوت من الصوت اليابس))[٣] وقوله تعالى : (خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ){الرحمن : ١٤} (((خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ) طين يابس(كَالْفَخَّارِ) الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف ، ولا اختلاف في هذا وفي قوله (مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ){الحجر: ٢٦} وقوله تعالى : (إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ){الصافّات : ١١} من تراب لاتفاقهما معنى ؛ لأنّه يفيد أنّه خلقه من تراب ، ثمّ جعله طينًا ، ثمّ حمأً مسنونًا ثمّ صلصالًا))[٤]

---

(١) مقاييس اللغة ص ٤٨١

(٢) تاج العروس ١٨٨/٢٩

(٣) عمدة الحفّاظ ٣٤٩/٢

(٤) مدارك التنزيل ص ١١٩٢-١١٩٣

-**الطين** : ((الطين : التراب والماء المختلط ، وقد يُسمّى بذلك وإن زال عنه قُوَّة الماء))[1]وقد ورد الطين في اثني عشر موضعًا كقوله تعالى المذكور : {إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ}[الصافّات : ١١] ((لاصق : جيّد يقال : لزب لزوبًا إذا لصق ، والمعنى : أنّ هؤلاء الكفّار خُلقوا ممّا خُلِق منه الأوّلون فليسوا بأشدّ خلقًا منهم ، وهذا إخبار عن التسوية بينهم وبين غيرهم من الأمم في الخلق))[2]

وقوله تعالى : {وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ}[السجدة : ٧-٨] ((يعني : آدم كان أوّله طينًا (ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ)ولده وذرّيته (مِن سُلَالَةٍ)))[3] ((من نطفة))[4]

-**الفخار** : ((والفخّار : الطين المشويّ وقبل الطبخ هو خَزَف وصلصال))[5]((والفخّارة كجبّانة : الجرّة ج الفخّار معروف وفي التنزيل : {خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ}[الرحمن : ١٤]أو هو ضرب من الخزف تُعمَلُ منه الجِرار والكيزان وغيرها))[6] وورد في موضع واحد هو الموضع المذكور

فخلاصة ما تقدم ذكره أنّ

التراب : معروف وهو اسم جنس يمثل أصل الأرض ويطلَق على كلّ حالاته

---

(١) المفردات ص ٣٢٥

(٢) الوسيط ٥٢٢/٣

(٣) الوسيط ٤٥٠/٣

(٤) مدارك التنزيل ص ٩٢٥

(٥) المصباح المنير ص ٤٦٤

(٦) تاج العروس ١٧١/١٣

والثرى : هو التراب الندي الذي تحت هذا التراب الظاهر أو الذي إذا بلّ لم يصرْ طينًا

والحمأ : الطين الأسود المنتنّ

والصعيد : وجه الأرض

والصلصال : الطين اليابس الذي يصوّت ويصلصل من يبسه وهو الخزف

والطين : التراب والماء المختلط به

والفخّار : الطين المشويّ ، وقبل الطبخ هو خزف وصلصال

١١-**التسبيح والتقديس** : قال الله تعالى : (وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ){البقرة : ٣٠}((التسبيح في كلام العرب : التنزيه والتبعيد من السوء على وجه التعظيم٠٠٠والتقديس : التطهير ، أي : نطهّرك عمّا لا يليق مما نسبه إليك الملحدون وافتراه الجاحدون)) (١)

وجاء في الزاد ((وفي معنى تسبيحهم أربعة أقوال :

أحدها : أنّه الصلاة ، قاله ابن مسعود وابن عبّاس

والثاني : أنّه قول : سبحان الله ، قاله قتادة

والثالث : أنّه التعظيم والحمد ، قاله أبو صالح

والرابع : أنّه الخضوع والذلّ ، قاله محمد بن قاسم الأنباري

قوله تعالى : (وَنُقَدِّسُ لَكَ) القدس : الطهارة ، وفي معنى تقديسهم ثلاثة أقوال :

أحدها : أنّ معناه : نتطهّر لك من أعمالهم ، قاله ابن عبّاس

والثاني : نعظمك ونكبرك ، قاله مجاهد

---

(١) فتح القدير ٧٨/١

والثالث : نصلي لك ، قاله قتادة))[١]

ويكون التسبيح باللسان والقلب ، يكون باللسان كقولك : سبّوح ، وسبحان الله ، ويكون بالقلب بتنزيه الله عن كلّ ما ينافي صفات كماله ، فإنّ له المنتهى في كلّ صفة كمال ، فهو الموصوف بكمال العلم وكمال القدرة ، منزّه عمّا ينافي ذلك من النسيان والغفلة ، ومنزّهٌ عن العجز والتعب والإعياء واللغوب ،وموصوف بكمال الحياة والقيّوميّة ، منزّه عن ضدّها من الموت والسِّنَة والنوم ، موصوف بالعدل والغنى التامّ ، منزّهٌ عن الظلم والحاجة إلى أحد أو شيء بوجه من الوجوه ، وموصوف بكمال الحكمة والرحمة ، منزّهٌ عمّا يضادّ ذلك من العبث والسَّفه ، وأن يفعل ويشرّع ما ينافي الحكمة والرحمة ، وهكذا جميع صفاته ، منزّه عن كلّ ما ينافيها ويضادّها

–ويكون التقديس أيضًا باللسان والقلب يكون باللسان كقولك : قدّوس ، ونقدّس لك ، **و**تقديس الله بالقلب تنزيهه مما لا يليق بجلاله من اتخاذالولد والزوجة والحلول والاتّحاد والجسم والتحيّز[٢]

١٢–**التسخير والتذليل** : التسخير من سخر و((السين والخاء والراء أصل مطرد مستقيم ، يدلُّ على استحقار واستذلال ، من ذلك قولنا : سخَّر الله عز وجل الشيءَ ، وذلك إذا ذلَّل الشيء لأمره وإرادته ، قال الله جل ثناؤه : (وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ){الجاثية : ١٣}٠٠٠ومن الباب : سخرتُ منه ، إذا هزئت به))[٣]و((التسخير : سياقة إلى الغرض المختص قهرًا قال تعالى : (وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ {٣٢} وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٥٣/١

(٢) ينظر عمدة الحفّاظ ٢٨١/٣ وفقه الأسماء الحسنى ص ٢٣٠

(٣) مقاييس اللغة ص ٤٣٣

اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)إبراهيم : ٣٢-٣٣}٠٠٠فالمُسَخِّر هو المُقَيِّض للفعل ، والسُخْرِيُّ هو الذي يُقهَر فيتسخَّر بإرادته ، قال تعالى : (لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا){الزخرف : ٣٢}))[١] و((قوله تعالى : (وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ){الجاثية : ١٣} التسخير : التهيئة٠٠٠قوله تعالى : (فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ){المؤمنون : ١١٠} قرئ بالضم والكسر ، فقيل : هما بمعنى واحد ، والمعنى : أنَّكم تستهزئون بهم ، يدلُّ عليه ما بعده (وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ) وقيل : تستخدمونهم وتستهزئون بهم٠٠٠وقوله تعالى : (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ){الرعد : ٢} أي : قهرهما٠٠٠وقوله تعالى : (إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ){هود : ٣٨} أي : نستجهلكم كما تستجهلون)) [٢] ((وسخِرتُ منه : إذا سخَّرتُه للهزء منه)) [٣]

والتذليل غير التسخير ، فقد تقدم تعريف التسخير عند أهل اللغة ، بأنَّه يعني : تهيئة الله الشيءَ للإنسان ، واستخدامه ، وتقييضه لنا ، أمَّا الذلّ فإنّه ((يدلُّ على الخضوع والاستكانة واللين ، فالذلُّ : ضدُّ العز ، وهذه مقابلة في التضاد صحيحة))[٤] قال الله تعالى : (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ {٧١} وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ){يس : ٧١-٧٢} والمعنى أنَّ الله سبحانه جعل الأنعام ذليلة بين أيدينا ، نتصرَّف فيها كيف نشاء ، كركوبها في الأسفار ، وحمل الأثقال ، وذبحها وأكلها وشرب ألبانها ، والانتقاع بأصوافها ، وأشعارها ، وأوبارها ،

---

(١) المفردات ص ٢٣٤

(٢) عمدة الحفاظ ١٨١/٢

(٣) بصائر ذوي التمييز ٢٠٣/٣

(٤) مقاييس اللغة ص ٣١٦

ويصح إطلاق التسخير عليها ؛ لأنَّه سبحانه سخَّرها لنا بهذا التذليل ، أي : مكننا من أن نستخدمها لأنفسنا ؛ ولهذا جاء في تفسير قوله تعالى : (((وَذَلَّلْنَاهَا) معناه : سخَّرناها ذليلة))[١] ((فهي ذليلة لهم)) [٢] وتذليل الله الشيء لنا لا يكون إلّا فيما ملّكنا الله سبحانه إيّاه بالسيطرة عليه ، أمَّا ما لم يمكنَّا منه بتذليله بين أيدينا ، فقد سخَّره الله لنا ، كتسخير الريح ، والفلك التي تجري في البحر ؛ لأنَّها تجري بفعل الريح ، وكتسخير الشمس ، والقمر ، والنجوم ، والبحر ، والأنهار ، والليل ، والنهار ، فهذه الأشياء لم يذللها الله ، بل سخّرها لخدمتنا من دون أن نملك السيطره عليها ؛ فلم يمكنَّا مثلًا من استخدام الشمس والقمر والنجوم ، أي : لم يذلِّلها لنا كما ذلَّل لنا الأنعام ، لذلك استعمل في هذه الأجرام لفظ التسخير لا لفظ التذليل ، فقد أصبح الفرق ظاهرًا بين التسخير والتذليل

١٣–**تلا وتبع** : ((التاء والباء والعين أصل واحد ، لا يشذ عنه من الباب شيء ، وهو التُلُو والقَفْو ، يقال : تبعتُ فلانًا : إذا تلوته)) [٣] و((تلاه : تبعه))[٤] وفرّق العسكري: ((بين التابع والتالي : أنَّ التالي فيما قال علي بن عيسى ثان وإن لم يكن يتدبر بتدبر الأول ، والتابع : إنَّما هو المتدبر بتدبر الأول)) [٥]

وإن عرَّف أهل اللغة تلا بمعنى تبع ، وتبع بمعنى تلا فإنَّ بينهما فرقًا أساسيًّا ، وهو أنَّ التالي علاقته بالمتلو علاقة زمانية فحسب ، تقول :

---

(١) المحرر الوجيز لابن عطية ٤٦٢/٤

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ٢٩٢/٦

(٣) مقاييس اللغة ص ١٣٣ وينظر : المفردات للراغب ص ٧٧

(٤) عمدة الحفاظ ٢٦٧/١

(٥) الفروق اللغوية ص ٣٤٦

تلا الشيءَ : إذا جاء بعده ، عن قصد وعلم ، أم عن غير قصد وعلم ، وتبع الشيءَ ، يعني تبع طريقته ومذهبه حقًّا أم باطلًا ، تقول : جاء القوم يتلو بعضهم بعضًا ، والمعنى : يمشي بعضهم خلف بعض ، وإذا قلت : يتبع بعضهم بعضًا ، كان المعنى : يتبع بعضهم طريقة بعضٍ : أي : يقلِّده في مشيه ، وفي حركة يديه ورجليه ، كأنَّه يتبع مذهبه في المشي ، وتقول : تلا عمر أبا بكر ، أي : جاء بعده في تولِّي الخلافة ، والمعنى يختلف إذا قلتَ : تبع عمر أبا بكر ؛ لأنَّ المراد تبع مذهبه وحكمه ، سواء كان ذلك في حياته أم بعد وفاته رضي الله عنهما ، ولهذا صحَّ أن تقول : تلا عمر أبا بكر ، وما صحَّ أن تقول : تلا عثمان أبا بكر ، وصح أن تقول : تبعه ، أي : تبعه في حياته ، أو تبعه في الخلافة الراشدة عندما تولاَّها ، وإن لم يتْلُه ، وتقول : تلا عمر بن العزيز ، سليمان بن عبد الملك ، ولم يتبعه ، بل تبع جدَّه عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وقد بدا لي أنَّ بين تلا وتبع ثلاثة فروق

الأول : أنَّ الأصل في التالي أن يكون من جنس المتلو ، ولا يشترط ذلك في التابع .

والثاني : أن يكون المراد من التالي أن يعقب المتلو ، يجيء بعده مباشرة ، متصلًا به ، والتابع لا يراد منه ذلك .

والثالث : أن يكون المراد من التابع أن يتبع طريقة متبوعه ومنهجه وفكره ، حقًّا كان أم باطلًا ، أي : أن يكون على منواله ، والتالي لا يراد منه ذلك .

فقوله تعالى : (وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا {١} وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا){الشمس : ١-٢} يعني أنَّ القمر يعقب الشمس بعد غيابها ، ولو قيل : والقمر إذا تبعها كان المعنى : والقمر إذا تبع الشمس في طريقتها ، وسار على منوالها

ويمكن أن نأخذ بهذه الفروق ، لتحديد دلالة كلٍّ منهما ، في المواضع التي يشتد فيها التباس (تلا) بـ(تبع) ، حتى إنَّهما لتبدوان أنَّهما

بمعنى واحد ، كقوله تعالى : (فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا){المجادلة : ٣} قال : متتابعين ؛ لأنَّه أراد معنى تطابقهما في الأحكام لا مجرد أن يتلو الشهر الثاني الأول ، فقد وُضِعتْ لصيام هذين الشهرين شروط لصحة تتابعهما ، وهي ((عائدة إلى جملة الشهرين ، وإلى أبعاضهما)) (١) فالمراد أن يتبع الثاني الأول في الأحكام والشروط ، وكقوله تعالى : (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ {٦} تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ){النازعات : ٥-٦}

قال : تتبعها ؛ لأنَّه ليس المراد أن الرادفة التي هي نفخة البعث ، تعقب الراجفة التي هي نفخة القيامة ، وأنَّها تجيء بعدها من دون مهلة ، فلو كان هذا هو المعنى المراد ، لقيل : تتلوها الرادفة ، فبين النفختين دهر لا يعلمه إلّا الله ، وإنَّما المراد أنَّها تتبعها في طريقة اضطرابها وأنَّها على منوالها

وقوله تعالى : (قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَاللّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ){البقرة : ٢٦٣} لو قيل : يتلوها أذى ، لتعيَّن أن يكون المراد الأذى الذي يباشرها ، وحينئذ لا يشمل الحكم الأذى الذي لا يباشرها ، وعادة وغالبًا ما يأتي الأذى من لدن المتصدِّق فيما بعد ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإنَّ مثل هذا المتصدِّق لا تكون صدقته للفقراء إلّا على سبيل الاستعلاء عليهم ، فقال يتبعها ؛ لأنَّه أريد الأذى الذي يتبع طريقة الصدقة في هذا الاستعلاء

ويتضح الفرق بينهما في نحو قوله تعالى : (فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ){البقرة : ٣٨} قال : (فَمَن تَبِعَ هُدَايَ) وما قال : فمن تلا هداي ؛ لأنَّ المعنى المراد والذي يصحّ أن يتبع الناس ما جاء في هدى الله من أوامر ونواه ، لا أن يتلوه ، وقال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢١٥/٧

اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ){فاطر : ٢٩} وقال : (يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ) لأنَّ المراد يتلونه آية بعد آية بتحريك لسانهم وشفاههم وبصوت تسمعه آذانهم مع تدبر وخشوع ، ولو قيل : يتبعون كتاب الله ، لكان المراد اتباع أحكامه وشرائعه ، وقال تعالى : (قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ){الأعراف : ١٨} والمعنى : لَمَن تبعك من بني آدم ، فلو قيل : لَمَن تلاك منهم ، لكان المعنى : لَمَن جاء بعدك من بني آدم ، و(مِن) في (مِنْهُمْ) هنا تبعيضية ، وهذا المعنى لا يصحّ ، لأنَّ جميع بني آدم قد جاؤوا بعد إبليس ، وليس بعضهم ، هذا من جانب ومن جانب آخر فإنَّ استعمال تلاك لا يفيد اتباع الشيطان في كفره وطغيانه ؛ لذلك لا يستحق كل من تلاه عذاب جهنَّم ، بل الذي يستحقه من تلاه وتبعه ، من دون الذي تلاه ولم يتبعه ، فبين التلاوة والتبع فرق ظاهر .

١٤-**التلاوة والقراءة** : ((التاء واللام والواو أصل واحد ، وهو الإتباع ، يقال : تلوته : إذا تبعته ، ومنه تلاوة القرآن ؛ لأنَّه يُتبِع آية بعد آية)) [١]((وسُمِّي القرآن لجمعه ما فيه من الأحكام والقصص وغير ذلك))[٢]((واشتقاقه من قرأ ؛ لأنَّه مجموع من سُوَر ، والسور من آيات ، والآيات من كلمات ، والكلمات من حروف ، وقيل : لأنَّه جمع فيه القصص ، والأمر والنهي ، والوعد والوعيد ، والتنبيه وغير ذلك من أنواع الخطاب))[٣]وقرأتُ الشيءَ : جمعته وضممتُ بعضه إلى بعض ، وقرأتُ القرآنَ : لفظتُ به مجموعًا ، أي : ألقيته ، كما يقال : قرأ فلان على فلان

---

(١) مقاييس اللغة ص ١٢٩

(٢) مقاييس اللغة ص ٧٧١

(٣) عمدة الحفاظ ٢٨٦/٣

القرآن[1] وفرّق العسكري ((بين القراءة والتلاوة أنَّ التلاوة لا تكون إلّا لكلمتين فصاعدًا ، والقراءة تكون للكلمة الواحدة ، يقال : قرأ فلان اسمه ، ولا يقال : تلا اسمه ، وذلك أنَّ أصل التلاوة إتباع الشيء الشيء ، يقال : تلاه : إذا تبعه ، فتكون التلاوة في الكلمات يتبع بعضها بعضًا ، ولا تكون في الكلمة الواحدة ؛ إذ لا يصحّ فيها التلو)) [2]

والحقيقة أنَّ ثمة فرقًا ظاهرًا بين التلاوة والقراءة أنَ القرآن الكريم استعمل الأولى إذا أريد تلاوة الآيات آية بعد آية مع تدبرها بتأنٍّ وتأمل وخشوع وخضوع وتعبُّد ، وهذا هو المعنى المراد من التلاوة كما هو واضح في قوله تعالى : (لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ){البقرة : ١١٣}

واستعمل لفظ القراءة إذا كان الغرض منها العلم والتعلم والتعليم والتعرف إلى ما فيه بصفة عامَّة من حكم وأحكام وشرائع ، وأخبار وقصص وعبر ، وإذا أريد القرآن بجملته ، وهذا ما تجده بكل وضوح في كل شواهد القراءة كقوله تعالى : (وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ){الإسراء : ١٠٦} وقوله تعالى : (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ){النحل : ٩٨} وقوله تعالى : (وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ {١٩٨} فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ){الشعراء : ١٩٨-١٩٩} وقوله تعالى : (وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ){الإسراء : ٩٣} وقوله تعالى : (فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ){يونس : ٩٤} وقوله تعالى : (فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ){الإسراء : ٧١} وقوله تعالى :

---

(١) ينظر : تهذيب اللغة للأزهري ٢٩١٢/٣ والصحاح للجوهري ص ٨٤٥ ولسان العرب ٥٠/١٢-٥١ وتاج العروس ٢٤٩/١-٢٥٥

(٢) الفروق اللغوية ص ٧٥

(اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا){الإسراء : ١٤} وقوله تعالى : (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ){الحاقة : ١٩}

فبين تلا وقرأ فرق في الدلالة ، كالفرق االمذكرر ، أو فرق آخر لم نهتد إليه ، والدليل على ذلك أنَّ القرآن الكريم استعمل لفظيهما ، وهذا يعني أنَّه لا بدَّ من أن يكون بينهما فرق في المعنى ، فمن المحال أن يستعمل القرآن الكريم لفظين لمعنى واحد ، ولو صحّ وجود لفظين متطابقين في المعنى لاستعمل القرآن الكريم أحدهما وترك الآخر .

فالفرق العام بينهما أنَّ المراد من التلاوة أجزاء المتلو أو أبعاضه وتلاوتها بالترتيب شيئًا بعد شيء ، والمراد من القراءة جملة المقروء وما تضمنه من أمور عامَّة ، فالتلاوة غير القراءة .

باب الثاء

١-**الثبات والرسوخ والرسو** : فرّق العسكري ((بين الرسوخ والثبات أنّ الرسوخ كمال الثبات ، والشاهد أنّه يقال للشيء المستقرّ على الأرض : ثابت وإن لم يتعلّق بها تعلقًا شديدًا ، ولا يقال : راسخ ، ولا يقال : حائط راسخ ؛ لأنّ الجبل أكمل ثباتًا من الحائط ، وقال الله تعالى : (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ){آل عمران : ٧} أي : الثابتون ، ويقولون : هو أرسخهم في المكرمات ، أي : أكملهم ثباتًا فيها

وأمّا الرسو فلا يستعمل إلّا في الشيء الثقيل ، نحو الجبل وما شاكله من الأجسام الكبيرة ، يقال : جبل راس ، ولا يقال : حائط راس ولا عود راس وفي القرآن الكريم : (بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا){هود : ٤١} شبهها بالجبل لعظمها ، فالرسو هو الثبات مع العظم والثقل والعلو ، فإن استعمل في غير ذلك فعلى التشبيه والمقاربة ، نحو قولهم : أرسيت العود في الأرض)) [١]

---

(١) الفروق اللغوية للعسكري ص ٣٣٥

قال الله تعالى : (وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا){النازعات : ٣٢} وقال تعالى : (وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ){النحل : ١٥} والمراد بالرواسي الجبال الثوابت[1] وقال تعالى : (يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ){سبأ : ١٣} ((جِفَانٍ) جمع جفنةَ (كالْجَوَابِ) جمع جابية ، وهي الحياض الكبار ، قيل : كان يقعد على الجفنة ألف رجل٠٠٠ (وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ) ثابتات على الأثافي لا تنزل عنها لعظمها)) [2]

فالرسو لا يستعمل إلّا في الشيء الثقيل ، نحو الجبل وما شاكله من الأجسام الكبيرة ، يقال : جبل راس ، ولا يقال : حائط راس وكذلك لا يقال شجرة راسية ، لذلك قال سبحانه : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ){إبراهيم : ٢٤}

٢-االثُبة ، والثُلّة ، والحزب ، والرهط ، والزمرة ، والشرذمة ، والشعب ، والشيعة ، والطائفة ، والعشيرة ، والفئة ، والفرقة والفريق ، والفصيلة ، والقبيلة ، والقوم ، والملأ ، والنَّفَر

هذه المصطلحات القرآنية تدلُّ كلّها على معنى عامّ واحد ، وهو أنّها تعني جماعة من الناس كثيرة أو قليلة ، ولا تدل كلٌّ منها على عدد معيّن ، فهي تتحد بمعناها العامّ لكن تفترق عن بعضها بمعانيها الخاصّة بها ، والقرآن الكريم استعمل كلًّا منها لدلالتها الأصلية ومعناها الخاصّ بها الملائم للمعنى المراد في التركيب والسياق وعلى النحو الآتي :

-**الثُبَة** : وردت الثّبَة بصيغة الجمع (ثُبات) في موضع واحد هو قوله تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُواْ جَمِيعًا)(النساء : ٧١)و((الثُّبَةُ : العصبة من الفرسان ويجمع ثُبات

---

(١) ينظر : مدارك التنزيل ص ٥٩٢

(٢) مدارك التنزيل ص ٩٥٨

وثُبين))[1]و(الثُّبات) بالضم في باب : الثاء والباء والياء[2] وقال الراغب في باب (ثبي) : ((قال تعالى : (فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ) هي جمع ثُبة ، أي : جماعة منفردة ... والمحذوف منه الياء)) [3] ((ووزنها في الأصل (فُعَلَة) كـ(حُطَمَة) حُذِفت لامها وعُوِّض عنها تاء التأنيث ... والثُبَة : الجماعة من الرجال تكون فوق العشرة ، وقيل : الاثنان والثلاثة))[4]وقال أبو عبيدة : ((واحدها ثُبة ، ومعناها : جماعات في تفرقة ، وتصديق ذلك (أَوِ انفِرُواْ جَمِيعًا) [5] وقال ابن قتيبة : ((واحدته ثُبة ، يريد جماعة بعد جماعة)) [6] والمعنى : احذروا واحترزوا واخرجوا إلى العدو جماعات متفرقة سرّية بعد سرّية ، وإمَّا (جَمِيعًا) أي : مجتمعين كوكبة واحدة[7]

فتجد أنّ الثُّلّة بمعناها هذا هي الملائمة من دون غيرها للمعنى المراد في هذا التركيب وسياقه

-**الثُلَّة** : وردت الثُلَّة في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع جميعها في سورة الواقعة في قول الله تعالى :(ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ){الواقعة : ١٣-١٤} وقوله تعالى : (ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ){الواقعة : ٣٩-٤٠}

---

(١) العين ص ١١٢

(٢) مقاييس اللغة ص ١٤٦

(٣) المفردات ص ٨٣ .

(٤) الدر المصون ٢٨/٤.

(٥) مجاز القرآن ص ٦١

(٦) تفسير غريب القرآن ص ١٣٠ .

(٧) ينظر : الكشاف ٥٢١/١ ومدارك التنزيل ص ٢٣٧

((والثُلّة بضم الثاء) جماعة من النّاس كثيرة))[1]وجاء في التفسير : (((ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ)) يعني من لدن آدم إلى زمان نبيّنا محمد صلّى الله عليه وسلّم ، والثُلّة جماعة غير محصورة بعدد قال مقاتل : يعني : سابق الأمم (وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ) من هذه الأمّة قال الزجاج : الذين عاينوا جميع النبيين وصدّقوا بهم أكثر ممن عاين النبيّ))[2]

وقال الزمخشري في تفسير الثُلَّة : ((وهي من الثَلّ وهو الكسر كما أنّ الأمّة من الأمّ وهو الشجّ ، كأنّها جماعة كُسِرَتْ من الناس وقُطِعَتْ منهم))[3]

فالثّلّة هي الجماعة الكثيرة من النّاس ، وتعني المقطوعة منهم كأنّها المختارة من النّاس ، فتجد أنّ الثُلّة بمعناها هذا هي الملائمة من دون غيرها للمعنى المراد في هذا التركيب وسياقه

-**الحزب** : هم((أصحاب الرجل على رأيه وأمره٠٠٠والمؤمنون : حزب الله ، والكافرون : حزب الشيطان ، وكلّ طائفة تكون أهواؤهم واحدة فهم حزب))[4]((والطائفة من كلّ قوم حزب))[5]

---

(١) العين ص ١١٧وينظر : عمدة الحفّاظ للحلبي ٢٨٤/١وتاج العروس للزبيدي ٢٨/٩٤-٩٥

(٢) البحر المحيط لأبي حيّان الأندلسي ٢٣٣/٤ وينظر : تفسير مقاتل ٣١٢/٣ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٨٧/٥

(٣) الكشّاف ٤٤٧/٤

(٤) العين للخليل ص ١٨٦

(٥) مقاييس اللغة لابن فارس ص٢٠٦

والحزب ليس الطائفة ، والفرق بينهما أنّ المنتمين للحزب هم الأكثر والأشد تجمّعًا من المنتمين للطائفة ، فسمّوا بالحزب لتجمّعهم والتفافهم حول قضية معيّنة

((وكلّ قوم تشاكلت قلوبهم وأعمالهم فهم أحزاب ، وإن لم يلق بعضهم بعضًا بمنزلة عاد وثمود وفرعون : قال تعالى : (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ۚ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ){ص : ١٢-١٣} و(كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ){المؤمنون : ٥٣}أي : كلُّ طائفة هواهم واحد))[١](وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ){الأحزاب : ٢٢} عبارة عن المجتمعين لمحاربة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم))[٢]((أي : الجماعات الكثيفة))[٣]

-**الرهط** : ((الرهط : عدد يجمع من ثلاثة إلى عشرة ، ويقال : من سبعة إلى عشرة ، وما دون السبعة إلى الثلاثة نفر))[٤]((والعترة مثل الرهط...بنو فلان رهط فلان فهم ذو قرابته الأدنين))[٥] و((الرهط : العصابة دون العشرة وقيل : يقال إلى الأربعين))[٦]((والرهط : ما دون العشرة العشرة من الرجال ليس فيهم امرأة... والرهط : ما فوق العشرة إلى الأربعين قاله الأصمعي...ورهط الرجل : قومه وقبيلته الأقربون))[٧]((والظاهر : أنّ

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري ٨٠٠/١

(٢) المفردات للراغب ص ١٢٠

(٣) عمدة الحفّاظ للحبي ١٩٩/١

(٤) العين ص ٣٧٣ وينظر : مقاييس اللغة ص ٣٥٧

(٥) تهذيب اللغة للأزهري ١٤٨٨/٢

(٦) المفردات ص ٢١١

(٧) المصباح المنير للفيومي ص ٢٤١-٢٤٢

أنّ الرهط يُطلَق على العصابة التي يتقوّى بها الرجل ، فهو أخصّ من القوم))[١]

يتبيّن من تعريف أهل اللغة أنّ الرهط هم عصابة قليلة العدد لكنّها تتميّز من دون الأكثرين من قومها بشدتها وقوّتها ؛ فتفعل ما لا يقدر على فعله غيرها ، فتُسخَّر من قبل قومها في أمور الخير أو الشر ، ويُهاب جانبها لبأسها فيكون لأقاربها الأدنين جاه عند قومهم ، وقد ورد الرهط في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع استعمل لمعناه الأول في قوله تعالى : (وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ){النمل : ٤٨} قال الطبري : ((عن ابن عبّاس قوله (وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ) هم الذين عقروا النّاقة ، وقالوا حين عقروها نبيّت صالحًا وأهله فنقتلهم ، ثمّ نقول لأولياء صالح : ما شهدنا من هذا شيئًا ، وما لنا به علم ، فدمّرهم الله أجمعين))[٢] واستعمل لمعناه الثاني في قوله تعالى : (وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّـهِ){هود : ٩١-٩٢} والمعنى : (((وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ)ولولا عشيرتك لقتلناك بالرجم وهو شر قتلة وكان رهطه من أهل ملّتهم ، فلذلك أظهروا الميل والإكرام لهم (وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ) أي : لا تعزُّ علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم ، وإنّما يعزّ علينا رهطك ؛ لأنّهم من أهل ديننا))[٣]

---

(١) عمدة الحفّاظ٢/١١٧

(٢) جامع البيان ١٩/١٩٦

(٣) مدارك التنزيل للنسفي ص ٥١٠

فالرهط عصابة قليلة العدد لكنّها تتميّز من دون الأكثرين من قومها بشدتها وقوّتها فتجد أنّ الرهط بمعناه هذا هو الملائم من دون غيره للمعنى المراد في سياق الشواهد القرآنية التي ورد فيها

–**الزمرة** : ((الزاء والميم والراء أصلان : أحدهما يدلُّ على قلّة الشيء ، والآخر : جنس من الأصوات٠٠٠وأمّا الزُّمْرة فالجماعة ، وهي مشتقّة من هذا ؛ لأنّها إذا اجتمعت كانت لها جلبة وزمار))[١] و((الزمار : صوت النّعام٠٠٠والزمرة : فوج من النّاس ، ويقال : جماعة في تفرقة ، بعض على أثر بعض))[٢]

وقد ورد الزَّمَر في القرآن الكريم في سورة الزّمَر في موضعين في قوله تعالى : (وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا){الزُّمَر : ٧١}وقوله تعالى : (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا (الزُّمَر : ٧٣} قال أبو عبيدة : (((زُمَرًا) جماعات في تفرقة وبعضهم على إثر بعض واحدتها زُمْرة)) [٣]أي : يساق أهل النار إلى النّار مهانين ويساق أهل الجنّة إلى الجنّة مكرّمين : أفواجًا متفرِّقة بعضها في إثر بعض[٤]

فتجد أنّ الزمر بمعناه الذي بيّنه أهل اللغة هو الملائم من دون غيره للمعنى المراد في سياق وروده في القرآن الكريم

---

(١) مقاييس اللغة ص ٣٨٨ وينظر : المفردات للراغب ٢٢٢ وعمدة الحفاظ للحلبي ١٤٨/٢

(٢) العين ص ٣٩٦

(٣) مجاز القرآن ص ٢٤٦

(٤) ينظر : الوسيط للواحدي ٥٩٤/٣ وزاد المسسير لابن الجوزي ٦٤/٧ومدارك التنزيل للنسفي ص ١٠٤٧

-**الشرذمة** :((الشرذمة : القطعة من السفرجلة ونحوها ، والشرذمة : الجماعة القليلة))[١]((والشرذمة : جماعة منقطعة وهو من قولهم : ثوب شراذم ، أي : منقطع))[٢]وثياب شراذم ، أي : أخلاق مقطّعة وأنشد ابن بِرّي لراجز :

جاء الشتاء وقميصي أخلاقُ   شراذمٌ يضحك منّي التوّاقُ

قال : والتوّاق ابنه[٣]((وخَلُقَ الثوبُ بضم اللام إذا بَلِيَ فهو خَلَقٌ)) [٤]

فالمراد بالشرذمة أنّها جماعة قليلة ضعيفة لا يُؤبه بها كأنّها ثوب بال ممزّق ، وتأمّل كيف أنّ القرآن الكريم استعملها في موضع واحد وفي سياق هو الملائم من دون غيره لمعناها المذكور قال تعالى : (فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ){الشعراء ٥٣-٥٤}ففرعون أراد أن يقلّل كثيرًا من شأن موسى عليه السلام ومن تبعه فلم يجد ما يُعبّر عمّا أراده غير لفظ الشرذمة ، فوصفهم بها قال النسفي في تفسيره : ((والشرذمة : الطائفة القليلة ذكرهم بالاسم الدالّ على القلّة ، ثمّ جعلهم قليلًا بالوصف ثمّ جمع القليل فجعل كلَّ حزب منهم قليلًا واختار جمع السلامة الذي هو للقلّة ، أو أراد بالقلّة الذلّة لا قلّة العدد ، أي : أنّهم لقلّتهم لا يبالى بهم ولا نتوقّع غلبتهم))[٥]

فتأمّل أيضًا أنّه ليس ثَمّة لفظ من الألفاظ المرادفة يلائم المعنى الذي أراده فرعون إلّا لفظ الشرذمة

---

(١) العين ص ٤٧٢

(٢) المفردات للراغب ص ٢٦٧ وينظر : عمدة الحفّاظ للحلبي ٢/٢٥٩

(٣) ينظر : لسان العرب ١/٥٣ وتاج العروس ٣٢/٢٣٧-٢٣٨

(٤) المصباح المنير ص ١٨٠

(٥) مدارك التنزيل ص ٨٢٠

-**الشعْب والقبيلة** : ((الشَّعب (بفتح الشين وسكون العين) : ما تشعّب من عدة قبائل وجمعه شعوب ، ويقال : العرب شعب ، والموالي شعب ، والترك شعب والجمع شعوب))(١)((والشعب : ما تشعّب من قبائل العرب والعجم ، والجمع شعوب))(٢)

((والقبيل جمع قبيلة وهي الجماعة المجتمعة التي يُقبل بعضها على بعض))(٣) ((والواحدة قبيلة ، وهم بنو أب واحد))(٤)

لم ترد الشعوب إلّا مقترنة بالقبائل وفي موضع واحد هو قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ){الحجرات : ١٣}((وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ) وهي جمع شعب ، وهو الحيّ العظيم مثل مضر وربيعة ، والقبائل دونها وهم كبكر من ربيعة وتميم من مضر ، هذا قول جماعة المفسّرين ، وروى عطاء عن ابن عبّاس قال : يريد بالشعوب الموالي ، وبالقبائل العرب ، وإلى هذا ذهب قوم فقالوا : الشعوب من العجم ، وهم من لا يُعرّف لهم أصل ، ولا نسب ، كالهند والجيل والترك ، والقبائل من العرب))(٥)

-**الشيعة** : ((شاع الشيء يشيع وشيعوعة فهو شائع ، والمشايعة : متابعتك إنسانًا على أمر ، وشيَّعتُ النار في الحطب : أضرمته إضرامًا شديدًا ، والشيعة : قوم يشيعون، أي : يهوون أهواء قوم ويتابعونهم ، وشيعة

---

(١) العين ص ٤٨١

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس ٤٥٠ وينظر : الصحاح للجوهري ص ٥٤٩

(٣) المفردات للراغب ص ٤٠٨

(٤) الصحاح للجوهري ص٨٣٥ وينظر : المصباح المنير ص ٤٨٩

(٥) الوسيط ١٥٨/٤

الرجل : أصحابه وأتباعه٠٠٠وأصنافهم شِيَعٌ))[١]فـ(شيعة الرجل هم الجماعة المائلة إليه من محبتهم له))[٢]

فهذا هو معنى الشيعة والشيع وبهذا المعنى استعملها القرآن الكريم كقوله تعالى : (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ){الأنعام : ٦٥} قال النسفي : (((أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا) أو يخلطكم فرقًا مختلفين على أهواء شتّى كل فرقة منكم مشايعة لإمام ومعنى خلطهم أن ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال (وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ) يقتل بعضكم بعضًا والبأس السيف ، عنه عليه الصلاة والسلام : سألتُ الله تعالى أن لا يبعث على أمّتي عذابًا من فوقهم ، أو من تحت أرجلهم ، فأعطاني ذلك ، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم ، فمنعني وأخبرني جبريل أنّ فناء أمَّتي بالسيف))[٣] وهو بمعناه في صحيح مسلم : ((وإنّي أعطيتك لأمّتك أن لا أهلكهم بسَنَة بعامّة وأن لا اسلّط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهميستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها أو قال : من بين أقطارها ، حتى يكون بعضهم يُهلك بعضًا ويسبي بعضهم بعضًا))[٤]وقوله تعالى : (مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ){الروم :٣٢}(((وَكَانُوا شِيَعًا)فرقًا ، كلٌّ واحدة تشايع إمامها الذي أضلّها (كُلُّ حِزْبٍ) منهم(بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) فرحٌ بمذهبه مسرور يحسب باطله حقًّا))[٥] وقوله تعالى : (ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ

---

(١) العين ص ٥٠٤ وينظر : تهذيب اللغة للأزهري ١٨٠/٢ والصحاح ٥٧٤

(٢) الفروق اللغوية للعسكري ص ٣١٢

(٣) مدارك التنزيل ص ٣٢٦ وينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠/٧

(٤) شرح صحيح مسلم ٢٠٦/٨-٢٠٧ رقم الحديث ٢٨٨٩

(٥) مدارك التنزيل للنسفي ص ٩٠٨

لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا){مريم : ٦٩}أي لننزعنّ: من كلّ ((طائفة شاعت ، أي : تبعت غاويًا من الغواة))[١]

-**الطائفة** : ((الطاء والواو والفاء : أصل واحد يدلّ على دوران وأن يحفّ به٠٠٠أمّا الطائفة فكأنّها جماعة تُطيف بالواحد أو بالشيء ولا تكاد العرب تحدّها بعدد معلوم))[٢]و((الطوف : المشي حول الشيء ومنه الطائف لمن يدور حول البيوت حافظًا٠٠٠والطائفة من الناس جماعة منهم ومن الشيء القطعة منه وقوله تعالى : (فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ){التوبة : ١٢٢} قال بعضهم : يقع ذلك على واحد فصاعدًا وعلى ذلك قوله تعالى : (وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا){الحجرات : ٩} وقوله تعالى : (إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا){آل عمران : ١٢٢}والطائفة إذا أريد بها الجمع فجمع طائف ، وإذا أريد بها الواحدفيصحّ أن يكون جمعًا ويُكنّى به عن الواحد ويصحّأن يُجعَل كراوية وعلامة ونحو ذلك))[٣]

((ولكنّ غالب الاستعمال ، وهو الحقيقة ، أنّها من أسماء الجموع كالفرقة والجماعة))[٤]((وقوله تعالى : (وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ){النور : ٢} قال ابن عبّاس : الطائفة : الواحد فما فوقه ، فمن أوقع الطائفة على الواحد يريد النفس الطائفة ، وقال مجاهد : الطائفة : الرجل الواحد إلى الألف ، وقال عطاء : أقلّها رجلان))[٥]

---

(١) مدارك التنزيل للنسفي ص ٦٨٠

(٢) مقاييس اللغة ص ٥٤١ والمفردات للراغب ص ٣٢٤ وعمدة الحفّاظ للحلبي٤٥٢/١

(٣) المفردات ص ٣٢٤

(٤) عمدة الحفّاظ للحلبي ٤٢٥/٢

(٥) بصائر ذوي التمييز ٥٢٣/٣

فقد سُمِّي الحزب لتحزبهم أي لتجمعهم ، والطائفة سمّوا لطوافهم، ودائرة الطائفين أوسع من دائرة المجتمعين ؛ لذلك كانت الطائفة من تدور حول مبادئ عامّة تجمعهم ، والحزب من يدور حول مبدأ خاصّ أو قضية معيّنة قد لا تكون مرتبطة بمبادئ الطاثفة العامّة ، فأعضاء الحزب أشدّ التحامًا ببعضهم ، لذلك فإنّ الطائفة الواحدة كثيراً ما تضم عدة أحزاب ، والقرآن سمىّ من اشتدّ تجمّعهم بالأحزاب ، ولهذا فسِّرت الأحزاب في قوله تعالى : (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ){الأحزاب : ٢٢} بعبارة عن المجتمعين وبالجماعات الكثيفة ، ولتجمّعهم وتقاربهم ببعضهم يكونون كالنفس الواحدة يفرحون معًا ويحزنون معًا ، لأنّ ما يهمّ أحدهم يهمّ البقية ولهذا قال سبحانه : (كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ){الروم : ٣٢}

ويتبيّن من تعريف أهل اللغة للطائفة أنّها تعني التي تطوف حول مذهبها العامّ وتتردد إلى أقطابه من فقهائه ودعاته ، ولهذا كانت أولى من غيرها من الجماعات أن تُكلّف بالتفقّه بالدين كما جاء هذا في قوله تعالى :(وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ){التوبة : ١٢٢}

ولأنّالطائفة تُطلَق على من يجمعهم مذهب عام فقد أُطلِقتْ على أهل التوراة كقوله تعالى : (أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ){الأنعام : ١٥٦}((أي : أهل التوراة والإنجيل))[١]

ولوسع دائرة الطائفة فقد يختلفون فيما بينهم لاختلاف ثقافاتهم وفهمهم واجتهاداتهم في أمور الدين والحياة ، فتنشأ منهم جماعات تختلف عن بعضها في قضايا مختلفة وتسمّى طائفة لأنّ كلّ جماعة منهم تطوف

---

(١) مدارك التنزيل للنسفي ص ٣٥٠

حول قضايا معينة لا تخرج عن دين الطائفة العامّة كقوله تعالى : (وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا){الحجرات : ٩}

وقد تقدّم في تعريف الطائفة أنّه ((لا تكاد العرب تحدّها بعدد معلوم))[١]وقول ابن عبّاس : الطائفة : الواحد فما فوقه ، وقول مجاهد : الطائفة : الرجل الواحد إلى الألف ، وقول عطاء : أقلّها رجلان وقد جاء في تفسير قوله تعالى : ((الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ){النور : ٢}والمراد بالطائفة هنا : واحد ، أو اثنان ، أو ثلاثة ، أو أربعة ، أو عشرة [٢]فقد ذكروا أن يكون عدد الطائفة أربعة وهو العدد المطلوب في شهادة الزنى يكون ذلك من باب التشهير بهم نكالًا لهما[٣] ((والحقّ أنّ المراد بالطائفة هنا جماعة يحصل بهم التشهير والزجر ، وتختلف قلّةً وكثرةً بحسب اختلاف الأماكن والأشخاص ، فربّ شخص يحصل تشهيره وزجره بثلاثة وآخر لا يحصل تشهيره وزجره بعشرة ، وللقائل بأربعة هنا وجه وجيه كما لا يخفى))[٤]لأنّه يمثّل عدد الشهداء على حدّ الزنا ، وقد تقدّم تعريف الطائفة بأنّها تعني التي تطوف حول مذهبها العامّ وتتردد إلى أقطابه من فقهائه ودعاته فهي التي بها لا بغيرها يحصل غرض التشهير والزجر ، فتجد أنّ الطائفة بمعناها هذا هي الملائمة من دون غيرها للمعنى المراد في هذا التركيب وسياقه ، ولا يمكن أن تُعوّض عنها في هذا السياق أيَّة مفردة من المفردات الأخرى المرادفة لها

---

(١) مقاييس اللغة ص ٥٤١ والمفردات للراغب ص ٣٢٤ وعمدة الحفّاظ للحلبي ٤٥٢/١

(٢) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي ٣٦٤/٥

(٣) ينظر : جامع البيان للطبري ٨٧/١٨ والوسيط للواحدي ٣٠٣/٣

(٤) روح المعاني للآلوسي ٢٨٢/٩

-**العشيرة** :((العين والشين والراء أصلان صحيحان ، أحدهما : في عدد معلوم ثُمّ يُحمَل عليه غيره ، والآخر : يدلّ على مداخلة ومخالطة ، فالأوّل : العَشَرة والعَشْر في المؤنث ونقول : عشرتُ القوم أعشرُهم : إذا صرتَ عاشرهم ، وكنت عاشر عشرة ، أي : كانوا تسعة فتمّوا بي عشَرَة رجال ، وعشرتُ القوم أخذتُ عُشْرَ أموالهم٠٠٠فأمّا الآخرالدالّ على المخالطة والمداخلة فالعِشْرة والمعاشرة ، وعشيرك : الذي يعاشرك قال : ولم أسمع للعشير جمعًا لا يكادون يقولون : عشراؤك ، وإذا جمعوا قالوا : مُعاشروك ، قال : وإنّما سُمِّيتْ عشيرة الرجل لمعاشرة بعضهم بعضًا ، حتى الزوج عشير امرأته٠٠٠قال : والمَعْشَر : كلُّ جماعة أمرهم واحد ، نحو : معشر المسلمين ، والإنس مَعشَر، والجنّ معشر))(١)((والعشيرة : أهل الرجل الذين يتكثّر بهم ، أي : يصيرون له بمنزلة العدد الكامل ؛ ذلك أنّ العشرة هو العدد الكامل٠٠٠فصار العشيرة اسمًا لكلّ جماعة من أقارب الرجل الذين يتكثّر بهم ، وعشرته صرتُ له كعشرة في المصاهرة))(٢)((والعشيرة : القبيلة ولا واحد لها من لفظها والجمع عشيرات وعشائر))(٣)

((فالشعب هو النسب الأوّل ثمّ القبيلة فالعمارة فالبطن فالفخذ فالفصيلة))(٤)((وهذا هو الذي عليه أكثر أهل النسب واللغة٠٠٠وذكر بعضهم العشيرة بعد الفصيلة فقال :

اقصد الشعب فهو أكثر حيٍّ عددًا في الحساب ثمّ القبيله
ثمّ يتلوهما العمارة ثُمَّ البطن ثُمَّ الفخذ وبعد الفصيله

---

(١) مقاييس اللغة ص ٦٧٤-٦٧٥

(٢) المفردات للراغب ص ٣٤٨

(٣) المصباح المنير ص ٤١١

(٤) المصباح المنير ص ٣١٤

ثُمَّ من بعدها العشيرة لكن هي في حسب ما ذكرنا قليله)) [1]

ويظهر أنّ تسمية العشيرة من المعاشرة والمخالطة أقرب وأوضح من جعله من العدد عشرة ، وقد ورد لفظ العشير والعشيرة في القرآن الكريم في أربعة مواضع في قوله تعالى : (لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ){المجادلة : ٢٢}

وفي قوله تعالى :(يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ ۚ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ){الحج : ١٣} ((أي : الصاحب والمخالط يعني الصنم يخالطه ويصاحبه)) [2]

وفي قوله تعالى : (قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ){التوبة : ٢٤} و((عشيرة الرجل : أهله الأدنون)) [3]

وفي قوله تعالى : (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ){الشعراء : ٢١٤}((أي : رهطك الأدنين وهم بنو هاشم وبنو المطّلب خاصّة٠٠٠عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله ، صلى الله عليه وسلّم ، حين أنزل الله (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) فقال : يا معشر قريش ، اشتروا أنفسكم من الله لا أُغني عنكم من الله شيئًا ، يا عبد مناف لا أُغني عنكم من الله شيئًا ، يا عبّاد بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئًا ، يا صفية عمّة رسول الله

---

(١) روح المعاني للآلوسي ٣١٢/١٣-٣١٣

(٢) الوسيط للواحدي ٢٦١/٣-٢٦٢

(٣) الوسيط ٤٨٦/٢

لا أُغني عنك من الله شيئًا ، يا فاطمة بنت محمد سليني ما شئتِ لا أُغني عنكِ من الله شيئًا ، رواه البخاري))[1]

-**الفصيلة** : قال النسفي : (((وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ) الشعب الطبقة الأولى من الطبقات الستّ التي عليها العرب وهي : الشعب والقبيلة والعمارة ، والبطن ، والفخذ ، والفصيلة ، فالشعب يجمع القبائل ، والقبيلة تجمع العمائر ، والعمارة تجمع البطون ، والبطن تجمع الأفخاذ ، والفخذ تجمع الفصائل ، خزيمة شعب ، وكِنانة قبيلة ، وقريش عمارة ، وقصي بطن ، وهاشم فخذ ، والعبّاس فصيلة ، وسّمِّيتْ الشعوب ؛ لأنّ القبائل تشعّبتْ منها)) [2] ((فالشعب هو النسب الأوّل

والقبيلة : ما انقسم فيه أنساب الشعب

والعمارة : ما انقسم فيه أنساب القبيلة

والبطن : ما انقسم فيه أنساب العمارة

والفخذ : ما انقسم فيه أنساب البطن

والفصيلة : ما انقسم فيه أنساب الفخذ))[3]

فالفصيلة أقرب الأنساب إلى المرء وأقربها إلى حمايته ونصرته حتى قال الجوهري : ((وفصيلة الرجل : رهطه الأدنون))[4] فلأنّ الفصيلة تعني

---

(١) الوسيط للواحدي ٣٦٤/٣ وينظر : زاد المسير لابن الجوزي ٥٥/٦-٥٦ ورواه البخاري في كتاب التفسير سورة الشعراء ومسلم في كتاب الإيمان في باب (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) بألفاظ متقاربة ، وينظر : شرح صحيح مسلم ٤٥١/١-٤٥٣ رقم الحديث ٣٤٨ و ٣٥٠ وما بعدهما إلى رقم ٣٥٦

(٢) مدارك التنزيل ص ١١٥٦

(٣) المصباح المنير ص ٣١٤

(٤) الصحاح ص ٨١٤

أقرب الأنصار إلى المرء استعملها القرآن الكريم من دون غيرها من الأنساب في قوله تعالى : (يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ){المعارج : ١٢-١٣}والمعنى أنّه لشدة وهول ما يلقى المرء يوم القيامة فإنّه يتمنّى لو يفدي نفسه من عذاب ذلك اليوم بأبنائه ، وزوجته ، وأخيه ، وبفصيلته التي كانت في الدنيا من أقرب أنسابه إليه

-**القوم** : ((القاف والواو والميم : أصلان صحيحان ، يدلّ أحدهما على جماعة ناس ، وربّما استعير في غيرهم ، والآخر على انتصاب أو عزم ، فالأول : القوم ، يقولون جمع امرئ ، ولا يكون ذلك إلّا للرجال قال الله تعالى : (لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ) ثمّ قال : (وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ){الحجرات ١١}وقال زهير :

وما أدري وسوف إخالُ أدري أقوم آلُ حِصْنٍ أم نساء

وأمّا الآخر : فقولهم : قام قيامًا والقَومة : المرّة الواحدة إذا انتصب ، ويكون قام بمعنى العزيمة كما يقال : قام بهذا الأمر إذا اعتنقه٠٠٠ومن الباب : هذا قِوام الدين والحقّ ، أي : به يقوم))[1] و((القوم : الرجال دون النساء٠٠٠وقوم كلّ رجل : شيعته وعشيرته))[2]((والقوم : جماعة الرجال في الأصل دون النساء٠٠٠٠وفي عامّة القرآن أريد به والنساء جميعًا وحقيقته للرجال لِما نبّه عليه قوله تعالى : (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ){النساء : ٣٤}))[3] وفي الصحاح : ((القوم : الرجال دون النساء ، لا واحد له من لفظه٠٠٠وربّما دخل النساء فيه على سبيل التبع ؛ لأنّ قوم كلّ نبيّ رجال

(١) مقاييس اللغة ص ٧٥٧

(٢) العين ص ٨٢٥

(٣) المفردات للراغب ص ٤٣٦

ونساء ، وجمع القوم أقوام ، وجمع الجمع أقاوم٠٠٠والقوم يُذكَّر ويُؤنّث ؛ لأنّ أسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها إذا كان للآدمين يُذكّر ويُؤنّث مثل رهط ونفر قال تعالى : (وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ){الأنعام : ٦٦} فذكّر وقال تعالى : (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ){اشعراء : ١٠٥} فأنّث٠٠٠وتدخل الهاء لغير الآدميين مثل الإبل والغنم ؛ لأنّ التأنيث لازم له ، وأمّا جمع التكسير مثل جِمال ومساجد ، وإن ذُكِّر وأُنِّث فإنّما تريد الجمع إذا ذكّرْتَ وتريد الجماعة إذا أنّثتَ))[١]((والقوم : جماعة الرجال ليس فيهم امرأة ، الواحد رجل وامرؤ من غير لفظه ، والجمع أقوام سُمُّوا بذلك لقيامهم بالعظائم والمُهمّات ، قال الصغاني : وربّما دخل النساء تبعًا ؛ لأنّ قوم كلّ نبيّ رجال ونساء))[٢]

فالقوم سُمُّوا لقيامهم بالمهمّات ، ولأنّ هذه الصفة جاز ان تسمّى وتوصف بها كلّ جماعة من الناس فقد كثر ورود القوم في القرآن فوردت في أكثر من ثلاثمئة موضع

-**الفئة** : ((الفئة : الجماعة لا واحد لها من لفظها وجمعها فئات ، وقد تُجمَع بالواو والنون))[٣]و((الفئة : الفرقة والجماعة من الناس في الأصل ، والطائفة التي تقيم وراء الجيش ، فإن كان عليهم خوف أو هزيمة التجؤوا إليهم))[٤]((ومنه قوله عز وجل : (وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ (أَوْ

---

(١) الصحاح للجوهري ص ٨٩٣

(٢) المصباح المنير ص ٥٢٠

(٣) المصباح المنير ص ٤٨٦

(٤) لسان العرب لابن منظور ١١٩/١١

مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ){الأنفال : ١٦} ثمّ قيل : لجمع كلّ من يمنع أحدًا أو ينصره فئة ، وقال أبو عبيدة : الفئة : الأعوان))[١]

فهذا هو معنى الفئة وهي بهذا استعملها القرآن الكريم كقوله تعالى : (كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ){البقرة : ٢٤٩}وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ){الأنفال : ٤٥} والمعنى : ((إذا حاربتم جماعة من الكفّار))[٢]وقوله تعالى : (وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا){الكهف : ٤٣}

-**الفرقة** :((الفاء والراء والقاف أصل صحيح يدلّ على تمييز وتزييل بين شيئين٠٠٠ومن الباب : الفريقة : وهو القطيع من الغنم كأنّها قطعة فارقت معظم الغنم)) [٣] ((والفريق : الجماعة المتفرِّقة عن آخرين))[٤]((والفرقة : الطائفة من الناس المنفصلة عن غيرها))[٥]

فهذا هو معنى الفرقة والفريق ، وهي بهذا المعنى استعملها القرآن الكريم ، وجاءت في كتاب الله في سياقالتفريق بين مذاهب الناس وأفعالهم كقوله تعالى : (أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ){البقرة : ٨٧}وقوله تعالى : (أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم){البقرة : ١٠٠} وقوله تعالى : (أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ

---

(١) الفروق اللغوية للعسكري ص ٣١١-٣١٢

(٢) مدارك التنزيل للنسفي ص ٤١٥

(٣) مقاييس اللغة ص ٧٣٤

(٤) المفردات للراغب ص ٣٩٣

(٥) عمدة الحفّاظ ٢٢٢/٣

يَعْلَمُونَ){البقرة : ٧٥} أو في سياق التفريق بين أهل الحق وأهل الباطل كقوله تعالى : (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ۗ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ){الأعراف : ٢٩-٣٠} وقوله تعالى : (فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ){الشورى : ٧}

وجاءت في سياق محمود وذلك عندما يكون المراد من الفرقة تمييزها من عامّة المسلمين لتنظيم العمل وتوزيعه ليتولّى كل فريق منهم العمل الذي يلائمه أكثر من غيره ، لتكون هناك فرقة للقتال والجهاد ، وأخرى للتفقه في الدين والوعظ والإرشاد ، وأخرى للعمل والبناء ، كقوله تعالى : (فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ){التوبة : ١٢٢}

-**الملأ** :((الملأ : جماعة من النّاس يجتمعون ليتشاوروا ويتحادثوا ، والجميع أملاء))[١]((ومنه الملأ : الأشراف من النّاس ؛ لأنّهم مُلئوا كرمًا))[٢]((والملأ : مهموز أشراف القوم ، وسُمّوا بذلك لملاءتهم بما يُلتَمّس عندهم من المعروف وجودة الرأي أو لأنّهم يملؤون العين أُبّهة والصدور هيبة ، والجمع أملاء))[٣]

وقد استعمل القرآن الكريم (الملأ) بهذا المعنى في كل مواضع وروده فيه ، فاستعمل (الملأ) بمعنى الأشراف والسادة من القوم من رؤساء الكفر أو من رؤساء الإيمان بمثابة الحاشية والمستشارين كقوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ

(١) العين ص ٩٢٣

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس ص ٨٦٩

(٣) المصباح المنير للفيّومي ص ٥٨

فِي سَبِيلِ اللهِ){البقرة : ٢٤٦}((أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ) الأشراف ؛ لأنّهم يملؤون القلوب جلالة والعيون مهابة))[١]

وقوله تعالى :(قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ){الأعراف : ٦٠}(قَالَ الْمَلَأُ) من قوم نوح ((أي : الأشراف والسادة))[٢]

وقوله تعالى : (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ){الأعراف : ٦٦}أي : قال الملأ من قوم هود ((((قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ) وإنّما وصف الملأ بالذين كفروا دون الملأ من قوم نوح ؛ لأنّ في أشراف قوم هود من آمن به ، فأريدت التفرقة بالوصف ، ولم يكن في أشراف قوم نوح عليه السلام مؤمن))[٣]

وقوله تعالى : (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ ۚ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ){الأعراف : ٧٥}

وقوله تعالى : (وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ){الأعراف : ٩٠} وقوله تعالى : (ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ){الأعراف : ١٠٣}

وقوله تعالى : (قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ){الأعراف : ١٠٩}

–**النَّفَر** : ((النون والفاء والراء أصل صحيح يدلّ على تجافٍ وتباعد منه : نفر الدابّةُ وغيرهُ نفارًا وذلك لتجافيه وتباعده عن مكانه٠٠٠ويوم ينفر النّاسُ من منًى٠٠٠والنَّفَر أيضًا من قياس الباب ؛ لأنّهم ينفرون

(١) مدارك التنزيل للنسفي ص ١٢٧

(٢) مدارك التنزيل للنسفي ص ٣٦٨

(٣) مدارك التنزيل للنسفي ص ٣٦٩

للنصرة))[1]((ونفروا إلى الشيء : أسرعوا إليه ويقال للقوم النافرين لحرب أو غيرها نفير٠٠٠والنَّفَر بفتحتين جماعة الرجال من ثلاثة إلى عشرة وقيل إلى سبعة ولا يقال (نَفَرٌ) فيما زاد على العشرة))[2]((والنَّفَر والنَّفَرَة والنَّفير والنّافرة : رهط الرجل الذين ينصرونه ويذبّون عنه))[3]

فالنّفَر سُمّوا بذلك ؛ لأنّهم ينفرون من مكانهم لينطلقوا منه للنصرة أو لحاجة لهم ، وقد استعملها القرآن الكريم لهذا المعنى وذاك في قوله تعالى : (وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا){الكهف : ٣٤}والمعنى : أنا أكثر منك ((أنصارًا وحشمًا أو أولادًا ذكورًا ؛ لأنّهم ينفرون معه دون الإناث))[4] سمّاهم بالنفر ؛ لأنّه أريد بهم الأنصار

وفي قوله تعالى : (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ){الأحقاف : ٢٩} والمعنى : ((أملناهم إليك واقبلنا بهم نحوك))[5]فهؤلاء النفر جنّ نصيبين ، فقد نفروا إليه من هناك[6] ولهذا سمّاهم بالنّفَر

٣–االثعبان والجانّ والحيّة : الثعبان : ((الثعبان : ضرب من الحيّات طوال ، والجمع ثعابين))[7] ((والثعبان : الحيّة العظيمة ، وهو

---

(١) مقاييس اللغة ص ٩١٠

(٢) المصباح المنير ص ٦١٧

(٣) عمدة الحفّاظ للحلبي : ٢٠٢/٤

(٤) مدارك التنزيل للنسفي ص ٦٥١

(٥) الكشاف للزمخشري ٣٠٣/٤

(٦) مدارك التنزيل للنسفي ص ١١٣٠

(٧) الصحاح ص ١٣٨

فُعلان ، ويقع على الذكر والأنثى ، والجمع الثعابين))[1] و((قوله تعالى : (فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ){الأعراف : ١٠٧} الثعبان : ما عظم من الحيّات ، والجانّ : ما دقّ منها ، وعلى هذا فكيف يُجمَع بين قوله (ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ) وبين قوله : (وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ){النمل : ١٠} ؟ وأجيب بجوابين ، أحدهما : أنّها جامعة حين تشكلّها بين وصفي هذين الجنسين، أي : في عظم الثعبان ، وخفّة الجان ، والثاني : أنّها في ابتداء تشكلها كالجانّ ثمّ تتعاظم كالثعبان)) [2]

-**االجانّ** : ((الجانّ : حيّة بيضاء)) [3] ((والجانّ أيضًا الحيّات الخفاف ، هو عندي إنّما سُمّيتْ بذلك تشبيهًا بالجانّ لخفّتها وسرعة انقلابها ، وجمعها جِنّان ، وفي حديث كشح زمزم قال العبّاس: يا رسول الله إنّ فيها جِنانًا كثيرة ، وفي آخر :نهى عن قتل الجِنّان التي تكون في البيت ، وجمع فاعل على فِعلان غريب ، وقال ابن عرفة : الجانّ الحيّة الصغيرة))[4]

-**الحيّة** :((الحيّة تكون للذكر والأنثى ، وإنّما دخلته الهاء لأنّه واحد من جنس ، كبطة ودجاجة ، على أنّه قد روي عن العرب : رأيتُ حيًّا على حيّة ، أي : ذكرًا على أنثى ، وفلان حيّةٌ ذكرٌ ، والنسبة إلى حيّة حيوي ، والحيُّوت ذكر الحيّات ، وأنشد الأصمعي : ويأكل الحيّة والحيُّوتا))[5]

---

(١) المصباح المنير ص ٨١

(٢) عمدة الحفّاظ ٢٧٨/١

(٣) الصحاح ص ١٩٣

(٤) عمدة الحفّاظ ٣٥٠/١

(٥) الصحاح ص ٢٧٩

قال الله : (قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ){طه : ١٨-٢٠} استعمل الحيّة ليبيّن الله لنبيّه موسى عليه السلام معجزته في أول قصة نبوته ، ذلك بتحويل عصا جامدة لا حياة فيها ولا حركة إلى شيء ضدّها حيّة تسعى

وقال تعالى : (وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ){القصص : ٣١} والقصة واحدة في السورتين والجمع بينهما أنّ العصا ابتدأت حيّة تسعى ثمّ صارت تهتزّ كأنّها جانّ ، واقتصر في (طه) على ذكر حالها فيما ابتدأت به (حَيَّةٌ تَسْعَىٰ) لأنّها جاءت بعد (إذا) الفجائية ، وذكر في (القصص) ما انتهت إليه (تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ)

ولمّا أراد أن يقهر بهذه المعجزة فرعون الذي طغى ويظهر عظمتها أمامه وإرهابه بها جعلها بأعظم صور الحيّات فقال تعالى : (قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ){الأعراف : ١٥٧}

وتأمّل هنا بلاغة القرآن الكريم ، فالحية تُطلق على الحيّة الصغيرة ، والثعبان تُطلَق على الحيّة الكبيرة المخيفة ، فعندما كان موسى عليه السلام سائرًا بأهله ليلًا أبصر نارًا فجاءها ليستأنس بها فناداه الله سبحانه : (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ){طه : ٩-٢٠} وهذا هنا مناسب لموسى عليه السلام ؛ لأن المطلوب أن يريه معجزة ، وليس المطلوب أن يخيفه ، فتحوّلت عصاه إلى حيّة صغيرة ، وعندما ذهب إلى فرعون وطلب منه فرعون الدليل على صدق رسالته تحوّلت العصى إلى حية كبيرة إلى ثعبان فقال تعالى : (قَالَ إِن كُنتَ

جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ){الأعراف : ١٠٤-١٠٧} {الشعراء : ٣٢}

٤-**ثقفوا ووجدوا** : (الثاء والقاف والفاء ، كلمة إليها يرجع الفروع ، وهو إقامة درء الشيء ، ويقال : ثقَّفتُ القناة : إذا أقمتَ عوجها٠٠٠ويقال : ثقفتُ به : إذا ظفرتُ به ، فإن قيل : فما وجه قرب هذا من الأول ؟ قيل له : أليس إذا ثقفه فقد أمسكه ، وكذلك الظافر بالشيء يمسكه ، فالقياس بأخذهما مأخذًا واحدًا)) [١] وقال الراغب : ((الثَّقْف : الحِذق في إدراك الشيء وفعله٠٠٠ويقال : ثقفتُ كذا : إذا أدركته ببصرك لحذق في النظر ، ثمَّ يُتجوَّز به فيُستعمَل في الإدراك ، وإن لم تكن معه ثقافة ، قال الله تعالى : (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ){البقرة : ١٩١} وقال عز وجل (فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ){الأنفال : ٥٧} وقال عز وجل : (مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا){الأحزاب : ٦١}))[٢]

جعل الزجاج ثقفوا بمعنى : وجدوا ، في قوله تعالى : (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ)){البقرة : ١٩١} أي : واقتلوهم حيث وجدتموهم[٣]و((الواو والجيم والدال ، يدل على أصل واحد ، وهو الشيء يلفيه ، ووجدتُ الضالة وجدانًا))[٤] ((ووجدتُ الشيءَ : أصبته))[٥]وقال الطبري ((يعني تعالى ذكره

---

(١) مقاييس اللغة ص ١٤٠

(٢) المفردات ص ٨٤ وينظر : العين للخليل ص ١١٧وتهذيب اللغة للأزهري ٤٨٩/١ والصحاح للجوهري ص ١٤١والمحكم لابن سيده ٣٥٦/٦-٣٥٧ ولسان العرب ٢٨/٣وعمدة الحفاظ ٢٧٩/١ وبصائر ذوي التمييز ٣٤٧/٢ وتاج العروس ٣٣/٢٣-٣٤

(٣) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٢٧/١ وزاد المسير ١٧١/١

(٤) مقاييس اللغة ص ٩٤٧

(٥) العين للخليل ص ١٠٣٥

بذلك : واقتلوا أيها المؤمنون الذين يقاتلونكم من المشركين حيث أصبتم مقاتلهم ، وأمكنكم قتلهم ، وذلك هو معنى قوله تعالى : (حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ) ومعنى الثقفة بالأمر : الحذق به والبصر ، يقال : إنَّه لثَقِفٌ لَقِفٌ : إذا كان جيد الحذر في القتال ، بصيرًا بمواقع القتل)) [١] وقال ابن عطية : (((حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ) أحكمتم عليهم ، ولقيتموهم قادرين عليهم ، يقال : رجل ثَقِف : إذا كان محكمًا لما يتناوله من الأمور))[٢] فهذا هو معنى قوله تعالى : (حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ) عند المفسرين الذين أمعنوا النظر في تفسيره ، حتى الذين فسروه بمعنى : حيث وجدتموهم ، أضاف إلى الوجود ما يقربه من معنى الثقف ، أو استدرك ففرق بينهما في الدلالة ، قال الواحدي : (((وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ) أي : حيث وجدتموهم وأخذتموهم ، يقال : ثقفنا فلانًا في موضع كذا ، أي : أخذناه))[٣] وقال الزمخشري : (((حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ) حيث وجدتموهم ، والثقف وجود على وجه الأخذ والغلبة ، ومنه رجل ثَقِف : سريع الأخذ لأقرانه)) [٤] فدلالة (ثَقِفْتُمُوهُمْ) غير دلالة : وجدتموهم

وقال مقاتل في تفسير قوله تعالى : (فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) }الأنفال : ٥٧{ : ((يقول : فإن أدركتهم في الحرب ، يعني القتال فأسرتهم)) [٥] وقال ابن قتيبة : (((فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ) أي :

---

(١) جامع البيان ٢/٢٢٩

(٢) المحرر الوجيز ١/٢٦٢ وينظر : الجامع لأحكام القرآن ٢/٢٦٠ والبحر المحيط ٢/٩٩

(٣) الوسيط ١/٢٩٢

(٤) الكشاف ١/٢٣٣ وينظر : أنوار التنزيل للبيضاوي ١/١٢٨ ومدارك التنزيل للنسفي ص ١٠٢ وفتح القدير للشوكاني ١/٢٣٩

(٥) تفسير مقاتل ٢/٢٤

تظفر بهم))[1] وقال الزمخشري : ((فإمَّا تصادفنَّهم وتظفرنَّ بهم))[2] وقال ابن عطية : ((تَثْقَفَنَّهُمْ) معناه : وتحصلهم في ثقافك بحال ضعف تقدر عليهم فيها وتغلبهم ، وقيل : ثقف : أخذ بسرعة))[3] وقال أبو حيان الأندلسي : ((أي : فإن تظفر بهم في الحرب وتتمكَّن منهم فشرِّد بهم مَن خلفهم)) [4] فقوله تعالى : (تَثْقَفَنَّهُمْ) المراد منه الظفر بهم والتمكن منهم ، أمَّا الأسر فهو من لوازمهما ، فمن ظفر بقوم وتمكَّن منهم فقد أسرهم ، بل ليس المراد من الآية أسر الغادرين والناقضين للعهد ، وإنَّما المراد قتلهم والتنكيل بهم وقت الظفر بهم ، والدليل مجيء (ما) بعد (إن) الشرطية ، فقد كانت من نتائج دراستي لمعاني (ما) في القرآن الكريم في كتابي : (ما) في القرآن الكريم دراسة نحوية ، وهو في الأصل أطروحتي في الدكتوراه ، أنَّ (ما) بعد (إذا) و(إن) الشرطيتين ليست زائدة كما ذهب النحاة ، وإنَّما تجيء بعدهما لتفيد معنى المعية الزمانية ، من ذلك مجيئها بعد (إن) الشرطية في ((قوله تعالى : (فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) [الأنفال:٥٧] فالله سبحانه ، يأمر رسوله الكريم أن ينكل بأعدائه ليعتبر مَن سواهم ، وأن يفعل ذلك وقت الحرب والظفر بهم لا بعده ، لأنهم بعد ذلك يعدّون أسرى لايحلُّ أذاهم)) [5]

---

(١) تفسير غريب القرآن ص١٧٩ وينظر : زاد المسير ٢٨٣/٣

(٢) الكشاف ٢٢٣/٢ وينظر : أنوار التنزيل ٦٤/٣ ومدارك التنزيل ص ص ٤١٨ وفتح القدير ٤٠٨/٢ وروح المعاني ٢١٨/٥

(٣) المحرر الوجيز ٥٤٣/٢ وينظر : الجامع لأحكام القرآن ٢٥/٨

(٤) البحر المحيط ٦٤٥/٤

(٥) كتابي : (ما) في القرآن الكريم/دراسة نحوية ص ١٩٦

فدلالة (ثقفوا) في الأوجه الثلاثة واحدة ، وقد عرَّفه أهل اللغة والتفسير بالإدراك ، والظفر ، والتمكن ، وهذا يعني أنَّ المعنى الحاصل من اجتماع دلالات هذه الألفاظ الثلاثة المترادفة يُعدُّ أقرب المعاني إلى ثقفوا ، فيكون قوله تعالى : (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ){البقرة : ١٩١} هو بمعنى : واقتلوهم حيث أدركتموهم وظفرتم بهم وتمكنتم منهم ، وقوله تعالى : (إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاء){الممتحنة : ٢} هو بمعنى : إن يدركوكم ويظفروا بكم ويتمكنوا منكم يكونوا لكم أعداء ، وقوله تعالى : (فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ){الأنفال : ٥٧} هو بمعنى : فإمَّا تدركنَّهم في الحرب وتظفرَنَّ بهم وتتمكَّن منهم فشرِّد بهم مَن خلفهم ،

فقد ورد قوله (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ) في موضعين ، في هذا الموضع ضمن قوله تعالى : (وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ {١٩٠} وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ)البقرة : ١٩١} وفي قوله قوله تعالى : (سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوَاْ إِلَى الْفِتْنِةِ أُرْكِسُواْ فِيِهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوَاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوَاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثِقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا){النساء : ٩١} وورد قوله تعالى : (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتَّمُوهُمْ) في موضعين أيضًا ، في قوله تعالى : (فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُواْ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُواْ مَنْ أَضَلَّ اللّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً {٨٨} وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء فَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ أَوْلِيَاء حَتَّىَ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتَّمُوهُمْ وَلاَ تَتَّخِذُواْ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا)النساء : ٨٩} وفي قوله تعالى : (وَأَذَانٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ

وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ {٣} إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ {٤} فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ){التوبة : ٣–٥}

تقدم تفسير الطبري لقوله تعالى : (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ){البقرة : ١٩١} ((يعني تعالى ذكره بذلك : واقتلوا أيها المؤمنون الذين يقاتلونكم من المشركين)) [١] ((فالمعنى : واقتلوهم حيث ثقفتموهم إن قاتلوكم))[٢] وقوله تعالى : (سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوَاْ إِلَى الْفِتْنِةِ أُرْكِسُواْ فِيِهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوَاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوَاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثِقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا){النساء : ٩١} معناه : ستجدون صنفًا ثانيًا من المنافقين هذه صفتهم فإن لم ((يكفوا أيديهم عن قتالكم (فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثِقِفْتُمُوهُمْ)))[٣] أي : اقتلوا المنافقين حيث ثقفتموهم إن قاتلوكم ، فاستعمل (ثَقِفْتُمُوهُمْ) في هذين الموضعين الدالّ على معنى الحذر من العدو ، والحذق في إدراكه ، والتمكن منه ؛ لأنَّ هذه الأمور مما يحتاج إليها المسلمون عند قتال من يقاتلونهم من المشركين أو المنافقين

والسياق يختلف في الموضعين اللذين تضمنا قوله تعالى : (حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ) فقد جاء في تفسير قوله تعالى : (فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ) إلى قوله تعالى : (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتَّمُوهُمْ) ((ما لكم اختلفتم في شأن قوم قد

---

(١) جامع البيان ٢٢٩/٢

(٢) التحرير والتنوير ١٩٨/٢

(٣) جامع البيان ٢٣٩/٥ وينظر : زاد المسير ٩٦/٢

نافقوا نفاقًا ظاهرًا وتفرَّقتم فيهم فرقتين ، وما لكم لم تقطعوا القول بكفرهم ، وذلك أنَّ قومًا من المنافقين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج إلى البدو معتلِّين باجتواء المدينة (كرههم للمدينة ونزوعهم إلى وطنهم) فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين ، فاختلف المسلمون فيهم ، فقال بعضهم : هم كفار ، وقال بعضهم : هم مسلمون))[١] فهؤلاء القوم من المنافقين وقفوا عند حدود ما هم عليه من نفاق ، ولم يحملوا السلاح ويعزموا ويعلنوا مقاتلة المسلمين حتى اختلف فيهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالمسلمون تجاه هؤلاء لا يحتاجون ليقتلوهم ما يحتاجون إليه لقتال من يقاتلهم ، بل هم قادرون على قتلهم حيث وجدوهم ، من دون أن يثقفوهم .

وجاء في تفسير قوله تعالى : (فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ){التوبة : ٤-٥} (((فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ) يقول : فاقتلوهم (حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ) يقول : حيث لقيتموهم من الأرض ، في الحرم وغير الحرم ، في الأشهر الحرم ، وغير الأشهر الحرم٠٠٠وامنعوهم من التصرف في بلاد الإسلام ، ودخول مكة)) [٢] كان المسلمون قد أُمروا أول مرة بقتال المشركين إن قاتلوهم ، لذلك قال سبحانه : (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ) والمعنى كما تقدم : ((واقتلوهم حيث ثقفتموهم إن قاتلوكم))[٣] لكن بعد أن قويت شوكة المسلمين ، قال تعالى : (فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ) فالمراد منها مقاتلتهم على كل حال ، قاتلوهم أم لم يقاتلوهم ، وفي

---

(١) مدارك التنزيل ص ٢٤٣ وينظر : جامع البيان ٢٣٢/٥ والوسيط ٩١/٢

(٢) جامع البيان ٩٠/١٠-٩١ وينظر : الوسيط ٧١/٣ وزاد المسير ٣٠١/٣ والبحر المحيط ١٤/٦

(٣) التحرير والتنوير ١٩٨/٢

كل أرض وزمان ؛ فلأنَّه أعمَّ أحوال قتال المشركين ناسب استعمال (وَجَدتُّمُوهُمْ) لعمومها .

باب الجيم

١-**جاءه الموت وحضره** : استعمال (جاء) في قوله تعالى : (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ){المؤمنون : ٩٩} يفيد أنّ الموت لم يكن موجودًا قبل موت الإنسان ، بل جاء إليه من مكان ، فلا يكون هناك بين مجيء الموت وموت الإنسان زمن فيكون قوله تعالى : (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ) بمعنى : إذا مات أحدهم ، ولهذا لم تكن هناك مهلة للتمني والكلام قبل الموت حتى إنّ قوله : (قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ) حصل بعد موته ، وكذلك الحال في قوله تعالى : (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ){الأنعام :٦١}فقد اقترن مجيء الموت بالوفاة مباشرة

أمّا استعمال حضر في قوله تعالى : (وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ){النساء : ١٨}فيفيد أنّ الموت كان حاضرًا عند الإنسان قبل موته أي كان موجودًا ولم يمت الإنسان بعد ، أي : كان هناك مهلة زمنية بين حضور الموت والموت ، حتى إنّه بإمكان المرء أن يعلن توبته ، وهو لا يزال في قيد الحياة إلّا أنّ الله أخبر أنّه لا يقبل توبته ؛ لأنّها توبة جاءت بعد أن أيقن بقرب موته ، وهذا الوقت يُسمّى وقت الاحتضار وقد يستمرّ ساعات أو أيّام ، فحضور الموت لا يعني الموت بل الاقتراب منه حتى قوبل بمرض المرء لا بموته يقال : ((وحُضِرَ المريضُ واحْتُضِرَ : إذا نزل به الموت))[1]وهو من ((قولهم : حُضِرَ فلان واحتُضِرَ : إذا دنا موته))[2]((وحَضَرَه الموتُ واحْتَضَرَه أشرف

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري ٨٤٨/١

(٢) النهاية في غريب الحديث ٣٩١/١

عليه وهو في النزع ، وهو محضور ومُحْتَضَر بالفتح))[1]ولأنّ بين الاحتضار والموت مهلة زمنية قد تطول أو تقصر فعلى المحتَضَر أن يوصي قبل موته كما في قوله تعالى : (كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ){البقرة : ١٨٠}وقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ){المائدة : ١٠٦}

ويبدو أنّه قد بان الفرق بين مجيء الموت وحضوره

٢–**الجـؤار والـدعاء** : الجـؤار : الإفـراط فـي الـدعاء ورفـع الصـوت والتضرّع إلى الله تشبيهًا بجؤار الوحشيات كالظباء ونحوها قال تعالى : (ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ){النحل : ٥٣}([2])

٣–الجبت والطاغوت :ورد الجبت في موضع واحد مقترنًا بالطاغوت ، هو قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ){النساء : ٥١}

والجبت : كلمة تقع على الصنم ، والكاهن ، والساحر ((وهذا ليس من محض العربية ؛ لاجتماع الجيم والتاء في كلمة واحدة من غيرحرف ذولقي))[3] و((قال ابن عرفة : الجبت : كلّ ما عُبِد من دون الله))[4]

والطاغوت : كلّ من تجاوز الحدّ في العصيان[5]((وكلّ رأس في الضلالة))[1]

(١) المصباح المنير ص ١٤٠

(٢) ينظر المفردات للراغب ص ١٠٨ وعمدة الحفّاظ ٢٩٧/١

(٣) الصحاح ص ١٥١ وينظر : تاج العروس ٢٧٣/٤

(٤) عمدة الحفّاظ ٢٩٩/١ وينظر : تاج العروس ٢٧٣/٤

(٥) مقاييس اللغة ص ٥٣٣

-الجبت والطاغوت في كتب التفسير : قال الطبري : ((اختلف أهل التأويل في معنى الجبت والطاغوت ، فقال بعضهم : هما صنمان كان المشركون يعبدونهما

وقال آخرون : الجبت : الأصنام ، والطاغوت : تراجمة الأصنام .

وزعم رجال :أنّ الجبت : الكاهن ، والطاغوت : رجل من اليهود يُدعى كعب بن الأشرف

وقال آخرون : الجبت : السحر ، والطاغوت : الشيطان

وقال آخرون : الجبت : الساحر ، والطاغوت : الكاهن

وقال آخرون : الجبت : الشيطان ، والطاغوت : الكاهن

وقال آخرون : الجبت : الكاهن ، والطاغوت : الشيطان

وقال آخرون : الجبت : حيي بن أحطب ، والطاغوت : كعب بن الأشرف

وقال آخرون : الجبت : كعب بن الأشرف ، والطاغوت : الشيطان

قال أبو جعفر : والصواب من القول في تأويل : (يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ) أن يقال : يصدّقون بمعبودَينِ (اثنين) من دون الله يعبدونهما من دون الله ، ويتخذونهما إلهين ، وذلك أنّ الجبت والطاغوت اسمان لكلّ مُعظّم بعبادة من دون الله ، أو طاعة ، أو خضوع له كائنًا ما كان ذلك المُعَظَّم من حجر أو إنسان أو شيطان

وإذا كان ذلك كذلك وكانت الأصنام التي كانت الجاهليّة تعبدها كانت مُعَظَّمة بالعبادة مندون الله كانت جبوتًا وطواغيت ، وكذلك الشياطين التي كانت الكفّار تطيعها في معصية الله ، وكذلك الساحر والكاهن اللذان كان مقبولًا منهما ما قالا في أهل الشرك بالله ، وكذلك حُيَي بن أحطب

---

(١) الصحاح ص ٦٤٢

وكعب بن الأشرف ؛ لأنّهما كانا مطاعَينِ في أهل ملّتهما من اليهود في معصية الله والكفر به وبرسوله ، فكانا جبتين وطاغوتين))[1]

وقال الزجّاج : ((قال أهل اللغة : كلّ معبود من دون الله فهو جبت وطاغوت ، وقيل : الجبت والطاغوت : الكهنة والشياطين ، وقيل في بعض التفسير : الجبت والطاغوت ههنا : حُيَي بن أحطب ، وكعب بن الأشرف اليهوديّان ، وهذا غير خارج عمّا قال أهل اللغة ؛ لأنّه إذا اتّبعوا أمرهما فقد أطاعوهما من دون الله عزّ وجلّ))[2]

وقال الراغب : (({يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ}[النساء : ٥١] الجبت والجبس : الغِسْلُ الذي لا خير فيه وقيل : التاء بدل من السين تنبيهًا على مبالغته في الغسولة كقول الشاعر : عمْرُو بنُ يربوع شِرار الناس، أي : خسار الناسِ))[3]وهناك تصحيف في بيت الشاعر لم ينتبه إليه المحقق فضلًا عن التنبيه إليه ، قال الحلبي : و((قوله تعالى : {يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ}[النساء : ٥١] الجبت في أصل اللغة الجبس ، وهو الغِسْل الذيلا خير فيه ، وقيل : التاء بدلٌ من السين تنبيهًا على مبالغته في الغسولة كقول الشاعر (من الرجز) : عمْرُو بنُ يربوع شِرار الناتِ ، أي : خساس النّاس ، والمعنى الغسالة وعدم الخير قال ابن عرفة : الجبت كلّ ما عُبِد من دون الله ، وقال غيره : هم الكهّان والسحرة والشيطان))[4]

والبيت : عمرو بن يربوع شرار النّات   ليسوا بأجيادٍ ولا أكيات

---

(١) جامع البيان ١٥٧/٥-١٦٠ وينظر : زاد المسير لابن الجوزي ٦٥/٢-٦٦

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٥٠/٢

(٣) المفردات ص ٩٠

(٤) عمدة الحفّاظ ٢٩٩/١

أي : شرار النّاس ولا أكياس))[1] وأكياس جمع كيّس وهو الفطن

((والجبس : هو الذي لا خير عنده ، يقال :رجل جِبْس وجِبْت ، أي : رذل ، قيل : وإنّما ادعى قلب السين تاء ؛ لأنّ مادة ج ب ت مهملة))[2]

فقد عرّفوا الجبت والجبس بالغُسالة وعدم الخير، والغُسالة : ما يخرج من الشيء بالغسل((وغسالة الثوب : ما خرج منه بالغسل))[3] فالجبت إذن هو التافه والحقير والسخيف من كلّ شيء سواء كان صنمًا ، أو كاهنًا ، أو شيطانًا ، أو إنسانًا كان أم غير إنسان ، وللنّاس في كلّ عصر ومكان جبتهموطاغوتهمالذي يُعظَّم ويُعبَد ويُطاع أمره من دون الله ، فالجبت في الجاهلية الأصنام أمّا الطواغيت فهو ((اسم للذين يكونون بين يدي الأصنام يعبّرون عنها ليضلّوا الناس))[4] أي : هم الذين كانوا يعظّمون هذا الجبت ويحمونه ويدعون النّاس إلى تعظيمه كأبي جهل وأبيّ من خلف

ويمكن أن يقاس على هذا الجبت وعلى هذا الطاغوت ، ففي أيّامنا اليوم أنّ لكلّ ملّة ضالّة وقوم ضلّوا جبتهم وطاغوتهم، فالجبت هو الرمز الصنمي أو الحيواني أو الإنساني الذي تعدّه إلهًا لها من دون الله ، أو تطيعه من دون الله ، والطاغوت هو من يدعو لتعظيم هذا الإله وإطاعة أمره من دون الله

---

(١) الدر المصون ٥٧٩/٢

(٢) الدر المصون ٦/٤

(٣) لسان العرب ٥٠/١١

(٤) زاد المسير لابن الجوزي ٦٥/٢

٤-**الجحود والإنكار** : **الجحود** : ((الجحود : ضدّ الإقرار كالإنكار والمعرفة))[١]و((الجحود وهو ضدّ الإقرار ، ولا يكون إلّا مع علم الجاحد به أنّه صحيح قال الله تعالى : (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ){النمل : ١٤} وما جاء جاحد بخير قطّ))[٢]و((الجحود نفي ما في القلب إثباته ، وإثبات ما في القلب نفيه))[٣] ((وأمّا الجحود فإنّما يقال : فيما ينكر باللسان دون القلب))[٤]

-**الإنكار** ☹(النون والكاف والراء أصل صحيح يدلُّ على خلاف المعرفة التي يسكن إليها القلب ، ونكرَ الشيءَ وأنكره : لم يقبله قلبه ولم يعترف به لسانه٠٠٠والإنكار خلاف الاعتراف))[٥]و((الإنكار ضدّ العرفان ، يقال : أنكرتُ كذا ونكرتُ ، وأصله أن يرد على القلب ما لا يتصوّره ، وذلك ضرب من الجهل))[٦]

وفرّق العسكري ((بين الإنكار والجحد أنّ الجحد أخصّ من الإنكار ، وذلك أنّ الجحد إنكار الشيء الظاهر والشاهد قوله تعالى : (بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ){الأعراف : ٥١} فجعل الجحد ممّا تدلّ عليه الآيات، ولا يكون ذلك إلّا ظاهرًا ، وقال تعالى : (يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا){النحل : ٨٣} فجعل الإنكار للنعمة ؛ لأنّ النعمة قد تكون خافية ، ويجوز أن يقال : الجحد هو إنكار الشيء مع العلم به والشاهد قوله : (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا

---

(١) العين ص ١٢٧

(٢) العين ص ١٥٥

(٣) المفردات ص ٩٣

(٤) المفردات ص ٤١٤

(٥) مقاييس اللغة ص ٩١٦

(٦) المفردات ٥٢٨

أَنفُسُهُمْ){النمل : ١٤} فجعل الجحد مع اليقين ، والإنكار يكون مع العلم وغير العلم))[١]

و((قولك : جحده ، يفيد أنّه أنكره مع علمه به ، وجحد به : يفيد أنّه جحد ما دلّ عليه ، وعلى هذا فسّر قوله تعالى ☹وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ){النمل : ١٤} أي : جحدوا ما دلّت عليه من تصديق الرسل٠٠٠وقال المبرّد : لا يكون الجحود إلّا بما يعلمه الجاحد كما قال الله تعالى : (فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ){الأنعام : ٣٣}٠٠٠والجحد إنكارك الشيء الظاهر ، أو إنكارك الشيء مع علمك به ، فليس الجحد له إلّا الإنكار الواقع على هذا الوجه))[٢]

فالجحود يكون في إنكار الحقّ الظاهر ، والإنكار يكون في إنكار الحقّ غير الظاهر أو الذي خفيت الحكمة منه

٥-**الجدال والحجاج والمراء : الحِجاج** : الفرق بين الجدال والحِجاج ((أنّ المطلوب بالحجاج هو ظهور الحجّة ، والمطلوب بالجدال : الرجوع عن المذهب ، فإنّ أصله من الجدل ، وهو شدة الفتل ، ومنه الأجدل لشدة قوته بين الجوارح ، ويؤيده قوله تعالى : (قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا){هود : ٣٢}وقوله تعالى : (وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ){النحل : ١٢٥} وذلك أنّ دأب الأنبياء عليهم السلام كان ردع القوم عن المذاهب الباطلة وإدخالهم في دين الله ببذل القوّة والاجتهاد في إيراد الأدلّة والحجج ، هذا وقد يراد بالجدال مطلق المخاصمة ، ومنه قوله تعالى : (هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا){النساء : ١٠٩}وقوله تعالى : (الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ

---

(١) الفروق اللغوية ص ٥٧

(٢) الفروق اللغوية ص ٥٨

سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ){غافر : ٣٥} وأمّا قوله تعالى : (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ)[{هود : ٧٤-٧٥} فقيل : إنّه قال للملائكة : بأيِّ شيء استحقّوا عذاب الاستئصال ، وهل ذلك واقعلا محالة أم هو تخويف لهم ليرجعوا إلى الطاعة ؟ وبأيّ شيء يُهلكون ؟وكيف ينجي الله المؤمنين ؟ فسمّى ذلك السؤال السؤال المستقصي جدالًا ، فالمراد : يجادل رسلنا وتلك المجادلة إنّما كانت من رقّة قلبه ورحمته وشدة رأفته ، وفي قوله تعالى : (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ)إشارة إلى هذا)) [1]

الجدال : ((رجل جدل مجدال ، أي : خصم مخصام ، والفعل جادل يجادل مجادلة)) [2] و((الجيم والدال واللام أصل واحد ، وهو من استحكام الشيء في استرسال يكون فيه وامتداد الخصومة ، ومراجعة الكلام)) [3] ((وجادله : أي : خاصمه مجادلة وجدالًا ، والاسم الجدل ، وهو شدة الخصومة))[4] ((والجدال : المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة ، وأصله من جدلتُ الحبل ، أي : أحكمت فتله ... ومنه الجدال ، فكأنَّ المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه))[5]

و((المجادلة : المخاصمة والمفاوضة على سبيل المغالبة ، وهي مذمومة في الأشياء الظاهرة غير المحتملة للجدال ... إنَّ الجدال قد يكون بحق وهو محمود ليظهر الحق)) [6] ((والمجادلة : المناظرة

---

(١) فروق اللغات ص ١٠١-١٠٢

(٢) العين ص ١٣٠.

(٣) مقاييس اللغة ص ١٥٨.

(٤) الصحاح ص ١٦٠.

(٥) المفردات ص٩٤ .

(٦) عمدة الحفاظ ٣١٢/١ .

والمخاصمة)) [1] ((والجدال محمود إذا كان للوقوف على الحق وإلّا فمذموم))[2] قوله تعالى : (ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ){النحل : ١٢٥} ، وقال الزمخشري : ((وجادلهم بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فضاضة وتعنيف))[3]

الامتراء : ((المِرْية : التردد في الأمر وهو أخصّ من الشكّ٠٠٠والامتراء والمماراة المحاججة فيما فيه مِرْية قال تعالى : (قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ){مريم : ٣٤}))[4]((والمراء : المماراة والجدل ، والمراء والمراء أيضًا من الامتراء والشك ... وأصله في اللغة الجدل ، وأن يستخرج الرجل من مناظره كلامًا ومعاني الخصومة وغيرها ، من مريتُ الشاة : إذا حلبتَها واستخرجتَ لبنها ... والمراء : الجدال ، والتماري والمماراة : المجادلة على مذهب الشك والريبة ، ويقال للمناظرة مماراة ؛ لأنَّ كل واحد منهما يستخرج ما عند صاحبه ويمتريه كما يمتري الحالب اللبن من الضرع)) [5]

و((قوله تعالى : (أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ){النجم : ١٢} أي : أفتجادلونه مجادلة الشاكّين المتحيّرين لا الكائنين على بصيرة فيما تخاصمون فيه))[6]

---

(١) لسان العرب ٩٩/٣

(٢) المصباح المنير ص ١٧١.

(٣) الكشاف ٦١٩/٢ وينظر : جامع البيان للطبري ٢٣٠/١٤ ولسان العرب ٩٩/٣ ومدارك التنزيل ٦١٤ والمصباح المنير ص ١٧١وفتح القدير ٢٥١/٣

(٤) المفردات ص ٤٨٧

(٥) لسان العرب ٦٢/١٤-٦٤.

(٦) عمدة الحفّاظ ٨٥/٤

و((قيل : هما بمعنى واحد ، غير أنّ المراء مذموم ؛ لأنّه مخاصمة في الحقّ بعد ظهوره ، وليس كذلك الجدال))(١)

٦-الجَرْحُ والصنع والعمل والفعل والقرف والكدح والكسب : الجَرْحُ : ((الجيم والراء والحاء أصلان : أحدهما: الكسب ، والثاني : شقّ الجِلْد ، فالأول : قولهم : اجترح : إذا عمل وكسب ، قال الله عزّ وجلّ : (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ){الجاثية : ٢١} وإنّما سُمِّيَ ذلك اجتراحًا ؛ لأنّه عمل بالجوارح ، وهي الأعضاء الكواسب))(٢) ((وجوارح الإنسان : عوامل جسد من يديه ورجليه ، الواحدة جارحة ، واجترح عَمَلًا ، أي : اكتسب))(٣) ((والاجتراح : اكتساب الإثم))(٤)

واستعمل الجرح في قوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ){الأنعام : ٦٠}قال : (مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ) وما قال : ما كسبتم ، لأنّ المراد الكسب بجوارحه يديه ورجليه ، لأنّ الله سبحانه جعل الليل للنوم والراحة ، والنهار للسعي للمعيشة ، والحصول على المعاش يكون بعمل الجوارح قال الله تعالى : (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا){النبأ : ٩-١٠}

-**الصنع** : ((الصاد والنون والعين أصل صحيح واحد ، وهو عمل الشيء صُنْعًا ، وامرأة صَنَاع ورجل صَنَعٌ إذا كانا حاذقين فيما يصنعانه))(٥)و((الصُّنْعُ إجادة الفعل ، فكلّ صُنْعٍ فِعْلٌ وليس كلّ فِعْلِ صُنْعٌ ،

---

(١) فروق اللغات ص ١٠٠

(٢) مقاييس اللغة ص ١٦٤

(٣) العين ص ١٣٣

(٤) المفردات للراغب ص ٩٥

(٥) مقاييس اللغة ص ٤٩٥

، ولا يُنسَب إلى الحيوانات والجمادات كما يُنْسَب إليها الفعل قال تعالى : (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ){النمل : ٨٨} وقال تعالى : (وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ){هود : ٣٨} وقال تعالى : (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ){هود : ٣٧} وقال تعالى : (الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا){الكهف : ١٠٤}وقال تعالى : (لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ){المائدة : ٦٣} وقال تعالى : (وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ){هود : ١٦}وقال تعالى : (وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُواإِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ){طه : ٦٩} وقال تعالى : (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ){العنكبوت : ٤٥}))[١] و((قوله تعالى : (وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي){طه : ٣٩} كناية عن تربيته إلى أن شبَّ وبلغ أشدَّه ، وجعله بمنزلة الشيء المصنوع بمرتقاة ممن يصطنعه))[٢] وقال العسكري : ((إنّ الصنع ترتيب العمل وإحكامه على ما تقدّم علم به وبما يوصل إلى المراد منه))[٣] ولذلك استعمل القرآن الصنع في العمل الذي رتّبه صاحبه وأحكمه وحاكه كما يحوك الحائك ما يصنعه كقوله تعالى في سحرة فرعون : (قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ){طه : ٦٩}وقوله تعالى : (لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ){المائدة : ٦٣} قرن السحت الذي هو أشد الحرام بالصنع الذي هو أتقن العمل وأحكمه وقوله تعالى : (وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا

(١) المفردات ص ٢٩٧

(٢) عمدة الحفّاظ ٣٥٥/٢

(٣) الفروق اللغوية ص ١٥٤

كَانُوا يَعْرِشُونَ){الأعراف : ١٣٧}وكذلك دمّر الله أعظم ما كان يتقنه ويدبّره فرعون من أعمال

-**العمل** : ((العين والميم واللام أصل واحد صحيح ، وهو عامّ في كلِّ فعل يُفْعَل))[١] و((العمل كلُّ فعل يكون من الحيوان بقصد فهو أخصُّ من الفعل ؛ لأنّ الفعل قد يُنسَب إلى الحيوانات التي يقع منها فعل بغير قصد وقد يُنسَب إلى الجمادات ، والعمل قلّما يُنْسَب إلى ذلك ، ولم يستعمل العمل في الحيوانات إلّا في قولهم : البقر العوامل ، والعمل يُستَعمَل في الأعمال الصالحة والسيئة قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ){البقرة : ٢٧٧}٠٠٠وقال تعالى : (مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ){النساء : ١٢٣}))[٢]

-**الفعل** ☹(الفاء والعين واللام : أصل صحيح يدلّ على إحداث شيء من عمل وغيره))[٣] و((الفعل التأثير من جهة مؤثِّر، وهو عامّ لِما كان بإجادة أو غير إجادة ولِما كان بعلم أو بغير علم وقصد وغير قصد ولِما كان من الإنسان والحيوان والجمادات ، والعمل مثلُه ، والصنع أخصُّ منهما كما تقدّم ذكرهما ، والفعل ما يقابل القول : ((وقد وقع في التقابل الفرق بين الأقوال والأفعال فيقولون : سديد الأقوال والأفعال))[٤]قال تعالى : (وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّـهُ){البقرة : ١٩٧} وقال تعالى : (وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا){النساء : ٣٠} وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ){المائدة : ٦٧} أي :

---

(١) مقاييس اللغة ص ٦٠٩

(٢) المفردات ص ٣٦١-٣٦٢وينظر : عمدة الحفّاظ للحلبي ١٢٤/٣

(٣) مقاييس اللغة ص ٧٠٤

(٤) عمدة الحفّاظ للحلبي ١٢٤/٣

إن لم تُبَلِّغْ هذا الأمر فأنت في حكم من لم يُبَلِّغ شيئًا بوجه))[1] و((قوله تعالى : (وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ){الأنبياء : ١٠٤}أي : قادرين فالفعل يُعَبَّر به عن القدرة على الشيء ، قوله تعالى : (وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ){المؤمنون : ٤}أي : غير مضيّعين لها موفون))[2] أي : قادرون على تأديتها كما ينبغي

وكقوله تعالى : (لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ){الأنبياء : ١٧}((لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا)أي : ولدًا أو امرأة كأنّه ردٌّ على من قال عيسى ابنه ومريم صاحبته (لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا) من الولدان أو الحور (إِن كُنَّا فَاعِلِينَ) أي : إن كنّا ممن يفعل ، ولسنا ممن يفعله لاستحالته في حقّنا))[3] وقوله تعالى : (وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَاعِلِينَ){الأنبياء : ٧٩} ((وَكُنَّا فَاعِلِينَ) بالأنبياء مثل ذلك وإن كان عجبًا عندكم))[4] وقوله تعالى : (يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ){الأنبياء : ١٠٤}أي قادرين على فعل ذلك ((أي : محققين هذا الوعد))[5] ومن ذلك قوله تعالى : (وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ){يوسف : ١٠}وقوله تعالى : (قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ){الحجر : ٧١}وقوله تعالى (قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ){الأنبياء : ٦٨}

---

(١) المفردات ص ٣٩٨

(٢) عمدة الحفّاظ ٢٤١/٣

(٣) مدارك التنزيل ص ٧١٢

(٤) مدارك التنزيل ص ٧٢٢

(٥) مدارك التنزيل ص ٧٢٨

وكون الفعل يُعَبَّر به عن القدرة على الشيء متأتٍّ من أنّ المراد من الفعل ما كان ضدّ القول فيكون المراد منه تطبيقه في الواقع لا أن يكون مجرد قول ، وهذا هو المعنى المراد منه خيرًا كان أو شرًّا وقوله تعالى : (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ){الأنعام : ١١٢} وقوله تعالى : (إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ){الأنفال : ٧٣}وقوله تعالى : (وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا){الأعراف : ٢٨}

وهذا هو الفرق بين العمل والفعل ؛ ولهذا جُعِل الفعل ما يقابل القول كقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ){الصف : ٣} وقوله تعالى : (وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ){الشعراء : ٢٢٤-٢٢٦}

والفرق الثاني أنّ ((العمل أعمّ ؛ لأنّه من أعمال الجوارح والقلب ويدخل فيه عمل اللسان وهو من جملة الجوارح))[١]قال تعالى : (حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ){فصلت : ٢٠}فالعمل يكون بالأيدي والأرجل واللسان والسمع والبصر والقلب ، لذلك استعمل العمل من دون الفعل في قوله تعالى : (اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ){سبأ : ١٣} ليكون شكرهم لله بكلّ هذه الأعضاء والجوارح ؛ فلأنّ المراد من العمل هذا العموم فكثيرًا ما رتّب عليه الجزاء والثواب كقوله في العمل الصالح : (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ){البقرة : ٢٥} وقوله تعالى : (وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ){آل عمران : ٥٧} وقوله تعالى : (وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ

(١) عمدة الحفّاظ للحلبي ٣/١٢٤

تَجْـرِي مِـن تَحْتِهَـا الْأَنْهَـارُ خَالِـدِينَ فِيهَـا أَبَـدًا ۖ قَـدْ أَحْسَـنَ اللَّــهُ لَـهُ رِزْقًا){الطلاق : ١١} وقوله تعالى (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ){الانشقاق : ٢٥}وقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ){البروج : ١١} وقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَـٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ){البيّنة : ٧}(وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ){العصر : ١-٣}

ويظهر لي أنّ هناك فرقًا ثالثًا وهو أنّ العمل يكون فيما استمرّ عليه المرء ، وهذا يكون في الأغلب في الفرائض حتى إنّه لا يحسّ تكلّفًا بأدائه ؛ لأنّه اعتاد عليه كالصلاة وذكر الله يؤدّيها في كلّ يوم ، والصيام ، والزكاة يؤدّيهما في كلّ عام فهو مستمرّ بأدائهما عامًا بعد عام ، أمّا الفعل فهو حدث بارز وطارئ ؛ لذلك لا يكون الإنسان معتادًا عليه أو متهيئًا له فيحتاج في الأكثر للقيام به إلى دفعات إيمانية متجددة وقد يراد به وقوعه مرة واحدة في وقت معيّن لأمر معيّن كقوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ){الفجر : ٦} وقوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ){الفيل : ١}وقوله تعالى : (قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَـٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ){الأنبياء : ٦٢}وقوله تعالى : (وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ)وقد يراد تكراره في أوقات معيّنة كقوله تعالى : (وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا){الكهف : ٨٢}والمراد الفعلات الثلاث التي فعلها خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار حتى إذا أريد استمراره فهو ليس كالعمل لا يراد منه استمراره بتواصل وحسب منهج مرسوم ومعلوم مُسبَقًا بل يكون المراد منه تكراره في أوقات متفاوتة ومختلفة وحسب الحالات الطارئة قد تكون حالات شرّ يقع فيها الإنسان مرة أو تتكرر من دون أن تتواصل باستمرار كقوله

تعـالى : (وَالَّـذِينَ إِذَا فَعَلُـوا فَاحِشَـةً أَوْ ظَلَمُـوا أَنفُسَـهُمْ ذَكَـرُوا اللَّـهَ فَاسْـتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ){آل عمران : ١٣٥}فإذا كان الفعل متواصلًا دخل فـي بـاب العمل كقولـه تعـالى : (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ){العنكبوت : ٤}

فالفعل يراد منـه تكراره لا استمراره كقولـه تعـالى : (كَانُوا لَا يَتَنَـاهَوْنَ عَـن مُّنكَـرٍ فَعَلُـوهُ ۚ لَبِـئْسَ مَـا كَـانُوا يَفْعَلُونَ){المائـدة : ٧٩}وقولـه تعـالى : (يَخَـافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ){النحل : ٥٠} وقولـه تعـالى : (لَّا يَعْصُـونَ اللَّـهَ مَـا أَمَـرَهُمْ وَيَفْعَلُـونَ مَـا يُـؤْمَرُونَ){التحريم : ٦}فهـم يفعلـون الشيء كلّما أمرهم بفعله ، وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ){الحج : ٧٧} فقوله تعالى : (وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) فالمراد ما كان خارجًا عن العمل المعتاد عليـه كالصـوم والصـلاة ، أي : المـراد الخيـر الـذي يحتـاج إليـه النـاس فـي أوقـات الحاجـة ، فأمرهم الله بتكرار هذا الفعل كلّما دعت الحاجة إلى ضرورة تكراره

وفرّق الزركشي بين الفعل والعمل ((أنّ العمل أخصّ من الفعل ، كلّ عمل فعل ولا ينعكس ؛ ولهذا جعل النحاة الفعل فـي مقابلـة الاسم ؛ لأنّـه أعمّ وقد اعتبره الله تعالى ، فقال : (يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ){سبأ : ١٣} حيث كـان فعلهـم بزمـان ، وقـال تعـالى : (يَخَـافُونَ رَبَّهُـم مِّـن فَـوْقِهِمْ وَيَفْعَلُـونَ مَـا يُؤْمَرُونَ){النحـل : ٥٠} حيث يـأتون بمـا يُؤمَرون فـي طرفـة عين ، فينقلـون المدن بأسرع من أن يقوم القائم من مكانه ، قال تعالى : (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ){يس : ٧١}وقال تعالى : (لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ){يس : ٣٥} فـإنّ خلـق الأنعـام والثمـار والـزروع بامتداد ، وقـال تعـالى : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ){الفيل : ١}

وقال تعالى : (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ){الفجر : ٦} وقال تعالى : (وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ){إبراهيم : ٤٥} فإنّها إهلاكات وقعت من غير بطء

وقال تعالى : (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ){البقرة : ٤٥} حيث كان المقصود المثابرة عليهالا الإتيان بها مرة ، وقال تعالى : (وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ){الحج : ٧٧} بمعنى : سارعوا ، كما قال تعالى : (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ){البقرة : ١٤٨} وقال تعالى : (وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ){المؤمنون : ٤} أي : يأتون بها على سرعة من غير توان في دفع حاجة الفقير ، فهذا هو الفصاحة في اختيار الأحسن في كلّ موضع))[١]

-**القَرْفُ** :((القاف والراء والفاء أصل صحيح يدلُّ على مخالطة الشيء والالتباس به وادِّراعه٠٠٠ومن الباب : اقترفتُ الشيء : اكتسبته كأنّه لابسه وادّرعه))[٢]((واقترف ذنبًا أي : أتاه وفعله٠٠٠وقرفتُ فلانًا ، أي : وقعتُ فيه وذكرتُه بسوء ، واقترفت : اكتسبتُ لأهلي))[٣]

و((أصل القَرْف والاقتراف قَشْر اللّحاء عن الشجر والجِلْدة عن الجرح ، وما يُؤخَذ منه قِرْفٌ واستعير الاقتراف للاكتساب حسنًا كان أو سوءًا قال تعالى : (وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ){الأنعام : ١١٣} وقال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ){الأنعام : ١٢٠}وقال تعالى : (وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا){التوبة : ٢٤} والاقتراف في الإساءة أكثر استعمالًا ، ولهذا يقال : الاعتراف يزيل الاقتراف وقرفْتُ فلانًا بكذا : إذا عبتُه أو اتهمتُه

---

(١) البرهان في علوم القرآن ص ٧٥٣-٧٥٤ والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ص ٣٠٢

(٢) مقاييس اللغة ص ٧٦٩ وفي سائر المعاجم بكسر القاف فقط كما قال المحقق وادّرعه : لبسه كلبس القميص

(٣) العين ص ٧٨٢

، وقد حُمِلَ عليه قوله تعالى : (وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ){الأنعام : ١١٣} وفلان قرفني ، ورجل مُقْرِفٌ هَجين ، وقارف فلانٌ أمْرًا إذا تعاطى ما يُعاب عليه))[١] ((وقارفتُ الأمرَ : قاربته ولاصقته))[٢]

-**الكدح** : فرّق العسكري ((بين الكسب والكدح أنّ الكدح الكسب المؤثّر في الخلال كتأثير الكدح الذي هو الخدش في الجلد وقال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ){الانشقاق : ٦} وهو يرجع إلى شدة الاجتهاد في السعي والجمع ، وفلان يكدح لدنياه ، ويكدح لآخرته ، أي : يجتهد لذلك)) [٣]

-**الكسب** : ((الكاف والسين والباء أصل صحيح وهو يدلُّ على ابتغاء وطلب وإصابة ، فالكسب من ذلك ، ويقال : كسب أهله خيرًا ، وكسبتُ الرجلَ مالًا فكسبه ، وهذا مما جاءعلى فعلته))[٤] و((الكسب : طلب الرزق))[٥] و((الكسب ما يتحرّاه الإنسان مما فيه اجتلاب نفع وتحصيل حظّ ككسب المال ، وقد يُستعمل فيما يظنُّ الإنسان أنّه يجلب منفعة ثمّ استُجلِب به مضرة ، والكسب يقال فيما أخذه لنفسه ولغيره ، ولهذا قد يتعدّى إلى مفعولين فيقال : كسبتُ فلانًا كذا ، والاكتساب لا يقال إلّا فيما استفدته لنفسك ، فكلّ اكتساب كسب ، وليس كلّ كسب اكتسابًا ، وذلك نحو خَبَزَ واختبز وشوى واشتوى وطبخ واطّبخَ ٠٠٠وقد ورد في القرآن في فعل الصالحات والسيئات ، فمما استُعمل في الصالحات قوله تعالى : (أَوْ كَسَبَتْ

---

(١) المفردات ص ٤١٧

(٢) عمدة الحفّاظ للحلبي ٣/٣٠٠

(٣) الفروق اللغوية ص ١٥٦

(٤) مقاييس اللغة ص ٨٠١

(٥) العين ص ٨٤١

فِـي إِيمَانِهَـا خَيْرًا){الأنعـام : ١٥٨}٠٠٠وممّـا يُسـتَعمَل فـي السـيّئات قولـه تعـالى : (إِنَّ الَّـذِينَ يَكْسِـبُونَ الْإِثْـمَ سَـيُجْزَوْنَ بِمَـا كَـانُوا يَقْتَرِفُونَ){الأنعـام : ١٢٠}٠٠٠والاكتساب قد ورد فيهما ، قال في الصالحات : (لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا ۖ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ){النساء : ٣٢} وقوله تعالى : (لَا يُكَلِّفُ اللَّـهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ){البقرة : ١٨٦} فقد قيل : خُصَّ الكسب ههنا بالصالح والاكتساب بالسيّئ وقيل : عُنِيَ بالكسب ما يتحرّاه من المكاسب الأخروية ، وبالاكتساب ما يتحرّاه من المكاسب الدنيوية))[١]((والكسب ما وقع بمراس وعلاج))[٢]

وفرّق العسكري ((بين الكسب والجرح أنّ الجرح يفيد من جهة اللفظ أنّه فُعِل بجارحة كما أنّ قولك : عنته يفيد أنّه من جهة اللفظ للإصابة بالعين ، والكسب لا يفيد ذلك من جهة اللفظ)) [٣]

والاقتراف وإن قيل بأنّه يعني الاكتساب إلّا أنّه أشدّ وألصق بالشيء منه ؛ لأنّ اقتراف الشيء يعني مخالطته والالتباس به وادّراعه ، فيلبسه كما يلبس المرء قميصه ؛ لذلك قال سبحانه : (إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ){الأنعام : ١٢٠} أي : أنّه سبحانه يحاسب من كسبهم ما بلغ درجة الاقتراف

وصفوة ما تقدّم ذكره في الفرق بين الجرح والصنع العمل والفعل والقرف والكسب أنّ :

الجرح : هو ما يكتسبه المرء بجوارحه يديه ورجليه

---

(١) المفردات ص ٤٤٩-٤٥٠ وينظر : ٣/٣٩٥-٣٩٧

(٢) الفروق اللغوية للعسكري ص ١٥٥-١٥٦

(٣) الفروق اللغوية للعسكري ص ١٥٦

والصنع : هو إتقان العمل وإحكامه وترتيبه كأنّه يريد أن يصنعه كما تصنّع المصانع ما يحتاج إليه الناس .

والعمل عامٌّ في كل ما يقوم به المرء بأعضائه ولسانه وسمعه وبصره وقلبه

والفعل : ما كان حاصلًا ومحقّقًا في الواقع أي : ما يقابل القول فكثيرًا ما يُثني الناس على الشخص بقولهم : فلان يقول ويفعل ، وكثيرًا ما يذمّونه بقولهم : فلان يقول ولا يفعل .

والاقتراف : ما دلَّ على مخالطة الشيء والاشتمال عليه وممازجته وارتدائه

والكسب : كسب وتحصيل ما كان من الأعيان أو المعاني بمراس وعلاج .

والكدح هو شدة الاجتهاد في السعي والجمع

٧-**الجزع والحزن والهلع** : **الجزع** : ((الجزع نقيض الصبر)) [١]((قال تعالى : (سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ){إبراهيم : ٢١} الجزع أبلغ من الحزن فإنّ الحزن عامّ والجزع هو حزن يصرف الإنسان عمّا هو بصدده ويقطعه عنه ، وأصل الجزع قطع الحبلمن نصفه)) [٢]

-**الهلع** : ((الهلع : بُعْدُ الحرص ، رجل هَلِعٌ هلوع : جزوع حريص ، يقال : جاع فهلع ، أي : قلّ صبره)) [٣]و((قوله تعالى : (إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا){المعارج : ١٩-٢١} قيل : مفسَّرة بما بعده ، وعن ثعلب : سألني

(١) العين ص ١٤٠وينظر : مقاييس اللغة ص ١٦٥

(٢) المفردات ص ٩٧ وينظر : عمدة الحفّاظ ٣٢٤/١

(٣) العين ص ١٠١٨

محمد بن عبد الله بن ظاهر : ما الهلع ؟ قلتُ : قد فسّره الله تعالى ، ولا يكون أبين من تفسيره ، وهو الذي إذا ناله شرٌّ أظهر شدّة الجزع ، وإذا ناله خير بخل به ومنع ، وقيل : هو الفزع والاضطراب الشديد۰۰۰لا يصبر على المصائب۰۰۰الهلع أشدّ الجزع)) [١]

فالحزن معروف ، والجزع نقيض الصبر وأشدّ الحزن ، والهلع نقيض الصبر وأشدّ الجزع

٨–**الجعل والخلق :الخلق** ☹(الخلق : أصله التقدير المستقيم ، ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء ، قال تعالى : (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحقِّ){إبراهيم : ١٩}...ويستعمل في إيجاد الشيء من الشيء نحو قوله تعالى : (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا){الأعراف : ١٨٩} وقوله تعالى : (خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ){النحل : ٤})) [٢]

–**الجعل** ☹(جعلَ : لفظ عام في الأفعال كلها ، وهو أعم من فعل وصنع وسائر أخواتها ، ويتصرف على خمسة أوجه ، الأول : يجري مجرى صار وطفق ، فلا يتعدى نحو : جعل زيد يقول...والثاني : يجري مجرى أوجد فيتعدى إلى مفعول واحد ، نحو قوله تعالى : (وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ){الأنعام : ١}...والثالث : في إيجاد شيء من شيء وتكوينه منه نحو قوله تعالى : (وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا){النحل : ٧٢}...والرابع : في تصيير الشيء على حالة دون حالة ، نحو قوله تعالى : (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً){البقرة : ٢٢} والخامس : الحكم بالشيء على الشيء حقًّا كان أو باطلًا ، فأمَّا الحق فنحو قوله تعالى : (إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ

---

(١) عمدة الحفّاظ ٢٥٤/٤

(٢) المفردات ص ١٦٤ وينظر : عمدة الحفاظ ٥٢٧/١ وبصائر ذوي التمييز ٥٢٧/١ .

الْمُرْسَلِينَ){القصص : ٧} وأمَّا الباطل فنحو قوله عز وجل : (الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ){الحجر : ٩١}))[١] والرابع والخامس من أوجه جعلَ يدخلان في معنى التحويل والتصيير

وفي تفسير قوله تعالى : (الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ){الأنعام : ١} ذهب جمهور المفسرين إلى أنَّ جعل هنا بمعنى خلق لتعديها لمفعول واحد[٢]إلّا أنَّ الزمخشري فرَّق بينهما فقال : ((والفرق بين الخلق والجعل أنَّ الخلق فيه معنى التقدير ، وفي الجعل معنى التضمين كإنشاء شيء من شيء ، أو تصيير شيء شيئًا ، أو نقله من مكان إلى مكان ، من ذلك قوله تعالى : (وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا){الأعراف : ١٨٩} وقوله تعالى : (وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ){الأنعام : ١} لأنَّ الظلمات من الأجرام المتكاثفة ، والنور من النار)) [٣] و((والجعل فيه معنى التضمين ، أي : كونه مُحَصَّلًا من آخر ، كأنَّه في ضمنه ؛ ولذلك عبَّر عن أحداث النور والظلمة بالجعل ، تنبيهًا على أنهما لا يقومان بأنفسهما)) [٤]

فهذا هو معنى الجعل أنَّه يعني التصيير ، وكونه محصلًا من آخر ، سواء جاء متعديًا لواحد أم لاثنين ، وليس كذلك الخلق كما ادعى الراغب ومن تبعه ، فقد تقدم أنَّه ومن تبعه جعلوا من معاني الخلق إيجاد الشيء من

---

(١) المفردات ص ٩٩ وينظر وعمدة الحفاظ ٣٢٨/١ وبصائر ذوي التمييز ٣٨٣/٢ .

(٢) ينظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة ص ٧٨ والوسيط للواحدي ٢٥١/٢ والمحرر الوجيز لابن عطية ٢٦٦/٢ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٦٥/٦ ومدارك التنزيل ص ٣١٢ وفتح القدير ١٢٤/٢

(٣) الكشاف ٣/٢ وينظر : البحر المحيط ٩١/٤

(٤) روح المعاني ٧٨/٤ .

الشـيء نحـو قولـه تعـالى : (هُـوَ الَّـذِي خَلَقَكُـم مِّـن نَّفْـسٍ وَاحِـدَةٍ){الأعراف : ١٨٩} [١] وجعلَ من معاني الجعل : إيجاد شيء من شيء ، كقولـه تعالى : (وَاللّـهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا){النحـل : ٧٢}[٢] فجعلَ الخلـقَ والجعلَ بمعنـى واحـد ، والحقيقـة أنَ الجعـل لا يعنـي الإيجـاد والإنشـاء بـل التحويـل والتصيير فقولـه تعالى : (وَاللّـهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا) يفيد باستعمال الجعـل أنَّ (أَزْوَاجًـا) هـي بعـض (أَنفُسِكُمْ) والمعنـى : صـيَّر بعـض أنفسـكم أزواجًـا ، فتكـون (مِـن) تبعيضـية والمعنـى يختلـف باسـتعمال الخلـق ، كقولـه تعـالى : (وَمِـنْ آيَاتِـهِ أَنْ خَلَـقَ لَكُـم مِّـنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًـا){الروم : ٢١} فالآيـة باستعمال خَلَقَ تعنـي أنَّـه أوجد وأنشأ أزواجًا مـن أنفسكم مـن دون أن تكـون هذه الأزواج هي بعض أنفسكم ، بل هي من ذريتكم ، فتكون (مِن) للابتداء وليست تبعيضية .

وكذلك قوله تعالى : (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللّهِ مَن لَّعَنَهُ اللّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَاء السَّبِيلِ){المائدة : ٦٠} والمعنى باستعمال الجعل أنَّه سبحانه وتعالى صيَّر بعض من لعنهم الله قردة وخنازير ، فتكون (مِن) تبعيضية ، ولو استعمل الخلق ، وقال : وخلق منهم القردة والخنازير ، لكان المعنى أنَّه سبحانه أوجد وأنشأ وخلق ممن لعنهم الله القردة والخنازير ، أي : خلق أولادهم قردة وخنازير ، فيكون هذا المسخ بدأ ممن لعنهم ، من دون أن يشمل ويعنى هذا المسخ أحدًا منهم ، بل لشمل وعنى نسلهم وذريتهم ، فيكون الله سبحانه أخذ الذرية بجريرة آبائهم وأجدادهم ، وهذا ما تنزه الله عنه ، فتكون (مِن) للتبعيض لا للابتداء ، في قوله تعالى : (وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ

([١]) ينظر : المفردات ص ١٦٤ وعمدة الحفاظ ٥٢٧/١ وبصائر ذوي التمييز ٥٦٦/٢

([٢]) ينظر :المفردات ص ٩٩ وعمدة الحفاظ ٣٢٨/١ وبصائر ذوي التمييز ٣٨٣/٢ .

وَالْخَنَازِيرَ)وكذلك قوله تعالى : (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا){الأعراف : ١٨٩} والنفس الواحدة هي آدم عليه السلام ، والمعنى باستعمال الجعل : خلقكم من نفس واحدة وصيَّر من هذه النفس حواء ، أي : صيَّر بعضها زوجًا لها ، فتكون حواء جزءًا وبعضًا وبضعة من آدم ، فكأنَّه أنجبها ، فتكون (مِن) تبعيضية ، والمعنى يختلف باستعمال الخلق في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا){النساء : ١} والمعنى : خلقكم من نفس واحدة ، وخلق من هذه النفس زوجها ، أي : خلق آدم من طين وخلق حواء من آدم ، و(مِن) ابتدائية لا تبعيضية ، والدليل على ذلك قوله تعالى : (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الأنسَانِ مِن طِينٍ){السجدة : ٧} وكما بدأ خلق آدم من طين بدأ خلق حواء من آدم ، فلأنَّ جَعلَ تفيد معنى التحويل والتصيير فكل (مِن) بعدها تكون للتبعيض ، ولأنَّ خلَقَ تفيد معنى الإنشاء فكل (مِن) بعدها تكون للابتداء .

٩-**الجمع والحشر** : فرّق العسكري ((بين الجمع والحشر أنّ الحشر هو الجمع مع السوق ، والشاهد قوله تعالى : (وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ){الشعراء : ٣٦}أي : ابعث من يجمع السحرة ويسوقهم إليك ، ومنه يوم الحشر ؛ لأنّ الخلق يُجمَعون فيه ويُساقون إلى الموقف ، وقال صاحب المفصّل[1] : لا يكون الحشر إلّا في المكروه، وليس كما قال ؛ لأنّ الله تعالى

---

(1) عرّف المحقق بأنّ صاحب المفصّل هو الزمخشري ، وفي ذلك إشكال كبير ؛ لأنّ العسكري متوفّى في حدود ٤٠٠هـ والزمخشري منوفّى سنة ٥٣٨هـ فكيف يصحّ أن يكون العسكري قد قصد بصاحب المفصَّل أنّه الزمخشري ؟! ولعله قد حصل تصحيف وأنّه يقصد صاحب المفضليات للمفضّل الضبّي ، والمفضَّل هو المُفَضَّل بن محمد الضَّبِّي أبو العبّاس ، وقيل : أبو عبد الرحمن ، له الاختيار الشعري المشهور بالمفضليات وكان عالمًا بالنحو والشعر والغريب وأيّام النَّاس ، وكان يكتب المصاحف بيده ويقفها في

يقول : {يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا}{مريم : ٨٥}٠٠٠وأقلّ الجمع عند شيوخنا ثلاثة ، وكذلك هو عند الفقهاء))[١]

١٠-**الجمع والكلّ** :فرّق العسكري ((بين الكل والجمع : أنَّ الكلّ عند بعضهم هو الإحاطة بالأجزاء ، والجمع الإحاطة بالأبعاض...والصحيح أنَّ الكل يقتضي الإحاطة بالأبعاض ، والجمع يقتضي الأجزاء))[٢] وتقدم قوله في باب الفرق بين العام والسنة : ((كما أنَّ الكل هو الجمع ، والجمع هو الكل ، وإن كان الكل هو إحاطة بالأبعاض ، والجمع إحاطة بالأجزاء)) [٣]

والجمع والكل لفظان مترادفان ، لكنهما غير متطابقين في المعنى ، وكان على أهل اللغة جميعًا أن يسلّموا بهذا الأمر تسليمًا ، لأنَّه لا بدّ من أن يكون بينهما فرق في الدلالة لاختلاف استعمالهما ، فكيف يتسنّى للغوي محقق أن يؤكد اتحادهما في المعنى ، و(الكل) وردت من دون (الجمع) مضافة إلى نكرة في مواضع كثيرة في القرآن الكريم بلغت ٢٥٩ موضعًا حسب إحصائي لها ؟! كقوله تعالى : {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}{القمر : ٤٩} وقوله تعالى : {فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ}{الرحمن : ٥٢} وقوله تعالى : {كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ}{الطور : ٢١} وإضافة (الكل) إلى النكرة يفيد ((استغراق أفراد المنكر))[٤] وعدم ورود (الجمع) مضافة إلى النكرة يعني أنَّها لم تستعمل لهذا الغرض كما استُعملت له (الكلّ) .

المساجد تكفيرًا لما كان يكتبه في أهاجي النّاس ، توفِّي رحمه الله سنة ١٦٨هـ ينظر : بغية الوعاة ٢٤٨/٢ والأعلام للزركلي٢٨٠/٧

(١) الفروق اللغوية ص ١٦٢

(٢) الفروق اللغوية ص١٦٠-١٦١.

(٣) الفروق اللغوية ص ٣٠٢ .

(٤) الكليات ص ٦٢٦ .

و(الكلّ) اسم جامد على صيغته فلم يرد منه مشتق ، بخلاف (الجمع) الذي جاء منه الفعل واسم الفاعل والمفعول بصيغها المختلفة ، فاختلاف استعمالهما دليل أيّما دليل على اختلاف معنييهما ، كما أنَّ أهل اللغة أنفسهم عرفوا كلًّا منهما تعريفًا يختلف عن الآخر ، قال ابن فارس : ((فأمَّا (كلٌّ) فهو اسم موضوع للإحاطة))(١) ((والجيم والميم والعين أصل واحد يدل على تضام الشيء)) (٢) ((والجمع : ضد التفريق)) (٣)

والدليل على اختلاف معنييهما أنَّه كثيرًا ما يقع (الكل) في مواضع لا يصح أن يقع فيها (الجمع) كقوله تعالى : (وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ){الإسراء : ١٣} فلا يصح ، وليس من المفيد أن يقال : وجميع إنسان ألزمناه طائره في عنقه ، وكذلك كثيرًا ما يقع (الجمع) في مواضع لا يصح أن يقع فيها (الكل) كقوله تعالى : (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ){القيامة : ١٧} فلا يصح ، وليس من المفيد أن يقال : إنَّ علينا كلَّه وقرآنه ((وسُئل المبرد عن قوله تعالى : (فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ){الحجر : ٣٠} فقال جاء بقوله (كُلُّهُمْ) لإحاطة الأجزاء ، فقيل فـ(أَجْمَعُونَ) ؟ فقال : لو جاءت (كُلُّهُمْ) لاحتمل أن يكون سجدوا كلهم في أوقات مختلفات ، فجاءت (أَجْمَعُونَ) لتدلّ أنَّ السجود كان منهم في وقت واحد ، فدخلت (كُلُّهُمْ) للإحاطة ، ودخلت (أَجْمَعُونَ) لسرعة الطاعة)) (٤)

---

(١) مقاييس اللغة ص ٧٨٧.

(٢) مقاييس اللغة ص ١٧٥.

(٣) عمدة الحفاظ ٢٣٧/١ وينظر : بصائر ذوي التمييز ٣٩٠/٢ وتاج العروس ٢٤٠/٢٠

(٤) تاج العروس ١٨٩/٣٠

١١-**الجنُّ والسترُ : الجنّ :** ((الجيم والنون أصل واحد ، وهو السَّتْر والتستُّر ، فالجَنَّة ما يصير إليه المسلمون ، وهو ثواب مستور عنهم اليوم ، والجَنَّة : البستان ، وهو ذاك ؛ لأنَّ الشجر بورَقه يستر ... والجنين : الولد في بطن أمّه ، والجنين : المقبور ... والمجنُّ : التُرْس ، وكل ما استتر به من السلاح فهو جُنَّة ...والجِنَّة : الجنون ، وذلك أنَّه يغطي العقل ... أمَّا الحيّة الذي يُسمَّى الجانّ ، فهو تشبيه له بالواحد من الجانّ ، والجِنُّ سمّوا بذلك ؛ لأنَّهم متسترون عن أعين الناس)) [١]

وبين الجِنِّ والستر فرق في الدلالة وإن كان أهل اللغة قد أجمعوا على أنَّ الجِنَ يعني الستر بعينه ، حتى إنّي لم أجد أحدًا فرّق بينهما ، ويمكن أن نستخلص الفرق بينهما من تعريف أهل اللغة لهما ، قال ابن فارس ((والسُّترة : ما استترتَ به كائنًا ما كان))[٢] وقال الراغب : ((والسَّتر والسُّترة ما يُستتر به))[٣] فالستر : هو ما يسترك عن شيء ، كالألبسة تسمى سترًا ؛ لأنَّنا نلبسها لنستر بها عوراتنا عن أنظار الناس ، وعن الحر والبرد ، وكذلك سميت أستار الكعبة ، فليس الغاية من هذه الأستار كما هو واضح إخفاء الكعبة ، بل إظهارها بزينة لباس تليق بها ، وقد ورد الستر بهذه الدلالة في ثلاثة مواضع ، وهي : قوله تعالى : (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا){الإسراء : ٤٥} جاء في التفسير أنَّ هذه الآية نزلت في قوم كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ القرآن ، فجعل الله بينه وبينهم حجابًا ، أي : ذا ستر أو حجابًا لا يُرى فهو

---

(١) مقاييس اللغة ص ١٥٣-١٥٤ وينظر : الوجوه والنظائر للعسكري ص ١١٩-١٢٠

(٢) مقاييس اللغة ص ٤٢٨

(٣) المفردات ص ٢٣٠

مستور ، فصاروا يأتونه ويمرون به ، وهم لا يرونه ولا يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] وقوله تعالى : (حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا){الكهف : ٩٠} والمعنى : حتى إذا بلغ أرض قوم وجدهم يعيشون في كهوف ؛ لأنَّه سبحانه لم يجعل لهم أبنية تسترهم عن الشمس وشدة حرارتها ؛ لأنَّهم كانوا في أرض لا يثبت عليها بناء ، فإذا طلعت الشمس دخلوا كهوفهم ، فإذا غربت خرجوا منها[2]وقوله تعالى : (وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ){فصلت : ٢٢} والمعنى : ((أنَّكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفاحشة))[3] فالستر هو ستر شيء عن شيء ، والجنُّ هو إخفاء الشيء وتغييبه ؛ لذلك لمَّا عرَّف ابن فارس الجنّ قال هو ((السَّتر والتستُّر))[4] ولم يقل هو ما يستتر به ، ولمَّا عرَّف الستر قال هو : (ما استترتَ به))[5]وقال الراغب : ((وجنَّ عليه كذا ستر عليه ، قال عز وجل : (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا) ... والجَنة كل بستان ذي شجر يستر بأشجاره الأرض)) [6]

فقولك : سترتُ الشيء يعني أنَّك سترتَه بشيء ، فأصبح مستورًا به ، وقولك جننتُ الشيءَ يعني أنَّك غيَّبته ، وجعلته مخفيًّا ؛ ذلك بإحاطته من كل جوانبه ، أو هو تغطية الشيء وتغشيته كما يغشي الليل الأشياء بظلامه ؛ لذلك جاء في معاجم اللغة في باب جَنَّ : جنَّه الليل ، والاختيار : جنَّ عليه

---

(١) ينظر : زاد المسير ٣١/٥ ومدارك التنزيل ص ٦٢٤

(٢) ينظر : زاد المسير ١٣٨/٥ ومدارك التنزيل ص ٦٦٣

(٣) مدارك التنزيل ص ١٠٧٣

(٤) مقاييس اللغة ص ١٥٣

(٥) مقاييس اللغة ص ٤٢٨

(٦) المفردات للراغب ص ١٠٣

الليل ، وأجنَّه الليل ، والجَنَن بالفتح : القبر ، والجَنَن : الكفن ، وأجننتُ الشيء في صدري : أكننته ، وجننتُه في القبر ، وأجننته : واريته ، وجنَّه الليل ، وجنَّه الكفن ، والجنين : الولد ما دام في بطن أُمّه ، والجنين : القبر ، والجنين : الميت في قبره ، والجَنان : القلب وسمي به ؛ لأنَّ الصدر يجنّه ، وسمي الروح جَنانًا ؛ لأنَّ الجسم يجنّه ، هذا ما قرأته في معاجم اللغة في باب جَنَّ [١] ولم يرد فيها مثل هذه الأقوال في باب سَتَرَ ، فقد قالوا : جنَّه الليل ، وأجنَّه الليل ، وجنَّه الكفن ، ولم يقولوا : ستره الليل ، وأستره الليل ، وستره الكفن ، وقالوا : الجَنَن للقبر وللكفن ، ولم يقولوا : السَّتْر ، وقالوا : جننتُه في القبر ، وأجننته القبر : بمعنى واريته ، ولم يقولوا : سترته في القبر ، وأسترته القبر ، وقالوا : الجَنين للولد ما دام في بطن أُمِّه ، وكذلك قالوه للقبر وللمقبور ، ولم يقولوا : السَّتير ، وقالوا : الجَنان للقلب ، وللروح ، ولم يقولوا : السَّتار ، ذلك أنَّ قولك : ستر الشيءَ يعني ستره عن شيء ، وليس هذا هو المراد من قولك : جَنَّ الشيءَ ، وإنَّما المراد إخفاؤه ، وتغييبه ، وإحاطته من كل جوانبه ، وكذلك الجُنَّة التي تعني الدرع وكل ما وقى المقاتل من العدة والسلاح ؛ فإنَّ من يرتديها ويتقلدها في الحرب لا يريد بها أن تستره عن أنظار خصمه ، بل هو يُرى بها من لدنهم ، كما يراهم من دونها ، وإنَّما يريد أن يحتمي بها كما يحتمي كل جنين بما جُنَّ

١٢-**الجنّ والشياطين** :قال العسكري في التفريق بين الشيطان والجنّي : ((إنّ الشيطان هو الشرّير من الجنّ ، ولهذا يقال للإنسان إذا كان شرّيرًا شيطان ، ولا يقال جنّي ؛ لأنّ قولك : شيطان يفيد الشرّ ، ولا يفيده قوللك : جنّي ، وإنّما يفيد الاستتار ، ولهذا يقال على الإطلاق : لعن الله

---

(١) ينظر : العين ص ١٥٦ وتهذيب اللغة ١/٦٧١-٦٧٣ ولسان العرب ٣/٢١٧-٢١٩ وتاج العروس ٣٤/٢٠١-٢٠٣

الشيطان ، ولا يقال : لعن الله الجنّي ، والجنّي اسم جنس ، والشيطان صفة))[1]

وما قاله على اقتضابه فيه لبس شديد من جهتين : الأولى الخلط بين دلالة الجنّ العامّة والخاصّة فالجنّ يعني الاستتار ؛ لذلك يُطلَق على كلّ مستتر ، فيطلَق على الملائكة وعلى إبليس وذريته ، وعلى الجنّ لاشتراكهم جميعًا بصفة الاستتار ، لكنّ خُصّ إطلاقها على الجنّ ، أي : إذا أردنا من الجنّ معناه العامّ عنينا الملائكة وإبليس وذريته والجنّ ، وإذا أردنا معناه الخاصّ عنينا الجنّ وحدهم من دون الملائكة وإبليس وذريته .

والثانية : الخلط بين دلالة الشيطان العامّة والخاصّة فالشيطان يعني كلّ متمرّد فهو يطلَق على إبليس وذريته فكلهم شياطين ؛ لأنّهم كلّهم متمردون ، وتطلَق على المتمردين من الإنس من دون المطيعين منهم ، وتُطلق على المتمرّدين من الجنّ من دون المطيعين ؛ لأنّ الجنّ كالإنس فيهم المؤمن وفيهم الكافر ، وخصّ إطلاقه على إبليس وذريته ، فإذا أردنا من الشيطان معناه العامّ عنينا كلّ متمرّد من الشياطين والإنس والجنّ والدوابّ ، وإذا أردنا معناه الخاصّ عنينا إبليس وذريته وحدهم من دون غيرهم ، واستنادًا إلى هذا الفرق بين دلالة الشيطان العامّة ودلالته الخاصّة فهل يصح أن نعني من قولنا : لعن الله الشيطان ، معناه العام ، أم يجب أن نعني معناه الخاصّ ؟ لأنّ القرآن الكريم قد صرّح بلعن إبليس وذريته ، لكنّه لم يصرّح بلعن من تمرّد من الإنس والجنّ وإن أطلق عليهم لفظ الشيطان ؟

وأكثر أهل اللغة والتفسير لم يحسنوا التفريق بين الجنّ والشياطين بل خلطوا بينهما ، من أجل ذلك وجدتّ من الضروري تفصيل الفرق بينهما

---

(١) الفروق اللغوية ص ٣٠٩

-**الجنّ والشياطين في كتب اللغة : الجنّ** : ((الجيم والنون أصل واحد وهو السَّتر والتستّر ٠٠٠فأمّا االحيَّة الذي يُسمّى الجانّ فهو تشبيه له بالواحد من الجانّ ، والجنّ سُمّوا بذلك ؛ لأنّهم متستّرون عن أعين الخلق قال الله تعالى : (إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ){الأعراف : ٢٧}))[١]و((الجنّ جماعة ولد الجانّ٠٠٠سُمّوا به لاستجانّهم من الناس فلا يُرَون)) [٢]((والجانّ هو أبو الجنّ ، خُلِق من نار ، ثمَ خُلِق منه نسله)) [٣]و((الجنّ أصله الستر٠٠٠قال الله تعالى : (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ){الأنعام : ١٠٠}يعني الملائكة ، وسمّاهم جنًّا ؛ لأنّهم مستورون عن الأبصار)) [٤]

-**الشيطان** : ((الشين والطاء والنون أصل واحد يدلّ على البعد ... وأمَّا الشيطان ، فقال قوم هو من هذا الباب والنون فيه أصلية ، فسمِّي بذلك لبعده عن الحق وتمرده ، ذلك أنَّ كل عاتٍ متمرد من الجن والإنس والدواب شيطان ... ويقال : إنَّ النون فيه زائدة على فعلان وأنَّه من شاط)) [٥]((والشيطان في كلام العرب : كلّ متمرّد من الجنّ ، والإنس ، والدوابّ)) [٦]و((الشيطان : اسم لكل متمرد ، قال أبو عبيدة : كل غالب متمرد من الجنّ والإنس والدواب فهو شيطان)) [٧]و((الشيطان النون فيه أصلية ...

---

(١) مقاييس اللغة ص ١٥٣-١٥٤

(٢) العين ص ١٥٦

(٣) تهذيب اللغة ٦٧١/١ ويُنظَر : الصحاح للجوهري ص ١٩٣

(٤) الوجوه والنظائر للعسكري ص ١١٩-١٢٠

(٥) مقاييس اللغة ص ٤٤٧-٤٤٨ .

(٦) جامع البيان : ٥٧/١

(٧) نزهة الأعين ص ١٦٨ .

فالشيطان مخلوق من نار ... ولكونه من ذلك اختص بفرط القوة الغضبية والحمية الذميمة وامتنع من السجود لآدم))[١]((وقالوا : تشيطن ، أي : فعل فعل الشياطين فنونه أصلية وألفه مزيدة هذا قول الحذاق ... وذلك لأنَّه بَعُدَ من رحمة الله تعالى لمخاصمته أمره)) [٢]

-**علاقة الجن والشياطين بإبليس وذريته** : ((اختلف أهل العلم في أصل الجنّ ، فروى إسماعيل عن الحسن البصري أنّ الجنّ ولد إبليس ، والإنس ولد آدم ، ومن هؤلاء وهؤلاء مؤمنون وكافرون ، وهم شركاء في الثواب والعقاب ، فمن كان من هؤلاء وهؤلاء مؤمنًا فهو وليّ الله ، ومن كان من هؤلاء وهؤلاء كافرًا فهو شيطان ، وروى الضحاك عن ابن عباس أنّ الشياطين هم ولد إبليس ، لا يموتون إلّا مع إبليس ، واختلفوا في دخول مؤمني الجنّ الجنّة على حسب الاختلاف في أصلهم ، فمن زعم أنّهم من الجانّ لا من ذرية إبليس قال : يدخلون الجنّة بإيمانهم ، ومَن قال : إنّهم من ذرية إبليس فلهم فيه قولان : أحدهما : وهو قول الحسن ، يدخلونها ، والثاني : وهو رواية مجاهد ، لا يدخلونها وإن صُرِفوا عن النار ، حكاه الماوردي))[٣]

فللمفسرين إذن في هذه القضية مذهبان :

الأول : أنّ الجنّ مؤمنهم وكافرهم من ذرية إبليس .

الثاني : أنّ الجنّ مؤمنهم وكافرهم من ذرية أبيهم الجانّ ، وليسوا من ذرية إبليس

---

(١) المفردات ص ٢٧٠.

(٢) عمدة الحفاظ ٢/٢٧٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨/١٩ وينظر : اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي ٤٠٩/١٩

وقد صرّح بعض المفسرين المحدثين بتبنّي المذهب الأول ، فقد قال ابن عاشور مثلًا في تفسير الجانّ في سورة الرحمن في قوله تعالى : (وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ){الرحمن : ١٥} (((والجانّ) والمراد به إبليس وما خرج عنه من الشياطين)) [١] وقال في تفسيرقوله تعالى : (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۚ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا){الكهف : ٥٠}((والذرية : النسل ، وذرية الشيطان الشياطين والجنّ))[٢]

فقد ذهب ابن عاشور إلى أنّ كلّ الذين سُمّوا بالجنّ أو بالشياطين هم من ذرية إبليس

والصحيح المذهب الثاني ، وهو مذهب واضح لا لبس فيه ، والمذهب الأول أوقع القائلين به في إشكال أساسي وكبير ؛ لأنّه كيف يصحّ أن يكون من ذرية إبليس مَن يؤمن ويدخل الجنّة ، وقد قضى الله حكمه في إبليس وذريته أنّهم كلّهم أشرار وأشقياء لا تصدر منهم إلّا المعصية ، وأنّهم كلّهم توعّدوا للانتقام من بني آدم حتى قيام الساعة ، وهذا صريح في قول الله تعالى : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا ٤١٦رصرا لأخطب٤١٦ ُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ

---

(١) التحرير والتنوير ٢٢٩/٢٧

(٢) التحرير والتنوير ٨٤/١٥

يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ){الحجر : ٢٦-٤٤}

فالجنّ هم غير الشياطين وإن اشتركا في التسمية وخلقهما من نار ، والدليل على ذلك أنّ أهل التفسير فرقوا بينهما من حيث طبيعة النار التي خُلِق كلٌّ منهما قال الطبري : ((عن ابن عباس في قوله تعالى (والْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾{الحجر : ٢٧} قال : السموم الحارّة التي تقتل٠٠٠وهذه السموم جزء من سبعين جزءًا من السموم التي خرج منها الجان)) [1] يعني : التي خُلِق منها الجانّ[2] ويعني بالجانّ إبليس ؛ لأنّه ورد في سياق معصية الله بعدم سجوده لآدم ، وقال في تفسير قوله تعالى : (خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّار){الرحمن : ١٤-١٥}((وقوله تعالى : (وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّار) يقول تعالى ذكره : وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّار ، وهو ما اختلط بعضه ببعض من بين أحمر ، وأصفر ، وأخضر ، من قولهم : مرج أمر القوم : إذا اختلط٠٠٠عن ابن عباس (مِن مَّارِجٍ مِّن نَّار) قال : من أوسطها وأحسنها٠٠٠يقول : خلقه من لهب النار من أحسن النار٠٠٠عن عكرمة ، في قوله تعالى : (مِن مَّارِجٍ مِّن نَّار) قال : من أحسن النار)) [3] وقال :

---

(١) جامع البيان للطبري ١٤/٣٩-٤٠

(٢) ينظر : الوسيط للواحدي ٣/٤٤-٤٥ وتفسير ابن كثير ٤/٣٧٢

(٣) جامع البيان ٢٧/١٤٧

((عن ابن عباس : قال : كان إبليس من حيٍّ من أحياء الملائكة يقال لهم الجنّ خُلِقوا من نار السموم من بين الملائكة ، قال : وخُلِقت الجنّ الذين ذُكروا في القرآن الكريم من مارج من نار)) [١]

وعرّف ابن مسعود نار السموم فقال ((من الريح الحارّة ، وهي جزء من سبعين جزءًا من نار جهنّم)) [٢] ((والسموم : الريح الحارّة ، تُؤنّث يقال منه : سَمّ يومنا فهو مسموم ، والجمع سمائم ، قال أبو عبيدة : السموم بالنهار ، وقد تكون بالليل ، والحرور بالليل ، وقد تكون بالنهار ، القشيري : وسُمِّيت الريح الحارّة سمومًا لدخولها في مسامّ البدن)) [٣]و((عن ابن عباس ، وروى عنه الضحاك أنّه قال : الجانّ : أبو الجنّ وليسوا بشياطين ، والشياطين ولد إبليس لا يموتون إلّا مع إبليس ، والجنّ يموتون ومنهم المؤمن ومنهم الكافر)) [٤]

وقال القرطبي : ((قوله تعالى : ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾{الحجر : ٢٧}أي : من قبل خلق آدم ، وقال الحسن : يعني إبليس خلقه الله تعالى قبل آدم عليه السلام ، وسُمِّي جانا لتواريه عن الأعين ، وفي صحيح مسلم من حديث ثابت عن أنس أنّ رسول الله ، صلى الله عليه وسلّم ، قال : لمّا صوَّر الله تعالى آدم عليه السلام في الجنّة تركه الله ما شاء أن يتركه فجعل إبليس يُطيف به وينظر ما هو فلمّا رآه أجوف عرف

---

(١) جامع البيان ٣٩/١٤ ، ٣٠٠/١٥ وينظر : تفسير ابن كثير ١٢٧/٥

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ٣٠٤/٤

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٠/١٠-٢١

(٤) زاد المسير ٣٠٥/٤

أنّه خُلِق خلقًا لا يتمالك))[١] وجاء في زاد المسير : ((ألجانّ : أبو الجنّ ، وإبليس : أبو الشياطين)) [٢]

–**إبليس وذريته** :قال الله تعالى : (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۚ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا){الكهف : ٥٠}

((وذرّيّة الرجل : ولده))[٣] و((الذرية : اسم يجمع نسل الإنسان من ذكر وأنثى)) [٤]((عن مجاهد (أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي) قال ذريته : هم الشياطين [٥] ٠٠٠عن قتادة : وهم يتوالدون كما تتوالد بنو آدم ، وهم لكم عدو٠٠٠قال ابن زيد٠٠٠قال الله لإبليس : إنّي لا أذرأ لآدم ذرّيّة إلا ذرأتُ لك مثلها ، فليس من ولد آدم أحد إلّا له شيطان قد قُرِن به))[٦]

لم يثبت أنّ لإبليس زوجة ؛ لذلك قال القرطبي : ((اختلف هل لإبليس ذرية من صلبه٠٠٠ولا يثبت عندنا كيفية في كيفية التوالد منهم وحدوث الذرية عن إبليس٠٠٠قلت : الذي ثبت في هذا الباب من الصحيح ما ذكره الحميدي في الجمع بين الصحيحين عن الإمام أبي بكر البرقاني أنّه خرَّج في كتابه مسندًا عن أبي محمد عبد الغني بن سعيد الحافظ من رواية عاصم عن أبي عثمان عن سلمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٠/١٠

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ٣٠٤/٤

(٣) لسان العرب ١٢٥/٦

(٤) تاج العروس : ١٩٦/١١

(٥) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي ١١٣/٥

(٦) جامع البيان للطبري ٣٠٣/١٥ وينظر : الوسيط للواحدي ١٥٣/٣ ، ١٧٠/٦ وزاد المسير لابن الجوزي ١١٣/٥

: لا تكن أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها فبها باض الشيطان وفرّخ [١] وهذا يدلّ على أنّ للشيطان ذرّيّة من صلبه)) [٢]

وقال ابن عثيمين : ((نحن نؤمن بأنّ له ذرّيّة ، أمّا من زوجة أو من غير زوجة لا ندري ، أليس الله خلق حواء من آدم ؟ بلى ، فيجوز أنّ الله خلق ذرية إبليس منه كما خلق حواء من آدم٠٠٠نحن نؤمن بأنّ لإبليس ذرية ، ولكن هل يلزمنا أن نؤمن بأنّ له زوجة)) [٣]

-**وظيفة الشياطين ووظيفة الجنّ** : قد يسخّر الله سبحانه الجنّ للإنسان كما سخّرهم لنبيّ الله سليمان ، لكنّه سبحانه لم يسخّر إبليس أو ذريته لأحد من الناس نبيًّا كان أم غير نبيّ ، لأنّه سبحانه قَبِلَ ما طلبه إبليس من البارئ عزّ وجل أن يمهله وأن يخلّي بينه وبين بني آدم يوسوس لهم من دون أن يسيطرعلى قلوبهم ، قال الله تعالى : (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ){سبأ ٢٠-٢١} و((وقوله (وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ) عليهم بمعنى فيهم ، وصدْقه في ظنّه أنّه ظن بهم أن يتّبعوه إذا أغواهم ، فوجدهم كذلك٠٠٠فمن قرأ (صدّق) بتشديد الدال ، فالمعنى : حقّق ما ظنّه فيهم بما فعل بهم ، ومن قرأ بالتخفيف ، فالمعنى :صدق عليهم في ظنّه بهم)) [٤]

---

(١) صحيح مسلم ١٠٠/٢٤٥١ فضائل الصحابة عن سلمان رضي الله عنه

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٩٨/١٠-٢٩٩

(٣) الكنز الثمين ١٠٨/١٤

(٤) زاد المسير ٢٤١/٦

و((قوله تعالى (إِلَّا لِنَعْلَمَ) أي : ما كان تسليطنا إيّاه إلّا لنعلم المؤمنين من الشاكّين)) [1]

وقال تعالى : (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا){الإسراء : ٦٠-٦٤}والمعنى : وقال إبليس : أرأيتَ هذا المخلوق الذي ميّزته عليّ ؟ لئن أبقيتني حيًّا إلى يوم القيامة لأستولينّ على ذريته بالإغواء والإفساد إلّا المخلصين منهم في الإيمان ، وهم فليل ، قال الله تعالى مهدِّدا إبليس وأتباعه : اذهب فمن تبعك من ذرية آدم فأطاعك فإنّ عقابك وعقابهم وافر في نار جهنّم ، واستخفّ كلّ من تستطيع استخفافه منهم بدعوتك إيّاه إلى معصيتي واجمع عليهم كلّ ما تقدر عليه من جنودك من كلّ راكب وراجل ، واجعل لنفسك شِرْكة في أموالهم بأن يكسبوها من الحرام ، وشِرْكة في الأولاد بتزيين الزنى والمعاصي ومخالفة أوامر الله حتى يكثر الفجور والفساد[2]

وإبليس لم يستطع وحده القيام بهذا العمل ، بل يستعين بذريته لإغواء ذرية آدم ، قال الله تعالى : (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾

---

(١) زاد المسير ٢٤٢/٦

(٢) ينظر : زاد المسير ٢٤١/٦ وتفسير النسفي ص ٦٢٩-٦٣٠

قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ){ص : ٧١-٨٥}

وفي معنى قوله تعالى : (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ) قال الزمخشري : (((مِنكَ) من جنسك ، وهم الشياطين (وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ) من ذرية آدم)) (١) وقال مقاتل ((لأملأنّ جهنّم منك يا إبليس ومن ذريتك من الشياطين وممن تبعك منهم على دينك من كفار بني آدم)) (٢) وقال ابن الجوزي : (((مِنْكَ) أي : من نفسك وذريتك وممن تبعك منهم أجمعين من بني آدم)) (٣)

فالآية صريحة بأنّ الله سبحانه سيملأ جهنّم من الأصناف الآتية :

١-إبليس .

٢-كلّ ذرية إبليس ، وهم الشياطين

٣-كفّار الإنس من بني آدم الذين تبعوا إبليس وذريته .

---

(١) الكشاف : ١٠٤/٤ وينظر : فتح القدير للشوكاني ٥٥٧/٤ وينظر : روح المعاني للآلوسي ٢١٩/١٢

(٢) تفسير مقاتل ١٢٥/٣

(٣) زاد المسير لابن الجوزي ٣٩/٧ وينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧٤/١٥

٤-كفّار الجنّ من ولد الجانّ الذين تبعوا إبليس وذريته ، فقد دلّ الكتاب والسنّة على أنّهم كالإنس منهم المؤمن ومنهم الكافر ، وأنّ الكفار منهم حالهم حال الكفّار من الإنس .

وقد توعّد إبليس وذريتُه بني آدم بإغوائهم ، قال الله تعالى : (أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا)[مريم : ٨٣]قال الزجاج : ((وقوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا) في قوله (أرسلنا) وجهان : أحدهما : أنّا خلّينا الشياطين وإيّاهم ، فلم نعصمهم من القبول منهم ، قال أبو إسحاق : والوجه الثاني ، وهو المختار ، أنّهم أُرسلوا عليهم وقُيّضوا لهم بكفرهم٠٠٠ومعنى الإرسال ها هنا التسليط ، يقال : قد أرسلتُ فلانًا على فلان إذا سلّطته عليه٠٠٠فأعلم الله عزّ وجلّ أنّه من اتبعه هو مسلّط عليه)) [1] وقوله تعالى : ((تَؤُزُّهُمْ أَزًّا) تغريهم على المعاصي إغراءً ، والأزّ والهزّ إخوان ، ومعناهما التهييج وشدة الإزعاج)) [2]

وهذه هي وظيفة إبليس وذريته ، ومن أجل أن يتمكّن هو وذريته بالقيام بهذا العمل من دون الجنّ فإنّ الله خلقه من نار السموم فكان شفّافًا جدًّا حتى إنّه صار يجري من ابن آدم مجرى الدم ، كما جاء في الحديث الصحيح ، أمّا الجنّ فلم يخلقهم الله لهذا الغرض بل هم كالإنس مكلّفون ؛ لذلك أرى أنّه كما أنّ لكلِّ إنسان قرينًا من الشيطان يوسوس له ، فكذلك أنّ لكلّ جنّ قرينًا من الشيطان يوسوس له ، وأنّ الشيطان شفّاف بالنسبة للجنّ بقدر ما أنّ الجنّ شفّاف بالنسبة لنا .

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٢٨٢/٣

(٢) تفسير النسفي ص ٦٨٣

فقد جاء في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه : إنّ الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم[1] وقال صلى الله عليه وسلّم : إنّ الشيطان يأتي للإنسان في صلاته يقول : اذكر كذا يوم كذا [2]

وقد قيل للرسول ، صلّى الله عليه وسلّم : ألك شيطان ؟ قال : نعم ، إلّا أنّ الله تعالى أعانني عليه فأسلمففي صحيح مسلم ((عن عبد الله بن مسعود قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ما منكم من أحد إلّا وقد وُكِّل به قرينه من الجنّ ، قالوا : وإيّاك يا رسول الله ؟ قال : وإيّايّ إلّا أنّ الله أعانني عليه فأسلم ، فلا يأمرني إلّا بخير ٠٠٠غير أنّ في حديث سفيان : وقد وُكِّل به قرينه من الجنّ وقرينه من الملائكة)) [3]وفي صحيح مسلم أيضًا ((عن قسيط حدّثه أنّ عائشة زوج النبيّ صلّى الله عليه وسلّم حدّثته أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خرج من عندها ليلًا ، قالت : فغرتُ عليه ، فجاء ، فرأى ما أصنع ، فقال : ما لكِ يا عائشة أغرْتِ ؟ فقلتُ : وما لي لا يغار مثلي على مثلك ؟! فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : أقد جاءك شيطانكِ ؟ قالت : يا رسول الله ، أَوَمعي شيطان ؟! قال : نعم ، قلتُ : ومع كلّ إنسان ؟ قال : نعم ، قلتُ : ومعك يا رسول الله ؟ قال : نعم ، ولكنّ ربي أعانني عليه فأسلم)) [4]

---

(١) صحيح البخاري ٣٦٣/٤ رقم الحديث ٢٠٣٨ وصحيح مسلم ٦١٥/٦ رقم الحديث ٢١٧٥

(٢) شرح صحيح مسلم لابن عثيمين ٣٦٥/٢ والحديث أخرجه أبو داود (٥٠٦٥) والنسائي (١٣٤٧) والترمذي (٣٤١٠) وابن ماجة (٩٢٦) والبخاري في الأدب المفرد (١٢١٦) وأحمد ١٦٠/٢ وغيرهم من حديث عبد الله بن عمر

(٣) صحيح مسلم ١٢١/٨ رقم الحديث ٢٨١٤

(٤) صحيح مسلم ١٢١/٨رقم الحديث ٢٨١٥

فهذا الشيطان هو الذي جاء في قوله تعالى في سورة الناس : (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَـٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ) والمراد بالوسواس إبليس[١]

وقد ذكرت في مقدمة كلامي في هذا الباب أنّ أغلب أهل اللغة والتفسير لم يحسنوا التفريق بين الجنّ والشياطين وقد ظهر أثر ذلك في تفسيرهم هذه السورة حتى نقل الحلبي ثمانية أقوال في تأويل وإعراب قوله تعالى : (مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ) وهي

١-أنّه بدل من شرّ ، أي : من شرّ الجنّة والنّاس

٢-أنّه بدل من ذي الوسواس ؛ لأنّ الموسوس من الجنّ والإنس

٣-أنّه حال من الضمير في (يوسوس) أي : يوسوس حال كونه من هذين الجنسين

٤-أنّه بدل من (النّاس) وأطلق على الجنّ اسم النّاس؛ لأنّهم يتحركون في مراداتهم قاله أبو البقاء إلّا أنّ الزمخشري أبطله

٥-أنّه بيان للذي يوسوس على أنّ الشيطان ضربان : إنسيّ وجنّي

٦-أنّه يتعلّق بـ(يوسوس) و(مِن) لابتداء الغاية ، أي : يوسوس في صدورهم من جهة الجنّ ومن جهة الإنس .

٧-أنّ (والنّاس) عطف على (الوسواس) ، أي : من شرّ الوسواس والنّاس

---

(١) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٤٣

٨-أنّ (مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ) حال من (النّاس) أي : كائنين من القبيلين قاله أبو البقاء[١]

والصحيح من هذه الأقوال ما نُسِبَ إلى أبي البقاء في القول الرابع والثامن والحقيقة أنّ أبا البقاء لم يعيِّن ما نُسِبَ إليه بل جعله ضمن الأقوال المذكورة [٢]

وأغلب أهل التفسير عيّنوا أنّ الذي يوسوس في صدور النّاس وسواسان أحدهما من جنس الجنّ ، والآخر من جنس النّاس [٣]

جاء في تفسير القرطبي : ((أخبر أنّ الموسوس قد يكون من الناس ، قال الحسن : هما شيطانان ، أمّا شيطان الجنّ فيوسوس في صدور الناس ، وأمّا شيطان الإنس فيأتي علانية)) [٤] وقال ابن عثيمين ((وقوله (مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ) أي أنّ الوساوس تكون من الجنّ وتكون من بني آدم ، أمّا وسوسة الجنّ فظاهر ؛ لأنّه يجري من ابن آدم مجرى الدم ، وأمّا وسوسة بني آدم ، فما أكثر الذين يأتون إلى الإنسان يوحون إليه بالشر ويزينونه في قلبه حتى يأخذ هذا الكلام بلُبِّه وينصرف إليه)) [٥]

---

(١) الدر المصون ١١/١٦٢-١٦٤ واللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي ٢٠/٥٧٨-٥٧٩

(٢) ينظر : التبيان في إعراب القرآن ٢/٥١٨

(٣) ينظر : تفسير مقاتل ٣/٥٩٣ ومعاني القرآن للأخفش ص ٣١٥ ومعاني القرآن وإعرابه للزجّاج ٥/٢٤٩ وإعراب القرآن للنحاس ص ١٣٨٣ ومشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي٢/٥١٢ والوسيط للواحدي ٤/٥٧٥ والمحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي ٥/٥٤٠ والبحر المحيط لأبي حيّان الأندلسي ٨/٧٦٤-٧٦٥ وروح المعاني للآلوسي ١٥/٥٢٦

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢٠٠

(٥) الكنز الثمين في تفسير ابن عثيمين ١٤/٦٠٠

والصحيح أنّ المراد من الوسواس الخنّاس إبليس وذريته وحدهم وأنّه كما يوسوس في صدور النّاس يوسوس في صدور الجنّ وما ذهب إليه أغلب أهل التفسير من أنّ المراد من الوسواس الجنّ والإنس غير صحيح ، وقد جاء التأويل من جرّاء خلطهم بين الإنس والناسوبين الجنّ والشياطين وفيما يأتي تفصيل هذه القضيّة

-**الإنـس والنّـاس** : يمكن إجمال الفروق بين الإنس والنّاس في الأمور الآتية :

١-الإنس سمّوا بذلك ؛ لأنّه يُؤنَس بهم لظهورهم ، بخلاف الجنّ فإنّه يُستوحش بهم لاستتارهم ؛ لذلك جُعِل الإنس ما يقابل الجنّ ، فلم يُذكَر الإنس إلّا ذُكِرَ بجنبهم الجنّ ، أمّا الناس فقد سُمّوا بذلك لحركتهم الدائبة في الخير والشرّ ؛ لذلك لم يقترن ذكرهم بذكر الجنّ على الرغم من أنّ الناس ذكروا في القرآن الكريم في نحو مئتي موضع

٣-افترن ذكر الإنس بذكر الجنّ في كل مواضع وروده في القرآن الكريم ، في حين لم يقترن ذكر الناس بالجِنّ ، بل اقترن بالجِنّة بمعنى الجنّ وفي ثلاثة مواضع فقط ،

٣-تقدّم أنّ الإنس سمّوا بذلك ؛ لأنّه يُؤنَس بهم لظهورهم ، بخلاف الجنّ فإنّه يُستوحش بهم لاستتارهم ، أي : أنّ لكلٍّ منهما ما يميّزه من الآخر ، فهما لا يشتركان عند ذكرهما معًا في السياق نفسه بصفة الظهور ، ولا يشتركان بصفة الاستتار ، فليس بين الإنس والجنّ صفة مشتركة في هذا الباب ، أمّا الناس فقد سُمّوا بذلك لنسيانهم ولحركتهم الدائبة في الخير والشرّ ؛ وهذه صفة يشترك فيها الناس والجنّ ؛ يضاف إلى ذلك اشتراكهم في التكليف ، لذلك جاز أن يراد بالناس الجنّ والناس ، فقد ذهب الجوهري ومن

تبعه إلى أنّ : ((الناس : قد يكون من الإنس والجنّ)) [1] وهذا الذي قال به الجوهري قال به عدد من أهل التفسير في تفسير قوله تعالى : (مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ){الناس : ٦} قال الفرّاء : ((وقوله عزّ وجلّ : (مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ){الناس : ٦} فالناس ها هنا قد وقعت على الجِنّة وعلى الناس ، كقولك : يوسوس في صدور الناس جِنّتهم وناسهم ، وقد قال بعض العرب وهو يُحدِّث : جاء قوم من الجِنّ فوقفوا ، فقيل : مَن أنتم ؟ فقالوا : أناس من الجنّ ، وقد قال الله جلّ وعزّ : (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ){الجنّ : ١}فجعل النفر من الجنّ كما جعلهم من الناس ، فقال جلّ وعزّ : (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا){الجَنّ : ٦} فسمّى الرجال من الجِن والإنس ، والله أعلم)) [2]

وقال الطبري في تفسير سورة الناس : ((يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد صلى الله عليه وسلّم : قل يا محمد أستجير (بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ) وهو ملك جميع الخلق : إنسِهم وجِنِّهم٠٠٠وقوله : (إِلَـٰهِ النَّاسِ) يقول : معبود النّاس ، الذي له العبادة دون كلِّ شيء سواه٠٠٠وقوله : (مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ) يعني : من شر الشيطان (الْخَنَّاسِ) الذي يخنس مرّة ويوسوس أخرى ، وإنّما يخنس فيما ذُكِر عند ذكر العبد ربّه٠٠٠ولم يخصّ وسوسته على نوع من أنواعها ولا خنوسه على وجه دون وجه ٠٠٠وقد يوسوس بالنهي عن طاعة الله فإذا ذكر العبد أمر ربّه فأطاعه فيه وعصى الشيطان خنس ، فهو في كلّ حالتيه وسواس خناس ، وهذه الصفة صفته ، وقوله : (الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ) يعني بذلك الشيطان الذي يوسوس في صدور الناس : جنّهم وإنسهم ، فإن قال قائل : فالجنّ ناس ، فيقال : الذي

([1]) الصحاح ص١٠٧٧ وينظر : لسان العرب ٣٨٢/١٤ وتاج العروس ٣٠٤/١٦

([2]) معاني القرآن ١٨٩/٣وينظر : الزاهر في كلام النّاس ٣٢٩/٢

يوسوس في صدور الناس : من الجنّة والناس ، قيل : قد سمّاهم الله في هذا الموضع ناسًا ، كما سمّاهم في موضع آخر رجالًا فقال : (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ) فجعل الجِنّ رجالًا ، وكذلك جعل منهم ناسًا ، وقد ذُكِر عن بعض العرب أنّه قال وهو يُحدِّث : إذ جاء قوم من الجِنّ فوقفوا ، فقيل : مَن أنتم ؟ فقالوا : ناس من الجنّ ، فجعل منهم ناسًا))[1]

وصرّحوا بأنّه أطلق الناس في قوله تعالى : (فِي صُدُورِ النَّاسِ) على الإنس والجِنّ ((لأنّهم يتحرّكون في مراداتهم)) [2]أي : لاشتراكهم بهذه الصفة

فمذهب الفرّاء هو الصحيح والحق في تفسير هذه الآية ، على أن يكون المراد من (النَّاسِ) في قوله تعالى : (الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ) الإنس والجنّ ، والمراد من(النَّاسِ) في قوله تعالى : (مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ) الناس وحدهم من دون الجِنّ ، وقد جاز في (النّاس) من دون (الإنس) أن تتعدد استعمالاتها ويتعيّن نوع الموصوف بها حسب السياق والمعنى المراد ، وقد تقدّم أنّ النّاس استعملت تعبيرًا عن جميع النّاس ، واستعملت تعبيرًا عن بعض النَّاس وعن طائفة معينة دون أخرى

ومن نفى وأنكر هذا المذهب وذهب إلى أنّ المراد بالناس الناس وحدهم من دون الجنّ فقد تكلّف في تفسيرها وكذلك في إعرابها ، فقد قال الزمخشري في قوله تعالى (((مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ) بيان للذي يوسوس ، على أنّ الشيطان ضربان : جنّي وإنسي ، كما قال : شياطين الإنس والجنّ٠٠٠يوسوس في صدورهم من جهة الجنّ ومن جهة الناس ، وقيل :

---

(1) جامع البيان ٤٣٣/٣٠-٤٣٥

(2) التبيان في إعراب القرآن للعكبري ٥١٨/٢ والدر المصون للحلبي ١١/ ١٦٣واللباب في علوم الكتاب ٦٠٢/١٠

من الجنّة والناس بيان للناس ، وإن اسم الناس ينطلق على الجِنّة ، واستدلّوا بنفر ورجال في سورة الجنّ ، وما أحقّه ؛ لأنّ الجنّ سُمّوا جنّا لاجتنانهم ، والناس ناسًا لظهورهم ، من الإيناس وهو الإبصار ، كما سُمّوا بشرًا ، ولو كان يقع الناس على القبيلين ، وصحّ ذلك وثبت لم يكن مناسبًا لفصاحة القرآن وبعده عن التصنّع ، وأجود منه أن يراد بالناس : الناسي ، كقوله تعالى : (يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ){القمر : ٦} كما قرئ (مِنْ حَيْثُ أفاضَ النّاس){البقرة : ١٩٩}[١] ثمّ يبين بالجنّة والناس ؛ لأنّ الثقلين هما النوعان الموصوفان بنسيان حقّ الله عزّ وجلّ)) [٢]

وما ذهب إليه الزمخشري ومن قال بقوله من قبل ومن بعد مردود بما يأتي :

١-قوله : ((يوسوس في صدورهم من جهة الجنّ ومن جهة الناس)) يعني ومن ذهب مذهبه أنّ الجنّ توسوس في صدورالناس ، والناس توسوس في صدور الناس ، وكيف يصحّ هذا ((لأنّ الناس لا يوسوسون في صدورالناس ، إنّما يوسوس الجنّ)) [٣]

٢-قوله : ((لأنّ الجنّ سُمّوا جنّا لاجتنانهم ، والناس ناسًا لظهورهم ، من الإيناس وهو الإبصار)) والزمخشري في كلامه هذا قد خلط بين دلالة الإنس والناس ، وما قاله ينطبق على الإنس وليس على الناس ، والله سبحانه قال : في صدور الناس لا في صدور الإنس ، وقد تقدّمت الفروق التي ذكرناها بين الإنس والناس أنّ الإنس سُمّوا إنسًا ؛ لأنّه يستأنس بهم

---

(١) وهذه ((قراءة سعيد بن جبير يعني آدم عليه السلام لقوله تعالى : (فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا){طه : ١١٥} المحتسَب لابن جنّي ٢٠٧/١

(٢) الكشّاف ٨١٩/٤

(٣) مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي ٥١٢/٢

لظهورهم ، أمّا الناس فسُمُّوا بالناس لنسيانهم ولحركتهم الدائبة في الخير والشرّ ؛ ولذلك جاز إطلاق الناس على الجنّ والإنس لاشتراكهم بهاتين الصفتين ، والعجيب والغريب أنّ الزمخشري نفسه أكّد هذه الحقيقة وعدّها أجود مما ذهب إليه وذلك بقوله المذكور : ((وأجود منه أن يراد بالناس : الناسي ، كقوله تعالى : (يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ){القمر : ٦} كما قرئ (مِنْ حَيْثُ أفاضَ النّاسِ){البقرة : ١٩٩}(بكسرالسين) ثمّ يبين بالجنّة والناس ؛ لأنّ الثقلين هما النوعان الموصوفان بنسيان حقّ الله عزّ وجلّ))

لقد خلط كلّ المفسرين بين الجنّ الذين هم إبليس وذريته ، وهم كلّهم شياطين ، لأنّهم كلّهم متمردون ، وبين الجنّ الذين هم كالإنس منهم المؤمن ومنهم الكافر ، والحقيقة أنّ المراد بالوسواس الخنّاس إبليس وذريته فقط ؛ لأنّهم هم وحدهم من دون غيرهم الذين أعطاهم الله القدرة على أن يجروا من الإنسان ومن الجنّ أنفسهم مجرى الدم ، فيكون في سورة الناس ثلاثةعناصر :

الأول : الناس وقد تكرر خمس مرات ، والمراد بهم في المرّات الأربع الأولى الجن والإنس

الثاني : الناس الخامسة الأخيرة ، وأريد بهم الإنس وحدهم

الثالث : الوسواس الخنّاس الذي هو إبليس وذريته

والمعنى : قل أعوذ برب الإنس والجن ، ملك الإنس والجنّ ، إله الإنس والجنّ ، من شرّ إبليس الذي يوسوس في صدور النّاس من ناس الإنس ومن ناس الجنّ

فهذا الوسواس الخنّاس يوسوس في صدور الجنّ كما يوسوس في صدور الإنس ، قال أبو بكر بن الأنباري ☹((الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ

النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ) أراد : في صدور جِنّهم وناسهم))[١] وقد تقدّم قول الفيومي ((قال تعالى : (الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ){النّاس : ٥}ثمّ فسّر (النّاس) بالجنّ والإنس ، فقال : (مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ)))[٢]

فنحن بكلام مَن نصدّق بكلام البشر ، أم بكلام الله ربّ البشر ؟! فإذا كان الله سبحانه تعالى عرّف لنا (النّاس) هنا وفسّرهم بأنّهم هم من الجنّة والنّاس ، فلا عبرة بعد ذلك بكلام من خالف هذه الحقيقة

وهذا يدلّ على أنّ الشياطين الذين هم ذرية إبليس أقوى وأشدّ شُفوفًا من الجّن حتى إنّ لهم القدرة على أن ينفذوا في نفس الإنسان ، لأنّهم خُلِقوا من نار السموم ، وهي أشدّ بكثير من النار التي خُلِق منها الجنّ فـ((عن وهب بن منبه سُئِل عن الجنّ : ما هم ، وهل يأكلون أو يشربون أو يموتون أو يتناكحون ؟ قال : هم أجناس ، فأمّا خالص الجنّ فهم ريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يموتون ولا يتوالدون ، ومنهم أجناس يأكلون ويشربون ويتناكحون ويموتون))[٣]

فالجنس الأوّل ينطبق على الجنّ الذين هم من ذرية إبليس فهم أشدّ قوة ونفاذًا ، والجنس الثاني ينطبق على الجنّ الذين هم ولد الجانّ

-**الجنّ والشياطين في القرآن الكريم** : التبس على كثير من الباحثين التفريق بين الجن والشياطين ، وسبب هذا الالتباس يرجع إلى حصرهم معنى الشياطين في إبليس وذريته ، بينما الشيطان صفة عامّة ، يوصف بها كلّ متمرد على طاعة الله ، وعلى رسله وأنبيائه وأتباعهم من

---

(١) الزاهر في كلام النّاس ٣٢٩/٢

(٢) المصباح المنير للفيومي ص ٦٣٠

(٣) جامع البيان للطبري ٤٠/١٤

الصالحين ، ويرجع أيضًا إلى حصرهم معنى الجنّ على الجنّ ، في حين أنّ الجنّ معنى عام يدخل فيه : الملائكة ، والجنّ ، والشياطين

ومما تقدم ذكره يتبيّن أنّ الشياطين الذين هم من ذرية إبليس ، تختلف وتفترق عن الجنّ الذين هم ولد الجانّ بما يأتي :

١-أنّ الشياطين والجنّ ، وإنّ اشتركا في التسمية والخِلْقة إلّا أنّ الأولى خُلِقتْ من نار السموم ، وهي جزء من سبعين جزءًا من نار جهنّم ، والثانية خُلِقت من مارجٍ من نار ، وهي من أحسن النار

٢- أنّ إبليس عصى الله ، وتجرأ على عدم الامتثال لأمر الله بالسجود لآدم ؛ لذلك لعنه الله ، وهذه اللعنة التي تعني طرده من رحمة الله مستمرة عليه وعلى ذريته إلى يوم القيامة ، وفي الدنيا والآخرة ، أمّا الجان الذي هو أبو الجنّ لم يؤمر بالسجود لآدم فلا تلحقه وذريته هذا اللعنة .

٣-أنّ الله أمهل إبليس فهو لا يموت إلى يوم الدين ، وكذلك ذريته ، أمّا الجنّ فهم كالإنس يولدون ويموتون

٤- أنّ لإبليس ذرّيّة ، وأنّه وذرّيّته كلّهم أعداء لله ولبني آدم ، وأنّهم توعّدوا بني آدم بالانتقام منهم بإغوائهم وصدّهم عن سبيل الله لذلك حذرنا الله من إبليس وذريته ، وليس الجنّ كذلك

٥-أنّ إبليس وذريته كلُهم كفار ومن أهل النار ، وأنّهم كلّهم أشرار ، وأمّا الجنّ فهم كالإنس فيهم المؤمن وفيهم الكافر

واستنادًا إلى هذه الحقائق التي تميّز الجنّ من الشياطين ، واستنادًا إلى طبيعة كلٍّ منهما ووظيفته يمكن تحديد المراد من ذكر لفظ أحدهما من دون الآخر في القرآن الكريم

فقد جاء لفظ الجنّ بمعنى الجنّ الذين هم كالإنس في قول الله تعالى : (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا

كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ){الأحقاف : ٢٩-٣١}

والظاهر أنّ هذا النفر من الجنّ كانوا من اليهود ؛ ولهذا قالوا : (كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ) جاء في اللباب : ((لمّا بيّن أنّ في الإنس من آمن ، ومنهم مَن كفر ، بيّن أيضًا أنّ في الجنّ مَن آمن ومنهم مَن كفر ، وأنّ مؤمنهم مُعرّض للثواب ، وأنّ كافرهم مُعرَّض للعقاب٠٠٠نقل القاضي في تفسيره أنّ الجنّ كانوا يهودًا ؛ لأنّ في الجنّ ملـلًا كما في الإنس من اليهود ، والنصارى ، والمجوس ، وعبدة الأوثان ، وأطبق المحققون على أنّ الجِنّة (أي : الجنّ) مكلَّفون ، سُئِل ابن عبّاس : هل للجِنّ ثواب ؟ قال : نعم ، وعليهم عقاب يلتقون في أبواب الجَنة ويزدحمون على أبوابها)) [١]

و((هذه الآيات التي في الأحقاف وفي (قل أُوحيَ إليّ) دليل على أنّ الجنّ مخاطَبون مُكلَّفون مأمورون منهيّون مثابون معاقَبون كالإنس سواء بسواء ، مؤمنهم كمؤمنهم وكافرهم ككافرهم)) [٢]

وفي تفسير قوله تعالى : (وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا){الجنّ : ١١} قال الطبري : ((يقول : وأنّا كنّا أهواء مختلفة ، وفرقًا شتى ، منّا المؤمن والكافر))[٣] وقال الواحدي : ((جماعات متفرقين٠٠٠قال مجاهد : يعنون مسلمين وكافرين ، وقال الحسن : الجنّ أمثالكم فمنهم قدرية ، ومنهم مرجئة ، ورافضة ، وشيعة))[٤]

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ٤١٤/١٧-٤١٥

(٢) اللباب في علوم الكتاب ٣٣٠/١٨ ، ١٠٩/١٩

(٣) جامع البيان ١٣٣/٢٩

(٤) الوسيط ٣٦٦/٤

وقال ابن عثيمين : ((وفي هذه السورة فوائد كثيرة منها وجود الجنّ وأنّهم مكلّفون مأمورون منهيّون مجازون بأعمالهم كما هو صريح في هذه السورة ، ومنها أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، رسول إلى الجنّ كما هو رسول إلى الإنس))[١]

وهذا يعني أنّه لا يصحّ ولا يُعقَل أن يكون الجنّ هنا هم من ذرية إبليس

وقال الطبري في تفسير قوله ☹فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان){الرحمن :١٤-٣٢} ((قوله : (سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ) سنحاسبكم ونأخذ في أمركم أيّها الإنس والجنّ ، فنعاقب أهل المعاصي ، ونثيب أهل ألطاعة ، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل))[٢]

وفي تفسير قوله تعالى : (فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ){الرحمن : ٥٩}قال الطبري : ((وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين يقول : الطمث هو النكاح بالتدمية ، ويقول : الطمث هو الدم ، ويقول : طمثها : إذا دماها بالنكاح ، وإنّما عنى في هذا الموضع أنّه لم يجامعهنّ إنسٌ قبلهم ولا جانّ ، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل٠٠٠وكان بعض أهل العلم ينتزع بهذه الآية في أنّ الجنّ يدخلون الجَنّة)) [٣]

---

(١) الكنز الثمين ١٤/٣٠٠-٣٠١

(٢) جامع البيان ١٥٩/٢٧ وينظر : الوسيط للواحدي ٢٢٢/٤

(٣) جامع البيان ١٧٦/٢٧

وقال القرطبي : ((في هذه الآية دليل على أنّ الجنّ تغشى كالإنس ، وتدخل الجنّة ويكون لهم فيها جنّيات ، قال ضمرة للمؤمنين منهم أزواج من الحور العين ، فالإنسيّات للإنس ، والجنيّات للجنّ))[١]

وقال الشيخ ابن عثيمين : (((لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ) أي : ولم يجامعهنّ ، وقيل : إنّ الطمث مجامعة البكر ، والمعنى : أنّهنّ أبكار ، لم يجامعهنّ أحد من قبل لا إنس ولا جنّ ، وفي هذا دليل واضح على أنّ المؤمنين من الجنّ يدخلون الجنَّة)) [٢]

وفي قوله تعالى : (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ){الأنعام : ١٣٠}

قال الطبري : ((اختلف أهل التأويل في الجنّ : هل أُرسل منهم إليهم أم لا ؟...سُئل الضحاك عن الجنّ : هل كان فيهم نبيّ قبل أن يُبعث النبيّ صلى الله عليه وسلّم ؟ فقال : ألم تسمع إلى قول الله : (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي){الأنعام : ١٣٠} يعني بذلك : رسلًا من الإنس ورسلًا من الجنّ ؟ فقالوا : بلى ، وقال آخرون : لم يُرسَل منهم إليهم رسول ، ولم يكن له من الجنّ قطّ رسول مرسَل ، وإنّما الرسل من الإنس خاصّة ، فأمّا من الجنّ فالنُّذُر)) [٣]

((قال مجاهد : الرسل من الإنس والنُّذُر من الجنّ ، وهم قوم يسمعون كلام الرسل فيبلّغون الجنّ ما سمعوا وينذرونهم)) [٤]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٤١/١٧

(٢) الكنز الثمين ١٠٨/١٤

(٣) جامع البيان ٤٥/٨

(٤) الوسيط للواحدي ٣٢٣/٢

فالجنّ الذين ذّكروا في الآيات السابقة لا يصحّ أن يكونوا من ذرية إبليس ، بل هم من ذرية أبيهم الجانّ الذين هم كالإنس فيهم المؤمن والكافر ، أمّا الذين هم من ذرية إبليس فقد ذكروا أيضًا بلفظ الجنّ في القرآن الكريم ، كقول الله تعالى : (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ){الأنعام : ١٣٠} ((قوله (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا) يعني : الجنّ والإنس يُجمعون في موقف القيامة فيقال لهم (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ) أي : من إغواء الإنس وإضلالهم٠٠٠والمراد بالجنّ في هذه الآية الشياطين))[١] وهذه هي وظيفة ذرية إبليس إغواء بني آدم

فقد أدخل القرآن الكريم الإنس والجنّ في معنى الشيطان على حدٍّ سواء ، فالشيطان اسم جنس يعني كل من تمرّد على طاعة الله ؛ وعلى أنبيائه ورسله والصالحين ؛ لذلك يُطلق على إبليس وذريته ، وعلى كلِّ من تمرّد على طاعة الله من الجنّ ، وعلى كلّ من تمرّد على طاعة الله من الإنس ، لكن غلب إطلاقه على إبليس وذريته ؛ لأنّ إبليس هو أوّل من تمرّد على طاعة الله ، فهو شيخ كل من حمل صفة الشيطنة ؛ ففي هذه الحالة يحصل التباس في المراد من الشيطان عند استعمال لفظه ، ويمكن تحديده من خلال السياق ، فلا اختلاف مثلًا في أنّ المقصود من الشيطان هو إبليس في قوله تعالى : (فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ){الأعراف : ٢٠} وفي قوله تعالى : (فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ){طه : ١٢٠}

---

(١) الوسيط للواحدي ٣٢٣/٢ وينظر : زاد المسير ٩٤/٣

ولا اختلاف أيضًا في أنّ المراد من الشياطين هم المتمردون من الإنس والجنّ في قوله تعالى : (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ){الأنعام : ١١٢}وكذلك في قوله تعالى : (وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ){البقرة : ١٠٢}قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : ((وكان حين ذهب ملك سليمان ارتدّ فئات من الجنّ والإنس واتبعوا الشهوات))[١]((واختلفوا في المراد من الشياطين فقال المتكلمون من المعتزلة : هم شياطين الإنس٠٠٠وقيل : هم شياطين الإنس والجنّ))[٢]((والمتبادر من الشياطين مردة الجنّ وهو قول الأكثرين ، وقيل : المراد بهم شياطين الإنس))[٣]

لكن قد يحصل بعض الالتباس عند بعض الباحثين في المعنيِّ من الشياطين في قوله تعالى : (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ){الأنبياء : ٨١-٨٢} وفي قوله تعالى : (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ){ص : ٣٥-٤٠}

---

(١) تفسير ابن كثير ١٧٤/١

(٢) اللباب في علوم الكتاب ٣٢٥/٢

(٣) روح المعاني للآلوسي ٣٣٧/١

وقد تقدّم أن بين الجنّ الذين هم من ذرية إبليس والجنّ الذين هم كالإنس فروقًا أساسية التي من بينها ، أنّ الله سبحانه لم يسخّر الصنف الأول لأحد من الناس نبيًّا كان أم غير نبيّ ، حتى إنّه قد ثبت في الحديث الصحجيح أنّ لكلِّ إنسان قرينًا له من الشيطان ، والمقصود به واحد من ذرية إبليس ، ولم يستسلم منهم أحد إلّا قرين محمد صلى الله عليه وسلّم ، فهم كلّهم أشرار ، لذلك فهم كلّهم شياطين إلّا أنّه جاز تسميتهم بالجنّ لاستتارهم ، بخلاف الصنف الثاني فإنّه قد يُسخَّرون للإنسان ، كما سخّرهم لنبيّه سليمان عليه السلام ، وأنّ منهم المؤمن المطيع ومنهم الكافر المتمرد ؛ لذلك جاز تسمية المتمردين منهم بالشياطين ، والله سبحانه قد سخّر لنبيه لسليمان عليه السلام الجنّ مؤمنهم وكافرهم ، وعليه فإذا أريد التعبير عنهم جميعًا عبّر عنهم بلفظ الجنّ ، وإذا قُصِد المتمردون منهم عبّر عنهم بلفظ الشياطين ، فالمراد إذن من الشياطين في سورة الأنبياء وص الجنّ الذين هم من ذرية أبيهم الجانّ ، وسمّاهم القرآن الكريم بالشياطين لأنّهم من الجنّ المتمردين إلّا أنّ الله سبحانه قد سخّرهم لسليمان كما سخّر له الريح والطير ، وقال ابن كثير ((وقوله تعالى : (وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ){الأنبياء : ٨٢}أي : يحرسه الله أن يناله أحد من الشياطين بسوء بل كلٌّ في قبضته وتحت قهره ، لا يتجاسر أحد منهم على الدنو إليه والقرب منه ، بل هو يحكم فيهم إن شاء أطلق وإن شاء حبس منهم من يشاء ؛ ولهذا قال : (وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ){ص :٣٨}))[1] ((أي : موثقون في الأغلال والأكبال ممن قد تمرّد وعصى وامتنع من العمل وأبى ، أو قد أساء في صنيعه واعتدى))[2] ((وفي كونهم محفوظين ثلاثة أوجه :

---

(١) تفسير ابن كثير :٢٦٦/٥-٢٦٧

(٢) تفسير ابن كثير :٧ /٥٤

أحدها : أنّه تعالى كان يحفظهم لئلّا يذهبوا .

وثانيها : قال الكلبي : كان يحفظهم من أن يُهيّجوا أحدًا

وثالثها : قال الزجاج : كان يحفظهم من أن يفسدوا ما عملوا [١] وكان دأبهم أن يعملوا بالنهارثمّ يفسدونه بالليل)) [٢]و((قد روي أنّه تعالى سخّر كفّارهم دون المؤمنين ، وهو الأقرب من وجهين :

أحدهما : إطلاق لفظ الشياطين (وهو يُطلَق على كفّار الجنّ الذين سُمّوا بالشياطين لتمرّدهم)

والثاني : قوله تعالى : (وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ){الأنبياء : ٨٢}فإنّ المؤمن إذا سُخِّر في أمر لا يجب أن يُحفَظ لئلّا يفسد ، وإنّما يجب ذلك في الكافر٠٠٠وقيل : وكِّل بهم جمعًا من الملائكة وجمعًا من المؤمنين الجنّ))[٣]

وعبّر عنهم بلفظ الجنّ في قوله تعالى : (وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ۚ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ){سبأ : ١٢-١٤} وقوله تعالى : (وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ){النمل : ١٨}

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٣٢٥/٣

(٢) اللباب في علوم الكتاب ٥٦٤/١٣

(٣) اللباب في علوم الكتاب ٥٦٣/١٣

فقد عبّر عنهم بلفظ الشياطين ؛ في سورة الأنبياء لأنّه أراد المتمردين من الجنّ من دون المطيعين ، وعبّر عنهم بلفظ الجن في سورة النمل ، لأنّه أراد عامّتهم مؤمنهم وكافرهم ، ومتمرّدهم ومطيعهم

وخلاصة ما تقدّم ذكره : ((أنّ الروحانيين ثلاثة :

أخيار : وهم الملائكة .

وأشرار : وهم الشياطين .

وأخيار وأشرار : وهم الجنّ)) [١]

فالجنّ معنى عام يدخل فيه : الملائكة ، والشياطين ، والجنَّ ، إلّا أنَّ الصنف الأول اختص باسم الملائكة ، والثاني باسم الشياطين ، والثالث باسم الجنَّ

١٣-**الجنّة (بفتح الجيم وكسرها وضمّها)** : الجَنّة بالفتح : كلّ بستان ذي شجر يستر بأشجاره الأرض قال تعالى : (وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ){الكهف : ٣٩}

والجِنّة بالكسر جماعة الجنّ قال تعالى : (مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ){الناس : ٦}

والجُنّة بالضم ما يُحتمى ويُتّقى به قال تعالى : (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ){المنافقون : ٢} [٢]

١٤-**الجلوس والقعود** : قال المبرد : ((وأمَّا اختلاف اللفظين والمعنى واحد ، فنحو : جلس وقعد))[٣]وقال ابن جني في الباب الذي سماه : استعمال الحروف بعضها مكان بعض : ((وفيه أيضًا موضع يشهد على من

---

(١) الكليات للكفوي ص٢٩٣

(٢) المفردات للراغب ص ١٠٣-١٠٤

(٣) المقتضب بتحقيق هرون ٤٦/١، وبتحقيق بديع ٨٧/١ .

أنكر أن يكون في اللغة لفظان بمعنى واحد ، حتى تكلف لذلك أن يوجد فرقًا بين قعد وجلس)) [1]

بيَّنتُ في كتابي : النصب على نزع الخافض والتضمين من بدع النحاة والمفسرين : أنَّ التضمين قائم على أساس تطابق الألفاظ في معانيها ، وهذا ما لا وجود له في كتاب الله ، وما ادعاه المبرد وابن جني بوجود ألفاظ متطابقة في معانيها ، الذي على أساسه سوَّغ ابن جني استعمال الأسماء والأفعال والحروف بعضها مكان بعض في القرآن الكريم ، مستشهدين بلفظي جلس وقعد ، كلام ينمُّ عن عدم إدراك حقيقة أنَّ اللفظ القرآني لا يطابق معناه إلّا اللفظ نفسه ، فجلس وقعد ، ليسا بمعنى واحد كما ادعى المبرد وابن جني فالفعلان المذكوران ، وإن ترادفا فبينهما فرق في الدلالة والاستعمال : قال الخليل : ((الجَلْسُ : ما ارتفع عن الأرض من غور نجد ، وتقول : أغاروا وأجلسوا ، وغاروا وجلسوا)) [2]وقال ((وأغار الرجل : دخل الغور ، وغور كل شيء بعد قعره)) [3] فالجلوس يكون عن انخفاض ، وقال : ((وقعد يقعد قعودًا : خلاف قام)) [4] أي : أنَّ القعود يكون عن قيام ، وقال ابن فارس : ((الجيم واللام والسين : كلمة واحدة وأصل واحد ، وهو الارتفاع في الشيء ، يقال : جلس الرجل جلوسًا ، وذلك يكون عن نوم واضطجاع ، وإذا كان قائمًا كانت الحال التي تخالفها القعود ، يقال : قام وقعد)) [5] وقال الراغب : ((أصل الجَلْس : الغليظ من الأرض ، وسمي

---

(١) الخصائص ٢/٩١-٩٤ ، وينظر لسان العرب ١/١٤٤ .

(٢) العين ص ١٥٠ .

(٣) العين ص ٧٢٣.

(٤) العين ص ٨٠٣ .

(٥) مقاييس اللغة ص ١٧٣ .

النجد جلسًا لذلك٠٠٠وجلَسَ أصله أن يقصد جَلْسًا من الأرض٠٠٠والمجلس لكل موضع يقعد فيه الإنسان قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا){المجادلة : ١١}))[١] وقال الفيروزآبادي : ((وأصل الجلوس أن يقصد وضع مقعده في جَلْسٍ من الأرض ، وقيل : الجلوس هو لمن كان مضطجعًا ، والقعود لمن كان قائمًا ؛ باعتبار أنَّ الجالس من يقصد الارتفاع ، أي : مكانًا مرتفعًا ، وإنَّما هذا يتصور في المضطجع ، والقاعد بخلافه فيناسبه القائم))[٢] وقال : ((وقد يفرقون بينهما ، فتقول لمن كان قائمًا : قعد ، ولمن كان مضطجعًا أو ساجدًا : جلس)) [٣] و((فُرِّق بينهما بأنّ الجلوس : هو الانتقال من سفل إلى علو ، والقعود : هو الانتقال من علو إلى سفل ، فعلى الأوّل يقال لمن هو نائم : اجلس ، وعلى الثاني لمن هو قائم : اقعد))[٤] فقد بان الآن الفرق بينهما ، فالقعود يكون عن قيام ، ولهذا يقال : قعد عن الجهاد ، ولا يقال : جلس عن الجهاد ، كما قال تعالى : (لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا){النساء : ٩٥} ولذلك قرن القعود بالقيام لا بالجلوس ، قال الله تعالى : (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ){آل عمران :٩١} وقال الله تعالى : (فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُواْ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا){النساء : ١٠٣}

---

(١) المفردات ص ١٠١.

(٢) بصائر ذوي التمييز ٢/٢٨٨.

(٣) بصائر ذوي التمييز ٤/٢٨٥.

(٤) فروق اللغات ص ٩٨-٩٩

ولمَّا كان القعود عن قيام ، فهو أشد تمكنًا من الجلوس الذي يكون عن نوم واضطجاع ؛ والجلوس يكون في مواطن الاسترخاء وطلب الراحة ؛ لذلك استعمل المجالس من دون المقاعد في قوله تعالى : (إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا) ويقال : قعد للجهاد ، ولا يقال جلس للجهاد ، والقعود أخصّ من الجلوس ، فهناك مجلس الأمن ، ومجلس الأمة ، ومجلس الشورى ، وفي كل مجلس مقاعد ، قد خُصِّصَ كل مقعد فيه لعضو من أعضائه ، ومن هنا كان القعود أشد تمكنًا من الجلوس ، واستعمل للحالات المهمة والخاصة ؛ لذلك استعمل المقاعد من دون المجالس في قوله تعالى : (وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّىءُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ){آل عمران : ١٢١} وقوله تعالى : (وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الأنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا){الجن : ٩}

ولمَّا كان القعود أشد تمكنًا من الجلوس لِما ذكرناه عُبِّر عن القعود بثباته ومكثه بخلاف الجلوس قال الزركشي : ((من ذلك القعود والجلوس إنّ القعود ما يكون معه لبثة، والجلوس لا يُعتبر فيه ذلك ، ولهذا تقول : قواعد البيت ولا تقول جوالسه ؛ لأنّ مقصودك ما فيه ثبات ، والقاف والعين والدال كيف تقلّبت دلّت على اللبث ، والقعدة بقاء على حالة ، والدقعاء للتراب الكثير الذي يبقى في مسيل الماء وله لبث طويل ، وأمّا الجيم واللام والسين فهي للحركة ، منه السجلّ للكتاب يطوى له ولا يثبت عنده ؛ ولهذا قالوا في قعَدَ يقْعُدُ بضم الوسط ، وقالوا في جلس يجلِس بكسره ، فاختاروا الثقيل لِما هو أثبت ، إذا ثبت هذا نقول : (مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ){آل عمران : ١٢١} فإنّ الثبات هو المقصود وقال : (وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ){التوبة : ٤٦}أي : لا زوال لكم ، ولا حركة عليكم بعد هذا ، وقال تعالى : (فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ){القمر : ٥٥}ولم يقل : (مجلس) إذ لا زوال عنه

وقال تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا){المجادلة : ١١} إشارة إلى أنّه يجلس فيه زمانًا يسيرًا ليس بمقعد ، فإذا طُلِب منكم التفسّح فافسحوا ؛ لأنّه لا كلفة فيه لقصره ، ولهذا لا يقال : قعيد الملوك ، وإنّما يقال : جليسهم؛ لأنّ مجالسة الملوك يستحبّ فيها التخفيف ، والقعيدة للمرأة ؛ لأنّها تلبث في مكانها))[١]

ولهذا لما تقدّم ذكره استعمل القواعد من دون الجوالس في قوله : (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ){البقرة : ١٢٧}وقوله تعالى : (وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ){النور : ٦٠} (((أي : اللاتي قعدن عن الحيض والولد لكبرهنّ))[٢] فهو إذن قعود ثابت لا يزول ، واستعمل القعيد من دون الجليس في قوله تعالى : (إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ){ق : ١٧}((يعني : الملكين الحافظين))[٣] فهما ملازمان للإنسان يبقيان ملازمان له حتى وفاته

فقد ظهر أنَّ دلالة القعود في القرآن الكريم أهم من دلالة الجلوس ؛ لذلك استعمل القعود في مواضع كثيرة ، بينما استعمل الجلوس في موضع واحد

١٥-الجوع والخصاصة والمخمصة والمسغبة :الجوع : ((الجوع : الألم الذي ينال الحيوان من خلوّ المعدة من الطعام)) [٤] ((يقال : جائع

(١) البرهان للزكشي ص ٧٥٤ والإتقان في علوم القرآن للسيطي ص ٣٠٢

(٢) مدارك التنزيل ص ٧٩٠

(٣) مدارك التنزيل ص ١١٦٠

(٤) المفردات ص ١٠٩

وجَوعان)) [١] وورد الجوع في أربعة مواضع منها قوله تعالى : (الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ){قريش : ٤}

-**الخصاصة** : الخصاصة أصلها الخَصاص ، وخَصاص البيت ونحوه فروجه وخلله ، ويُعبَّر به عن الفقر والحاجة ؛ لأنّ الشيء إذا انفرج وهى واختلّ ، وذو الخصاصة الفقير الذي لا يجد عنده طعامًا يشبعه[٢]قال تعالى : (وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ){الحشر : ٩}((روي أنّه نزل برجل منهم ضيف ، فنوّم الصبية وقرّب الطعاموأطفأ المصباح ليشبع ضيفه ولا يأكل هو))[٣]

كان الرسول (ﷺ) كثيرًا ما تمرّ عليه أيام وليس في بيته كسرة خبز حتى إنّه كان يواصل صيام النهار بالليل ، وقد جاءه مرة ضيف وهو على ها الحال، ما عنده ما يقدمه، فقال (ﷺ) مخاطبًا صحابته : مَن منكم يستضيف ضيف رسول الله ، فقال رجل منهم : أنا يارسول الله ، وهذا الرجل لم يكن عنده في بيته من الطعام إلّا ما يشبع رجلًا واحدًا، فجاء إلى أهله وقال لها : سيقدم إلينا ضيف رسول الله (ﷺ) فإذا دخل أطفئي السراج ، وداري الأولاد وصبريهم حتى يناموا، حتى إذا قدم الضيف قدموا له الطعام وقد أطفات زوجته السراج فكان الضيف لا يرى إلّا الطعام بين يديه ويرى الرجل وزوجته ياكلان معه إلّا أنّه ما كان يعلم أنّ كليهما كانا يمدان يديهما ويرفعانها فارغتين حتى أعطيا المجال للضيف أن يأكل وحده والذي حصل أنّ الضيف أشبع نفسه ، أمّا الرجل وزوجته وأولادهما فقد باتوا جميعًا جائعين إكرامًا للضيف، ضيف رسول الله (ﷺ) حتى إذا أصبح ولقي الرسول (ﷺ)

---

(١) عمدة الحفّاظ ٣٥٩/١

(٢) المفردات للراغب ص ١٥٥ ولسان العرب ١٨٠/٥

(٣) مدارك التنزيل ص ١٢٢٥

الصحابي الذي أكرم ضيفه قابله بقوله: إنّ الله سبحانه قد عجب الليلة من صنيعكما، هذا ما ثبت في الحديث الصحيح(١)

-**المخمصة** : ((المخمصة : ((مجاعة تورث خمص البطن ، أي : ضموره ، يقال : رجل خامص أي : ضامر، وأخمص القدم باطنها ، وذلك لضمورها)) (٢) و((المخمصة مَفعلة من الخمص وهو ضمور البطن ، ومنه : رجل خامص ، وخمصان البطن ، وامرأة خمصانة، ولمّا كان الجوع يؤدّيإلى ضمور البطن عُبِّرَ به عنه ، أي : فمن اضطرّ في مجاعة ، وفي الحديث : تغدو خِماصًا وتروح بطانًا))(٣)

ووردت المخمصة في موضعين أحدهما قوله تعالى : (ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّـهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ){التوبة : ١٢٠}

-**المسغبة** : ((سغب من باب تعب سغوبًا : جاع ، فهو ساغب وسغبان ، والمسغبة المجاعة ، وقيل : لا يكون السغب إلّا الجوع مع التعب ، وربّما سُمِّيالعطش سغبًا)) (٤)والمسغبة ((من السغب ، وهو الجوع مع التعب ، وقد قيل في العطشمع التعب ، يقال : سَغِبَ سغَبًا وسُغوبًا وهو ساغب ، وسَغبان نحو عطشان)) (٥)

ووردت المسغبة في موضع واحد هو قوله تعالى : (أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ){البلد : ١٤}

---

(١) ينظر : تفسير ابن كثير ٥٦/٨

(٢) المفردات ص ١٦٦

(٣) عمدة الحفّاظ ٥٣٦/١

(٤) المصباح المنير ص ٢٧٨

(٥) المفردات ص ٢٤٠ وينظر : عمدة الحفّاظ ٢٠٠/٢

١٦-**جوف المرء وصدره** : الصدر معروف واستعمل الصدر والصدور في عدة مواضع في القرآن الكريم كقوله تعالى : (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ){الحج : ٤٦} ولم يستعمل الجوف إلّا في موضع واحد هو قوله تعالى : (مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ){الأحزاب : ٤} ((أي : ما جمع الله قلبين في جوف ، ولا زوجية وأمومة في امرأة ، ولا بنوّة ودعوة في رجل ، والمعنى : أنّه تعالى كما لم يجعل لإنسان قلبين ؛ لأنّه لا يخلو إمّا أن يفعل بأحدهما مثل ما يفعل بالآخر فعلًا من أفعال القلوب فأحدهما فضلة غير محتاج إليه ، وإمّا أن يفعل بهذا غير ما يفعل بذاك ، فذلك يؤدّي اتصاف الجملة ، بكونه مريدًا كارهًا ، عالمًا ظانًّا ، موقنًا شاكًّا في حالة واحدة ، لم يحكم أيضًا أن تكون المرأة الواحدة أُمًّا لرجل زوجًا له ؛ لأنّ الأمّ مخدومة والمرأة خادمة وبينهما منافاة ، وأن يكون الرجل الواحد دعيًّا لرجل وابنًا له ؛ لأنّ البنوّة أصالة في النسب ، والدعوة إلصاق عارض بالتسمية لا غير ، في الشيء الواحد أن يكون أصيلًا غير أصيل))(١) ((والجوف : المطمئنّ من الأرض وجوف الإنسان بطنه ، والأجوفان : البطن والفرج٠٠٠والمَجُوف : الرجل الضخم الجوف٠٠٠واستجوف أي : اتسع٠٠٠قولك شيء أجوف ودلاء جوفاء واسعة ، وشجرة جوفاء أي : ذات جوف٠٠٠وشيء جوفي ، أي : واسع الجوف))(٢)((والجوف : الخَلاء٠٠٠هذا أصله ثمّ استعمل فيما يقبل الشغل

---

(١) مدارك التنزيل ص ٩٣١

(٢) الصحاح للجوهري ص ١٩٩-٢٠٠

والفراغ ، فقيل جوف الدار لباطنها وداخلها)) [١] ((والجوْف : خلاء الجوف كالقصبة الجوفاء))[٢] ((وفي حديث خلق آدم عليه السلام : فلمّا رآه أجوف عرَف أنه خلق لا يتمالك ، والأجوف الذي له جوف ، ولا يتمالك ، أي : لا يتماسك٠٠٠والجوف من الأرض أوسع من الشِّعْب تسيل فيه التلاع والأودية وله جِرفة ، وربّما كان أوسع من الوادي وأقعر٠٠٠والجوَف : خلاء الجوف كالقصبة الجوفاء))[٣]

ولهذا استعمل الجوف ولم يستعمل الصدر في قوله تعالى : (مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ){الأحزاب : ٤} لأنّ الجوف موطن يتسع لتضارب الأهواء والأفكار وتناقضها واختلاط الحق والباطل

١٧-**الجيد والرقبة والعنق : الجيد** : ((الجِيد : مُقَدَّم العنق ، وقلّما يُنعَت به الرجل)) [٤] ((وامرأة جيداء : طويلة العنق حسنته))[٥]والجيّد نقيض الرديء ، وأصل الجيد من جاد ، وجاد الشيء صار جيّدًا ، وجاد الفرس أي : صار رائعًا[٦] فالجيد هو العنق لكن يُسمّى جيدًا إذا قصد طوله وحسنه وجودته ؛ لذلك استعمل في المرأة من دون الرجل ولم يرد في القرآن الكريم إلّا في موضع واحد هو قوله تعالى : (وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ){المسد : ٤-٥}و((هي أمّ جميل بنت حرب أخت أبي سفيان كانت تحمل حزمة من الشوك والحسك فتنشرها بالليل في طريق رسول

---

(١) المصباح المنير ص ١١٥

(٢) تهذيب اللغة ٥٢٢/١

(٣) لسان العرب ٢٤١/٣-٢٤٢

(٤) العين للخليل ص ١٦٤

(٥) تهذيب اللغة للأزهري ٦٨٦/١

(٦) ينظر : الصحاح للجوهري ص ١٩٧ ولسان العرب ٢٣٤/٣

الله صلى الله عليه وسلّم٠٠٠(فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ) حال أو خبر آخر ، والمسد الذي فُتِل من الحبال فتلًا شديدًا من ليف كان أو جلد وأنّها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها تحقيرًا لها وتصويرًا لها بصورة بعض الحطّابات لتجزع من ذلك ، ويجزع بعلها وهما في بيت العزّ والشرف وفي منصب الثروة والجدة ، والله أعلم))[١]

فاستعمل الجيد تحقيرًا لها ؛ لأنّه هو أجمل ما في المرأة ، والذي باسمه يتغزّل الشعراء فكان ينبغي أن يُقَلَّد بقلادة من ذهب لتظهر حسنها لا أن يُقَلّد بحزمة من الحطب والشوك لتظهر بذلك بشاعة منظرها وسلوكها

-**العنق** :((العين والنون والقاف أصل واحد يدل على امتداد في شيء ، إمّا في ارتفاع ، وإمّا في انسياح ، فالأول : العنق ، وهو وصلة ما بين الرأس والجسد ، مذكّر ومؤنّث ، وجمعه أعناق)) [٢]

-**الرقبة** : ((الراء والقاف والباء أصل واحد مطّرد يدلّ على انتصاب لمراعة شيء ، من ذلك الرقيب ، وهو الحافظ ، يقال منه : رقَبْتُ أرقُبُ رِقْبة ورِقبانًا ، والمرقَب : المكان العالي يقف عليه الناظر٠٠٠ومن ذلك اشتقاق الرقبة ؛ لأنّها منتصبة ؛ ولأنّ الناظرلا بدّ ينتصب عند نظره)) [٣]

و((والرقَبَة : العنق ، وقيل أعلاها ، وقيل مؤخَّر أصل العنق ، والجمع رَقَب ورَقَبات ورِقاب٠٠٠والرقبة : المملوك ، وأعتق رقبة ، أي : نسمة ، وفكّ رقبة : أطلق أسيرًا سُمِّيت الجملة باسم العضو لشرفها٠٠٠وهي

---

(١) مدارك التنزيل ص ١٣٨١-١٣٨٢

(٢) مقاييس اللغة ص ٦١٤

(٣) مقاييس اللغة ص ٣٤٨

في الأصل العنق ، فجُعلتْ كناية عن جميع ذات الإنسان تسمية للشيء ببعضه ، فإذا قال : أعتِق رقبة ، فكأنّه قال : أعتق عبدًا أو أمة)) [١]

وقال التهانوي : ((الرقبة (بفتح والراء والقاف) وهي ذات مرقوق سواء كان مؤمنًا أو كافرًا ذكرًا أو أنثى ، والرقبة في الأصل بمعنى العنق ، ثم استعمل في ذات الإنسان تسمية الكل باسم أشرف أجزائه كما في لفظ الرأس ، والوجه ، والعنق ، وأمثالها ، فإنَّها تطلق ويراد به ذات الإنسان ، والأصل فيها أنَّ الجزء الذي لا يبقى الإنسان بدونه ، يُطلَق على كل الإنسان ويراد به ذات الإنسان ؛ ولهذا الأصل لا تُطلَق اليد والرِّجل وأمثالها على الإنسان ولا يراد بها ، ثم خُصَّ لفظ الرقبة في المرقوق كما في قوله تعالى : (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ){النساء : ٩٢}هكذا في حواشي الهداية)) [٢]

يتبيّن من تعريف أهل اللغة للرقبة والعنق أنّ العنق هو العضو الذي يكون بين الرأس والجسد ، أو العضو الذي يوصل ما بينهما ، أمّا الرقبة فهو العنق ، وقيل للتفريق بينهما أنّ العنق هو ما تقدّم تعريفه ، أي : العضو المعروف ، أمّا الرقبة فهو هو ما كان أعلى العنق المتصل بالرأس ، أو أسفله المتصل بالجسد ، والصحيح عندي أنّ الرقبة هي العنق بعينها ، والفرق بينهما بالصفة لا بالذات ، فالعنق سمِّيت رقبة لانتصابها ، ولأنّها تكون في أعلى الجسد ، فالإنسان إذا أراد أن ينظر إلى شيء أو يراقبه رفع عنقه ونصبه ، وقد صرّح بذلك ابن فارس بقوله الذي تقدم ذكره ((والمرقَب : المكان العالي يقف عليه الناظر ٠٠٠ومن ذلك اشتقاق الرقبة ؛ لأنّها منتصبة ؛ ولأنّ الناظرلا بدّ ينتصب عند نظره)) [٣]

---

(١) لسان العرب : ٢٠٠/٦-٢٠١ وينظر : تاج العروس ٣١٧/٢

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون ١٨٢/٢

(٣) مقاييس اللغة ص ٣٤٨

والقرآن الكريم يسمّي الشيء باسم صفة من صفاته عندما تكون تلك الصفة هي الملائمة في السياق ، فالرقبة اقترنت بقيام الإنسان ورفع عنقه ، وهو حالة تمثل حريته وعزته ؛ لذلك كنّى الفرآن عن جميع ذات الإنسان بالرقبة لشرفها ، وكانت جميعها في السياقات التي يُستذَلُّ فيها الإنسان لغيره قي مجال الرق والعبودية ، كقول الله تعالى : (وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ){النساء : ٩٢}

وقوله تعالى : (فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ){البلد : ١٠-١٢}

وقوله تعالى : (وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ){البقرة : ١٧٧}

وقوله تعالى : (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ){التوبة : ٦٠}

حتى قوله تعالى : (فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا){محمد : ٤} فاستعمل الرقاب من دون الأعناق ؛ لأنّه ورد في سياق أسر المشركين وإذلالهم بتوثيقهم

واستعمل العنق والأعناق في غير هذا السياق ، فالعنق هو الأصل والرقبة صفة لها كقوله تعالى : (وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا){الإسراء : ١٣}

وقوله تعالى : (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا){الإسراء : ٢٩}

وقوله تعالى : (سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ){الأنفال : ١٢}

وقوله تعالى : (رُدُّوهَا عَلَيَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ){ص : ٣٣}

وقوله تعالى : (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ){الرعد : ٥}

وقوله تعالى : (وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ){سبأ : ٣٣}

وقوله تعالى : (إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ){الشعراء : ٤}

باب الحاء

١-االحاقّة ، والراجفة ، والرادفة ، والساعة ، والصاخّة ، والطامّة ، والغاشية ، والقارعة ، والقيامة ، والواقعة ، ويوم الحساب ، ويوم الدِّين :

لم يذكر القرآن الكريم القيامة إلّا بصفة من صفاتها ، فإذا ذكر لفظ القيامة مثلًا فقد أراد أن تكون مصدر قام ، وأراد معنى قيام الناس من قبورهم ووقوفهم بين يديه[(١)] وأُدخِلَ فيها الهاء تنبيهًا على وقوعها دفعة واحدة [(٢)]كقوله تعالى : (فاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ){البقرة : ١١٣} والمعنى : فالله يحكم بينهم يوم يقوم الناس لربّ العالمين ، وقوله تعالى : (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ){الروم : ١٢}وقوله تعالى : (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ){المطففين : ٦}

وإذا ذكر الحاقّة أراد أن تكون من حقّ الأمر يحقّ حقًّا فهو حقّ : ثبت واستقرّ ، وأحققتُ الشيء إمّا بمعنى أثبتّه ، وإمّا بمعنى حكمتُ بكونه حقًّا ، والحاقّة في قوله تعالى : (الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا

---

(١) ينظر : لسان العرب ٢٢٩/١٢

(٢) ينظر : المفردات ص ٤٣٥ وعمدة الحفّاظ ٣٥٥/٣

الْحَاقَّةُ){الحاقّة : ١–٣}اسم فاعل من حقّ يحقُّ حقًّا ، أي : ثبتَ ، وعُبِّرَ عنها عن القيامة لثبوتها واستقرارها بالأدلّة الواضحة ، وقيل : لأنّها يُحَقُّ فيها الجزاء ، وقال الفرّاء : لأنّ فيها حقائق الأمور ، وقال غيره : لأنّها تَحُقُّ الكفّار الذين حاقّوا الأنبياء إنكارًا ، يقال : حاققتُه فحققتُه ، أي : خاصمته فخصمته ، وقيل : لأنّها تَحُقُّ كلَّ إنسان بعمله من خير أو شرٍّ [1]

وسمِّيت بالراجفة من الرجفة بمعنى الحركة والاضطراب الشديد ، وسُمِّيتْ بالرادفة ؛ لأنّها تتبعها وتجيء بعدها ، يقال : نزل بهم أمر فَرَدِفَ لهم آخر أعظم منه [2] لذلك قيل في تفسير قوله تعالى : (يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ){النّازعات : ٦–٧} أنّ الراجفة هي النفخة الأولى ، والرادفة هي النفخة الثانية[3]

وسُمّيتْ بالساعة من الساعة التي هي معنى جزء من الزمان ، والساعة في الأصل تُطلق لمعنيين ، أحدهما : أن تكون عبارة عن جزء من أربعة وعشرين جزءًا ، وهي مجموع اليوم والليلة ، والثاني : أن تكون عبارة عن جزءٍ قليل من النهار ، أو الليل ، ثمَّ استعيرت لاسم يوم القيامة ، فمعنى الساعة في كلِّ القرآن الوقت الذي تقوم فيه القيامة ، والمراد أنَّها ساعة خفيفة يحدث فيها أمر عظيم ؛ فلقلة الوقت الذي تقوم فيه القيامة سمَّاها ساعة[4]فهو يجازي الفريقين الصالحين والعاصين في أسرع زمان[5]كقوله تعالى : (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا

---

(١) ينظر : عمدة الحفّاظ للحلبي ٤٣٧/١–٤٣٨

(٢) ينظر : الصحاح للجوهري ص ٤٠١

(٣) ينظر : عمدة الحفّاظ ٧٥/٢

(٤) ينظر : لسان العرب ٣٠٢/٧

(٥) ينظر : عمدة الحفّاظ ٢٣٤/٢

فِيهَا){الأنعام : ٣١} والمعنى ((بغتتهم الساعة بغتة ، وهي ورود الشيء على صاحبه من غير علمه بوقته)) [١]

وسميت بالصاخّة ؛ لأنَّها من الصخّ ، وهو الضرب بالحديد على الحديد ، وكلّ صوت من وقع صخرة على صخرة ونحوه ، وقد صخَّت تصخُّ فسميت بالصاخَّة ؛ لأنَّها تصخُّ الأسماع ، أي : تصمُّها فلا تسمع إلّا ما تُدعى به للإحياء[٢] ووردت في موضع واحد وهو قوله تعالى : (فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ){عبس : ٣٣-٣٧}والمعنى : فإذا جاءت صيحة يوم القيامة التي تصمُّ من هولها الأسماع

وسميت بالطامَّة ؛ لأنَّها من طمَّ الشيءَ : إذاعلاه وغمره وغلبه ، فالطامَّة سميت كذلك لأنَّها تغلب ما سواها[٣] ووردت في موضع واحد ، وهو قوله تعالى : (فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ){النازعات :٣٤- ٣٦}قال الزمخشري : ((الطامّة : الداهية التي تطمّ على الدواهي ، أي : تعلو وتغلب ، وفي أمثالهم : جرى الوادي فطمّ على القرى ، وهي القيامة لطمومها على كلّ هائلة))[٤]

وسميت بالغاشية ؛ لأنَّها تغشى الناس وتغطيهم بأهوالها[٥]ولأنّها تحيط بكلّ النّاس وتشملهم فلا يفلت منها أحد[١]، ووردت أيضًا في موضع

---

(١) مدارك التأويل تفسير النسفي ص ٣١٩

(٢) ينظر : لسان العرب ٢٠٦/٨

(٣) ينظر : لسان العرب ١٤٦/٩

(٤) الكشاف للزمخشري : ٦٨٤/٤

(٥) ينظر : لسان العرب ٥٣/١١

واحد ، وهو قوله تعالى : (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ){الغاشية : ١-٢}والمعنى : هل أتاك الغاشية ، وهي ((الداهية التي تغشى الناس بشدائدها ، وتلبسهم أهوالها)) (٢)

وفي القارعة قال الخليل : ((والقارعة : القيامة ، والقارعة : الشدة ، وكلّ شيء قرعته فقد ضربته)) (٣) وقال ابن فارس : ((القاف والراء والعين ، معظم الباب ضرب الشيء ، يقال : قرعتُ الشيء أقرعُه ...والقارعة : الشديدة من شدائد الدهر ؛ وسميتْ بذلك ؛ لأنَّها تقرع الناس ، أي : تضربهم بشدتها ، والقارعة : القيامة ؛ لأنَّها تضرب وتصيب الناس بإقراعها)) (٤) وقال الراغب : ((القرع : ضرب شيء على شيء ، قال تعالى : (الْقَارِعَةُ {١} مَا الْقَارِعَةُ {٢} وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ){القارعة : ١-٣}))(٥) والمعنى : الساعة التي تفرع قلوب الناس بأهوالها

وسُمّيتْ بالواقعة من الوقوع وهو ثبوت الشيء وسقوطه ، والواقعةلا تقال إلّا في الشدّة والمكروه ، وأكثر ما جاء في القرآن الكريم من لفظ وقع جاء في العذاب والشدائد كقوله تعالى : (إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ){الواقعة : ١-٣}

---

(١) ينظر : عمدة الحفّاظ ١٦٣/٣

(٢) الكشاف للزمخشري : ٧٢٨/٤

(٣) العين ص ٧٨١

(٤) مقاييس اللغة ص ٧٦٨

(٥) المفردات ص ٤١٧

وسميت بيوم الحساب لأنّه فيه يُحاسَب النّاس على أعمالهم تُعدُّ حسناتهم وتُعد سيئاتهم وتُحسب وتُحصى ما لهم وما عليهم فلا يُظلّم فيه أحد[1]كقوله تعالى : (هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ){ص : ٥٣}

وسُمّيت بيوم الدّين، لأنّه كما تدين تُدان ، أي : تُحاسَب على نوع عملك (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ){الزلزلة : ٧-٨}

فهو يوم فيه تخضع الخلائق والنّاس كلّها لله الواحد القهار ، ملكهم ومملوكهم وحاكمهم ومحكومهم وغنيهم وفقيرهم ، وتُدان فيه كلّ نفس وتُجازى على أفعالها[2]كقوله تعالى : (يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا ۖ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ){الانفطار : ١٥-١٩}

٢-**الحبُّ والمودّة** :فرّق العسكري ((بين الحبّ والودّ ... أنَّك تقول : أحبُّ فلانًا وأودُّه ، وتقول : أحبُّ الصلاة ، ولا تقول : أودُّ الصلاة ، وتقول : أودُّ أن ذاك كان لي : إذا تمنيتَ وداده)) [3] و((الودّ : محبّة الشيء وتمنّي كونِه ... ومن المودّة التي تقتضي معنى التمنّي قوله تعالى : (وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ){آل عمران ٦٩} وقوله تعالى : (رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ

(١) يُنظَر : الصحاح للجوهري ص ٢٣١ والمصباح المنير للفيّومي ص ١٣٤

(٢) ينظر : الصحاح ص ٣٦٤

(٣) الفروق اللغوية ص ١٤٠

كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ){الحجر : ٢}))[1] و((الودُّ : الحبُّ يكون في جميع مداخل الخير)) [2] ((والودّ : الحبُّ والصداقة)) [3]

فالودّ والمودَّة أعمُّ من الحبّ والمحبّة ، فهو يعني الحبّ المشوب بالتمنِّي ، ويعني الصداقة ومدّ ما يقوِّيها ويبقيها ويوسِّعها من جسور اللقاء ، وصلات التقارب ، وحسن المعاملة المتبادلة ؛ لذلك استعمل المودّة من دون المحبَّة في قوله تعالى : (وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً){الروم : ١٢} وفي قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ){الممتحنة : ١} وقوله تعالى : (عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ){الممتحنة : ٧}

فحبّ الشيء : ميل القلب إليه ، وهو أمر خفي ، لا يعلم به إلّا صاحبه ، بل قد لا يحسّ به المحبوب نفسه ، أمَّا ودّ الشيء فهو الميل إليه قلبًا وسلوكًا بالأقوال والأعمال ، فالفرق بينهما ظاهر

٣-**الحبور والسرور : الحبور** : ((الحاء والباء والراء أصل واحد منقاس مطّرد ، وهو الأثر في حسن وبهاء...والمُحَبَّر : الشيء المُزَيَّن ، وكان يقال لطفيل الغنوي مُحَبِّر ؛ لأنَّه كان يُحَبِّر الشعر ويزينه)) [4]

السرور ☹(السين والراء يجمع فروعه إخفاء الشيء ، وما كان من خالصه ومستقره ، لا يخرج شيء من هذا ، فالسرّ خلاف الإعلان ، يقال سررت الشيء إسرارًا ، خلاف أعلنته ، ومن الباب السرّ ، وهو النكاح ،

---

(١) المفردات ص ٥٣٩-٥٤٠ وينظر : لسان العرب ١٧٧/١٥ وتاج العروس ١٥٦/٩

(٢) المحكم والمحيط الأعظم ١٥٦/٩

(٣) تاج العروس ١٥٦/٩

(٤) مقاييس اللغة ص ٢٣٥

وسمي بذلك ؛ لأنَّه أمر لا يُعلَن ، ومنه السرور ؛ لأنَّه أمر خال من الحزن))[١]

وفرّق العسكري ((بين السرور والحبور : أنَّ الحبور هو النعمة الحسنة من قولك : حبَّرت الثوب : إذا أحسنته ، وفسّر قوله تعالى : (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ){الروم : ١٥} أي : ينعمون ، وإنَّما يسمى السرور حبورًا ؛ لأنَّه يكون مع النعمة الحسنة))[٢]

و((الحِبْر : الأمر المستحسن ، وقوله عز وجل (فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ){الروم : ١٥} أي : يفرحون حتى يظهر عليهم حَبار نعيمهم))[٣] و((قوله تعالى : (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ){الزخرف : ٧٠} أي : تَنعمون ، وقيل : تُسرُّون ، وأصل اللفظة من الحبر ، وهو الأثر المستحسن...فقوله (يُحْبَرُونَ){الروم : ١٥} معناه يفرحون ويُسرُّون حتى يظهر عليهم حَبار نعيمهم ، والحَبْرَة : السرور ، والحبرة : النعمة أيضًا ، والحَبْر والحَبار : الأثر)) [٤]

فالحبور غير السرور ، والذي دفع أهل اللغة إلى الخلط بينهما أمران ، الأول : تعريف أهل اللغة للحبور بالسرور ، وأهل اللغة حين يعرفون اللفظ يعرفونه بأقرب المعاني إليه لتوضيح معناه ، وأقرب المعاني إلى الحبور هو السرور ، فهو تعريف توضيح وتقريب لا تعريف تطابق .

الثاني : أنَّ بين الحبور والسرور علاقة تلازم ، فالحبور لا يعني السرور ، بل السرور من لوازمه ، وهو أنَّ الإنسان إذا أصابته نعمة أصابه

---

(١) مقاييس اللغة ص ٤٠٤

(٢) الفروق اللغوية ص ٢٩٧

(٣) المفردات ص ١١١ وينظر : بصائر ذوي التمييز ٤٢٣/٢

(٤) عمدة الألفاظ ٣٦٦/١

السرور ، فالسرور من نتائج النعمة ، وهذا التلازم هو ما عبَّر عنه العسكري بقوله المذكور ((وإنَّما يسمى السرور حبورًا ؛ لأنَّه يكون مع النعمة الحسنة))[1] وتفسير الراغب ومن تبعه قوله تعالى : (فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ){الروم : ١٥} بقولهم ((أي : يفرحون حتى يظهر عليهم حَبار نعيمهم))يجب عكسه وأن يقال : ينعمون حتى يفرحون ؛ لأنَّ النعمة تؤدي إلى الفرح وليس العكس ؛ لأنَّ الفرح أمر نفسي لا يصيب الإنسان إلّا من أثر حسي ، فالإنسان لا يفرح من فراغ إلّا لسبب ، وأهم أسباب الفرح والسرور النعمة

٤ –**الحجرة والغرفة** : **الحجرة** : ((وفلان في حجر فلان أي : في منع منه عن التصرّف في ماله وكثير من أحواله وجمعه حجور قال تعالى : (وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم){النساء : ٢٣} وحِجْر القميص أيضًا اسم لِما يُجعَل فيه الشيء فيُمنَع٠٠٠وحُجِّر القمر صار حوله دائرة)) [2]((والحجرة في البيت : لِما حُوِّط به عليها من الدار قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ){الحجرات : ٤}))[3] والحجرات جمع حجرة ((والحجرة : الرقعة من الأرض المحجورة بحائط يحوط عليها ، وهي فُعْلَة بمعنى مفعولة٠٠٠والمراد : حجرات نساء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وكانت لكلٍّ منهنّ حجرة))[4]

–**الغرفة** : الغَرْفُ رفع الشيء وتناوله ، يقال : غرفتُ الماء والمرقَ٠٠٠والغُرْفَة عُلِّيَّة من البناء ، وسمّي منازل الجنّة غُرَفًا قال تعالى :

---

(١) الفروق اللغوية ص ٢٩٧

(٢) المفردات ص ١١٤

(٣) عمدة الحفّاظ ٣٧٦/١

(٤) مدارك التنزيل ص ١١٥١

(لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ){العنكبوت : ٥٨}وقال تعالى : (وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ){سبأ : ٣٧}))[1] و((قوله تعالى : (لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ){سبأ : ٢٠} هي البيوت المرتفعة الواحدة غرفة٠٠٠وأصل الغَرْفُ الرفع للشيء واللتناول له))[2]

فالفرق بين الحجرة والغرفة أنّ الحجرة ما كانت قطعة من الأرض محجورة بحائط ، والغرفة ما كانت مبنية مرتفعة عن الأرض حتى إنّه لتجري من تحتها الأنهار .

٥-**الحجة والسنة والعام** : جاءت الحِجّة في القرآن بمعنى السنة ، في قوله تعالى : (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ){القصص : ٢٧} والحِجّة : المرّة من الحجّ ، جمعها حجّات وحِجج ، والحجّ يأتي مرّة واحدة في كلّ سنة ويبدأ في الثامن من ذي الحجّة وينتهي إلى نهاية اليوم الثالث عشر منه ، وهذا يعني أنّ أيّام الحجّ تستمرّ ستة أيام

فالحِجّة إذن تبدأ في اليوم الثامن من ذي الحجّة وتنتهي في اليوم السابع من ذي الحجّة من السنة المقبلة ، فهي في هذا اليوم تعادل سنة كاملة ، لكنّها في الرابع عشر من هذا الشهر تكون هناك حجّتان ، فهي حجتان بمعنى الحجّة ، لكنّها تمثّل سنة واحدة وسبعة أيّام بحساب السنة ، وقد جاء التعبير عن السنة بالحجّة من باب تسمية السنة باسم أيّام مقدسة من أيّامها ، وهي أيّام الحجّ ، وقد كان الأنبياء قبل الإسلام وأقوامهم يحجّون إلى البيت الحرام ، وقد جاء تسمية السنة باسم أيّام الحجّ لسببين : الأوّل من

---

(١) المفردات ص ٣٧٤

(٢) عمدة الحفّاظ ١٥٩/٣

باب التيمّن بهذه الأيّام ؛ لأنّها من الأيّام المفضّلة عند الله ، والثاني : أنّ وقت الحج معلوم ومعروف فاتخذ علامة لمعرفة متى تبدأ السنة ومتى تنتهي فتضبط من خلالها حساب الأيام والسنوات

–**السنة والعام** : قلتُ فيما سبق في بعض مؤلفاتي أنّهقد تستعمل السنة بمعنى العام ، والعام بمعنى السنة ، لكنَّه قد اتضح لي أنَّه عند اجتماع لفظ (السنة) ولفظ (العام) في سياق واحد ، يكون المراد من السنة الشدَّة ، ومن العام الرخاء ، وأنا الآن أرجع عن الشطر الأول من قولي المذكور وأؤكد أنَّه ليس في القرآن الكريم لفظ يطابق معنى لفظ آخر ، مهما اشتدَّ ترادفهما سواء وردا مجتمعين في سياق واحد أم وردا متفرقين في موضعين متباعدين ، وسياقين مختلفين ، من ذلك السنة والعام ، وقد قال العسكري في : ((الفرق بين العام والسنة ، أنَّ العام جمع أيام ، والسنة جمع شهور...ومع هذا فإنَّ العام هو السنة ، والسنة هي العام...كما أنَّ الكل هو الجمع ، والجمع هو الكل ، وإن كان الكل إحاطة بالأبعاض ، والجمع إحاطة بالأجزاء)) [(١)]

على الرغم من أنَّ العسكري لم يحسن التفريق بين السنة والعام ، ولم يوضحه ، حتى خلط بينهما وزعم ((أنَّ العام هو السنة ، والسنة هي العام)) فإنَّ الفرق المعنوي موجود حتمًا بينهما وبين كل لفظين مترادفين استعملا في كتاب الله ، إلّا أنَّ الجهل به ، هو الذي نجم منه القول بوحدة معنييهما من لدن كثير من أهل اللغة والتفسير ، قال الخليل : ((والعام يأتي على شَتْوَةٍ وصَيْفَةٍ))[(٢)] وقال الراغب : ((العام كالسنة ، كثيرًا ما تستعمل السنة في الحول الذي يكون فيه الشدة ، أو الجدب ، ولهذا يُعبَّر عن الجدب

---

(١) الفروق اللغوية ص ٣٠٢ .

(٢) العين ص ٦٩٩ وينظر : تهذيب اللغة للأزهري ٢٢٩٠/٣ .

بالسنة ، والعام بما فيه الرخاء والخصب ، قال تعالى : (عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ){يوسف : ٤٩} وقوله تعالى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ){العنكبوت : ١٤} ففي كون المستثنى منه بالسنة ، والمستثنى بالعام لطيفة موضعها فيما بعد هذا الكتاب))[١] ولم يتسنَّ لي التعرف إلى موضع هذه اللطيفة ، وما تضمنته ، إلّا أنَّ الحلبي قال في هذه الآية : ((في كون المستثنى منه بلفظ السنة ، والمستثنى بلفظ العام لطيفة حسنة ، وهي أنَّ هذه الخمسين بقاؤه بعد هلاك قومه ، فهي أعوام خير حيث هلك الكفرة المتمردة))[٢] وجاء في اللسان : ((العام : الحول يأتي على شَتْوَة وصَيْفَة))[٣] وجاء في التاج : ((والعام : السنة ، كما في الصحاح [٤] قال شيخنا : وعلى اتحادهما جرى المصنف ، ففسَّر كل واحد منهما بالآخر ، وقال ابن الجواليقي : ولا تُفرِّق عوام الناس بين العام والسنة ، ويجعلونهما بمعنى...عن أحمد بن يحيى أنَّه قال : السنة من أول يوم عددته إلى مثله ، والعام لا يكون إلّا صيفًا وشتاءً ، وليس العام والسنة مشتقين من شيء ، فإذا عددت من اليوم إلى مثله فهو سنة ، يدخل فيه نصف الشتاء ونصف الصيف ، والعام لا يكون إلّا صيفًا وشتاء ، ومن الأول يقع الربع والربع ، والنصف والنصف ، إذا حلف لا يكلمه عامًا لا يدخل بعضه في بعض ، إنَّما هو الشتاء والصيف ، فالعام أخصّ من السنة ، فعلى هذا تقول : كل عام سنة ، وليس كل سنة عام ، وقال الأزهري : العام حول يأتي على شَتْوَةٍ وصَيْفَةٍ ،

---

(١) المفردات ص ٣٦٨ وينظر : الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ص ٣٠٣

(٢) عمدة الحفاظ ١٤٣/٣.

(٣) لسان العرب ٣٤٢/١٠ .

(٤) ينظر : الصحاح للجوهري ص ٧٥٧.

وعلى هذا فالعام أخصُّ مطلقًا من السنة ، وإذا عددت من يوم إلى مثله فهو سنة ، وقد يكون فيه نصف الصيف ، ونصف الشتاء ، والعام لا يكون إلّا صيفًا وشتاء متواليين)) (١) أي : أنَّ السنة تعني دورة كاملة تنتهي في اليوم الذي بدأت فيه ، أمَّا العام فإنَّه إمَّا أن يبدأ في أول صيف ، وينتهي في نهاية أول شتاء يأتي بعده ، ويكون بينهما خريف ، أو أن يبدأ في أول شتاء وينتهي في نهاية أول صيف يأتي بعده ، يكون بينهما ربيع ، فهذا يعني أنَّ السنة تمر على أربعة فصول الحول ، والعام يمر على ثلاثة فصول منه ، يخلو منه إمَّا الخريف أو الربيع ، وهذا يكون في العام الواحد ، والسنة الواحدة ، أمَّا في الجمع فيكون المراد من العام فصلي صيفه وشتائه ، من دون النظر إلى فصلي ربيعه وخريفه ، ويكون المراد من السنة فصولها الأربعة على حدٍّ سواء ، فإذا أراد من الحول صيفه وشتاءه استعمل العام ، وقد ورد العام في القرآن الكريم في سبعة مواضع ، بصيغة المفرد في ستة مواضع ، وبصيغة المثنى في موضع واحد ، وقد مرَّ الكلام على موضعين منها ، والباقي قوله تعالى : (فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ){البقرة : ٢٥٩} يعني أنَّه أماته مدة مئة صيف ، ومئة شتاء ، فيكون المراد أنَّ طعامه وشرابه لم يتغير ويفسد على الرغم من أنَّه أقبل عليهما مناخان متضادان مفسدان للطعام والشراب ، تكرر كل منهما مئة مرة ، وقوله تعالى : (أَوَلاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ){التوبة : ١٢٦} كأنَّ المعنى : يفتنون مرة في صيفة من العام ومرة

---

(١) تاج العروس ٩١/٣٣.

في شتوة منه ، وقوله تعالى : (يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا){التوبة : ٣٧} وكأنَّ المعنى أيضًا : يحلّونه في صيف عام ويحرّمون في صيف عام آخر ، أو يحلّونه في شتاء عام ويحرّمونه في شتاء عام آخر ، وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا){التوبة : ٢٨} أي : بعد صيف عامهم هذا ، أو بعد شتاء عامهم هذا ، والله أعلم ، وقال تعالى : (وَوَصَّيْنَا الأنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ){لقمان : ١٤} والمعنى والله أعلم : أنَّ أمَّه عانت من حمله وتربيته عامين بصيفهما وشتائهما ، فصبرت على حمله وتربيته في حرّ الصيف وتبعاته ، وفي برد الشتاء وتبعاته .

هذا إذا أريد من الحول صيفه وشتاؤه ، وإذا أريد منه فصوله الأربعة وكلّ أيامه استعمل السنة لقصد التعبير عن طول زمانها ، وقد وردت السنة بصيغة المفرد في سبعة مواضع هي : قوله تعالى : (حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ){الأحقاف : ١٥} وقوله تعالى : (يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ)){البقرة : ٩٦} وقوله تعالى : (قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ){المائدة ٢٦} وقوله تعالى : (وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ){الحج : ٤٧} وقوله تعالى : (فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ عَامًا){العنكبوت : ١٤} وقوله تعالى : (تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ){المعارج : ٤} وقوله تعالى : (ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ){السجدة : ٥} فمن الواضح جدًّا أنَّ المراد السنة في الشواهد القرآنية المذكورة كل فصولها وكل أيامها ؛ لأنَّها وردت في كل شاهد ضمن سياق زماني ضُرب مثلًا لطوله وكمال مدته

وقد استعملت السنة للجدب والشدة ، واستعمل العام في الخير والرخاء ، وهذا متأتٍّ من أنَّ العام يعني الحول الذي يأتي على شتوة وصيفة

؛ لأنَّ الخصب والنماء لا يكون إلّا بمرور هذين الفصلين يتلو أحدهما الآخر ، ففصل يسقي الأرض بمياه أمطاره ، وفصل ينبت به الزرع وينمو بسطوع شمسه ودفئه

وقد تطرقتُ في كتابي : الوجوه الدخيلة ، وفي كتابي : من مزاعم النحاة ، في التمهيد إلى شرح دلالة الاستثناء في قوله تعالى : (فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إلا خَمْسِينَ عَامًا){العنكبوت : ١٤}

وفيما يأتي نصّ ما قلته : ((ومن المعاني الأخرى التي تضمنها كتاب الله ، ولم يستعملها العرب ؛ مما اقتضى أيضًا أن تكون التراكيب المعبِّرة عنها ، وردت في كلام الله ، ولم ترد في كلامهم :

٢- قول الله تعالى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إلا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ){العنكبوت : ١٤}

أوَّل من تطرَّق إلى حكم الاستثناء في هذه الآية الزجاج ، وأطال الكلام فيه ، وملخّصه أنَّ القرآن الكريم استعمل هذا الاستثناء للتحقيق ، وللتأكيد على أنَّه لبث فيهم تسعمئة سنة وخمسين ، من غير نقصان ، لأنَّه لو ذكر هذا العدد من دون هذا الاستثناء ، لاحتمل أكثر هذه المدة لا كُلَّها[1] ولم يتطرَّق إلى قضية استثناء الأعوام من السنين ، وأوَّل من أشار إلى سرّ ذلك الزمخشري ، فقال : ((فإن قلتَ : فَلِم جاء المُمَيَّز أوّلاً بالسنة ، وثانيًا بالعام ؟ قلتُ : لأنَّ تكرير اللفظ الواحد في الكلام حقيق بالاجتناب في البلاغة)) [2]

وهذا تعليل لفظي لا وجود له في لغة القرآن الكريم ، كما أنَّه تعليل واهٍ جدًّا ؛ لأنَّه لو صحَّ ما زعمه لكان يمكن تجنُّب هذا التكرير بحذف أحد

---

(1) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ١٢٣/٤ .

(2) الكشاف ١٣/٩ ..

التمييزين ، وكثيرًا ما حُذِفَ تمييز العدد في القرآن الكريم ، فيقال مثلًا : ألف سنة إلاَّ خمسينًا ، أو ألفًا إلاَّ خمسين سنة ، هذا من جهة ، ومن جهة أُخرى فإنَّه لا بدَّ من أن يكون لاستعمال (عامًا) بدلًا من سنة سرّ ، ولمعنى مقصود وحكمة بليغة ، جهلها الزمخشري ، ومن قبله ومن جاء من بعده ، وظل هذا السرّ مجهولًا ، حتى وجدتُه في الدر المصون إذ جاء فيه : ((وقد روعيت هنا نكتة لطيفة ، وهو أنَّه غاير بين تمييزي العددين ؛ فقال في الأَوَّل (سنة) ، وفي الثاني (عامًا) لئلّا يثقل اللفظ ، ثمَّ إنَّه خص لفظ العام بالخمسين إيذانًا بأنَّ نبي الله ، صلى الله عليه وسلم ، لمَّا استراح منهم بقي في زمن حسن ؛ والعرب تُعَبِّر عن الخصب بالعام ، وعن الجدب بالسنة))[١]

فبين السنة والعام فرق دقيق في الدلالة ، ويتضح هذا الفرق عند اجتماعهما في سياق واحد ، فقد اتضح أنّ المراد من السنة الشدَّة ، ومن العام الرخاء ، في قوله تعالى : (يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ {٤٦} قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ {٤٧} ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ {٤٨} ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ){يوسف : ٤٦-٤٩}

عبَّر القرآن عن السنة التي جاء فيها الفرج ، ونزل فيها المطر ، ونبت فيها الزرع ، فحصد الناس ، وعمَّ الرخاء في البلاد ، عبَّر عنها بالعام ، وعبَّر عن الشدة التي مرّوا بها قبل ذلك بالسنين ، فباستثناء الأعوام من السنين في قوله تعالى : (أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ عَامًا) أفاد أنَّ نوحًا عليه السلام عاش ٩٥٠ سنة قبل الطوفان ، وقد عبَّر عنها القرآن الكريم بالسنة ؛

---

(١) الدر المصون ١٣/٩

لأنَّها كانت سني شدة على نوح ، عليه السلام ، إذ عانى فيها من قومه ما عانى ، من العناد والإعراض ، والإصرار على الكفر والعصيان ، وأنَّه عاش بعد الطوفان خمسين سنة ، وقد عبَّر عنها بلفظ (العام) ؛ لأنَّها كانت أعوام راحة ورخاء حتى وفاته ، بعد هلاك قومه بالطوفان

وقد قيل في عمر نوح عليه السلام ، أقوال كثيرة ومختلفة ، لا تطابق العمر الذي استنتجناه من الآية ، إلّا أنَّه جاء في جامع الأصول لابن الجزري أنَّ نوحًا عليه السلام ، كانت مدة نبوته ٩٥٠ سنة وعاش بعد الغرق ٥٠ سنة (١)

وهذه هي الرواية الوحيدة الموافقة لقوله تعالى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إلا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ){العنكبوت : ١٤}))

٦–**الحديث والقول والكلام والنطق : الحديث :** ((الحُدوث كون الشيء بعد أن لم يكن عرضًا كان ذلك أو جوهرًا ، وإحداثه إيجاده٠٠٠ويقال لكلّ ما قرب عهده مُحدَث فعلًا كان أو مقالًا ، قال تعالى : (قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا){الكهف : ٧٠} وقال تعالى : (لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّـهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا){الطلاق : ١} وكلّ كلام يبلغ الإنسان من جهة السمع أو الوحي في يقظته أو منامه يقال له حديث قال الله عز وجل : (وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا){التحريم : ٣} وقال تعالى : (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ){الغاشية : ١}٠٠٠وسمّى تعالى كتابه حديثًا ، قال تعالى : (فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ){الطور : ٣٤}|)) (٢)

((وأحدثه الله فحدث ، وحدث أمر وقع٠٠٠واستحدثتُ خبرًا ، أي :

---

(١) رنّق النوم في عينه خالطها ، وأقصده النوم : رماه بسهم

(٢) المفردات للراغب ص ١١٥–١١٦

وجدتُ خبرًا جديدًا)) [١]

وقوله تعالى : (مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ){الأنبياء : ٢} ((المراد أنّه محدَث الإتيان لا مُحدَث العين ، فحدث علمه عندهم حين سمعوه ، وهذا كما تقول : حدث اليوم عندنا ضيف، ومعلوم أنّه كان موجودًا قبل ذلك ، وكذلك القرآن جاء في موادّ حادثة تعلَّق السمع بها فلم يتعلَّق الفهم بما دلّت عليه الكلمات، فله الحدوث من وجه واالقدم من وجه، فإن قلت : فإنّ الكلام لله ولترجمة للمتكلّم ،فالجواب نعم وهو كذلك بدلالة قوله تعالى مقسمًا إنّه يعني القرآن : (فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ){الحاقّة : ٤٠} فأضاف الكلام إلى الواسطة واالمترجم ، كما أضافه إلى نفسه بقوله : (فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ){التوبة : ٦} فإذا تُلِي علينا القرآن فقد سمعنا كلام الله تعالى ، وموسى لمّا كلّمه ربّه سمع كلام الله ، ولكن بين السماعين بعد المشرقين ، فإنّ الذي يدركه من يسمع كلام الله بلا واسطة لا يساويه من يسمعه بالوسائط)) [٢]

فالحديث من الكلام هو الذي يحدثه المتكلّم ، أي : يبدأ به أوّل مرة ، كأنّه يحدثه ويوجده قبل غيره ؛ لذلك يقتضي أن يكون جديدًا ، فالحديث من الكلام هو الكلام المُحدَث الجديد الذي يتضمّن أحدث الأفكار والحكم والمواعظ

وإعجاز القرآن الكريم يتميز بميزتين:

الأولى : أنَّه إعجاز مستمر في تطوره ؛ ذلك أنَّه في كلّ جيل يكتشف فيه دارسوه قضايا جديدة من الإعجاز تضاف إلى قضايا إعجازه

---

(١) الصحاح ص ٢١٦

(٢) محاسن التأويل تفسير القاسمي ١٧٥/٧

السابقة ، وقد أصبحوا على يقين بأنَّ هذه الحالة مستمرة إلى يوم الدين، مصداقًا لقوله ﷺ: إنَّ هذا القرآن لا تنتهي عجائبه ، ومن هنا عُدَّ القرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة.

والثانية : أنَّ إعجاز القرآن الكريم متعدد الجوانب ، وفي الميدانين الأدبي والعلمي ، فالناس دائمًا يتعرّفون إلى قضايا جديدة في مجال اللغة ، والعدد ، والتشريع ، والتاريخ ، وفي قضايا العلم المختلفة ، وفي إخباره عمّا سيحدث في المستقبل

وكلام الله قديم لكن يتضمّن حقائق ما كان يعلم بها الناس في وقتها بل علموا ببعضها ، ولا يزالون إلى يومنا هذا تتكشف لهم حقائق جديدة عنها لذلك لا يزال حديثًا في حقائقه من قبل الناس ، وكم من آية أخذت تفسَّر في الوقت الحالي من لدن علماء أهل اللغة والتفسير تفسيرًا جديدًا وحديثًا خلاف تفسير القدامى والمتأخرين لها

فكل كلام يتضمّن جديدًا من قبل المستمعين يسمّى حديثًا وسمّي كلام الناس الذي يدور حول من أهلكهم الله من قبل أحاديث ؛ لأنّها تدور في أمور جديدة بالنسبة لهم ؛ ولأنّه فُعِلَ بهم ما لم يُفعَل بغيرهم

-**القول** : ((القول والقيل واحد قال تعالى : (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا){النساء : ١٢٢})) [١]

-**الكلام** : ((الكلام يقع على الألفاظ المنظومة وعلى المعاني التي تحتها مجموعة٠٠٠وعند كثير من المتكلمين لا يقع إلّا على الجملة المركبة المفيدة ، وهو أخصّ من القول فإنّ القول يقع عندهم على المفرات))[٢] ((وأصل اشتقاق الكلام من الكَلْمِ وهو التأثير ، ومنه قيل للجرح كَلْمٌ لتأثيره

---

(١) المفردات للراغب ص ٤٣٢

(٢) المفردات للراغب ص ٤٥٨

في الجلد))[١]

فالكلام هو التعبير عن معان وأفكار منظومة بألفاظ وتراكيب منظومة من أجل التأثير في أسماع من يسمعه ، أو في قلوب من يقرأه ، أمّا القول فهو يعبِّر عن قائله ، ولهذا جاء في الحديث النهي عن القيل والقال ، فهو يختلف عن الكلام بأنّه ((يُستعمل على أنحاء : أحدها أن يقصَد به حكاية الجمل ، وهذا غالب أحواله كقوله تعالى (وَقَالَ اللَّـهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَـٰهَيْنِ اثْنَيْنِ){النحل : ٥١}٠٠٠والثاني أن يُقصَد به الظنّ٠٠٠الثالث : أنّه يُستعمَل في المتصوَّر في النفس قبل الإبراز في اللفظ٠٠٠وعليه قوله تعالى : (وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّـهُ بِمَا نَقُولُ){المجادلة : ٨}٠٠٠الرابع : الاعتقاد ، نقول بقول الشافعي٠٠٠إنّ القول قد يطابق اعتقاد قائله٠٠٠وفي الحديث : نهى عن قيل وقال٠٠٠والقال والقالة : ما انتشر من القول)) [٢]

النطق : ((النطق في التعارف الأصوات المقطّعة التي يظهرها اللسانوتعيها الأذن قال تعالى : (مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ){الصافات : ٩٢} ولا يكاد يقال لغيره إلّا على سبيل التبع٠٠٠والمنطقيون٠٠٠حَدُّوا الإنسان فقالوا هو الحيّ الناطق٠٠٠وقوله تعالى : (لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ){الأنبياء : ٦٥} إشارة إلى أنّهم ليسوا من جنس الناطقين٠٠٠وقوله تعالى : (وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ){النمل :١٦}فإنّه سمّى أصوات الطير نطقًا اعتبارًا بسليمان الذي كان يفهمه ، فمن فهم من شيء معنى فذلك الشيء بالإضافة إليه ناطق وإن كان صامتًا)) [٣]

((ولا يقال للصوت نطق حتى يكون هناك صوت وحروف تُعرَف بها

---

(١) عمدة االحفّاظ ٤٢٢/٣

(٢) عمدة الحفّاظ ٣٤٧/٣-٣٥٢

(٣) المفردات للراغب ٥١٩-٥٢٠

المعاني)) [١]

فالحديث من الكلام ما تضمّن جديًّدًا بالنسبة للسامع ، والقول ما عبّر عن قائله ، ويقصَد به في الغالب حكاية الجمل ، والكلام ما انتظم من المعاني والألفاظ واالتراكيب المعبرة عنها والنطق ما كان ضدّ البكم والصمت ، والناطق ما كان ضدّ الأبكم والصامت ، وهو أدنى مراتب ما تقدّم ذكره ، وأساسها ؛ ولهذا وصفت الأصنام بأنّها لا تنطق ، فضلًا عن كونها تقول أو تتكلّم أو تتحدث وقوله تعالى : (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ){النجم : ٣} يفيد بأنّ نطقه صلى الله عليه وسلّم لا يصدر عن هوى فما بالك بقوله وكلامه وحديثه؟ !

٧-**الحرام والسحت** : ((السين والحاء والتاء أصل صحيح منقاس ، يقال : سُحِتَ الشيءُ إذا استُؤصِل ، وأُسحِتَ ، يقال : سحتَ الله الكافر بعذاب إذا استأصله ، ومال مسحوت ومُسْحَت٠٠٠ومن الباب : رجل مسحوت الجوف إذا كان لا يشبع ، كأنّ الذي يبلعه يُستأصَل من جوفه فلا يبقى ، المال السُّحْت : كل حرام يلزم منه العار ، وسُمّيَ سُحْتًا لأنّه لا بقاء له ، ويقال : أسحت في تجارته إذا كسب كسب السحت ، وأسحتَ مالَه : أفسده))[٢] و((السُّحْتُ : كلّ حرام قبيح الذكر يلزم منه العار))[٣]

((والسُّحْت : القِشْرُ الذي يُسْتأصَل٠٠٠ومنه السُّحْتُ للمحظور الذي يلزم صاحبه العار كأنّه يُسحتُ دينه ومروءته قال تعالى : (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ

(١) عمدة الحفاظ ١٩١/٤

(٢) مقاييس اللغة ص ٤٣٢

(٣) العين ص ٤١١

أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ){المائدة : ٤٢}أي : لِما يُسْحت دينهم))[١] أي : ((كأنّه يقشُرُ دينه ومروءته))[٢]

فالسحت هو أشدّ أنواع الحرام وأقبحه وأسوأ عاقبة منه في الدنيا والآخرة

٨-**الحرث والزرع** : ((الحرث : إلقاء البذر في الأرض وتَهَيُّؤُها للزرع ، ويسمّى المحروث حرثًا، قال الله تعالى : (أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ){القلم : ٢٢})) [٣] ((والزرع : الإنبات وحقيقة ذلك تكون بالأمور الإلهية قال تعالى : (أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ){الواقعة : ٦٤} فنسب الحرث إليهم ونفى عنهم الزرع ونسبه إلى نفسه ، وإذا نُسِبَ إلى العبد فلكونه فاعلًا للأسباب التي هي سبب الزرع ، كما تقول : انبتُّ كذا إذا كنت من أسباب نباته)) [٤]

وجاء في ((الفرق بينهما أنّ الحرث : بذر الحبّ من الطعام في الأرض ، والزرع : نبته نباتًا إلى أن يبلغ ، ويؤيده قوله تعالى : (أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ){الواقعة : ٦٣-٦٤} حيث أسند الحرث إلى العباد ، والزرع إلى نفسه سبحانه وروي عنه صلى الله عليه وسلّم قال : لا يقولنَّ أحدكم : زرعتُ ، وليقل : حرثتُ))[٥]

٩-**الحرج والضيق : الحرج** ☹(أصل الحرج والحَراج مجتمع الشيء وتُصوِّر منه ضيق ما بينهما فقيل للضيق حرج وللإثم حرج قال تعالى : (ثُمَّ

---

(١) المفردات للراغب ص ٢٣٣

(٢) عمدة الحفّاظ ٢/١٧٦-١٧٧

(٣) المفردات ص ١١٧

(٤) المفردات ص ٢١٤

(٥) فروق اللغات ص ١٠٧

لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا){النساء : ٦٥} وقال عزّ وجلّ : (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ){الحج : ٧٨} وقد حرج صدره قال تعالى : (وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا){الأنعام : ١٢٥} وقرئ حرِجًا أي ضيّقًا بكفره))[1]((وقوله تعالى : (يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا){الأنعام : ١٢٥} قرئ بفتح الراء وكسرها ، أي : مبالَغًا بالضيق ، قال ابن عبّاس : الحرج : موضع الشجر الملتفّ ، فكان قلب الكافر لا تصل إليه الحكمة كما لا تصل الراعية إلى المكان الملتفّ شجره٠٠٠ويقع الحرج بمعنى الإثم كقوله تعالى : (لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ){النور : ٦١}أي : إثم ويجوز أن يكون على بابه ، أي : ليس على هؤلاء تضييق بما كُلِّف به غيرهم لأعذار خُصّوا بها))[2]

–**الضيق** : ((الضيق ضد السعة٠٠٠يستعمل في الفقر والبخل والغمّ ونحو ذلك قال تعالى : (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا){هود : ٧٧}وقال تعالى : (فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ){هود : ١٢} وقال تعالى : (وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ){التوبة : ٢٥}(وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ){التوبة : ١١٨}))[3]

فالفرق بين الضيق والحرج أنّ الضيق ضيق له منفذ ؛ لذلك استعمل في الفقر والبخل والغمّ ونحوها وهي حالات تنتهي دائمًا بالفرج ، فالضيق الذي أصاب لوطًا وأصاب رسولنا الكريم والذي أصاب المسلمين في معركة

---

(١) المفردات ص ١١٨

(٢) عمدة الحفّاظ ٣٨٧/١–٣٨٨

(٣) المفردات للراغب ص ٣١٢ وينظر : عمدة الحفّاظ ٣٩٢/٢

حنين والثلاثة الذين تخلفوا عن الجهاد كلّها انتهت بالفرج

أمّا الحرج فهو الضيق الذي لا منفذ له ؛ لذلك استعمل فيمن ضاق صدره بالكفر ، والإثم ؛ ولذلك رفع الله الحرج عن أصحاب الأعذار ؛ ولهذا إذا كان الله سبحانه لم يرفع عنّا الضيق لأنّه يعقبه فرج ، لكن رفع عنّا الحرج لأنّه لا منفذ له فقال تعالى : (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ){الحج : ٧٨}وقال تعالى: (مَا يُرِيدُ اللَّـهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)**{المائدة : ٦}**

١٠-الحرص والطمع : ((قيل : الحرص أشدّ الطمع وعليه جرى قوله تعالى : (أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ){البقرة : ٧٥} لأنّ الخطاب فيه للمؤمنين ، وقوله سبحانه : (إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ){النحل : ٣٧} فإنّ الخطاب فيه مقصور على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، ولا شكّ أنّ رغبته صلى الله عليه في إسلامهم وهدايتهم كان أشدّ وأكثر من رغبة المؤمنين المشاركين له في الخطاب الأوّل في ذلك)) [١]

١١-الحساب والقِطّ : **الحساب** : ((الحساب : عدّك الأشياء)) [٢]و((الحساب استعمال العدد)) [٣]((والحساب استعمال العدد والتقدير٠٠٠وقوله تعالى : (فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا){الطلاق : ٨} أي : أوقفناها على جميع أعمالها فلا تنكر منه شيئًا٠٠٠ومن نوقش الحساب عُذِّب ، أي : من استولى عليه لا بدّ أن يؤاخَذ))[٤]

---

(١) فروق اللغات ص ١١٢-١١٣

(٢) العين ص ١٨٨ وينظر : مقاييس اللغة ص ٢٠٨

(٣) المفردات ص ١٢١-١٢٢

(٤)عمدة الحفّاظ ٤٠١/١

–**القِطّ** : ((القِطّ (بكسر القاف) كتاب المحاسبة وجمعه قُطوط ، والقِطّ : النصيب لقوله تعالى : (وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ){ص : ١٦})))[١]

وقال ابن فارس : ((وأما القِطّ فيقال : إنّه الصكّبالجائزة٠٠٠وعلى هذا يُفسّر قوله تعالى : (وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ){ص : ١٦} كأنّهم أرادوا كتبهم التي يُعطونها من الأجر في الآخرة))[٢]

و((القِطّ الصحيفة ، وهو اسم للمكتوب والمكتوب فيه٠٠٠والقِطّ : النصيب المفروز كأنّه قُطّ ، أي : أُفرِزَ))[٣]

و((القِطّ : الصحيفة المكتوبة ، وإنّما قالوا ذلك حين نزل : (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ){الانشقاق : ٧}فاستهزؤوا بذلك وقالوا : عجِّل لنا هذا الكتاب قبل يوم الحساب ، والقِطّ في كلام العرب : الصكّ وهو الحظّ ، والقِطّ : النصيب ، وأصله الصحيفة للإنسان بصلة يوصل بها٠٠٠والقُطوط ههنا جمع قِطّ وهو الكتاب٠٠٠سُميت قطوطًا ؛ لأنّها كانت تخرج مكتوبة في رقاع وصكاك مقطوعة))[٤]

فالحساب هو حساب الناس على أعمالهم يوم القيامة ، وبعد الفراغ من حسابهم ، يُعطى لكلّ إنسان كتاب فيه نتيجة حسابه قال تعالى : (فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا){الانشقاق : ٧–١٢) و((قوله تعالى : (رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا

---

(١) العين ص ٧٩٦–٧٩٧

(٢) مقاييس اللغة ص ٧٤٥–٧٤٦

(٣) المفردات ص ٤٢٤

(٤) لسان العرب ١٣٨/١٢

قِطَّنَا){ص : ١٦} أي : حظّنا ونصيبنا المقطوع لنا))[١] أي : أرادوا أن تُعطى لهم هذه الكتب في الدنيا قبل الآخرة ، فسموها بالقَط ، والله سمّاها بالكتاب

١٢-**حسب وظنّ** :قال الدكتور فاضل السامرائي : ((ويبدو أنَّ بين حسِب وظنَّ فرقًا ، فإنَّ حسِب القلبي منقول من حسب الحسي الذي منه الحساب ، ومنه حسَب الدراهم ، أي : عدَّها ، فإنَّ حسب في قولك حسِبتُ محمدًا ، فيه معنى الحساب ، أي : حسب ذلك وانتهى إلى ما انتهى إليه ، وليس هذا الفعل مطابقًا للظن تمامًا ، فهناك فرق بين قولك : تحسبهم جميعًا ، وتظنهم جميعًا ، فإنَّ قولك : تحسبهم جميعًا إنَّما يكون بعد مراقبة أحوالهم ، فكأنَّك أجريت عملية حساب ، فأدى حسابك إلى ذلك بخلاف قولك : أظنّهم ، فالحسبان قائم على الحساب والنظر العقلي ، بخلاف الظن الذي يدخل الذهن ويلابسه لأدنى سبب)) [٢]

نخلص من كل ما سبق ذكره أنَّ (حسب) كما استعملت لحساب الأمور الحسية استعملت لحساب الأمور القلبية ، ولم تستعمل حسبَ في القرآن الكريم للرجحان أو للشك أو لليقين ؛ لأنَّها وردت فيه وهي مسندة إلى الغائب أو المخاطَب ، ولم ترد مسندة إلى ضمير المتكلم لمعرفة دلالتها عنده ، والذي لاحظته أنَّ حسبَ استعملت في كل شواهدها الواردة في كتاب الله ، فيما كان مخالفًا للحقيقة والواقع كقوله تعالى : (فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً){النمل : ٤٤} لذلك كثر ورودها في سياق الاستفهام الإنكاري ، كقوله تعالى : (أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ){العنكبوت : ٢} وقوله تعالى : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن

(١) عمدة الحفّاظ ٣٢١/٣

(٢) معاني النحو ٢/٢٠-٢١ .

قَبْلِكُم){البقرة : ٢١٣} وقوله تعالى : (أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ){المؤمنون : ١١٥} حتى قوله تعالى الموجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا){الكهف : ٩} ((قال المفسرون : معنى الكلام : أحسبتَ (يا محمد) أنَّهم كانوا أعجب آياتنا ؟! قد كان في آياتنا ما هو أعجب منهم ، فإنَّ خلق السموات والأرض وما بينهما أعجب من قصتهم ، وقال ابن عباس : الذي آتيتك من الكتاب والسنة والعلم أفضل من شأنهم))[١] أي : ((لا تظن يا محمد أنَّ قصة أصحاب الكهف واللوح الذي كُتِبتْ فيه أسماؤهم من آياتنا عجيبة وغريبة ، فإنَّ خلق السموات والأرض وما فيهما أعجب من ذلك))[٢]

١٣-**حسب وعدَّ** : ذكر النحاة أنّ عدَّمن أخوات ظنَّ تتعدى إلى مفعولين ، ولا تتعدى إلى مفعول واحد إلّا إذا أردتَ أن تكون بمعنى حسَب (بفتح السين) [٣]والصحيح أنّ عدّ غير حسَب ، وحسَب غير عدّ سواء تعدّت إلى مفعولين أو إلى مفعول واحد . قال الخليل : ((في باب عدَّ : ((عَدَدْتُ الشيءَ عَدًّا : حَسَبْتُه وأحصيته)) وقال ابن فارس : ((العين والدال أصل صحيح واحد ، لا يخلو من العدّ الذي هو الإحصاء)) [٤]فـ(عدَّ) كـ(حسِب) كلاهما بمعنى العد والإحصاء ، إلّا أنَّ العدّ ينحصر في تعداد الشيء ، و(حسب) معناه مطلق في الحساب ، فيشمل التعداد وغيره ، من جمع وطرح وضرب وتقسيم وغيرها من معاني الحساب ؛ لذلك جعل اسمًا ليوم الحساب

---

(١) زاد المسير ٧٩/٥.

(٢) التفسير الميسر ، إعداد نخبة من العلماء ص ٢٩٤.

(٣) ينظر : حاشية الصبان على شرح الأشموني ٣١/٢ وشرح التصريح ١٩٤/٢وهمع الهوامع ٥٣٧/١.

(٤) مقاييس اللغة ص ٥٦٦.

الذي يحاسَب فيه الناس يوم القيامة ولهذا قال : (هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ){ص : ٥٣}ولم يقل ليوم العدّ لأنّ في الحساب لا في العدّ تتحقق العدالة ويضمن كلّ إنسان حقوقة بدقّة ويُحسّب ما له وما عليه على حدّ القطمير

١٤-**الحصب والحطب** : **الحصب** : ((الحاء والصاد والباء أصل واحد ، وهو جنس من أجزاء الأرض، ثمّ يشتق منه ، وهو الحصباء ، وذلك جنس من الحصى))[١]

-**الحطب** : ((الحاء والطاء والباء أصل واحد ، وهو الوقود ، ثمّ يُحمَل عليه ما يُشَبَّه به ، فالحطب معروف))[٢]ف((الحطب : ما يُعدّ للإيقاد))[٣] و((الحصب ما يُحصَب به في النار ، أي : يُلقى فيها ، قاله أبو عبيد ، وحصبت بكذا ، أي : رميته به))[٤]

ورد الحطب في موضعين أحدهما قوله تعالى : (وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ){المسد : ٤}

وورد الحصب في موضع واحد هو قوله تعالى : (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ){الأنبياء : ٩٨}

والحصب لم تستعمل للإيقاد بل للرمي بها ف((الحصب : رميك بالحصباء ، حصَبَه يحصبه حصْبًا : رماه بالحصباء ، وتحاصبوا : تراموا بالحصباء ، والحصباء : صغارها وكبارها ، وفي الحديث الذي جاء ي مقتل عثمان رضي الله عنه قال : إنّهم تحاصبوا في المسجد ، حتى ما أُبصِرَ أديم

---

(١) مقاييس اللغة ص ٢١٢

(٢) مقاييس اللغة ص ٢١٦

(٣) المفردات ص ١٢٨

(٤) عمدة الفّاظ ٤١٥/١

السماء ، أي : تراموا بالحصباء ، وفي حديث عمر رضي الله عنه أنّه رأى رجلين يتحدّثان والإمام يخطب فحصبهما ، أي : رجمهما بالحصباء ليسكتهما))[1]

فقوله تعالى : (أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ) يفيد ورودها ولا يفيد دخولها ، وإنّما يفيد رميهم إليها ، فاستعمل الحصب لأنّه أراد أهل النار في حال رميهم في نار جهنّم ؛ لذلك استعمل الحصب في قوله تعالى : (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ){الأنبياء : ٩٨}واستعمل الحطب بعد أن صاروا فيها في قوله تعالى : (وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا){الجنّ : ١٥}والمعنى واضح وهو موافق لقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ){التحريم : ٦}

فالحصب للرمي بهم إلى نار جهنّم ، والحطب لجعلهم فيها وقودًا ؛ لأنّ الحطب استعملت للإيقاد

١٥-**الحظّ والخلاق والكفل والنصيب** : فرّق العسكري ((بين النصيب والحظ أنّ النصيب يكون في المحبوب والمكروه يقال : وفّاه الله نصيبه من النعيم أو من العذاب ، ولا يقال : حظّه من العذاب إلّا على استعارة بعيدة ؛ لأنّ أصل الحظّ هو ما يحظّه الله تعالى للعبد من الخير ، والنصيب ما نُصِبَ له ليناله ، سواء كان محبوبًا أو مكروهًا ، ويجوز أن يقال : الحظّ اسم لِما يرتفع به المحظوظ ؛ ولهذا يُذكر على جهة المدح فيقال : لفلان حظٌّ ، وهو محظوظ ، والنصيب ما يصيب الإنسان من مقاسمة سواء ارتفع به شأنه أم لا ؛ ولهذا يقال : لفلان حظٌّ في التجارة ، ولا يقال : له نصيب فيها ؛ لأنّ الربح الذي يناله فيها ليس عن مقاسمة))[2]

---

(1) لسان العرب ١٣٦/٤

(2) الفروق اللغوية ص ١٨٦

هذا هو الفرق الأوّل بين الحظ والنصيب والفرق الثاني أنّ الحظ يكون في القدر المعلوم ، فقد عرّفوا ((الحظّ : النصيب المقدّر)) [١]

وورد الحظّ في سبعة مواضع منهاقولهتعالى ☹يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ){آل عمران : ١٧٦}((أي : نصيبًا من الثواب))[٢]واستعمل الحظ في قوله تعالى ☹يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ){النساء : ١١} لأنّه أراد النصيب المقدّر

وقوله تعالى : (وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ){المائدة : ١٣} (((وَنَسُوا حَظًّا) وتركوا نصيبًا جزيلًا وقسطًا وافيًا ، يعني أنّ تركهم إعراضهم عن التوراة إغفال حظ عظيم))[٣]

الخلاق ☹(والخلاق : ما اكتسبه الإنسان من الفضيلة بخُلقه))[٤]((والنصيب الوافر من الخير)) [٥]

وورد في ستة مواضع وهي قوله تعالى : (مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ){البقرة : ١٠٢ ، ٢٠٠}وقوله تعالى : (أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ){آل عمران : ٧٧}

والحقيقة أنّه ليس المراد من الخلاق خلاق الآخرة ، بل خلاق الدنيا أيضًا المتمثّل في الحصول على متاعها الفاني ، وهذا ما جاء في قوله تعالى : (فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا){التوبة : ٦٩}((أي : تلذذوا بملاذ الدنيا ،

---

(١) المفردات ص ١٢٨ وعمدة الحفّاظ ٤٢٩/١

(٢) مدارك التنزيل ص ١٩٨

(٣) مدارك التنزيل ص ٢٧٧

(٤) المفردات ص ١٢٨

(٥) عمدة الحفّاظ ٥٢٨/١

والخلاق النصيب ، مشتق من الخلق وهو التقدير ، أي : ما خُلِقَ للإنسان بمعنى قدّر من خير ٠٠٠وإنّما قدّم (فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ) وقوله : (كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ) مغن عنه ليذمّ الأولين بالاستمتاع بما أوتوأ من حظوظ الدنيا والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبةوطلب الفلاح في الآخرة))[١]

الكفل : ((الكفالة : الضمان ، تقول : تكفَّلتُ بكذا ، وكفلته فلانًا٠٠٠والكفيل : الحظّ الذي فيه الكفاية٠٠٠والكفل الكفيل قال تعالى : (يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ){الحديد : ٢٨}أي : كفيلين من نعمته في الدنيا والآخرة ، وهما المرغوب إلى الله تعالى فيهما بقوله تعالى : (رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ){البقرة : ٢٠١} وقيل : لم يَعْنِ بقوله : (كِفْلَيْنِ){الحديد : ٢٨} أي : نعمتين اثنتين بل أراد النعمة المتوالية المتكفّلة بكفالته ويكون تثنيته على حدّ ما ذكرنا في قولهم لبيك وسعديك ، وأمّا قوله تعالى : (مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا){النساء : ٨٥}فإنّ الكفل ههنا ليس بمعنى الأوّل بل هو مستعار من الكفل ، وهو الشيء الرديء واشتقاقه من الكفل وهو أنّ الكفل لمّا كان مرْكَبًا ينبو براكبه صار متعارَفًا في كلِّ شدّة كالسيساء وهو العظم الناتئ من ظهر الحمار فيقال : لأحملنّك على الكفل وعلى السيساء٠٠٠ومعنى الآية : من ينضمّ إلى غيره مُعينًا له في فعلة حسنة يكن له منها نصيب ، ومن ينضمّ إلى غيره مُعينًا له في فعلة سيئة يناله منها شدّة ، وقيل : الكفل الكفيل ، ونبّه أنّ من تحرّى شرًّا فله من فعله

---

(١) مدارك التنزيل ص ٤٤٤

كفيل يُسأله كما قيل : من ظلمَ أقام كفيلًا بظلمه تنبيهًا أنّه لا يمكن التخلّص من عقوبته))[١]

وقد بسط الحلبي الكلام في بيان السرّ في استعمال النصيب في جانب الحسنة والكفل في جانب السيئة فقال : (((قوله تعالى : (مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا){النساء : ٨٥}الكفل : الحظّ والنصيب الذي فيه الكفالة ، كأنّه تكفّل بأمره ، واشتقاقه من الكفالة وهي الضمان ، من قولهم كفّلتُ فلانًا وتكفّلتُ به ؛ لأنّه نصيب مضمون ، وقال أبو منصور : اشتقاقه من الكفل الذي هو الكساء الحاوي للراكب ، وذلك أنّ الرديف يحوي كساء على سنام البعير لئلّا يسقط عند ركوبه ، فكان ذلك النصيب حافظًا لصاحبه كما يحفظ الكساء الراكب ، وقد آل الأمر أنّ المادة تدلُّ على الحفظ فإن الكفالة بمعنى الضمان تقتضي ذلك كما يقتضيهالكساء المذكور .

قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ){الحديد : ٢٨}أي : نصيبين يحفظانكم من المعاصي الموقعة في الهلكة ، وقيل : نصيبين من نعمته في الدنيا والآخرة ، وهما المرغوب إلى الله تعالى فيهما بقوله تعالى : (رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ){البقرة : ٢٠١} وقيل : لم يرد هنا بالتثنية ما يشفع الواحد فقط ، بل أراد النعم المتوالية المتكفّلة بكفالته تعالى٠٠٠وإنّما قال تعالى في جانب الحسنة (يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا) وفي جانب السيئة : (يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا) لمعنى حسن ذكره بعض أهل العلم فقال : الكفل ها هنا ليس هو بمعنى الأول بل هو مستعار من الكفل ، وهو الشيء الرديء ، واشتقاقه من الكَفَل ؛ ذلك أن الكفل لمّا كان مركّبًا ينبو براكبه صار متعارفًا في كلّ شدة

([١]) المفردات ص ٤٥٤–٤٥٥

كالسيساء وهو العظم الناتئ في ظهر الحمار فيقال : لأحملنّك على الكفل وعلى السيساء٠٠٠قال : فمعنى الآية : من ينضمّ إلى غيره مُعينًا له في فعلة حسنة يكن له منها نصيب ، ومن ينضمّ إلى غيره مُعينًا له في فعلة سيئة يناله منها شدّة ، وفي هذا الكلام وإن كان حسنًا نظر منوجه آخر ، وهو أنّه جاء الكفل في جانب الحسنة ألا ترى إلى قوله : (يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ){الحديد : ٢٨} وقيل : الكفل هنا الكفيل ، ونبّه بذلك على أنّ من تحرّى شرًّا فله من فعله كفيل يُسلمه كما الكفيل المكفول ببدنه ، وقد صرّحوا بذلك في قولهم : من ظلم فقد أقام كفيلًا بظلمه منبّهة منهم على أنّه لا يمكن التخلّص من تبعة ظلمه وعقوبته عليه فخوطبوا بذلك ، فلله درّ فصاحة القرآن حيث جرى معهم في كلّ أسلوب من أساليب كلامهم ، فتظهر فصاحته وبلاغته في ذلك الأسلوب على كلّ فصيح بليغ ، فأين هذا الكلام وهو قولهم : من ظلم فقد أقام كفيلًا بظلمه من قوله تعالى : (يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا) وهذا كما في قوله تعالى : (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ){البقرة : ١٧٩} وقولهم : القتل أنفى للقتل)) [(١)]

-**النصيب** : ((نصب الشيء وضعه وضعًا ناتئًا كنصب الرمح والبناء والحجر٠٠٠والنصيب الحظ المنصوب ، أي : المعيّن)) [(٢)]وورد النصيب في القرآن الكريم في واحد وعشرين موضعًا منها قوله تعالى : (أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا){البقرة : ٢٠٢}((من جنس ما كسبوا من الأعمال فإن كانت حسنة فنصيبهم في الآخرة هو الثواب والجنّة ، وإن كانت سيئة فنصيبهم في الآخرة هو العقاب والنّار[(٣)]

---

(١) عمدة الحفّاظ ٣/٤١٢-٤١٣

(٢) المفردات ص ٥١٦-٥١٧ وينظر : عمدة الحفّاظ ٤/١٨١

(٣) ينظر : مدارك التنزيل ص ١٠٦

وقوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ){آل عمران : ٢٣}((يريد أحبار اليهود وأنّهم حصلوا نصيبًا وافرًا من التوراة و(من) للتبعيض أو للبيان))[١]

وقوله تعالى : (لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا){النساء : ٧}

١٦-**الحفظ والكلأ** : **الكلأ** : ((الكاف واللام والحرف المعتلّ أو الهمزة أصل صحيح يدلُّ على مراقبة ونظر ، وأصل آخر يدلّ على نبات ، والثالث عضو من الأعضاء ثمّ يُستعار

فأمّا النظر والمراقبة : فالكِلاءة ، وهي الحفظ تقول : كلأه الله أي : حفظه قال لله عزّ وجلّ : (قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ){الأنبياء : ٤٢} أي : يحفظكم منه ، بمعنى : لا يحميكم أحد منه ، وهو الباب الذي ذكرناه أنّه المراقبة ؛ لأنّه إذا حفظه نظر إليه ورقبه٠٠٠والمُكلأُ : موضع تُرْفأ فيه السفن وتُستر عن الريح))[٢]

و((الكِلأة : حفظُ الشيء وتَبْقيَتُه ، يقال : كلأك اللهُ وبلغ بك أكلأ العمر٠٠٠والمُكَلَّأُ موضع تُحفَظفيه السفن ، والكَلّاء موضع بالبصرة سُمِّي بذلك ؛ لأنّهم يكلأُون سفنهم هناك٠٠٠والكلأ العشب الذي يُحفَظ))[٣] و((كلأةُ الشيء : حفظُه وتبعيتُه بالمراعاة٠٠٠وفي الحديث بلغ اللهُ بك أكلأ العمر ،

---

(١) ينظر : مدارك التنزيل ص ١٥٤

(٢) مقاييس اللغة ص ٧٩١

(٣) المفردات ص ٤٥٩-٤٦٠

أي : آخره وأبعده ، وحقيقته حفظك اللهُ وأبقاكَ٠٠٠واكتلأتُ بعيني ، أي : حفظتُ بمراعاة ونظر))[١]

وفرّق العسكري ((بين الحفظ والكلاءة أنّ الكلاءة هي إمالة الشيء إلى جانب يسلم فيه من الآفة ، ومن ثَمَّ يقال : عُرِضت كلأتُ السفينة إذا قرّبتها من الأرض ، والكلاء مرفأ السفينة ، فالحفظ أعمّ لأنّه جنس الفعل فإن استعملت إحدى الكلمتين في مكان الأخرى فلتقارب معنييهما))[٢]

فالكلأ هو حفظ مع مراعاة ومراقبة ومتابعة من أجل أن يبقى سالمًا

١٧-**حقّ اليقين وعلم اليقين وعين اليقين** : قال الراغب : ((اليقين من صفة العلم فوق المعرفة والدراية وأخواتها ، يقال : علم يقين ، ولا يقال : معرفة يقين ، وهو (أي: اليقين) سكون الفهم مع ثبات الحكم وقال : علم اليقين ، وعين اليقين ، وحقّ اليقين وبينها فروق مذكورة في غير هذا الكتاب))[٣]ولم يحدد اسم هذا الكتاب

وقيل أصل اليقين أن يكون نعتًا للحق في قوله تعالى : (إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ){الواقعة : ٩٥} وقوله تعالى : (وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ){الحاقّة : ٥١} فأُضيف المنعوت إلى النعت على الاتّساع والمجاز كقوله تعالى : (وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ){النحل : ٣٠} وكذلك قوله تعالى في سورة التكاثر : (أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) فقوله تعالى (كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ) والمراد لو بلغ علمكم بما أمامكم ممّا

(١) عمدة الحفّاظ ٣/٤١٤-٤١٥

(٢) الفروق اللغوية ص ٢٣١

(٣) المفردات ص ٥٧٧

وصفت علم اليقين أي : العلم الذي لا شكّ فيه ولا مراء ، وهذا ما ينبغي أن يكون لرأيتم النار والجحيم بعيون قلوبكم فإنّ علم اليقين يريك الجحيم بعين فؤادك : (ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ) أي : عند المشاهدة والمعاينة بعين الرأس[1]

فـ(اليقين هو سكون الفهم مع ثبات الحكم ، وأصله من يَقَنَ الماءُ ، أي : ثبتَ وسكن))[2] و((اليقين : العلم وإزاحة الشكّ وتحقيق الأمر ٠٠٠واليقين نقيض الشكّ ، والعلم نقيض الجهل ، تقول : علمته يقينًا ، وفي التنزيل : (إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ){الواقعة : ٩٥} (وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ){الحاقّة : ٥١}أضاف الحقّ إلى اليقين ، وليس هو من إضافة الشيء إلى نفسه ؛ لأنّ الحقّ هو غير اليقين ، إنّما هو خالصه وأصحّه ، فجرى مجرى إضافة البعض إلى الكلّ ، وقوله تعالى : (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ){الحجر : ٩٩}))[3]

فاليقين هو الحق الثابت الذي لا يمكن للإنسان أن ينكره من ذلك الموت ، فقد أيقن كلّ إنسان أنّه سيموت ؛ لهذا قال سبحانه : (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ){الحجر : ٩٩} ومما يجب لدى كلّ مؤمن أن يكون عنده إحياء الله للموتى من اليقين ، وهو بالغ عندنا جميعًا درجة علم اليقين ، لأنّنا قد علمنا بذلك مما أخبرنا به الله في كتابه ، لكنّه لم يبلغ عند الأكثرين درجة عين اليقين ولا حقّ اليقين ، وقد يقال إنّ إبراهيم عليه السلام كان أيضًا قد بلغت عنده في البدء قضية قدرة الله على إحياء الموتى درجة علم اليقين ،

([1]) ينظر : الجامع لأحكام القرآن ١٨١/١٧ ، ٢٠: ١٣٣ واللباب في علوم الكتاب ٤٤٨/١٨-٤٤٩ ، ٤٨١/١٩

([2]) عمدة الحفّاظ ٣٥٦/٤

([3]) لسان العرب ٣٢١/١٥

لكن بعد قوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ){البقرة : ٢٦٠}اعتلت عندئذ درجة يقينه من علم اليقين إلى عين اليقين ؛ لأنّه رأى بعينيه إحياء الله للموتى

ويمكن القول بأنّ نبيًّا من الأنبياء قد بلغت عنده درجة يقينه إلى ما هو أعلى من علم اليقين وعين اليقين قال تعالى : (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ){البقرة : ٢٥٩} فقد أمات الله نبيّه ((والأكثر أنّه عزير))[١] مئة عام ثمّ بعثه ، فقد عاش ومارس هذا النبي بنفسه قدرة الله سبحانه على إحياء الموتى فبلغت عنده درجة حقّ اليقين ، وأراه كيف أمات حماره حتى صار عظامًا متناثره حوله وكيف أحياه فرأى ذلك بعينيه فبلغت عنده درجة عين اليقين

فنحن في الدنيا تبلغ عندنا درجة يقيننا بوجود الجنة درجة علم اليقين ، فإذا توفّانا الله ورأيناها بإعيننا بلغت عندنا درجة عين اليقين ، فإذا تجوّلنا في الجنّة وشربنا من مائها وأكلنا من ثمارها وتمتّعنا بما فيها من نعيم بلغت عندنا درجة حقّ اليقين ، وهذا هو الفرق بين علم اليقين ، وعين اليقين ، وحقّ اليقين

وقد أيقن كلُّ إنسان أنّه ينطق حتى قيل : الإنسان حيوان ناطق ،

([١]) مدارك التنزيل ص ١٣٥

وأنّ هذا اليقين بالغ عندنا جميعًا درجة حق اليقين ؛ لأنّ كوننا ننطق شيء نمارسه ، وقد أخبرنا البارئ عزّ وجلّ أن يكون رزقه لنا ينبغي أن يبلغ فينا هذه الدرجة ، لذلك شبّه أمره بأمره وأخبرنا أنه حقّ قال تعالى : (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ){الذاريات : ٢٣}

ولتوضيح مراتب ما تقدّم ذكره نضرب المثل الآتي : إذا قال لك شخص تثق بصدقه : عندي عسل فذلك علم اليقين ، فإذا أحضر العسل ووضعه أمامك ورأيته بعينيك صار ذلك عين اليقين ، فإذا ذقته وأحسست بطعمه صار ذلك حقّ اليقين ، وهكذا فإنّ علمنا الآن بالجنة والنار هو علم اليقين ؛ لآنّ الله تعالى أخبرنا عنهما وصدّقنا بما أخبر به ، فإذا جاء يوم الحساب وعُرِضت علينا الجنّة والنّار فذلك عين اليقين ؛ لأنّ النّاس يشاهدونهما بأعينهم ، فإذا دخل أهل الجنّة وباشروا ما فيها من أنواع النعيم ، ودخل أهل النار النار وباشروا ما فيها من أصناف العذاب فذلك حقّ اليقين [1]

فقد بان الفرق بين علم اليقين وعين اليقين وحقّ اليقين فعلمنا بالشيء علم اليقين هو علمنا به علمًا لا شكّ فيه ولا مراء ، وأعلى منه مشاهدتنا ورؤيتنا له بعيني رؤوسنا ، وأعلى منهما معايشتنا له وإحساسنا به بكل حواسّنا وجوارحنا

١٨-**الحكم والقضاء** : فرّق العسكري : ((بين الحكم والقضاء أنّ القضاء يقتضي فصل الأمر على التمام ، من قولك قضاه إذا أتمّه وقطع

([1]) ينظر : الضوء المنير على التفسير لابن القيم

عمله٠٠٠والحكم يقتضي المنع عن الخصومة من قولك : أحكمته إذا منعته))[١]

من شواهد القضاء قوله تعالى : (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا){الإسراء : ٢٣}

ومن شواهد الحكم قوله تعلى : (خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ){ص : ٢٢}

١٩-**الحمد والشكر والمدح** : فرّقالعسكري ((بين الشكر والحمد أنَّ الشكر هو الاعتراف بالنعمة على جهة التعظيم للمنعم ، والحمد : الذكر بالجميل على جهة التعظيم المذكور به ، ويصحّ على النعمة وغير النعمة ، والشكر لا يصح إلّا على النعمة ، ويجوز أن يحمد الإنسان نفسه في أمور جميلة يأتيها ، ولا يجوز أن يشكرها ؛ لأنَّ الشكر يجري مجرى قضاء الدين ، ولا يجوز أن يكون للإنسان على نفسه دين ، فالاعتماد في الشكر على ما توجبه النعمة ، وفي الحمد على ما توجبه الحكمة ... ويجوز في صفة الله شاكر مجازًا ، والمراد أن يجازي على الطاعة جزاء الشاكرين على النعمة))[٢]

((ومعنى الشكر في اللغة : عرفان الإحسان بالقلب والنشر باللسان))[٣]و((الحمد لله تعالى : الثناء بالفضيلة ، وهو أخصّ من المدح وأعم من الشكر ، فإنَّ المدح يقال فيما يكون من الإنسان باختياره ومما يقال منه وفيه بالتسخير ، فقد يُمدح الإنسان بطول قامته وصباحة وجهه ، كما

---

(١) الفروق اللغوية ص ٢١٥

(٢) الفروق اللغوية ص ٦٠.

(٣) الوسيط للواحدي ١٣٨/١

يُمدح ببذل ماله وسخائه وعلمه ، والحمد يكون في الثاني دون الأول ، والشكر لا يقال إلّا في مقابلة نعمة ، فكل شكر حمد ، وليس كل حمد شكرًا ، وكل حمد مدح ، وليس كل مدح حمدًا)) [١] و((الحمد : ثناء على المحمود ويشاركه الشكر ، إلّا بينهما فرقًا ، وهو أنَّ الحمد قد يقع على سبيل الابتداء ، وعلى سبيل الجزاء ، والشكر : لا يكون إلاَّ في مقابلة النعمة ، فكل شكر : حمد ، وليس كل حمد شكرًا ، ونقيض الحمد الذم ، ونقيض الشكر : الكفر)) [٢]

قال الطبري في تفسير قوله تعالى : (الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ((معنى : (الْحَمْدُ للّهِ) الشكر خالصًا لله جل ثناؤه ... قال ابن عباس : الْحَمْدُ للّهِ : هو الشكر لله ، والاستخذاء لله ، والإقرار بنعمته وهدايته وغير ذلك ... قال : وقد قيل إنَّ قول القائل : الحمد لله : ثناء على الله بأسمائه وصفاته الحسنى ، وقوله : الشكر لله : ثناء عليه بنعمه وأياديه)) [٣] وقال الواحدي : ((والحمد : قد يكون شكرًا للصنيعة ، وقد يكون ابتداء للثناء على الرجل ، يقال : حمدته على معروفه ، كما يقال : شكرته ، ويقال : حمدته على علمه وشجاعته إذا أثنيت عليه بذلك ، ولا يقال في هذا المعنى : شكرته)) [٤]

وقال الزمخشري : ((تقول : حمدتُ الرجل على إنعامه ، وحمدتُه على حسبه وشجاعته ، وأمَّا الشكر فعلى النعمة خاصة ، وهو بالقلب

---

(١) المفردات ص ١٣٦ .

(٢) نزهة الأعين ص ١٠٢.

(٣) جامع البيان ١/٧٠ .

(٤) الوسيط ١/٦٥.

واللسان والجوارح ... والحمد نقيضه الذم ، والشكر نقيضه الكفران)) [1] وقال القرطبي : ((والحمد في كلام العرب معناه الثناء الكامل)) [2] ((واشتهر عند كثير من العلماء من المتأخرين أنَّ الحمد هو الثناء بالقول وبصفاته اللازمة والمتعدية ، والشكر لا يكون إلّا على المتعدية ، ويكون بالجنان واللسان والأركان ، ولكنهم اختلفوا أيهما أعم الحمد أو الشكر على قولين ، والتحقيق أنَّ بينهما عمومًا وخصوصًا ، فالحمد أعم من الشكر من حيث ما يقعان عليه ؛ لأنَّه يكون على الصفات اللازمة والمتعدية ، تقول : حمدتُه لفروسيته ، وحمدته لكرمه ، وهو أخصّ ؛ لأنَّه لا يكون إلاَّ بالقول ، والشكر أعم من حيث ما يقعان عليه ؛ لأنَّه يكون بالقول والفعل والنية كما تقدم ، وهو أخصّ ؛ لأنَّه لا يكون إلّا على الصفات المتعدية ، لا يقال : شكرته لفروسيته ، وتقول : شكرته على كرمه وإحسانه ، هذا حاصل ما حرره بعض المتأخرين)) [3]((فالحمد أخصّ من الشكر موردًا ، وأعم منه متعلقًا ، فمورد الحمد اللسان فقط ، ومتعلقه النعمة وغيرها ، ومورد الشكر اللسان والجَنان والأركان ، ومتعلقه النعمة)) [4]

وجاء في فروق اللغات : ((الحمد : هو الثناء باللسان على الجميل ٠٠٠والشكر : فعل ينبئ عن تعظيم المُنعِم لأجل النعمة ، سواء كان نعتًا باللسان ، أو محبّة بالجَنان ، أو عملًا أو خدمة بالأركان٠٠٠فالحمد أعمّ مطلقًا ؛ لأنّه يعمّ النعمة وغيرها ، وأخصّ موردًا إذ هو باللسان فقط ، والشكر بالعكس؛ إذ متعلقه النعمة فقط ، ومورده اللسان وغيره ، فبينهما عموم

---

(١) الكشاف ١/١٨-١٩

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١/١١٥ وينظر : أنوار التنزيل ١/٢٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٢٩ .

(٤) فتح القدير ١/٢١.

وخصوص من وجه ، فهما يتصادفان في الثناء باللسان ، ويتفارقان في صدق الحمد على النعت بالعلم مثلًا ، وصدق الشكر فقط على المحبّة بالجَنان لأجل الإحسان

وأمّا الفرق بين الحمد والمدح فمن وجوه : منها :

أنّ المدح للحيّ وغير الحيّ كاللؤلؤ واليواقيت الثمينة ، والحمد للحيّ فقط

ومنها : أنّ المدح قد يكون قبل الإحسان وقد يكون بعده، والحمد إنّما يكون بعد الإحسان

ومنها : أنّ المدح قد يكون منهيًّا عنه قال صلى الله عليه وسلّم : احثوا التراب على وجوه المدّاحين ، والحمد مأمور به مطلَقًا ، قال صلى الله عليه وسلّم ، من لم يحمد النّاس لم يحمد الله .

ومنها : أنّ الحمد نقيضه الذمّ ؛ ولهذا قيل : الشعير يُؤكَلُ ويُذَمُّ ، والمدح نقيضه الهجاء))[١]

باب الخاء

١-**الخبر والنبأ** : قال الخليل : ((والخبر : النبأ)) [٢] وأهل المعاجم اللغوية يعرّفون اللفظ بما يرادفه ، أي : يعرّفونه باللفظ القريب من معناه لا بما يطابقه ؛ لأنّه ليس من لفظين متطابقين في المعنى ، ولا سيّما ألفاظ القرآن الكريم

-**الخبر** : (الخبر : العلم بالشيء ، تقول لي بفلان خِبْرَةٌ وخُبْرٌ ، والله تعالى : الخبير ، أي : العالم بكل شيء ، وقال الله تعالى : (وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ

---

(١) فروق اللغات ص ١١٦-١١٧

(٢) العين ص ٢٢٨ .

خَبِيرٍ){فاطر : ١٤}))[١] و((الخبر : العلم بالأشياء المعلومة من جهة الخبر)) [٢]

-**النبأ** : ((النون والباء والهمزة قياسه الإتيان من مكان إلى مكان ، يقال للذي ينبأ من أرض إلى أرض : نابئ ، وسيل نابئ : أتى من بلد إلى بلد ، ومن هذا القياس : النبأ : الخبر ؛ لأنَّه يأتي من مكان إلى مكان))[٣] و((النبأ : خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظنّ ، ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة ، وحقّ الخبر الذي يقال فيه نبأ أن يتعرّى عن الكذب كالتواتر وخبر الله ، وخبر النبي عليه الصلاة والسلام)) [٤]((وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ){الحجرات : ٦} فيه تنبيه أنَّه إذا كان الخبر شيئًا عظيمًا له قدر ، فحقه أن يتثبت فيه ويتيقن ، وإن غلب صحته على الظن حتى يعاد النظر فيه...والعرب تقول لمن تتوعده : لأنبئنك ، ومثله قوله تعالى : (فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا){فصلت : ٥٠})) [٥]

فـ((النبأ : الخبر الذي له شأن عظيم ، ومنه اشتقاق النبوّة ؛ لأنّ النبيّ مخبر عن الله تعالى ويدلّ عليه قوله تعالى : (نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ){القصص : ٣} وقوله تعالى : (وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ

---

(١) مقاييس اللغة ص ٢٧٨

(٢) المفردات ص ١٤٧

(٣) مقاييس اللغة ص ٨٨٢

(٤) المفردات ص ٥٠٣

(٥) عمدة الحفاظ ١٣٥/٤

تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ){ص : ٢١}وقوله تعالى : (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ){النبأ : ٢}

فالنبأ : هو الخبر الذي له شأن عظيم ، هذا هو الفرق الأول بين الخبر والنبأ ، وأمّا الفرق الثاني ، فقد تبيَّن لي أنَّ الخبر إذا كان يتضمن معلومة ، فإنَّ النبأ يعني نقل هذه المعلومة ، فالنبأ لا يعني الخبر وإنَّما يعني نقل الخبر من مكان إلى مكان ، أو نقله من مصدره وإيصاله إلى من يراد إيصاله إليه ، فيكون أقرب المعاني إلى النبأ هو البلاغ ، الذي يعني : ((الوصول إلى الشيء)) [١] أو التبليغ كما في قوله تعالى : (الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا){الأحزاب : ٣٩} وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ){المائدة : ٦٧} والمعنى : أوصل إلى الناس ما أوصلناه إليك ، أي : بلِّغهم ما بلَّغناك به ، وقال تعالى : (وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ){آل عمران : ٢٠} وقوله تعالى : : (هَذَا بَلاَغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِ){إبراهيم : ٥٢} وقوله تعالى : (إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ){الأنبياء : ١٠٦} وقوله تعالى : (إِلا بَلاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ){الجن : ٢٣} وقوله تعالى : (بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ){الأحقاف : ٣٥} ((أي : هذا القرآن وما فيه من البيان بلاغ من الله إليكم))[٢] وأنبأه كذا ونبَّأه ، يعني أبلغه وبلَّغه ، ويكون الفرق بينهما أنَّ التبليغ يكون عامًّا في الأمور صغيرها وكبيرها ، والنبأ يكون خاصًّا في الأمور المهمة والعظيمة الشأن ، وقد سمي النبي نبيًّا ؛ لأنَّه ينقل الأخبار بما تضمنته من معلومات من الوحي إلى الناس ؛ فالخبر هو المعلومة ، والنبأ

(١) مقاييس للغة ص ١١٢

(٢) زاد المسير ١٨٤/٧

هو التبليغ بهذه المعلومة ، فالخبر هو الشيء المنقول ، والنبأ هو الناقل ؛ لذلك فإنَّ الفعل بصيغه الثلاث ورد من النبأ ولم يرد من الخبر ، فالأخير لم يأت منه إلّا الاسم ، وجاء من النبأ الاسم كقوله تعالى : (وَلَقَدْ جَاءهُم مِّنَ الأنبَاء مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ){القمر : ٤} أي : جاءهم من البلاغ والتبليغات العظيمة ما فيه مزدجر ، وجاء منه الفعل الماضي كقوله تعالى : (قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ){التحريم : ٣} والمعنى : من نقل وأوصل إليك خبر ما حدث بيننا ، أي : من أبلغك هذا ؟ والفعل المضارع كقوله تعالى : (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا){الكهف : ١٠٣} أي : هل نبلغكم بالأخسرين أعمالًا ، والفعل الأمر كقوله تعالى : (نَبِّىءْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ){الحجر : ٤٩} والمعنى : بلِّغْ

٢-**الخبو والخمود والهمود : الخبت** : ((خبت النار تخبو سكن لهبها وصار عليها خِباء من رماد أي غشاء٠٠٠قال الله عزّ وجلّ : (مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا){الإسراء : ٩٧})) [1] ((يقال : خبت النار أي : انطفأ لهيبها وسكن حرّها)) [2]

-**الخمود** : ((خمدت النار خمودًا طفئ لهبها ، وعنه استعيرت خمدت الحمّى سكنت قال تعالى : (إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ){يس : ٢٩})) [3]

-**الهمود** : ((يقال : همدت النار طُفِئتْ ، ومنه أرض هامدة لا نبات فيها ، ونبات هامد يابس قال تعالى : (وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا

---

(١) المفردات ص ١٤٨

(٢) عمدة الحفّاظ ٤٨٧/١-٤٨٨

(٣) المفردات للراغب ص ١٦٥

الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ)[الحج : ٥}))[١]

فخبو النار أن ينطفئ لهبها ويقلّ حرّها ، وخمود النار أن يُطفأ لهبها ويبقى جمرها ونارها ، وهمودها أن تُطفأ النار نفسها ، وقد فرّق العسكري بين الخمود والهمود ((أنّ خمود النار أن يسكن لهبها ويبقى جمرها ، وهمودها ذهابها البتة))[٢]

٣-**الختم والطبع : الختم** : ((الخاء والتاء والميم أصل واحد ، وهو بلوغ آخِر الشيء ، يقال : ختمتُ العمل ، وختم القارئ السورة ، فأمَّا الختم ، وهو الطبْع على الشيء ، فذلك من الباب ؛ لأنَّ الطبع على الشيء لا يكون إلّا بعد بلوغ آخره في الأحراز ، والخاتَم مشتق منه ؛ لأنَّ به يُختَم٠٠٠والنبي خاتِم الأنبياء ؛ لأنَّه آخرُهم ، وختام كلِّ مشروب آخرُه ، قال الله تعالى : (خِتَامُهُ مِسْكٌ)[المطففين : ٢} أي : إنَّ آخر ما يجدونه منه عند شربهم إيّاه رائحة المسك)) [٣] و((الختم والطبع يقال على وجهين مصدر ختَمتُ وطبَعتُ ، وهو تأثير الشيء ، كنقش الخاتَم والطابَع ، والثاني : الأثر الحاصل من النقش ، ويُتَجَوَّز بذلك تارة في الاستيثاق من الشيء ، والمنع اعتبارًا بما يحصل من المنع بالختم على الكتب والأبواب))[٤]((واختتمتُ الشيءَ : نقيض

---

(١) المفردات للراغب ص ٥٧١

(٢) الفروق اللغوية ص ٣٣٦

(٣) مقاييس اللغة ص ٢٨٠ وينظر : المفردات للراغب ص ١٤٨-١٤٩ وعمدة الحفاظ للحبي ٤٨٨/١-٤٩٠ وبصائر ذوي التمييز ٥٢٦/٢-٥٢٨

(٤) المفردات للراغب ص ١٤٨-١٤٩ وينظر : عمدة الحفاظ للحبي ٤٨٨/١-٤٩٠ وبصائر ذوي التمييز ٥٢٦/٢-٥٢٨

افتتحتُه٠٠٠وخاتم الشيء : آخره))[١] ((وختمتُ القرآن حفظتُ خاتمته ، وهي آخره ، والمعنى حفظته جميعه عن ظهر قلب))[٢]

الطبع : ((والطبع : الختم ، وهو التأثير في الطين ونحوه٠٠٠وطبعتُ الدرهم والسيف ، أي : عملتُ ، وطبعتُ من الطين جرّة))[٣]

قال ابن عاشور : ((وقوله ((بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ) والطبْع إحكام الغلق بجعل طين ونحوه على سدِّ المغلوق بحيث لا ينفذ إليه مستخرج ما فيه إلَّا بعد إزالة ذلك الشيء المطبوع به ، وقد يسِمون على ذلك الغلق بسمة تترك رسمًا في ذلك المجعول ، وتسمَّى الآلة الواسمة طابَعًا ، بفتح الباء ، فهو يرادف الختم)) [٤]

وقال في قوله تعالى : (خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ) : ((والختم حفيفته السدُّ على الإناء ، والغلق على الكتاب ونحوه مع وضع علامة مرسومة في خاتَم ؛ ليمنع ذلك من فتح المختوم))[٥]

ذهب أهل اللغة ، وأهل التفسير بصفة عامَّة إلى أنَّ الختم والطبع بمعنى واحد ، لذلك عرَّفوا أحدهما بمعنى الآخر ، حتى صرَّح الزجاج بوحدة

---

(١) الصحاح للجوهري ص ٢٨٣

(٢) المصباح المنير ص ١٦٣-١٦٤

(٣) الصحاح للجوهري ص ٦٣٢

(٤) التحرير والتنوير ٣٠٣/٤

(٥) التحرير والتنوير ٢٥٠/١-٢٥١

دلالتيهما ، فقد قال : ((وقوله عز وجل (خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ) معنى خَتَمَ في اللغة وطَبَعَ معنى واحد ، وهو التغطية على الشيء)) [١]

والحقيقة أنَّ بينهما فرقًا ، قال الخليل : ((والختام : الطين الذي يُختَم به على كتاب ، ويقال هو الختم يعني الطين الذي يُختَم به)) [٢] ((والخاتَم : ما يوضَع على الطينة ، وهو اسم مثل العالَم ، والخِتام : الطين الذي يُختَم به على الكتاب)) [٣] ((والطَّبَّاع : الذي يأخذ فيطبعها ، يقرضها أو يسوِّيها ، فيطبع منها سيفًا ، أو سكِّينًا ونحوه ، طبعتُ السيف طبعًا ، وصَنْعَتُه الطباعة ، وما جُعِلَ في الإنسان من طباع المأكل والمشرب ، وغيره من الأطبعة التي طُبِع عليها ، والطبيعة الاسم بمنزلة السجية والخليقة ونحوه) [٤] ((وطبعه اللهُ على الأمر يطبعه طبْعًا : فطره ، وطبع اللهُ الخلْق على الطبائع التي خلقها فأنشأهم عليها٠٠٠والطَّبْع : ابتداء صَنْعَة الشيء ، تقول : طبعتُ اللَّبِن طبْعًا ، وطبَعَ الدرهم والسيف وغيرهما ، يطبعه طبْعًا : صاغه ، والطبَّاع الذي يأخذ الحديدة المستطيلة فيطبع منها سيفًا ، أو سكينًا ، أو سِنانًا ونحو ذلك ، وصنْعتُه الطباعة ، وطبَعْتُ من الطين جرَّةً)) [٥]

وقال الراغب : ((الطبْع أن تُصَوِّر الشيء بصورة ما ، كطبع السِّكَّة [٦] وطبع الدراهم ، وهو أعمّ من الختم ، وأخصّ من النقش)) [١]

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٧٩/١-٨٠ وينظر : لسان العرب مادة ختم ١٩/٥ ومادة طبع ٨٧/٩

(٢) العين ص ٢٣١

(٣) لسان العرب ١٩/٥

(٤) العين ص ٥٦٠

(٥) لسان العرب ٨٧/٩

(٦) السِّكَّة : حديدة منقوشة تُضرَب عليها النقود ، ينظر : لسان العرب ٢١٩/٧

وقال العسكري في : ((الفرق بين الختم والطبع : أنَّ الطبع أثر يثبت في المطبوع ويلزمه ، فهو يفيد من معنى الثبات واللزوم ما لا يفيده الختم ، ولهذا قيل : طبَعَ الدراهم طَبْعًا ، وهو الأثر الذي يؤثره ، فلا يزول عنه ، كذلك قيل أيضًا طَبْعُ الإنسان ؛ لأنَّه ثابت غير زائل ، وقيل : طُبِع فلان على هذا الخُلُق : إذا كان لا يزول عنه))[٢]

نخلص مما سبق ذكره ، سواء استعمل الختم والطبع في القرآن حقيقة أم مجازًا ، أنَّ الطبْع لا يعني الختم ، بل هو آلته ؛ لأنَّ الختم على الطين أو على الكتاب يكون بما طُبِع ، فالفرق بيِّنٌ بينهما في اللغة ، لذلك فإنَّ الطبع سبيل وتمهيد للختم ، أي : أنّ الطبع يؤدّي إلى الختم ، فالطبع على قلب المرء وسمعه وبصره يعني تعطيل وظائفها وغلقها من أن ينفذ إليها ما يؤثّر فيها من مواعظ قلبية أو سمعية أو بصرية . لكن يبقى الاستمرار في معاملتها ، أي : عدم اليأس من علاجها وفتح شيء من مغالقها كقوله تعالى : (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا){النساء : ١٥٥}

وقوله تعالى : (تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ){الأعراف : ١٠١}

وقوله تعالى : (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ){محمد : ١٦} والمراد من تغليف قلوبهم أنّه لا ينفذ إليها خير ولا

---

(١) المفردات ص ٣١٣

(٢) الفروق اللغوية ص ٨٥

يؤثّر فيها وعظ ولا إرشاد فلا بستجيبون لقول الحق حتى لو رأوه رأي العين فأصبحوا كمن قال الله عنهم : (وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ){فاطر : ٢٢}

أمّا الختم على قلب المرء وسمعه وبصره فيعني تركها وإنهاء التعامل معها كقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ){البقرة : ٦-٧}فقوله (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) يقتضي إنهاء التعامل معهم ووعظهم ، وكذلك قوله تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ){الأنعام : ٤٦}فالختم غير الطبع جتى إنّه لا يصح أن يقع موقعه كقوله تعالى ☹الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ){يس : ٦٥} أي : ننهي وظيفة أفواههم في الإخبار عمّا فعلوا ، وتقوم بها بدلًا منها أيديهم وأرجلهم وكقوله تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ){الشورى : ٢٤} ((قال مجاهد : أي : يربط على قلبك بالصبر على أذاهم وعلى قولهم : افترى على الله كذبًا ؛ لئلّا تدخله مشقة بتكذيبهم))[١]

ويتضح الفرق بينهما أنّ نوح عليه السلام بقي يدعو قومه مئات السنين قال تعالى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ){العنكبوت : ١٤} وبقي قومه خلال طوال هذه الفترة من الدعوة معرضين ، قال تعالى في سورة نوح : (قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا

---

(١) مدارك التنزيل ص ١٠٨٧

وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا)

وبقي يدعوهم وهم بقوا معرضين (قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا){نوح : ٥-٣٤} فقد طبع الله على قلوبهم وبقوا على ذلك مئات السنين ونوح عليه السلام بقي يدعوهم فلم يأمره الله بالتخلّي عنهم ليقيم الله عليهم الحجة يوم القيامة ، لكن لمّا ختم الله على قلوبهم قال الله تعالى : (وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ){هود : ٣٦}فحين ذاك استحقوا أن يدعو نوح عليه السلام عليهم ويأخذهم الطوفان قال تعالى : (وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا){نوح : ٢٦-٢٧}

فالطبع على القلوب يعني غلقها لكن لا يعني إنهاء التعامل معها فإذا أريد ذلك ختم الله عليها

٤-**الخديعة والغرور والكيد والمكر** : **الخديعة** : ((الخداع إنزال الغير عمّا هو بصدده بأمر يبديه على خلاف ما يخفيه قال تعالى : (يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ){البقرة : ٩})) (١)

-**الكيد** : ((الكيد ضرب من الاحتيال ، وقد يكون مذمومًا وممدوحًا وإن كان يستعمل في المذموم أكثر وكذلك الاستدراج والمكر ، ويكون بعض ذلك محمودًا قال تعالى : (كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ){يوسف : ٧٦{ وقوله تعالى : (وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ){الأعراف : ١٨٣} قال بعضهم : أراد بالكيد

(١) المفردات للراغب ص ١٥٠ وينظر : عمدة الحفّاظ ٤٩١/١

العذاب والصحيح أنّه هو الإملاء والإمهال المؤدي إلى العقاب)) [١]و((الكيد الاحتيال والاجتهاد فيما يقصده الإنسان)) [٢]

-**المكر** : ((المكر صرف الغير عمّا يقصده بحيلة وذلك ضربان : مكر محمود وذلك أن يتحرّى بذلك فعل جميل وعلى ذلك قال تعالى : (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ){الأنفال : ٣٠} ومذموم وهو أن يتحرّى به فعل قبيح قال تعالى : (اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ){فاطر : ٤٣}۰۰۰وقال بعضهم : من مكر الله إمهال العبد وتمكينه من أعراض الدنيا))[٣] ((والمكر في الأصل إخفاء الحيلة))[٤]

وفرّق العسكري ((بين الخدع والكيد أنّ الخدع هو إظهار ما يبطن خلافه اجتلاب نفع أو دفع ضرّ ولا يقتضي أن يكون بعد تدبّر ونظر وفكر ألا ترى أنّه يقال خدعه في البيع إذا غشّه من جشع وأوهمه الإنصاف ، وإن كان ذلك بديهة من غير فكر ونظر ، والكيد لا يكون إلّا بعد تدبّر وفكر ونظر ، ولهذا قال أهل العربية : الكيد التدبير على العدوّ وإرادة إهلاكه وسميت الحيل التي يفعلها أصحاب الحروب بقصد إهلاك أعدائهم مكايد ؛ لأنّها تكون بعد تدبّر ونظر۰۰۰ويجوز أن يقال : إنّ الفرق بين الخدع والكيد أنّ الكيد اسم لفعل المكروه بالغير قهرًا . تقول : كايدني فلان أي : ضربني قهرًا ، والخديعة اسم لفعل المكروه بالغير من غير قهر بل بأن يريد بأنّه

---

(١) المفردات للراغب ص ٤٦١-٤٦٢

(٢) عمدة الحفّاظ ٤٤١/٣

(٣) المفردات ص ٤٩١

(٤) عمدة الحفّاظ ١٠٣/٤

ينفعه ومن الخديعة في المعاملة))[١]

وفرّق ((بين الكيد والمكر أنّ المكر مثل الكيد في أنّه لا يكون إلّا مع تدبّر وفكر إلّا أنّ الكيد أقوى من المكر ، والشاهد أن يتعدّى بنفسه والمكر يتعدّى بحرف ، فيقال : كاده يكيده ومكر به ولا يقال : مكره ، والذي يتعدّى بنفسه أقوى ، والمكر أيضًا تقدير ضرر الغير من أن يفعل به ألا ترى أنّه لو قال له : أقدر أن فعل بك كذا ، لم يكن ذلك مكرًا وإنّما يكون مكرًا إذا لم يعلمه به ، والكيد اسم لإيقاع المكروه بالغير قهرًا علم به أو لم يعلم به))[٢]

وفرّق ((بين الخدع والغرور : أنّ الغرور إيهام يحمل على فعل ما يضرّه مثل أن يرى السراب فيحسبه ماء فيضيّع ماءه فيهلك عطشًا ، وتضييع الماء فعل أداه غرور السراب إيّاه وكذلك غرّ إبليس آدم ففعل آدم الأكل الضارّ ، والخدع أن يستر عنه وجه الصواب فيوقعه في مكروه٠٠٠وأصل الغرور الغفلة ، والغِرّ الذي لم يجرّب الأمور يرجع إلى هذا ، فكأنّ الغرور يوقع المغرور فيما غافل عنه من الضرر ، والخدع مرجع يستر عنه وجه الأمر)) [٣] قال تعالى : (فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّـهِ الْغَرُورُ){لقمان : ٣٣}

فصفوة ما تقدّم في الفرق بين الخديعة والغرور والكيد والمكر :

أنّ الخديعة هو إظهار ما يبطن خلافه ولا يقتضي أن يكون بعد تدبّر ونظر وفكر أو أن يستر عن المرء وجه الحق والصواب فيوقعه في مكروه

والغرور هو السراب يظنه الغافل خيرًا أو حقيقة فيقع في شره

والكيد لا يكون إلّا بعد تدبّر ونظر وفكر وهو اسم لإيقاع المكروه

---

(١) الفروق اللغوية ص ٢٨٨-٢٨٩

(٢) الفروق اللغوية ص ٢٩٠

(٣) الفروق اللغوية ص ٢٨٩

بالغير قهرًا علم به أو لم يعلم به

والمكر لا يكون أيضًا إلّا بعد تدبّر ونظر وفكر مع إيقاع المكروه بالغير من دون أن يعلم به

٥-**الخرّ والسقوط والهويّ : السقوط** : أصل السقوط الوقوع من علوّ إلى أسفل ، أو طرح الشيء من مكان عال إلى مكان منخفض كقوله تعالى : (وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا){مريم : ٢٥}وقوله تعالى : (وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا){الأنعام : ٥٩} وقوله تعالى : (إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ){سبأ : ٩}[١]

-**الخرّ** ☹(قال تعالى : (وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ){الحج : ٣١} وقال تعالى (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ){النحل : ٢٦} فمعنى خرّ سقوط يُسمَع منه خرير، والخرير يقال لصوت الماء والريح وغير ذلك مما يسقط من علوّ ، وقوله تعالى : (وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا){يوسف : ١٠٠} فاستعمال الخرّ تنبيه على اجتماع أمرين : السقوط وحصول الصوت منهم بالتسبيح ، قال تعالى: (إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ){السجدة : ١٥} وقوله من بعده: (وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) فتنبيه أنّ ذلك الخرير كان تسبيحًا بحمد الله لا بشيء غيره)) [٢]

الهُوِّيُّ : ((الهُوِّيُّ : سقوط من علوّ إلى سفل٠٠٠وأهواه أي : رفعه في الهواء وأسقطه قال تعالى : (وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ){النجم : ٥٣})) [٣] ((والمؤتفكة : القرى التي ائتفكت بأهلها ، أي : انقلبت ، وهم قوم لوط ٠٠٠(أَهوَى) أي :

---

(١) ينظر : المفردات للراغب ص ٢٤٣ وعمدة الحفّاظ للحلبي ٢/٢٠٤-٢٠٥

(٢) ينظر : المفردات للراغب ص ١٥-١٥١وعمدة الحفّاظ للحلبي ١/٤٩٧

(٣) ينظر : المفردات للراغب ص ٥٧٣-٥٧٤

رفعهـا إلــى السـماء علــى جنــاح جبريــل ، ثـمّ أهواهــا إلــى الأرض ، أي :أسقطها))[1] وقال تعالى : (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ){النجم : ١} وقال تعالى : (أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ){الحج : ٣١}

فالسقوط هو الأصل ، والخر سقوطٌ يُسمَع له صوت ، والهُوِيّ : سقوط في الهواء والخلاء أو سقوط في فضاء

٦-**الخرق والخلق** : ((الخرق : قطع الشيء على سبيل الفساد من غير تدبّر ولا تفكّر قال تعالى : (حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا){الكهف : ٧١}وهو ضدّ الخلق ، وإنّ الخلق هو فعل الشيء بتقدير ورفق ، والخرق بغير تقدير ، قال تعالى : (وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ){الأنعام : ١٠٠} حكموا بذلك على سبيل الخرق))[2]

٧-**الخشوع والخضوع** : فرّق العسكري ((بين الخشوع والخضوع أنّ الخشوع على ما قيل فعل يرى فاعله أنّ من يخضع له فوقه وأنّه أعظم منه ، والخشوع في الكلام خاصّة ، والشاهد قوله تعالى : (وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا){طه : ١٠٨}٠٠٠والخاضع المطأطئ رأسه وعنقه ، وفي التنزيل : (فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ){الشعراء : ٤} وعند بعضهم أنّ الخشوع لا يكون إلّا مع خوف الخاشع المخشوع ، ولا يكون تكلّفًا ؛ ولهذا يضاف إلى القلب فيقال : خشع قلبه٠٠٠والخضوع هو التطامن والتطأطؤ ، ولا يقتضي أن يكون معه خوف ؛ ولهذا لا يجوز إضافته إلى

---

(١) مدارك التنزيل ص ١١٨٣

(٢) المفردات ص ١٥٢ وينظر: عمدة الحفّاظ ٤٩٨/١-٤٩٩

القلب ، فيقال : خضع قلبه ، وقد يجوز أن يخضع الإنسان تكلّفًا من غير أن يعتقد أنّ المخضوع له فوقه ، ولا يكون الخشوع كذلك))[1]

٨-**الخشية والخوف** :قال الزركشي : ((ولا شك أنَّ الخشية أعلى من الخوف ، وهي أشد الخوف ، فإنَّها مأخوذة من قولهم : شجرة خشْيَة إذا كانت يابسة ، وذلك فوات بالكلية ، والخوف من قولهم : ناقة خوفاء : إذا كان بها داء ، وذلك نقص وليس بفوات ، ومن ثم خُصَّت الخشية بالله تعالى في قوله تعالى : (وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ){الرعد : ٢١} وفُرِّق بينهما أيضًا بأنَّ الخشية تكون من عظم المخشي ، وإن كان الخاشي قويًّا ، والخوف يكون من ضعف الخائف ، وإن كان المخوف أمرًا يسيرًا ، ويدل على ذلك أنَّ الخاء والشين والياء في تقاليبها تدل على العظمة ، قالوا : شيخ للسيد الكبير، والخيش : لما عظم من الكتان ، والخاء والواو والفاء في تقاليبها تدل على الضعف ، وانظر إلى الخوف لما فيه من ضعف القوة ، وقال تعالى : (وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ){الرعد : ٢١} فإنَّ الخوف من الله لعظمته ، يخشاه كل أحد كيف كانت حاله ، وسوء الحساب ربما لا يخافه من كان عالمًا بالحساب ، وحاسب نفسه قبل أن يحاسب ، وقال تعالى : (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء){الرعد : ٢٨} وقال لموسى : (يَا مُوسَى لا تَخَفْ){النمل : ١٠} أي : لا يكون عندك من ضعف نفسك ما تخاف منه من فرعون ، فإن قيل : ورد قوله تعالى : (يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ){النحل : ٥٠} قيل الخاشي من الله بالنسبة إلى عظمة الله ضعيف فيصح أن يقول : يخشى ربه لعظمته ، ويخاف ربه لضعفه بالنسبة إلى الله تعالى ، وفيه نكتة ، وهي : أنَّ الله تعالى لما ذكر الملائكة وهم أقوياء ذكر صفتهم بين يديه فقال : (يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ

(١) الفروق اللغوية ص ٢٧٨-٢٧٩

وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) فبيَّن أنَّهم عند الله ضعفاء ، ولما ذكر المؤمنين من الناس وهم ضعفاء لا حاجة إلى بيان ضعفهم ، ذكر ما يدل على عظمة الله فقال : (وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) ولمَّا ذكر ضعف الملائكة بالنسبة إلى قوة الله تعالى قال : (رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ) والمراد فوقيَّة بالعظمة)) (١)

فالخوف يكون من توقع العقاب بسبب التقصير في الطاعات ، والخشية تكون عند الشعور بعظمة الله سبحانه وهيبته

٩-خلا الشيء وسلف ومضى : خلا : ((الخلو يستعمل في الزمان والمكان ، لكن لمّا تُصوِّر في الزمان المضي فسّر أهل اللغة خلا الزمان بقولهم : مضى الزمان وذهب ، قال تعالى : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ){آل عمران : ١٤٤}٠٠٠وخلا الإنسان صار خاليًا)) (٢)

و((خلا المكانُ والشيءُ يخلو خُلُوًّا وأخلى إذا لم يكن فيه أحد ولا شيء فيه ، وهو خال)) (٣) ((وخلا فلان صار خاليًا)) (٤) وقد عُبّر عن خلو الشيء بقدم زمانه كما في قوله تعالى : (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ){البقرة : ١٣٤}وقوله تعالى : (قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ){آل عمران : ١٣٧}وقوله تعالى : (مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ){المائدة : ٧٥}

---

(١) البرهان ص ٧٥١-٧٥٢ والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ص ٣٠١

(٢) المفردات للراغب ص ١٦٤-١٦٥

(٣) لسان العرب ١٤٨/٥

(٤) عمدة الحفّاظ ٥٣٢/١

-**سلف** : ((السّلف المتقدِّم قال تعالى : (فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ){الزخرف : ٥٦} معتبَرًا متقدّمًا ، وقال تعالى : (فَلَهُ مَا سَلَفَ){البقرة : أي : يُتجافى عمّا تقدّم من ذنبه ، وكذا قوله تعالى : (إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ){النساء : ٢٣} أي : ما تقدّم من فعلكم فذلك مُتجافى عنه ، فالاستثناء عن الإثم لا عن جواز الفعل ، ولفلان سَلَفٌ كريم ، أي : آباء متقدّمون٠٠٠والسّلَف ما قُدِّم من الثمن على البيع٠٠٠والسُّلْفة ما تقدّم من الطعام على القِرى ، يقال : سَلِّفوا ضيفكم ولَهِّنوه))[١]

و((يقال : سَلَفَ يسلُف إذا تقدّم ومضى ، والسلف : الآباء الماضون ، الواحد سالف ، ومن بعدهم خلف ، الواحد خالف٠٠٠والسُّلافة أوّل ما يخرج من الزبيب إذا انتقع٠٠٠والسلف أيضًا ما قدّمته من العمل الصالح وما فَرُط وتقدّم من أقاربك ، والسالفة والسُّلاف : المتقدمون في حرب أو سفر ، والسُّلْفة : ما يُقدَّم للضيف فبل القِرى ، ومن كلامهم :سَلِّفوا ضيفكم ولَهِّنوه ، وذلك لما فيه من التقدّم والتعجيل))[٢] فالسلف ما تقدّم الخلف

-**المضي** : ((المضيُّ والمضاء النفاذ ، ويقال ذلك في الأعيان والأحداث ، قال تعالى : (وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ){الزخرف : ٨} وقال تعالى : (قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ){الأنفال : ٣٨}))[٣] ((يقال : مضى في حاجتي مُضيًّا ومضاء : إذا نفذ وأسرع ، ويكون ذلك في الأعيان والمعاني ، ويقال : مضى الزمان ومضى شأن فلان))[٤] فمضى الشيء انقضى ويعبّر عن هلاكه وزواله

---

(١) المفردات للراغب ص ٢٤٦

(٢) عمدة الحفاظ ٢/٢١٢

(٣) المفردات للراغب ص ٤٩٠

(٤) عمدة الحفّاظ ٤/٩٧

وقوله تعالى : (({وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ}[الزخرف : ٨] أي : سلف في القرآن ذكرهم غير مرّة ، وقال قتادة : عقوبتهم ، وقيل صفتهم ، والمثل الوصف والخبر ، وفي هذا تهديد شديد ؛ لأنّه يتضمّن أنّ الأوّلين أُهلكوا بتكذيب الرسل ، وهؤلاء إن استمرّوا على تكذيبك والكفر بما جئت به هلكوا مثلهم))[١]

فقوله تعالى {فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ}[الأنفال : ٣٨] يعني مضت ((بالإهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى))[٢](({فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ}[الأنفال : ٣٨] هذه العبارة مشتملة على الوعيد والتهديد والتمثيل بمن هلك من الأمم في سالف الدهر بعذاب الله))[٣]

فخلا الشيء : أصبح خاليًا ، وسلف تقدّم ، ومضى نفذ ، وقد استعمل خلو الأمم تعبيرًا عمّا قدم زمانهم البعيد ، وسلفهم تعبيرًا عن قدمهم القريب المتصل زمانه بزمن الخلف ، أي المتقدّم المتصل بالحاضر ، واستعمل مضيهم بمعنى انقضائهم وهلاكهم

١٠- **الخُلْف والكذب** : ((قال في أدب الكاتب : الكذب فيما مضى ، وهو أن تقول فعلتُ كذا ولم تفعله ، والخُلْف لما يستقبل ، وهو أن تقول : سأفعل كذا ولا تفعله ، انتهى قلتّ : ويرشد إليه قوله تعالى : {وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ}[المنافقون : ١] أي : فيما أخبروا به من إيمانهم فيما مضى ، وقوله تعالى : {فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ}[إبراهيم : ٤٧]))[٤]

---

(١) فتح القدير للشوكاني ٦٨٤/٤

(٢) مدارك التنزيل ص ٤١٣

(٣) فتح القدير للشوكاني ٣٩٣/٢-٣٩٤

(٤) فروق اللغات ص ١٢٤

١١-**الخليفة والبديل : الخليفة** : ((الخاء واللام والفاء أصول ثلاثة ، أحدها : أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه٠٠٠والخَلَفُ : ما جاء بعد ، ويقولون : هو خَلَفُ صدق من أبيه ، وخَلَفُ سوء من أبيه ، فإذا لم يذكروا صدقًا ولا سوءًا ، قالوا للجيد : خَلَفٌ ، وللرديء خَلْفٌ ، قال الله تعالى : (فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ){الأعراف : ١٦٩}{مريم : ٥٩}٠٠٠والخلافة ، وإنَّما سميت خلافة ؛ لأنَّ الثاني يجيء بعد الأول قائمًا مقامه٠٠٠والخوالف في قوله تعالى : (رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ){التوبة : ٨٧} لأنَّ الرجال يغيبون في خروجهم ومغاوراتهم وتجاراتهم ، وهنَّ يخلفنهم في البيوت والمنازل)) (١)

و((والخلافة : النيابة عن الغير ، لغيبته ، أو لعجزه ، أو لموته ، أو تشريف ، وعلى هذا الوجه الأخير استخلاف الله أولياءه في الأرض ، كما قال تعالى : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ){النور : ٥٥} وقوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً){البقرة : ٣٠}٠٠٠وقوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ){الأعراف : ١٦٥}))(٢)

وقوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً){البقرة : ٣٠}

وفي معنى خلافة آدم أقوال :

١-أنَّه خليفة عن الله في إقامة شرعه ، ودلائل توحيده ، والحكم في خلقه

---

(١) مقاييس اللغة ص ٢٦٧ وينظر : المفردات للراغب ص ١٦١-١٦٣

(٢) عمدة الحفاظ ١/٥٢٣-٥٢٤

٢-أنَّه خلف من سلف في الأرض قبلهقيل : أول من سكن الأرض الجنَ ، فأفسدوا فيها ، وقتل بعضهم بعضًا

٣-قال آخرون في تأويل قوله (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً) أي : خلفًا يخلف بعضهم بعضًا ، وهم ولد آدم الذين يخلفون أباهم آدم ، ويخلف كلٌّ قرن منهم القرن الذي سلف قبله[١]

وقوله تعالى : (يَا دَاوودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ){ص : ٢٦}قال الطبري : ((وقوله تعالى : (يَا دَاوودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ) يقول تعالى ذكره : وقلنا لداود : يا داود إنَّا استخلفناك في الأرض مِن بعد مَن كان قبلك مِن رسلنا حكمًا بين أهلها)) [٢] وقال الزجاج : ((وبهذا جاز أن يقال للخلفاء : خلفاء الله في الأرض)) [٣] وقال الزمخشري : ((أي : استخلفناك على الملك في الأرض ، كمن يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد ويملكه عليها ، ومنه قولهم : خلفاء الله في أرضه وجعلناك خليفة ممن كان قبلك من الأنبياء القائمين بالحق)) [٤] ((أي : صيَّرناك (خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ) أي : تدبر أمر العباد من قبلنا ، فكأنَّك خليفة عنَّا)) [٥]

وقوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ){الأنعام : ١٦٥}قال الطبري : ((يقول تعالى ذكره : لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) ينظر : جامع البيان ٢٢٨/١-٢٢٩ وزاد المسير ٥٢/١

(٢) جامع البيان ١٧٨/٢٣ وينظر : الوسيط للواحدي ٥٤٩/٣ والمحرر الوجيز لابن عطية ٥٠٢/٤ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤٣/١٥

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٢٤٧/٤

(٤) الكشاف ٨٦/٤ وينظر : المحرر الوجيز لابن عطية ٥٠٢/٤ وأنوار التنزيل للبيضاوي ٢٨/٥ وفتح القدير للشوكاني ٥٣٦/٤ وروح المعاني للآلوسي ٢٧٨/١٢

(٥) زاد المسير ٢٠/٤

وأمّته : والله (الَّذِي جَعَلَكُمْ) أيها الناس (خَلاَئِفَ الأَرْضِ) بأن أهلك مَن كان قبلكم من القرون والأمم الخالية ، واستخلفكم ، فجعلكم خلائف منهم في الأرض ، تخلفونهم فيها٠٠٠عن السُّدِّي (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ) قال : أمَّا خلائف الأرض : فأهلك القرون ، واستخلفنا فيها بعدهم))[١] وقال ابن الجوزي : ((قوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ) وللمفسرين فيمن خلفوا ثلاثة أقوال :

أحدها : أنَّهم خلفوا الجنّ الذين كانوا سكان الأرض ، قاله ابن عباس

والثاني : أنَّ بعضهم يخلف بعضًا ، قاله ابن قتيبة[٢] .

والثالث : أنَّ أمَّة محمد خلَفتْ سائر الأمم ، ذكره الزجاج[٣]))[٤]

وقوله تعالى : (قَالُواْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِينَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ){الأعراف : ١٢٩}واستخلاف قوم يكون بعد هلاك مَن قبلهم ، قال الطبري : (((وَيَسْتَخْلِفَكُمْ) يقول : يجعلكم تخلفونهم في أرضهم بعد هلاكهم))[٥] تخلفونهم في أرضهم ، أي : أرض مصر[٦] وهو قول ابن عباس[٧]

---

(١) جامع البيان ١٣٥/٨

(٢) ينظر : تفسير غريب القرآن ص ١٦٤

(٣) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ٢٥٣/٢

(٤) زاد المسير ١٢٤/٣-١٢٥

(٥) جامع البيان ٣٦/٩

(٦) ينظر : المحرر الوجيز ٢٤٢/٢

(٧) ينظر : ينظر : زاد المسير ١٨٩/٣

والمعنى المذكور للخلافة تجده ماثلاً بوضوح في قوله تعالى : (وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاء كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ){الأنعام : ١٣٣}

وقوله تعالى : (قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ){الأعراف : ١٢٩} وقوله تعالى : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ){النور : ٥٥} فاستخلاف قوم في الأرض لا يكون إلّا بعد هلاك مَن قبلهم ، وقال تعالى : (وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ){هود : ٥٧} والمعنى : ((يهلككم ربي٠٠٠ولا تقدرون له على ضر إذا أراد إهلاككم ، أو أهلككم))[١] فـ((قوله تعالى : (وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ) فيه وعيد لهم بالهلاك))[٢] ذلك أنَّ استخلاف قوم غائبين لا يكون إلّا بإهلاك المخاطَبين الحاضرين

البديل :(الباء والدال واللام أصل واحد ، وهو قيام الشيء مقام الشيء الذاهب ، يقال : هذا بدل الشيء وبديله ، ويقولون : بدَّلْتُ الشيء : إذا غيَّرتَه ، وإن لم تأت له ببدل ، قال الله تعالى : (قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي){يونس : ١٥}))[٣]وقال الراغب : ((الإبدال ، والتبديل ، والتبدل ، والاستبدال : جعل شيء مكان آخر ، وهو أعمُّ من العوض ، فإنَّ

---

(١) جامع البيان ٧٤/١٢

(٢) زاد المسير ٩٢/٤

(٣) مقاييس اللغة ص ٧٩

العوض هو أن يصير لك الثاني بإعطاء الأول ، والتبديل قد يقال للتغيير مطلقًا ، وإن لم يأت ببدله)) [١]

فالبدل يُؤتى به ؛ لا ليقوم مقام مَن قبله لموته ، أو لغيابه ، أو لعجزه ، أو لتشريفه ، بل ليكون عوضًا عن غيره ، وليقوم مقامه بصفة أفضل ، كقوله تعالى : (إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ){التوبة : ٣٩} والمعنى كما جاء في التفسير : يستبدل بكم آخرين كأهل اليمن ، وأبناء فارس[٢] وقال تعالى : (وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ){محمد ٣٨} والمعنى : يستبدل قومًا غيركم من العجم ، عجم فارس ، أو الروم ، أو من أهل اليمن[٣]

وورد لفظ البدل في موضع واحد هو قوله تعالى : (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا){الكهف : ٥٠} أي : بئس هذا البدل ، وهو أنَّهم استبدلوا طاعة الشيطان وذريته بطاعة الله[٤] فهذا هو معنى البدل ،

فاالفرق ظاهر بين الخليفة والبديل ، وإن كانا مترادفين ، فالخليفة من يخلف مَن قبله ، ويقوم مقامه لموته ، أو لغيابه ، أو لعجزه ، أو

---

(١) المفردات ص ٤٤ وينظر : عمدة الحفاظ ١/١٦٧-١٦٨ وبصائر ذوي التمييز ٢/٢١٦

(٢) ينظر : الكشاف للزمخشري ٢/٢٦٣ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨/١٠١ وأنوار التنزيل للبيضاوي ٣/٨١

(٣) ينظر : جامع البيان للطبري ٢٦/٧٨-٧٩ وزاد المسير ٧/١٩٧-١٩٨

(٤) ينظر : جامع البيان ١٥/٣٠٣ وزاد المسير ٥/١١٣

للتشريف ، والبدل من يقوم مقام غيره لا لشيء من ذلك ، بل لتبديل الأفضل بدونه

١٢-**الخليل والصديق** : ((قوله تعالى : (وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا){النساء : ١٢٥}أي : مُخصّصًا بمحبته ، يقال : دعا فخلّل وعمّم ، أي : فخصّص ، والخليل في غير هذا قيل : لأنّ كلًّا من المُتخالَّينِ يدخل في خلل الآخر ظاهرًا وباطنًا على التوسّع ، تصوّرًا أنّ كلًّا منهما امتزج بالآخر لصدق تخالِّهما ، فهو فعيل بمعنى الفاعل والمفعول))[١]

وفرّق العسكري (((بين الخُلَّة والصداقة أنّ الصداقة اتفاق الضمائر على المودّة فإذا أضمر كلّ واحد من الرجلين مودّة صاحبه فصار باطنه فيها كظاهره سُمِّيا صديقين ، لهذا لا يقال : الله صديق المؤمن ، كما أنّه وليّه، والخُلّة الاختصاص بالتكريم ؛ ولهذا قيل : إبراهيم خليل الله لاختصاص الله إيّاه بالرسالة وفيها تكريم له ، ولا يجوز أن يقال : الله خليل إبراهيم ؛ لأنّ إبراهيم لا يجوز أن يخصّ الله بتكريم ، وقال أبو عليّ رحمه الله تعالى : يقال للمؤمن إنّه خليل الله ، وقال علي بن عيسى : لا يقال ذلك إلّا لنبيّ ؛ لأنّ الله عزّ وجلّ يختصّه بوحيه ، ولا يختصّ به غيره ، قال : والأنبياء كلّهم أخلّاء الله))[٢]

١٢-**الخوف والوجل** : فرّق العسكري : ((بين الخوف والوجل أنّ الخوف خلاف الطمأنينة ، وَجِلَالرجل يَوْجَلُ وَجَلًا : إذا قلق ولم يطمئنّ ، ويقال : أنا من هذا على وجل ومن ذلك على طمأنينة . ولا يقال : على خوف في هذا الموضع وفي القرآن الكريم : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ){الأنفال : ٢} أي : إذا ذكرت عظمة الله وقدرته لم تطمئنّ

---

(١) عمدة الحفّاظ ٥٣٠/١

(٢) الفروق اللغوية ص ٣١٩

قلوبهم إلى ما قدّموه من الطاعة ، وظنّوا أنّهم مقصّرون فاضطربوا من ذلك وقلقوا ، فليس الوجل من الخوف في شيء ، وخاف متعدٍّ ووجل غير متعدٍّ))[١]

باب الدال

١-**الداعي والهادي** :قال أهل التفسير في تفسير قوله تعالى : (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ){الرعد : ٧}وقوله تعالى : (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ){الشورى : ٥٢}قال الطبري : ((عن قتادة قوله : (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) قال الله تبارك وتعالى : (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ){الرعد : ٧} داع يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ))[٢]((وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) وقال آخرون : معناه : لكلّ قوم داع))[٣] وقال الواحدي : (((وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) أي : نبيٌّ وداع يدعوهم إلى الله)) [٤] وقال: ((قال ابن عبّاس ومقاتل والسّدّي وقتادة : وإنّك لتدعو))[٥]أي : ((لتدعو إلى صراط مستقيم))[٦]

والهادي غير الداعي : قال ابن فارس في باب دعو : ((الدال والعين والحرف المعتلّ أصيل واحد ، وهو أن تميل الشيءَ إليك بصوت وكلام يكون منك ، تقول : دعوت أدعو دعاء))[٧]ف((الدعاء إلى الشيء : الحثّ على

---

(١) الفروق اللغوية ص ٢٧٣

(٢) جامع البيان ٥٦/٢٥

(٣) جامع البيان ١٣٠/١٣

(٤) الوسيط ٦/٣

(٥) الوسيط للواحدي ٦٢/٤

(٦) مدارك التنزيل ص ١٠٩٤

(٧) مقاييس اللغة ص ٢٩٢

قصده))[١]((ودعوتُ زيدًا ناديتُه وطلبتُ إقباله))[٢]((والهادي من كل شيء أوّلُه ، أقبلت هوادي الخيل ، أي : أعناقها ، وقد هدت تهدي ؛ لأنَّها أوّل شيء من أجسادها ، وقد تكون الهوادي أول رعيل يطلع منها ، لأنَّها المتقدمة ، وسميتْ العصا هاديًا ؛ لأنَّ الرجل يمسكها فهي تهديه تتقدمه ، والدليل يُسمى هاديًا لتقدمه القوم بهدايته ، والهادي العنق والرأس ٠٠٠والهادي والهادية كل ثور ، أو بقرة تهدي العانة ، أي : تتقدم يعني : تهدي الصَّوار ، وغرة كل شجرة هاديتها ، حتى النصل هادي الريش)) [٣]

فكل ما تقدمك لتتخذه هاديًا إلى ما تصبو إليه يُسمى هاديًا أو هدى ؛ ولذلك جعل الله النار هدى بمعنى ((الهادي في قوله عز وجل : (إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لاهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى){طه . ١٠} أي : هاديًا ٠٠٠ والطريق يسمى هدى)) [٤]

ولذلك أيضًا جعل الهادي من يُعتَمد عليه للوصول إلى ما يريده ((وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه خرج في مرضه يُهادى بين اثنين ، قال أبو عبيد : معناه أنَّه كان يعتمد عليهما من ضعفه وتمايله ، وكذلك كل من يفعل ذلك بأحد فهو يهاديه)) [٥] ((وهداه ، أي : تقدمه)) [٦]

---

(١) المفردات ص ١٧٧

(٢) المصباح المنير ص ١٩٤

(٣) العين ص ١٠٠٨ .

(٤) تهذيب اللغة ص ٣٧٣٦.

(٥) المصدر نفسه ص ٣٧٣٨-٣٧٣٩ .

(٦) الصحاح ص ١٠٩٣ .

وقال الراغب : ((الهداية دلالة بلطف ، ومنه الهدية ، وهوادي الوحش ، أي : متقدماتها الهادية لغيرها)) [١]

فهذه هي دلالة الهدى والهادي ، وهذا ما بيَّنه ابن فارس بقوله : ((الهاء والدال والحرف المعتل ، أصلان : أحدهما التقدم للإرشاد ، والآخر بعثة لطف ، فالأول قولهم : هديته الطريق هداية ، أي : تقدمته لأرشده ، وكل متقدم لذلك هاد٠٠٠ والأصل الآخر : الهدية ، ما أهديت من لطف إلى ذي مودة)) [٢] وجاء في كتاب الكليات للكفوي : ((الهداية عند أهل الحق : الدلالة على طريق من شأنه الإيصال ، سواء حصل الوصول بالفعل في وقت الاهتداء ، أو لم يحصل ، وعند صاحب الكشاف لا بد من الإيصال البتة ٠٠٠ وقد أجاب الفخر الرازي بأنَّ الهداية لا تقابل إلّا الضلال الذي هو ترك الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب)) [٣]

فالهادي إذن هو الذي يوصل المقتدي به إلى الأمر المنشود ، لتتحقق المعاني اللازمة له كالبيان والدعوة والإرشاد بالقول والعمل ، وبالإمامة والاقتداء ، وكذلك الهدى هو الطريق الذي يوصل سالكيه إلى أسمى الغايات المنشودة ، والمهتدي هو الذي يطلب الهدى ويتحراه ، أو هو الذي يقتدي بالهادي ، أو ما يقوم مقامه ، يقول الفيروزآبادي : ((ويقال المهتدي لمن يقتدي بعالم ، نحو قوله تعالى : (أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ){المائدة : ١٠٤} تنبيهًا أنَّهم لا يعلمون بأنفسهم ، ولا يقتدون بعالم ، وقوله تعالى : (فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ){النمل : ٩٢}

---

(١) المفردات في غريب القرآن ص ٥٦٣.

(٢) مقاييس اللغة ص ٩٣٣.

(٣) الكليات ص ٨٠٣.

فالاهتداء هنا يتناول وجوه الاهتداء من طلب الهداية ، ومن الاقتداء ومن تحريها)) [1]

أي : أن دلالة لفظ الهدى تتوافر فيه ثلاثة عناصر أساسية وهي : الإمامة والاقتداء والإيصال ، ولا يتم الإيصال إلّا بتوفيق من الله ، وبإذنه كما قال جل ذكره : (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلّا بِإِذْنِ اللّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ){يونس : ١٠٠}

((وهدى الله للإنسان جاء في القرآن الكريم على ثلاث مراحل جميعها لا تخرج عن دلالة الهدى كما تقدم تعريفها لغة واصطلاحًا :

الأولى : وهو ما سُمِّي بالإلهام ، كما قال الله تعالى : ((قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى){طه : ٥٠}

الثانية : الهدى المقصود في قوله تعالى : (إِنَّا خَلَقْنَا الأنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا {٢} إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا){الإنسان : ٢-٣}

وتنتهي وظيفة الرسول إلى إيصال قومه إلى مرحلة تمكنهم من معرفة الخير والشر والتمييز بينهما ((وفي هذه المرحلة يمنح الله الإنسان والأمم حرية الاختيار ؛ من أجل اختبارهم ، فإذا اختاروا سبيل الخير وتحروه واجتهدوا في طلبه ؛ جزاهم الله على ذلك بأن يقذف في قلوبهم حب الخير ، والميل إلى ما يجب فعله ، وكره الشر وترك ما يجب تركه ، وهذا ما سُمِّي بالتوفيق الذي يمثل المرحلة الثالثة من مراحل الهدى ، واستشهد له الراغب بقوله تعالى : (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ){محمد : ١٧} وقوله تعالى : (وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ){التغابن : ١١} [2]

([1]) بصائر ذوي التمييز ٥/٣١٨.

([2]) المفردات في غريب القرآن ص ٥٦٣ .

وإذا اختاروا سبيل الشر ، وتحروه ، واجتهدوا في طلبه ، أضلهم الله ؛ لذلك قال تعالى في ثمود : (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى){ص : ١٧}))[١]

فقوله تعالى : (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ){الشورى : ٥٢}ليس معناه : وإنَّك لتدعوهم إلى صراط مستقيم ؛ لأنّهليس المقصود دعوة الناس إلى الصراط المستقيم ، باللسان والقول والنداء ، فهذا عمل يقدر عليه كل إنسان ، وإنَّما المقصود إيصالهم إلى هذا الصراط بالقول والعمل وبالأسوة الحسنة والاقتداء ، وهو جهد لا يستطيع القيام به إلّا الرسل والأنبياء ، ومن اصطفاهم الله للقيام بهذه المهمة الشاقة .

٢-الدخر والذلّ والصغار : الداخر : قال الخليل : ((الداخر : الصاغر دَخَرَ يدخُر دُخورًا ، أي: صَغُر يصغر صَغارًا ، وهو أن يفعل ما تأمره كَرْهًا على صِغَر ودُخور)) [٢]و((دخَر الرجل٠٠٠وهو الذي يفعل ما يُؤمَر به شاء أو أبى)) [٣]

الذلَ والصغار : الصغار : ((الصاد والغين والراء أصل صحيح يدلّ على قلّة وحقارة ، من ذلك الصِّغَر: ضدّ الكِبَر ، والصغير : خلاف الكبير، والصاغر : الراضي بالضيم صُغْرًا وصَغارًا))[٤]

فالصغار هو الذلّ مع الاعتراف به ((والصاغر الراضي بالمنزلة الدنيّة قال تعالى : (حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ){التوبة : ٢٩}))[١]

---

(١) كتابي : لا وجوه ولا نظائر ص ٦٠-٦٣

(٢) العين ص ٢٨٣

(٣) لسان العرب ٢٢٧/٥

(٤) مقاييس اللغة ص ٤٨٦

الذل : ((الذال واللام في التضعيف والمطابقة أصل واحد يدلُّ على الخضوع والاستكانة واللين ، فالذُلُّ : ضدّ العزّ))[٢]

وفرّق العسكري ((بين الذلّ والصغار أنّ الصغار هو الاعتراف بالذلّ والإقرار به ، وإظهار صغر الإنسان وخلافه الكِبْر ، وهو إظهار عظم الشأن ، وفي القرآن : (سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللهِ){الأنعام : ١٢٤} وذلك أنّ العصاة بالآخرة مقرّون بالذلّ معترفون به ، ويجوز أن يكون ذليل لا يعترف بالذلّ))[٣]

٣-**الدخول والولوج** : ((الدخول نقيض الخروج ويُستعمّل في المكان والزمان والأعمال يقال : دخل مكان كذا قال تعالى : (ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ){البقرة : ٥٨}٠٠٠وقال تعالى : (يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ){الشورى : ٨}))[٤]

و((الولوج : الدخول في مضيق ، قال تعالى : (حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ){الأعراف : ٤٠}))[٥]

والحقيقة أنّ الولوج لا يفترق عن الدخول بما ذكره الراغب ؛ لأنّ الدخول يعني الدخول في مكان ضيق أو واسع ، وبعد أن أنعمت النظر في الفرق بينهما وبعد الرجوع إلى شواهد الولوج في القرآن الكريم تبيّن لي أنّ بينهما فرقًا أساسيًّا ، وهو أنّ الدخول في الشيء يقتضي المكوث فيه مدة تطول أو تقصر وإذا خرج خرج من الباب أو المكان الذي دخل منه كقوله

---

(١) المفردات ص ٢٩٢ وينظر : عمدة الحفّاظ ٢/٣٣٨-٣٣٩

(٢) مقاييس اللغة ص ٣١٦

(٣) الفروق اللغوية ص ٢٧٩-٢٨٠

(٤) المفردات ص ١٧٣

(٥) المفردات ص ٥٥٦

تعالى : (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ){البقرة : ٥٨}أو يقتضي الاستقرار فيه وعدم الخروج منه كقوله تعالى : (فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ){النساء : ١٢٤}

فهذا معنى الدخول في الشيء ، أمّا الولوج فيعني الدخول في الشيء من باب والخروج منه من الباب المقابل له : أي : لا يلج في الشيء من أجل أن يمكث فيه بل من أجل أن يخرج منه من الباب الآخر ، ولا يبقى فيه إلّا بقدر ما يستغرقه في مروره من بابي الدخول والخروج ، هذا هو معناه حتى إنّ شواهد الولوج كانت لا تسمح للوالج المكوث كقوله تعالى : (وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ){الأعراف : ٤٠} فتأمّل أنّه استعمل الدخول (وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ) لأنّ المراد من دخول الجنة المكوث والاستقرار فيها ، واستعمل الولوج : (يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ) لأنّ الولوج والخروج يحصل في وقت واحد من دون مهلة حتى إنّ دخوله يعني خروجه والدخول فيه من باب والخروج منه من الباب المقابل له ، وقد ورد قوله تعالى : (تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَفِي اللَّيْلِ)(آل عمران : ٢٧} وورد (يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَفِي اللَّيْلِ){الحج : ٦١}{لقمان : ٢٩}{فاطر : ١٣}{الحديد : ٦}استعمل في جميعها الولوج من دون الدخول ؛ لأنّه لا يصح فيها استعمال الدخول ؛ لأنّ المراد الولوج من باب الساعة الأولى من ساعات الليل أو النهار ، والاستمرار في الولوج من دون توقّف حتى يخرج من باب الساعة الأخيرة من ساعات الليل أو النهار ، فاستعمل الولوج ؛ لأنّه أراد أن يستمرّ الليل في سيره حتى تبزغ الشمس ، وأن يستمرّ النهار في سيره حتى تغرب الشمس ، فالغرض من دخول الشيء المكوث فيه ، لذلك لم يقترن بفعل الخروج في كلّ مواضع وروده على الرغم من أنّه قد ورد في القرآن الكريم في أكثر من ١٥٠موضعًا ، والغرض من ولوج الشيء الخروج منه من الطرف الآخر من غير الطرف الذي ولج منه ؛ ولهذا اقترن الولوج بالخروج في الموضعين

اللذين وردا فيه وهو قوله تعالى : (يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا){سبأ : ٢}{الحديد : ٤}

فقد بان الفرق بين الولوج والدخول ولله الحمد والمنّة

٤-**الدعاء والنداء** :قال الله تعالى : (وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ۚ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ){البقرة : ١٧١}

((النداء هو رفع الصوت بما له معنى ، والعربي يقول لصاحبه : ناد معي ليكون ذلك أندى لصوتنا ، أي : أبعد له ، والدعاء يكون برفع الصوت وخفضه ، يقال : دعوته من بعيد ، ودعوت الله في نفسي ، ولا يقال : ناديته في نفسي)) [١] والدعاء ((قد يكون بعلامة من غير صوت ولا كلام ، ولكن بإشارة تنبئ عن معنى : تعال ، ولا يكون النداء إلّا برفع الصوت وامتداده ؛ لذا لا يُسنَد النداء إلى الله سبحانه ، بخلاف الدعاء ، قال تعالى : (وَاللّهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ){البقرة : ٢٢١})) [٢] وجاء في التفسير : ((أنَّ النداء للبعيد ، والدعاء للقريب ؛ لذلك قيل للأذان بالصلاة نداء ؛ لأنَّه للأباعد)) [٣]

٥-**دكّ الأرض ورجَّها وزلزلتهاومدّها، ودحوها وطحوها وبسطها وسطحها** : قد جاء في القرآن الكريم دكّ الأرض ورجُّها وزلزلتها ومدّها :

-**الدكُّ** : (الدال والكاف أصلان : أحدهما يدلُّ تطامن وانسطاح٠٠٠ومن الأرض الدكّاء : وهي الأرض العريضة المستوية قال الله تعالى : (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ){الكهف : ٩٨} ومنه الناقة الدكّاء

---

(١) الفروق اللغوية ص ٤٩.

(٢) فروق اللغات ص ١٢٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم ١٦٢/٢ .

وهي التي لا سنام لها))[١]و((الدكّ الأرض الليّن السهلة ، وقد دكّه دكًّا قال تعالى : (وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً){الحاقّة : ١٤}٠٠٠وقال (فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا){الأعراف : ١٤٣}٠٠٠وأرض دكّاء مُسوَّاة))[٢] و((قوله تعالى : (كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا){الفجر : ٢١}أي : جُعِلَتْ مستوية لا أكمة فيها ولا جبل٠٠٠فقوله : (دُكَّتِ الْأَرْضُ) أي : جُعِلَتْ بمنزلة أرض سهلة ليّنة بعد أن كانت ذات جبال وآكام))[٣]

الرجُّ : ((الراء والجيم أصل يدلّ على الاضطراب٠٠٠والرجُّ : تحريك الشيء ، تقول : رججتُ الحائط رجًّا ، وارتجَّ البحر))[٤] و((الرجُّ تحريك الشيء وإزعاجه٠٠٠قال تعالى : إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا){الواقعة : ٣-٤}))[٥]

الزلزلة : ((الزاء واللام أصل مطرد في المضاعف ، وكذلك في كلِّ زاء بعدها لام في الثلاثي ، وهذا من عجيب هذا الأصل ، تقول : زلّ عن مكانه زليلًا وزَلًّا ، والماء الزُّلال : العذب ؛ لأنّه يزِلُّ عن ظهر اللسان لرقّته ، والزلَّة الخطأ ؛ لأنّ المُخطئ زلّ عن نهج الصواب ، وتزلزلت الأرض : اضطربت ، وزلزلت زلزالها٠٠٠ومن الباب الزُّلْزُل كالقلق ؛ لأنّه لا يستقرّ في مكانه))[٦]و((قوله : (إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا){الزلزلة : ١-٢} الزلزلة : الحركة الشديدة جدًّا ، يُروى أنّها تتحرّك

---

(١) مقاييس اللغة ص ٢٨٥

(٢) المفردات ص ١٧٨

(٣) عمدة الحفّاظ ١٩/٢

(٤) مقاييس اللغة ص ٣٣٢

(٥) المفردات ص ١٩٤

(٦) مقاييس اللغة ص ٣٨١

وتضطرب اضطرابًا شديدًا حتى تُخرج ما في بطنها إلى ظهرها من أموات وكنوز فذلك قوله : (وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا) ومن ثمّ استعظمها عظيم العظماء في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ){الحج : ١}٠٠٠والزلزال عند العرب : الدواهي العظام))[1]

المدّ : ((الميم والدالّ أصل واحد يدلّ على جرٍّ في طول ، واتصال شيء بشيء في استطالة))[2] قال الله تعالى : (إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ){الانشقاق : ١–٣}((وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ) بُسِطتْ وسوّيتْ باندكاك جبالها وكلّ أمت فيها))[3]

فدكّ الأرض يعني تسويتها ، أمّا رجُّها وزلزالها فالفرق بينهما أنّ الزلزلة أشدُّ من الرجّ ، ومدّ الأرض انبساطها مع مدّ هذا الانبساط ، وهذه هي حالات الأرض يوم القيامة ، أمّا سطحها وبسطها ودحوها وطحوها فهي حالات نشأتها وتكوينها

–**السطح** : قال تعالى : (وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ){الغاشية : ٢٠}((والسطح : ظهر البيت إذا كان مستويًا ، والفعل : التسطيح))[4]((وقيل : هو مشتق من سطح البيت ، وهو أعلاه ، فقولهم : سطحتُ المكان ، أي : جعلته في التسوية كالسطح))[5]فالمراد من السطح السطح ظهر الأرض بعد استوائه

---

(١) عمدة الحفّاظ ١٤٦/٢

(٢) مقاييس اللغة ص ٨٤٢

(٣) مدارك التنزيل ص ١٣٣٣

(٤) العين للخليل ص ٤٢٤ وينظر : المفردات ص ٢٣٩

(٥) عمدة الحفّاظ ١٩٧/٢

–**البساط** : ((بسطَ الشيءَ نشره وتوسّعه٠٠٠ومنه البساط قال الله تعالى : (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا){نوح : ٢٠} والبساط الأرض المتسعة))[١] و((البسط : الاتساع في الشيء ، ومنه بسط الرزق ، والبساط : المفترَش من ذلك لاتساعه))[٢]

–**الدحو** : قال الله تعالى : (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا){النازعات : ٣٠}((المدحاة خشبة يَدحى بها الصبيّ ، فتمرُّ على وجه الأرض ، لا تأتي على شيء إلّا اجتحفته ، ومطرٌ يَدحى الحصى عن وجه الأرض ، والدحو : البسط)) [٣] والجحف الجرف ((وهو من قولهم : دحا المطر الحصى من وجه الأرض ، أي: جرفها ، ومرَّ الفرس يدحو دحوًا إذا جرّ يدَه على وجه الأرض فيدحو ترابها))[٤]((ودحا المطر الحصى عن وجه الأرض دفعه))[٥]

–**الطحو** : ((الطحو وهو بسط الشيء والذهاب به قال تعالى : (وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا){الشمس : ٦})) [٦]((والطحو شِبهُ الدحو ، وهو البسط))[٧]

---

(١) المفردات ص ٥١

(٢) عمدة الحفّاظ ١٨٨/١

(٣) العين للخليل ص ٢٨٣

(٤) المفردات ص ١٧٢

(٥) المصباح المنير ص ١٩٠

(٦) المفردات ص ٣١٤

(٧) العين للخليل ص ٥٦٣

يخلط كثير من أهل اللغة والتفسير بين الدحو والطحو والبسط والسطح ويجعلونها كلّها بمعنى البسط ، والحقيقة أنّ لكلٍّ منها دلالتها الخاصة بها

فسطح الأرض ظهرها بعد تسويته

وبسطها نشرها وتوسعتها

ودحوها قشر ظهرها وجرف ما علاها تمهيدًا لتسويتها ، وطحوهاهو ما آلت إليه الأرض من البسط بعد دحوها ، فالظاهر والله أعلم أنّ سطح الأرض في بدء نشوئها كان غير مستو ، فكان كلّه وديانًا وآكامًا وركامًا ، لا تصلح لأن يسكن فيها الإنسان فيبني فيها البيوت ويشقّ فيها الطرق فدحاها الله ، فالدحو يكون قبل الطحو ، فلولا دحوها لما كان طحوها ، فالأرض طُحِيتْ بعد أن دُحِيتْ

٦-**الدلو والذَّنوب** : وردت الدلو في موضع واحد هو قوله : **(وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ)**{يوسف : ١٩} وكذلك الذَنوب وردت في موضع واحد هو قوله تعالى : **(فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ)**{الذاريات : ٥٩} و((الذَّنوب :الفرس الطويل الذنب ، والدلو التي لها ذنب ، واستعير للنصيب كما استعير له السجل قال تعالى : **(فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ)**{الذاريات : ٥٩}))[١] و((والدلو العظيمة يقال لها ذَنوب إذا كانت ملأى ، ويقال لها غرب أيضًا ، ويعبَّر بها عن النصيب)))[٢] و((الذَّنوب : الدلو العظيمة الملأى ، وإن لم تكن ملأى فهي دّلْوٌ وفي الأصل دلو ذات

---

(١) المفردات ص ١٨٨.

(٢) عمدة الحفّاظ ٢١/٢

ذنب ويُعَبَّر بها عن النصيب كقوله تعالى : (فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ)))[1]

وفرّق العسكري ((بين الدلو والذنوب أنّ الدلو تكون فارغة وملأى ، والذنوب لا تكون إلّا ملأى ، ولهذا سُمِّي النصيب ذنوبًا))[2]

هذا هو الفرق الأول والفرق الثاني أنّ الذنوب الدلو التي لها ذنب ، ولهذا كما يبدو سُّميت بالذنوب

٦-**الدنوُّ والقرب : الدنوّ** : قال الراغب : ((الدنوُّ القرْب بالذات أو بالحكم ، ويستعمل في المكان والزمان والمنزلة قال تعالى : (وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ){الأنعام : ٩٩} وقال تعالى : (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ){النجم : ٨} هذا الحكم ، ويُعبَّر بالأدنى تارة عن الأصغر فيقابل بالأكبر نحو قوله تعالى : (وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ){المجادلة : ٧} وتارة عن الأرذل فيقابل بالخير نحو قوله تعالى : (أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ){البقرة : ٦١} وعن الأوّل فيقابل بالآخر نحو قوله تعالى : (خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ){الحج : ١١}٠٠٠وتارة عن الأقرب فيقابل بالأقصى نحو قوله تعالى : (إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ){الأنفال : ٤٢}٠٠٠ويقال : دانيت بين الأمرين وأدنيتُ أحدهما من الآخر ٠٠٠وأدنت الفرس دنا نتاجها ، وخُصّ الدنيء بالحقير القذر ، ويقابل به السيّئ يقال : دنيء بيّن الدناءة ، وما رُوِي : إذا أكلتم فدنوا . من الدون ، أي : كلو ممّا يليكم)) [3]

-**القرب** : قال الراغب : ((القرب والبعد يتقابلان٠٠٠ويستعمل ذلك

---

(١) عمدة الحفّاظ ٤٨/٢

(٢) الفروق اللغوية ص ٣٥١

(٣) المفردات ص ١٧٩-١٨٠ وينظر : عمدة الحفّاظ ٢٦/٢-٢٧

في المكان وفي الزمان وفي النسبة وفي الخَطوة والرعاية والقدرة ، فمن الأوّل : نحو قوله تعالى : (وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ){البقرة : ٣٥}٠٠٠وفي الزمان نحو قوله تعالى : (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ){الأنبياء : ١}٠٠٠وفي الخَطوة نحو قوله تعالى : (وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ){آل عمران : ٤٥}٠٠٠وفي الرعاية نحو قوله تعالى : (إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ){الأعراف : ٥٦}٠٠٠وفي القدرة ، نحو قوله تعالى : (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ){ق : ١٦})) [١]

وفرّق العسكري ((بين الدنوّ والقرب أنّ الدنوّ لا يكون إلّا في المسافة بين شيئين ، تقول : داره دانية ، ومزاره دانٍ ، والقرب عامٌّ في ذلك وفي غيره ، تقول : قلوبنا تتقارب ، ولا تقول : تتدانى ، وتقول : هو قريب بقلبه، ولا يقال : : دان بقلبه إلّا على بعد)) [٢]

وعندي أنّ الفرق بينهما أنّ الشيء الداني أو الأدنى هو ما كان دون غيره في الأمور الحسّية ، والمعنوية ، ما كان مثلًا دون غيره في العلوّ كقوله تعالى ☹وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ){الأنعام : ٩٩} أي : هي أدنى من العالية ، وقال تعالى : (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ){النجم : ٨} أي : دنا وما ارتفع وعلّى

أو ما كان دون غيره في المسافة كقوله تعالى (إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ){الأنفال : ٤٢}

أو ما كان دون غيره في العدد كقوله تعالى : (مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا){المجادلة : ٧} أي : ولا أدنى من الثلاثة والأربعة ،

---

(١) المفردات ص ٤١٥ وينظر : عمدة الحفّاظ ٣/٢٨٨-٢٩١

(٢) الفروق اللغوية ص ٣٤٣

بمعنى : ولا أقلّ

أو ما كان دون غيره في المنزلة والرتبة كقوله تعالى : ((أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ)){البقرة : ٦١}

فقد جاء الدنوّ في القرآن الكريم على ستّ صيغ :

الأولى : جاء بصيغة الفعل الماضي في موضع واحد هو قوله تعالى : (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ){النجم : ٨} قال الزجاج : ((ومعنى دنا وتدلّى واحد))[١] فإذا كان دنا هنا بمعنى تدلّى فتكون دنا هي بمعى نزل من علوٍّ ، وليس بمعنى قرب جاء في التفسير ((أي : قرب بعدَ بُعْدِه وعلوّه في الأفق الأعلى ، فدنا من محمدّ صلّى الله عليه وسلّم . قال الحسن وقتادة : ثمّ دنا جبريل بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض ، فنزل إلى محمد صلّى الله عليه وسلّم))[٢]

((وكان (جبريل عليه السلام) ينزل في صورة دحية ، وذلك أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أحبّ أن يراه في صورته التي جُبِل عليها فاستوى له في الأفق وهو أفق الشمس فملأ الأفق ، وقيل : ما رآه أحدٌ من الأنبياء في صورته الحقيقية سوى محمد صلّى الله عليه وسلّم مرتين ، مرة في الأرض ومرّة في السماء٠٠٠والتدلّي هو النزول بقرب الشيء))[٣] ((فتدلّى فنزل على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالوحي))[٤]

فقال دنا ولم يقل قرُب ؛ لأنّه أراد نزوله من علوٍّ

الثانية : وجاء بصيغة اسم الفاعل دانية : ((كقوله تعالى : (وَمِنَ

---

(١) معاني القرآن وإعرابه ٥٧/٥

(٢) الوسيط للواحدي ١٩٣/٤

(٣) مدارك التنزيل ص ١١٧٨

(٤) فتح القدير ١٣١/٥

النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَـةٌ){الأنعام : ٩٩} أي : قريبـة التنـاول سـهلته أو متدلّيـة لثقلهـا بـالثمرة)) [١]وجـاء فـي التفسـير : (((قِنْـوَانٌ دَانِيَـةٌ) قـال قتـادة : عذوقه متدلّية)) [٢]

وقـال (دَانِيَـةٌ) ولـم يقل قريبـة ؛ لأنّ الدانيـة يقـال لهـا المتدلّيـة ؛ ولأنّ المراد ما كانت ضد العالية ، فللنخل أثمار عالية لا يمكن تناولها باليد وأثمار دانية بمكن تناولها وهي المتدلّية

قـال الله تعـالى : (فِـي جَنَّـةٍ عَالِيَـةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَـا دَانِيَةٌ){الحاقّـة : ٢٢-٢٣} لمّا وصف الله جنته بأنّها عالية وصف قطوفها وأثمارها بأنّها دانية ؛ لأنّ ضدّ العالية الدانية وليس القريبة

فالدانية لا تعني القريبة ، وإن قال بذلك كثير من أهل اللغة والتفسير ؛ ونحن في لغتنا المحليّة نقابل البعيد بالقريب ، ولا نقابل العالي بالقريب بل نقابلـه (بالناصـي) فأغلـب النـاس يسـمعون بالمصـطلح الشـعبي فـي المجتمـع العراقي (حـائط انصيص) ومعنـاه الجدار القصـير الـذي يسـتطيع أيّ شـخص كـان أن يصـل إليـه ويتجـاوزه بسـهولة ، ولا يـزال هـذا المصـطلح الشـعبي يسـتعمله الصـحفيون والسياسـيون كقـولهم مـثلًا : لقـد صـار العـراق بعـد عـام ٢٠٠٣م كالحـائط الانصـيص لكـلّ مـن هـبّ ودبّ مـن دول العـالم والجـوار المختلفة تبثّ مخابراتها وعناصرها للتجسس وإثارة العنف والطائفية بين أبناء الشعب العراقي الواحد

فنحن دائمًا نقابل العـالي (بالناصـي) لا بالقريب فنقول : هذا جدار (نـاصٍ) وذاك جـدار عـالٍ ، ونقـول : رأيـتُ طـائرة عاليـة ، وطـائرة أخـرى (ناصـية) وهـذه الشـجرة أغصـانها وثمارهـا عاليـة ، وتلـك أغصـانها وثمارهـا

---

(١) عمدة الحفّاظ ٢٦/٢

(٢) الوسيط للواحدي ٣٠٤/٢

(ناصية) و(الناصي والناصية) يقابل الداني والدانية

الثالثة : وجاء بصيغة الفعل المضارع في موضع واحد هو قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ){الأحزاب : ٥٩}

وقد أجمع أهل التفسير أن (يُدْنِينَ) ليست بمعنى يُقربن ، بل لا يصحّ في الآية هذا المعنى ، فمن المعاني التي ذُكرت أنّ (يُدْنِينَ) بمعنى يغطّين[١] وقال ابن قتيبة : ((يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ) أي : يلبسن الأردية))[٢] وبمعنى : يرخين[٣] قال النسفي : ((الجلباب ما يستر الكلّ ، مثل الملحفة عن المبرّد ، ومعنى : (يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ) يرخينها عليهنّ))[٤]

الرابعة : وجاء بصيغة أدنى في تسعة مواضع منها :

قوله تعالى : (ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ){الأحزاب : ٥٩} والمعنى عند أهل التفسير : ذلك أجدر أن يعرفن ، أو أحرى ، أو أقرب[٥]

قال مقاتل : ((يعني : أجدر أن يُعرفن في زيِّهنّ أنّهنّ لسن بمريبات ، وأنّهنّ عفايف فلا يطمع فيهنّ أحد))[٦] وقال النسفي : ((أي : أولى وأجدر بأن يُعرفْنَ فلا يتعرّضنَ لهنّ))[٧] وعندي أنّه لا يصحّ جعل أدنى بمعنى

---

(١) ينظر : معاني القرآن للفرّاء ٢٣٨/٢ وجامع البيان للطبري ٥٥/٢١

(٢) تفسير غريب القرآن ص ٣٥٢

(٣) ينظر : الكشّاف للزمخشري ٥٤٣/٣ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧٠/١٤

(٤) مدارك التنزيل ص ٩٥٠

(٥) الكشّاف ٥٤٣/٣ وزاد المسير ٢٢٤/٦ وفتح القدير ٣٨٠/٤

(٦) تفسير مقاتل ٥٥/٣

(٧) مدارك التنزيل ص ٩٥١

أقرب ، لأنّه ليس المراد أن يكنّ قريبات من معرفتهنّ ، بل المراد أن يُعرفنَ حرائر من دون أن يتوهّم أو يشكّ أحد في أنّهن حرائر ولسن بإماء ، وهذا المعنى يتحقق بجعل أدنى بمعنى : أجدر ، أو أولى ، أو أحرى

ومن ذلك قوله تعالى : (قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ){البقرة : ٦١} وقد تقدّم أنّ الراغب جعل أدنى هنا بمعنى الأرذل

وقوله تعالى : (غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ){الروم : ٢-٣} والمعنى العلمي الصحيح : غُلبت الروم في أرض هي دون ما حولها من الأراضي ، والمراد أخفض أرض ، وهذا ما ثبت علميًّا ومن لدن البروفسور (بالما) أستاذ العلوم الجيولوجية في أمريكا حين جرى حوار بينه وبين الشيخ الزنداني ، بأنَّ أخفض منطقة في العالم هي القدس، وهي المنطقة التي غُلبتْ فيها الروم أمام الفرس ، حيث انتزعوا فلسطين من أيديهم ، فهزيمة الروم أمام الفرس وقعت بالتحديد في حوض البحر الميت ، الذي يقع في منطقة تقاطع ، بين سوريا والأردن وفلسطين ، ويبلغ مستوى سطح الأرض هناك ٣٩٥م تحت مستوى سطح البحر ، مما يجعل هذه المنطقة أخفض مناطق الأرض

وقوله تعالى : (فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ){النجم : ٩} والمعنى : قاب قوسين أو ما كان دون ذلك

وقوله تعالى : (إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ){المزمّل : ٢٠} أي : ((أقلّ))[١] من ثلثي الليل ((والمعنى : أنّ الله يعلم أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقوم أقلّ من ثلثي الليل ويقوم نصفه ويقوم ثلثه))[٢]

وقوله تعالى : (مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا

(١) مدارك التنزيل ص ١٢٩٤

(٢) فتح القدير ٣٩٩/٥

هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ){المجادلة : ٧} جاء في التفسير : (((وَلَا أَدْنَىٰ) ولا أقلّ من ذلك))[١]((أي : ولا أقلّ من العدد المذكور))[٢]

الخامسة : وجاء بصيغة الأدني في موضعين هما :

قوله تعالى : (يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ){الأعراف : ١٦٩}((الأدنى : يريد الدنيا٠٠٠هذا الأدنى تخسيس وتحقير))[٣]

وقوله تعالى : (وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ){السجدة : ٢١}الأدنى أي الدنيا [٤]

السادسة : وجاء بصيغة الدنيا في مواضع كثيرة ، وتقدم قول الراغب أنّ الأدنى يجيء بمعنى الأول فيقابل الآخِر ((ومن ذلك مقابلة مؤنّثه بالآخرة نحو الدنيا والآخرة ، ومنه قوله تعالى : (خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ){الحج : ١١}))[٥]

فالداني والأدنى ما كان دون غيره ، ولهذا ذكر الراغب أنّ الدنو يأتي بمعنى الأصغر ، والأرذل ، والأقلّ ، والأخس ، والأول ؛ لأنّه دون الثاني في الترتيب ؛ وما كان ضدّ العالي .

أمّا القرب فهو ما كان ضد البعد فقوله تعالى : (وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ){آل عمران : ٤٥} وضد المقربين المبعَدون

وقوله تعالى : : (وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ){البقرة :

---

(١) مدارك التنزيل ص ١٢١٧

(٢) فتح القدير ٢٣٢/٥

(٣) مدارك التنزيل ص ٣٩٣

(٤) مدارك التنزيل ص ٩٢٧

(٥) عمدة الحفّاظ ٢٦/٢

٣٥} أي : ابتعدا عنها

وقولــه تعــالى : (اقْتَــرَبَ لِلنَّــاسِ حِسَــابُهُمْ وَهُــمْ فِــي غَفْلَــةٍ مُّعْرِضُونَ){الأنبياء : ١} أي : موعد حسابهم ليس ببعيد

وقوله تعالى : (إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ){الأعراف : ٥٦} وضدّ القريب البعيد

وقوله تعالى : (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ){ق : ١٦} وضدّ الأقرب الأبعد

فـالقرب يقابلـه البعـد حتـى قـال الراغـب كمـا تقـدّم : القـرب والبعـد يتقـابلان ، وقد قابـل الله سبحانه بينهمـا : كقولـه تعـالى (إِنَّهُمْ يَرَوْنَـهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا){المعارج : ٦-٧} وقولـه تعـالى : (وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ){الأنبياء : ١٠٩}

٨-**الدهر والعصر** : ((العين والصاد والراء أصول ثلاثة صحيحة : فالأوَّل : العَصْرُ ، وهو الدهر ، قال الله : (وَالْعَصْرِ {١} إِنَّ الأنسَانَ لَفِي خُسْرٍ){العصر : ١-٢} وربَّما قالوا عُصُر ، قال امرؤ القيس :

ألا أنعِمْ صباحًا أيُّها الطلل البالي وهل يَنْعَمَنْ مَن كان في العُصُرِ الخالي٠٠٠والعصران : الليل وانهار٠٠٠قالوا : وبه سُمِّيتْ صلاة العصر؛ لأنَّها تُعصَر ، أي : تُؤخَّر عن صلاة الظهر ، والغداة والعشي يسميان العصرين٠٠٠وروي حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل : حافظْ على العصرينِ ، قال الرجل : وما كانت من لغتنا ، فقلتُ : وما العصران ؟ قال : صلاة قبل طلوع الشمس ، وصلاة قبل غروبها ، فأمَّا الجارية المُعْصِر فقد قاسه ناس هذا القياس ، وليس الذي قالوه ببعيد ، قال الخليل وغيره : الجارية إذا رأت في نفسها زيادة الشباب فقد أعْصَرَتْ ، وهي مُعْصِر بلغتْ عصر شبابها ، وإدراكها ، قال أبو ليلى : إذا بلغت الجارية وقَرُبتْ من حيضها فهي مُعْصِر٠٠٠قال قوم : سُمِّيتْ مُعْصِرًا ؛ لأنَّها تغيَّرتْ

عن عصرها)) [(١)].و((والدهر في الأصل اسم لمدة العالم من مبدإ وجوده إلى انقضائه ، وعلى ذلك قوله تعالى : (هَلْ أَتَى عَلَى الأنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ){الإنسان : ١} ثم يُعَبَّر به عن مدة كثيرة ...ودهرُ فلان مدة حياته ، واستعير للعادة الباقية مدة الحياة ، فقيل : ما دهري بكذا))[(٢)]

فالدهر غير العصر ، فقد عرَّف العسكري الدهر بأنَّه ((جمع أوقات متوالية ، مختلفة كانت أو غير مختلفة)) [(٣)] وفرّق ((بين الدهر والعصر أنَّ الدهر ما ذكرناه ، والعصر لكلٍّ مختلفين معناهما واحد ، مثل : الشتاء والصيف ، والليلة واليوم ، والغداة والسحر ، يقال لذلك كلِّه عصر))[(٤)]

فالدهر ما دلَّ على زمان ممتد غير محدد ، والعصر ما دلَّ على زمان معيَّن له حدود تفصله عمَّا قبله وعمَّا بعده ، طال هذا الزمان أم قصر ، لذلك صحَّ أن يسمَّى كلًّا من الليل ، والنهار ، والغداة ، والسحر ، عصرًا ، ولذلك يقال : العصر الجاهلي ، والعصر الإسلامي ، والعصر الأموي ، والعصر العباسي ، ولا يقال : الدهر الجاهلي ، أو الدهر الإسلامي ، أو الدهر الأموي ، أو الدهر العباسي ، ويقال : عصر الصحابة ، وعصر التابعين ، ولا يقال دهر الصحابة ، أو دهر التابعين

٩-الدِّين والشريعة والملّة والمنهاج : فرّق العسكري بين الدين والملّة : ((أنّ الملّة اسم لجملة الشريعة ، والدين اسم لما عليه كلّ واحدمن أهلها ، ألا ترى أنّه يقال : فلان حسن الدين ، ولا يقال : حسن الملّة ، وإنّما يقال : هو من أهل الملّة ، ويقال لخلاف الذمّي : الملّي نسب إلى جملة

---

(١) مقاييس اللغة ص ٦٨٠

(٢) المفردات ص ١٨٠

(٣) الفروق اللغوية ص ٣٠١

(٤) الفروق اللغوية ص ٣٠٣

الشريعة ، فلا يقال له : ديني ، وتقول : ديني دين الملائكة ، ولا تقول : ملّتي ملّة الملائكة ؛ لأنّ الملّة اسم للشرائع مع الإقرار بالله ، والدين ما يذهب إليه الإنسان ، ويعتقد أنّه يقرّبه إلى الله ، وإن لم يكن فيه شرائع ، مثل دين أهل الشرك ، وكلّ ملة دين ، وليس كلّ دين ملّة ، واليهوديّة ملّة ؛ لأنّ فيها شرائع ، وليس الشرك ملّة ، وإذا أُطلِق فهو الطاعة العامّة التي يُجازى عليها بالثوابمثل قوله تعالى : (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ){آل عمران :١٩}٠٠٠وأصل الملّة في العربية الملُّ وهو أن يعدو الذئب على شيء ضربًا من العدو ، فسمِّيتْ الملّة ملّة لاستمرار أهلها عليها ، وقيل : أصلها التكرار من قولك : طريق مليل إذا تكرر سلوكه حتى توطّأ ، ومنه الملل وهو تكرار الشيء على النفس حتى تضجر ، وقيل : الملّة مذهب جماعة يحمي بعضهم بعضًا عند الأمور الحادثة ، وأصلها من المليلة وهي ضرب من الحمّى ، ومنه المَلّة : موضع النار ، وذلك أنّه إذا دفن فيه اللحم وغيره تكرّر عليه الحمّى حتى ينضج .

وأصل الدين الطاعة ، ودان الناس لملكهم ، أي : أطاعوه ، ويجوز أن يكون أصله العبادة ثم قيل للطاعة دين ؛ لأنّها تعتاد وتوطّن النفس عليها))[1]

واقترنت الشرعة بالمنهاج في قوله تعالى : (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا){المائدة : ٤٨} والشرعة : ما يُبتَدأ فيه إلى الشيء ، ومنه يقال : شرع في كذا ، أي : ابتدأ فيه ، كذا الشريعة : هي ما يُشرع منها إلى الماء ، أمَّا المنهاج فهو الطريق السهل المستمر ، فالشرعة إذن هي الدين بأصوله الثابتة التي تتساوى فيها الملل التي لا يصح النسخ عليها ، كمعرفة الله والتوحيد والإخلاص ، والمنهاج : الدليل أو الطريقة التي تُطَبَّق بها هذه

---

(١) الفروق اللغوية ص ٢٤٧-٢٤٨

الأصول الثابتة ؛ لذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله : الشرعة : ما ورد به القرآن ، والمنهاج : ما وردت به السنة[١]

١٠-**الدَّيْن والقرض** : فرّق العسكري ((بين القرض والدَّيْن٠٠٠أنّ القرض يكون من جنس ما اقترض ، وليس كذلك الدَّين٠٠٠ويجوز أن يقال إنّه سُمِّيقرضًا لتساوي ما يأخذ وما يردّ))[٢] وقال الفيروزآبادي : ((الدَّيْن : ما له أجل ، وما لا أجل له فقرض))[٣]

وجاء الدَّيْن في موضع واحد وهو قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ){البقرة : ٢٨٢}

ويبدو أنّ هذا هو الفرق الأوَّل بين الدَّين والقرض أنّ الدّين ما له أجل ، والقرض : ما ليس له أجل ، والفرق الثاني أنّ القرض لم يُستعمل ما كان بين النّاس ، بل ما استعمل إلّا فيما كان بين الله وعبده كقوله تعالى : (وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا){المائدة : ١٢}

باب الذال

١-**ذا النون وصاحب الحوت** : ((الحوت : وهو السمك))[٤]والسمك معروف ، وقيل : ما عظم منه[٥]((والنون : الحوت العظيم ، وسُمِّيَ يونس

---

(١) ينظر : المفردات ص ٢٦٨ والجامع لأحكام القرآن ١٤٧/٥ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٩٣/٣ والكليات ص ٤٤٠ وفروق اللغات ص ١٥٤.

(٢) الفروق اللغوية ص ١٩٣-١٩٤

(٣) تاج العروس ٢٦/٣٦ وينظر : الكليات ص ٣٧٠

(٤) تهذيب اللغة ٦٩١/١

(٥) ينظر : لسان العرب ٢٥٩/٤

عليه السلام ذا النون في قوله تعالى : (وَذَا النُّونِ){الأنبياء : ٨٧} لأنّ النون قد التقمه))[١]

((قال السهيلي : والإضافة لـ(ذي) أشرف من الإضافة لـ(صاحب) ؛ لأنّ قولك (ذو) يضاف إلى التابع ، و(صاحب) يضاف إلى المتبوع ، تقول : أبو هريرة صاحب النبيّ ، ولا تقول : النبيّ صاحب أبي هريرة ، إلّا على جهة ما ، وأمّا (ذو) فإنّك تقول فيها : ذو مال ، وذو العرش ، فتجد الاسم متبوعًا غير تابع ؛ ولذلك سُمِّيتْ أقيال حمير بالأذواء ، نحو قولهم : ذو جَدَن ، ذو يزن ، في الإسلام أيضًا : ذو العين ، وذو الشهادتين ، وذو السِّماكين ، وذو اليدين ، هذا كلّه تفخيم للشيء ، وليس ذلك في لفظة (صاحب) وبُنِي على هذا الفرق أنّه سبحانه قال في سورة الأنبياء : (وَذَا النُّونِ){الأنبياء : ٨٧}فأضافه إلى (النون) وهو الحوت ، وقال في سورة القلم ☹وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ){القلم : ٤٨}قال : والمعنى واحد ، لكن بين اللفظين تفاوت كبير في حسن الإشارة إلى الحالتين ، وتنزيل الكلام في الموضعين ، فإنّه ذكر في موضع الثناء عليه (ذو النون) ولم يقل (صاحب النون) ؛ لأنّ الإضافة بـ(ذي) أشرف من (صاحب) ولفظ (النون) أشرف من (الحوت) لوجود هذا الاسم في حروف الهجاء أوائل السور ، وليس في اللفظ الآخر ما يشرفه لذلك ، فالتفِتْ إلى تنزيل الكلام في الآيتين يَلح لك ما أشرنا إليه في هذا الغرض ، فإنّ التدبّر لإعجاز القرآن واجب ومفترض))[٢]((فأتى به وبـ(صاحب) حين ذكره في معرض النهي عن

---

(١) المفردات ص ٥٩٣

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي ص٨٤٤-٨٤٥ وينظر : الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ص ٢٤٧

اتّباعه))[١]يضاف إلى ما تقدّم أنّه أضاف (ذو) إلى (النون) في موضع الثناء وأضاف (صاحب) إلى (الحوت) في موضع الذمّ ؛ لأنّ النّون هو الحوت العظيم ، فهو أعظم وأشرف وأخصّ من الحوت الذي يعني السمك كبيره وصغيره

٢-**الذرية والولد** : قال الله تعالى : (قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً) ولو أراد الولد لقال : رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ولدًا ، لكن لمَّا قال (ذُرِّيَّةً) فقد أراد معنى الذرية لا معنى الولد ؛ والدليل على ذلك أنَّ هذا هو الذي أخبرنا به الله سبحانه قال الواحدي في تفسير هذه الآية : (((ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً) نسلاً مباركًا تقيًّا))[٢] وقال القرطبي : (((ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً) أي : نسلاً صالحًا))[٣] وقال ابن عطية : ((والذرية اسم جنس ، يقع على واحد فصاعدًا٠٠٠وهكذا كان طلب زكريا عليه السلام))[٤]فزكريا عليه السلام لم يسأل ربه أن يهب له ولدًا ليفرج عنه همَّ العقم فحسب ، بل سأله الذرية الطيبة ليعمّ خيرها ونفعها له ولمن بعده[٥]

٣-**الذهاب والهجرة** : قال الله تعالى : (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ){الصافات : ٩٩} وقال تعالى ☹إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي){العنكبوت : ٢٦} والهجرة غير الذهاب ، والدليل على ذلك أنَّ أهل اللغة فرقوا بينهما في التعريف ، قال ابن فارس : ((الذال والهاء والباء أصيل يدلُّ على حسن ونضارة من ذلك الذهب معروف٠٠٠وبقي أصل آخر ، وهو ذهاب الشيء

---

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ص ٢٤٧

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٤٣٣/١

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٥٧/٤

(٤) المحرر الوجيز ٤٢٧/١

(٥) ينظر : التحرير والتنوير ٩٠/٣

مُضيّه ، يقال : ذَهَبَ يَذهَبُ ذَهابًا وذُهوبًا ، وقد ذهب مذهبًا حسنًا))[١] وقال الراغب : ((الذهب معروف۰۰۰والذَّهاب المُضي ، يقال : ذهب بالشيء وأذهبه ، ويستعمل ذلك في الأعيان والمعاني ، قال الله تعالى : (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ){الصافات : ٩٩} وقال تعالى : (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ){هود ٧٤}))[٢]((والذهاب : السير والمرور۰۰۰والمذهب : المعتقَد الذي يذهب إليه))[٣] فـ((ذهب به وأذهبه غيرُه : أزاله))[٤] ومعنى أذهبتم في قوله تعالى : تعالى : (أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا){الأحقاف : ٢٠}هو كمعنى قوله تعالى : (إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاء){الأنعام : ١٣٣}

وعرَفوا الهجرة بأنَّها تعني مفارقة الإنسان غيره ، وترك بلد والاتجاه إلى بلد آخر ، والخروج من دار الكفر إلى دار الإيمان ، كما فعل المهاجرون حين هاجروا من مكة إلى المدينة[٥]والدليل على ذلك أيضًا أنَّه لا لا يصح أن تقع الهجرة موقع الذهاب وأن تكون بتقديره في أكثر المواضع ، كقوله تعالى : (اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى) فلا يصح أن يأمر الله موسى بالهجرة إلى فرعون ؛ لأنَّ الهجرة تكون إلى الصالحين لا إلى الطواغيت ، وقوله تعالى : (إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ){النساء : ١٣٣} لأنَّ المراد من إذهاب الناس موتهم لا مفارقتهم ، وإذا جاز أن تحلَّ موقعه في

---

(١) مقاييس اللغة ص ٣٢٢-٣٢٣

(٢) المفردات ص ١٨٨

(٣) لسان العرب ٤٨/٦

(٤) لسان العرب ٤٨/٦

(٥) ينظر : مقاييس اللغة ص ٩٣٠ والمفردات للراغب ص ٥٦١

بعض التراكيب فلتقاربهما فيها في الفائدة ، فيظنّ الضعيف العلم باللغة أنّهما بمعنى واحد ، كما قال الزجاج وغيره

قال الطبري : ((وقوله : (إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي){الصافات : ٩٩} يقول : إنّي مهاجر من بلدة قومي إلى الله ، أي : إلى البلدة المقدسة)) [١] والحقيقة أنَّه لا بدَّ من أن يكون بينهما فرق دلالي ، وقد نقل الطبري نفسه المذهب الآخر الذي جعل الذهاب على معناه ، فقال : ((عن قتادة (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ) ذاهب بعمله وقلبه ونيته ، وقال آخرون : إنَّما قال إبراهيم (إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي) حين أرادوا أن يُلقوه في النار٠٠٠عن أبي إسحاق ، قال : سمعت سليمان بن صُرَد ، يقول : لمَّا أرادوا أن يلقوا إبراهيم في النار (قَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ) فلمَّا ألقيَ فيها ، قال : حسبي اللهُ عليه توكلتُ ، أو قال : حسبي الله ونعم الوكيل ، قال : فقال الله : (قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ){الأنبياء : ٦٩}))[٢] وقال القرطبي : ((وقيل : قال هذا قبل إلقائه في النار ، وفيه على هذا القول تأويلان ، أحدهما : إنِّي ذاهب إلى ما قضاه عليَّ ربي ، والثاني : إنِّي ميِّتٌ ، كما يقال لمن مات : قد ذهب إلى الله تعالى ؛ لأنَّه عليه السلام تصوَّر أنَّه يموت بإلقائه في النار ، على المعهود من حالها في تلف ما يُلقى فيها ، إلى أن قيل لها : (كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا) فحينئذ سلم إبراهيم منها ، وفي قوله (سَيَهْدِينِ) على هذا القول تأويلان : أحدهما : سيهديني إلى الخلاص منها ، والثاني : سيهديني إلى الجنة ، وقال سليمان بن صُرَد ، وهو ممن أدرك النبي صلى

---

(١) ينظر : جامع البيان ٩٠/٢٣ وينظر : الوسيط للواحدي ٥٢٩/٣ والكشاف ٥٠/٤

(٢) جامع البيان ٩٠/٢٣

الله عليه وسلم...فلمَّا ذُهِب به ليُطرَح في النار ، قال حسبي الله ونعم الوكيل))[1]

فقال (سَيَهْدِينِ) ليهديه الله سبحانه كيف ينجو من هذه المحنة ، فهداه الله إلى أن يقول ويدعو : حسبي الله ونعم الوكيل ، فنجَّاه منها ، فيكون قول إبراهيم عليه السلام : (إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ) هو كقول موسى عليه السلام : (فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ {٦١} قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ){الشعراء : ٦١-٦٢}

فقد أراد من الذهاب في قوله تعالى : (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ) الذهاب بعينه ، وأنَّه كان بالمعنى الذي قاله قتادة : ذهاب بالعمل والقلب والنية ، فقوله (إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي) معناه : ((إنِّي ذاهب إلى ربي بقلبي وعملي ونيتي))[2] ((أي : إنِّي ذاهب بعملي وعبادتي ، وقلبي ونيتي ، فعلى هذا ذهابه بالعمل لا بالبدن))[3] وقد تقدم أنَّ الذهاب يستعمل في الأعيان والمعاني ، فهذا هو المعنى المراد من الذهاب في سورة الصافات ، سواء قال بالذهاب قبيل إلقائه في النار أو بعيده مباشرة ، وأنَّه كان قبل قوله : (إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي){العنكبوت : ٢٦}

فإرادة الهجرة ومفارقة قومه والقول ٥٤٤رصرا لأخ فيما بعد ، بعد أن بيَّن لقومه فساد عبادتهم ، وبعد أن علم بأنَّهم لا يهتدون ، وأنَّ مصيرهم النار لا محالة ، حينئذ أراد الهجرة من أرض قومه إلى أرض الشام ، قال تعالى : (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ {٢٤} وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ

(١) الجامع لأحكام القرآن ٧٧/١٥

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ٣١٣/٦

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧٧/١٥

بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ {٢٥} فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ {٢٦} وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ){العنكبوت : ٢٦-٢٧} وقد قرن إرادة الذهاب بالهداية ، لأنَّه أراد منها أن يهديه ماذا يفعل ، أيبقى مع قومه أم يفارقهم ؟

باب الراء

١-**الرأفة والرحمة** : وردت الرحمة ومشتقّاتها في القرآن الكريم في مواضع كثيرة جدًّا في حين ووردت الرأفة بهذه الصيغة في موضعين في قوله تعالى : (وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ){النور : ٢} وقوله تعالى : (وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً){الحديد : ٢٧} وبصيغة فعول في أحد عشر موضعًا، واقترنت بالرحمة بصيغة فعيل في تسعة مواضع منها :

قوله تعالى ☹إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ){البقرة : ١٤٣}

وقوله تعالى : (وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ){الحديد ٩}

وجاءت غير مقترنة بها في موضعين في قوله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ){البقرة : ٢٠٧}وقوله تعالى : (وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗوَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ){آل عمران : ٣٠}

قال الطبري في تفسير قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ){البقرة : ١٤٣}((ويعني بقوله جلّ ثناؤه : (إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ) أنّ الله بجميع عباده ذو رأفة ، والرأفة أعلى معاني الرحمة٠٠٠وإنّما أراد جلَّ ثناؤه بذلك أنّ الله عزّ وجلّ أرحم بعباده من أن يضيع لهم طاعة أطاعوه بها فلا يثيبهم عليها ، وأرأف بهم من أن يؤاخذهم بترك ما لم يفرضه

عليهم٠٠٠وأنا أرأف بخلقي من أن أعاقبهم على تركهم ما لم آمرهم به))[١] وقد يفهم من كلامه أنّ الرأفة بالناس تعني دفع الضررعنهم بعدم معاقبتهم على معصية لم يرتكبوها ، والرحمة تعني جلب المنفعة لهم بإثابتهم على طاعتهم له .

وقال الجوهري : ((الرأفة أشدّ الرحمة))[٢] وجاء في التاج : ((الرأفة : أشدّ الرحمة وأرقّها ، كما في الصحاح وفي المجمل : إنّها مطلَق الرحمة وأخصّ٠٠٠وقال الفخر الرازي : الرأفة مبالغة في رحمة خاصّة من دفع المكروه وإزالة الضر)) [٣]((وأصل الرأفة : اللين ، والرحمة : الشفقة))[٤]((والرأفة في المشهور : الرحمة ، لكن قال بعض الأفاضل : إنّها إذا ذُكرت معها يراد بالرأفة ما فيه درء الشرّ ورأب الصدع ، وبالرحمة ما فيه جلب الخير ؛ ولذا ترى في الأغلب تقديم الرأفة على الرحمة ؛ وذلك لأنّ درء المفاسد أهمّ من جلب المصالح))[٥] ((وخصّ المحققون من أهل اللغة الرأفة بمعنى رحمة خاصّة ، فقال أبو عمرو بن العلاء : الرأفة أكثر من الرحمة ، أي : أقوى ، أي : هي رحمة قويّة ، وهو بمعنى قول الجوهري : الرأفة أشدّ الرحمة ، وقال في المجمل : الرأفة أخصّ من الرحمة٠٠٠واستخلص القفّال من ذلك أن قال : الفرق بين الرأفة والرحمة أنّ الرأفة مبالغة في رحمة خاصّة ، وهي دفع المكروه وإزالة الضر ، وأمّا الرحمة فاسم جامع يدخل فيه ذلك

---

(١) جامع البيان ٢/٢٥

(٢) الصحاح ص ٣٨١

(٣) تاج العروس ٢٣/١٧٤

(٤) فتح القدير ٥/٢٢٢

(٥) روح المعاني ١٤/١٨٩

المعنى ويدخل فيه الإفضال والإنعام))[1]((والرأفة : الرحمة المتعلقة بدفع الأذى والضرّ فهي رحمة خاصّة٠٠٠والرحمة : العطف))[2]

وصفوة ما تقدم ذكره أنّ بين الرحمة والرأفة فروقًا نجملها فيما يأتي :

١-أنّ في الرحمة معنى العطف والشفقة وفي الرأفة معنى اللين والرقّة .

٢-الرحمة تعني جلب المنافع للناس ، والرأفة تعني دفع المضراتّ عنهم .

٣-أنّ الرأفة تعني الخوف مِن وقوع المكروه على من تحبّه ، والرحمة تعني العطف والشفقة عليه بعد وقوعه فيه؛ لذلك تكون الرأفة مقدَّمة على الرحمة ، وقد وردت متقدمة على الرحمة في كلّ مواضع ورودهما معًا مقترنتين في القرآن الكريم

٤-الرأفة تعني الرحمة لكنّها أخصّ منها وأقوى وأشدّ ، والرحمة أعمّ ، فقد تضرب ابنك عندما يسيء ، تضربه لتأديبه ، فلم ترأف به بعدم ضربه ، وفي عدم الرأفة عليه في هذه الحالة رحمة له ، وهو إبعاده عن سوء الخلق فينشأ مستقيم السلوك فينفع بذلك نفسه ووالديه وبلده وأمّته ، فقد تكمن في عدم الرأفة الرحمة قال تعالى : (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ){النور : ٢}فالمراد من الرأفة عدم اللين ففي عدم الرأفة واللين بالزاني والزانية رحمة لهما ؛ لأنّ هذا العقاب قد يمنعهم من الرجوع لارتكاب هذه المعصية ، ورحمة لهما أنّها تكون كفارة لهما فلا يعاقبان عليها يوم القيامة ،

---

(١) التحرير والتنوير : ٢٦/٢

(٢) التحرير والتنوير : ٣٧٨/٢٧

وعقاب الآخرة أشدّ ، وفيه رحمة للمجتمع وللأمّة ، فالأمم السابقة ما هلكت إلّا بعد أن فشى فيها الزنا والفحشاء

٢-**الرجز والرجس : الرجز** : قال الخليل : ((الرجز : العذاب ، وكلّ عذاب أُنزِل على قوم فهو رجز ، ووسواس الشيطان رجز ، والرجز : عبادة الأوثان ، ويقال : اسم الشرك كلّه رجز ، وقرئ (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ){المدثر : ٥} بكسر الراء وضمّها ، وهما واحد ويراد به الصنم))[١]وقال أبو علي النحوي : ((قرأ عاصم في رواية حفص (وَالرُّجْزَ) بضم الراء ، وقرأ الباقون وأبو بكر عن عاصم (وَالرِّجْزَ) بكسر الراء . قال أبو علي : قال أبو الحسن مضمومة ، وقال : هو اسم صنم فيما زعموا . ومن كسر فقال : (وَالرِّجْزَ) فالرِّجز : العذاب ، فالمعنى : وذا العذاب فاهجر يعني الأصنام ؛ لأنّ عبادتها تؤدّي إلى العذاب ، وقد قال : (لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ){الأعراف : ١٣٤}ويجوز أن يكون (الرِّجْزَ) و(الرُّجزَ) بالكسر والضمّ لغتين كالذِّكْر والذُكْر ، قال قتادة : هما صنمان كانا عند البيت : إساف ونائلة))[٢]

وقال ابن فارس : ((الراء والجيم والزاء أصل يدلّ على اضطراب ، من ذلك الرجز : داء يصيب الإبل في أعجازها ، فإذا ثارت النّاقة ارتعشت فخذاها ، ومن هذا اشتقاق الرجز من الشعر ؛ لأنّه مقطوع مضطرب٠٠٠فأمّا الرجز في قوله تعالى : (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ){المدثر : ٥} فذاك من بابالإبدال ؛ لأنّ أصله السين))[٣] و((أصل الرجز الاضطراب ، ومنه قيل : رَجَزَ البعير رجزًا فهو أرجز وناقة رجزاء : إذا تقارب خطوها

---

(١) العين ص ٣٣٨

(٢) الحجّة في علل القراءات السبع ٤٨٤/٤

(٣) مقاييس اللغة ص ٣٧٢

واضطرب لضعف فيها))[١] و((قوله تعالى : (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ){المدثر : ٥} أي : عبادة الأوثان ، وأصل الرجز : العذاب ، والمعنى : اهجر ما يؤدّي إلى الرجز ، والأمر وإن كان له في الصورة فهو لغيره في المعنى ؛ لأنّه عليه الصلاة والسلام لم يزل هاجرًا ذلك ، أو المعنى : دم على ذلك ، وأصله الاضطراب٠٠٠وقوله تعالى : (وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ){الأعراف : ١٣٤} يعني العذاب الفظيع))[٢]

-**الرجس** :قال الخليل : ((رجس : كلّ شيء يُستقذَرُ فهو رجس كالخنزير٠٠٠والرجس في القرآن العذاب كالرجز ، وكلّ قذر رجس ، ورجس الشيطان وسوسته وهَمْزُه ، والرجس : الصوت الشديد للرعد ، والبعير مِرجسٌ ورَجاس ، والرجس : أيُّ صوت ، والسحاب يرجسبصوته ، والغمام الرواجس الرواعد))[٣]وقال ابن فارس : ((الراء والجيم والسين أصلٌ يدلّ على اختلاط ، يقال : هم في مرجوسة من أمرهم ، أي : اختلاط ، والرجس : صوت الرعد ، وذلك لأنّه يتردد٠٠٠ومن الباب : الرجس : القَذَر ؛ لأنّه لَطْخٌ وخَلْطٌ))[٤] و((الرجس : الشيء القذر٠٠٠وقوله تعالى : (وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ){يونس : ١٠٠} قيل : الرجس : النتن ، وقيل : العذاب ، وذلك كقوله تعالى : (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ){التوبة : ٢٨} وقال تعالى : (أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ){الأنعامَ : ١٤٥} وذلك من حيث الشرع))[٥]

---

(١) المفردات ص ١٩٤

(٢) عمدة الحفّاظ ٢/٧١-٧٢

(٣) العين ص ٣٣٨

(٤) مقاييس اللغة ص ٣٧٢

(٥) المفردات ص ١٩٥

و((الرجس : اسم لكلّ متقذَّر ثمّ استعمل في الأفعال القبيحة٠٠٠والرجس : العمل المؤدّي إلى العذاب فيُطلَق ويراد به العذاب كقوله تعالى : (وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ){يونس : ١٠٠} وقيل : أراد به اللعنة ، وقيل : النتن٠٠٠وقوله تعالى : (فَإِنَّهُ رِجْسٌ){الأنعامَ : ١٤٥} أي : مستقذر طبعًا وشرعًا ؛ وذلك لأنّه لا أقذر في الحيوان من الخنزير))[١]

فالرجز ما دلّ على الاضطراب أو ما اتصف به أو أفضى إليه كالعذاب.

والرجس ما دلّ على الاختلاط أوما اتصف به أو أفضى إليه، كالأشياء القذرة والأفعال القبيحة ، وما عذّب الله به الكافرين في الدنيا والآخرة يجمع بينهما لأنّ في العذاب ما يدلّ عليه الرجز وما يدلّ عليه الرجس ، فعبّر عن الرجز والرجس بالعذاب ؛ لأنّ في العذاب تضطرب وتختلط فيه أواع شتى من العذاب النفسي والبدني ، وفي العذاب كل ما يستقذَر منه

٣-**الرّحمن والرحيم** : فيما يتعلق بلفظ (الرحمن) و(الرحيم) ثلاثة أقوال:

الأول: أنّهما مترادفان في المعنى .

والثاني: أنّ الرحمن : رحمة الله في الدنيا ، والرحيم : رحمته في الآخرة

والثالث : العكس من ذلك ، أنّ الرحمن: رحمن الآخرة ، والرحيم : رحيم الدنيا [٢]

---

(١) عمدة الحفّاظ٧٢-٧٣

(٢) ينظر : الدرّ المصون ١/٣٢-٣٥

وقد ذهب الطبري إلى أنّ الرحمن رحمة الله في الدنيا تعمّ المؤمنين والكافرين ، والرحيم رحمة خاصّة بالمؤمنين في الآخرة مستشهدًا بقوله تعالى : (وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا){الأحزاب : ٤٣}[١]

فقد رجّح كثير من أهل التفسير المذهب الثاني ، وهذا ما تبنّاه أحد الباحثين فقال : ((ومن هنا قيل في التفسير : إنّ الله تعالى هو الرحمن لجميع الخلق ، برّهم وفاجرهم ، محسنهم ومسيئهم ، والرحيم بالمؤمنين خاصّة لقوله تعالى : (وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا){الأحزاب : ٤٣}))[٢]

وهذا القول مردود بالنصّ القرآني ، وكيف يليق بالطبري ومن تبعه من المفسرين ، وكيف تسنّى للباحث أن يتبنّى هذا القول ، وكيف تسنّى لهم جميعًا أن يستشهدوا لتأييدهم مذهبهم بقوله تعالى : (وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا){الأحزاب : ٤٣} ونسوا قوله تعالى : (إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ){البقرة : ١٤٣}

فالله سبحانه في الدنيا مثلًا يرزق عباده جميعا الطائعين له والعاصين ، والدليل على ذلك قوله تعالى : (إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ){البقرة : ١٤٣} فـ(الناس) لفظ عام يعني المؤمن والكافر ، ويكون المقصود من (الرحمن) رحمته في الآخرة التي تخصّ أهل الإيمان والتوحيد من دون أهل الكفر والإشراك.

---

(١) ينظر : جامع البيان ٦٦/١ وينظر الوسيط للواحدي ٦٥/١ وأنوار التنزيل للبيضاوي ٢٧/١

(٢) دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني ص ٢٤٠ وهو في الأصل أطروحته في الدكتوراه

يضاف إلى ذلك أنّه إذا استندنا إلى العدد يترجح أيضًا القول الأخير ؛ إذ قد ورد لفظ (الرحمن) ٥٧ مرة ، وورد لفظ (الرحيم) ١١٤ مرة ، أي : ضعف (الرحمن)

فالمراد إذن من الرحمن رحمته التي تخصّ عباده المؤمنين في الآخرة ، والمراد من (الرحيم) رحمته في الدنيا التي تشمل المؤمنين وغير المؤمنين .

ولكن هذا لا يعني أنَّ رحمة الله يوم القيامة ، أقل من رحمته في الدنيا ، بل هي في الآخرة مضاعفة وأعظم ؛ كما جاء ذلك عن لسان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في الصحيحين ، البخاري ومسلم ، بأنَّ الله ، سبحانه ، جعل رحمته مئة جزء ، فأمسك عنده تسعة وتسعين ، أخَّرها الله تعالى ، ليرحم بها عباده يوم القيامة ، وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا ، فمن ذلك الجزء تتراحم الناس والخلائق فيما بينها ، حتى ترفع الدابَّة حافرها عن ولدها ؛ خشية أن تطأه .

إلّا أنَّ رحمة الله هذه يوم القيامة ؛ وإن كانت أعظم ، وتمثل التسعة والتسعين ؛ إلّا أنَّها تكون خاصة بأهل الإيمان والتوحيد ، من دون أهل الكفر والإشراك ؛ بدلالة قوله تعالى : (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ {١٥٦} الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ){الأعراف : ١٥٦–١٥٧} جاء في تفسير قوله تعالى : (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ)((ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا ، البرَّ والفاجر ، وفي الآخرة هي للمتقين خاصة ، قاله الحسن وقتادة ، فعلى هذا معنى الرحمة في الدنيا

للكافر أنَّه يُرزَق ، ويُدفَع عنه))[1]((وقال عطية العوفي : وسعت كل شيء ، ولكن لا تجب إلّا للمتقين ؛ وذلك أنَّ الكافر يُرزَق ويُدفع عنه ببركة المؤمن... فإذا صار للآخرة وجبتْ للمؤمن خاصّة))[2]

إذن رحمة الله في الدنيا تشمل الناس كافة ، المؤمنين والكافرين ، أمَّا رحمته في الآخرة فهي خاصة بالمؤمنين ، وهذا يعني أنَّ الناس المشمولين برحمة الله في الدنيا يعدلون ضعف الناس المشمولين برحمة الله في الآخرة ؛ ولهذا رجحنا أنَّ الرحيم : هي رحمة الله في الدنيا ، وأنَّ الرحمن : هي رحمة الله في الآخرة ؛ لأنَّ لفظ : الرحيم تكرر في القرآن الكريم ضعف لفظ الرحمن

٤-**الرحمة والصلاة** :قال الله تعالى : {أُولَـٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}{البقرة : ١٥٧}قال الزمخشري : ((الصلاة : الحنو والتعطف))[3] وقال الإمام الغزالي : الصلاة ((الاعتناء بالشأن ، ومعناها الذي يناسب : الثناء والمغفرة ؛ لأنَّ إرادة الرحمة يستلزم التكرار ، ويخالف ما روي : نعم العدلان للصابرين : الصلاة والرحمة)) [4] ومرَّ قول الزركشي : ((على قول من فسَّر الصلاة بالرحمة ، والأحسن خلافه ، وأنَّ الصلاة للاعتناء وإظهار الشرف، كما قال الغزالي وغيره)) [5]

فالصلاة أعظم من الرحمة وأخصّ فالرحمة تشمل كلّ الناس وكل مخلوقاته والصلاة لا تكون إلّا لمن اصطفاه الله برحمة خاصّة وعظيمة

---

(١) زاد المسير ٢٠٧/٣

(٢) اللباب في علوم الكتاب ٣٣٨/٩

(٣) الكشاف ٢٠٦/١.

(٤) روح المعاني ٤٢١/١ .

(٥) البرهان في علوم القرآن ص ٤٧٧ .

٥-**الرزق والعطاء** : قال الله تعالى : (كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ){البقرة : ٦٠}

الرزق : ((الراء والزاء والقاف أصيل واحد يدلُّ على عطاء لوقت ، ثمَّ يُحمَل عليه غير الموقوت ، فالرزق عطاء الله جل ثناؤه ، ويقال : رزقه الله ، والاسم : الرِّزق)) [١]و((الرزق يقال للعطاء الجاري تارة دنيويًا كان أو أخرويًّا ، وللنصيب تارة ، ولِما يصل إلى الجوف ويتغذى به تارة ، يقال : أعطى السلطان رزق الجند ، ورُزِقْتُ علمًا ، قال تعالى : (وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم){المنافقون : ١٠} أي : من المال ، والجاه ، والعلم)) [٢]والرزق : ((ما ينتفَع به من مأكول ، وملبوس ، ونحوهما)) [٣]

العطاء : ((العين والطاء والحرف المعتلّ أصل واحد يدلُّ على أخذ ومناولة ، لا يخرج الباب عنهما ، فالعطو : التناول باليد...والظبي يعطو : وذلك إذا رفع يديه متطاولًا إلى الشجرة ليتناول الورق ، قال الخليل : ومنه اشتقّ الإعطاء ، والمعاطاة : المناولة))[٤] ((وقوله تعالى : (قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى){طه : ٥٠} أي : أمكنه من تناول ما يصلحه))[٥]((والعطو : التناول ورفع الرأس واليدين ...والإعطاء : المناولة ،

---

(١) مقاييس اللغة ص ٣٣٣

(٢) المفردات ص ٢٠١ وينظر : عمدة الحفاظ للحلبي ٢/٨٧-٨٨ وبصائر ذوي التمييز ٣/٦٥-٦٧

(٣) عمدة الحفاظ ص ٢/٨٨

(٤) مقاييس اللغة ص ٦٨٥ وينظر : المفردات للراغب ص ٣٥١-٣٥٢

(٥) عمدة الحفاظ ٣/٩٤

قال تعالى : ﴿فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾{التوبة : ٥٨}))[١]

((فالرزق هو العطاء الجاري في الحكم على الإدرار ؛ ولهذا يقال : أرزاق الجند ؛ لأنَّها تجري على إدرار...وكل ما خلقه الله في الأرض مما يُملَك فهو رزق على الجملة ، بدلالة قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾{البقرة : ٢٩} وإن كان رزقًا في الجملة فتفصيل قسمته على ما يصح ويجوز من الأملاك ، ولا يكون الحرام رزقًا ؛ لأنَّ الرزق هو العطاء الجاري في الحكم ، وليس الحرام مما حُكم به ، وما يفترسه الأسد رزق له بشرط غلبته عليه ، كما أنَّ غنيمة المشركين بشرط غلبتنا عليهم ، والمشرك يملك ما في يده ، أمَّا إذا غلبناه عليه بطل ملكه له ، وصار رزقًا لنا، ولا يكون الرزق إلّا حلالًا ، فأمَّا قولهم رزق حلال فهو توكيد ، كما يقال : بلاغة حسنة ، ولا تكون البلاغة إلّا حسنة))[٢]

والرزق لفظ عام يُطلَق على كلِّ نعمة من نعم الله علينا ، وهي نِعَمٌ لا تُعدُّ ولا تحصى ، فالرزق يعني كل ما كتبه الله لعباده طوال حياته ، فعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال : لا تستبطئوا الرزق فإنه لم يكن عبد ليموت حتى يبلغ آخر رزق هو له فأجملوا في الطلب رواه ابن حبان في صحيحه.

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ) : يا أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب وان نفسًا لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها.. خذوا ما حلّ ودعوا ما حرم . رواه ابن ماجه.

---

(١) بصائر ذوي التمييز ٧٨/٤

(٢) الفروق اللغوية للعسكري ص ١٨٨

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: ... فلا يستبطئن أحد منكم رزقه فإن جبريل ألقى في روعي أن أحدًا منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه ، فاتقوا الله أيها الناس وأجملوا في الطلب فإن استبطأ أحد منكم رزقه فلا يطلبه بمعصية الله فإنَّ الله لا ينال فضله بمعصيته . رواه الحاكم ((وأرزاق بني آدم مكتوبة مقدَّرة لهم ، وهي واصلة إليهم ، جَدُّوا في طلبها أو قصَّروا))[١]

فهذا هو معنى الرزق أينما ورد في كتاب الله ، من ذلك مثلًا قول الراغب ومن تبعه في الرزق : ((وقوله تعالى : (فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ){الكهف : ١٩} أي : بطعام يُتغذَّى به))[٢] وهذا الرزق هو ضمن قوله تعالى : (فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا){الكهف : ١٩} قال أهل الكهف هذا ؛ لأنَّ قومهم كانوا كفارًا إلّا من أخفى إيمانه ، ((فكانوا يذبحون للطواغيت...وكانت أكثر أموالهم غصوبًا ، وقال مجاهد : قالوا لصاحبهم : لا تبتعْ طعامًا فيه ظلم ولا غصب))[٣] وقد فرَّق العسكري بين الرزق والطعام الذي يُتغذَّى به ، بأنَّ الرزق لا يكون إلّا حلالًا ، وما يُتغذَّى به الإنسان قد يكون حلالا ، وقد يكون حرامًا ألا ترى أنَّه يجوز أن يغتذي بالسرقة ، وليست السرقة رزقًا للسارق[٤]واستعمل لفظ الرزق في قوله (فَلْيَأْتِكُم برِزْقٍ مِّنْهُ){الكهف : ١٩} معناه : فليأتكم بالطعام المكتوب والمقسوم لكم من عند الله ، الذي لا يكون

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري ١٤٠١/٢

(٢) المفردات ص ٢٠١ وينظر : عمدة الحفاظ للحلبي ٨٧/٢ وبصائر ذوي التمييز ٦٦/٣

(٣) زاد المسير ٨٩/٥

(٤) ينظر : الفروق اللغوية ص ١٨٨

إلّا من النصيب الحلال ، فبدلًا من أن يذكر هذا الكلام كله ، قال (فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ)

٦-**الرسول والنبيّ : الرسول** : ((الراء والسين واللام أصل واحد مطّرد مُنقاس يدلّ على الانبعاث والامتداد ، فالرَّسْل : السير السهل٠٠٠وتقول : جاء القوم أرسالًا : يتبع بعضهم بعضًا ، والرسول معروف))[1] و((أصل الرِّسْل : الانبعاث على التُّؤَدّةِ ، ويقال : ناقة رِسْلَة سهلة السير ، وإبل مراسيل مُنبعثة انبعاثًا سهلًا ، ومنه الرسول المنبعث ، وتُصُوِّرَ منه تارة الرِّفق ، وتارة الانبعاث فاشتق منه الرسول ، والرسول تارة يقال للرسول المُتَحَمّلُ (بفتح الميم) كقول الشاعر : ألا أبلغْ أبا حفصٍ رسولًا ، وتارة المتحمِّل القول والرسالة (بكسر الميم) والرَّسول يقال للواحد والجمع قال تعالى : (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ){التوبة : ١٢٨} وقال تعالى : (فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ){الشعراء : ١٦} وجمع الرسول رُسُل ، ورُسُلُ الله تارة يرادبها الملائكة ، وتارة يراد بها الأنبياء ، من الملائكة قوله تعالى : (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ){الحاقّة : ٤٠} وقوله تعالى : (قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ){هود : ٨١}))[2]

-**النبيّ** : (النبوّة والنباوة : ما ارتفع من الأرض ، فإن جعلتَ النبيّ مأخوذًا منه ، أي : إنّه شَرُفَ على سائر الخلق ، فأصله غير الهمز ، وهو فعيل بمعنى مفعول، وتصغيره نُبَيٌّ والجمع أنبياء٠٠٠والنبأة : الصوت الخفيّ٠٠٠وسيل نابئ : جاء من بلد آخر ، وكذلك رجل نابئ٠٠٠ونبأتُ من أرض إلى أرض: إذا خرجتَ منها إلى أخرى وهذا المعنى أراده الأعرابي بقوله : يا نبيء الله، أي : يا من خرج من مكة إلى المدينة ، فأنكر عليه

(١) مقاييس اللغة ص٣٣٤-٣٣٥

(٢) المفردات ص ٢٠٢

الهمز٠٠٠والنبأ : الخبر ، تقول : نبأ ونبّأ وأنبأ ، أي: أخبر ، ومنه أُخِذ النبيء ، لأنّه أنبأ عن الله ، وهو فعيل بمعنى مفعول٠٠٠غير أنّهم تركوا الهمزة في النبيّ٠٠٠ويُجمَع أيضًا على أنبياء))[1]و(النبيّ بغير الهمز أبلغ من النبيء بالهمز ؛ لأنّه ليس كلُّ مُنبَّإٍ رفيع القدر والمحل ؛ ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لمن قال : يا نبيء الله فقال : لستُ بنبيء الله ولكن نبيُّ الله لمّا رأى أنّ الرجل خاطبه بالهمز لِبُغْضٍ منه ، والنَّبْوَة والنباوة : الارتفاع))[2] و((النبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظنّ ، ولا يقال للخبر نبأ حتى يتضمّن هذه الأشياء الثلاثة ، وحقُّ الخبر الذي يقال نبأ أن يتعرّى عن الكذب كالتواتر ، وخبر الله تعالى وخبر النبيّ عليه الصلاة والسلام))[3]

((والنبيّ قُرِئَ بالهمز وبغير الهمز ، أي : قرئ : نبيٌّ ونبيء فمن همزه جعله من النبأ وهو فعيل بمعنى مفعول ؛ لأنّه مُنَبَّأ من جهة اللهتعالى ومُخْبَر ، وقيل بمعنى فاعل ؛ لأنّه يُنْبِئُ الإنسان بما أوحى ، ومن قرأه بغير همز جعله من النبوّة والنباوة ، وهو ما ارتفع من الأرض))[4]

فالنبيّ سُمِّيَ بذلك لعلوّه وشرفه على سائر الخلق ، ولأنّه ينبئ عن الله بمعنى يُخبر عنه

وفيما يتعلَّق بالفرق بين الرسول والنبيّ ((قيل : لا فرق بينهما ، وقيل : الرسول أخصّ من النبيّ ؛ لأنّ كلّ رسول نبيٌّ من غير عكس ، وقيل : الرسول الذي معه كتاب الأنبياء ، والنبيّ الذي يُنبئ عن الله وإن لم يكن معه كتاب ، كذا قال جماعة من المفسّرين ، وأورد عليه أنّ لوطًا

---

(1) الصحاح ص ١٠١٤ وينظر : العين للخليل ص ٩٣٣

(2) المفردات ص ٥٠٤

(3) المفردات ص ٥٠٣-٥٠٤

(4) عمدة الحفّاظ ١٣٥/٤

وإسماعيل وأيّوبويونس وهارون كانوا مرسَلين ، كما ورد في التنزيل ، ولم يكونوا أصحاب كتب مستقلّة ، وقيل : الرسول من بعثه الله بشريعة جديدة يدعو النّاس إليها ، والنبيّ من بعثه لتقرير شريعة سابقة ، كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهما السلام ، ويدلّ عليه أنّه صلّى الله عليه وسلّم سُئل عن الأنبياء فقال مئة ألف وأربعة وعشرون ألفًا ، فقيل : فكم الرسل منهم ؟ فقال : ثلاث مئة وثلاثة عشر ، وقيل : الرسول من يأتيه الملَك بالوحي عيانًا ومشافهة ، والنبيّ : لمن يُوحى إليه في المنام))[١]

والمشهور ((أنّ النبيّ إنسان أُوحي إليه بشرع (أي) أحكام سواء أُمِر بتبليغه والدعوة إليه أم لا ، فإن أُمِر بذلك فهو نبي رسول ، فالفرق بينهما بالتبليغ وعدمه ، فالنبي أعمّ من الرسول ، أي : يلزم من كونه رسولًا أن يكون نبيًّا ولا عكس ، وهذا القول هو المشهور وبه قال الجمهور وعامّة الأشاعرة))[٢]

والصحيح أنّ النبيّ من أوحي إليه وأنبأ عن الله ، فإذا أُرسل من جهة الله إلى قومه وأُمِر بتبليغهم بشرع أُنزل عليه أو بشرع من قبله فهو رسول نبيٌّ وإلّا فهو نبيّ وليس برسول ، فإسماعيل عليه السلام مثلًا نبي ورسول ؛ لأنّه أُرسل إلى جرهم ، وكان يأمر أمّته بالصلاة والزكاة ، قال تعالى : (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا){مريم : ٥٤-٥٥}[٣]

---

(١) فروق اللغات ص ١٣٢-١٣٣

(٢) أصول الدين الإسلامي للدكتور عليان والدوري ص ١٧٣

(٣) مدارك التنزيل ص ٦٧٧

أمّا داود عليه السلام فهو ليس برسول بل هو نبي تابع لموسى عليه السلام ، أمّا الزبور الذي أُنزِل عليه فلم يكن كتابًا في الشرع والأحكام ، بل كان مجرّد عِبَر ومواعظ وحِكَم

-**استعمال النبيّ والرسول:** تبيّن أنّ كلّ رسول هو نبيّ ، وليس كلّ نبيٍّ رسولاً ، ونبينا محمدٌ صلى الله عليه وسلّم هو رسول ونبيّ ، وقد ذكر في مواضع بلفظ النبيّ ، وذكر في مواضع بلفظ الرسول ، فلأيّ الأمور ذكر بلفظ الأول ، ولأيّ الأمور ذُكِر بلفظ الثاني

وبعد دراسة هذه المسألة تبيّن **أنّ** المراد بالنبيّ شخص محمد صلى الله عليه وسلّم في علاقته الخاصّة وحياته البشرية الاعتيادية مع الناس ، أو مع زوجاته ، أي المراد من النبيّ كلّ تصرفاته البشرية

كقوله تعالى : (مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ){الأحزاب : ٣٨}

وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ){الأحزاب : ٥٢}

وقوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا){الأحزاب : ٥٦}

وقوله تعالى : (وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ){المائدة : ٨١}

وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ){التحريم : ١}

وقوله تعالى : (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ){الأنفال : ٦٧}

وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ){الأنفال : ٧٠}

وقوله تعالى : (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ){التوبة : ١١٣}

وقوله (لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ){التوبة : ١١٧}

وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا){الأحزاب : ١}

وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا){الأحزاب : ٢٨}

وقوله تعالى : (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ){الأحزاب : ٣٠}

وقوله تعالى : (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ){الأحزاب : ٣٢}

وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ){الأحزاب : ٥٩}

وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ){الطلاق : ١}

ورسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلّم هو رسول ؛ لأنّ الله سبحانه أرسله إلينا وإلى العالمين ، فيستعمل لفظ الرسول ليثبت أنّ رسالته من عند الله كقوله تعالى : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ){آل عمران : ١٤٤}وقوله تعالى : (مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ

النَّبِيِّينَ){الأحزاب ٤٠}وقوله تعالى : (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا){الأعراف : ١٥٨}

ولفظ الرسول يعني الرسالة الإسلامية ويعني كتاب الله الذي تعهّد بحفظه إلى قيام الساعة ، لذلك استعمل الرسول كلما جاء لفظه مقترنًا بلفظ الله

كقوله تعالى : (وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ){آل عمران : ١٠١}

وقوله تعالى : (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ){آل عمران : ١٣٢}

وقوله تعالى : (مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ){النساء : ٨٠}

وقوله تعالى : (وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ){البقرة :١٠١}

ولم يذكر لفظ النبيّ مع الله إلّا في موضع واحد وهو قوله تعالى : (فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ){الأعراف : ١٥٨}فذكر النبيّ ؛ لأنّه أراد أن يذكر صفاته الثلاث أنّه رسول ونبيٌّ وأميٌّ

ولم يرد : وأطيعوا الله والنبيّ ؛ لأنّ الطاعة للرسالة وليس لشخص النبي ، حتى إنّه في بعض الآيات القرآنية تعني كلمة الرسول كتاب الله وشرعه

كقوله تعالى : (وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ){النساء : ١٠٠}يعني : من يخرج مهاجرًا إلى الله وإلى دينه وشرعه ، أي : ما جاء في الكتاب والسنّة

وقوله تعالى : (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا){الفتح : ٨-٩} يعني : لتؤمنوا بالله وشرعه ، أي : لتؤمنوا بما جاء في الكتاب والسنّة

فحيث ذكر النبي أراد شخص النبيّ قضاياه الخاصّة وعلاقاته الشخصية مع الآخرين ، وحيث ذكر الرسول أراد الرسالة الإسلامية وشرع الله وكتابه من ذلك قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ){الحجرات : ١-٣}

فالمراد من قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) يفيد النهي من أن يقدموا أمورهم على أمر الشرع ، والنهي من الإقدام على أمر من الأمور دون الاحتذاء على أمثلة الكتاب والسنّة

وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ) يتعلّق بشخص النبي صلى الله عليه وسلّم وهو أن يراعوا أبّهة النبوة وجلال مقدارها

وقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) يفيد أنّ خفض الصوت بحضرة الرسول دليل على تقوى الله وإجلال الرسالة الإسلامية وتعظيمها [١]

٧-**الرُّشْد والهدى :** الرشد نقيض الغي، ورشد فلان إذا أصاب وجه

(١) ينظر : مدارك التنزيل ص ١١٥٠

الأمر والطريق ، والإرشاد : الدلالة والهداية فالرشد يدل على استقامة الطريق[1]

فـ((الرَّشَد والرُّشْد خلاف الغي٠٠٠وقال بعضهم : الرَّشَدُ أخصّ من الرُّشْد ، فإنّ الرُّشْد يقال في الأمور الدنيوية والأخروية ، والرَّشَد يقال في الأمور الأُخروية لا غير والراشد والرشيد يقال فيهما جميعًا))[2]

فالرَّشَد والرُّشْد خلاف الغي ، والغي الجهل بالأمور وفساد الرأي والاعتقاد ، والذي أراه أنّ الرشد يعني العلم بالأمور وإدراك الصالح منها والفاسد ، أي التمييز بينهما والتمييز بين ما ينبغي فعله وبين ما لا ينبغي فعله ؛ والدليل على ذلك أنّ الرشد يبدأ إطلاقه على من يبلغ الحلم ، قال تعالى : ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾{النساء : ٦}فهذا هو أول الرشد القدرة على التمييز .

فهذه هي دلالة الرشد أمّا الهدى فقد يطول الكلام فيه ويدقّ ، فقد عرّفه ابن فارس بقوله : ((الهاء والدال والحرف المعتل ، أصلان : أحدهما التقدم للإرشاد ، والآخر بعثة لطف ، فالأول قولهم : هديته الطريق هداية ، أي : تقدمته لأرشده ، وكل متقدم لذلك هاد٠٠٠ والأصل الآخر : الهدية ، ما أهديت من لطف إلى ذي مودة)) [3] وجاء في كتاب الكليات للكفوي : ((الهداية عند أهل الحق : الدلالة على طريق من شأنه الإيصال ، سواء حصل الوصول بالفعل في وقت الاهتداء ، أو لم يحصل ، وعند صاحب الكشاف لا بد من الإيصال البتة ٠٠٠ وقد أجاب الفخر الرازي بأنَّ الهداية لا تقابل إلّا الضلال الذي هو ترك الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب)) [4]

---

(1) ينظر : العين للخليل ص ٣٥٠ ومقاييس اللغة ص ٣٣٧

(2) المفردات للراغب ص ٢٠٣

(3) مقاييس اللغة ص ٩٣٣.

(4) ص ٨٠٣.

فالهادي إذن هو الذي يوصل المقتدي به إلى الأمر المنشود ، لتتحقق المعاني اللازمة له كالبيان والدعوة والإرشاد بالقول والعمل ، وبالإمامة والاقتداء ، وكذلك الهدى هو الطريق الذي يوصل سالكيه إلى أسمى الغايات المنشودة ، والمهتدي هو الذي يطلب الهدى ويتحراه ، أو هو الذي يقتدي بالهادي ، أو ما يقوم مقامه ، يقول الفيروزآبادي : ((ويقال المهتدي لمن يقتدي بعالم ، نحو قوله تعالى : (أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ){المائدة : ١٠٤} تنبيهًا أنَّهم لا يعلمون بأنفسهم ، ولا يقتدون بعالم ، وقوله تعالى : (فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ){النمل : ٩٢} فالاهتداء هنا يتناول وجوه الاهتداء من طلب الهداية ، ومن الاقتداء ومن تحريها)) [١]

أي : أن دلالة لفظ الهدى يجب أن تتوافر فيها ثلاثة عناصر أساسية ، وهي : الإمامة والاقتداء والإيصال ، ولا يتم الإيصال إلّا بتوفيق من الله ، وبإذنه كما قال جل ذكره : (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلّا بِإِذْنِ اللّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ){يونس : ١٠٠}

ولما كان عمل المقتدى والمقتدي لا فائدة منه ، ولا أثر له إلّا بالإيصال ، ولما كان الإيصال لا يتم إلّا بتوفيق من عند الله ؛ فقد نفاه الله سبحانه عن كل إنسان كائنًا من كان ، حتى نفاه عن محمد صلى الله عليه وسلَّم سيد بني آدم ، وسيد الرسل والأنبياء ، وخير خلقه ، وذلك في قوله تعالى : (إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ){القصص : ٥٦} لذلك نسب الله الهدى إليه ، إلّا أنَّ الله سبحانه من أجل الاختبار ، ولجعل الجزاء مترتبًا عليه جعل هداه للناس متعلقًا بعمل المقتدى والمقتدي ؛ فإذا أريد في مواضع مراعاة عمل المقتدى ، نسب الله

([١]) بصائر ذوي التمييز ٣١٨/٥.

الهدى إليه ، فقد نسبه إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ){الشورى : ٥٢} كما نسبه إلى إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى : (يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا){مريم : ٤٣} كما نسبه إلى الصالحين : (وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ){غافر : ٣٨} وقوله تعالى : (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ){الرعد : ٧}

وإذا أريد مراعاة المقتدي نسب الهدى إليه ، كقوله تعالى : (فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ){النمل : ٩٢}

وهدى الله للإنسان جاء في القرآن الكريم على ثلاث مراحل جميعها لا تخرج عن دلالة الهدى:

الأولى : وهو ما سُمِّي بالإلهام ، كما قال الله تعالى : ((قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى){طه : ٥٠} وهذا الهدى يشمل الإنسان والبهائم على حد سواء ، فقد هداهم جميعًا كيف يعيشون وكيف يتناسلون .

الثانية : الهدى المقصود في قوله تعالى : (إِنَّا خَلَقْنَا الأنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا {٢} إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا){الإنسان : ٢-٣}

قال الفراء : ((عرفناه السبيل ، شكر أو كفر))[1]((وعن مجاهد... الشقاوة والسعادة ... وعن ابن زيد ، قال : ننظر ، أي شيء يصنع ، أي الطريقين يسلك ، وأي الأمرين يأخذ ، قال : وهذا الاختبار))[2] وقال الزجاج : ((وهديناه الطريق ، إمَّا لشقوة ، وإمَّا لسعادة)) [3]

([1]) معاني القرآن ١٠٥/٣ ، وينظر : جامع البيان ٢٤٥/٢٩-٢٤٤.

([2]) جامع البيان ٢٤٥/٢٩

([3]) معاني القرآن وإعرابه ٢٠٠/٣.

وفي قوله تعالى : (أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ {٨} وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ {٩} وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ){البلد : ٨-١٠} والراجح من المراد من النجدين في كتب التفسير سبيلا الخير والشر [١]

وفي قوله تعالى : (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ){ص : ١٧} وهذا هو هدى الله الثاني للإنسان والأمم في هذه الشواهد القرآنية الثلاثة ، وهو هدايتهم كيف يعرفون الخير ، وكيف يعرفون الشر ، وكيف يميزون بينهما ، ويكون ذلك بالفطرة ، والإلهام ، وبعث الرسل ، وهو ما خص به الإنسان من دون البهائم ؛ لأنَّه هو المكلَّف بطاعة الله من دونها .

وفي هذه المرحلة يمنح الله الإنسان والأمم حرية الاختيار ؛ من أجل اختبارهم ، فإذا اختاروا سبيل الخير وتحروه واجتهدوا في طلبه ؛ جزاهم الله على ذلك بأن يقذف في قلوبهم حب الخير ، والميل إلى ما يجب فعله ، وكره الشر وترك ما يجب تركه ، وهذا ما سُمِّي بالتوفيق الذي يمثل المرحلة الثالثة من مراحل الهدى ، واستشهد له الراغب بقوله تعالى : (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ){محمد : ١٧} وقوله تعالى : (مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ){التغابن : ١١} وقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ){يونس : ٩} وقوله تعالى : (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ){العنكبوت : ٦٩} وقوله تعالى : (وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى){مريم : ٧٦) وقوله تعالى : (فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ){البقرة : ٢١٣}[٢]

([١]) ينظر : معاني القرآن للفراء ١٥٤/٣ ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ص ٢٩٠ ، وجامع البيان ٢٤١/٣٠-٢٤٤ ، ومعاني القرآن وإعرابه ٢٠٠/٣.

([٢]) المفردات في غريب القرآن ص ٥٦٣ .

وإذا اختاروا سبيل الشر ، وتحروه ، واجتهدوا في طلبه ، أضلهم الله ؛ لذلك قال تعالى في ثمود : (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى){ص : ١٧} والمعنى : وأمَّا ثمود فهديناهم كيف يعرفون طريق النور ، وكيف يعرفون طريق الظلام ، وكيف يميزون بينهما ، ومكناهم من اختيار طريق الحق وسلوكه وكان ذلك بالفطرة والإلهام وبعث النبي صالح إليهم ، وما كان من أمر الناقة ، فلوا أنَّهم اختاروا هذا الطريق ؛ لهداهم الله هدى التوفيق ، لكنهم لم يختاروه ولم يحرصوا على طلبه والسير فيه ، بل آثروا عليه ، ما هم عليه من عمى وظلام ، لذلك أضلهم الله ، ولم يهدهم هدى التوفيق ، بعد أن هداهم هدى الإلهام فقد علق الله هدى التوفيق باختيار سبيل الحق والاجتهاد في طلبه ، كقول الله تعالى : (إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ){النحل : ٣٧} وقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللّهِ لاَ يَهْدِيهِمُ اللّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ){النحل : ١٠٤} وقوله تعالى : (ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ {١٠٧} أُولَـئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ){النحل : ١٠٧–١٠٨} وقوله الله تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ {٣} كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ)الحج : ٣–٤} ونحو هذا كثير في القرآن الكريم

ولأنَّ الهدى يعني ما يُقتدى ؛ ليبلغ به المقتدي ما يبتغي ؛ فقد نسبه الله إلى النجم في قوله تعالى : (وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ){النحل : ١٦}ولذلك أيضًا وصف الله الكعبة بالهدى ؛ لأنَّ الناس يستقبلونها في صلاتهم ، ويتوجهون إليها في حجهم ، لينالوا بذلك مغفرة الله ويظفروا برضاه ، قال الله تعالى : (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ)آل عمران : ٩٦}

وصفوة ما طال الكلام فيه أنّ العلاقة بين الرشد والهدى أنّ الرشد يعني بلوغ مرحلة إدراك الأمور والتمييز بين الصالح والنافعمنها والفاسد والضارّ، والهدى سلوك الطريق السويّ المستقيم ، وأرى أنّ العلاقة بينهماأنّ الرشد يؤدّي إلى الهدى، أو أنّ الهدى سببه الرشد ، فمن لم يدرك الأمور ويميز بين نافعها وضارّها ، ضلّ ، ومن أدرك وميز اهتدى

٨-**الرعب والرهبة والشفقة والفزع : الرعب** : ((الرعب الانقطاع من امتلاء الخوف٠٠٠قال تعالى : (سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ){آل عمران : ١٥١} وقال تعالى : (وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا){الكهف : ١٨}))[١]

-**الرهبة** : ((الرهبة والرَّهْب مخافة مع تحرز واضطراب٠٠٠قال تعالى : (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا){الأنبياء : ٩٠}٠٠٠والترهّب التعبّد وهو استعمال الرهبة ، والرهبانية غُلُوٌّ في تحمّل التعبّد من فرط الرهبة))[٢]و((قيل : وأصل ذلك من الرَّهابة ، وهي عظام الصدر ؛ لأنّها تضطرب عند الخوف))[٣]

وفرّق العسكري ((بين الخوف والرهبة أنّ الرهبة طول الخوف واستمراره ، ومن ثَمَّ قيل للراهب : راهب ؛ لأنّه يديم الخوف ، وأصله من قولهم : جمل رهب إذا كان طويل العظام٠٠٠وقال علي بن عيسى : الرهبة خوف يقع على شريطة لا مخافة ، والشاهد أنّ نقيضها الرغبة ، وهي السلامة من المخاوف مع حصول فائدة ، والخوف مع الشكّ بوقوع الضرر ، والرهبة مع العلم به يقع على شريطة كذا ، وإن لم نكن تلك الشريطة لم

---

(١) المفردات ص ٢٠٥

(٢) المفردات ص ٢١١

(٣) عمدة الحفَاظ ١١٦/٢

تقع))[١] ((وفرّق بعض العارفين بينهما فقال : الخوف : هو توقّع الوعيد ، وهو سوط الله يقوّم به الشاردين من بابه ويسير بهم إلى صراطه حتى يستقيم به أمر كان مغلوبًا على رشده ، ومن علامته : قصر الأمل وطول البكاء ، وأمّا الرهبة فهي انصباب إلى وجهة الهرب٠٠٠فصاحبها يهرب أبدًا لتوقّع العقوبة ومن علاماتها : حركة القلب إلى الانقباض من داخل ، وهربه وإنزعاجه عن انبساطه حتى إنّه يكاد أن يبلغ الرهابة في الباطن مع ظهور الكمد والكآبة على الظاهر))[٢]

-**الشفقة** : قال الخليل : ((الشفق : الخوف ، وهو مشفق ، أي : خائف ، والشفق والشفقة : أن يكون الناصح من النصح خائفًا على المنصوح ، وأشفقتُ عليه أن يناله مكروه ، والشفيق : الناصح الحريص على صلاح المنصوح ، وقوله تعالى : (قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ){الطور : ٢٦} أي : خائفين من هذا اليوم)) [٣]وقال ابن فارس : ((الشين والفاء ولقاف أصل واحد يدلُّ على رقّة في الشيء ، ثمّ يُشتَقُّ منه ، فمن ذلك قولهم : أشفقتُ من الأمر إذا رققتُ وحاذرت ، وربّما قالوا : شفقتُ ، وقال أكثر أهل اللغة لا يقال إلّا أشفقتُ وأنا مُشفق٠٠٠ومنه الشفق : النُّدأة : التي تُرى في السماء عند غيوب الشمس ، وهي الحمرة ، وسُمِّيتْ بذلك للونها ورقّتها))[٤] وقال الراغب : الشفق : ((اختلاط ضوء النهار بسواد الليل عند غروب الشمس٠٠٠والإشفاق عناية مختلطة بخوف ؛ لأنّ المشفق يحبّ المُشفَق عليه ويخاف ما يلحقه قال : (وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ){الأنبياء : ٤٩} فإذا

---

(١) الفروق اللغوية ص ٢٧١

(٢) فروق اللغات ص ١١٩-١٢٠

(٣) العين ص ٤٨٦

(٤) مقاييس اللغة ص ٤٥٢

عُدِّي بمن فمعنى الخوف فيه أظهر ، وإذا عُدِّي بفي فمعنى العناية فيه أظهر قال تعالى : (قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ){الطور : ٢٦} وقال تعالى : (وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا){الشورى : ١٨} وقال تعالى (تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا){الشورى : ٢٢}وقوله تعالى : (أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ){المجادلة : ١٣}))[١]

وفرّق العسكري ((بين الخشية والشفقة أنّ الشفقة ضرب من الرقّة وضعف القلب ، ومن ثَمّ يقال للأمّ : إنّها تشفق على ولدها ، أي : ترقُّ له ، وليست هي من الخشية والخوف في شيء ، والشاهد قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ){المؤمنون : ٥٧}ولو كانت الخشية هي الشفقة لما حسن أن يقول ذلك ، كما لا يحسن أن يقول : يخشون من خشية ربّهم ، ومن هذا الأصل قولهم : ثوب شَفَق إذا كان رقيقًا٠٠٠فقولك : أشفقتُ من كذا معناه : ضَعُفَ قلبي عن احتماله))[٢]

واختلاف أساطين أهل اللغة على تعريف الشفقة يؤكّد ما نوّهنا به بأنّ اللفظ لا يطابق معناه إلّا اللفظ نفسه ولا سيّما اللفظ القرآني ، وإنّما يُعرَّف بالألفاظ القريبة من معناه

–**الفزع** : قال ابن فارس : ((الفاء والزاء والعين أصلان : أحدهما الذعر ، والآخر : الإغاثة ، فأمّا الأول : فالفزع ، يقال : فزِع يفزَع فَزَعًا : إذا ذُعِر ، وأفزعته أنا ، وهذا مَفْزَعُ القوم : إذا فزعوا إليه فيما يدهمهم ، فأمّا فزعتُ عنه فمعناه : كشفتُ عنه الفزع ، قال الله تعالى : (حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ){سبأ : ٢٣} والمفزعة : المكان يلتجئ إليه الفَزِعُ٠٠٠والأصل الآخر : الفزع : الإغاثة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم للأنصار : إنّكم

---

(١) المفردات ص ٢٧٣

(٢) الفروق اللغوية ص ٢٧١

لتكثرون عند الفزع وتقلّون عند الطمع ، يقولون : أفزعته إذا رَعَبته ، وأفزعته : إذا أغثته ، وفزعتُ إليه فأفزعني ، أي : لجأتُ إليه فزعًا فأغاثني)) [١]

وقال الراغب : ((الفزع : انقباض ونِفار يعتري الإنسان من الشيء المخيف ، وهو من جنس الجزع ، ولا يقال : فزعتُ من الله كما يقال : خفتُ منه وقوله تعالى : (حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ){سبأ : ٢٣} أي : أزيل عنها الفزع ، وقال : فزِع إليه إذا استغاث به عند الفزع وفزِع له أغاثه)) [٢]

وصفوة ما تقدّم ذكره في الفرق بين الرعب والرهبة والشفقة والفزع :

أنّ الرعب معناه : خوف يملأ الصدر

وأنّ الرهبة تعني طول الخوف من عقاب الله واستمراره والدليل على ذلك اشتقاق الرهبنة منه وكذلك اقترانه بالرغبة التي تفيد الطمع المستمر في عفو الله وجنته

وأمّا الشفقة فإنّه يمكن أن نجمع بين ما قيل في تعريفها بأنّها تعني العناية بأنفسنا وبمن نحبّه والرقّة لهما والخوف والحرص عليهما ، أي : أنّ الشفقة لا تعني الخوف بمعناه المعروف والمطلَق ، بل تعني أن يخاف الإنسان على نفسه من أن ينالها مكروه ، وكذلك تعني الخوف على المحبوب من أن يناله مكروه

وأنّ الفزع هو الذعر والخوف المفاجئ من مخيف مفاجئ ، يهجم على قلب المرء حتى يجعله ينفر عنه هنا وهناك يطلب من يغيثه

٩-الرفات والرميم والنخرة :الرفات : ((رفتُّ الشيء أرفته رفتًا فتتّه ، والرفات والفتات ما تكسّر وتفرّق من التبن ونحوه قال تعالى : (وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا

---

(١) مقاييس اللغة ص ٧٣٧

(٢) المفردات ص ٣٩٥ وينظر : عمدة الحفّاظ ٣/٢٢٦-٢٢٧

عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا){الإسراء : ٤٩}))[١]فـ((الرفات : ما تكسّر وتحطّم كالفتات وزنًا ومعنًى))[٢] و((والرفات : الحطام))[٣]

–**الرميم** : ((الرمّة تختصّ بالعظم البالي قال تعالى : (قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ){يس : ٧٨}٠٠٠وأرمتْ عظامه إذا سُحقتْ حتى إذا نُفخ فيها لم يُسمَع لها دويٌّ))[٤] فالرميم : العظام البالية[٥]

–**النخرة** : ((قال تعالى : (أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً){النازعات : ١١} من قولهم : نخرت الشجرة ، أي : بليت فهبَّتْ بها نُخرة الريح أي هبوبها ، والنخير صوت من الأنف))[٦] ((أي : بالية٠٠٠حتى سُمِعَ فيها نخير الريح أي : صوتها٠٠٠وقيل : ناخرة بمعنى فارغة يجيء منها عند هبوب الريح كالنخير ، والنخير صوت من الأنف))[٧] ((والناخر من العظام الذي تدخل الريح فيه ثم تخرج منه ولها نخير))[٨]

فالرفات من الأموات ما تكسّر وتحطّم وصارت كالفتات وزنًا ومعنًى

والرميم من العظام البالية

والنخرة من العظام التي بليت وصارت مجوّفة

---

(١) المفردات ص ٢٠٦

(٢) عمدة الحفّاظ ١٠٢/٢

(٣) الصحاح ص ٤١٧

(٤) المفردات ص ٢١٠

(٥) الصحاح ص ٤٢٩

(٦) المفردات ص ٥٠٨

(٧) عمدة الحفّاظ ١٥٣/٤–١٥٤

(٨) الصحاح ص ١٠٢٨

١٠-**الرقاد والهجوع والنوم : الرقاد** : قال الخليل : (الرقاد : النوم بالليل))[١]**و**قال ابن فرس : ((الرقاد : النوم))[٢] وقال الراغب : ((الرقاد المستطاب من النوم القليل٠٠٠قال تعالى : (وَهُمْ رُقُودٌ){الكهف : ١٨} وإنّما وصفهم بالرقود مع كثرة منامهم اعتبارًا بحال الموت، وذاك أنّه اعتقد فيهم أنّهم أموات ، فكان ذلك النوم قليلًا في جنب الموت وقال تعالى : (قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا){يس : ٥٢}))[٣]

وتعريف الرقاد بالنوم القليل كما قال الراغب كلام فيه نظر

-**الهجوع** : قال الخليل : ((الهجوع : نوم الليل دون النهار))[٤]وقال ابن فارس : ((وهجع هجوعًا : نام ليلًا))[٥]

النوم : من تعريفات النوم أنّه موت خفيف والموت نوم ثقيل[٦]

عرّف أهل اللغة الرقاد والهجوع بالنوم ، والحقيقة أنّ بينها فروقًا واضحة

فالنَّوم : معروف ويكون في الليل والنهار قال تعالى : (وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ){الروم : ٢٣}

والهجوع : هو النوم القليل في الليل ، وقد ورد في موضع واحد ، وهو قوله تعالى : (كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ){الذاريات : ١٧}

---

(١) العين ص ٣٦٣

(٢) مقاييس اللغة ص ٣٤٨

(٣) المفردات ص ٢٠٨ وينظر : عمدة الحفّاظ ١٠٦/٢

(٤) العين ص ١٠٠٤

(٥) مقاييس اللغة ص ٩٣١

(٦) ينظر : المفردات ص ٥٣٣ وينظر : عمدة الحفاظ ٢٣٦/٤

والرقاد : هو النوم الطويل ويشهد على ذلك نوم أهل الكهف الذي سمّاه القرآن بالرقود : (وَهُمْ رُقُودٌ){الكهف : ١٨} وقد أشار القرآن إلى أنّه كان نومًا طويلًا فقال تعالى : (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا){الكهف : ٢٥}

وقال تعالى : (قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا){يس : ٥٢} لم يقولوا من بعثنا من نومنا بل قالوا (مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا) ليشيروا بذلك إلى نومهم الطويل الذي كانوا فيه قبل أن يُبعثوا

١١–**الرُّوح والرَّوح والرَّيحان** : الرُّوح (بضم الراء)يؤنّث ويذكّر وهيالنَّفْس التي يحيا بها الأنسان، أي : هي رُوح الإنسان وهي اللطيفة التي فيها مدد الحياة ، هذا هو الأصل ، قال الله تعالى : (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا){الإسراء : ٨٥}فبالروح يحيا كلّ مخلوق حيّ ؛ لذلك صارت الرّوح اسم جنس يُطلق على كلّ ما به تنبعث فيه الحياة والحركة فسمِّيَ بها القرآن كقوله تعالى : (وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا){الشورى : ٥٢} وسُمِّي القرآن رُوحًا لأنَّه حياة من موت الكفر ، وأُطلِقتْ على الرحمة كقوله تعالى : (أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ){المجادلة : ٢٢} وأُطلِقت على جبريل عليه السلام كقوله تعالى : (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ){الشعراء : ١٩٣} وعلى عيسى عليه السلام كقوله تعالى : (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ){النساء : ١٧١}

وكذلك أطلِقتعلى الوحي والرحمة، ورُوح الله : حكمه وأمره ، وأمر النبوة ، وما نزل به جبريل

–**الرَّوح والريحان** : **الرّوح** (بفتح الراء) :الاستراحة ، والراحة ، ونسيم الريح ، والريحان : ما له رائحة طيبة من النبات ، والرزق، ثمّ يقال للحبّ المأكول ريحان في قوله تعالى : (وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ){الرحمن :

١٢} وقيل لأعرابي إلى أين ؟ فقال : أطلب من ريحان الله ، أي : من رزقه ، وقال تعالى : (وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ){يوسف : ٨٧} أي : ((لا تقنطوا من رحمة الله وفرجه))(١) ((أي : فرجه ورحمته المريحة من الشدّة)) (٢)((وأولى ما رجا العبد ، فضل الله وإحسانه ورحمته وروحه)) (٣)

فقوله تعالى : (فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ){الواقعة : ٨٩}استراحة ، ورحمة من الله مريحة من الشدة ورزق(٤)

١٢-**الرُّوح والنفس** : جاء في التاج للزبيدي : ((وقوله تعالى : (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ){الزمر : ٤٢} روي عن ابن عبّاس رضي الله عنهما أنّه قال : لكلّ إنسان نفسان : إحداهما نفس العقل الذي يكون به التمييز ، والأخرى : نفس الرُّوح الذي به الحياة وقال ابن الأنباري : من اللغويين من ساوى بينهما ، وقال : هما شيء واحد إلّا أنّ النفس (بسكون الفاء) مؤنّثة والرُّوح مذكّرة ، وقال غيره : الروح الذي به الحياة ، والنَّفس : التي بها العقل ، فإذا نام النائم قبض اللهُ نفسَه ولم يقبض رُوحه ، ولا تُقبَض الرُّوح إلّا عند الموت ، وسُمِّيت النَّفْس (بسكون الفاء) نفْسًا لتولّد النَفَس (بفتح الفاء) منها واتصاله بها، كما

---

(١) مدارك التنزيل ص ٥٤٣

(٢) تفسير القاسمي ٢١٢/٦

(٣) تفسر ابن عثيمين ٥٤٨/٦

(٤) ينظر : العين ص ٣٧٥ ، ومقاييس اللغة ص ٣٥٩، والصحاح للجوهري ص ٤٣٥ ٤٣٥ والمفردات ص ٢١٣ ولسان العرب ٢٥٦/٦-٢٥٧ ومدارك التنزيل ص ١٢٠٥وعمدة الحفّاظ ١٢٠/٢وبصائر ذوي التمييز ١٠٣/٣-١٠٥

سمّوا الرُّوحَ رُوحًا ؛ لأنّ الرَّوْح موجود به٠٠٠والحق إنّ بينهما فرقًا ، ولو كانا اسمين بمعنى واحد كاللَّيث والأسد لصحّ وقوع كلٌّ واحد منهما مكان صاحبه كقوله تعالى : (وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي){الحجر : ٢٩} ولم يقل : من نفسي ، وقوله تعالى : (تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ){المائدة : ١١٦} ولم يقل : تعلم ما في روحي ولا أعلم ما في روحك ، ولا يحسن هذا القول أيضًا من غير عيسى عليه السلام ، (وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ){المجادلة : ٨}ولا يحسن في الكلام : يقولون في أرواحهم وقال تعالى : (أَن تَقُولَ نَفْسٌ){الزمر : ٥٦} ولم يقل : أن تقول روح ، ولا يقوله أيضًا عربيٌّ ، فأين الفرق إذا كان النّفْس والرُّوح بمعنى واحد ، وإنّما الفرق بينهما بالاعتبارات ، ويدلّ لذلك ما رواهعبد البرّ في التهميد ، الحديث : إنّ الله تعالى خلق آدم وجعل فيه نَفْسًا ورُوحًا ، فمن الرُّوح عفافه وفهمه وحِلْمه وسخاؤه ووفاؤه ، ومن النفس شهوته وطيشه وسفهه وغضبه ، فلا يقال في النّفْس هي الرُّوح على الإطلاق حتى يُقَيَّد ، ولا يقال في الرُّوح هي النفس٠٠٠وتنزيل كلّ لفظ في موضعه هو معنى البلاغة ، إلى آخر ما ذكره ، وهو نفيس جدًّا ، وقد نقلته بالاختصار في هذا الموضع ؛ لأنّ التطويل كلَّتْ منه الهِمَم ، لا سيّما في زماننا هذا))(١)

وقد عظّم الله الرّوح بقوله تعالى : (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا){الإسراء : ٨٥} فقد عظّم الله الرُّوح وشرّفها على النفس في أمور كثيرة ، من ذلك أنّه جعل الروح أمرًا من أمره ، وجعل النفس خلقًا من خلقه ، وجعل البعث والتكليف والحساب يجري على النّفس لا على الروح ، ونسب السيئات إلى النفس لا إلى الروح

١٣- الروغ والزيغ والميل : ((الرّوّاغ : الثعلب٠٠٠وراغ فلان إلى فلان : مال إليه سرًّا٠٠٠وتقول : راغ عليه بضربة ، أي : نال ، إذا فعل

---

(١) تاج العروس ٢٩١/١٦-٢٩٢

ذلك سرًّا قال جلّ وعزّ : (فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ){الصافات : ٩١-٩٣} وقول الله جلّ وعزّ : (فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ){الذاريات : ٢٦} كلّ ذلك انحراف في استخفاء)) [١] وقال الراغب : ((الرّوغ : الميل على سبيل الاحتيال)) [٢]و((قوله تعالى (فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ){الذاريات : ٢٦} أي : مال يقال : راغ يروغ أي مال من حيث لا يعلم به أحد ، وقريب منه قول الفرّاء : رجع إليهم في إخفاء ولا يقال ذلك إلّا لمن يخفيه)) [٣]

الزيغ والميل : قال الخليل في الزيغ : ((الزيغ : المَيْلُ))[٤] وقال ابن فارس : ((الزاء والياء والغين أصل يدلُّ على ميل الشيء ، يقال : زاغ يزيغ زيغًا ...وزاغت الشمسُ ، وذلك إذا مالت وفاء الفيء ، وقال الله جل ثناؤه : (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ){الصف : ٥}))[٥]وقال الراغب : ((الزيغ : الميل عن الاستقامة...وزاغت الشمس وزاغ البصر ، قال الله تعالى : (وَإِذْ زَاغَتْ الأَبْصَارُ){الأحزاب : ١٠} يصحُّ أن يكون إشارة إلى ما يداخلهم من الخوف ، حتى أظلمت أبصارهم ، ويصح أن يكون إشارة إلى ما قال : (يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ){آل عمران : ١٣}...وقال تعالى : (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ){الصف : ٥} لمَّا فارقوا الاستقامة عاملهم بذلك))[٦]

(١) العين للخليل ص ٣٧٧

(٢) المفردات ص ٢١٦

(٣) عمدة الحفّاظ ١٢٧/٢ وينظر : معاني القرآن للفرّاء ٣٦٩/٢

(٤) العين ص ٤٠٢

(٥) مقاييس اللغة ص ٣٩٤

(٦) المفردات ص ٢٢٤-٢٢٥ وينظر : عمدة الحفاظ ١٥٧/٢ وبصائر ذوي التمييز ١٥٤/٣

وقال الخليل في الميل : ((المَيْلُ مصدر مال يميل ، وهو مائل ، والمَيَل : مصدر الأميل ، مال يميل مَيَلاً ، وهو أمْيَل))[١] وقال ابن فارس : ((الميم والياء واللام ، كلمة صحيحة تدلُّ على انحراف في الشي إلى جانب منه ، مال يميل ميْلاً ، فإن كان خلقة في الشيء فمَيَلٌ ، يقال : يميل مَيَلاً))[٢] وقال الراغب : ((المَيْلُ : العدول عن الوسط إلى أحد الجانبين ، ويستعمل في الجور[٣] وإذا استعمل في الأجسام فإنَّه يقال فيما كان خلقة مَيَلٌ ، وفيما كان عَرَضًا مَيْلٌ ، يقال : ملتُ إلى فلان : إذا عاونتُه ، وملتُ عليه : تحاملتُ عليه ، والمال سُمِّي بذلك لكونه مائلاً أبدًا وزائلاً ، وعلى هذا دلَّ قول من قال : المال قَحْبَةٌ تكون يومًا في بيت عَطَّار ، ويوما في بيت بِيطار))[٤]

فالزيغ لا يعني الميل ، وإن قال بذلك أهل اللغة ، لأنَّ الزيغ في الحقيقة لا يعني الميل مجردًا ، بل يعني : الميل عن الحق ، فالميل معنى محايد ، لا يدلُّ بذاته على حق أو ضلال ، فقد تقدم تعريف ابن فارس له بأنَّه : ((كلمة صحيحة تدلُّ على انحراف في الشي إلى جانب منه)) وعرَّفه الراغب بأنَّه يعني : ((العدول عن الوسط إلى أحد الجانبين)) وبتحديد اتجاه هذا الانحراف والعدول تتحدد دلالة الميل ، فيدلُّ على الضلال إن كان انحرافًا إلى الضلال وعدولاً عن الوسط إليه ، فتتعيَّن له هذه الدلالة بنوع حرف الجر الذي يتعدَّى إليه ونوع مجروره ، كقولك : مال إلى الكفر ، ومال عن الإيمان ، ويدلُّ على الحق إن كان انحرافًا إلى الحق وعدولاً عن الوسط

---

(١) العين ص ٩٣١

(٢) مقاييس اللغة ص ٨٤٩

(٣) لأنَّ الجور يعني ((المَيْل عن الطريق)) مقاييس اللغة ص ١٨٠

(٤) المفردات ص ٤٩٩

إليه ، فتتعيَّن دلالته هذه أيضًا حسب حرف الجر ومجروره ، كقولك : مال إلى الحق ، ومال عن الالكفر ، وقد جاء في اللغة : ((مال عليه بالظلم ، ومال عن الحق)) [1] ((ومال عليَّ : ظلمني ، ومال إليه أحبَّه ، ومال به غلبه ، ومال النهار أو الليل : دنا من المضي))[2] وتقدم قول الراغب : ((يقال : ملتُ إلى فلان : إذا عاونتُه ، وملتُ عليه : تحاملتُ عليه))[3]ومن ذلك قوله تعالى : (وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً){النساء : ١٠٢} والمعنى : ((فيحملون عليكم وأنتم مشاغيل بصلاتكم))[4] وإذا جاء فعل الميل لازماً تحدد معناه حسب السياق وحسب الحرف المقدَّر ، كقوله تعالى : (وَاللّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا){النساء : ٢٧} قال الطبري : ((معنى ذلك : ويريد الذين يتبعون شهوات أنفسهم ٠٠٠أن تميلوا ميلاً عظيمًا عن الحق ، وعمَّا أذن الله لكم فيه ، فتجوروا عن طاعته إلى معصيته))[5] فـ((قوله تعالى : (أَن تَمِيلُواْ مَيْلاً عَظِيمًا) أي : عن الحق بالمعصية))[6] وقوله تعالى : (وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاء وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلاَ تَمِيلُواْ كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ){النساء : ١٢٩} والمعنى : ((فلا تميلوا إلى التي تحبون في النفقة والقسم))[7] أي : ((فلا يجوز لهم أن يميلوا عن إحداهنَّ إلى

---

(١) تاج العروس ٢٤٣/٣٠

(٢) تاج العروس ٢٤٦/٣٠

(٣) المفردات ص ٤٩٩

(٤) جامع البيان ٣٠٢/٥

(٥) جامع البيان ٣٨/٥

(٦) زاد المسير ٣٩/٢

(٧) زاد المسير ١٣٢/٢

إلى الأخرى كلَّ الميل حتى يذروا الأخرى كالمُعلَّقة التي ليست ذات زوج ولا مطلقة ، تشبيهًا بالشيء الذي هو مُعلَّق غير مستقر على شيء))[١] ولم يرد الميل في القرآن الكريم إلاَّ في هذه المواضع الثلاثة ، وورد بمعنى الميل عن الحق ، وجاز كما تقدم في اللغة أن يرد بمعنى الميل إلى الحق ، والميل عنه ، والميل إلى الضلال والميل عنه ، فالميل يكون في هذا وهذا ، والزيغ لا يكون إلاَّ ميلاً عن الحق ، وفرّق العسكري ((بين الزيغ والميل ، أنَّ الزيغ مطلقًا لا يكون إلاَّ الميل عن الحق ، يقال : فلان من أهل الزيغ ، ويقال أيضًا : زاغ عن الحق ، ولا أعرف : زاغ عن الباطل ؛ لأنَّ الزيغ اسم لميل مكروه٠٠٠والميل عامٌّ في المحبوب والمكروه))[٢] ولمَّا كان الزيغ اسمًا لميل مكروه فإنَّه يكون بمعنى الظلم وبمعنى الضلال ، وبمعنى الشك والريب ، وليس كذلك الميل ، جاء في التاج : ((والزيغ : الشك ، والجور عن الحق[٣] ومنه قوله تعالى : (فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ){آل عمران : ٧} وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه : أخاف إن تركتُ شيئًا من أمره أن أزيغ ، أي : أجور ، وأعدل عن الحق ، وقال الراغب : الزيغ : الميل عن الاستقامة إلى أحد الجانبين ، وزال ، ومال ، وزاغ ، متقاربة لكن زاغ لا يقال إلاَّ فيما كان عن حق إلى باطل))[٤] فالميل عن الحق ليس هو الزيغ بعينه ، بل هو القريب من معناه ، لذلك كما جاز أن يكون قوله تعالى : (رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ

---

(١) فتح القدير للشوكاني ٦٥٩/١

(٢) الفروق اللغوية ص ٢٣٩

(٣) هذا كلام الفيروزآبادي في قاموسه ، وينظر : بصائر ذوي التمييز ١٥٤/٣

(٤) تاج العروس ٢٦٣/٢٢

هَدَيْتَنَا) بمعنى : لا تمل قلوبنا عن الحق[١] جاز أن يكون بمعنى : لا تفسد قلوبنا[٢] وبمعنى : لا تضلُّها [٣]

وقد أجمع أهل التفسير على أنّ الزيغ لا يعني الميل مطلَقًا ومجردًا بل هو يعني : الميل عن الحقّ جاء في تفسير قوله تعالى : (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ){الصف : ٥} قال مقاتل : ((فَلَمَّا زَاغُوا) يقول : مالوا عن الحق وعدلوا عنه (أَزَاغَ اللَّهُ) يعني : أمال الله قلوبهم))[٤] وقال أبو عبيدة : (((زَاغُوا) عدلوا))[٥]يعني عدلوا عن الحق ، وقال الطبري : ((وقوله تعالى : (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) يقول : : فلمَّا عدلوا وجاروا عن قصد السبيل (أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) يقول : أمال الله قلوبهم عنه))[٦] وقال الزجاج : (((فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) أي : عدلوا عن الحق ، وانصرفوا عنه فأضلَّهم الله وصرف قلوبهم))[٧] وقال النحاس : (((فَلَمَّا زَاغُوا) أي : مالوا عن الحق (أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) مجازاة على فعلهم ، وقيل : أزاغ الله قلوبهم عن الثواب))[٨] وقال الواحدي : ((وقوله تعالى : (فَلَمَّا زَاغُوا) قال مقاتل : عدلوا

---

(١) ينظر : جامع البيان للطبري ٢٠٧/٣

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩/٤

(٣) ينظر : التحرير والتنوير ٢٩/٣

(٤) تفسير مقاتل ٣٥٥/٣-٣٥٦

(٥) مجاز القرآن ص ٢٧٣

(٦) جامع البيان ٩٨/٢٨

(٧) معاني القرآن وإعرابه ١٣٠/٥

(٨) إعراب القرآن ص ١١٤٦

عدلوا عن الحق (أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) أمالها عن الحق ، يعني : أنَّهم تركوا الحق بإيذاء نبيهم ، أمال الله قلوبهم عن الحق جزاء لما ارتكبوا))[1]

وهذا هو معنى الزيغ في قول الله تعالى : (رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا){آل عمران ٨}

وقوله تعالى : (مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ){التوبة : ١١٧}

وقوله تعالى : (وَإِذْ زَاغَتْ الأبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا){الأحزاب : ١٠}

١٣-الرياء والنفاق : فرّق العسكري ((بين الرياء والنفاق أنّ النفاق إظهار الإيمان مع إسرار الكفر ، وسُمِّي بذلك تشبيهًا بما يفعله اليربوع ، وهو أن يجعل بجحره بابًا ظاهرًا وبابًا باطنًا يخرج منه إذا طلبه الطالب٠٠٠والرِّياء إظهار جميل الفعل رغبة في حمد النّاس . لا في ثواب الله تعالى ، فليس الرِّياء من النفاق في شيءفإن استعمل أحدهما في موضع الآخر فعلى التشبيه والأصل ما قلناه))[2]

١٥-الرّياح والريح : استعمل القرآن الكريم (الرياح) فيما هو نعمة وخير للإنسان ، قال الله تعالى: (وَهُوَالَّذِييُرْسِلُ الرِّيَاحَبُشْرًابَيْنَيَدَيْرَحْمَتِهِ) [الأعراف:٥٧] وقال تعالى: (وَأَرْسَلْنَاالرِّيَاحَ لَوَاقِحَفَأَنزَلْنَامِنَالسَّمَاءمَاءفَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ)[الحجر:٢٢] ، وقال تعالى (وَمِنْآيَاتِهِأَنيُرْسِلَالرِّيَاحَمُبَشِّرَاتٍوَلِيُذِيقَكُم مِّنرَّحْمَتِهِ) [الروم:٤٦] ، في حين استعمل القرآن (الريح) في مقام العذاب ، قال الله تعالى: (إِذْجَاءتْكُمْ جُنُودٌفَأَرْسَلْنَاعَلَيْهِمْرِيحًاوَجُنُودًالَّمْتَرَوْهَا) [الأحزاب : ٩]وقال تعالى:

---

(١) الوسيط ٢٩٢/٤

(٢) الفروق اللغوية : ص ٢٥٧

(إِنَّاأَرْسَـلْنَاعَلَيْهِمْ رِيحًاصَرْصَرًافِييَوْمِنَحْسٍمُّسْـتَمِرٍّ) [القمـر:١٩] ، وقـال تعـالى: (وَأَمَّا عَادٌفَأُهْلِكُوابِرِيحٍصَرْصَرٍعَاتِيَةٍ) [الحاقة:٦]

والسرّ في ذلك أنَّ الرياح إذا كانت متعددة كانت باتجاهات مختلفة فتحدّ بعضها من سرعة بعض ، فتنشأ منها رياح معتدلة خفيفة يأتي منها الخير ؛ لذلك استعملها القرآن في هذا المقام ، أمّا الريح فإنها حين تكون منفردة ، تكون غالبا شديدة الهبوب سريعة لا يأتي منها إلّا الشر ؛ لذلك استعملها القرآن الكريم في مقام العذاب والهلاك ، إلّا في آية واحدة ، هي قولـه تعـالى: (حَتَّىٰإِذَاكُنتُمْفِيالْفُلْـكِ وَجَرَيْنَبِهِمبِرِيحٍطَيِّبَـةٍ) [يـونس:٢٢] وذلـك أنّ السفينة لا تجري في البحر إلّا إذا كانت الريح باتجاه واحد ، فإذا تعددت ، تعددت اتجاهاتها مما يجعل السفينة في البحر تراوح في مكانها ، إلّا أنّ هذه الريح لا تكون كنظيراتها ريحًا مهلكة لقوتها وشدة سرعتها ؛ بل هي معتدلة خفيفة ؛ لذلك وصفها القرآن الكريم بأنَّها ريح طيبة .

١٦-**الرّيب والشكّ والمرية** :قال الخليل : ((الريب : الشك))[١]وهذا لا يعني أنَّ الشك هو الريب نفسه ، بل هو معنى قريب منه ، أي : لفظ مرادف لهفبين الريب والشك فرق يظهر جليًّا من خلال تعريف أهل اللغة لكل منهما

الرّيب : ((الراء والياء والباء أصيل يدلُّ على شكٍّ ، أو شكّ وخوف٠٠٠والريب : ما رابك من أمر ، تقول : رابني هذا الأمر : إذا أدخل عليك شكًّا وخوفًا٠٠٠وريب الدهر : صروفه ، والقياس واحد ، قال :

أمِنَ المنون وريبه تتوجَّع   والدهر ليس بمعتِبٍ مَن يجزعُ

فأمَّا قول القائل :

قضينا من تهامة كلَّ ريب   ومكة ثمَّ أجمعنا السيوفا

---

(١) العين ص ٣٧٩ .

فيقال : إنَّ الريب : الحاجة ، وهذا ليس ببعيد ؛ لأنَّ طالب الحاجة شاكّ على ما به من خوف الفوت))[1]و((الرَّيب : الشكُّ ، والريب : صرف الدهر وعَرَضُهُ وحَدَثُهُ ، والرَّيب : ما رابك من أمر تخوَّفتَ عاقبته٠٠٠ورابني هذا الأمر يُريبني ، أي : أدخل عليَّ شكًّا وخوفًا ، وفي لغة رديئة أرابني ، وأراب الأمرُ ، أي : صار ذا ريب ، وأراب الرجلُ : صار مُريبًا ذا رِيبة ، وارتبت به ، أي : ظننتُ به))[2]((فالريب أن تتوهَّم بالشيء أمرًا ما فينكشف عمَّا تتوهمه٠٠٠وقوله : (نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ) سمَّاه ريبًا لا أنَّه مشكَّكٌ في كونه ، بل من حيث تشكك في وقت حصوله ، فالإنسان أبدًا في ريب المنون من جهة وقته لا من جهة كونه٠٠٠والارتياب يجري مجرى الإرابة٠٠٠ونفى من المؤمنين الارتياب ، قال تعالى : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ){الحجرات : ١٥} وقيل : دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، وريب الدهر : صروفه ، وإنَّما قيل ريب لما يُتوهَّم فيه من المكر ، والرِّيبة اسم من الرَّيب ، قال تعالى : (لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْاْ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ){التوبة : ١١٠} أي : تدلُّ على دغل ، وقلة يقين))[3]((والرَّيب والرِّيبة : الظنة والتهمة))[4]

الشكّ :((الشين والكاف أصل واحد مشتق بعضه من بعض ، وهو يدلُّ على التداخل ، من ذلك قولهم : شككته بالرمح ، وذلك إذا طعنته فداخل

---

(١) مقاييس اللغة ص ٣٦٢

(٢) العين ص ٣٧٩

(٣) المفردات ص ٢١٢-٢١٣ وينظر : عمدة الحفاظ ١٢٨/٢-١٢٩ وبصائر ذوي التمييز ١١٤/٣

(٤) المحكم لابن سيده ٣٠٧/١٠

السِّنان جسمه٠٠٠ومن هذا الشك الذي هو خلاف اليقين ، إنَّما سُمِّي بذلك ؛ لأنَّ الشاكّ كأنَّه شُكَّ له الأمران في مشكٍّ واحد ، وهو لا يتيقَّن واحدًا منهما))[1]

وإن كان الخليل بدأ تعريف الريب بالشكّ كما تقدم ، فقد عرَّف الشكّ أنَّه ((نقيض اليقين))[2] ((والشكُّ اعتدال النقيضين عند الإنسان وتساويهما ؛ وذلك قد يكون لوجود أمارتين متساويتين عند النقيضين أو لعدم الأمارة فيهما ، والشك ربما كان في الشيء هل هو موجود أو غير موجود ، وربما في جنسه من أيّ جنس هو ، وربما كان في بعض صفاته ، وربما كان في الغرض الذي لأجله أُوجِد ، والشك ضرب من الجهل)) [3]

فهذا هو معنى الشك فأين هو من معنى الريب((وقال ابن الخطيب : الريب قريب من الشك ، وفيه زيادة ، كأنَّه ظن سوء ، تقول : رابني أمر فلان : إذا ظننتَ به سوءًا))[4]وفرّق العسكري ((بين الشك والارتياب أنَّ الارتياب شك مع تهمة ، والشاهد أنَّك تقول : إنِّي شاكٌّ اليوم في المطر ، ولا يجوز أن تقول : إنِّي مرتاب اليوم بالمطر ، وتقول : إني مرتاب بفلان : إذا شككتَ في أمره واتهمته)) [5]

فالريب في قوله تعالى ☹ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ){البقرة : ٢} لا يعني الشكّ ، بل الشكّ مع ظنّ سوء وتهمة

---

(١) مقاييس اللغة ص ٤٤٣

(٢) العين ص ٤٨٩

(٣) المفردات ص ٢٧٤

(٤) اللباب في علوم الكتاب ٢٦٨/١

(٥) الفروق اللغوية ص ١١٤

-**المرية** : ((الميم والراءوالحرف المعتلّ أصلان صحيحان يدلّ أحدهما على مسح واستدرار ٠٠٠فالأول : المَرْيُ : مري الناقة ، وذلك إذا مُسِحتْ للحلب ، يقال : مريتُها أمريها مَرْيًا ، ومما يشبه بهذا : مري الفرس بيده إذا حرّكها على الأرض كالعابث ، وكأنّه بمن يمري الضرع بيده٠٠٠مُرْية الناقة : أن تستدرَّ بالمَرْي)) [١] و((المرية : التردد في الأمر ، وهو أخصّ من الشكّ قال تعالى : (وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ){الحج : ٥٥})) [٢]

و((قوله تعالى : (فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ){هود : ١٠٩} قيل : الشكّ وقال آخرون : المرية : التردد في الأمر ، وهو أخصّ من الشكّ قاله الراغب ، وفيه نظر ؛ فإنّ الشكّ تردد أيضًا مع تساوي الطرفين)) [٣]

ويبدو لي أنّ الفرق بين المرية والشكّ أنّ شكّ المرء هو تردده بين أمرين تساويا عنده طرفاه كما هو المشهور في تعريف أهل اللغة للشك ، أمّا المرية فهو استمراء هذا الشكّ ؛ أي : استخراج موطن الشكّ في الأمر والقضية ، وهذا واضح من كلام العسكري حين فرّق ((بين الشكّ والامتراء أنّ الامتراء هو استخراج الشبه المشكلة٠٠٠وامترى امتراء إذا استخرج الشبه المشكلة من غير حلٍّ لها))[٤] كأنّ المرية تعني التعرّف إلى موطن الشك المكنون في الأمر المترَدَّد فيه ، الذي لا يستطيع أن يتعرّف إليه إلّا الفطن

---

(١) مقاييس اللغة ص٨٥٨

(٢) المفردات ص ٤٨٧

(٣) عمدة الحفّاظ ٨٥/٤

(٤) الفروق اللغوية ص ١١٤

باب الزاي

١- **الزبور والكتاب** : ((وزبرتُ الكتاب كتبته كتابة عظيمة ، وكلّ كتاب غليظ الكتابة يقال له زبور ، وخُصَّ الزبور بالكتاب المنزَّل على داود عليه السلام قال تعالى : (وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا){النساء : ١٦٣}وقال تعالى : (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ){الأنبياء : ١٠٥}٠٠٠وقيل : بل الزبور كتاب صعب الوقوف عليه من الكتب الإلهية قال تعالى : (وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ){الشعراء : ١٩٦} وقال بعضهم : الزبور : اسم للكتاب المقصور على الحِكَم العقلية دون الأحكام الشرعية ، والكتاب لِما يتضمّن الأحكام والحِكَم ، ويدلّ على ذلك أنّ زبور داود عليه السلام لا يتضمّن شيئًا من الأحكام))[١]

وفرّق العسكري ((بين الزَّبْر والكَتْب أنّ الزَّبْرَ الكتابة في الحجر نقرًا٠٠٠وإنّما قيل للكتابة في الحجر زَبر ؛ لأنّها كتابة غليظة ليس كما يُكتَب في الرقوق والكواغد٠٠٠ويجوز أن يقال : الزبور كتاب يتضمن الزجر عن خلاف الحقّ من قولك : زَبَرَه إذا زجره ، وسُمِّي زبور داود لكثرة مزاجره ، وقال الزجاج : الزبور : كلّ كتاب ذي حكمة))[٢]

٢-**الزرع والشجر والنبات** : ((الزرع : ما ينبت على غير ساق ، والشجر ما له ساق وأغصان يبقى صيفًا وشتاءً ، والنبات يعمّ الجميع ؛ لأنّه ينبت من الأرض ، أي : يخرج منها))[٣]

---

(١) المفردات ص ٢١٨ وينظر : عمدة الحفّاظ ١٣٣/٢

(٢) الفروق اللغوية ص ٣٢٥

(٣) فروق اللغات ص ١٤١ وينظر : المفردات للراغب ص ٢١٩ ، ٢٦٥

قال تعالى : (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ){النحل : ١١}

وقال تعالى : (وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ){الرحمن : ٦} (((وَالنَّجْمُ) النبات الذي ينبت من الأرض لا ساق له (وَالشَّجَرُ) الذي له ساق))[١]

٣–زعمَ وقال : زعم : من أخوات ظنَّ تتعدى إلى مفعولين ، ولا تتعدى إلى مفعول واحد إلّا إذا أردت أن تكون بمعنى تكفَّل[٢] وورد الزعم في القرآن الكريم في سبعة عشر موضعًا ، ورد وقد حُذِف معموله في ثمانية مواضع ، ومتعدِّيًا إلى المصدر المؤول في خمسة مواضع ، ومتعديًا إلى مفعوله بالباء في موضعين ، وبصيغة المصدر في موضعين ، ولم يرد متعديًا إلى اسمين ظاهرين .

قال ابن فارس : ((الزاي والعين والميم أصلان ، أحدهما : القول من غير صحة ولا يقين ، والآخر : التكفل بالشيء ، قال الله تعالى : (زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا){التغابن : ٧}...والأصل الآخر : زعم بالشيء : إذا كفل به...ومن الباب الزعامة ، وهي السيادة ؛ لأنَّ السيد يزعم بالأمور ، أي : يتكفَّل بها ، وأصدق من ذلك قول الله جل ثناؤه : (قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاء بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَاْ بِهِ زَعِيمٌ){يوسف : ٧٢}))[٣] وقال ابن سيده : ((الزّعم : القول ، وهو الظنُّ ، وقيل : الكذب...والزعيم : الكفيل ، زعم به يزعم وزعامة قال (الشاعر ، وهو عمرو بن شاش) :

---

(١) مدارك التنزيل ص ١١٩١

(٢) ينظر : عمدة الحافظ ٢٣٤/١ وحاشية الصبان على شرح الأشموني ٣٠/٢ وشرح التصريح ١٩٤/٢ وهمع الهوامع ٥٣٦/١–٥٣٨

(٣) مقاييس اللغة ص ٣٨٣

تقول هلكنا إن هلكتَ وإنَّما   على الله أرزاق العباد كما زعم

وزعيم القوم سيدهم ورئيسهم ، وقيل : رئيسهم المتكلم عن لسانهم ، والجمع زعماء ، والزعامة : السيادة والرياسة)) [1] وقال الراغب : ((والزعم حكاية قول يكون مظنة للكذب ، ولهذا جاء في القرآن الكريم في كل موضع ذُمَّ القائلون به نحو قوله تعالى : {زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا}[التغابن : ٧] وقوله تعالى : {بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا}[الكهف : ٤٨] وقوله تعالى : {أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ}[الأنعام : ٢٢] وقوله تعالى : {قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً}[الأنعام : ٥٦] وقيل للضمان بالقول والرئاسة زعامة ، للاعتقاد في قوليهما إنَّهما مظنة للكذب قال تعالى : {وَأَنَاْ بِهِ زَعِيمٌ}[يوسف : ٧٢] وقال تعالى : {سَلْهُم أَيُّهُم بِذَلِكَ زَعِيمٌ}[القلم : ٤٠] إمَّا من الزعامة ، أي : الكفالة ، أو من الزعم بالقول)) [2] وقال الحلبي : ((والزعم : القول ، قد يكون حقًّا ، وقد يكون باطلًا ، ولكن الأكثر في الثاني ، قال تعالى : {زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا}[التغابن : ٧] وقال تعالى : {فَقَالُواْ هَـذَا لِلّـهِ بِزَعْمِهِمْ}[الأنعام : ١٣٦]))[3]

والحقيقة أنَّ المعنى الدقيق للزعم ليس هو ((القول من غير صحّة ولا يقين)) كما قال ابن فارس ، وليس هو الظنُّ ، أو الكذب ، كما قال ابن سيده ، وليس هو ((حكاية قول يكون مظنّة للكذب)) كما قال الراغب ، وليس هو ((القول ، قد يكون حقًّا ، وقد يكون باطلًا)) كما قال الحلبي ، وإنَّما هو حكاية قول يُجعل صاحبه وحده هو المسؤول عنه من حيث صحّته

---

(1) المُحكم ١/٥٣٤-٥٣٥ .

(2) المفردات ص ص ٢٢٠

(3) عمدة الحفاظ ١٤٠/٢ .

وعدم صحّته ، وقد استعملها القدامى بهذا المعنى ، كما استعملها سيبويه عندما ينسب قولًا ما إلى أستاذه الخليل ، كقوله : ((وزعم الخليل أنَّ إدخال الفاء على (إذا) قبيح))[1] وقوله : ((وزعم الخليل أنَّ (إن) هي أمُّ حروف الجزاء ، فسألته : لِمَ قلتَ ذلك ؟))[2] فلو قال : قال الخليل ، لأفاد تبنيه لقوله لقوله ، لكن لمَّا قال : زعم الخليل ، دلَّ على أنَّه أراد أن يُخرج نفسه عن مسؤولية هذا القول ، وكأنَّه جعل الخليل هو الضامن والمتكفل وحده بصحّة ما زعمه ، ولهذا الغرض كثيرًا ما نسب سيبويه إلى أستاذه الخليل وإلى أساتذته الآخرين أقوالهم بلفظ : زَعَمَ[3]

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال : التقى عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم على المروة فتحدثا ، ثم مضى عبد الله بن عمرو ، وبقي عبد الله بن عمر يبكي ، فقال له رجل : ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : هذا ، يعني عبد الله بن عمرو ، زعم أنَّه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من كان في قلبه مثقال ذرة حبَّة من خردل من كِبْر كبَّه الله تعالى لوجهه في النار . رواه أحمد ورواته رواة الصحيح[4]

فقال : زعم ؛ ليجعل صاحبه هو المسؤول عمَّا زعمه ، فكأنَّه قد جَعَله هو الضامن والمتكفل بصدق ما قاله ، ولهذا جاءت الزعامة بمعنى

---

(1) كتاب سيبويه بتحقيق هرون ٦٤/٣ وبتحقيق بديع ٧٣/٣.

(2) كتاب سيبويه بتحقيق بديع ٧٢/٣ .

(3) ينظر : كتاب سيبويه بتحقيق بديع ٦١/٢ ، ١٦٣ وبتحقيق هرون ١٦٤/٢ وشرح كتاب سيبويه للسيرافي ٤٨٧/٢ .

(4) الترغيب والترهيب ٩٨٨/٤

السيادة ((لأنَّ السيد يزعم بالأمور ، أي : يتكفَّل بها)) فيكون وحده هو المسؤول عنها ، فالدلالة هنا وهناك واحدة .

وقد تقدم أنَّ النحاة جعلوا عزم من أخوات ظنَّ تتعدى إلى مفعولين ، ولا تتعدى إلى مفعول واحد إلّا إذا أردتَ أن تكون بمعنى كفل ، إلّا أنَّ (زعم) التي جُعِلت بهذا المعنى لم تتعد إلى مفعول واحد ، بل تعدت إليه بالباء ، فقد تقدم قول ابن فارس ((زعم بالشيء : إذا كفل به...ومن الباب الزعامة ، وهي السيادة ؛ لأنَّ السيد يزعم بالأمور ، أي : يتكفَّل بها ، وأصدق من ذلك قول الله جل ثناؤه : (وَأَنَاْ بِهِ زَعِيمٌ){يوسف : ٧٢}))[١] وقول ابن سيده : ((والزعيم : الكفيل ، زعم به يزعم وزعامة)) [٢] وقول الراغب : ((وقيل للضمان بالقول والرئاسة زعامة ، قال تعالى : (وَأَنَاْ بِهِ زَعِيمٌ){يوسف : ٧٢} وقال تعالى : (سَلْهُم أَيُّهُم بِذَلِكَ زَعِيمٌ){القلم : ٤٠} إمَّا من الزعامة ، أي : الكفالة ، أو من الزعم بالقول)) [٣] فللزعم دلالة واحدة ولا تضمين .

٤-**الزواج والنكاح** : ((يقال لكل واحد من القرينين من الذكر والأنثى في الحيوانات المتزاوجة زوج ، ولكلِّ قرينين فيها وفي غيرها زوج كالخفّ والنعل ، ولكلّ ما يقترن بآخر مماثلًا له أو مضادًّا زوج قال تعالى : (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ){البقرة : ٣٥} وزوجة لغة رديئة ، وجمعها زوجات قال الشاعر : فبكا بناتي شَجْوَهُنّ وزوجتي٠٠٠قال تعالى : (وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ){الذاريات :٤٩} فبيّن أنّ كلّ ما في العالم زوج من حيث إنّ له ضدًّا أو مماثلًا٠٠٠وقوله تعالى : (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ){التكوير : ٧} فقد قيل معناه : قُرِن كلُّ شيعة بمن شايعهم في الجنّة

([١]) مقاييس اللغة ص ٣٨٣

([٢]) المُحكم ١/٥٣٤-٥٣٥ .

([٣]) المفردات ص ص ٢٢٠

والنار نحو قوله تعالى : (احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ){الصافّات : ٢٢} وقيل : قُرِنتْ الأرواح بأجسادها٠٠٠وقيل : قُرِنتْ النفوس بأعمالها٠٠٠وقوله تعالى : (كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ){الدخان : ٥٤} أي : قرنّاهم بهنّ))[١]

((والزوج في اللغة الواحد الذي يكون معه آخر ، والاثنان زوجان ، يقال : زوجا خفّ ، وزوجا نعل٠٠٠قال الراغب : ٠٠٠وزوجة لغة رديئة . قلتُ قد ورد ذلك في الحديث ، فإن ثبت فلا رداءة ، وادّعى الفرّاء ثبوتها ، وأنشد للفرزدق :

وإنّ الذي يسعى لِيُفسدَ زوجتي لَساع إلى سدّ السُّرى يستميلا

وجمع الزوج أزواج ، والزوجة زوجات ، وقوله تعالى ☹احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ){الصافّات : ٢٢} أي : أقرانهم المقتدين بهم في أفعالهم ، وقيل : أشباههم وأشكالهم))[٢]

-**النكاح** : ((أصل النكاح للعقد ، ثم استعير للجماع ، ومحال أن يكون في الأصل للجماع ثمّ استعير للعقد ؛ لأنّ أسماء الجماع كلّها كنايات لاستقباحهم ذكره كاستقباح تعاطيه))[٣]

و((النكاح لغة : المداخلة والاشتباك ومنه تناكحت الأشجار ، أي : تداخلت أغصان بعضها في بعض ، ومنه قيل للوطء نكاح ويُطلَق على العقد ؛ لأنّه سببه٠٠٠ويدلّ على النكاح لغة التداخل قولهم : نكح الأرضَ المطرُ ، قالوا : وكلّ نكاح ورد في الكتاب العزيز فالمراد به العقد إلّا موضعًا واحدًا ، وهو قوله تعالى : (فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا

---

(١) المفردات للراغب ص ٢٢٣

(٢) عمدة الحفّاظ ١٥١/٢

(٣) المفردات ص ٥٢٨

غَيْرَهُ){البقرة : ٢٣٠}ليس المراد مجرد العقد بل لا بدّ من الوطء)) [١]

((وقال ابن فارس وغيره يُطلَق على الوطء وعلى العقد دون الوطء٠٠٠يقال مأخوذ من نكحه الدواءُ إذا خامره وغلبه ، أو من تناكحت الأشجار إذا انضمَّ بعضها إلى بعض أو من نكح المطرُ الأرضَ إذا اختلط بثراها ، وعلى هذا فيكون النكاح مجازًا في العقد والوطء جميعًا ؛ لأنّه مأخوذ من غيره فلا يستقيم القول بأنّه حقيقة لا فيهما ولا في أحدهما ويؤيده أنّه لا يُفهَم العقد إلّا بقرينة نحو : نكح في بني فلان ، ولا يُفهَم الوطء إلَّا بقرينة نحو : نكح زوجته، وذلك من علامات المجاز)) [٢]

وقد ورد لفظ النكاح المراد منه العقد أو الوطء في ثلاثة وعشرين موضعًا ، ويرتبط الزوجان بهذا النكاح بمجرّد تحليله بكلمات وبمهر مؤجّل ومعجل يمكن أن تنفصم عراه أو تهتزّ بالقيل والقال

والزواج لغة وكما جاء في القرآن لا يدلّ على النكاح ، وإنّما يدلّ على الاقتران والالتصاق الذي لا يوجد فيه انفصال ، فالقرآن عبّر عن الاقتران بين الشيئين بلفظ الزواج ، فلو عبّر عن النكاح بلفظ الزواج لكان هذا هو معناه ، ولكان كلّ من يتزوّج لا يمكن أن ينفصل عن زوجته بطلاق أو بغيره ، ولكان معناه أيضًا أنّ كلّ زواج يتمّ هو زواج لا مثيل له متصف بكلّ معاني الزوجية ، ومثل هذا الزواج نادر حصوله ؛ ولهذا لم يستعمل لفظه بمعناه المعروف إلّا في موضعين : الأول في زواج الرسول صلّى الله عليه وسلّم من زينب بنت جحش وقصّة زواجه صلى الله عليه وسلم منها معروفة ، فقد أراد عليه الصلاة والسلام أن يزوج ابنة عمته زينب وهي سيدة من سادات قريش رضي الله عنها من مولاه زيد وكانت غايته من ذلك

---

(١) عمدة الحفّاظ ٢١٧/٤-٢١٨

(٢) المصباح المنير ص ٦٢٤ وينظر : مقاييس اللغة لابن فارس ص ٩١٦

القضاء على التفرقة بين السادة والعبيد التي كانت سائدة ومتأصلة جذورها عند العرب قبل الإسلام وفي العالم كلّه ، وقد قبلت زينب بذلك حياء من رسول الله صلى الله عليه وسلّم وما تجرأت أن ترفض طلبه ورغبته في قبول زواجها من مولاه ، وقد أعطت زينب لزوجها زيد رضي الله عنهما كلّ حقوقه المتعلقة بالنكاح إلّا أنّها لم تستطع أن تمنحه كلّ معاني الزوجية ، لأنّ هذه المعاني قلبية لا يملك المرء السيطرة عليها ، وقد شعر زيد رضي الله عنه بذلك فجاء إلى رسول الله صلّى عليه يطلب منه أن يسمح له بتطليق زينب رضي الله عنها ، وكثر مجيئه إليه لهذا الغرض ، وكان عليه الصلاة والسلام يقول له في كلّ مرّة أمسك عليك زوجك حتى نزل عليه قول الله تعالى : (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا){الأحزاب : ٣٧}

فلمّا أمره سبحانه بالزواج من زينب رضي الله عنها امتثل صلى الله عليه وسلّم لأمر الله سبحانه غير ملتفت لكلام الناس ، وقد فرحت زينب رضي الله عنها كثيرًا لمّا سمعت أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم يخطبها إليه ، كما أنّه صلى الله عليه وسلّم شعر بأنّ زينب لم تكن راضية بزواجها من زيد رصي الله عنهما لكنها قبلت به نزولًا لرغبة رسول الله صلى الله عليه وسلّم وحياء منه ؛ فلهذا السبب ، ولأنّ هذا الزواج كان بأمر الله ، ارتقى هذا الزواج إلى اتحاد دائم لا ينفصل وبلغ أعلى درجات الزوجية ومعانيه السامية ؛ لذلك سمّاه الله زواجًا ولم يسمّه نكاحًا

والموضع الثاني الذي استعمل فيه لفظ الزواج هو زواج أهل الجنة بالحور العين كقوله تعالى : (كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ){الدخان : ٥٤}وكذلك سمّاه زواجًا لأنّه زواج سام وسعيد لا يكدّره شيء ودائم لا

ينفصل

٥-**زوجة الرجل وامرأته وصاحبته** :إذا لم يكن في العلاقة الزوجية بين الشريكين محبة وتوافق وانسجام أو كان بينهما اختلاف في الإيمان استعمل القرآن لفظ المرأة ؛ لذلك استعمال المرأة من دون الزوجة في قوله تعالى : (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّـهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ){التحريم ١٠-١١} فقد كان نوح ولوط نبيين وكانت إمرأة كل منهما غير مؤمنة بل خائنة له ، وكذلك فرعون كان كافرًا وكانت امرأته مؤمنة ، وكذلك استعمل القرآن المرأة ، وإن لم يكن بين الزوجين خلاف في الإيمان ، إذا كانت العلاقة بينهما مكدّرة بعدم الإنجاب ؛ لذلك سمّى زوجة النبيّ زكريّا إمرأة في قوله تعالى : (وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا){مريم : ٥} لكن بعد أن استجاب الله دعاء زكريا ووهب له يحيى وصرف عنه هذا الكدر سمّاها زوجة فقال سبحانه : (وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ){الأنبياء : ٨٩-٩٠}

أمّا قوله تعالى : (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللهَ){الأحزاب : ٣٨}فقد قال (أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ) ليقرّبِ بينهما وليشعر مولاه بأنّه وزوجته كليهما معًا عنده بمنزلة واحدة ، وأنّه هو أهل لها ، كما هي أهل له ، وإن اختلفا في النسب ، بل رسول ، الله صلى الله عليه وسلّم ، هو الذي زوّج ابنة عمته زينب من مولاه زيد بن حارثة ، لتكون سكنًا له ، ويكون هو سكنًا لها ، ولو قيل : أمسك عليك امرأتك ، لجعل زيدًا تنتابه الظنون فيما يتعلّق بعدم أهليته لها لعلو نسبها

علـى نسبه ، هذا مـن جهـة ومـن جهـة أخـرى فـإنّ الخـلاف بينهمـا كـان مـن تدبير الله ؛ لينتهي هذا الخلاف إلى تطليق زيد لها وزواج رسول الله صلى الله عليه وسلّم منها ؛ ليبطل بذلك عادة التبنّي عند العرب قبل الإسلام

واستعمل المرأة في قوله تعالى : (وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ){المسد : ٤} ليدلّ باستعمال لفظ المرأة من دون الزوجة على عدم وجود التوافق والانسجام بينهما ، ونساء الرسول ، صلّى الله عليه وسلّم ، وإن كنّ قد تمّردن عليه إلّا أنّ هذا التمرّد كان موقتًا وطارئًا فسرعان ما ندمن ؛ وليدلّ على المحبّة والتوافق التي كانت بين رسول الله صلى عليه وسلّم ونسائه عبّر عنهنّ بلفظ الأزواج فقال سبحانه : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا){الأحزاب : ٢٨}

أمّا الصاحبة فهو لفظ عام ،؛ قال ابن فارس : ((الصاد والحاء والباء أصل واحد يدلّ على مقارنة شيء ومقاربته ، من ذلك الصاحب ... وأصحَبَ الرجلُ : إذا بلغ ابنه ، وكل شيء لازم شيئًا فقد استصحبه)) [١] وقال الراغب : ((الصاحب : الملازم إنسانًا كان أو حيوانًا أو مكانًا أو زمانًا ، ولا فرق بين أن تكون مصاحبته بالبدن ، وهو الأصل والأكثر أو بالعناية والهمة ، ولا يقال في العرف إلّا لمن كثرت ملازمته ، ويقال للمالك للشيء هو صاحبه ... وأمَّا قوله تعالى : (وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلا مَلائِكَةً){المدثر : ٣١} أي : الموكلين بها لا المعذبين بها ... ويقال : أصحب فلانٌ : إذا كبر ابنه فصار صاحبه)) [٢]

فالصاحبة لفظ عام ، يعني كلّ من تصاحبها ؛ فهو يُطلَق على زوجة الرجل ، وامرأته ، وصديقته وخليلته ، أي : يُطلَق على كلّ من

([١]) مقاييس اللغة ص ٥٠٣.

([٢]) المفردات ص ٢٨٥ .

تعاشرها معاشرة جنسية مشروعة أو غير مشروعة ؛ قال الله تعالى : (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ){الأنعام : ١٠١}فاستعمل الصاحبة لينفي أن يكون له صاحبة من زوجة أو غيرها .

٦-**الزيادة والمدّ : الزيادة :** ((الزيادة أن ينضمّ إلى ما عليه الشيء في نفسه شيء آخر٠٠٠كقوله تعالى : (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ){يونس: وروي من طرق مختلفة أنّ هذه الزيادة النظر إلى وجه الله٠٠٠وقوله تعالى : (قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ){البقرة : ٢٤٧}))[١]

-**المدّ** : ((أصل المدّ الجرّ، ومنه المدة للوقت الممتدّ ومدّة الجرح : ومدّ النهرُ ومدّه نهرٌ آخر ومددت عيني إلى كذا قال تعالى : (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ){طه : ١٣١}) [٢]((وأصل المدّ الجرّ والطول)) [٣]

و((المدّ : الزيادة المتصلة ، ومدّه في غيّه ، أي : أمهله وطوَّل له٠٠٠ورجل مديد الجسم طويل٠٠٠والأنثى مديدة ، وفي حديث عثمان : قال لبعض عمّاله : بلغني أنّك تزوّجت امرأة مديدة ، أي : طويلة ، ورجل مديد القامة : طويل القامة٠٠٠وتمدّد الرجل ، أي : تمطّى٠٠٠وقوله تعالى : (فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ){الهمزة : ٩} فسّره ثعلب قال معناه : في عمد طِوال ، ومدّ

---

(١) المفردات ص٢٢٤

(٢) المفردات ص٤٨٥

(٣) عمدة الحفّاظ ٧٨/٤

الحرف يمدّه مدًّا : طوّله٠٠٠وفي الحديث : إنّ المؤذِّن يُغفَر له مدَّ صوته)) [١]

فمدّ الشيء يعني جرّه وتطويله فالمدّ غير الزيادة حتى إنّها لا يصحّ أن تحل محلّه فقوله تعالى مثلًا : (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ) لا يصح أن يقال : ولا تزيدنّ عينيك

وأرى أنّ الفرق بين الزيادة والمدّ أنّ الزيادة تعني الإضافة ، والمدّ يعني الزيادة المتصلة غير المنقطعة والمتوالية ، والذي يكون من جنس الممدود ؛ ولهذا يقال : مدّ النهرُ أو مدّه نهر آخر ، لأنّ مدّ الشيء يعني تطويله نفسه أو تطويله بما هو من جنسه ، حتى إنّه يعني في اصطلاح كتب التجويد مطّ الصوت ، ولهذا قال سبحانه : (فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا){النبأ : ٣٠} ولم يقل : فلن نمدّكم ؛ لأنّه أراد أن يزيدهم عذابًا من نوع آخر

باب السين

١–سابقوا وسارعوا : السبق : ((أصل السبق في اللغة التقدّم في السير نحو قوله تعالى : (فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا){النازعات : ٤}٠٠٠ويستعار السبق لإحراز الفضل والتبريز وعلى ذلك قوله تعالى : (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ){الواقعة : ١٠} أي : المتقدّمون إلى ثواب الله وجنته بالأعمال الصالحة)) [٢] و((قوله تعالى : (فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا){النازعات : ٤} عنى بها الخيل العادية في الجهاد وقيل : هم الملائكة بأنّهم يسبقون الجنّ باستماع الوحي ، والسبق أصله التقدّم في السير ، ثمّ يُعبَّر بذلك عن التقدّم إلى الأشياء أعيانًا كانت أو معانيَ٠٠٠وقوله تعالى : (وَالسَّابِقُونَ

---

(١) لسان العرب ١٤/٣٧–٣٨

(٢) المفردات ص ٢٢٩–٢٣٠

السَّابِقُونَ){الواقعة : ١٠} أي المحرزون قصب السبق في الفضل٠٠٠وقوله تعالى : (أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ){المؤمنون : ٦١} أي : فاعلون فعل السابق في الخيرات غير المتباطئ)) [١]و((السرعة ضدّ البطء)) [٢]

تبيّن أنّ (سابقوا) أبلغ من (سارعوا) ولأنّ المتسابق يجهد نفسه بأن يكون في أقصى سرعة من أجل أن يسبق غيره ؛ لذلك استعمل (سارعوا) في قوله تعالى : (وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ){آل عمران : ١٣٣-١٣٦}

واستعمل (سابقوا) في قوله تعالى : (سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ){الحديد : ٢١}

فقد استعمل (سَابِقُوا){الحديد : ٢١} الأبلغ في سياقٍ عناصره أعظم وأبلغ من سياق ((وَسَارِعُوا){آل عمران : ١٣٣} فقد قال في آل عمران (وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ) وقال في الحديد : (وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ) والسماء أوسع من السماوات ، والدليل على ذلك قوله تعالى : (ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ){البقرة : ٢٩} فجعل السموات من

---

(١) عمدة الحفّاظ ١٧٠/٢

(٢) المفردات ص ٢٣٧ وينظر : عمدة الحفّاظ ١٩٢/٢

ضمن السماء ، وقال تعالى في السماوات : (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ){إبراهيم : ٤٨} لكنّه قال تعالى في السماء : (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ){الذاريات : ٤٧}فالسماوات تُبدّل ، أمّا السماء فهي في حالة توسّع مستمرّ ؛ فإنّ عرض السماء غير محدّد بخلاف السماوات ، فقوله تعالى في آل عمران : (وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ) يعنى جعل عرض الجنّة بنفس عرض السماوات ، أمّا قوله تعالى في الحديد : (وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ) ففيه تشبيه عرض الجنة بعرض السماء غير المحدّد ، والمستمرّة في التوسّع فيكون عرض الجنّة غير محدّد ؛ فإذن الجنّة التي يتسابق إليها المؤمنون أوسع وهي في حالة توسّع مستمرّ ؛ لذلك ناسب أن يتسابق فيها المتسابقون ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنّ الجنة التي في آل عمران يسارع فيها صنف واحد من صنوف أهل الإيمان وهم المتقون ؛ لذلك قال (وَسَارِعُوا)ولم يقل ☹سَابِقُوا) أمّا الجنة التي في الحديد فإنّه يتسابق إليها الذين آمنوا الذين يضمون كلّ صنوف أهل الإيمان : المؤمنون والمسلمون والسابقون وأصحاب اليمين والمحسنون الظنّ بالله وغيرهم ومن بينهم المتقون ؛ لذلك قال (سَابِقُوا) لأنّ السباق يقتضي مشاركة عدة أصناف فيه ، يضاف إلى ذلك أنّ الذين يسارعون إلى الجنة في آل عمران قيّدوا بقيامهم بالأعمال الصالحة وهم المتقون : (الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ) أمّا الجنّة التي في الحديد فقد عمّت كلّ صنوف الذين آمنوا حتى إنّه لم يقرن إيمانهم بالأعمال فصنوفهم أعمّ وأكثر فكان الجنّة التي يتسابقون إليها أوسع ؛ لذلك قال في الحديد ☹ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) ولم يقل هذا في آل عمران

٢-**السادة والكُبراء** :قال الله تعالى : (وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا){الأحزاب : ٦٧}و((السادة : هم رؤساء الكفر الذين

لقنوهم الكفر وزيّنوه لهم))[١] (((وَكُبَرَاءنَا) ذوي الأسنان منَّا ، أو علماءنا)) [٢] وقال ابن عاشور : ((والكبراء : جمع كبير وهو عظيم العشيرة ، وهم دون السادة ، فإنَّ كبيرًا يُطلق على رأس العائلة ، فيقول المرء لأبيه : كبيري ؛ ولذلك قوبل قولهم : (أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا) بقولهم : (يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا){الأحزاب : ٦٦}))[٣]

٣-سال وفاض : ((يقال : فاض : إذا سال بكثرة ، ومنه الإفاضة من عرفة وهو أن يندفعوا منها بكثرة ، وقولنا : سال ، لا يفيد الكثرة)) [٤]

قال تعالى : (وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ){المائدة : ٨٣}

٤-السبيل والصراط والطريق : جاء في كتب اللغة : الطريق مؤنّث ومذكّر والتأنيث أكثر ، وهو من الطَّرْق : خصف شيء على شيء ، والطَّرْق : ضرب الصوف بالعصا ، وأصله الضرب ، وسُمِّي طريقًا ؛ لأنّ عامّة الناس تطرقه بأرجلها ، فهو الطريق العام ، فهو أعمّ من السبيل .

والسبيل : يذكّر ويُونّث ، وكلا الطريق والسبيل يُستعمَل لكلِّ ما يُتوصَّل به إلى شيء خيرًا كان أم شرًّا ، إلّا أنّ السبيل ما تفرّع عن الطريق ، ولأنّ الطريق عامّ والسبيل خاصّ استعمل ليُعبِّر به عن حجة الإنسان ومذهبه ، فجاء تعبيرًا عن الحجّة في مواضع كقول الله تعالى : (مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ){التوبة : ٩١} وقوله تعالى : إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى

---

(١) الكشاف ٥٤٥/٣.

(٢) مدارك التنزيل ص ٩٥٢ .

(٣) التحرير والتنوير ٣٣٨/٢١ .

(٤) الفروق اللغوية ص ٣٣٦

الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ){التوبة : ٩٣}وقوله تعالى : (وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا){النساء : ١٤١} وقوله تعالى : (وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ){الشورى : ٤١}

ولذلك أيضًا جاء تعبيرًا عن المذهب في مواضع كقول الله تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ){العنكبوت : ١٢} وإذا أُطلِق فهو في الغالب واقع على الجهاد ؛ لأنّه السبيل الذي يُقاتَل فيه على عَقْد ، كقول الله تعالى : (وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ){البقرة : ١٥٤}

والسراط (بالسين وهو الأصل (والصراط) بالصاد لغة ، أصله من سرِطتُ الطعام (بكسر الراء) : ابتلعته ، فقيل سراط تَصَوُرًا أنه يبتلعه سالكُه أو يبتلع سالكَه ، فهو من السَّرط : وسَرْطُ الطعام : سرعة ابتلاعه من غير مضغ ، والصراط : الطريق المستسهل ،.والصراط من السبيل : ما اتسع من الطريق ، فهو يسع كلّ سالكيه ، وإنّما سُمِّي به ؛ لأنّ الذاهب فيه يغيب فيه غيبة الطعام المُسْرَط ، والصراط : السبيل الواضح الذي لا التواء فيه ولا اعوجاج ، وبه فسَّر قوله تعالى : (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ){الفاتحة : ٦}أي : ثبتنا على المنهاج الواضح [1]

وقال الطبري : ((أجمعت الأمّة من أهل التأويل على أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه ، وكذلك ذلك في لغة

---

(١) ينظر : العين للفراهيدي ص ٤٢٢ وتهذيب اللغة للأزهري ١٦٢١/٢ ، ١٦٧٣ ومقاييس الغة لابن فارس ص ٤٢٨ ، ٥٤٧ والمفردات للراغب ص ٢٣٠ ، ٢٣٧ ، ٣١٥ ولسان العرب ١١٧/٧ ، ١٧٠ ، ١٠٩/٩ وعمدة الحفاظ للسمين الحلبي ١٧١/٢ والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ص ٣٠١ والكليات للكفوي ص ٤٣٠ وتاج العروس للزبيدي ١٨٠/١٩ ، ١٨٢ ، ٣٥/٢٥ ، ٩٣/٢٩

جميع العرب٠٠٠ثمّ تستعير العرب الصراط فتستعمله في كلّ قول وعمل يوصف باستقامة)) (١)

تبيّن من تعريف أهل االلغة للسبيل والطريق أنّ السُّبُل ما تفرّع عن الطريق ، فالطريق مثلًا الذي يمتدّ من بغداد إلى الموصل طريق عامّ واحد ، لكن السُّبُل التي تتفرّع منه إلى الأقضية والنواحي والقرى كثيرة ؛ لذلك ورد السبيل في القرآن الكريم في أكثر من ١٥٠ موضعًا ، وأغلبها جاءت تعبيرًا عن الحِجَّة ، أو المذهب ، وقد تقدّمت شواهدهما ، وجاءت تعبيرًا عن الوسيلة ، أو السبب ، أو الحالة ، ونحو هذه الدلالات كقول الله تعالى : (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا){آل عمران : ٩٧} (فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ){غافر : ١١} وقوله تعالى : (وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا){الإسراء : ٧٢} والسبيل يستعمل في الأغلب في المعاني ، ولم يستعمل في الأعيان إلّا في مواضع قليلة ، كقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا){النساء : ٤٣} وقوله تعالى : (وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا){الكهف :٦٣}

وتبيّن أيضًا من تعريف أهل اللغة للصراط بأنّه يعني : الطريق الواسع والواضح وورد في القرآن الكريم في أكثر من أربعين موضعًا ، وقد جاء بهذا المعنى في كلّ مواضع وروده في كتاب الله إلّا أنّهم اختلفوا في دلالته في موضعين ففي قول الله تعالى : (وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ ٦٠٤ رصرا لأخط ب٦٠٤ ُونَهَا عِوَجًا){الأعراف : ٨٦} ((قال ابن عباس وقتادة ومجاهد والسُّدي كانوا

(١) جامع البيان ٨٥/١

يقعدون على الطرقات المفضية إلى شعيب فيتوعّدون من أراد المجيء إليه ويصدّونه ويقولون إنّه كذاب)) [١]

وهذا يعني أنّ الصراط جاء على بابه ، لأنّهم كانوا يقعدون عند مفترق الطرقات فيكون المراد من الصراط ما اتسع من الطريق .

بل جاء ((عن مجاهد : في قول الله تعالى : (بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ) : كلّ سبيل حقّ))[٢] وهذه دلالة الصراط بعينه ، وقد فسّرالزمخشري الصراط بجعله على بابه فقال : (((وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ)٠٠٠أي : بكلّ منهاج من مناهج الدين ، والدليل على أن المراد بالصراط سبيل الحق قوله : (وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ)٠٠٠فإن قلتَ صراط الحق واحد٠٠٠قلتُ : صراط الحق واحد ، ولكنّه يتشعّب إلى معارف وحدود وأحكام كثيرة مختلفة ، فكانوا إذا أرادوا أحدًا يشرع في شيء منها أوعدوه وصدّوه)) [٣]

وجاء في الخبر الصحيح في قوله تعاالى : (وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ){يس : ٦٦} أنّه ((قد رُوي عن عبد الله بن سلام في تأويل هذه الآية غير ما تقدّم ، وتأويلها على أنّها في يوم القيامة ، وقال : إذا كان يوم القيامة ومُدَّ الصراط ، نادى مناد : ليقم محمد ، صلى الله عليه وسلّم ، وأمَّته ، فيقومون برّهم وفاجرهم يتبعونه ليجوزوا الصراط ، فإذا صاروا عليه طمس الله أعين فجّارهم فاستبقوا الصراط فمن أين يبصرونه حتى يجاوزوه ؟!)) [٤]

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ١٧١/٧ وينظر : جامع البيان للطبري ٢٧٩/٨

(٢) جامع البيان ٢٧٩/٨

(٣) الكشّاف ١٢٣/٢-١٢٤

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٢/١٥-٤٣

وتبيّن أيضًا من تعريف أهل اللغة للطريق بأنّه سُمِّي كذلك ؛ لأنّ عامّة الناس تظرقه بأرجلها فهو إذن الطريق العام المسلوك ، وقد ورد في أربعة موضع ، هي قول الله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا){النساء : ١٦٨-١٦٩} وقوله تعالى : (فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا){طه : ٧٧}وقوله تعالى : (قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ){الأحقاف : ٣٠}

ذكر الطريق في هذه المواضع ولم يذكر السبيل أو الصراط ؛ لأنّه في سورة النساء أراد به الطريق العام الذي يسلكه كلّ الذين كفروا بالله ، وفي سورة طه أراده بمعناه الحقيقي لا المجازي ، وفي سورة الأحقاف قال الطريق ولم يقل الصراط ؛ لأنّ الطريق يعني المسلوك الذي لم يبتدعه صاحبه ؛ وأنّه سار على نفس الناموس الذي جاء به قبله موسى عليه السلام ، يؤيد ذلك قوله تعالى : (قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ){الأحقاف: ٩} واستعمال الصراط لا يؤدي هذا المعنى

٥-**السحاب والغمام : السحاب** : ((السين والحاء والباء أصل صحيح يدلُّ على جرّ شيء مبسوط ومدّه٠٠٠وسُمِّي السحاب سحابًا تشبيهًا له بذلك كأنّه ينسحب في الهواء انسحابًا))(١) ((وسمِّي السحاب سحابًا ، إمّا لجرّه الماء أو لجرّ الرياح له أو لانجراره في ممرّه))(٢)

---

(١) مقاييس اللغة ص ٤٣٢

(٢) عمدة الحفّاظ ١٧٦/٢

ف((السحابة : الغيم والتي يكون عنها المطر سمّيتْ بذلك لانسحابها في الهواء ، أو لسحب بعضها بعضًا ، أو لسحب الرياح لها))[١]((والسحاب الغيم فيها ماء أو لم يكن ، ولهذا يقال : سَحاب جَهام))[٢]و((الجَهام : السحاب الذي أراق ماءه))[٣]

والسحاب في الحقيقة كما تبيّن لي من خلال استعماله في القرآن الكريم هو الرياح المُحمَّل بالماء ، وقد ينزل منه المطر أو ينحبس فيه ، ويشمل السحاب الذي أراق ماءه ، وهو السحاب الجَهام كما قال الراغب ، قال تعالى ☹وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ){الرعد : ١٢}أي : ثقال بالماء[٤]وسُمَّي سحابا ؛ لأنّ الرياح تحمله وتجرّه وتسحبهمن أرض إلى أرض ، وقد استعمل في سياق الرحمة والخير والرزقكقوله تعالى : (وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ){البقرة : ١٦٤}

وقوله تعالى : (وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ)}الطور : ٤٤}أي : ((أنّهم لشدّة طغيانهم وعنادهم لو أسقطناه عليهم لقالوا : هذا سحاب مركوم قد رُكِم أي : جُمِعَ بعضه فوق بعض يمطرنا ولم يصدِّقوا أنّه كسف ساقط للعذاب)) [٥]فقالوا : سحاب ؛ لأنّ السحاب خير ورحمة

---

(١) تاج العروس ٢٩/٣

(٢) المفردات ص ٢٣٢

(٣) مقاييس اللغة ص ١٧٩

(٤) ينظر : مدارك التنزيل ص ٥٥٢

(٥) مدارك التنزيل ص ١١٧٧

وقوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ){الأعراف : ٥٧}

والسحاب في القرآن الكريم على ضربين سحاب سماوي تسحبه الرياح في جوّ السماء ، مرّ ذكره وقد ورد في القرآن الكريم في ثمانية مواضع ، وسحاب بحري ، وهو ماء كثيف تحمله أمواج المياه وتجرّه وتسحبه في جوف البحر ، وورد في موضع واحد هو قوله تعالى : (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ){النور : ٤٠}

-**الغمام** : ((الغين والميم أصل واحد وصحيح يدلّ على تغطية وإطباق ، تقول : غمّمْتُ الشيءَ أغُمُّه أي : غطيته...ومن الباب الغمام جمع غمامة))[١]

وقد ورد في أربعة مواضع جميعها جاءت بمعنى ما يستظَلُّ به وبمعنى الحُجُب التي تحجب وتستر وتُخفيكقوله تعالى : (وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ){البقرة : ٥٧}أي : جعلنا الغمام يظلّكم من الشمس وحرّها وذلك في التيه يسير بسيركم[٢]

وقوله تعالى : (وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ){الأعراف : ١٦٠}

وقوله تعالى : (وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا){الفرقان : ٢٥}

وقوله تعالى : (هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ){البقرة : ٢١٠}(فِيظُلَلٍ)((جمع ظُلّة ، كـ(قُلَل) في

---

(١) مقاييس اللغة ص ٦٩٣

(٢) مدارك التنزيل ص ٥٣

جمع قُلّة ، أي : في ظُلّة داخل ظُلّة ، وهي ما يستر من الشمس ، فهي في غاية الإظلام والهول ، والمهابة لِما لها من الكثافة التي تغمُّ على الرائي ما فيها(وَالْمَلَائِكَةُ) عطف على الاسم الجليل ، أي : ويأتي جنده الذين لا يعلم كثرتهم إلّا هو))[١] و((قوله تعالى : (فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ) (فِي) معناها (مع) يعني يأتي مصاحبًا لهذه الظُلَل ، وإنّما أخرجناها عن الأصل الذي هو الظرفية ؛ لأنّه لو أخذناها على أنّها للظرفية صارت هذه الظلل محيطة بالله عزّ وجلّ ، والله أعظم ، وأجلّ من أن يحيط به شيء من مخلوقاته ، ونظير ذلك أن نقول : جاء فلان في الجماعة الفلانية ، أي : معهم ، وإن كان هذا التنظير ليس من كلّ وجه ؛ لأنّ فلانًا يمكن أن تحيط به الجماعة ، ولكنّ الله لا يمكن أن يحيط به الظلل ، وهذا الغمام يأتي مقدمة بين يدي مجيء الله عزّ وجلّ...و(الْغَمَامِ) قالوا : إنّه السحاب الأبيض الرقيق ، لكن ليس كسحاب الدنيا ، فالاسم هو الاسم ، ولكن الحقيقة غير الحقيقة ؛ لأنّ المسميات في الآخرة ، وإن شاركت المسميات في الدنيا في الاسم إلّا أنّها تختلف مثلما تختلف الدنيا والآخرة ، قوله تعالى : (وَالْمَلَائِكَةُ) بالرفع عطفًا على لفظ الجلالة ، يعني : وتأتيهم الملائكة أيضًا محيطة بهم...ثمّ يأتي الربّ عزّ وجلّ للقضاء بين عباده ، ذلك الإتيان الذي يليق بعظمته وجلاله ، ولا أحد يحيط علمًا بكيفيته))[٢]

٦-**السخط والغضب والغيظ : السخط :** ((السخط : نقيض الرضا))[٣]و((السَّخَطُ والسُّخْطُ الغضب الشديد المقتضي للعقوبة قال تعالى : (وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا

---

(١) محاسن التأويل تفسير القاسمي ٨٧/٢

(٢) الكنز الثمين تفسير ابن عثيمين ٨/٢-٩

(٣) العين ص ٤١٥

هُمْ يَسْخَطُونَ){التوبة : ٥٨} وهو من الله إنزال العقوبة قال تعالى : (لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ){المائدة : ٨٠}))[١]

الغضب : ((الغضب ثوران دم القلب إرادة الانتقام٠٠٠وإذا وُصِف الله به فالمراد به الانتقام دون غيره قال تعالى : (فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ){البقرة : ٩٠}٠٠٠وقال تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم){المجادلة : ١٤}))[٢]

الغيظ :((الغين والياء والظاء أصيل فيه كلمة واحدة ، يدلّ على كرب يلحق الإنسانَ من غيره))[٣]و((الغيظ أشدّ غضب ، وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من فوران دم قلبه قال تعالى : (قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ){آل عمران : ١١٩}٠٠٠وقد دعا الله الناس إلى إمساك النفس عند اعتراء الغيظ قال تعالى : (وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ){آل عمران : ١٣٤}وإذا وُصِفَ الله سبحانه به فإنّه يراد به الانتقام قال تعالى : (وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ){الشعراء : ٥٥} أي : داعون بفعلهم إلى الانتقام منهم ، والتغيّظ هو إظهار الغيظ وقد يكون ذلك مع صوت مسموع كما قال تعالى : (إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا){الفرقان : ١٢}))[٤]

وقد فرّق العسكري ((بين الغضب والغيظ أنّ الإنسان يجوز أن يغتاظ من نفسه ، ولا يجوز أن يغضب عليها ، وذلك أنّ الغضب إرادة الضرر

---

(١) المفردات ص ٢٣٥وينظر : عمدة الحفّاظ ١٨٢/٢

(٢) المفردات ص ٣٧٦ وينظر : عمدة الحفّاظ ١٦٥/٣

(٣) مقاييس اللغة ٧٠٣

(٤) المفردات ص ٣٨٣ وينظر : عمدة الحفّاظ ١٨٩/٣

للمغضوب عليه ، ولا يجوز أن يريد الضرر لنفسه ، والغيظ يقرب من الغمّ))[١]

وذكر أنّ ((الفرق بين الغضب والسخط أنّ الغضب يكون من الصغير على الكبير ومن الكبير على الصغير والسخط لا يكون إلّا من الكبير على الصغير ، يقال : سخط الأمير على الحاجب ، ولا يقال : سخط الحاجب على الأمير ، ويستعمل الغضب فيهما ، والسخط إذا عدّيته بنفسه فهو خلاف الرضا : رضيه وسخطه ، وإذا عديته بـ(على) فهو بمعنى الغضب ، تقول : سخط الله إذا أراد عقابه))[٢]

فصفوة ما تقدّم ذكره أنّ السخط هو شدة الغضب أو هو ما كان أشدّ من الغضب ، والغيظ هو كرب وغمّ يلحق المرء من غيره، هذا هو الفرق بينها عند وصف الإنسان بها ، أمّا عند وصف الله نفسه بها فقد أوّلها أهل التفسير جميعها بإرادة الانتقام ، وفي هذا التأويل تعطيل لصفات الله ، والدليل على أنّ إرادة الانتقام من الله هي غير السخط مثلًا : ((قوله تعالى : (فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ){الزخرف : ٥٥}(آسَفُونَا) بمعنى أغضبونا(انتَقَمْنَا مِنْهُمْ) فجعل الانتقام بعد وجود الغضب ، وهذا يدلُّ على أنّ هذا ليس هو هذا))[٣]

فهو جلّ جلاله يسخط ويغضب ويغتاظ لكن ليس كما يسخط الإنسان ويغضب ويغتاظ

٧-**السرّ والنجوى** :قال الله تعالى : (أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم) و((النجوى : اسم للكلام الخفي الذي تناجي به صاحبك ، كأنَّك

---

(١) الفروق اللغوية ص ١٤٨

(٢) الفروق اللغوية ص ١٤٨

(٣) تفسير ابن عثيمين ٤٢٣/٣

ترفعه عن غيره٠٠٠والسر : إخفاء الشيء في النفس))[1] و((وناجيته ، أي : ساررته ، وأصله أن تخلو به في نجوة من الأرض)) [2] و((السر : هو الحديث المُكتَم في النفس))[3]

فالسر حديثك الخفيّ مع نفسك ؛ لذلك فإنّه لا يعلم به غيرك ، والنجوى حديثك الخفي مع صاحبك لم يسمعه ولا يعلم به غيركما

٨–**السرى والسير** : ((السير : المضي في الأرض)) [4] و((السرى : السير ليلًا يقال : سرى وأسرى ، قال تعالى : (فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ){هود : ٨١} وقال تعالى : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا){الإسراء : ١}))[5]

٩–**السرعة والعجلة** : فرّق العسكري ((بين السرعة والعجلة أنّ السرعة التقدّم فيما ينبغي أن يُتقدَّم فيه ، وهي محمودة ، ونقيضها مذموم وهو الإبطاء ، والعجلة التقدّم فيما لا ينبغي أن يُتقدَّم فيه وهي مذمومة ، ونقيضهامحمود وهو الأناة ، فأمّا قوله تعالى : (وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ){طه : ٨٤} فإنّ ذلك بمعنى أسرعتُ))[6]

بل العجلة هنا جاءت على بابها ؛ لأنّ الله سبحانه أنكر عليه هذه العجلة ، وهذا واضح من سياق الآيات في قوله : (وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ){طه : ٨٣–٨٥} قال النسفي

---

(١) الفروق اللغوية ص ٧٥ .

(٢) المفردات ص ٥٠٦ .

(٣) المفردات ص ٢٣٥.

(٤) المفردات ص ٢٥٥

(٥) المفردات ص ٢٣٨

(٦) الفروق اللغوية ص ٢٣٠

((قال الله تعالى : (ومَا أَعْجَلَكَ)أي : أيُّ شيء أوجب عجلتك ، استفهام إنكار و(ما) مبتدأ و(أَعْجَلَكَ) الخبر (قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي) أي : هم خلفي يلحقون بي وليس بيني وبينهم إلّا مسافة يسيرة ، ثمّ ذكر موجب العجلة فقال : (وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ) أي : إلى الموعد الذي وُعِدتُ (لِتَرْضَىٰ) لتزداد عنّي رِضًا ، وهذا دليل على جواز الاجتهاد))[١]

((العجلة : التقدّم بالشيء قبل وقته ، وهو مذموم ، والسرعة : تقديم الشيء في أقرب أوقاته ، وهو محمود ، ويشهد للأول قوله تعالى : (وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ){طه : ١١٤}وقوله تعالى : (أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ){النحل : ١} وللثاني قولهتعالى : (وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ){آل عمران : ١٣٣}))[٢]

١٠-**السري والنهر** : **السري** : الجدول أو النهر الصغير [٣] وكان نهرًا قد انقطع فأرسل الله الماء فيه [٤] وروي أنّ خالد بن صفوان قال للحسن : إنّ العرب تسمّي الجدول سريًّا فقال : صدقت[٥]

١١-**السفح والسفك** :**السفح** : ((السين والفاء والحاء أصل واحد يدلُّ على إراقة شيء، يقال : سفح الدمَ : إذا صبّه ، وسفح الدم : هراقه ، والسِّفاح : صبّ الماء بلا عقد نكاح ، فهو كالشيء يُسفَح ضَياعًا ،

---

(١) مدارك التنزيل ص ٦٩٩

(٢) فروق اللغات ص ١٤٣-١٤٤

(٣) ينظر : جامع البيان للطبري ١٦/٨٠-٨٤

(٤) ينظر : الوسيط للواحدي ٣/١٨١

(٥) ينظر : مدارك التنزيل للنسفي ص ٦٧١

والسَّفَّاح : رجل من رؤساء العرب ، سفح الماءَ في غزوة غزاهافسُمِّي سَفّاحًا)) [١]

و((قوله تعالى : (غَيْرَ مُسَافِحِينَ){النساء : ٢٤} السِّفاح : الزنا ؛ لأنّه صبُّ المني في الرحم ، وغلب في الزنا ، ويقابله النِّكاح ، يقال : سفحتُ الماءَ : صببتُه))[٢]

ومن شواهد السفح في القرآن الكريم قوله تعالى : (أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا){الأنعام : ١٤٥} أي : ((مصبوبًا سائلًا))[٣]

السفك : ((السين والفاء والكاف كلمة واحدة يقال : سفكَ دمَه يسفكه سفْكًا : إذا أساله ، وكذلك الدمع)) [٤] وورد السفك في موضعين كلاهما في سفك الدماء هما قوله تعالى : (قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ){البقرة : ٣٠} وقوله تعالى : (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ){البقرة : ٨٤}

فسفح الشيء صبّه وسفكه إسالته

١٢–**السفر والكتاب** : فرّق العسكري ((بين الكتاب والسفر أنّ السفر الكتاب الكبير ، وقال الزجاج : الأسفار الكتب الكبار ، وقال بعضهم : السفر الكتاب يتضمّن علوم الديانات خاصّة ، والذي يوجبه الاشتقاق أن يكون السفر الواضح الكاشف للمعاني من قولك : أسفر الصبح إذا أضاء ،

---

(١) مقاييس اللغة ص ٤٠٩

(٢) عمدة الحفّاظ ٢٠١/٢

(٣) مدارك التنزيل ٣٤٧

(٤) مقاييس اللغة ص ٤٠٨

وسفرت المرأة نقابها إذا ألقته فانكشف وجهها ، وسفرتُ البيت : كنسته ؛ وذلك لإزالته التراب عنه حتى تتكشف أرضه)) [1]

وقال الراغب : ((والسفر الكتاب الذي يسفر عن الحقائق وجمعه أسفار قال تعالى : (كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا){الجمعة : ٥})) [2]

١٣-**السفينة والفلك** : استعملت السفينة في أربعة مواضع واستعملت الفلك في ثلاثة وعشرين موضعًا :

-**السفينة** : ((السين والفاء والنون أصل واحد يدلُّ على تنحية شيء عن وجه شيء ، كالقَشْر ، قال ابن دريد : السفينة فعيلة بمعنى فاعلة ؛ لأنّها تسفنُ الماء ، كأنّها تقْشِره ، والسفّان ملّاح السفينة ، وأصل الباب السَّفْنُ ، وهو القَشْر ٠٠٠والسَّفَنُ : الحديدة التي يُنْحَت بها٠٠٠وسَفَنَتِ الريحُ التراب عن وجه الأرض))[3]

-**الفلك** : (الفاء واللام والكاف أصل صحيح يدلُّ على استدارة في شيء ، من ذلك فَلْكَة المِغزل ، بفتح الفاء ، سُمِّيتْ لاستدارتها٠٠٠ومن هذا القياس : فَلَك السماء))[4]((والفُلْك بالضمّ : السفينة ، تّذكَّر وتُؤنّث وتقع على الواحد والاثنين والجمع))[5] ((والفَلَك (محرّكة) : مدار النجوم٠٠٠والفَلَك من كلِّ شيء مستداره ومعظمه ، والفَلَك : موج البحر المضطرب المستدير المتردد٠٠٠وقال بعض العرب : الفَلَك هو الموج إذا ماج في البحر

---

(١) الفروق اللغوية ص ٣٢٦

(٢) المفردات ص ٢٤١

(٣) مقاييس اللغة ص ٤٠٨ وينظر : لسان العرب ٢٠٢/٧

(٤) مقاييس اللغة ص ٧٢٠

(٥) لسان العرب ٢٢٢/١١

واضطرب وجاء وذهب)) [1]((والفُلْكُ (بضم الفاء وتسكين اللام) السفينة٠٠٠وقيل : إنّه يقال : فُلُكٌ بضمتين أيضًا ، وأشار الرضي إلى جواز أن يكون بضمتين هو الأصل ، وأنّ ضمّ الأوّل وتسكين الثاني لعلّه تخفيف منه كعُنق))[2]

والذي يبدو من تعريف أهل اللغة للسفينة والفلك أنّ اسم السفينة هو الأصل وتسمّى بذلك ؛ لأنّها تسفنُ الماء ، بمعنى تقشره وتنحت ظاهره ، وهذا يعني أنّها في الأصل تُطلَق عليها اسم السفينة عندما يراد منها صغر حجمها واقتصار استعمالها على الأمور الهيّنة كحمل المسافرين مع بضائعهم وأمور الصيد ، أو ركوبها في شواطئ البحر للنزهة والتسلية ، وأنّها تُسمّى بذلك أيضًا عندما يراد الإشارة إلى أصل التسمية ، وقد وردت السفينة بهذا المعنى في أربعة مواضع ، ثلاثة منها في قصة الخضر مع موسى عليهما السلام في سورة الكهف وهي : قوله تعالى : (فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا){الكهف : ٧١} وقوله تعالى : (أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا){الكهف : ٧٩}فكونها لمساكين يدلّ على صغر حجمها ، وكذلك القدرة على خرقها ، وخوف موسى عليه السلام من غرقها من هذا الخرق الذي لم يكن كبيرًا يدلّ أيضًا على أنّها كذلك ، أمّا الموضع الرابع فسيأتي الكلام عليه

أمّا الفلك فتُستعمل لما هو أكبر من ذلك ، وهذا هو ظاهر من أصل معناها ، فالفَلَك : موج البحر المضطرب المستدير المتردد ، والفَلَك هو الموج إذا ماج في البحر واضطرب وجاء وذهب، وبأنّها سُمِّيتْ بالفلك لاستدارتها ،

(١) تاج العروس ١٨٣/٢٧

(٢) تاج العروس ١٨٤/٢٧

كأنّ المراد استدارتها في عرض البحر المتلاطم أمواجه ، وهذا يقتضي استعمالها في نقل الركّاب إلى الدول البعيدة وحمل المواد الغذائية والبضائع التجارية الكبيرة ونقلها من بلد إلى بلد ، لذلك ذكر الفلك في سياق تذكير الإنسان بنعمة الله عليه وقدرته كيف أنّ الله سخّر له الفلك تجري في البحر لخدمته وقضاء حاجاته من ذلك :

قوله تعالى : (وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ){البقرة : ١٦٤}

وقوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ){الحج : ٦٥}

وقوله تعالى : (وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ){الروم : ٤٦}

وقوله تعالى : (وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ){فاطر : ١٢}

واستعملت الفلك للدلالة على سعتها وامتلائها بالركاب وجريها في عرض البحر ، حتى تجعل ركابها يشعرون بعظمة الله والخوف من العاقبة كقوله تعالى : (إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ){الصافات : ١٤٠}وقوله تعالى : (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ){العنكبوت : ٦٥}

ولذلك استعملت الفلك في التعبير عن سفينة نوح في قصة الطوفان كقوله تعالى : (فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ۙ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ){المؤمنون : ٢٧}

وقوله تعالى : (فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ){المؤمنون : ٢٨}

وقوله تعالى : (فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ){الشعراء : ١١٩}

وقوله تعالى : (وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ){يس : ٤١}

وذكرت سفينة نوح في تسعة مواضع عُبِّر عنها بلفظ الفلك في ثمانية مواضع وعبِّر عنها بلفظ السفينة في موضع واحد هو قوله تعالى : (فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ){العنكبوت : ١٥}جاء في تفسيرها : (((وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ) تركنا السفينة عبرة لمن بعدهم من الناس إن عصوا رسولهم فعلنا بهم مثل ذلك))[١]((وفي كونها آية وجوه : أحدها : أنّها كانت باقية على الجودي مدة مديدة (طويلة) ، وثانيها : أنّ الله سلّم السفينة من الرياح المزعجة ، وثالثها : أنّ الماء غيض قبل نفاد الزاد))[٢]

فقد عبِّر عن سفينة نوح في كل المواضع بلفظ الفلك لما تقدّم ذكره حتى قوله تعالى : (فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ)){الشعراء : ١١٩} استعمل الفلك ؛ لأنّه أراد نجاتهم في أثناء الطوفان ، أنّها حملتهم وركبوا واستقرّوا فيها آمنين من الغرق ، لكن استعمل السفينة في قوله تعالى : (فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ){العنكبوت : ١٥}لأنّ الآية تتحدّث هنا عن نجاتهم في نهاية الطوفان ، ونزولهم منها إلى البرّ واليابسة ، فقد غيض الماء وانتهى كلّ شيء ، هذا من جهة ومن جهة أخرى أنّه لمّا

---

(١) الوسيط للواحدي ٤١٥/٣ وينظر جامع البيان للطبري ١٥٩/٢٠ وزاد المسير ١٣١/٦

(٢) فتح القدير للشوكاني ٢٤٤/٤-٢٤٥ وينظر : اللباب في علوم الكتاب للدمشقي ٣٢٥/١٥-٣٢٦

انتهت قصّة الطوفان انتهى الغرض من دلالة الفلك ، فرجع القرآن ليسمّي السفينة باسمها الأصلي

وكما سمّى سفينة نوح بالفلك سمّاها بالجارية في قوله تعالى : (إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ){الحاقّة : ١١} ((والجري : المرّ السريع))[1] ((وأصله في الماء وما يجري مجراه)) [2]وسمّاها بذلك ؛ لأنّه أراد الإسراع في نجاتهم ، وسمّاها بذات ألواح ودسر في قوله تعالى : (وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ){القمر : ١٣} جاء في التفسير : (((وَحَمَلْنَاهُ) يعني نوحًا (عَلَىٰ) سفينة (ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ) وهي خشباتها العريضة التي منها جُمِعتْ (وَدُسُرٍ) يعني المسامير التي تُشّدُّ بها الألواح ، واحدها : دسار))) [3]

وسمّاها بذلك لبيان عظمته وقدرته أنّه من هذه المواد رُكِّبتْ سفينة أنجت من الفناء كلّ البشر والحيوان والشجر

والقرآن كما سمّى السفينة بالفلك في سياق تذكير الإنسان بنعمة الله عليه لكونها تحمل له ما ثقل من المتاع سمّاها بالجواري لتذكيره بسرعة سيرها واختصار الطرق له كقوله تعالى : (وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ){الشورى : ٣٢}وقوله تعالى (وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ){الرحمن : ٢٤-٢٥}

فتأمّل أنّه استعمل كلّ تسمية من أسماء السفينة في مكانها المناسب من السياق والمعنى المراد

---

(١) المفردات للراغب ص ٩٧

(٢) عمدة الحفّاظ ٣٢١/١

(٣) الوسيط للواحدي ٢٠٩/٤ وينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٧٠/٥ ومدارك التنزيل للنسفي ص ١١٨٦

١٤-**السقم والمرض : المرض** ☹(الميم والراء والضاد أصل صحيح يدلّ على ما يخرج به الإنسانعن حدّ الصحة في أيّ شيء كان٠٠٠والنفاق مرض في قوله تعالى : (فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ){البقرة : ١٠}٠٠٠وقد قلنا : المرض : كلّ شيء خرج به الإنسان عن حدّ الصحّة)) [١]

فالمرض عامّ يُطلَق على مرض الجسد ومرض النفوس والقلوب ، كقوله تعالى : (فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ){المائدة : ٥٢} (((فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) نفاق))[٢]

والمرض هو ما كان موقّتًا ويرجى شفاؤه ؛ لذلك قال تعالى : (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ){النساء : ١٠٢}وقال تعالى : (فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ){البقرة : ١٨٤}

السقم : ((السّقَم : المرض المختصّ بالبدن))[٣] ((سَقِمَ سَقَمًا من باب : تَعِبَ تَعَبًا : طال مرضه ، وسَقُمَ سُقْمًا فهو سقيم وجمعه سِقام مثل كريم وكِرام))[٤] فالسَّقَمُ بفتح السين والقاف من سَقِمَ بفتح السين وكسر القاف ، والسُّقْم بضم السين وتسكين القاف من سَقُمَ بفتح السين وضم القاف ، والسقم يُطلَق على المرض المزمن الذي يصيب البدن ولا يُرجى بُرؤه أو الذي طال بصاحبه وأتعبه كقوله تعالى : (فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ){الصافات : ١٤٥}

---

(١) مقاييس اللغة ص ٨٥٧

(٢) مدارك التنزيل ص ٢٨٩

(٣) بصائر ذوي التمييز ٢٣١/٣

(٤) المصباح المنير ص ٢٨٠

١٥-**السكب والصبّ** : **السكب** : ((وماء مسكوب ، أي : يجري على وجه الأرض من غير حفر)) [١]

-**الصبّ** : ((الماء يتصبّب من الجبل ، أي : يتحدّر)) [٢] و((صبّ الماء إراقته من أعلى قال تعالى : (يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ){الحج : ١٩})) [٣] و((قوله تعالى : (فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا){عبس : ٢٤-٢٦} الصبّ : السكب بسرعة وكثرة ، وقيل : الصبّ إراقة المائعات من علوّ ومنه قولهم : تصبّب زيد عرقًا)) [٤]

وفرّق العسكري ((بين السكب والصبّ أنّ السكب هو الصبّ المتتابع ، ولهذا يقال : فرس سكب إذا كان يتابع الجري ولا يقطعه ، ومنه قوله تعالى : (وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ){الواقعة : ٣١} لأنّه دائم لا يمقطع ، والصبُّ يكون دفعة واحدة)) [٥]

فسكب الماء تتابع جريه على وجه الأرض ، وصبّه إراقته بكثرة وكثاقة من أعلى

١٦-**السكت والصمت** : **السكت** : (السكوت مختصّ بترك الكلام٠٠٠ولمّا كان السكوت ضربًا من السكون استعير له في قوله تعالى :

---

(١) الصحاح ص٥٠١

(٢) الصحاح ص ٥٧٧

(٣) المفردات ص ٢٨٣

(٤) عمدة الحفّاظ ٣١٣/٢

(٥) الفروق اللغوية ص ٣٤٩-٣٥٠

(وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ){الأعراف : ١٥٤})) [١] و((السكوت والسكون متقاربان)) [٢]

–**الصمت** : ((قوله تعالى : (أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ){الأعراف : ١٩٣} أي : ساكتون ، يقال : صمت يصمُتُ صَمتًا : إذا لم يتكلّم)) [٣]

ولم يرد كلٌّ من السكوت والصمت إلّا في موضع واحد هو الموضع المذكور ، أمّا عن الفرق بينهما فإن صوت الصاد في الصمت أفخم من صوت السين في السكوت ؛ لذلك كان الصمت أبلغ من السكوت ، هذا هو الفرق الأوّل ، والفرق الثاني أنّ الصمت أطول مدة من السكوت الذي قد يكون لحظة عن موقف معيّن ، ولهذا ورد الصمت بصيغة اسم الفاعل ((صَامِتُونَ) الدال على الثبات والاستمرار وورد والسكوت بصيغة الفعل الماضي (سَكَتَ) الدال على الحدوث ، والفرق الثالث أنّ السكوت يكون إمساكًا عن قول الحق والباطل ، والصمت لا يكون إلّا إمساكًا عن قول الباطل ، لذلك قال صلّى الله عليه في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت ، أي : ليصمت عن قول الباطل ، والفرق الرابع أنّ السكوت قد يكون عن خوف أمّا الصمت فيتولّد من الأدب والحكمة

١٧–**السكينة ورأس الهرّة** : قال الله تعالى : (وَقَالَلَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ){البقرة : ٢٤٨} قال الطبري : ((واختلف أهل التأويل في معنى السكينة ، فقال

---

(١) المفردات في ريب القرآن للراغب ص ٢٤٤

(٢) عمدة الحفّاظ ٢/٢٠٦

(٣) عمدة الحفّاظ ٢/٣٥٢

بعضهم : هي ريح هفافة لها وجه كوجه الإنسان...وقال آخرون : لها رأس كرأس الهرّة وجناحان...وقال آخرون : بل هي رأس هرّة...وقال آخرون إنَّما هي طست من ذهب من الجنة ، كان يُغسّل فيه قلوب الأنبياء...وقال آخرون : السكينة : روح من الله يتكلم...وقال آخرون : السكينة : ما يعرفون من الآيات فيسكنون فيه...وقال آخرون السكينة : الرحمة...وقال آخرون : السكينة : الوقار...وأولى الأقوال بالحق في معنى السكينة ما قاله عطاء بن أبي رباح من الشيء تسكن إليه النفوس من الآيات التي تعرفونها ، وذلك أنَّ السكينة في كلام العرب الفعيلة من قول القائل : سكن فلان إلى كذا وكذا : إذا اطمأنَّ إليه وهدأت عنده نفسه ، فهو يسكن سكونًا وسكينة ، مثل قولك : عزم فلان هذا الأمر عزمًا وعزيمة))[١]

أين معنى السكينة من معنى هرٍّ له جناحان ؟! وقد أنكر أهل التحقيق ذلك قال الراغب : ((وقيل السكينة والسكن واحد ، وهو زوال الرعب ، وعلى هذا قوله تعالى : (أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ) وما ذُكِر أنَّه شيء رأسه كرأس الهرِّ فما أراه قولًا يصحُّ))[٢] وتابع الحلبي الراغب في الردِّ على هذا الوجه فقال : ((وقوله تعالى : (أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ) طمأنينة القلب ، وقيل زوال الرعب ، وهو الأولى ، وفي التفسير أقوال كثيرة إنَّها تشبه رأس هرّة ، وصورة ثور ، وأهل التحقيق لا يثبتون ذلك)) [٣]

وقال الشوكاني : ((وأقول : هذه التفاسير المتنافضة لعلها وصلت إلى هؤلاء الأعلام من وجهة اليهود ، أقماهم الله ، فجاؤوا بهذه الأمور لقصد

---

(١) جامع البيان ٢/٧٢٩-٧٣٥ وينظر : زاد المسير ١/٢٤٤

(٢) المفردات ص ٢٤٤-٢٤٥

(٣) عمدة الحفاظ ٢/٢٠٨-٢٠٩

التلاعب بالمسلمين رضي الله عنهم ، والتشكيك عليهم ، وانظر إلى جعلهم لها تارة حيوانًا ، وتارة جمادًا ، وتارة شيئًا لا يُعقل ، كقول مجاهد : كهيئة الريح لها وجه كوجه الهرِّ ، وجناحان وذنَب مثل ذَنَب الهرِّ ، وهكذا كلُّ منقول عن بني إسرائيل يتناقض ويشتمل على ما لا يُعقَل في الغالب ، ولا يصحُّ أن يكون مثل هذه التفاسير المتناقضة مرويًّا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا رأيًا رآه قائله ، فهم أجلُّ قدرًا من التفسير بالرأي ، وبما لا مجال للاجتهاد فيه ، إذا تقرر لك هذا عرفتَ أنَّ الواجب الرجوع في مثل ذلك إلى معنى السكينة لغة ، وهو معروف ولا حاجة إلى ركوب هذه الأمور المتعسفة المتناقضة ، فقد جعل الله عنها سعة ، ولو ثبت لنا في السكينة تفسير عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، لوجب علينا المصير إليه ، والقول به ، ولكنَّه لم يثبت من وجه صحيح))[١]

وقال القرطبي : ((فقوله (فِيهِ سَكِينَةٌ) أي هو سبب سكون قلوبكم فيما اختلفتم فيه...وقيل : أراد أنَّ التابوت كان سبب سكون قلوبهم))[٢] فلو صحَّ هذا الذي قال به أهل التفسير فإنَّه لا يعني السكينة ، بل يعني سبب حصولها

١٨-**السكينة والطمأنينة** :استعملت السكينة في الإنسان وغيره ، والطمأنة لم تستعمل إلّا في الإنسان ، فيقال مثلًا : سكنتِ الريحُ ، ولا يقال : اطمأنَّتِ الريحُ ، قال تعالى : (إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ){الشورى : ٣٣} ولا يصحُّ أن يقال : إن يشأْ يطمئن الريح ، ومن ذلك أيضًا استعمال السكون من دون الطمأنة في الاستيطان ، فيقال : ((سكن

(١) فتح القدير ٣٣٥/١

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٧٨/٣

فلان كذا ، أي : استوطنه))[١]ومن ذلك قوله تعالى : (إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ){إبراهيم : ٣٧}

فالسكينة تعني الهدوء بعد عدم الهدوء ، كاستعماله في الأمن بعد فقدانه ، وهذا واضح في قوله تعالى : (إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ){التوبة : ٤٠} قال العسكري : ((السكينة مفارقة الاضطراب عند الغضب والخوف ، وأكثر ما جاء في الخوف ، ألا ترى قوله تعالى : (فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ){التوبة : ٤٠} وقال تعالى : (فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ){الفتح : ٢٦}))[٢]

أمَّا الطمأنينة فتعني الاستقرار بعد عدم الاستقرار ، كالاستقرار بالرجوع إلى الوطن بعد السفر وعذابه الجسدي والنفسي ، كقوله تعالى : (فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا){النساء : ١٠٣} قال الطبري : ((وأمَّا قوله (فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ) فإنَّ أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، قال بعضهم : معنى قوله : (فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ) فإذا استقررتم في أوطانكم ، وأقمتم في أمصاركم (فَأَقِيمُواْ) يعني : فأتمّوا الصلاة التي أذن لكم بقصرها في حال خوفكم في سفركم وضربكم في الأرض...وقال آخرون : معنى ذلك : فإذا استقررتم فأقيموا الصلاة ، أي : فأتموا حدودها بأركانها بركوعها وسجودها)) [٣]

---

(١) المفردات ص ٢٤٤

(٢) الفروق اللغوية ٢٢٨

(٣) جامع البيان ٥/٣٠٣-٣٠٤ وينظر : زاد المسير ٢/١١١

أو تعني الاستقرار على اليقين بعد الشك والتردد كقوله تعالى : (وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي){البقرة : ٢٦٠} وقوله تعالى : (الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ){الرعد : ٢٨} وقوله تعالى : (وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ){النحل : ١٠٦}

فالسكينة تعني الهدوء بعد عدم الهدوء، أمَّا الطمأنينة فتعني الاستقرار بعد عدم الاستقرار

١٩-**السكينة والوقار :** (المشهور في الفرق بينهما أنّ السكينة هيأة بدنية تنشأ من اطمئنان الأعضاء ، والوقار هيأة نفسانية تنشأ من ثبات القلب ، ذكر ذلك صاحب التنقيح ونقله صاحب مجمع البحرين عن بعض المحققين ، ولا يخفى أنّه لو عكس الفرق لكان أصوب وأحقّ بأن تكون السكينة هيأة نفسانية والوقار هيأة بدنيّة ، أمّا الأوّل فلقوله تعالى : (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ){الفتح : ٤} حيث جعل القلوب ظرفًا للسكينة ومحطّاها ، وهو عبارة عمّا فعل بهم اللطف الذي يحصل لهم عنده من البصيرة بالحقّ ما تسكن إليه نفوسهم ويثبتوا في القتال ، وأمّا الثاني فلقوله عزّ وجلّ مخاطبًا لأزواج النبيّ صلى الله عليه وسلّم : (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ){الأحزاب : ٣٣} على أنّه أمر من الوقار ، فإنّ سكونهنّ في البيوت وعدم خروجهنّ وتبرجهنّ هيأة بدنية تنشأ من اطمئنان الأعضاء وثباتها)) [(١)] وقال تعالى : (مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا){نوح : ١٣}

---

(١) فروق اللغات ص ١٤٩-١٥٠

٢٠-**السنا والضياء والنور : السنا** : ((السنا : الضوء الساطع٠٠٠قال تعالى : (يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ){النور : ٤٣}))[١]

-**الضياء والنور** :فرّق علم الفلك اليوم بين الضياء والنور أنّ الضياء لِما بالذات ، أي : ما انطلق من ذاته أو مصدره كضوء الشمس والنار ، والنور لِما بالعرض والاكتساب من جسم آخر كنور القمر قال الله تعالى : (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا){يونس : ٥} وقال تعالى : (تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا){الفرقان : ٦١}

وقد قال العسكري المتوفّى في حدود ٤٠٠هـ ما يعكس هذه الحقيقة : ((والشاهد أنّهم يقولون : ضياء النهار ، ولا يقولون نور النهار))[٢] وقد فرّق بينهما صاحب فروق اللغات المتوفّى سنة ١١٥٨م بقوله : ((هما مترادفان ، وقد يُفرّق بينهما بأنّ الضوء : ما كان من ذات الشيء المضيء ، والنور ما كان مستفادًا من غيره ، وعليه جرى قوله تعالى : (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا){يونس : ٥}))[٣]

٢١-**السنة والجدب** : قال الله تعالى : (وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ){الأعراف : ١٣٠} أي : ((بالجدوب سنة بعد سنة والقحوط ، يقال منه : أسنت القوم : إذا أجدبوا))[٤] والتقدير : ولقد أخذنا آل فرعون بالجدوبة ، و((السنة معروفة)) [٥]و((السنة : الحول اثنا عشر شهرًا)) [١]((وقال

([١]) المفردات ص ٢٥٣

([٢]) الفروق اللغوية ص ٣٤٨

([٣]) فروق اللغات ص ١٦٢

([٤]) جامع البيان ٣٦/٩-٣٧ وينظر : زاد المسير /١٨٨-١٨٩

([٥]) مقاييس اللغة ص ٤١٨

المناوي[٢] : السنة تمام دورة الشمس ، وتمام ثنتي عشرة دورة للقمر ، والسنة الشمسية ثلاثمئة يوم وخمسة وستون يومًا وثلثا يوم ، والسنة القمرية أربعة وخمسون وثلاثمئة يوم وثلث عشر يوم ، فتكون السنة الشمسية زائدة على القمرية بأحد عشر يومًا وجزء من أحد وعشرين جزءًا من يوم)) [٣] فهذه هي دلالة السنة في اللغة ، لذلك تأوَّل أهل اللغة جعلها بمعنى الجدوبة على تأويلين : الأول : أنَّ ((السنة مطلقة : السنة المجدبة ، أوقعوا ذلك عليها إكبارًا لها وتشنيعًا واستطالة)) [٤] والثاني : أنَّه ((من المجاز : أخذهم الله بالسنة والسنين ، أي : الجدب والقحط ... ومن المجاز : السنة : الأرض المجدبة على التشبيه بالسنة من الزمان ، يقال : أرض سنة ، جمعه سنون ، بالكسر ، وحكى اللحياني : أرض سنون ، كأنَّهم جعلوا كلّ جزء منها أرضًا سنة ، ثم جمعوه على هذا ، ومن السنين جمع السنة ، قوله تعالى : (وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ) أي : بالجدب والقحط)) [٥] وقال الزجاج في تفسير هذه الآية : ((يقال : مسَّتهم السنة ، ومعناه : جدب السنة ، وشدّة السنة))[٦] فليس المراد إذن من السنة عند ذكرها أن تكون هي الجدب ، وإنَّما المراد الجدب الذي يحصل فيها ، فالصحيح ، كما تقدم أنَّ ((السنة مطلقة : السنة

---

(١) عمدة الحفاظ للحلبي ٢/٢٢٧

(٢) لم يعرِّفه المحقق ، وهو : محمد بن عبد الرؤوف المناوي القاهري من كبار العلماء بالدين والفنون ، له نحو ثمانين مصنفًا منها شرح القاموس المحيط ، توفي ١٠٣١هـ ينظر : الأعلام للزركلي ٦/٢٠٤

(٣) تاج العروس ٣٨/١٧٣

(٤) لسان العرب ٧/٢٨٢

(٥) تاج العروس ٣٨/١٧٥

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٢/٢٩٨

المجدبة)) فغلب التعبير عن السنة بالجدب ؛ لأنَّ هذه هي أحوال الناس فيها في العادة ، فإذا ذكرت السنة أرادوا السنة المجدبة لا السنة الخصبة ، فاكتفوا بذكرها عن وصفها بالجدب ، فيكون من الزيغ في التأويل جعل قوله تعالى : (وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ) بتقدير : ولقد أخذنا آل فرعون بالجدوبة ، بل التأويل الصحيح أن نجعله بتقدير : ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين المجدبات ، فتكون السنين باقية على معناها ، وقد اكتُفِي بذكر الموصوف وحُذفتْ صفته مع تقديرها للعلم بها .

٢٢-**السِّنَة والنعاس والنوم** :قال الطبري في تفسير قوله تعالى : (لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ) لا يأخذه نعاس فينعس ولا نوم فيستثقل نومًا ، والوسن : خثورة النوم ومنه قول عديّ بن الرقّاع :

وسنانُ أقصدَه النّعاس فرنّقتْ...في عينيه سِنة وليس بنائم [١]

ومن الدليل على ما قلنا من أنّها خثورة النوم في عين الإنسان قول الأعشى :

تُعاطي الضجيعَ إذا أقبلتْ بُعَيدَ النُّعاس وقبل الوسن))[٢]

فـ((السنة ثقل النعاس ، والنوم : الغشية الثقيلة التي تهجم على القلب فتقطعه عن معرفة الأمور ، وقال المفضل : السِنة في الرأس والنوم في القلب))[٣]

((والسنة : النّعاس في قول الجميع ، والنّعاس ما كان من العين ، فإذا صار في القلب صار نومًا...وفرّق المفضّل بينهما فقال : السنة من الرأس (أي : ثقل في الرأس)والنّعاس في العين ، والنوم في القلب))[١]

---

(١) الدر المصون ١٣/٩ ..

(٢) جامع البيان ١٠/٣-١١

(٣) الوسيط للواحدي ٣٦٧/١

٢٣–السوء والبرص :قال مقاتل في تفسير قوله تعالى : (وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوء){النمل : ١٢} ((مِنْ غَيْرِ سُوء) يعني : من غير برص))[٢] وقال الطبري : (((مِنْ غَيْرِ سُوء) يقول : من غير برص)) [٣]وقال الواحدي : (((تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوء) من غير برص))[٤]وقال ابن الجوزي : ((والسوء : البرص))[٥]

أجيب عما زعموه بما يأتي :

١–لو أريد ما ادعوه لعبَّر عن البرص بلفظه وقال : من غير برص ؛ لأنّه ليس من مسوغ لغوي أو دلالي يدعو التعبير عن المعنى الخاص بلفظ العام ، بل في ذلك خلط بين الدلالات وتحريف لها .

٢–ولو قال من غير برص ؛ لاحتمل أنَّها بيضاء لآفة أخرى غير البرص .

٣–ولكن لما أراد سبحانه أن يخبرنا أنَّها تخرج بيضاء من دون أية آفة من آفات اليد ، قال سبحانه : (مِنْ غَيْرِ سُوء) لأنَّ السوء اسم جنس ،

([١]) الجامع لأحكام القرآن ١٩٥/٣ وينظر : الدرّ المصون ٥٤١/٢ وفتح القدير ٣٤٠/١ ومدارك التنزيل ص ١٣١والمفضَّل هو المُفَضَّل بن محمد الضَّبِّي أبو العبّاس ، وقيل : أبو عبد الرحمن ، له الاختيار الشعري المشهور بالمفضليات وكان عالمًا بالنحو والشعر والغريب وأيّام النَّاس ، وكان يكتب المصاحف بيده ويقفها في المساجد تكفيرًا لما كان يكتبه في أهاجي النّاس ، توفِّي رحمه الله سنة ١٦٨هـ ينظر : بغية الوعاة ٢٤٨/٢ والأعلام للزركلي٢٨٠/٧

([٢]) تفسير مقاتل ٤٧٠/٢

(٣) جامع البيان للطبري ١٥٩/١٩.

(٤) الوسيط ٣٧٠/٣

(٥) زاد المسير ٦٢/٦

فهو من المعاني العامة ؛ ولهذا فسَّرها الراغب بقوله : ((أي : من غير آفة بها)) [١] وفسَّرها ابن عطية بقوله : ((أي : من غير برص ولا علّة)) [٢] والبيضاوي بقوله : ((آفة كبرص)) [٣] والحلبي بقوله : ((وقيل : سالمة من كل آفة)) [٤]

٢٤-السوء والشدة : قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾{البقرة : ٤٩}جاء في التفسير أنَّ سوء العذاب يعني شديد العذاب أو أشقَّه وأصعبه أو أشدَّه وأفظعه [٥]

والسوء غير الشدة ؛ لذلك فسَّر الطبري (سُوَءَ الْعَذَابِ) بقوله ((إنَّه يعني ما ساءهم من العذاب)) [٦]والزجاج وإن قال : ((ومعنى (سُوَءَ الْعَذَابِ) شديد العذاب))[٧]إلّا أنّه قال بعد ذلك : ((فلذلك قيل (سُوَءَ الْعَذَابِ) أي : ما يبلغ في الإساءة ما لا غاية بعده)) [٨]

---

(١) المفردات ص ٢٦٠ ، وينظر : بصائر ذوي التمييز ٢٨٨/٣ .

(٢) المحرر الوجيز ٢٥٢/٤ .

(٣) أنوار التنزيل ١٥٦/٤.

(٤) عمدة الحفاظ ٢٣٠/٢ .

(٥) ينظر : معاني القرآن وإعرابه ١١٩/١ ، والكشاف ١٤١/١ ، والبحر المحيط ٢٨٢،٢٨٣/١ ، وروح المعاني ٢٥٥/١ ، والتحرير والتنوير ٤٧٦/١.

(٦) جامع البيان ٣١١/١ .

(٧) معاني القرآن وإعرابه ١١٩/١.

(٨) معاني القرآن وإعرابه ١١٩/١.

فيجب إذن أن يكون من المعلوم ، أنَّه إذا قيل بأنَّ الشدة مرادفة للسوء ، فهذ لا يعنى أنَّها مطابقة له ، بل هي قريبة من معناه ، أي : لا بد من أن يكون بينهما فرق في المعنى ، وقد سبق أن ذكرتُ أنَّ الالفاظ المترادفة متفاوتة من حيث درجة قرب بعضها من بعض ؛ إذ اللغة ، ولا سيما لغة القرآن الكريم كصرح عظيم لبناته المتراصة ألفاظها ، ومن البديهي أن تلامس كل لبنة لبنة تجاورها ، أو تفصل بينهما واحدة أو اثنتان ، وقد عُرِّف السوء بأنَّه الجامع للآفات والداء [1] أمَّا الشدة فقد عرفها ابن فارس بقوله : ((الشين والدال أصل واحد يدل على قوة في الشيء)) [2] ((والشدة : الصلابة في الشيء)) [3] فهذا هو معنى الشدة فأين هو من معنى السوء ؟ ! ؟ !

فلأنَّ السوء خلاف الشدة ؛ فقد استعمله القرآن الكريم من دونها ؛ لما يأتي :

١-استعمل السوء ؛ لأنَّه أراد معنى السوء لا معنى الشدة .

٢-السوء اسم جامع لأنواع الأذى بخلاف الشدة ؛ فاستعمله القرآن الكريم تعبيرًا عن أنواع العذاب التي ابتلى بها فرعون قوم موسى ، عليه السلام .

٣-في السوء معنى الإساءة ، بخلاف الشدة ؛ فاستعمل القرآن الكريم لفظه المعبر عنه ؛ ليبين أنَّ فرعون أساء في تعذيبه لبني إسرائيل ، وقد تمثل في قتل من يولد من الأبناء ، أي : في قتل من لا ذنب لهم .

---

(١) ينظر : كتاب العين ص ٤٥٣-٤٥٤.

(٢) مقاييس اللغة ص ٤٦٦ .

(٣) لسان العرب ٣٨/٨.

٤–ذكر أهل اللغة كما تقدم ، أنَّ في السوء معنى القبح [١] وقد قال الزمخشري في تفسير : (سُوَءَ الْعَذَابِ) ((والسوء مصدر السيِّئ ، يقال : أعوذ بالله من سوء الخُلُق وسوء الفعل ، يراد قبحهما)) [٢] وهذا ما كان يفعله فرعون في بني إسرائيل ((قال السُّدِّي : كان يصرفهم في الأعمال القذرة ، ويذبِّح الأبناء ، ويستحيي النساء)) [٣]

٢٥–السوء والضرر :قال الطبري في تفسير قوله تعالى : (وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ){الأعراف : ١٨٨} : ((وقوله : (وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ) يقول : وما مسّني الضرّ)) [٤] وقال الواحدي : (((وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ) وما أصابني الضرر والفقر))[٥]

والسوء والضر وإن ترادفا ، فلا بد من أن يكون ثمة فرق بينهما في المعنى ؛ لذلك تطرق العسكري إلى التفريق بينهما بقوله : ((إنَّ الضر يكون من حيث لا يُعلَم المقصود به ، والسوء لا يكون إلّا من حيث يُعلَم ، ومعلوم أنَّه يقال : ضررتُ فلانًا من حيث لا يعلم ، ولا يقال : سؤته إلّا إذا جاهرته بالمكروه)) [٦] وقد عُرِّف الضر بأنَّه خلاف النفع [٧] وقال الراغب :

---

(١) ينظر : كتاب العين ص ٤٥٣–٤٥٤ ، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الالفاظ ٢٣٠/٢

(٢) الكشاف ١٤١/١ .

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية ١٤٠/١.

(٤) جامع البيان ١٦٩/٩

(٥) الوسيط ٤٣٤/٢

(٦) الفروق اللغوية للعسكري ص ٢٢٤ .

(٧) ينظر : كتاب العين ص ٥٤٤ ، ومقاييس اللغة ص ٥١٣ ، والصحاح ص ٨١٩ ٨١٩ ، واللسان ٣٢/٩ .

((الضر : سوء الحال ، إمَّا في نفسه لقلة العلم والفضل والعفة ، وإمَّا في بدنه لعدم جارحة ونقص، وإمَّا في حالة ظاهرة من قلة مال وجاه)) [١] وجاء في تاج العروس : ((كل ما كان من سوء حال وفقر أو شدة في بدن فهو ضُرّ(بضم الضاد) وما كان ضد النفع فهو ضَرّ(بفتح الضاد))) [٢]

يبدو أنَّ أهل اللغة لم يحددوا بوضوح الفرق بين والسوء والضر ، بل كاد الراغب وصاحب التاج أن يخلطا بينهما في الدلالة ، والفرق بينهما يتضح بضرب الأمثلة ، فنقول : إذا عددنا فقر الرجل من السوء ؛ فإنَّ الأذى الذي يحدثه فيه هذا السوء كالجوع والعرى هو الضر ، وإذا عددنا مرضه من السوء ؛ فإنَّ الأذى الذي يحدثه فيه هذا السوء كفقدان البصر هو الضر ، وإذا عددنا فقدان بصره من السوء ؛ فإن الأذى الذي يصيبه من جراء هذا السوء كالسقوط في حفرة هو الضر ، وإذا كان الزنا من السوء ، فإنَّ المرض الذي يصيبه من جراء فعل هذا السوء هو الضر ، وإذا كان فقدان المرأة من يعيلها ويرعاها يُعَد من السوء ، نعد الزنا الذي اضطرت إليه بسبب هذا السوء هو الضرر ؛ فالضر إذن هو ما يصيب الإنسان من أذى لحق به من حالة أصابته ، أو فعل فعله هو ، أو غيره ، وإذا ذكر الضر في القرآن ، فقد أُريد به الضر نفسه ، لا ما أحدثه وسببه .

فالفرق بيِّن بين السوء والضر ؛ فكيف يصح جعل السوء بمعنى الضر في قوله تعالى : (قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ){الأعراف : ١٨٨} وقد ذُكِر الضر في الآية مقترنًا بالنفع ، فقد أريد به إذن ما كان خلاف النفع ، وذُكِر السوء مقترنًا بالخير ؛ فقد

---

(١) المفردات ص ٣٠٤ .

(٢) ٢٠١/١٢.

أُريد به إذن ما كان خلاف الخير ، والطبري وإن فسر السوء هنا بالضر[١] وفسَّره الواحدي بالضر والفقر[٢]ولأنَّ السوء اسم جنس معنوي أصبح المجال مفتوحًا لتعدد الأقوال فيه ، فقد أجازوا فيه ما يحتمله ؛ فذكروا أنَّه أُريد به الجنون الذي رموه به [٣] وقال ابن الجوزي : ((قوله : (وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ) فيه أربعة أقوال : أحدها أنَّه الفقر ، قاله ابن عباس ، والثاني أنَّه كل ما يسوء ، قاله ابن زيد ، والثالث الجنون ، قاله الحسن ، والرابع التكذيب ، قاله الزجاج ، فعلى قول الحسن ، يكون هذا الكلام مبتدأ ، والمعنى : وما بي من جنون ، إنَّما أنا نذير، وعلى باقي الأقوال يكون متعلقًا بما قبله)) [٤]

فقد أجاز في السوء أربعة أقوال ،والصحيح قول من فسَّر السوء السوء بعينه ؛ لما تقدَّم ذكره ؛ فأبو حيان بعد أن نقل الأقوال السابقة ، وأضاف إليها قال : ((والظاهر عموم الخير وعدم تعيين السوء وقيل : السوء : تكذيبهم له مع أنَّه كان يُدعى الأمين ، وقيل : الجدب ، وقيل : الموت٠٠٠وقيل : الخسارة في التجارة ، وقال ابن عباس : الفقر وينبغي أن نجعل هذه الأقوال خرجت على سبيل التمثيل لا الحصر ؛ فإنَّ الظاهر في الغيب الخير والسوء عدم التعيين))[٥] يعني : أنَّه أراد الخير بمعناه العام ، والسوء بمعناه العام .

٢٦-السوء والعذاب :قال الله تعالى : (ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآئِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ

---

(١) ينظر : جامع البيان ١٦٩/٩ .

(٢) ينظر : الوسيط ٤٣٤/٢.

(٣) ينظر : المحرر لابن عطية ٤٨٥/٢.

(٤) زاد المسير ٢٢٩/٣.

(٥) البحر المحيط ٥٥٣/٤ .

وَالْسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ){النحل : ٢٧} قال الطبري : (((وَالْسُّوءَ) يعني : عذاب الله على الكافرين))[١] وقال الواحدي : (((إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالْسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ) أي : الفضيحة والعذاب (الْكَافِرِينَ)))[٢] وقال ابن الجوزي : ((فأمّا الخزي فقد شرحناه٠٠٠والسوء ها هنا العذاب))[٣]

من المعلوم أنَّ القرآن الكريم قد عبَّر عن معنى العذاب بلفظ العذاب في مواضع كثيرة ، كما استعمل لفظ السوء كذلك في مواضع كثيرة ، مما يدل قطعًا على أنَّ القرآن الكريم استعمل لفظ السوء ؛ لأنَّه أراد دلالته ، ولم يستعمل لفظ العذاب ؛ لأنَّه ما أراد دلالته ، وقد عرفوا العذاب بأنَّ أصله ((الضرب ٠٠٠ ثم استعير ذلك في كل شدة)) [٤] ((والعذاب النكال والعقوبة)) [٥]وقال الراغب : ((والعذاب هو الإيجاع الشديد)) [٦] فلم يستعمل يستعمل القرآن لفظ العذاب ؛ لأنَّه ما أراد هذا المعنى ، بل أراد معنى السوء ؛ فأردف المعنى الخاص بما هو أعم ؛ ذلك أنَّ الله سبحانه ، لمَّا قال : (ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ) أراد العذاب النفسي ، لذلك قال العلماء : إنَّ الخزي اليوم وكل ما يسوؤهم من العذاب النفسي والبدني على الكافرين .

٢٧–**السوء والعقر** :قال الله تعالى : (هَذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ){الأعراف : ٧٣}

---

(١) جامع البيان ١٢٠/١٤

(٢) الوسيط ٦٠/٣

(٣) زاد ااالمسير ٣٣٥/٤

(٤) مقاييس اللغة ص ٦٥١.

(٥) لسان العرب ٧٣/١٠ ، وتاج العروس ٢٠٧/٣ .

(٦) المفردات ص ٣٣٩ ، وينظر : عمدة الحفاظ ٤٢/٣–٤٣.

قال الطبري : ((وأمّا قوله : ﴿وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ﴾ فإنّه يقول : ولا تمسّوا ناقة الله بعقر ولا نحر﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يعني موجع))[1] وقال ابن الجوزي : ((قوله تعالى ☹وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ﴾ أي : لا تصيبوها بعقر))[2]وهذا التفسير لا يصحّ لما يأتي :

١–أنَّ السوء من المعاني العامة ، والعقر من المعاني الخاصة ، فلا يصح جعل العام بمعنى الخاص ؛ لأنَّ في ذلك خلطًا بينهما في التعبير .

قال الخليل : ((والسوء نعت لكل شيء رديء٠٠٠والسوء اسم جامع للآفات والداء ، وتقول : ساء ما فعل فلان صنيعًا ، أي : قبح صنيعه صنيعًا)) [3] فالسوء من المعاني العامة ؛ أي : هو اسم جنس معنوي ؛ لذلك يُفَسَّر يما يرادفه من المعاني العامة ، فقد قال الراغب : ((السوء : كل ما يغم الإنسان من الأمور الدنيوية والأخروية ، ومن الأحوال النفسية والبدنية والخارجية من فوات مال وجاه وفقد حبيب ٠٠٠ ولذلك قوبل بالحسنى)) [4]وقال السمين الحلبي : ((والسوء أيضًا كل ما يقبح)) [5] فالسوء من المعاني العامة ؛ لذلك وجدنا العسكري في كتابه الوجوه والنظائر جعله بمعنى ((المكروه من كل شيء)) ففسَّره بما يرادفه من المعاني العامة [6]

٢–أنَّ النهي عن مسِّها كان قبل حصول عقرها ، وليس بعده ؛ فلو كان الكلام بعده ، لجاز استعمال هذا المعنى الخاص ؛ لأنَّه سيكون تعبيرًا

---

(١) جامع البيان ٢٧٠/٨ .

(٢) ينظر : زاد المسير ١٧٢/٣ .

(٣) كتاب العين : ص ٤٥٣–٤٥٤.

(٤) المفردات : ص ٢٦١ .

(٥) عمدة الحفاظ ٢٣٠/٢ .

(٦) الوجوه والنظائر : ص ١٧٨ .

عما وقع ، وقد عبَّر عنه بلفظه بعد وقوعه في قوله تعالى : (فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِم){الأعراف : ٧٧}

٣–أنَّ القرآن الكريم لو أراد المعنى الخاص لعبَّر عنه بلفظه ، ولما كان يعجزه سبحانه أن يقول : فلا تعقروها ؛ فلما قال سبحانه : (وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ) أراد معنى المس بالسوء ، وجاء السوء نكرة لتدلّ على أيّ سوء كان ، وبهذه الدلالة جاء تفسيرها الصحيح المطابق للمعنى المراد ، قال الزمخشري في تفسير قوله تعالى : (وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ) : ((لا تضربوها ، ولا تطردوها ، ولا تريبوها بشيء من الأذى إكرامًا لآية الله)) [1] وقال البيضاوي : ((نهى عن المس الذي هو مقدمة الإصابة بالسوء الجامع لأنواع الأذى ؛ مبالغة في الأمر ، وإزاحة للعذر)) [2] وقال أبو حيان : ((نهاهم عن مسها بشيء من الاذى ، وهذا تنبيه بالأدنى على الأعلى إذا كان قد نهاهم عن مسها بسوء إكرامًا لآية الله ؛ فنهيه عن نحرها وعقرها ومنعها من الماء والكلأ أولى وأحرى))[3] وقال الآلوسي : : ((أي:لا تتعرضوا لها بشيء مما يسوؤها أصلاً كالطرد والعقر٠٠٠والمعنى : لا تمسوها مع قصد السوء ، فضلًا عن الإصابة ، فهو كقوله تعالى : (لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى) {النساء : ٤٣}[4]

٤–لو قال سبحانه : فلا تعقروها لكان النهي يخص العقر فحسب ، أي : لجاز أذيتها بكل أنواع الأذى الأخرى سوى العقر ، وليس هذا هو المراد ، كما هو واضح .

---

(١) الكشاف ١١٧/٢.

(٢) أنوار التنزيل ٢٠/٣ .

(٣) البحر المحيط ٤٢١/٤ .

(٤) روح المعاني ٤٠١/٤.

٥–لو قال سبحانه : فلا تعقروها ، لكان النهي مقتصرًا على عقرها ، ولكان عقرهم لها مساويًا لما نُهُوا عنه ، ولكانت حالة العقاب تختلف ، والله أعلم ، ولكن لما قال : (وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ) شمل النهي كل حالات المس حتى أدناه ، فلما عقروها أمسوا قد ارتكبوا أعلى درجات النهي ؛ فاستحقوا أعلى درجات العقاب ، الذي تمثل في قوله تعالى : (فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا {١٣} فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا {١٤} وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا {الشمس : ١٣–١٥}

٢٨–سوَّلتْ له نفسُه وطوّعت له نفسُه :سوَّلتْ له نفسه : ((السُّؤل : الحاجة التي تحرص النفس عليها٠٠٠والتسويل تزيين النفس لِما تحرص عليه ، وتصوير القبيح له بصورة الحسن قال تعالى : (قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ){يوسف : ١٨}وقال تعالى : (الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ){محمد : ٢٥}))[١]

طوّعتْ له نفسه : ((الطَّوع : الانقياد ويضادّه الكره٠٠٠وقوله تعالى ☹فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ){المائدة : ٣٠}نحو : أسمحت له قرينتُه وانقادت له٠٠٠ وطوّعتْ أبلغ من أطاعت ، وطوّعت له نفسه بإزاء قوله : تأبَّتْ عن كذا نفسُه (من الإباء))) [٢] وقوله تعالى : (فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ){المائدة : ٣٠}((أي : سهّلتْ وزيّنت ، وقيل : تابعتْ ، وعن مجاهد : شجّعته ، وقيل : أعانته ، وكلّها متقاربة))[٣]

وطوّعت له نفسه كذا يعني : طاوعته عليه واختُلف في تأويله فقيل : أي : تابعته وقيل : طاوعته ، وقيل : شجّعته ، وقيل : أعانته وأجابته، وقيل

([١]) المفردات ص ٢٥٨ وينظر عمدة الحفّاظ ٢٣٨/٢

([٢]) المفردات ص ٣٢٢–٣٢٤

([٣]) عمدة الحفّاظ ٤٢١/٢

: انقادت في قتل أخيه [١]

فالفرق بينهما أنّ : سوّلت له نفسه يعني : زيّنت له نفسه قتل أخيه فقتله ، وطوّعت له نفسه يعنى : أنّ النفس لا تزال تحثّه وتغريه وتشجعه حتى لان لطلبها وأطاعها وجعلته يقتل أخاه بنفسه .

٢٩-**السير والمشي : السير** :قال الراغب : ((السير : المضيّ في الأرض ورجل سائر وسيّار والسيّارة الجماعة٠٠٠يقال : سرتُ وسرت بفلان وسرته أيضًا وسيّرته على التكثير قال الله تعالى : (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ){يوسف : ١٠٩}٠٠٠وقال تعالى : (وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا){النبأ : ٢٠})) [٢]على التكثير

-**المشي** : قال الراغب : ((المشي الانتقال من مكان إلى مكانبإرادة قال تعالى : (كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ){البقرة : ٢٠}))[٣] وقال الحلبي : ((وأصل المشي الانتقال من مكان إلى مكان بإرادة واختيار))[٤]

باب الشين

١-**الشرك والظلم** : قوله تعالى : (الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُون){الأنعام : ٨٢}

فسَّر كثير من الصحابة والتابعين قوله تعالى : (بِظُلْم) بشرك[٥] قال الطبري : ((عن عبد الله لمَّا نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب رسول الله ، وقالوا : أيُّنا لم يظلم نفسه؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) ينظر : تاج العروس ٢٥٤/٢١

(٢) المفردات ص ٢٥٥ وينظر عمدة الحفّاظ ٢٤٤/٣

(٣) المفردات ص ٤٨٩

(٤) عمدة الحفّاظ ٩٤/٤

(٥) ينظر : جامع البيان ٢٩٤/٧-٢٣٠٠ .

وسلم : ليس كما تظنون ، إنَّما هو الشرك··· وعن المسيب أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قرأ (الآية) فلمَّا قرأها فزع ، فأتى أبي بن كعب ، فقال : يا أبا منذر قرأتُ آية من كتاب الله ··· فقال ما هي ؟ فقرأها ، فأيُّنا لا يظلم نفسه؟ فقال : غفر الله لك ، أما سمعتَ الله يقول : (لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) إنَّما هو : ولم يلبسوا إيمانهم بشرك))[١]وذكر الواحدي مثل هذه الروايات بإسناد البخاري ومسلم[٢]وقد رواه البخاري في كتاب الإيمان ، باب ظلم دون ظلم [٣] وهذا ما ينطبق على تعريف الظلم الذي مر ذكره ، بأنَّه يشمل الذنب الصغير والذنب الكبير كالشرك .

فالظلم موجود في كل ذنب صغر أم كبر ، فهناك ظلم كفر ، وظلم فسق ، وظلم سبٍّ ، وظلم غيبة ، ويختلف ظلم عن ظلم استنادًا إلى ما يضاف إليه ، ومن أهونه ظلم الظن حسب ظني ، وأعظمه ظلم الشرك ، المقصود في قوله تعالى (وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ) ولا يصح جعل الشرك من أوجه الظلم ؛ لأنَّه ما أريد تسمية الظلم بالشرك أو وصفه به ، بل تسمية الشرك ووصفه بأنَّه ظلم ، فقد قال الله تعالى : (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) ولم يقل : إنَّ الظلم لشرك عظيم ، فقد أريد الظلم الذي في الشرك ، أي : ليس ظلم أي ذنب كان ، وليس هناك أعظم من ظلم الشرك ، لأنَّه أريد اقترانه بأعظم الذنوب

وهذه القضية لأهميتها تحتاج إلى تفصيل أدقّ ، فأقول ومن الله الهدى والسداد : إنّ القرآن الكريم ما استعمل الألفاظ العامة كالفساد والسوء والحسنى والمعروف والظلم إلّا لتدل على معانيها العامة ، ولم يستعملها بأي

---

(١) جامع البيان ٢٩٦/٧-٢٩٨ .

(٢) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٢٩٣/٢ .

(٣) ينظر : صحيح البخاري ص ٧٩ رقم الحديث ٣٢.

معنى خاص ، لكن قد تجيء دلالة بعضها العامة مقتصرة على معنى معيَّن خاصّ من دون أن يخرج عن دلالته ، كما حصل هذا في قوله تعالى : (وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ) فالظلم هنا لم يخرج عن معناه ، فقد أريد به أيضًا الظلم بعينه ، لكن ليس بمعناه العام ، وإنما قصره الشارع على ظلم الشرك ، وما أراد الشرك بحد ذاته ، إذ لو أراده لقال : ولم يلبسوا إيمانهم بشرك ، لكن لمَّا أراد صفة الظلم الذي اشتمل عليه قال : (وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ) والتقدير : ولم يلبسوا إيمانهم بظلم شرك ، والغرض من ذلك هو التنبيه على أنَّ الحكم الذي تضمنته الآية كان مستندًا إلى ما تدل عليه صفة الموصوف الذي هو الظلم ، لا على ما يدل عليه الموصوف الذي هو الشرك ، وهذه قضية جديرة بالتذكير ، فالعرب في الجاهلية مثلًا كانوا لا ينكرون أنَّ ما يفعلونه شرك ، لكن كانوا ينكرون أنَّ شركهم هذا يُعد ظلمًا

٢-**الشفاء والعافية** :الشفاء يعني الشفاء من مرض وسقم ، قال الله تعالى : (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ {٦٨} ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ){النحل : ٦٨-٦٩} والهاء في (فِيهِ) عائدة على العسل ، والمعنى : في العسل شفاء للناس

وقال الله تعالى : (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ){الشعراء : ٨٠}وقد أبقى أهل التفسير الشفاء على معناه المذكور إلّا أنَّ منهم مَن قرنه بالعافية ، قال الطبري في تفسير الآية : ((يقول : وإذا سقم جسمي واعتلَّ فهو يبرئه ويعافيه))[1] والشفاء من المرض يعني البرء منه ، لكنَّه لا يعني العافية ، فالعفو : ترك الشيء ، ومنه عفو الله عن خلقه ، وذلك تركه إياهم فلا

---

(1) جامع البيان للطبري ١٩/١٠٠

يعاقبهم فضلًا منه ، وكلٌّ من استحق عقوبة فتركتَها ، فقد عفوتَ عنه ، وورد في القرآن الكريم من العفو الفعل الثلاثي ، ولم يرد فيه ما كان على وزن فاعل ، وفي ((حديث أبي بكر رضي الله عنه : سلوا اللهَ العفوَ ، والعافية ، والمعافاة[١] فالعفو محْوُ الذنوب ، والعافية أن تسلم من الأسقام والبلايا ، وهي الصحة وضد المرض ... والمعافاة : هي أن يعافيك اللهُ من الناس ، ويعافيهم منك ، أي : يغنيك عنهم ، ويغنيهم عنك ، ويصرف أذاهم عنك ، وأذاك عنهم ، وقيل : هي مفاعلة من العفو ، وهو أن يعفو عن الناس ، ويعفوا هم عنه))[٢]

فالشفاء غير العافية ، والفرق بينهما واضح فالشفاء يعني الشفاء من الأمراض والبلايا بعد الإصابة بها ، والعافية تعني السلامة منها ، أي : عدم الإصابة بها مسبَقًا ، ويجب أن يكون هذا هو المعنى المقصود من عبارة ((ويعافيه) أن يجعله بعد البرء من مرضه في صحة وعافية

٣-**الشكّ والظنّ** : فرّق العسكري ((بين الظن والشك أنَّ الشك استواء طرفي التجويز ، والظن رجحان أحد طرفي التجويز٠٠٠ويجوز أن يقال : الظن : قوة المعنى في النفس من غير بلوغ حال الثقة الثابتة ، وليس كذلك الشك الذي هو وقوف بين النقيضين من غير تقوية أحدهما على الآخر))[٣]

فـ((الشك خلاف اليقين ، وأصله اضطراب النفس ، ثمَّ استعمل في التردد بين الشيئين سواء استوى طرفاه أو ترجح أحدهماعلى الآخر٠٠٠وقال

---

(١) أخرجه الترمذي وابن ماجة والإمام أحمد

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الجزري ٢٢٩/٢ وينظر : لسان العرب ٢١٠/١٠ وتاج العروس ٣٥/٣٩

(٣) الفروق اللغوية ص ١١٣ .

الأصوليون : هو تردد الذهن بين أمرين على سواء ، قالوا : التردد بين الطرفين إن كان على السواء فهو الشك ، وإلاَّ فالراجح ظنٌّ ، والمرجوح وهم))[1] وقال ابن الجوزي : (الظن في الأصل : قوة أحد الشيئين على نقيضه في النفس ، والفرق بينه وبين الشك أنَّ الشك : التردد في أمرين لا مزيّة لأحدهما على الآخر)) [2]

وصفوة ما تقدّم في الفرق بين الشكّ والظنّ أنّ التردد بين الطرفين إن كانا على السواء فهو الشك ، وإلاَّ فالراجح ظنٌّ

٤-الشهوة واللّذة والهوى : الشهوة : ((أصل الشهوة نزوع النفس إلى ما تريده ، وذلك في الدنيا ضربان صادقة وكاذبة ، فالصادقة ما يختلّ البدن من دونه عند الجوع ، والكاذبة ما لا يختلّ من دونه...وقوله تعالى : (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ){آل عمران : ١٤} يحتمل الشهوتين وقوله تعالى : (وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ){مريم : ٥٩} فهذا من الشهوات الكاذبة ومن المشتهيات المستغنى عنها)) [3]

-**اللذة** : ((اللام والذال أصل صحيح يدلُّ على طيب طعم في الشيء)) [4]

فالشهوة نزوع النفس إلى ما تريد ، واللذة طيب طعم في الشيء ، فالشهوة تكون من جهة النفس ، واللذة من جهة الجوارح والأعضاء ، لذلك نسب الشهوة إلى النفس كما جاء في قوله تعالى : (وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ){الأنبياء : ١٠٢}وقوله تعالى : (وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ

---

(١) فروق اللغات ص ١٥٢ .

(٢) نزهة الأعين ص ١٩٦ .

(٣) المفردات ص ٢٧٩-٢٨٠

(٤) مقاييس اللغة ص٨١٧

وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ){فصلت : ٣١} وقوله تعالى : (وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ){الطور : ٢٢} والمعنى والله أعلم : مما تشتهيه أنفسهم من الفاكهة واللحم

وقد وردت الشهوة في ثلاثة عشر موضعًا ، ووردت اللذّة في ثلاثة مواضع نسب فيها اللذة إلى الأعين في قوله تعالى : (وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ){الزخرف : ٧١} ونسبها إلى الفم في قوله تعالى : (وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ)محمد : ١٥} وقوله تعالى : (يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ){الصافات : ٤٥-٤٦}

-**الهوى** : جاء في الفرق بين الهوى والشهوة : ((بأنّ الهوى يختصّ بالأداء والاعتقادات ، والشهوة تختصّ بنيل الملذات ، ويدلّ عليه قوله تعالى : (وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ){ص : ٢٦} أي : لا تتبّع ما يميل إليه قلبك ويقتضيه رأيك من غير أن يُسنّد إلى دليل شرعي ، ويدلّ على الثاني قوله تعالى : (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ){آل عمران : ١٤})) [١]

٥-الشيطان والطاغوت :الطاغوت من طغى ((والطاء والغين والحرف المعتل : أصل صحيح منقاس ، وهو مجاوزة الحد في العصيان))[٢] ((وكل شيء يجاوز القدر فقد طغى)) [٣]و((والطاغوت ... كل معبود من دون الله ، ويستعمل في الواحد والجمع)) [٤] ((ويُذكّر ويؤنّث))[٥] وقال

---

(١) فروق اللغات ص ١٥٥-١٥٦

(٢) مقاييس اللغة ص ٥٣٣ .

(٣) العين للخليل ص ٥٧١

(٤) المفردات ص٣١٧.

(٥) عمدة الحفاظ ٤٠٧/٢.

الطبري : ((وأصل الطاغوت : الطَّغَووت من قول القائل : طغا فلان يطغو : إذا عدا قدره فتجاوز حدّه))[١] وقال الواحدي : ((قال جميع أهل اللغة : الطاغوت : كلّ ما عُبَدَ من دون الله ، يكون واحدًا وجمعًا ومؤنّثًا ومذكّرًا))[٢]

قال الله تعالى : {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِفَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ}{البقرة : ٢٥٦} قال مجاهد والضحاك وقتادة والسدّي الطاغوت هنا هو الشيطان [٣] وقال الواحدي : ((قال ابن عبّاس والمفسّرون الطاغوت : الشيطان))[٤]

وقال الطبري : ((والصواب من القول عندي في الطاغوت أنّه كلّ ذي طغيان على الله فعُبِدَ من دونه إنسانًا كان ذلك المعبود أو شيطانًا أو وثنًا أو صنمًا أو كائنًا ما كان من شيء))[٥] وهذا هو الصحيح على أن يكون ((الطاغوت هو كلّ ما عُبِدَ من دون الله ، وكان راضيًا لكونه معبودًا ، فعلى هذا يكون الشيطان والكهنة والسحرة وفرعون والنمرود كلّ واحد منهم طاغوتًا ؛ لأنّهم راضون لكونهم معبودين ، وتكون الملائكة وعزير وعيسى عليه السلام ليسوا بطواغيت ؛ لأنّهم لم يرضوا بأن يكونوا معبودين))[٦]

---

(١) جامع البيان ٢٥/٣

(٢) الوسيط ٣٦٩/١

(٣) ينظر : جامع البيان للطبري ٢٤/٣–٢٥ ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٨٩/١. واللباب في علوم الكتاب ٣٣٠/٤

(٤) الوسيط ٢٨٩/١

(٥) جامع البيان ٢٥/٣

(٦) اللباب في علوم الكتاب ٣٣١/٤

وقال الله تعالى : (الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا){النساء : ٧٦}

أجمع كلّ أهل التفسير قاطبة على أنّ المراد من الطاغوت هنا الشيطان ، والمعنى : والذين كفروا يقاتلون في طاعة الشيطان [١]ودليلهم على أنّه هو الشيطان قوله عز وجل : (فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا)[٢]

وليس الأمر كما أجمعوا وادعوا ؛ لأنَّه قد ثبت كما تقدّم عند جميع أهل اللغة أنَّ الطاغوت هوكلّ ما عُبَدَ من دون الله، ومن المعلوم أنَّ القرآن الكريم قد عبَّر عن معنى الشيطان بلفظ الشيطان في مواضع ، كما استعمل لفظ الطاغوت في مواضع ، مما يدلّ على أنَّ القرآن الكريم استعمل لفظ الطاغوت ؛ لأنَّه أراد دلالته ، ولم يستعمل لفظ الشيطان ؛ لأنَّه ما أراد دلالته ، وقد عرَّفوا الشيطان بأنَّه على وزن فيعال ((من شطن ، أي : بعد)) [٣] وقال ابن فارس : ((الشين والطاء والنون أصل مطرد صحيح ، يدل على البعد ... وأمَّا الشيطان ، فقال قوم هو من هذا الباب ، والنون فيه أصلية ؛ فسُمِّي بذلك لبعده عن الحق وتمرده)) [٤] ((فالشيطان مخلوق من

---

(١) ينظر : جامع البيان للطبري ٥/ ٢٠٢ والوسيط للواحدي ٨١/٢ والكشّاف للزمخشري ٥٢٤/١ والمحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي ٧٩/٢ وزاد المسير لابن الجوزي ٨٠/٢ وأنوار التنزيل للبيضاوي ٨٤/٢

(٢) ينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠٥/٥ واللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي ٤٩٩/٦

(٣) العين ص ٤٧٩ .

(٤) مقاييس اللغة ص ٤٤٧ .

النار ... ولكونه من ذلك اختص بفرط القوة الغضبية ، والحمية الذميمة وامتنع من السجود لآدم)) [١]فهذا هو الشيطان ، لا اختلاف فيه ، حتى قال أهل اللغة ((والشيطان معروف)) [٢] وإذا أُطلق لفظ الشيطان على غيره ، فهو من باب التشبيه به ، أمَّا الطاغوت فقد تبيَّن من تعريفه المذكور آنفًا أنَّه اسم جنس لكل من جاوز الحد في المعصية ، وعُبِد من دون الله ، بأمره أو رضاه ، وهذا ما ينطبق على الشيطان وعلى غيره من الإنس ، كالكاهن والساحر ، ورؤساء الكفر كفرعون موسى والنمرود وكسرى ، وكل ملوك الضلالة حتى قيام الساعة ؛ الذين أمَروا أن يطاعوا من دون الله ، أو إذا كان لسان حال كل منهم يقول لرعيته ، أنا إلهكم وربكم الأعلى ، أمَّا تسمية الأصنام كاللات والعزى بالطاغوت ؛ فهذا من باب التوسع في الدلالة ؛ ولأنَّها كانت سببًا في أن تُعبَد من دون الله ، ولأنَّ المشركين أنزلوها منزلة الإله العاقل ، وكانوا يعتقدون بأنَّها تستجيب الدعاء ؛ لذلك نسب الله إليها إضلال الناس ، وإلاَّ فهي مجرد حجارة لا تعقل ، ولا ذنب لها ولا حساب عليها ، حتى أخبر القرآن عنها أنَّها لا تضر ولا تنفع ، قال الله تعالى : (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ {٦٩} إِذْ قَالَ لابِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ {٧٠} قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ {٧١} قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ {٧٢} أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ){الشعراء : ٦٩-٧٣}

فقد أصبح الفرق واضحًا بين الطاغوت والشيطان ، فقد أُريد من الطاغوت معناه العام في قوله تعالى : (الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا){النساء : ٧٦} ومع ذلك نقول : إنَّه لو صح السياق

---

(١) المفردات ص ٢٧٠ .

(٢) تاج العروس ١٤١/٣٥ .

الذي استند إليه المفسرون ، وكان المراد من الطاغوت الشيطان ، فإنَّه ما أريد به الشيطان الذي صرح به بلفظه في قوله تعالى : (فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ) فقد ذكره بلفظ الطاغوت ؛ لأنَّه أراد الشيطان بصفة الطاغوتية وهو عبادته من لدن الناس بأمره ورضاه ، والتقدير : والذين كفروا يقاتلون في سبيل الشيطان الطاغوت ، ثم حُذِف الموصوف وقامت الصفة مقامه ، وذكره بلفظ الشيطان ؛ لأنَّه أراده بعينه ، أي : بشخصه واسمه غير مقترن بهذه الصفة لئلا يلتبس بطاغوت آخر ، هذا كما قلتُ ، إن صح السياق الذي اسستُنِد إليه بالإجماع ، وإلاَّ فإنَّ هناك سياقًا آخر في الآية نفسها أدلّ على أنَّ المراد من الطاغوت الطاغوت بصفة عامة الذي ينطبق معناه على كل من عُبِد ويُعبَد من دون الله حتى قيام الساعة ؛ لأنَّه ذُكِر ليقابل لفظ الجلالة (اللّهِ) الموجود في كل زمان ومكان ، والمعنى : والذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله ، والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ، أي : طاغوت كلّ ملّة من ملل الكفر ؛ مما يدل على أنَّ (ال) الطاغوت جنسية ، لا عهدية و(ال) الشيطان على العكس من ذلك ، وعليه أقول : إنّه لو كان الخطاب موجَّهًا إلى بني إسرائيل لقيل ، والله أعلم : والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء فرعون إنَّه كذا ؛ لأنَّ بني إسرائيل كان طاغوتهم فرعون ، ولو كان موجَّهًا إلى قوم إبراهيم لقيل ، والله أعلم : والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء النمرود إنَّه كذا ؛ لأنَّ طاغوتهم هو النمرود ، ولو كان موجَّهًا إلى الفرس لقيل ، والله أعلم : والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء كسرى ، ولكن لمَّا كان الخطاب موجَّهًا إلى العرب ، قوم محمد صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى : (وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) لأنَّ طاغوت العرب في الجاهلية هو الشيطان ؛ فقد كان للكهنة أولياء من

الشياطين ، يخبرونهم بما يسترقون من السمع في السماء ؛ ليزينوا لهم عبادة الأصنام .

وقد سبق أن بيَّنتُ أنَّ السياق لا يمنح أي لفظ كان أية دلالة كانت ، وإنَّما يُعيِّن دلالة موجودة حقيقة في اللفظ ، أو هي موضوعة له في الأصل ، وهذا ما يحصل في اللفظ المشترك الذي يحمل عدة معان مختلفة على حد سواء ؛ حتى إنَّ أوجه هذا اللفظ معروفة مُسبَقًا ، وقبل التعرف إليها في السياق ، والطاغوت ليس من اللفظ المشترك ، إلّا أنَّه من الألفاظ العامة التي جاز أن تُوصَف بها الألفاظ الخاصة التي تندرج ضمن معناه العام ، وقد ورد كثيرًا في اللغة الوصف بالاسم الجامد ، وكثر فيها أيضًا حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه ، فلو صح مثلًا أنَّه أُريد من الطاغوت الشيطان ، كما قيل في قوله تعالى : (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ) لوجب أن يكون الطاغوت صفة لموصوف محذوف ، هو الشيطان ، والتقدير في الأصل : فمن يكفر بالشيطان الطاغوت ، ويكون المراد من الطاغوت صفة الطاغوتية لا صفة الشيطانية ؛ لأنَّه من المعلوم أنَّ الموصوف إذا حُذِف موصوفه تقوم الصفة مقامه في الحكم والإعراب ، لكنها لا تقوم مقامه في الدلالة .

فالآية تفيد العموم ، فهي خطاب إلى كل إنسان في كل أمة ، وفي كل زمان ومكان ؛ لذا كان المراد من الطاغوت معناه العام الذي يشمل كل طواغيت الدنيا حتى قيام الساعة ، فلكل أُمَّة طاغوتها ، ولكل زمان طاغوته .

باب الصاد

١-الصاحب والصديق :الفرق بين الصاحب والصديق بتخفيف الدال ظاهر فـ((الصديق يُسمَّى صديقًا لصدقه في المودّة))[١]وورد في القرآن الكريم في موضعين في قوله تعالى : (فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ){الشعراء : ١٠٠-١٠١}وفي قوله تعالى : (أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا){النور : ٦١}

((والصاحب : الملازم٠٠٠ولا يقال في العُرْف إلّا لمن كثُرتْ ملازمته ، ويقال للمالك للشيء صاحبه ، وكذلك لمن يملك التصرّف فيه قال تعالى : (إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا){التوبة : ٤٠}٠٠٠والمصاحبة والاصطحاب أبلغ من الاجتماع لأجل أنّ المصاحبة تقتضي طول لبثه فكلّ اصطحاب اجتماع وليس كلّ اجتماع اصطحاب))[٢]و((قوله تعالى : (إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ){التوبة : ٤٠} القائل هو محمد صلّى الله عليه وسلّم ومن ثَمّ قيل : من أنكر صُحبة أبي بكر فقد كفرَ ؛ لأنّه أثبتَ له صاحبًا ، وقام الإجماع على أنّه لم يكن معه في الغار غير أبي بكر رضي الله عنه))[٣]

٢-الصاحب والقرين : فرّق العسكري ((بين الصاحب والقرين أنّ الصحبة تفيد انتفاع أحد الصاحبين بالآخر ؛ ولهذا يستعملفي الآدميين

(١) اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي ٤٢٥/٤

(٢) المفردت للراغب ص ٢٨٥

(٣) عمدة الحفاظ للحلبي ٣٢٠/٢

خاصّة٠٠٠٠والمقارنة تفيد قيام أحد القرينين مع الآخر ويجري على طريقته وإن لم ينفعه)) [١]

قال الله تعالى في الصاحب : (إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّـهَ مَعَنَا){التوبة : ٤٠} وقال تعالى في القرين : (قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ){الصافّات : ٥١-٥٥}

٣-الصبح والصباح والضحى والفجر والغُدْوة والغَداة والبكرة والأصيل والمساء والعشاء والعشيّ والسَّحَر : الصباح : ((الصبح والصباح أول النهار وهو وقت ما احمرّ الأفق بحاجب الشمسقال تعالى : (أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ){هود : ٨١} وقال تعالى : (فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ){الصافّات : ١٧٧}))[٢]((والصباح نقيض المساء))[٣]

والصبح والصباح الفجر أو أوّل النهار[٤] ((والنهار في اللغة من طلوع الفجر إلى غروب الشمس٠٠٠وهو في عرف الناس من طلوع الشمس إلى غروبها))[٥]

ورد الصباح في موضع واحد هو الموضع المذكور ، وورد الصبح في خمسة مواضع ، والفرق بين الصبح والصباح في البناء ، أنّ الصبح مركب من ثلاثة أحرف ، والصباح من أربعة أحرف فيه حرف الألف الذي

---

(١) الفروق اللغوية ص ٣١٨

(٢) المفردات ص ٢٨٣ وينظر : عمدة الحفّاظ ٣١٤/٢

(٣) الصحاح ص ٥٧٧

(٤) ينظر : تاج العروس ٣٠٠/٦

(٥) المصباح المنير ص ٦٢٧

يفيد معنى المدّ ؛ لذلك استعمل الصبح فيما كان أقرب من الصباح إلى طلوع الشمس ، أي : استعمل ما كان في أوّل طلوعها كقوله تعالى : (إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ){هود : ٨١}وقوله تعالى : (وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ){المدثر : ٣٤}وقوله تعالى : (وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ){التكوير : ١٨}وقوله تعالى : (فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا){العاديات : ٣}فاستعمل الصبح من دون الصباح ؛ لأنّه أرادأوّل طلوع الشمس

أمّا الإصباح فيعني الدخول في الصباح ، يقال : أمسينا وأصبحنا إذا أردنا معنى الدخول في وقت المساء والصباح قال تعالى : (فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ){الروم : ١٧}

-**الضحى** : ((الضحى : انبساط الشمس وامتداد النهار٠٠٠قال تعالى : (وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ){الضحى : ١-٢}٠٠٠وقال تعالى : (وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ){طه : ١١٩} أي : أنّ لك تتصوّن من حرّ الشمس)) [1]

فالصبح ما كان أول طلوع الشمس ، والصباح ما كان بين طلوع الشمس حتى الزوال ، والضحي جزء من الصباح ، ويكون عندما تبدأ الشمس تشتدّ حرارتها ، لذلك قال تعالى (وَلَا تَضْحَىٰ) تعبيرًا عن شدة حرارتها فالضحى يكون ((إذا امتدّ النهار وكَرَبَ أن ينتصف)) [2] أي : الساعة التي تكون قبل زوال الشمس وقبل منتصف النهار

([1]) المفردات ص ٣٠٣-٣٠٤

([2]) الصحاح ص ٥٤٤

-الفجر : ((وقيل الفجر فجران : الكاذب وهو كذَنَبالسرحان ، والصادق وبه يتعلق حكم الصوم والصلاة قال تعالى : (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ){البقرة : ١٨٧})) (١)

-**الغُدْوة والغَداة والغدوّ والبكرة** :و((الغُدْوة والغَداة من أوّل النهار)) (٢) ((والغدوة : ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس)) (٣)والبكرة أول الغداة قال تعالى: (فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا){مريم : ١١}وقال تعالى : (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ){الأنعام : ٥٢}وقال تعالى : (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ){الكهف : ٢٨}وقال تعالى : (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ){النور : ٣٦}والمراد بالغدوّ في هذه الشواهد الثلاثة صلاة الفجر (٤)

والدليل على ذلك من الشعر الجاهلي قول امرئ القيس :

وقد أغتدي والطير في وُكُناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكلِ (٥)

يعني : يغتدي قبل طلوع الشمس ولا تزال الطيور في أعشاشها التي باتت فيها

-**الأصيل** : قال الطبري : ((وأمّا الآصال فهي فيما يقال في كلام العرب ما بين العصر والمغرب)) (١)

---

(١) المفردات للراغب ص ٣٨٨

(٢) المفردات للراغب ص ٣٧٢

(٣) الصحاح ص ٧٦٥ والمصباح المنير ٤٤٣ ولسان العرب ١٩/١١

(٤) ينظر : مدارك التنزيل ص ٣٢٣ وص ٦٤٩ وص ٧٨٢

(٥) شرح القصائد السبع الطوال لأبي بكر بن الأنباري ص ١٠٢ وشرح القصائد العشر للتيريزي ص ٥٥

-**المساء** : ((المساء : بعد الظهر إلى صلاة المغرب)) [٢]((والمساء خلاف الصباح والإمساء نقيض الإصباح))[٣]قال تعالى : (فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ){الروم : ١٧}

-ا**العشيّ والعشاء** : قال الخليل : ((العشيّ والعشاء عند العامّة بعد غروب الشمس من لدن ذلك إلى أن يولّي صدر الليل)) [٤] وفي الصحاح ((من صلاة المغرب إلى العتمة))[٥] وقد قابل القرآن الكريم بين أوّل النهار وأوّل الليل في قوله تعالى : (يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ){الكهف : ٢٨}وبين أوّل النهار وآخره في قوله : (يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ){النور : ٣٦}

-السَّحَر : قال الخليل : ((السَّحَر : آخر الليل))[٦]((والسّحَر : قبيل الصبح))[٧]والجمع أسحار ((والسَّحَر والسَّحَرة اختلاط ظلام آخر الليل بضياء النهار))[٨] قال تعالى : (وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ){آل عمران : ١٧}

فصفوة ما تقدم ذكره أنّ أسماء أجزاء اليوم والليلة هي :

([١]) جامع البيان ١٩٨/٩

([٢]) العين للخليل ص ٩١٠

([٣]) الصحاح للجوهري ص ٩٨٥ وينظر : المصباح المنير ص ٥٧٤

([٤]) العين ص ٦٤١

([٥]) الصحاح ص ٧٠٥ وينظر : المصباح المنير ص ٤١٢

([٦]) العين ص ٤١٢

([٧]) الصحاح ص ٤٧٨ وينظر : المصباح المنير ص ٢٦٧

([٨]) المفردات للراغب ص ٢٣٤

الفجر : والفجر فجران : الكاذب وهو ظهور خيط أبيض عمودي يظهر من جهة طلوع الشمس لا يلبث أن يختفي ، ولذا يسمّى بالكاذب ، يعقبه ظهور خيط أبيض أفقي يبدأ ينتشر إيذانًا بشروق الشمس ويسمّى بالفجر الصادق

والغداة : ما كان بين الفجر وطلوع الشمس

والصبح والصباح يُطلَق على الوقت الممتدّ من طلوع الفجر الصادق إلى الزوال ، ويطلّق على أجزاء هذا الوقت فيطلَق على الوقت بين طلوع الفجر وطلوع الشمس ، وعلى الوقت بين طلوع الشمس والزوال

والضحي جزء من الصباح ، ويكون عندما تبدأ الشمس تشتدّ حرارتها

والأصيل : ما بين العصر والمغرب

والمساء : ما بعد الزوال إلى غروب الشمس

والعشي : من غروب الشمس إلى العتمة أو إلى أن يولّي صدر الليل

والسحر ما بين الفجرين

٤-الصبيُّ ، والطفل ، والغُلام ، والفَتى ، والكهل ، والولد ، والوليد :

-**الصَّبيّ** : ((الصاد والباء والحرف المعتلّ ثلاثة أُصول : صحيحة : الأوّل يدلّ على صغر السنّ ، والثاني ريح من الرّياح ، والثالث الإمالة...فالأوّل واحد الصِّبْية والصِّبْيان ورأيته في صباه...ومن الباب صبا إلى الشيء يصبو إذا مال قلبه إليه والاشتقاق واحد والاسم الصَّبْوة...والثاني : ريح الصَّبا وهي التي تستقبل القبلة يقال : صَبَتْ تصبو، الثالث : قول العرب : صابيت الرُّمْح))[1] و((الصَّبْوُ والصَّبْوَة :

(١) مقاييس اللغة ص ٥٠٢

جَهلَةُ الفُتُوَّة واللَّهْو من الغَزَل))[1]((يقال : صبا فلان إلى فلانة ، وصبا لها يصبو صَبًا منقوص وصَبْوة ، أي : مال إليها)) [2] ((والصبيّ من لم يبلغ الحلم))[3]و((قوله تعالى : {وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ}{يوسف : ٣٣} أي : أمل إليهنّ يقال : صبا يصبو : إذا مال نحو محبوبه٠٠٠وقيل : صبا معناه : نزع واشتاق وفعل فعل الصبيان٠٠٠قوله تعالى ☹قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا){مريم : ٢٩}أي : من لم يبلغ الحنث (أي: الإدراك)))[4]

-**الطِّفْلُ** : ((الطاء والفاء واللام أصل صحيح مطّرِد ثمّ يقاس عليه ، والأصل المولود الصغير ، يقال هو طِفْلٌ والأنثى طِفْلَة٠٠٠فهذا هو الأصل وممّا اشتُقَّ منه قولهم : للمرأة الناعمة طَفْلةٌ (بفتح الطاء) كأنّها مشبّهة في طفولتها ونَعْمتها بالطِّفْلَة (بكسر الطاء) ثمّ فرّق بينهما بفتح هذه وكسر الأولى))[5] و((غُلام طَفْل : إذا كان رَخْصَ القدمينِ واليدينِ وامرأة طَفْلَة الأنامل ، أي : رِخْصَتُها في بياض٠٠٠والطِّفْلُ : الصغير من الأولاد النّاس والبَقَر والظِّباء ونحوها ، وتقول : فعل ذلك في طفولته ، أي : هو طِفْلٌ ، ولا فِعْلَ له ؛ لأنّه ليس له قبل ذلك حالٌ فتحوَّل منها إلى الطُّفولة٠٠٠والتطفيل من كلام العرب : أن يأتي الرجلُ وليمة لم يُدْعَإليها ، فكلّ من فعل فعله نُسِبَ إليه وقيل : طُفَيْليٌّ))[6]((وقال أبو الهيثم : الصَّبيُّ يُدْعى طِفْلًا حين

---

(١) العين ص ٥٠٨

(٢) تهذيب اللغة للأزهري ١٩٦٦/٢

(٣) المفردات للراغب ص ٢٨٤

(٤) عمدة الحفاظ ٣١٩/٢-٣٢٠

(٥) مقاييس اللغة ص ٥٣٣

(٦) العين ص ٥٧٢

يسقط من أمِّه إلى أن يحتلم ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾{الحج : ٥}{غافر : ٦٧}وقالَ ﴿أَوِالطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾{النور : ٣١}))[١] (((وقال تعالى : ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ﴾{النور : ٥٩} قيل لهم ذلك باعتبار ما كانوا))[٢]

-**الغُلام** ☹(الغين واللام والميم : أصل صحيح يدلّ على حداثة وهَيْج شهوة ، من ذلك الغلام ، هو الطارّ الشارب ، وهو بَيِّن الغُلوميّة والغُلومة ، والجمع غِلْمَة وغِلْمان ، ومن بابه اغتلم الفحلُ غُلْمَةً : هاج من شهوة الضِّراب))[٣]و((غَلِمَ يغلَم غَلَمًا : غُلِبَ شهوة، واغتلم الشراب : صَلُبَ واشتدّ ، وغلام بَيِّنُ الغُلوم والغُلامية ، وهو الطارّ الشارب))[٤] ((وطرّ النبتُ يَطُرّ بالضم طُرورًا نَبَتَ ، ومنه : طرَّ شارب الغلام : فهو طارٌّ))[٥]وقال الأزهري : ((وجاء في الشعر : غُلامةٌ للجارية وأنشد : يُهانُ لها الغلامةُ والغلامُ٠٠٠وقد سمعتُ العرب تقول للمولود حين يولد ذكرًا غلام ، وسمعتهم يقولون للكهل غُلام نجيب ، وكلّ ذلك فاشٍ في كلامهم))[٦] ((واغتلم الغُلام إذا بلغ حدّ الغُلومة ولمّا كان من بلغ هذا الحدّ كثيرًا ما يغلب عليه الشَّبَقُ قيل للشَبَق غُلْمةٌ واغتلم الفحل))[٧] و((الغُلام : من طرَّ شاربُه وبَقَلَ عِذارُه (أي :

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري ٢٢٠٠/٣

(٢) عمدة الحفّاظ ٤٠٩/٢

(٣) مقاييس اللغة ص ٦٩٧

(٤) العين ص ٧١٨-٧١٩

(٥) الصحاح للجوهري ص ٦٣٦

(٦) تهذيب اللغة ٢٦٩٢/٣

(٧) المفردات للراغب ص ٣٧٩

(أي : نبت شعر لحيته)[١] وأصل ذلك من الاغتلام الذي هو الشدّة وتجاوز الحدّ ، ومنه الحديث : تجهّزوا لقتال المارقين المغتلمين . قال الكسائيّ : الاغتلام : أن يتجاوز الإنسان حدَّ ما أُمِرَ به من الخير والمباح))[٢] ((ويُطلَق الغلام على الرجل مجازًا باسم ما كان عليه كما يقال للصغير شيخ مجازًا باسم ما يئول إليه)) [٣]

-**الفتية** : ((الفاء والتاء والحرف المعتلّ أصلان : أحدهما : يدلّ على طَراوة وجِدّة ، والآخرة على تبيين حكم...والفَتى من النّاس واحد الفِتيان...والأصل الآخر : الفُتْيا ، يقال : أفتى الفقيه في المسألة : إذا بيّن حُكْمها)) [٤]و((الفَتيّ والفتيّة : الشابّ والشابّة...وجماعة الفتى فِتْيَة وفِتيان))[٥]فـ((الفَتى : الشابّ ، والفتاة : الشابّة...يقال : هو فَتًى بَيِّنُ الفُتُوَّة...والجمع فِتْيان وفِتْيَة))[٦] و((الفتى الطرِيّ من الشباب والأنثى فتاة ، ، ويُكَنَّى بهما عن العبد والأمة قال تعالى : (تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ){يوسف : ٣٠}...وجمع الفتاة فَتَيات وذلك قوله تعالى : (فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ){النساء : ٢٥} أي : إمائكم ، وقال تعالى : (وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ){يوسف : ٦٢} أي : لمملوكيه))[٧]((وفي الحديث : لا يقل أحدكم

---

(١) ينظر : الصحاح للجوهري ص ٦٨٢ والمصباح النير ص ٣٩٩

(٢) عمدة الحفّاظ للحلبي ٣/١٧١-١٧٢

(٣) المصباح المنير ص ٤٥٢

(٤) مقاييس اللغة ص ٧٢٧-٧٢٨

(٥) العين ص ٧٢٩

(٦) الصحاح ص ٧٩٦-٧٩٧

(٧) المفردات للراغب ص ٣٨٨

عبدي وأمتي ، ولكن فتايَ وفتاتي[١]٠٠٠وقوله تعالى : (وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ){يوسف : ٣٠} سمّوه بذلك لزعمهم أنّها مالكته ، ويحتمل أن يكون الأمر كذلك بتمليك زوجها إيّاه لها))[٢] و((الفتي من الدوابّ خلاف المسنّ وهو كالشابّ في النّاس ، والجمع أفتاء مثل يتيم وأيتام٠٠٠والفتى : العبد وجمعه في القلّة فِتْيَة وفي الكثرة فِتْيان والأمة فتاة وجمعها فتيات ، والاصل فيه أن يقال للشابّ الحَدَث فَتًى ثماستعير للعبد وإن كان شيخًا مجازًا تسمية باسم ما كان عليه))[٣]

–**الولدان** : ((الوَلَدُ : اسم يجمع الواحد والكثير والذكر والأُنثى سواء ، والوليد : الصَبيّ ، والوليدة : الأمة))[٤]وفي الصحاح : ((والوليد : الصبيّ والعبدُ ، والجمع وِلْدان ووِلْدَة ، والوليدة : الصبيّة والأَمَة))[٥] و((الوَلَدُ : اسم المولود يقال للواحد والجمع والصغير والكبير قال الله تعالى : (فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ){النساء : ١١}٠٠٠قال أبو الحسن : الوَلدُ : الابن والابنة٠٠٠والوليد يقال لمن قرب عهده بالولادة٠٠٠فإذا كبر الولد سقط عنه هذه الاسم ، وجمعه وِلْدان قال تعالى : (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا){المزمّل : ١٧}والوليدة مختصّة بالإماء في عامّة

(١) رواه البخاري ينظر فتح الباري ٥/٢٣٠ رقم الحديث ٢٥٥٢وروراه مسلم عن أبي هريرة : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال : لا يقولنَّ أحدُكم عبدي وأمتي ، كلكم عبيد الله ، وكلُّ نسائكم إماء الله ، ولكن ليقل : غلامي وجاريتي وفتايَ وفتاتي . شرح صحيح مسلم ٧/٥٦ رقم الحديث ٢٢٤٩

(٢) عمدة الحفاظ للحلبي ٣/٢٠١

(٣) المصباح المنير ص ٤٦٢

(٤) العين ص ١٠٦٦

(٥) الصحاح للجوهري ص١١٥٩

كلامهم))[١]و((قوله تعالى : (يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ)الإنسان : ١٧} قيل : هم أطفال الكفّار يكونون خدم أهل الجنّة وقيل : هم خلْقٌ من خَلْق أهل الجنّة ، وهم جمع وليد ، والوليد اشتهر في مَن قرب عهده بالولادة))[٢]وقال تعالى : (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ){الطور : ٢٤}قال هنا (غِلْمَانٌ لَّهُمْ) لأنّهم ((من أولاد المسلمين الذين سبقوهم فأقرّ الله تعالى بهم أعينهم))[٣] أو بمعنى أنّهم : ((مملوكون لهم مخصوصون بهم))[٤] وما قال : وِلْدَانٌ لهم ؛ لأنّ المراد من الولدان في الأكثر ولدان المشركين[٥]

فقد بان الفرق بين الولدان والغلمان والفتية ، فالولدان جمع وليد ، والوليد هو من قرُب عهده بالولادة ويكون ذلك قبل أن يطرّ شاربه ، فإذا طرّ شاربه وبدأت فيه الشهوة والميل إلى النساء سُمِّي غلامًا وجمع الغلام غُلْمان ، فإذا تجاوز ذلك وصار شابًّا قويًّا سُمِّي فتى ، وجمع الفتى فتيان ، فلكون الوِلْدان قريبي عهد بالولادة ، فإنّهم يكونون ضعفاء لا يزالون يحتاجون إلى رعاية والديهم ، لذلك ذكرهم القرآن الكريم في باب الاستضعاف كقوله تعالى : (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا){النساء : ٧٥}وقوله تعالى : (قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ

(١) المفردات للراغب ص ٥٥٦-٥٥٧

(٢) عمدة الحفّاظ للحلبي ٣٤٠/٤

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥٩/١٧

(٤) مدارك التنزيل للنسفي ص ١١٧٥

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥٩/١٧

مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا){النساء : ٩٨}

ولكونهم يمثلون أصغر الأطوار العمرية فقد قال تعالى : (فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا){المزمّل : ١٧} أي هو يوم يجعل أصغر الناس شيوخًا لشدة هوله وكربه[١] ولكون الولدان هم ممن لم يبلغوا حدّ الاغتلام وسنّ الرشد والتكليف فقد جاء في تفسير قوله : (يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ){الواقعة : ١٧} ((قال الحسن البصري : هؤلاء أطفال لم يكن لهم حسنات فيُجزَون بها ، ولا سيئات فيعاقَبون عليها فوُضعوا في هذا الموضع))[٢] أمّا الغلام فلأنّه هو من اغتلم وبدأ هيج شهوته وميله إلى النساء وبان عنده سنّ الرشد والتكليف فقد ذُكِر في سياق من يُحاسب على عمله كقوله تعالى : (فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا){الكهف : ٧٤}والدليل على أنّ يوسف عليه السلام كان صغيرًا في بدء بلوغه قوله تعالى : (قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ){يوسف : ١٩} ولكون اغتلام الصبيّ يمثل بداية سنّ البلوغ والرجولة وهو طموح كلّ من حُرِم الولد ، فقد عُبِّر عن المولود بالغلام في باب الدعاء للولد والتمنّي له والبشرى به كقوله تعالى : (يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا){مريم : ٧-٨} وقوله تعالى : (قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ){الحجر : ٥٣}

أمّا الفتية فهو جمع الفتى وهو الشاب الذي تجاوز حد الاغتلام ، واشتدّ ساعده ، فأصبح رجلًا قويًّا يتحمّل حمل المهمّات وعظائم الأمور ،

---

(١) ينظر : مدارك التنزيل للنسفي ص ١٢٩٤

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ٣٢٥/٧

لذلك ذكروا في هذا السياق كقوله تعالى : (قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ){الأنبياء : ٦٠}وقوله تعالى : (إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا){الكهف : ١٠}وقوله تعالى : (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى){الكهف : ١٣}

وقد استعير الفتى كما تقدم للعبد والمملوك ، والفتاة للأمة ، والفتيات للإماء ، كقوله تعالى : (تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ){يوسف : ٣٠} وقوله تعالى : (فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ){النساء : ٢٥} وقوله تعالى : (وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ){يوسف : ٦٢}

و((الكهل من وَخَطَه الشيب ، قال تعالى : (وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ){آل عمران : ٤٦}))[١] (ويقال : الكهل هو الذي تَمَّ شبابه ومنه : اكتهل النبات : تمّ طوله ، ويقابل به الشباب٠٠٠فإن قيل : كلام الصبيّ في المهد أُعجوبة ففي الإخبار فائدة عظيمة ، وأمّا كلام الكهل فمعتاد فما فائدة الإخبار به ؟ قيل : البشارة بأنّه يعيش إلى حدّ الكهولة ؛ لأنّه لم يتكلّم صبيٌّفي مهده ثمّ عاش غير عيسى))[٢]وعيسى عليه السلام رُفِع إلى السماء في الثلاثينات من عمره فهذا يعني أنّ هذا هو عمر الكهل ، ((ويقال لمن طَعَن في السنّ الشيخ ، وقد يُعَبَّر به فيما بيننا عمَّن يكثر علمه لما كان من الشيخ أن يكثر تجاربه ومعارفه))[٣]فالشيخ ((من بلغ السنّ العالية وإن لم يشب وبعضهم يقيّده بالشيب والشيخ يقابله عجوز، ولا يقال شيخة إلّا في لُغَيّةٍ قال الشاعر :

---

(١) المفردات للراغب ص ٤٦١

(٢) عمدة الحفّاظ للحلبي ٤٣٥/٣

(٣) المفردات للراغب ص ٢٨٠

وتضحك منّي شيخة عَبْشَمِيّةٌ   كأنْ لم تَرَيْ قبلي اسيرًا يمانيا))[1]

فقد فُرِّق بين الوليد والغلام والفتى والكهل والشيخ استنادًا إلى الأطوار التي يمرّ بها الإنسان في عمره ، وقد تقدّم أنّ كلًّا من الصبي ، والغلام ، والوليد هو من لم يبلغ الحلم فالتفريق بينهم يكون استنادًا إلى المعنى الأصلي لكلٍّ منهم ، فقد تقدّم أنّ الولدان سُمُّوا بذلك لقريب عهدهم بالولادة ، فإنّهم يكونون ضعفاء لا يزالون يحتاجون إلى رعاية والديهم ، لذلك ذكرهم القرآن الكريم في باب الاستضعاف وقد تقدّمت شواهده ، أمّا الصبيُّ فهو من الجهل بالأمور ، ومن صبا إلى فلانةنزع إليها أو صبا إلى الشيء مال إليه واشتاق ، والميل إلى اللهو واللعب فإذا أريد مراعاة هذا الأصل في المعنى استعمل لفظ الصبيّ كما جاء هذا في قوله تعالى : (قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا){مريم : ٢٩} أي : كيف نكلّم من لا يفهم ولا يعي ولا يعقل ، أمّا قوله تعالى : (يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا){مريم : ١٢}فاستعمال الصبيّ هنا مناسب للمقام والسياق ؛ لأنّه أريد أنّه سبحانه آتيناه الحكمة التي لا ينالها إلّا من كثر علمه ومعارفه وتجاربه ، آتاه إيّاها في العمر الذي يشتغل فيه أقرانه بالجهل واللهو واللعب ، أمّا الطفل فقد سُمُّوا بذلك لنعمة أظفارهم وبشرة أجسادهم ولينها فهم لا يزالون يُنظَر إليهم كأنّهم أطفال رُضّع في أحضان أمّهاتهم ، لذلك ذكرهم القرآن في هذا السياق كقوله تعالى : (وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ){النور : ٥٩} قيل لهم ذلك باعتبار ما كانوا))[2] وقوله تعالى : (أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ){النور : ٣١}

---

(١) عمدة الحفّاظ للحلبي٢/٣٠٨-٣٠٩

(٢) عمدة الحفّاظ ٢/٤٠٩

٥-**الصدر والفؤاد والقلب** : الصدر معروف وأهمّ ما يضمّه القلب والرئتان ، ولأنّ ما يصيب المرء من نوائب مفاجئة مبهجة ومفرحة أو محزنة ومؤلمة في النفس والجسد والمال والولد تظهر أثارها على صدره وصف الصدر بالانشراح والضيق والشفاء كقوله تعالى : (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي){طه : ٢٥}وقوله تعالى : (قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي){الشعراء : ١٢-١٣}وقوله تعالى : (فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ){هود : ١٢}وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ){يونس : ٥٧}

ولأنّ الصدر يضمّ القلب بما يسرّه ويكتمه ؛ بيّن سبحانه بأنّه لا تخفى عليه أسراره وأنّه يعلمها قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ){آل عمران : ١١٩}

-**الفؤاد** :ويبدأ الفؤاد بحرف الفاء وهو حرف شفوي مهموس رخو مخرجه من بين الشفة العليا وأطراف الثنايا ، ويليه الهمزة مخرجها من الحنجرة ، والقلب يبدأ بحرف القاف وهو حرف لهوي مجهور شديد مفخَّم ، فلفظ كلّ منهما ينبئ من أوّل وهلة أنّ الفؤاد ألين من القلب ، وعليه يكون الفؤاد محلًّا للعواطف ولِما خفّ شأنه ، والقلب محلًّا لِما عظم شأنه وللقرارات المهمة

قال الراغب : ((الفُؤاد كالقلب ، لكن يقال له فُؤاد إذا اعتُبِر فيه معنى التفوّد ، أي : التفوّد ، يقال : فأدْتُ اللحم شويته ، ولحم فئيد مشوي٠٠٠وتخصيص الأفئدة تنبيه على فرط تأثير له))[1]((وقيل : القلب

---

(١) المفردات في غريب القرآن ص٤٠٢

أخصّ من الفؤاد ومنه حديث النبيّ صلى الله عليه وسلّم : أتاكم أهل اليمن هم أرق قلوبًا وألين أفئدة))[١]وهذا دليل من السنّة على أنّ الفؤاد غير القلب

والدليل الثاني أنّ القلب ورد في القرآن كلِّه في السور المكّية والسور المدنيّة ، أمّا الفؤاد فلم يرد إلّا في السور المكّية .

-**القلب** :القلب من ((قلب الشيء تصريفه وصرفه عن وجه إلى وجه ، كقلب الثوب وقلب الإنسان٠٠٠وقلب الإنسان قيل سُمِّي به لكثرة تقلّبه))[٢] ((قوله تعالى : (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ){ق : ٣٧} أي : عقل وفهم ، وقلب كلّ شيء خالصه ، وأصل القلب من التقلّب))[٣]

ولأنّ القلب أقوى من الفؤاد فهو موضع القوّة والعزم والتمكنّ من الاحتفاظ بما يعتقده ويؤمن به حقًّا كان أم باطلًا اتجه إليه من دون الفؤاد الختم والطبع كقوله تعالى : (خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ){البقرة : ٧}وقوله تعالى : (وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا){النساء : ١٥٥}

ومما اكتشف علميًّا وطبّيًّا أنّ حاسّة السمع مرتبطة بالدماغ بأعصاب سمعية ، ولولا ذلك لما وعى الإنسان ما يسمعه ، وأنّ حاسّة البصر مرتبطة بالدماغ بأعصاب بصرية ولولا ذلك لما وعى الإنسان ما يبصره ، وكذلك كلٌّ من الفؤاد والقلب مرتبط بالدماغ بمثل ذلك ، واكتشف عن طريق التشريح أنّ الفؤاد غشاء رقيق يغلّف القلب ، والحقيقة أنّ هذا ما جاء في كتب اللغة والتفسير للقدامى في تفسير قوله تعالى : (وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي

---

(١) بصائر ذوي التمييز ٢١٨/٤

(٢) المفردات في غريب القرآن ص ٤٢٨

(٣) عمدة الحفاظ ٢٣٠/٣

الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ){يوسف : ٣٠}قال ابن قتيبة : (((قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) أي : بلغ حُبُّه شغافَها ، وهو غلاف القلب ، ولم يرد الغلاف ، إنَّما أراد القلْبَ ، يقال : قد شغَفْتُ فلانًا : إذا أصبتَ شَغافَه ، كما يقال : كَبَدْتُه : إذا أصَبْتَ كَبِدَه ، وبطَنْتُه : إذا أصبْتَ بَطْنَه)) [١] وقال ابن فارس : ((الشين والغين والفاء كلمة واحدة ، وهو غلاف القلب ، قال الله تعالى : (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا){يوسف : ٣٠} أي : أوصل الحبَّ إلى شغاف قلبها)) [٢] وقال الزمخشري : (((شَغَفَهَا) خرق حبُّه شغاف قلبها حتى وصل إلى الفؤاد ، والشغاف حجاب القلب ، وقيل جلدة رقيقة ، يقال لها : لسان القلب)) [٣] وقال التبريزي : ((و(شَغَفَهَا) أي : قد بلغ حبُّه شغافها ، وهو غلاف القلب ، كأنَّه خرق شغافَها فأصاب القلب ، يقال : شغفتُ فلانًا ، إذا أصبتُ شغافه ، وقيل : الشغاف : سويداء القلب ، وقيل عظم لاصق بالقلب))[٤]((السدي وأبو عبيد : شغاف القلب : غلافه ، وهو جلدة عليه)) [٥] وجاء في اللسان : ((وشغفه الحبُّ يشغفه شغْفًا وشغَفًا : وصل إلى شغاف قلبه ، وقرأ ابن عباس ... قال : دخل حبُّه تحت الشغاف ، وقيل : غشَّى الحبُّ قلبها ... قيل : الشغاف غلاف القلب ، وقيل : هو حبَّة القلب ، وهو سُوَيداء القلب))[٦]

---

(١) تفسير غريب القرآن ص ٢١٥

(٢) مقاييس اللغة ص ٤٥١

(٣) الكشاف ٤٤٤/٢

(٤) الملخص في إعراب القرآن ص ٤٧

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢٨/٩

(٦) لسان العرب ٩٨/٨-٩٩

وقد ورد القلب بصيغة الإفراد والجمع في مواضع كثيرة في القرآن الكريم ، وورد الفؤاد في ستة عشر موضعًا ، ورد بصيغة الإفراد في خمسة مواضع وهي :

قول الله تعالى : (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ){القصص : ١٠}ولأنّ الفؤاد أرقّ ما في جسم المرء فهو أسرع من القلب تأثّرًا بالنوائب المفاجئة والمؤلمة قال الطبري في تفسير هذه الآية : ((اختلف أهل التأويل في المعنى الذي عنى الله أنّه أصبح منه فؤاد أمّ موسى فارغًا ، فقال بعضهم : الذي عنى جلّ ثناؤه أنّه أصبح منه فؤاد أمّ موسى فارغًا : كلّ شيء سوى ذكر ابنها موسى٠٠٠وقال آخرون : بل عنى أنّ فؤادها أصبح فارغًا من الوحي الذي كان الله أوحاه إليها ؛ إذ أمرها أن تلقيه في اليمّ٠٠٠قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال معناه : وأصبح فؤاد أمّ موسى فارغًا من كلّ شيء إلّا من همّ موسى ، وإنّما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصواب لدلالة قوله : (إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) ولولا كان عنى بذلك فراغ قلبها من الوحي لم يعقب بقوله : (إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ) لأنّها إن كانت قاربت أن تبدي بالوحي فلم تكد أن تبديه إلّا لكثرة ذكرها إيّاه وولوعها به ، ومحال أن تكون ولعة به إلّا وهي ذاكرة ، وإذا كان ذلك كذلك بطل القول بأنّها كانت فارغة القلب مما أوحي إليها ، وأخرى أنّ الله تعالى أخبر عنها أنّها أصبحت فارغة القلب ، ولم يخصص فراغ قلبها من شيء دون شيء))

والقول الذي قال به الطبري هو قول ابن عبّاس ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحّاك [١]

---

(١) جامع البيان ٢٠/٤٣-٤٥

ويستنتج من هذه الآية وتفسيرها ما يأتي :

١-الدليل على أنّ الفؤاد غير القلب ؛ أنّه ذكر الفؤاد وذكر القلب في نفس السياق ولم يوحّد ، فقال : (لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا) وما قال : لولا أن ربطنا على فؤادها .

٢-أنّ أمّ موسى كادت لتبدي بأمره وقصّته لفرط الجزع والغمّ ؛ ولشدّة الحزن والوجد كادت تصيح : وا ابناه! شفقة عليه ؛ وذلك حين سمعت بوقوعه في يد فرعون[١] لكن منعها من أن تبدي به بالربط على قلبها ؛ لا على فؤادها ؛ لأنّه يمكن السيطرة على القلب ؛ لأنّه موضع العقل والدين والوحي ، ولا يمكن السيطرة على الفؤاد ؛ لأنّه موضع المشاعر والهوى والميل إلى ما يلهي من الترّهات من زخارف الدنيا وزينتها ، ولا سيّما إذا جاشت فيه العواطف ، وهذا هو حال أفئدة من زاغ عن هدى الله .

٣-ظهر من التفسير الصحيح للآية أنّ أمّ موسى أحجمت عن الإبداء بأمر ابنها بالوحي الذي أوحاه الله لها بأنّه حافظه ورادّه إليها ، وكان هذا بالربط على قلبها ، فهذا يعني أنّ القلب موضع الوحي والدين ،

٤-قوله تعالى : (فَارِغًا) يعني : أصبح فارغًا من العلم والذاكرة إلّا ذكر ابنها ، والفؤاد هو الذي يتلقى العلم والمعلومات ويستقبلها بغثّها وسمينها قبل أن تنتقل إلى القلب ، فإذا تسلّمها القلب عقلها ، فيكون الفؤاد وسيلة للذاكرة والتعلّم ، والقلب موضع العقل والعلم اليقين .

وهذه الحقائق الأربع يمكن أن تمثّل الفروق بين الفؤاد والقلب ، التي على أساسها يمكن أن نعرف السرّ من استعمال أحدهما من دون الآخر في القرآن الكريم ، ويمكن إجمالها بقولنا : إنّ الفؤاد موضع العواطف والهوى ، ووسيلة للتعلّم ، والقلب موضع العقل واليقين والوحي والدين .

---

(١) ينظر : زاد المسير لابن الجوزي ٩٤/٦ ومدارك التنزيل تفسير النسفي ص ٨٦٢

وقول تعالى : (((مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ){النجم : ١١}أي : واطأ قلبه بصره ، والمعنى : الذي رآه حق لا تخييل))[١]وما قيل : ما كذب القلب ، لأنّ قلب الرسول صلى الله في يقين مما رأى فهو لا يحتاج لنفي الكذب عنه ونفاه عن الفؤاد ؛ لأنّه مظنة للريبة والتهمة لكونه موضع الهوى والمشاعر ، ولأنّه ليس كالقلب موضع اليقين والوحي والدين .

وقوله تعالى : (وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ){هود : ١٢٠}

(((مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ) أي : من أخبارهم وصبرهم على أذى قومهم (مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ) أي : على أداء الرسالة ، والصبر على ما ينالك فيها من الأذى))[٢] فلأنّ الفؤاد الرقيق يتأثّر بهذه الأذية قبل القلب ؛ ولأنّ قلبه صلّى الله عليه وسلّم ثابت باليقين ؛ لا يحتاج إلى تثبيت ، اتجه التثبيت إلى الفؤاد من دونه .

وقوله تعالى : (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا){الإسراء : ٣٦}

((والمراد النهي عن أن يقول الرجل ما لا يعلم ، وأن يعمل بما يعمل ، ويدخل فيه النهي عن التقليد دخولًا ظاهرًا ؛ لأنّه اتباع لما لا يعلم صحته من فساده))[٣] ولمّا كان الفؤاد وسيلة للتعلّم ، يستقبل ويخزن من العلم صحيحه وفاسده قبل أن ينتقل إلى القلب ويعقله اقترن هذا العلم بالفؤاد من دون القلب .

---

(١) عمدة الحفاظ ١٩١/٣

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٨٥/٩

(٣) الكشّاف للزمخشري ٦٣٩/٢

وقوله تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا){الفرقان : ٣٢}

(((وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) أي : قريش أو اليهود٠٠٠(كَذَٰلِكَ) جواب لهم أي : كذلك أنزل مفرّقًا في عشرين سنة أوفي ثلاث وعشرين٠٠٠(لِنُثَبِّتَ بِهِ) بتفريقه(فُؤَادَكَ) حتى تعيه وتحفظه ؛ لأنّ المتلقّن إنّما يقوى على حفظ العلم شيئًا بعد شيء وجزءًا بعد جزء ، ولو أُلقي عليه جملة واحدة لعجز عن حفظه))[١]

ذكر الفؤاد من دون القلب لما تقدّم ذكره لأنّه يستقبل ويخزن بيان الآيات أية بعد آية قبل أن تنتقل إلى القلب فيعقلها ويفقهها على الوجه والتأويل الصحيح ، أو التاويل الذي يعكس مذهب صاحبه

ووردت الأفئدة بصيغة الجمع في أحد عشر موضعًا وهي :

قول الله تعالى : (((نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ){الهمزة : ٦-٧} إنّما خصّها ؛ لأنّها أرقّ شيء في البدن وأخفاه ، فإذا وصل إليها الشيء فقد تناها إفراطه وتأثيره))[٢]((تنبيه على شدة تأثيرها))[٣] فالفؤاد لرقته ولينه فهو أسرع من القلب في اكتساب الأفكار الزائفة و((قوله تعالى : (وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ){إبراهيم : ٤٣}أي : جوف لا عقول لهاوذلك أنّ القلوب مراكز العقول ألا ترى إلى قوله تعالى : (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ){الحج : ٤٦}))[٤]

---

(١) مدارك التنزيل تفسير النسفي ص ٨٠١-٨٠٢

(٢) عمدة الحفاظ ١٩١/٣

(٣) بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ٢١٨/٤

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٩٣/١٣

قال أبو عبيدة : (((وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ) أي : جوف ولا عقول لها))[1] وعندي أنّها جوف مما تحيطه وتحويه ؛ لأنّ الفؤاد هو الغلاف الذي يحيط بالقلب ، فالمراد أنّه أصبح يوم القيامة فؤادًا أجوف من دون قلب

وقوله تعالى : (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ){النحل : ٧٨}

(لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا) حال ، أي : غير عالمين شيئًا من حقّ المنعم الذي خلقكم في البطون (وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) أي : وما ركّب فيكم هذه الأشياء إلّا آلات لإزالة الجهل الذي وُلدتم عليه ، واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعِم وعبادته والقيام بحقوقه))[2]

فاقترن الفؤاد هنا بالعلم لأنّ الفؤاد من وسائل التعلّم ، أمّا القلب فإنّه يتسلّم هذا العلم من الفؤاد فيعقله ويفقهه ؛ لذلك اقترن الفؤاد من دون القلب بالعلم في هذه الآية والآيات التي بعده ، واقترن القلب من دون الفؤاد بالعلم اليقين وبالعقل والفقه ، فقد اقترن بالفقه في قوله تعالى الذي تقدّم : (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ){الحج : ٤٦}واقترن بالفقه في قوله تعالى : (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ){الأعراف : ١٧٩}واقترن بالعلم الذي استقرّ في القلب في قوله تعالى : (كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ){الروم : ٥٩}أي : لا يعلمون العلم الصحيح

---

(١) مجاز القرآن ص ١٣٢ وينظر : الكشّاف ٥٤٢/٢ ومدارك التأويل تفسير النسفي ص ٥٧٣

(٢) مدارك التنزيل ، تفسير النسفي ص ٦٠٤

وقوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ){المؤمنون : ٧٨}ويستدل بالفؤاد لمعرفة المنعم [١]

وقوله تعالى : (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ){السجدة : ٧-٩}

وقوله تعالى : (قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ){الملك : ٢٣}

وقوله تعالى : ((وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ) خصّها ؛ لأنّها آلات العلم))[٢]

هذه الآيات المذكورة في سورة النحل أية ٧٨ وسورة (المؤمنون) آية ٧٨ وسورة السجدة آية ٧-٩ وسورة الملك آية ٢٣ وردت كما هو واضح في سياق خلق الإنسان وبدء نشوئه قبل البلوغ ، فاقترنت بذكر الأفئدة من دون القلوب ؛ لأنّ المراد منها أفئدة الذين لم يبلغوا بعد ، والذي يكون في موطن التكليف والمحاسبة هو القلب لا الفؤاد ، والإنسان يدخل في التكليف بعد البلوغ لا قبله ، لذلك استعمل القلب في قوله تعالى : (لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ){البقرة : ٢٢٥}

وقوله تعالى : (رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ){إبراهيم : ٣٧}

---

(١) مدارك التنزيل ، تفسير النسفي ص ٧٦٣

(٢) مدارك التنزيل ، تفسير النسفي ص ١٢٦٥

(((تَهْوِي إِلَيْهِمْ) تسرع إليهم من البلاد الشاسعة ، وتطير نحوهم شوقًا))[1] مما لا شكّ في أنّ قلوب كلِّ عباده المؤمنين تحبّ المجيء إلى بيت الله ، لكنّ بعد بلادهم عنه وطول الطريق ومشقة السفر يحول بينهم وبينه ، فالمجيء إذن إلى البيت الحرام من البلاد البعيدة وتحمّل عناء السفر وصرف المال على فقره يحتاج إلى هوى أناس يهووون بيت الله كما يهوى العاشق حبيبته ويصرّ على هواها وإن كانت على غير دينه ومذهبه فاستعمل الأفئدة لأنّها موضع الهوى والمشاعر الجيّاشة ، فتهوى البيت الحرام على الرغم من قلوبها

وقوله تعالى : (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ){الأنعام : ١١٢-١١٣}

استعمل الأفئدة لأنّها موضع المشاعر والهوى والميل إلى ما يلهي من الترّهات من زخارف الدنيا وزينتها

وقوله تعالى : (وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ){الأنعام : ١١٠}

وقوله تعالى : (وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ){الأحقاف : ٢٦}

عن البهيقي عن الحاكم بسنده الى الزهري أنّ أبا جهلٍ وأبا سفيان والأخنس بن شريق خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو يصلي بالليل فأخذ كل رجل منهم مجلسًا ليستمع منه، وكلٌّ لا يعلم

---

(١) مدارك التنزيل تفسير النسفي ص ٥٧٢

بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئًا ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ثم انصرفوا، فلمّا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق، فقالوا: لا نبرح حتى نتعاهد ألّا نعود، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا، سيرة ابن هشام ١/ ٢٥٠.

فقد ذكر في الموضعين الأخيرين (أَفْئِدَتَهُمْ) ولم يذكر قلوبهم ؛ لأنّ هؤلاء المشركين تحرّكهم أفئدتهم ، أمّا قلوبهم فمقفلة ،فقد كانوا يستمعون للقرآن الكريم بكل إصغاء ساعات طويلة ، لكنّهم كانوا يستمعون إليه بأفئدتهم لا بقلوبهم ؛ لذلك لم تغن عنهم شيئا ؛ أي : لم يعوه ولم يعقلوه ويفقهوه ؛ لأنّ وعيه وعقله وفقهه يكون بالقلب لا بالفؤاد ؛ لذلك قال سبحانه : (وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ){الأنعام : ٢٥}

٦-**الصرّ والصرصر** ☹(وصرَّ الباب يصرُّ٠٠٠إذا امتدَّ ، فإذا كان فيه ترجيع في إعادة ضوعف كقولك ٦٧٥ رصرا لأخطب صرصرة٠٠٠والصِّرُّ(بكسر الصاد) البرد الذي يضرب كل شيء ٠٠٠ منه قوله تعالى : (فِيهَا صِرٌّ){آل عمران ١١٧}٠٠٠ والصَّر(بفتح الصاد) شدة الصياح٠٠٠ والإصرار العزم على الشيء))[1]((والصَّرَّة : شدة الصياح)) [2]

---

(١) العين ص ٥١٤ .وينظر مقاييس اللغة ص ٤٨٣-٤٨٤ .

(٢) مقاييس اللغة ص ٤٨٤ .

استعمل (صِرٌّ) المؤلف من مقطع واحد وفيه مدُّ الراء ؛ ليعَبِّر عن عذاب وعقاب يناسب ذنب قوم ظلموا أنفسهم ، قال الله تعالى : (مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هِذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ){آل عمران ١١٧} واستعمل (صَرْصَرًا) المؤلف من مقطعين ، كأنَّه صِرٌّ يتبعه صِرٌّ ؛ ليعبِّر عن عذاب وعقاب مضاعف يناسب ذنب من ضاعفوا ظلمهم وطغيانهم ، قال الله تعالى : (فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ {١٥} فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الأخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لا يُنصَرُونَ){فصلت : ١٥-١٦}

٧-**الصهر والنسب والختن** : لم يرد الختن في القرآن الكريم

-**الصهر** : ((الصهر : حرمة الختونة وختنُ القوم صهرهم ، والمتزوَّج فيهم أصهار ، ولا يقال لأهل بيت الختن إلّا أختان ، ولأهل بيت المرأة إلّا أصهار ، ومن العرب من يجعلهم كلّهم أصهارًا وصهراءَ، والفعل : المصاهرة٠٠٠أصهر بهم الخَتَن ، أي : صار فيهم صهرًا ، والصهر : الإذابة٠٠٠ويقال للحرباء إذا تلألأ ظهرُه صَهَرَه الحرُّ))(١)

و((قال ابن الأعرابي : الصهر زوج بنت الرجل وزوج أخته ، والختن : أبو امرأة الرجل وأخو امرأته)) (٢) ((وقال ابن الأعرابي : الإصهار التحرّم بجوار أو نسب أو تزوّج))(٣) و((قوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ

---

(١) العين ص ٥٣٤ وينظر : مقاييس اللغة ص ٤٩٦

(٢) تاج العروس ١٩٢/١٢

(٣) المفردات ص ٢٩٨

الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا){الفرقان :٥٤} أي : قريبًا من جهة النكاحوالأصهار أقارب الزوج أو الزوجة))[١]

-**النسب** :عن ((الضحاك يقول في قوله تعالى : (فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا) النسب سبع قوله تعالى : (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ)){النساء : ٢٣}))[٢]

والصحيح في الفرق بين النسب والصهر أنّ ((النسب يعني قرابة النسب ، والصهر يعني قرابة النكاح)) [٣] ((وذكر الماوردي أنّ المناكح سُمِّيتْ صهرًا لاختلاط الناس بها كما يختلط الشيء إذا صُهِر)) [٤]

الختن : ((خَتَنَ يختِنُ فهو مختون ، والختانة صنعتُه ، والخِتان أيضًا : موضع القطع من الذَّكَر ، والخَتَنُ أيضًا : موضع القطع من الذَّكَر ، والخَتَن(بفتح التاء) : الصهر ، والخَتْن(بسكون التاء) أيضًا ، وخاتنتُ فلانًا مخاتنة ، وهو الرجل المتزوّج في القوم ، والأبوان أيضًا ختنا ذلك الزوج ، والرجل خَتَنٌ ، والمرأة خَتَنَة ،والخَتَنُ : زوج فتاة القوم ، ومن كان قِبَلَه من رجل وامرأة كلّهم أختانلأهل المرأة)) [٥]

---

(١) عمدة الحفّاظ ٣٥٧/٢

(٢) جامع البيان ٣٢/١٩-٣٣

(٣) تفسير غريب القرآن ص ٣١٤

(٤) زاد المسير ٢٢/٦

(٥) العين ص ٢٣١ وينظر : مقاييس اللغة ص ٢٨٠

وجاء في اللسان : ((والخَتَن : زوج فتاة القوم ومن كان من قِبَله من رجل أو أمرأة فهم كلّهم أختان لأهل المرأة ، وأمّ المرأة وأبوها ختنان للزوج٠٠٠الختونة المصاهرة٠٠٠والختونة تجمع المصاهرة بين الرجل واالمرأة ، فأهل بيتها أختان أهل بيت الزوج ، وأهل بيت الزوج أختان المرأة وأهلها ، ابن شميل سميت المخاتنة مخاتنة ، وهي المصاهرة ؛ لالتقاء الختانين منهما))(١)

فالأصهار هم الأختان ، والأختان هم الأصهار ، ولا فرق بينهما إلّا في سبب التسمية فسُمِّيت الأصهار من المصاهرة ، وهو ذوبان أهل الرجل بأهل المرأة واختلاطهما، وسُمِّيت الأختان من التقاء الختانين ، فالتقاء الختانين كان السبب في المصاهرة بين أهل الختن وأهل الختنة ، فتكون العلاقة بين الأصهار والأختان علاقة المُسَبَّب بسببه ، فالمصاهرة سببها المخاتنة أي : النكاح ، والتفريق بينهما يكون بمراعاة الصفة فإذا أردنا معنى الاختلاط قلنا الأصهار ، وإذا أردنا معنى المناكحة قلنا الأختان

٨-**الصوف والعهن** : الصوف معروف أمّا العهن فهو الصوف المصبوغ الملوّن قال تعالى : (وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ){المعارج : ٩} وقال تعالى : (وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ){القرعة : ٥} (٢)

٩-**الصوم والصيام** : قال ابن فارس : ((الصاد والواو والميم أصل يدل على إمساك وركود في مكان ، من ذلك صوم الصائم ، هو إمساكه عن مطعمه وشرابه وسائر ما مُنَعَه ، ويكون الإمساك عن الكلام صومًا قالوا في قوله تعالى : (إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا){مريم : ٢٦} إنَّه الإمساك عن الكلام والصمت ، وأمَّا الركود فيقال للقائم صائم ...

---

(١) لسان العرب ٢٠/٥

(٢) ينظر : المفردات ص ٣٦٥ وعمدة الحفّاظ ١٣٥/٣

والصوم ركود الريح ، والصوم استواء الشمس وسط النهار ... وكذا يقال : صام النهار)) [1] وقال الراغب : ((الصوم في الأصل الإمساك عن الفعل مطعمًا كان أو كلامًا أو مشيًا ؛ لذلك قيل للفرس الممسك عن السير أو العلف صائم ... وقيل للريح الراكدة صوم ، ولاستواء النهار تصورًا لوقوف الشمس في كبد السماء)) [2]

والصوم ورد في موضع واحد هو الموضع المذكور، واستعمل بمعنى الصوم عن الكلام وهو قوله تعالى : (إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا){مريم : ٢٦} أمّا الصيام فقد جاء بمعناه الشرعي المعروف وهو الإمساك عن الطعام والشراب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس وورد في تسعة مواضع كقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ){البقرة : ١٨٣}

باب الضاد

١-**الضَرّ والضُرّ بفتح الضاد وضمّها**والضِرار : فرّق العسكري بينهما ((أنّ الضَرّ بالفتح خلاف النفع ويكون حسنًا وقبيحًا ، فالقبيح الظلم وما بسبيله والحسن شرب الدواء المرّ رجاء الشفاء ، والضُرّ بالضم الهُزال وسوء الحال))[3]

ولأنّ الضَرّ بالفتح خلاف النفع فإنّه لم يرد في القرآن إلّا في حال اقترانه بالنفع كقوله تعالى : (قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا){المائدة : ٧٦}وقوله تعالى : (قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ){الأعراف : ١٨٨} وقوله تعالى : (أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا

---

(1) مقاييس اللغة ص ٤٩٩.

(2) المفردات ص ٣٠١-٣٠٢ .

(3) الفروق اللغوية ص ٢٢٣

يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا){طه : ٨٩} وقوله تعالى : (يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ){الحج : ١٣}وورد الضُرّ بالضم عند عدم اقترانه بالنفع كقوله تعالى : (وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ){الأنعام : ١٧} وقوله تعالى : (وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ){يونس : ١٢}وقوله تعالى : (قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ){يوسف : ٨٨}

والضِرار : لم يردِ في القرآن الكريم ، وهو يفيد معنى المشاركة ، أي يكون من اثنين يضرّ الأول صاحبه فيردّ الآخر عليه بضر مثله

٢-الضعف والوهن والوهي :الضعف : ((الضاد والعين والفاء وهو خلاف القوّة يقال : ضَعُفَ يضعُفُ ، ورجل ضعيف وقوم ضعفاء

وأمّا الأصل الآخر فقال الخليل : أضعفتُ الشيءَإضعافًاوضعّفْتُه تضعيفًا ، وضاعفتُه مضاعفة، وهو أن يزاد على أصل الشيء فيُجعل مثلين أو أكثر)[١]

و((الضعف خلاف القوّة وقد ضَعُفَ فهو ضعيف٠٠٠والضعف قد يكون في النفسوفي البدن وفي الحال ، وقيل الضَّعف والضُّعف بالفتح والضمّ لغتان٠٠٠والثاني هو الضعف الموجود في الجنين والطفل . الثالث الذي بعد الشيخوخة وهو المشار إليه بأرذل العمر))[٢]

الوهن :(الواو والهاء والنون كلمتان تدلّ إحدهما على ضَعْف ، والأخرى على زمان. فالأولى : وَهَنَ الشيءُ يهِنُ وَهْنًا : ضَعُفَ وأوهنتُه أنا ، ومن هذا الواهنة : القُصَيْرى من الأضلاع، وهي أسفلها قال ابو بكر :

---

(١) مقاييس اللغة ص ٥١٣-٥١٤

(٢) المفردات ص ٣٠٧

الواهنة : داء يصيب الإنسان في أخدَعيه ، والوهنانة : المرأة القليلة الحركة الثقيلة القيام والقعود

والكلمة الثانية : الوَهَن والموهِن : ساعة تمضيمن الليل ، وأوهن الرجلُ : صار أو سار في تلك الساعة))[1]

و((الوهن ضَعْف من حيثُ الخَلْقُ أو الخُلُق قال تعالى : {قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي}[مريم : ٤]وقال تعالى : {فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ}[آل عمران : ١٤٦]وقال تعالى : {وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ}[لقمان : ١٤]أي : كلّما عظُم في بطنها زادها ضَعفًا على ضَعف))[2] والوهن يكون ((في الأمر والعمل والبدن))[3]

و((قد فُرِّق بينهما بأنّ الوهن انكسار الجسد بالخوف وغيره ، والضعف نقصان القوّة))[4]

جاء في تفسير قوله تعالى : {فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ}[آل عمران : ١٤٦] {فَمَا وَهَنُواْ} فما فتروا ، وما انهارت عزائمهم ، ولم يصبهم الوهن باستيلاء الخوف عليهم ، ولم يضعف إيمانهم وتقع الشكوك والشبهات في قلوبهم عندما شاع بينهم مقتل الرسول صلى الله عليه وسلم {وَمَا ضَعُفُواْ} عن الجهاد بعده {وَمَا اسْتَكَانُواْ} أي : وما خضعوا لعدوهم وخشعوا وذلوا له[5]

---

(١) مقاييس اللغة ص ٩٦٩

(٢) المفردات ص ٥٥٩ وينظر: عمدة الحفّاظ ٣٤٦/٤

(٣) المصباح المنير ص ٦٧٤

(٤) فروق اللغات ص ١٦٣

(٥) ينظر : تفسير غريب القرآن ص ١١٣ والجامع لأحكام القرآنى١٧٢/٤ ومدارك التنزيل ص ١٨٩

الوهي : ((الواو والهاء والحرف المعتلّ يدلّ على استرخاء يقال : وهتْ عَزاليُّ السحاب بمائه . وكلّ شيء استرخى رباطه فهو واه، والوهيُ: الشقّ في الأديم وغيره)) [١] و((الوهي : شقٌّ في الأديم والثوب ونحوهما٠٠٠قال تعالى : (وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ){الحاقّة : ١٦})) [٢] و((وَهِيَ الحائط وَهْيًا من باب وعد ضَعُف واسترخى ، وكذلك الثوب والقِرْبة والحَبْل ويتعدّى بالهمزة فيقال : أوهيته ، ووهي الشيء إذا ضعُف أو سقط)) [٣]

وفرّق العسكري ((بين الوهن والضعف أنّ الضعف ضدّ القوّة ، وهو من فعل الله تعالى ، كما أنّ القوّة من فعل الله ، تقول : خلقه الله ضعيفًا أو خلقه قويًّا ، وفي القرآن : (وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا){النساء : ٢٨} والوهن هو أنّ يفعل الإنسان فعل الضعيف ، تقول : وهنَ في الأمر يهن وهو واهن : إذا أخذ فيه أخذ الضعيف ، ومنه قوله تعالى : (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ){آل عمران : ١٣٩} أي : لا تفعلوا أفعال الضعفاء وأنتم أقوياء على ما تطلبون بتذليل الله إيّاه لكم ، ويدلّ على صحّة ما قلنا أنّه لا يقال : خلقه الله واهنًا ، كما يقال : خلقه الله ضعيفًا ، وقد يستعمل الضعف مكان الوهن مجازًا في مثل قوله تعالى : (وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا){آل عمران : ١٤٦} أي : لم يفعلوا فعل الضعيف

---

(١) مقاييس اللغة ص ٩٦٨ وينظر : المفردات ص ٥٥٩ وعمدة الحفّاظ ٣٤٦/٤ والعزالي جمع العزلاء وزن حمراء فم المزادة الأسفل ، وأرسلت السماء عَزاليها إشارة إلى شدّة وقع المطر على التشبيه بنزوله من أفواه المزادات . المصباح المنير ص ٤٠٨

(٢) المفردات ص ٥٥٩

(٣) المصباح المنير ص ٦٧٤

ويجوز أن يقال : إنّ الوهن هو انكسار الجسد والخوف ونحوه ، والضعف نقصان القوّة . وأمّا الاستكانة فقيل : هي إظهار الضعف قال تعالى : (وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا) أي : لم يضعفوا بنقصان القوّة ولا استكانوا بإظهار الضعف عند المقاومة قال الخليل : إنّ الوهن الضعف في العمل والأمر ، وكذلك في العظم ونحوه ، يقال : وهن العظم يهن وهنًا وأوهنه موهنة ، ورجل واهن في الأمر والعمل وموهون في العظم والبدن ، والموهن لغة والوهين بلغة أهل مصر : رجل يكون مع الأجيريحثّه على العمل))[١]

وفرّق ((بين الضُّعْف بالضمّ والضَّعف بالفتح أنّ الضُّعْف بالضمّ يكون في الجسد خاصّة والضَّعْف بالفتح يكون في الجسد والرأي والعقل ، يقال : في رأيه ضَعف ولا يقالفيه ضُعف ، كما يقال : في جسمه ضَعف وضُعف))[٢]

فصفوة ما تقدّم أنّ الضعيف من خلقه الله ضعيفًا ، والواهن من فعل فعل الضعيف لضعف إيمانه أو عزيمته ، والواهي يستعمل في الأمور الماديّة أي يكون في الأعيان وهو ما استرخى رباطه ، لذلك استعمل في ضعف الحائط وسقوطه وفي شق الثوب والقربة والحبل ونحوها ، وجاء في القرآن في موضع واحد هو قوله : (وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ){الحاقّة : ١٦}

٣-الضلال والغي : الضلال ☹(ضلَّ يضلُّ : إذا ضاع وتقول : ضللتُ مكاني إذا لم تهتد إليه ، وضلّ إذا جار عن القصد))[٣] ((والضاد

(١) الفروق اللغوية ص ١٣٢

(٢) الفروق اللغوية ص ١٣٢

(٣) العين للخليل ص ٥٥١

واللام أصل صحيح يدلُّ على معنى واحد ، وهو ضياع الشيء وذهابه في غير حقّه٠٠٠وكلٌّ جائر عن القصد ضالّ٠٠٠وما يدلّ على أنّ أصل الضلال لما ذكرناه قولهم : أُضِلَّ الميت إذا دُفِن وذاك كأنّه شيء قد ضاع ، ويقولون ضلّ اللبنُ في الماء٠٠٠قال ابن السكيت : يقال : أضللتُ بعيري إذا ذهب منك ، وضللتُ المسجد والدار إذا لم تهتد لهما ، وكذلك كلّ شيء مقيم لا يُهتَدى له)) [1]((الضلال العدول عن الطريق المستقيم ويضادّه الهداية)) [2] و((الغي : جهل من اعتقاد فاسد))[3]

-**الغيّ** : ((غوى الفصيل إذا لم يصب رِيًّا من اللبن حتى كاد يهلك والغواية الانهماك في الغيّ))[4]((والغين والواو والحرف المعتلّ بعدهما أصلان ، أحدهما : يدلّ على خلاف الرشد والجهل بالأمر والانهماك بالباطل٠٠٠والأصل الآخر ، قولهم : غوى الفصيل إذا كثر من شرب اللبن ففسد جوفه)) [5]

((والغيّ : جهل من اعتقاد فاسد ، وذلك أنّ الجهل قد يكون من كون الإنسان غير معتقد اعتقادًا لا صالحًا ولا فاسدًا ، وهذا النحو الثاني يقال له غيّ ، قال تعالى : (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ){النجم ١-٢})) [6]((والغواية شدة الجهل))[7]قال الطبري : ((يقول

---

(1) مقاييس اللغة لابن فارس ص ٥١١

(٢) المفردات ص ٣٠٨

(٣) المفردات ص ٣٨٣

(٤) العين للخليل ص ٧٢٥

(٥) مقاييس اللغة ص ٧٠١-٧٠٢

(٦) المفردات للراغب ص ٣٨٣

(٧) عمدة الحفّاظ ١٨٤/٣

تعالى ذكره : ما حاد صاحبكم أيّها النّاس عن الحقّ ولا زال عنه ، ولكنّه على استقامة وسداد ، ويعني بقوله (وَمَا غَوَىٰ) وما صار غويًّا ولكنّه رشيد سديد))[1] ((قيل : الضلال نقيض الهدى ، والغي : نقيض الرشد ، أي : مهتد راشد))[2]

فالضلال يعني الضياع والتيه والعدول عن القصد وطريق الحق ، والغيّ يعني الجهل بالأمور وفساد الرأي والاعتقاد ، وأرى أنّ العلاقة بين الغيّ والضلال أنّ الغيّ يؤدّي إلى الضلال ، أو أنّ الضلال سببه الغيّ ، فمن جهل الأمور وفسد رأيه واعتقاده جار عن القصد وانحرف عن الطريق السويّ والمستقيم ، أي : من غوى ضلّ ، فكأنّ الله سبحانه نفى عن نبيّه الضلال ونفى عنه سبب الضلال ، وقد ناسب وقوعه بعد قوله تعالى : (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ) لأنّ النجم لا يهوي إلّا بعد انحرافه عن فلكه المرسوم له

باب الطاء

١-**الطغيان والعتو : الطغيان** ، الطغيان مصدر طغى ((والطاء والغين والحرف المعتل : أصل صحيح منقاس ، وهو مجاوزة الحد في العصيان))[3] ((وكل شيء يجاوز القدر فقد طغى)) [4]و((والطاغوت ... كل معبود من دون الله ، ويستعمل في الواحد والجمع)) [5] ((ويُذكَّر ويؤنَّث))[6] وقال الطبري : ((وأصل الطاغوت : الطَّغَووت من قول القائل :

---

(١) جامع البيان ٥١/٢٧

(٢) مدارك التنزيل ص ١١٧٨

(٣) مقاييس اللغة ص ٥٣٣ .

(٤) العين للخليل ص ٥٧١

(٥) المفردات ص٣١٧.

(٦) عمدة الحفاظ ٤٠٧/٢.

طغا فلان يطغو : إذا عدا قدره فتجاوز حدّه))[1]وقال الواحدي : ((قال جميع أهل اللغة : الطاغوت : كلّ ما عُبَدَ من دون الله ، يكون واحدًا وجمعًا ومؤنّثًا ومذكّرًا))[2]

-**العتو** : ((العين والتاء والحرف المعتلّ أصل صحيح يدلّ على استكبار قال الخليل وغيره : عتا يعتو عُتوًّا : استكبر قال الله تعالى : (لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا){الفرقان : ٢١}وكذلك يعتو عِتيًّا فهو عات ، والملك الجبّار عات ، وجبابرة عُتاة))[3]

و((العُتوُّ النُبُوُّ عن الطاعة يقال عتا يعتو عُتُوًّا وعِتِيًّا٠٠٠قال تعالى : (وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا){مريم : ٨} أي : حالة لا سبيل إلى إصلاحها ومداواتها))[4]

و((العُتُوُّ : أشدّ الفساد٠٠٠وقيل : العُتُوّ : المبالغة في ركوب المعاصي والتمرّد فيها ، والعاتي من اتصف بذلك فلم تنفع فيه موعظة ولم ينجح فيه إنذار٠٠٠وكلّ من انتهى شبابه يقال فيه عتا عُتُوًّا وعِتِيًّا وعُتِيًّا٠٠٠وهو كناية عن طول العمر؛ لأنّ ذلك يلازمه))[5]

و((عتا يعتو عُتُوًّا من باب قعد استكبر فهو عات ، وعتا الشيخ يعتو عِتِيًّا أسَنَّ وكَبِرَ فهو عات والجمع عِتِيٌّ والأصل على فعول))[6]

---

(١) جامع البيان ٢٥/٣

(٢) الوسيط ٣٦٩/١

(٣) مقاييس اللغة ص ٦٣٨

(٤) المفردات ص ٣٣٣

(٥) عمدة الحفّاظ ٢٨/٣

(٦) المصباح المنير ص٣٩٢

وفرّق العسكري ((بين الطغيان والعُتُوُّ أنّ الطغيان مجاوزة الحد في المكروه مع غلبة وقهر ، ومنه قوله تعالى : (إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ){الحاقّة : ١١} الآية : طغا الماء إذا جاوز الحدّ في الظلم ، والعُتُوُّ المبالغة في المكروه فهو دون الطغيان ، ومنه قوله تعالى : (وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا){مريم : ٨} قالوا : كلّ مبالغ في كبر أو كفر أو فساد فقد عتا فيه ومنه قوله تعالى : (وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ){الحاقّة : ٦}أي : مبالغة في الشدّة ، ويقال : جبّار عات ، أي : مبالغة في الجبرية ، ومنه قوله تعالى : (وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا){الطلاق : ٨} يعني : أهلها تكبّروا على ربهم فلم يطيعوه))[1]

فالطغيان : مجاوزة الحدّ في تحدّي الله في ألوهيته ؛ لذلك يكون الطواغيت هم رؤوس الصلالة حتى أمروا النّاس أن يعبدوهم ويطيعوهم من دون الله ، والعتو ، مجاوزة الحدّ في معصية الله ؛ ، لذلك يكون العتاة هم من عاثوا في الأرض الفساد ، ومن كانوا أعوان الطواغيت وأنصارهم

باب الظاء

١-**الظلّ والفيء** : ((الظلّ : الفيء الحاصل من الحاجز بينك وبين الشمس ، وقيل : هي الطلوع إلى الزوال ، والفيء من الزوال إلى الغروب ، وقال المبرد : الفيء ما نسخته الشمس ؛ لأنّه الراجع ، والظلّ ما كان قائمًا لم ينسخه ضوء الشمس ، قال الشاعر :

فلا الظلّ من بعد الضحى تستطيعه ولا الفيء من بعد العشيّ تَذوق

فجعل الظل وقت الضحى ؛ لأنّ الشمس لم تنسخه ذلك الوقت ، فكلّ فيء ظلّ وليس كلّ ظلّ فيئًا ، وأهل الجنّة في ظلٍّ دائم لا في فيء ؛ لأنّ الجنّة

(١) الفروق اللغوية ص ٢٥٨

لا شمس فيها وفي التنزيل : (وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ){الواقعة : ٣٠} وجمع الفيء أفياء وفيوء))[١]

٢-الظنُّ والتهمة : استعمل النحاة التضمين لحلّ إشكال لغوي كالإشكال الحاصل في الفعلين ظنَّ وعلِمَ المتعدي كلٌّ منهما إلى مفعول واحد ، وعندهم أنَّه يتعدى إلى مفعولين ، فحلوا هذا الإشكال بجعل ظنَّ بمعنى اتهم ، وجعل عَلِمَ بمعنى عَرَفَ ، هذا هو التضمين وما أدراك ما التضمين؟! ، فقد اتُّخِذ وسيلة لحل ما أشكل على اللغويين من قضايا اللغة ، فهم بدلًا من أن يحلّوا إشكالاتها بالدراسة والتحقيق ، حلَّوها بالتضمين ؛ لأنَّه أيسر منالًا ، ولا يكلفهم جهد فكر وعناء بحث ، إنَّه مطية العجزة من أهل اللغة والنحو والتفسير، بل أمسى مهزلة ، وإليك الدليل :

قال ابن مالك : ((أخوات حسب هي الأفعال المقتضية مفعولين هما في الأصل مبتدأ وخبر نحو : علمتُ زيدًا كريمًا))[٢]

وقولهم بتعدي هذه الأفعال إلى مفعولين جعلوه هو القاعدة وقرآنًا منزَّلاً ، لذلك لمَّا وردت هذه الأفعال متعدية إلى مفعول واحد في الكلام الفصيح ، لم يعدِّلوا القاعدة في هذه الأفعال ، بل ضمّنوها معاني أفعال أخرى ، أي : عمدوا إلى تغيير المعنى من أجل أن لا يعدّلوا قاعدة من صنعهم ، فابن مالك بعد أن قال بالقاعدة المذكورة قال : ((متى تنصب هذه الأفعال مفعولاً واحدًا؟ : إن أريد بظننتُ معنى : اتهمتُ ، وبعلمتُ معنى : عرفتُ ، وبرأيتُ معنى : أبصرتُ أو رميتُ ، وبوجدتُ معنى : أصبتُ ،

---

(١) فروق اللغات ص ١٦٧-١٦٨

(٢) عمدة الحافظ وعدة اللافظ ص ٢٣١ ، وينظر : شرح ابن عقيل ١/٤١٦-٤١٨ .

وباتخذتُ معنى : اكتسبتُ ، وبجعلتُ معنى : عملتُ أو ألقيتُ أو أوجبتُ تعدَّتِ إلى مفعول واحد))[1]

وقال ابن عقيل : ((إذا كانت علم بمعنى عرف تعدَّتْ إلى مفعول واحد ، كقولك : علمتُ زيدًا ، أي : عرفته ومنه قوله تعالى : (وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا){النحل : ٧٨} وكذلك إذا كانت ظنَّ بمعنى اتَّهمَ ، تعدَّتْ إلى مفعول واحد ، كقولك : ظننتُ زيدًا ، ومنه قوله : (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ){التكوير : ٢٤} أي : بمتهم))[2]

وقال الرضي : ((وقد يجيء ظنَّ بمعنى اتَّهم فينصب مفعولاً واحدًا ، ومعنى الاتَّهام أنّ تجعل شخصًا موضع الظن السيِّئ ، تقول : ظننتُ زيدًا ، أي : ظننتُ به أنَّه فعل سيِّئًا ، وكذا اتهمته))[3]وقال ابن يعيش : ((فهي لذلك تكتفي بمفعول واحد٠٠٠ومنه قوله تعالى : (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ) أي : بمتَّهم وظنين هنا بمعنى مظنون ، وفيه ضمير مرفوع ، كان مفعولاً فأقيم مقام الفاعل)) [4]

وجعل ظنَّ بمعنى اتَّهم إذا تعدّى إلى مفعول واحد مبنيٌّ في البدء على أساس خاطئ ؛ لأنَّ أفعال ظنَّ وأخواتها لا تتعدى إلى مفعولين ، بل إلى مفعول واحد ، أمَّا الثاني فهو في الحقيقة حال، وهذا ما بحثته تحت عنوان : المنصوب الثاني لـ(ظنَّ) وأخواتها/ إعرابه بين المفعولية والحالية[5] ؛

---

(١) عمدة الحافظ وعدة اللافظ ص ٢٣٤ ، وينظر : شرح ابن عقيل ٤٤٠/١.

(٢) شرح ابن عقيل ٤٤٠/١.

(٣) شرح كافية ابن الحاجب ١٥١/٤ .

(٤) شرح المفصل ٣٢٣/٤.

(٥) ينظر كتابي : من مزاعم النحاة ص ٨٤-١٠٢.

ولأنَّ الظن بخلاف التهمة لا يعني الظن بذات الشيء ، بل بصفاته وأحواله فقد لازمه الحال

وقد أجمع أهل اللغة والتفسير والقراءات الظن في قوله تعالى : (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ) بمعنى التهمة.

قرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة (بِضَنِينٍ) بالضاد ، والضن البخل والمعنى : ليس ببخيل عليكم بعلم ما غاب عنكم مما ينفعكم ، أي : لا يكتمه كما يكتم الكاهن ليأخذ الأجر عليه ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي (بِظَنِينٍ) بالظاء ، والمعنى : ما هو بمَتَّهَم على ما يخبر به عن الله(١)

وعلى الرغم من هذا الإجماع فالمراد من الظن في قوله تعالى : (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ) الظن بعينه ، فـ((ظنين٠٠٠أصله مظنون وصُرِف عن مفعول إلى فعيل ، كما قالوا : مطبوخ وطبيخ)) (٢) أي : أنَّ الظنين على وزن فعيل بمعنى اسم المفعول ، ولإفادته معنى التهمة قالوا : ((الظنين : الذي تُظَنُّ به التهمة))(٣) والتهمة : نائب فاعل للفعل تُظَنُ المبني للمجهول ، وقالوا : ((الظنين : القليل الخير ، وقيل : هو الذي تسأله وتَظُنُّ به المنع)) (٤)((والظنين : الذي تسأله وتَظُنُّ به المنع ؛ فيكون كما ظننتَ))(٥)

---

(١) ينظر: معاني لقرآن للفراء ١٣١/٣ ، ومعاني القرآن للأخفش ص ٣٠٦ ، وجامع البيان للطبري ١٠٢/٣٠-١٠٣ ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢٢٧/٥ ، والأضداد لأبي بكر الأنباري ص ٢٠-٢١ ، ومعاني القراءات للأزهري ص ٥٣١ ، والحجة في علل القراءات لأبي علي النحوي ٥٢٣/٤ ، والكشف عن وجوه القراءات للقيسي ٣٦٤/٢ ، وزاد المسير لابن الجوزي ٢١٢/٨ .

(٢) الأضداد لأبي بكر الأنباري ص ٢٠-٢١ .

(٣) لسان العرب ١٩٧/٩.

(٤) لسان العرب ١٩٨/٩.

ظننتَ))[١] أي : يمكن أن نجعل (بِظَنِينٍ) في الآية بمعنى التهمة على تقدير : الذي تُظَنُّ به التهمةُ ، أو على تقدير : الذي تَظُنُّ به التهمةَ ، فتكون التهمة نائب فاعل على التقدير الأول ، أو مفعولاً به على التقدير الثاني .

إذا جاز أن نسميَ الظنين باسم معنى نائب فاعله ، أو مفعوله ، لأصبح بالإمكان أن نعدد وجوهه بقدر تعدد معاني الاسم المسند إليه ، فجاز مثلاً أن نجعل الظنين في الآية بمعنى الساحر ، على تقدير : الذي يُظَنُّ به السحرُ ، والمعنى : وما أنت على الغيب بساحر ، وبمعنى البخيل على تقدير : الذي يُظَنُّ به البخلُ ، والمعنى : وما أنت على الغيب ببخيل ، وبمعنى الكاذب على تقدير : الذي يُظَنُّ به الكذبُ ، والمعنى : وما أنت على الغيب بكاذب ، وبمعنى الضعيف على تقدير : الذي يُظَنُّ به الضعفُ ، والمعنى : وما أنت على الغيب بضعيف ، وكذلك جاز أن نجعل الظنين بمعنى المُتَّهَم على تقدير : الذي يُظَنُّ به التهمةُ ، وما أنت على الغيب بمُتَّهَم ، جازت هذه المعاني جميعها ، إلّا أنَّ أيًّا منها ليس هو معنى الظن في الظنين ، بل هو معنى الشي الذي يُظَنُّ بوجوده في رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لذا فالظنين في قوله تعالى : (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ) أُريد به الظن بعينه ، وهو كذلك في كل مواضع وروده في القرآن الكريم ، فهو ليس من الأضداد ، ولا من الألفاظ المشتركة .

باب العين

١-**العاقر والعقيم : العاقر** : العاقر يُطلَق على الذكر والأنثى ، يقال : امرأة عاقر : لم تلد ، ورجل عاقر : لا يولَد له [٢] وامرأة عاقر :

---

(١) تاج العروس ١٨٧/٣٥ .

(٢) ينظر : عمدة الحفّاظ ١٠٥/٣

انقطع حملها[١] والعقر : آخر الولد ، وقولهم : بيضة العُقْر ، والعقر : اسم لآخر بيضة تكون من الدجاجة فلا تبيض بعدها فتضرب مثلًا لكلّ شيء لا يكون بعده شيء من جنسه [٢]

يتبيّن من تعريف أهل اللغة للعاقر أنّها هي المرأة التي لا تلد أو انقطع حملها لعلّة مرضية أو لكبر سنّها ، وهذا ما ينطبق أيضًا على الرجل

وورد العاقر في ثلاثة موضع قُصِد بها في جميعها امرأة نبي الله زكريًا عليه السلام وهي قوله : (قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ){آل عمران : ٤٠}وقوله تعالى : (وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا){مريم : ٥ ، ٨}

العقيم : العقيم يُطلَق على الذكر والأنثى يقال : امرأة عقيم وهي التي لا تلد ، ورجل عقيم وهو الذي لا يولَد له ، وعقل عقيم : لا ينفع صاحبه ، والملك عقيم : لا ينفع في طلبه نسب ولا صداقة [٣]وأصل العقم : اليبس المانع قبول الأثر ، والعقيم من النساء التي لا تقبل ماء الفحل [٤]

يتبيّن من تعريف أهل اللغة أنّ العقيم هي المرأة التي خُلِقَت كذلك ، فهي عقيم لا لعلة مرضية كالعاقر ، بل هي عقيم بالخِلْقة ، والدليل على ذلك أنّ القرآن الكريم جعلها ضمن الأصناف الأربعة التي فطر النّاس عليها في قوله تعالى : (يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ){الشورى : ٥٠}

---

(١) ينظر : المصباح المنير ص ٤٢١

(٢) ينظر : مقاييس اللغة ص ٥٨٩ والمفردات ص ٣٥٥ وعمدة الحفّاظ٣/١٠٥

(٣) ينظر : المصباح المنير ٤٢٤

(٤) ينظر : مقاييس اللغة ص ٥٨٣ المفردات ص ٣٥٦ وعمدة الحفّاظ ٣/١٠٩

وكذلك صياح امرأة إبراهيم عليه السلام ولطم وجهها لشدة عجبها عندما بشّرت الملائكة إبراهيم عليه السلام بالولد أنّه كيف تلد وهي عجوز وعقيم بالخلقة قال الله تعالى : (فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ){الذاريات : ٢٨-٢٩}والمبشَّر به إسحاق عند الجمهور [١]

والدليل على ذلك أنّ القرآن وصف بالعقيم الريح التي استأصلت عاد قوم هود عليه السلام في قوله تعالى : (وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ){الذاريات : ٤١}ووصف به عذابه الأليم في قوله تعالى : (أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ){الحج : ٥٥}

وورد العقيم في أربعة مواضع وهي المواضع المذكورة

٢-**العبادوالعبيد** :قال الخليل ((العبد : الإنسان حرًّا أو رقيقًا هو عبد الله ، ويُجمع على عِباد وعبدين ، والعبد : المملوك ، وجمعه عبيد ، وثلاثة أعبُد ، وهم العِباد أيضًا ، إنّ العامّة اجتمعوا على تفرقة ما بين عباد الله والعبيد المملوكين))[٢] وقال ابن فارس : ((العبد وهو المملوك ، الجماعة العبيد ، وثلاثة أُعبُد ، قال الخليل : إلّا أنّ العامّة اجتمعوا على تفرقة ما بين عباد الله والعبيد المملوكين))[٣]وقال الجوهري : ((العبد : خلاف الحُرّ ، والجمع عبيد مثل كلب وكليب وهو جمع غزير ، وأعبد وعباد))[٤]وقال الفيّومي : ((والعبد خلاف الحرّ وهو عبد بيّن العَبْديّة والعبودة

---

(١) ينظر : مدارك التنزيل ص ١١٦٩

(٢) العين ص ٥٩٢

(٣) مقاييس اللغة ص ٦٣١

(٤) الصحاح ص ٦٦٣-٦٦٤

والعبوديّةواستُعمل له جموع كثيرة والأشهر منها أعبُد وعبيد وعِباد))[١]((وقال الراغب : ((والعبادة ضربان : عبادة بالتسخير ، وعبادة بالاختيار ، وهي لذوي النطق ، وهي المأمور بها في نحو قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ){البقرة : ٢١}٠٠٠وعلى هذا النحو يصحّ أن يقال : ليس كلّ إنسان عبدًا لله فإنّ العبد على هذا بمعنى العابد لكن العبد أبلغ من العابد ، والنّاس كلّهم عِباد الله ، بل الأشياء كلّها كذلك ، لكن بعضها بالتسخير ، وبعضها بالاختيار وجمع العبد الذي هو مُسْتَرَقٌّ عبيد ، وجمع العبد الذي هو العابد عِباد ، فالعبيد إذا أضيف إلى الله أعمّ من العباد ، ولهذا قال : (وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ){فصلت : ٤٦} فنبّه أنّه لا يظلم من يختصّ بعبادته ومن انتسب إلى غيره من الذين سُمّوا بعبد الشمس وعبد اللات ونحو ذلك))[٢]

وجاء في اللسان : ((العبد الإنسان ، حُرًّا أو رقيقًا يُذهَب بذلك إلى أنّه مربوب لباريه جلّ وعزّ٠٠٠والعبد : المملوك خلاف الحرّ ، قال سيبويه : هو في الأصل صفة ، قالوا : رجل عبد ، ولكنّه استُعمل استعمال الأسماء ، والجمع أعبُد وعبيد ، وهو جمع غزير ، وعِباد وعُبُدٌ٠٠٠وفي وحديث أبي هريرة : لا يقل : أحدكم لمملوكه : عبدي وأمتي ، ولْيقلْ : فتاي وفتاتي ؛ هذا على نفي الاستكبار عليهم وأن يَنسب عبوديتهم إليه ، فإنّ المستحق لذلك الله تعالى هو ربّ العباد كلّهم والعبيد))[٣]

نخلص ممّا ذكره أهل اللغة أنّه جاز جمع العبد المملوك على عبيد وعباد ، وأنّه لا فرق بين العبيد والعباد فكلاهما يصح إطلاقه على كلّ النّاس أحرارًا كانوا أو رقيقًا أو مملوكين إلّا أنّ الخليل قال : إنّ العامّة اجتمعوا على

---

(١) المصباح المنير ص٣٨٩

(٢) المفردات للراغب ص ٣٣١

(٣) لسان العرب١٠/٨-٩

تفرقة ما بين عباد الله والعبيد المملوكين ولم أجد العسكري ولا غيره من القدامى من فرّق بين العباد والعبيد إلّا أنّه شاع في الوقت الحالي في كلام أساتذة اللغة المحدثين وعبر وسائل الأنترنيت وجواب الشيوخ عن أسئلة السائلين : ما الفرق بين العباد والعبيد ؟ فيجيبون بأنّ المراد من العباد عباد الله الصالحون ، والمراد من العبيد الكفّار والعصاة ، حتى ذكروا أنّ العباد هو جمع العابد ، والعبيد جمع العبد ، وهذا ما جاء في كلام أحد الباحثين المحدثين فقد قال : ((مما يرد في كتب اللغة أنّ العبد الذي هو خلاف الحرّ يُجمّع على عبيد ، أمّا العبد الذي هو العابد فيُجمَع على عباد ، أمّا في القرآن الكريم فللعباد دلالة خاصّة ، هي الإشارة إلى عباد الله الطائعين المخلصين له العبادة ؛ لذا نسبهم إليه تعالى في جميع القرآن بلفظ : يا عبادي، وعبادك ، وعبادنا ، وعباده ، وعباد الرحمن ، فهذا الجمع يساق في مضمار الترفيع والدلالة على الطاعة قال تعالى : (يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ){الزخرف : ٦٨}

وقوله تعالى : (وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ){النمل : ١٩}

وقوله تعالى : (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا){فاطر : ٣٢}

وقوله تعالى : (إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ){الأعراف : ١٢٨}

وقوله تعالى : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ){البقرة : ١٨٦}

وقوله تعالى : (وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا){الفرقان : ٦٣}))[1]

---

(١) دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني للدكتور محمد ياس الدوري ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م=١٤٢٧هـ ص٢٦٤

وأكّد الباحث أنّ القرآن الكريم استعمل العباد تعبيرًا عن عباد الله الصالحين بقوله : ((أمّا ما ورد في اللغة فقد جاء القرآن على خلافه لنكتة لطيفة ، فقد جُمِعَ العبد الذي هو مسترقٌّ على عباد ، وذلك في قوله تعالى : (وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ){النور : ٣٢} إذ اللفظة جاءت على هذا الجمع تكرمة لهم ؛ لأنّهم ، وإن كانوا من العبيد إلّا أنّهم قوم صالحون فاستغنى بصلاحهم عن رقّهم))[١]

وكما أكّد أنّ القرآن الكريم استعمل العباد تعبيرًا عن عباد الصالحين أكّد أنّ القرآن استعمل العبيد تعبيرًا عن العاصين والمملوكين فقال : ((ولمّا كان (العبيد) هم المستعبَدون من النّاس ، وهم محتَقرون في مجتمع العرب لانحطاط منزلتهم باالنسبة إلى الأحرار ، على هذا جاء القرآن بلفظ (العبيد) في موضع التحقير وتصغير الشأن إشارة إلى العصاة من خلقه ، لذا لم يضفهم إليه سبحانه ، قال تعالى : (لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ){آل عمران : ١٨١-١٨٢}

وقوله تعالى : (وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا ۙ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ){الأنفال : ٥٠-٥١}

وقوله تعالى : (ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۖ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ){الحج : ٩-١٠}

---

(١) المصدر السابق والصفحة نفسها

فسياق الآيات في ذكر الكافرين ، وما سيلقاهم من العذاب والخزي ، لِما قدّمت أيديهم، فحسن مع ذلك مجيء العبيد تحقيرًا لهم بدليل اقتران هذا الجمع بلفظ (الخزي) وبعبارة (يضربون وجوههم وأيديهم) وناهيك ما فيها من التحقير ، وكذا الشأن في بقية آيات الكتاب العزيز))[1]

وقول الباحث : ((مما يرد في كتب اللغة أنّ العبد الذي هو خلاف الحرّ يُجمّع على عبيد ، أمّا العبد الذي هو العابد فيُجمَع على عباد)) لا يعبّر بدقّة عمّا جاء في اللغة ، والذي جاء في كتب اللغة كما تقدّم أنّه جاز جمع العبد المملوك على عبيد وعباد ، وأنّه لا فرق بين العبيد والعباد فكلاهما يصح إطلاقه على كلّ النّاس أحرارًا كانوا أو رقيقًا أو مملوكين إلّا أنّ الخليل قال : إنّ العامّة اجتمعوا على تفرقة ما بين عباد الله والعبيد المملوكين

وقوله : (فللعباد دلالة خاصّة ، هي الإشارة إلى عباد الله الطائعين المخلصين له العبادة ؛ لذا نسبهم إليه)) هو خلاف ما جاء في القرآن الكريم ، والباحث استشهد بلفظ (العباد) الدالة على عباد الله الصالحين لكنّه لم يستشهد بالدالّه على ضدّهم فقد ذكر الفيروزآبادي أنّ (العباد) في القرآن الكريم جاءت على وجوه كثيرة فاستُعملَت بمعنى المؤمنين والمطيعين كالآيات التي استشهد بها الباحث واستُعملت :

بمعنى((عامّ للمؤمن والكافر كقوله تعالى : (وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ){آل عمران : ١٥}وقوله تعالى : (رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ){ق : ١١} وقوله تعالى : (وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ){الشورى : ٢٧} وقوله تعالى : (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ){الأنعام : ١٨}

---

(١) المصدر السابق ص ٢٦٥

وخاصّ بالكفار كقوله تعالى : (يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ){يس : ٣٠}

وبمعنى العاصين المجرمين كقوله تعالى : (وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا){الإسراء : ١٧}

وقوله تعالى : (وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا){الفرقان : ٥٨}

وقوله تعالى : (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ){الزمر :٥٣}))[١]

واستعملت بمعنى الضالّين كقوله تعالى : (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ){الفرقان : ١٧}

واستعملت بمعنى المجرمين من الكفّار الذين خرّبوا بيت المقدس وقتلوا أهلها في قوله تعالى : (وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا){الإسراء : ٤-٥}

قال الطبري : (((بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ) وجّهنا إليكم ، وأرسلنا عليكم (عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ) يقول : ذوي بطش في الحروب شديد . وقوله ☹فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا) يقول : فترددوا بين الدور والمساكن ، وذهبوا وجاؤوا٠٠٠وجائز أن يكون معناه : فجاسوا خلال الديار ، فقتلوهم ذاهبين وجائين٠٠٠ثمّ اختلف أهل التأويل في الذين عنى الله٠٠٠فقال

(١) بصائر ذوي التمييز ٤/١٠-١١

بعضهم : كان الذي بعث الله في المرّة الأولى جالوت ، وهو من أهل الجزيرة٠٠٠وقال آخرون : بل بعث عليهم في المرّة الأولى سنحاريب))[١]

وقال الفرّاء : (((بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا) يعني بُخْتَنَصَّر فسبى وقتل))[٢] (((فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ) أي : فطافوا في خلال الديار ينظرون هل بقي أحد لم يقتلوه ، والجوس : طلب الشيء باستقصاء))[٣]

وجاء في الزاد : (((بَعَثْنَا) أرسلنا (عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا) وفيهم خمسة أقوال : أحدها : أنّه جالوت وجنوده قاله ابن عبّاس وقتادة ، والثاني بُخْتَنَصَّر ، قاله سعيد ن المسيب ، واختاره الفرّاء ، والزجّاج ، والثالث : العمالقة وكانوا كفّارًا قاله الحسن ، والرابع سنحاريب ، قاله سعيد بن جبير ، والخامس : قوم من أهل فارس ، قاله مجاهد ، وقال ابن زيد : سلّط الله عليهم سابور ذا الأكتاف من ملوك فارس))[٤]

بل استعملت تعبيرًا عن الأصنام التي كان يعبدها المشركون في قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا ۖ أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ){الأعراف :١٩٤-١٩٥}((قوله : (إِنَّ الَّذِينَ

---

(١) جامع البيان ١٥/٣٤-٣٥

(٢) معاني القرآن ٢/٤٥

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٣/١٨٦

(٤) زاد المسير لابن الجوزي ٥/٧ و(بُخْتَنَصَّر) هو ملك الكلدانيين أغار بحملاته على مصر والقدس ، وأحرقها وأجلى بني إسرائيل إلى بابل و(سنحاريب) هو ملك آشور بن سنجور وخليفته ، حمل على بلاد الكلدانيين واليهودية وأرمينية ، و(ذا الأكتاف) لقب بذلك ؛ لأنّه أمر بفكّ أكتاف أسرى الحرب ، حارب العرب أحلاف الروم

تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّـهِ) قال المفسّرون : يعني الأصنام (عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ) قال الكلبي : مملوكون ، وقال الأخفش : عباد أمثالكم في التسخير ، أي : إنّهم مسخّرون مذللون لأمر الله٠٠٠وقال : (أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا) مشْيَ بني آدم (أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ) كما لبني آدم (يَبْطِشُونَ) يأخذون (بِهَا) ومعنى البطش : التناول والأخذ بشدة ، عرّفهم الله تعالى أنّهم مفضّلون عليهم بالأرجل الماشية والأيدي الباطشة والأعين البصيرة والآذان السامعة فكيف يعبدون من هم أفضل منه))[١]

فكيف تسنّى للباحث وغيره أن يدعواأنّ العباد ما استعملت في القرآن إلّا تعبيرًا عن عباد الله الصالحين وقد استعملت أيضًا تعبيرًا عن الكفار ، والعصاة ، والمجرمين ، والمنازعين للأنبياء والضالّين ، والأصنام ، وكيف غفلوا عن هذه الشواهد القرآنية ؟ !

فالنّاس كلّهم مؤمنهم وكافرهم عِباد الله بمعنى أنّه سبحانههو بارئهم وربّهم ، وبهذا المعنى وردت في القرآن الكريم تعبيرًا عن مؤمنهم وكافرهم وأسيادهم ومملوكيهم

أمّا قول الباحث بأنّ المراد من العبيد في الشواهد الثلاثة التي استشهد بها (وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ) أنّها تخصّ العصاة من دون المؤمنين فقول لا يمكن قبوله لأنّها تفيد نفي الظلم عن الكفّار والظالمين من دون المتقين والصالحين

والصحيح ما قاله الراغب : إنّ ((العبيد إذا أضيف إلى الله أعمّ من العباد ، ولهذا قال : (وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ){فصلت : ٤٦} فنبّه أنّه لا يظلم

---

(١) الوسيط للواحدي ٤٣٦/٢

من يختصّ بعبادته ومن انتسب إلى غيره من الذين سُمّوا بعبد الشمس وعبد اللات ونحو ذلك))[1]

٣–العثو والفساد : ورد العثو مقترنًا بالفساد في خمسة مواضع قال الله تعالى : (وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ){البقرة : ٦٠}{الأعراف : ٧٤}{هود : ٨٥}{الشعراء : ١٨٣}{العنكبوت : ٣٦}

وفرّق العسكري ((بين العثو والفساد أنّ العثو كثرة الفساد ، وأصله من قولك : ضبع عثواء إذا كثر الشعر على وجهها ، وكذلك الرجل ، وعاث يعيث لغة ، وعاث يعثو أفصح اللغتين))[2] ((والعيث : أشدّ الفساد))[3]

٤–العدل والقِسْط : فرّق العسكري : ((بين العدل والقِسْط أنّ القِسْط هو العدل البيِّن الظاهر ، ومنه سُمِّيَ المكيال قسطًا ، والميزان قسطًا ؛ لأنّه يصوِّر لك العدل في الوزن حتى تراه ظااهرًا ، وقد يكون من العدل ما يخفى ؛ ولهذا قلنا : إن القِسْط هو النصيب الذي بيَّنْتَ وجوهه))[4] لذلك اقترن بالوزن والميزان واشتق منه آلته كما جاء هذا في قوله تعالى : (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ){الأنعام : ١٥٢}وقوله تعالى : (وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ){هود : ٨٥} وقوله تعالى : (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا){الإسراء : ٣٥} ولذلك استعمل القسط في الأمور المهمة التي تقتضي اتباع العدل في أقصى درجاته كقوله تعالى : (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا

---

(١) المفردات للراغب ص ٣٣١

(٢) الفروق اللغوية ص ٢٤٠

(٣) مدارك التنزيل ص ٥٤

(٤) الفروق اللغوية ص ٢٦٣.

حَاسِبِينَ){الأنبياء : ٤٧}وقوله تعالى : (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ){آل عمران : ١٨}أمّا العدل فقد استعمل في الأمور العامة كقوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ){النساء : ٥٨}

وقوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ){النحل : ٩٠}أمرهم بالعدل ؛ لأنّه أراد العدل الذي يستطيع أن يطبقه كلّ الناس ، وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ){البقرة : ٢٨٢} وقال تعالى : (وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ){الحجرات : ٩}فأمرهم بالإنصاف بينهم بالعدل من أجل إصلاح ذات بينهم ثمّ أمرهم باستعمال القسط لترسيخ هذا الإصلاح ورفعه إلى درجة الأخوة بينهم

٥-**العذاب والعقاب** : العذاب معروف ، والعقاب هو العذاب أيضًا ، لكن سُمِّي بذلك ؛ لأنّه يكون عقيب الذنب[١] لذلك فرّق بينهما العسكري ((أنّ العقاب ينبئ عن استحقاق ، وسُمِّي بذلك ؛ لأنّ الفاعل يستحقّه عقيب فعله ، ويجوز أن يكون العذاب مستحقًّا وغير مستحقّ وأصلالعقاب التلوُّ ، وهو تأدية الأول إلى الثاني ، يقال : عقب الثاني الأول ، إذا تلاه٠٠٠(وَالْعَاقِبَةُ

(١) ينظر : مقاييس اللغة ص ٥٨٤ والمفردات ص ٣٥٣

لِلْمُتَّقِينَ){القصص : ٨٣} وعلى المجرمين ؛ لأنّها تعقب المتقين خيرًا والمجرمين شرًّا))[١]

فـ((الفرق بينهما أنّ العقاب يقتضي بظاهره الجزاء على فعله المعاقب ؛ لأنّه من التعقيب ، والعذاب ليس كذلك ، إذ يقال للظالم المبتدئ بالظلم إنّه مُعَذَّب ، وإن قيل مُعاقب فعلى سبيل المجاز لا الحقيقة ، فبينهما عموم وخصوص))[٢]

فالعقاب هو العذاب لكنّه سُمّي بالعقاب ؛ لأنّه يعني العذاب الذي يستحقه المجرم عقب ارتكابه الجريمة ، وهذا ما يُعمّل به في المحاكم الدنيوية ، لذلك يستعملون في قوانينهم مصطلح : الجريمة والعقاب

٦-**العذب والفرات** : قال تعالى : (وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا){الفرقان : ٥٣}

الفرق بين العذب والفرات أنّ الماء العذب هو الماء الطيّب وأنّ الفرات هو الشديد العذوبة والطيب حتى يقرب إلى الحلاوة [٣]

٧-**عسى ولعلّ** : **عسى** : ((عسى : طمعَ وترجّى ، وكثير من المفسّرين فسّروا لعلَّ وعسى في القرآن الكريم باللازم ، وقالوا : إنّ الطمع والرجاء لا يصحّ من الله ، وفي هذا منهم قصور نظر ، وذاك أنّ الله تعالى إذا ذكر ذلك يذكره ليكون الإنسان منه راجيًا لا أن يكون هو تعالى يرجو فقوله تعالى : (عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ){الأعراف : ١٢٩} أي : كونوا راجين في ذلك)) [٤]

---

(١) الفروق اللغوية ص ٢٦٩.

(٢) فروق اللغات ص ١٧٥

(٣) ينظر : مدارك التنزيل ص ٨٠٧

(٤) المفردات ص ٣٤٧-٣٤٨ وينظر : عمدة الحفّاظ ٧٥/٣

و((عسى للترجّي في المحبوب والإشفاق في المكروه وقد اجتمعا في قوله تعالى : (وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ){البقرة : ٢١٦}٠٠٠وروى البيهقي في سننه عن ابن عبّاس قال : كلّ (عسى) في القرآن فهي واجبة ، وقال الشافعي : يقال : عسى من الله واجبة ، وحكى ابن الأنباري عن بعض المفسرين أنّ (عسى) في جميع القرآن واجبة إلّا في موضعين في سورة بني إسرائيل : (عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ){الإسراء : ٨} يعني بني النضير فما رحمهم الله بل قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلّم وأوقع فيهم العقوبة ، وقال في سورة التحريم : (عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنّ){التحريم : ٥} ولازمنه حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، وعمّم بعضهم القاعدة وأبطل الاستثناء ؛ لأنّ تقديره يكون على شرط ، أي : في وقت من الأوقات ، فلمّا زال الشرطوانقضى الوقت وجب عليكم القتال، فعلى هذا لم تخرج عن بابها الذي هو الإيجاب ، وكذلك قوله تعالى ☹عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ)(التحريم : ٥} تقديره : واجب أن يُبدِله أزواجًا خيرًا منكنّ ، أي لبتّ طلاقكنّ ، ولم يبتّ طلاقهنّ ، فلا يجب التبديل)) [1]

-**لعلَّ** : ((لعلّ طمع وإشفاق٠٠٠فقوله تعالى : (لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ){الشعراء : ٤٠} فذلك طمع منهم ، وقوله تعالى : (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ){طه : ٤٤} فإطماع لموسى عليه السلام مع هرون ، ومعناه : فقولا له قولًا ليّنًا راجين أن يتذكّر أو يخشى))[2]

وقال الزركشي ☹(لعلّ : تجيء لمعان :

---

(١) البرهان للزركشي ص ٨٤٨ وينظر : الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ص ٢٥١ والزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة المكّي ١٠٨/٨

(٢) المفردات ص ٤٧٠ وينظر : عمدة الحفّاظ ٢٦/٤

الأول : للترجّيفي المحبوب نحو : لعلّ الله يغفر لنا ، والإشفاق في المكروه نحو : لعلّ الله يغفر للعاصي ، ثم وردت في كلام من يستحيل عليه الوصفان ؛ لأنّ الترجّي للجهل بالعاقبة ، وهو محال على الله ، وكذلك الخوف والإشفاق ، فمنهم من صرفهاإلى المخاطَبين قال سيبويه في قوله تعالى : (لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ)){طه : ٤٤}معناه : كونا على رجائكما في ذكرهما ، يعني أنّه كلام منظور فيه إلى جانب موسى وهارون عليهما السلام ؛ لأنّهما لم يكونا جازمين بعدم إيمان فرعون ، وأمّا استعمالها في الخوف ففي قوله تعالى : (لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ){الشورى : ١٧} فإنّ الساعة مخوفة في حق المؤمنين٠٠٠

الثاني : للتعليل ، كقوله تعالى : (وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ){الأنعام : ١٥٥} وقوله تعالى : (وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ){النحل : ١٥} أي : كي ، وجعل منه ثعلب قوله تعالى : (لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ)){طه : ٤٤} أي : كي حكاه عنه صاحب المحكم ، وحكى البغوي في تفسيره عن الواقدي أنّ جميع ما في القرآن من (لعلّ) فإنّها للتعليل ، إلّا قوله تعالى : (وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ){الشعراء : ١٢٩} فإنّها للتشبيه ، وكونها للتشبيه غريب لم يذكره النحاة ، ووقع في صحيح البخاري في قوله تعالى : (لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ){الشعراء : ١٢٩} أنّ (لعل) للتشبيه)) [١] والتقدير : كأنّكم تخلدونويجوز أن تكون على بابها للتعليل والتقدير : كيما تخلدوا [٢]

---

(١) البرهان ص ٨٩٢-٨٩٣ وينظر : الجواهر الحسان تفسير الثعالبي ٢٣٣/٤ والكليات للكفوي ص ٦٥٧

(٢) ينظر : جامع البيان للطبري ١١٢/١٩ ومعاني القرآن للفرّاء ١٧٧/٢ وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣١٩ وزاد المسير لابن الجوزي ٤٨/٦

((وذكر السيد الشريف رحمه الله في حاشية الكشاف أنّ ابن الأنباري وجماعة من الأدباء ذهبوا إلى أنّ (لعلّ) قد تجيء بمعنى (كي) حتى حملوها على التعليلفي كلّ موضع امتنع فيه الترجّي سواء كان من قبل الإطماع نحو قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ){الحج : ٧٧} أو لا ، نحو قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ){البقرة : ٢١}

قال السيرافي وقطرب : معنى (لعلّ) الواقع في كلام الله التعليل ، فقوله تعالى : (وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ){الحج : ٧٧} معناه : لتفلحوا

وقد تستعمل مجازًا مرسلًا للإطماع ، أي : إيقاع المتكلِّم المخاطَب في الطمع ، لعلاقة اللزوم بين الترجّي والطمع ، نحو : لعلّي أقضي حاجتك ، كما هو دأب الملوك وسائر الكرماء في وعدهم المخاطّب بشيء محبوب عنده لا يناله إلّا من جهتهم عازمين على إيقاعه غير جازمين بوقوعه

وجوّز التفتازاني أن يكون مثل قوله تعالى (وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ){الحج : ٧٧}وقوله تعالى : (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ){آل عمران : ١٣٢} من هذا القبيل ، وإن كان حصول الفلاح والرحمة مجزومًا ومقطوعًا به بالنسبة إليه تعالى))[١]

فقد أمرنا نبيّنا الكريم أن نحسن الظنّ بالله بمعنى أن نتوقّع بأنّ الله سيرحمنا ونتوقّع بأنّه سبحانه سيدخلنا الجنّة ، لذلك ينبغي أن نستعمل (عسى) وأن نقول : عسى الله أن يرحمنا ، وعسى الله أن يدخلنا الجنّة ؛ لأنّه باستعمال (لعلّ) وقولنا : لعلّ الله يرحمنا ، ولعلّ الله يدخلنا الجنّة ، يفيد عدم الجزم في ما نتوقّعه ويكون المعنى : أنّ الله قد يرحمنا وقد لا يرحمنا ، وأنّه سبحانه قد يدخلنا الجنّة وقد لا يدخلنا

---

(١) االكليات للكفوي ص ٦٦٩-٦٧٠

فالصحيح مما تقدّم ذكره في الفرق بين (عسى) و(لعلّ) أنّ (عسى) من الله واجبة ، لكن الله سبحانه إذا ذكر ذلك يذكره ليكون الإنسان منه راجيًا لا أن يكون هو تعالى يرجو فقوله تعالى مثلًا : (عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ){الأعراف : ١٢٩} أي : كونوا راجين في ذلك

وإذا استعملها الإنسان فإنّها تكون في رجاء وطمع يتوقّع حصوله كقوله تعالى : (وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا){يوسف : ٢١} وهذا ما حصل فقد بان نفعه فيما بعد لمن اشتراه ، ولو أراد معنى الطمع والرجاء فيما لم يكن جازمًا في حصوله لقال : لعله ينفعنا ، هذا هو الفرق الأول بينهما ، والفرق الثاني : أن (عسى) استعملت فيما ذُكِر ، أمّا (لعلّ) فقد جاءت بمعنى التعليل كما تبيّن ذلك من كلام الزركشي والكفوي الذي تقدّم ذكره ، بل هذا هو المعنى الذي اعتمده أهل التفسرفي تفسير شواهد (لعلّ) في القرآن الكريم

قال الطبري في تفسير قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ){البقرة : ٢١} ((قال أبو جعفر : فإن قال قائل : فكيف قال جلّ شأنه (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) ؟أو لم يكن عالمًا بما يصير إليه أمرهمإذا هم عبدوه وأطاعوه٠٠٠وإنّما معنى ذلك : اعبدوا ربكمالذي خلقكم والذين من قبلكم ، لتتقوه بطاعته وتوحيده وإفراده بالربوبية والعبادة، كما قال الشاعر :

وقلتملنا كُفُّوا الحروب لعلّنا   نكفُّ ووثَّقْتُمْ لنا كلّ مَوثِق

يريد بذلك : قلتم لنا كُفّوا لنا لنكفَّ))[١]

وقال في تفسير قوله تعالى : (ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ){البقرة : ٥٢} ((وأمّا تأويل قوله تعالى : (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) فإنّه يعني

---

(١) جامع البيان ١٨٥/١ وينظر : الوسيط للواحدي ٩٨/١

به : لتشكروا ، ومعنى (لعلّ) في هذا الموضع معنى (كي)٠٠٠فمعنى الكلام إذًا : ثمّ عفونا عنكم من بعد اتخاذكم العجل إلهًا لتشكروني على عفوي عنكم))[١] ((لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) لكي تشكروا نعمتنا بالعفو))[٢]

٨- **العطية والنحلة** : فرّق العسكري ((بين العطية والنحلة أنّ النحلة ما يعطيه الإنسان بطيب نفس ، ومنه قوله تعالى : (وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً){النساء : ٣}))[٣] ولا يشترط في العطية ذلك

٩-**العقد والعهد** : فرّق العسكري ((بين العقد والعهد أنّ العقد أبلغ من العهد تقول : عهدت إلى فلان بكذا أي ألزمته إيّاه وعقدت عليه وعاقدته ألزمته باستيثاق ، وتقول : عاهد العبد ربّه ولا تقول : عاقد العبد ربّه ؛ إذ لا يجوز أن يقال : استوثق من ربّه ، وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ){المائدة : ١} وهو ما يتعاقد عليه اثنان٠٠٠ويجوز أن يكون العقد ما يُعقَد بالقلب)) [٤] وقال تعالى في العهد : (أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي){طه : ٨٦}

و((قيل الفرق بينهما أنّ العقد فيه معنى الاستيثاق والشدّ ولا يكون إلّا بين متعاقدين ، والعهد قد ينفرد به الواحد فبينهما عموم وخصوص)) [٥]

١٠-**العلم والفهم والمعرفة** : قال ابن مالك : ((أخوات حسب هي الأفعال المقتضية مفعولين هما في الأصل مبتدأ وخبر نحو : ظننت زيدًا كريمًا٠٠٠وعلمته بخيلًا))[١]

---

(١) جامع البيان ٣٢٦/١

(٢) الوسيط ١٣٨/١

(٣) الفروق اللغوية للعسكري ص ١٩٠

(٤) الفروق اللغوية ص ٦٩

(٥) فروق اللغات ص ١٧٤-١٧٥

وقولهم بتعدي هذه الأفعال إلى مفعولين جعلوه هو القاعدة وقرآنًا منزَّلاً ، لذلك لمَّا وردت هذه الأفعال متعدية إلى مفعول واحد في الكلام الفصيح ، لم يعدِّلوا القاعدة في هذه الأفعال ، بل ضمنوها معاني أفعال أخرى ، أي : عمدوا إلى تغيير المعنى من أجل أن لا يعدلوا قاعدة من صنعهم ، فابن مالك بعد أن قال بالقاعدة المذكورة قال : ((متى تنصب هذه الأفعال مفعولاً واحدًا؟ : إن أريد بظننتُ معنى : اتهمتُ ، وبعلمتُ معنى : عرَفتُ ، وبرأيتُ معنى : أبصرتُ أو رميتُ ، وبوجدتُ معنى : أصبتُ ، وباتخذتُ معنى : اكتسبتُ ، وبجعلتُ معنى : عملتُ أو ألقيتُ أو أوجبتُ تعدَّتِ إلى مفعول واحد٠٠٠يقال : ظنّ فلان فلانًا بمعنى : اتهمه ، وعلمَ الشيءَ ، بمعنى : عرفه))[٢]

وقال ابن عقيل : ((إذا كانت علم بمعنى عرَف تعدَّتْ إلى مفعول واحد ، كقولك : علمتُ زيدًا ، أي : عرَفته ومنه قوله تعالى : (وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا){النحل : ٧٨}))[٣]

وتبيَّن كما رأيت أنَّ النحاة عمدوا إلى تحريف دلالة أفعال ظنَّ وأخواتها من أجل أن لا يكسروا قاعدة لغوية هي من اختلاقهم ، وهذا التحريف سيشمل القرآن الكريم ؛ لورود هذه الأفعال فيه في مواضع كثيرة ، فقد ضمنوا العلم معنى المعرفة ، مع أنَّ المعرفة ضد الإنكار ، والعلم نقيض الجهل[٤] قال الراغب : ((المعرفة والعرفان : إدراك الشيء بتفكُّر وتدبُّر لأثره ، وهو أخص من العلم ، ويضادُّه الإنكار ، ويقال : فلان يعرف اللهَ ، ولا

---

(١) عمدة الحافظ وعدة اللافظ ٢٣١/١، وينظر : شرح ابن عقيل ٤١٦/١-٤١٨ .

(٢) عمدة الحافظ وعدة اللافظ ص ٢٣٤/١ ، وينظر : شرح ابن عقيل ٤٤٠/١.

(٣) شرح ابن عقيل ٤٤٠/١.

(٤) ينظر : مقاييس اللغة ص ٥٩٦ ، ٦٥٨-٦٥٩ .

يقال : يعلم اللهَ ، متعديًا إلى مفعول واحد ؛ لمَّا كان معرفة البشر لله هي بتدبُّر آياته دون إدراك ذاته ، ويقال : اللهُ يعلم كذا ، ولا يقال : يعرف كذا ؛ لمَّا كانت المعرفة تستعمل في العلم القاصر المتوصَّل به بتفكُّر ، قال تعالى : (فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ){البقرة : ٨٩} وقال الله تعالى : (وَلَوْ نَشَاء لارَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ){محمد : ٣٠} وقال تعالى : (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ){البقرة : ١٤٦) ويضاد المعرفة : الإنكار ، والعلم : الجهل ، قال تعالى : (يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ){النحل : ٨٣}))[١] .

وقال الفيروزآبادي : ((المعرفة تتعلق بذات الشيء ، والعلم يتعلق بأحواله٠٠٠أنَّك إذا قلتَ : علمتُ زيدًا ، لم تفد المخاطب شيئًا ، لأنَّه ينتظر أن تخبره على أيِّ حال علمته ، فإذا قلتَ : كريمًا أو شجاعًا حصلت له الفائدة ، وإذا قلتَ : عرفت زيدًا ، استفادَ المخاطَب أنَّك أثبته وميَّزته من غيره ، ولم يبق ينتظر شيئًا آخر)) [٢]

وصفوة الكلام في الفرق بين العلم والمعرفة : أنَّ المراد بالعلم علم حقائق الأشياء وصفاتها وأحوالها ، والمراد بالمعرفة معرفة ذوات الأشياء والظاهر منها ، والنحاة كما تبيَّن أجمعوا على أنَّ (عَلِمَ) يكون بمعنى العلم بعينه إذا جاء على أصله متعديًا إلى مفعولين ، ولا يجي متعديًا إلى مفعول واحد إلّا بتضمينه معنى (عَرَفَ) ، لذلك قال الطبري في قوله تعالى : (وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ){الأنفال : ٦٠} ((فاكتفى للعلم

---

(١) المفردات ص ٣٤٢-٣٤٣.

(٢) بصائر ذوي التمييز ٤/٤٩-٥١.

بمنصوب واحد في هذا الموضع لأنَّه أُريد : لا تعرفونهم)) [١] ولذلك أيضًا قال الأخفش : ((وأمَّا قوله تعالى : (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ){البقرة : ٦٥} يقول : ولقد عرفتم ، كما تقول : لقد علمتُ زيدًا ولم أكن أعلمه ، وقال : (وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ) أي : لا تعرفهم نحن نعرفهم ، وإذا أردت العلم الآخر ، فلتَ : قد علمتُ زيدًا ظريفًا ؛ لأنَّك تحدث عن ظرفه ، فلو قلتُ : قد علمتُ زيدًا ، لم يكن كلامًا)) [٢] واستنادًا إلى هذا التضمين أُعرِب مثلاً (مشربهم) في قوله تعالى : (قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ){البقرة : ٦٠} بأنَّه ((مفعول لـ(علم) بمعنى عَرَفَ)) [٣]

هذا ما أجمع عليه النحاة ، ولي على هذا الإجماع ملاحظاتي الآتية :

١-أفاد قول الأخفش أنَّ قولنا : قد علمتُ زيدًا ، يكون مفيدًا إذا جعلناعلم بمعنى عرف ؛ لأنَّه يكون بمعنى : عرفتُ زيدًا ؛ لأنَّ المراد من المعرفة معرفة ذات زيد ، وقد تم الكلام بمعرفة هذه الذات ، ولا يكون مفيدًا ، إذا أبقينا علم على معناها ، ولم نضمنها معنى المعرفة ؛ لأنَّ العلم لا يعني معرفة الذات ، بل معرفة ما تتصف به الذات ؛ لذا لا يكون الكلام مفيدًا إلّا بعد ذكر الصفة ، وقولنا مثلاً : قد علمتُ زيدًا ظريفًا ، كما مثَّل الأخفش ، وليس الأمر كما قال ، فالفرق المذكور بين العلم والمعرفة قائم على كل حال ، فقولنا : قد علمتُ زيدًا ظريفًا ، أفاد معرفة صفة معينة من صفات زيد ، لكن إذا أردتُ معرفة كل صفاته وأحواله السرية والعلنية ، ولم أُقيد علمي

(١) جامع البيان ٤٠/١٠.

(٢) معاني القرآن ص ٨٢.

(٣) الدر المصون ٣٨٧/١.

بصفة معينة من صفاته ، أطلقتُ هذا العلم بحذف هذا القيد ، وقلتُ : علمتُ زيدًا ، بمعنى : أنَّني علمتُ حقيقته التي هو عليها كما هي ، لذا صح أن تقول : كنتُ أعرف زيدًا من قبل ، لكني ما كنتُ أعلمه ، وقد علمتُه الآن ، وهذا هو المعنى المراد من قوله تعالى : (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ) فليس المعنى ، ولقد عرفتم ، قال الدكتور فاضل السامرائي : ((فليس معناه : عرفتم ، لأنَّهم لا يعرفونهم ، وبينهم القرون المتطاولة ، ولكن معناه : أنَّكم علمتم أمرهم وحالهم))[١] وقوله تعالى : (وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ) فالآية ليست بمعنى : لا تعرفونهم الله يعرفهم ؛ لأنَّ المراد في آية الأنفال ونحوها معنى العلم لا معنى المعرفة ، قال ابن كثير : روي ((أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في قوله تعالى : (وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ) قال هم الجنُّ ٠٠٠وهذا الحديث منكر لا يصح إسناده ولا متنه ، وقال مقاتل بن حبان وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم هم المنافقون ، وهذا أشبه الأقوال ، ويشهد له قوله تعالى : (وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ){التوبة : ١٠١}))[٢]

لا يصح إذن هنا أن يكون المقصود من العلم معنى المعرفة ، لأنَّ الصحابة رضي الله عنهم كانوا يعرفون المنافقين ، بل كانوا يرونهم ويجالسونهم ويتعاملون معهم ، لكنهم ما كانوا يعلمون حقيقتهم ، أنَّهم منافقون ، وأنَّهم سرًّا يكيدون لهم وللإسلام ، وهذا هو المعنى المراد من آية الأنفال وآية التوبة ، فجعل العلم فيهما بمعنى المعرفة يُعدُّ تحريفًا صريحًا للتفسير

---

(١) معاني النحو ٩/٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٥٨/٤.

ولدلالة اللفظ القرآني في هاتين الآيتين ونحوهما ، فكيف تسنى لأساطين اللغة والتفسير كالأخفش والطبري السقوط في هذا المأخذ الكبير ، إنَّه القول بالتضمين .

٢–أما سأل النحاة أنفسهم كم مرة ورد (عَلِمَ) متعديًا إلى مفعولين؟! إنَّه لم يرد على هذا الأصل كما زعموا إلّا في موضع واحد ، هو قوله تعالى : (فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ){الممتحنة : ١٠} لذلك لم أجد النحاة يستشهدون في هذا الباب إلّا بهذه الآية ، أمَّا وروده متعديًا إلى مفعول واحد فهو الشائع في القرآن الكريم ، كقوله تعال : (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ){البقرة : ٦٥} وقوله تعالى : (أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ){المائدة : ١٠٤}

فكيف تسنَى لهم أن يضمنوا ما شاع من العلم معنى المعرفة؟! ألا يعني هذا أنَّهم أشاعوا تحريف دلالة هذا اللفظ القرآني؟!

٣–هناك قضية أخطر مما ذُكر هي أنَّ النحاة والمفسرين نسبوا إلى الله جل وعلا العلم القاصر عندما جعلوا العلم بمعنى المعرفة ؛ لأنَّه كما تقدَّم أنّ ((المعرفة والعرفان : إدراك الشيء بتفكُّر وتدبُّر لأثره ، وهو أخص من العلم ، ويضادُّه الإنكار ، ويقال : فلان يعرف اللهَ ، ولا يقال : يعلم اللهَ ، متعديًا إلى مفعول واحد ؛ لمَّا كان معرفة البشر لله هي بتدبُّر آياته دون إدراك ذاته ، ويقال : اللهُ يعلم كذا ، ولا يقال : يعرف كذا ؛ لمَّا كانت المعرفة تستعمل في العلم القاصر المتوصَّل به بتفكُّر))[١] فكيف إذن تستى لأساطين النحو والتفسير أن ينسبوا هذا العلم القاصر إلى الله سبحانه؟! إذ قد شاع في القرآن الكريم إسناد العلم المتعدي إلى مفعول واحد إلى الله عز وجل كقوله تعالى : (وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ){البقرة : ١٩٧} وقوله تعالى : (وَهُوَ

---

(١) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص ٣٤٢–٣٤٣.

اللّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ){الأنعام : ٣} وقوله تعالى : (قالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ){البقرة : ٣٠} وقوله تعالى : (لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ){التوبة : ١٠١} وقوله تعالى : (لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ){الأنفال : ٦١} ونحو هذا كثير في القرآن الكريم

–العلم والفهم : فرّق العسكري ((بين الفهم والعلم أنّ الفهم هو العلم بمعاني الكلام عند سماعه خاصّة ؛ ولهذا يقال : فلان سيّئ الفهم إذا كان بطيء العلم بمعنى ما يسمع ؛ ولذلك كان الأعجمي لا يفهم كلام العربيّ))(١) و((قوله تعالى : (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ){الأنبياء : أي : عرّفناه حقيقة الحكم ، والفهم : هيئة للنفس بها تتحقّق ما يحسُن))(٢)((وقيل : الفهم : تصوّر المعنى من لفظ المخاطب ، وقيل : إدراك خفي دقيق ، فهو أخصُّ من العلم٠٠٠ولهذا قال سبحانه في قصّة داود وسليمان : (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا){الأنبياء : ٧٩} خصّ الفهم بسليمان ، وعمّم العلم لداود وسليمان))(٣)((وفيه دليل على أنّ الصواب كان مع سليمان صلوات الله عليه))(٤)

١١–**عند ولدن** : والفرق بينهما أنّ (لدنّي) أشد تمكنًا من (عندي) وأخصُّ وألصق ((تقول : عندي مال ، ولا تقول : لدنّي مال ، ولكن تقول : لدنّي مال ، إلّا أنّك تقول ذلك في المال الحاضر عندك ، ويجوز أن تقول :

---

(١) الفروق اللغوية ص ١٠١

(٢) عمدة الحفّاظ ٢٥٤/٣

(٣) فروق اللغات ص ١٧٦–١٧٧

(٤) مدارك التنزيل ص ٧٢٢

عندي مال ، وإن كان غائبًا عنك ؛ لأنّ لدنّي لما يليك وقال بعضهم : لدى لغة في لدن))[١]

فـ(عند) لِما عمّ واتسع : كقوله تعالى : (فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ){يونس : ٧٦}وقال تعالى : (وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا){سبأ : ٣٧}وقال تعالى : (وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ){ق : ٤} و(لدن) لِما خصّوقرب كقولهتعالى : (فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا){الكهف : ٦٥}وهو علم خاصٌّ لم يُؤته حتى لموسى عليه

١٢–العينان الجاريتان والعينان النضّاختان : النضخ : قال ابن فارس : ((النون والضاد والحاء أصل يدلّ على شيء يُنَدَّى وماء يُرَشُّ ، فالنضح : رشُّ الماء ، ونضحته ، قال أهل اللغة : يقال لكلّ ما رقَّ نضحٌ ، وهذا هو القياس الذي ذكرناه ؛ لأنّ الرشّ رقيق ، يقال : نضحتُ البيت بالماء ، ونضحَ جلدُه بالعَرَق)) [٢]

هذا ما قاله في النضح بالحاء وقال في النضخ بالخاء بأنّه ((قريب من الذي قبله ، إلّا أنّه أكثر منه٠٠٠ونضخ ثوبه بالطِّيب ، وغيث نضّاخ غزير ، وعين نضّاخة : كثيرة الماء)) [٣]

قال الله تعالى : (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ){الرحمن : ٤٦}وقال تعالى : (وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ){الرحمن : ٦٢}

فالعين الجارية أبلغ من العين النضّاخة وإن وصفت النضّاخة بكثرة مائها وفورانه فلم تبلغ درجة العين الجارية ، فهذه العين ماؤها يجري ، (فِيهِمَا

---

(١) الفروق اللغوية ص ٣٣٤

(٢) مقاييس اللغة ص ٩٠٢

(٣) مقاييس اللغة ص ٩٠٢

عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ){الرحمن : ٥٠}[١]((قال الحسن : إحداهما السلسبيل والأخرى التسنيم))وتلك لا يجري بل تنضخ بالماء وترشّه على أهل الجنّة، قال تعالى : (فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ){الرحمن : ٦٦}((فوّارتان ، والنضخ فوران الماء من العين ، قال ابن عبّاس : تنضخ على أولياء الله بالمسك والعنبر والكافور))[٢]

وجاء في التسهيل لعلوم التنزيل : وانظر كيف جعل الله أوصاف الجنتين الأوليين الأعليين أعلى من أوصاف الجنتين الأدنيين اللتين بعدهما فقال هناك : (فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ){الرحمن : ٥٠} وقال هنا : (فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ){الرحمن : ٦٦}والجري أشد من النضخ ، وقال هناك ☹فِيهِمَامِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ){الرحمن : ٥٢} وقال هنا : (فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ){الرحمن : ٦٨}والأول أعمّ وأشمل ؛ لأنّه لم يحدد عدد أنواع الفاكهة ، وهنا حددها بثلاثة أنواع ، وقال في صفة الحور هناك : (كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ){الرحمن : ٥٨}وقال هنا : (فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ){الرحمن : ٧٠} وليس كلّ حسن كحسن الياقوت والمرجان ، فالوصف هناك أبلغ ، وقال هناك في وصف الفرش : (مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ){الرحمن : ٥٤} وهو من الديباج ، وقال هنا : (مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ){الرحمن : ٧٦}ولا شكّ في أنّ الفرش المُعدَّة للاتكاء أفضل من فضل الخباء[٣]

---

(١) الوسيط للواحدي ٢٢٦/٤

(٢) الوسيط للواحدي ٢٢٨/٤

(٣) ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل لابن جُزَي الكلبي ٨٦/٤ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣٧/١٧-١٥٠

باب الغين

١–الغمز واللمز والهمز : الغمز : ((الغمز : الإشارة بالجفن والحاجب))[١]((يقال : عمز إذا عاب وذكّر بغير الجميل ، والمغامز : المعايب٠٠٠وممّا يستعار غَمَزَ بجفنه : أشار))[٢]فـ((أصل الغمز الإشارة بالجفن أو اليد طلبًا إلى ما فيه مُعاب ، ومنه قيل : ما في فلان غميزة ، أي : نقيصة يُشار بها إليه وجمعها غمائز قال تعالى : (وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ){المطففين : ٣٠ }))[٣] ((والمعنى : أنّهم كانوا يستهزؤون بالمؤمنين ويشيرون بعيونهم وأيديهم سخرية بهم))[٤]

اللمزة : ((قوله تعالى : (وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِيالصَّدَقَاتِ){التوبة : ٥٨}٠٠٠ورجل لُمَزة : يعيبك في وجهك وهو من اللمز ، ورجل هُمَزة يعيبك من خلفك))[٥]و((اللَّمز : العيب٠٠٠ورجل لمّاز ولُمَزَة ، أي : عيّاب))[٦] و((اللَّمْزُ : الاغتياب وتتبّع العورات٠٠٠قال تعالى : (وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ){الحجرات : ١١} أي لا تلمزوا النّاس فيلمزونكم فتكونوا في حكم من لَمَزَ نفسه))[٧]

---

(١) العين ص ٧٢٠

(٢) مقاييس اللغة ص ٦٩٩

(٣) المفردات ص ٣٨٠

(٤) عمدة الحفّاظ ١٧٤/٣

(٥) العين ص ٨٨٥

(٦) مقاييس اللغة ص ٨١٩

(٧) المفردات ص ٤٧٣

الـهُمَزَة : ((الهمّاز والهُمَزَة : من يهمز أخاه في قفاه من خلفه ، واللُّمَزَة في الاستقبال)) [١] و((وهمز الإنسان اغتيابه)) [٢]((وعن ابن الأعرابي : الهمّاز : المُغتاب بالغيب ، واللّمّاز المُغتاب بالحضرة٠٠٠قوله تعالى : (وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ){المؤمنون : ٩٧} أي : نزعاتهم وما يوسوسون به))[٣]

وقال العسكري : ((الفرق بين الهَمْز واللَّمْز ، قال المبرد : الهمز هو أن يهمز الإنسان بقول قبيح من حيث لا يسمع٠٠٠واللَّمْز أجهر ، وفي القرآن (هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ) ولم يقل : لمزات ؛ لأنّ مكابدة الشيطان خفيّة))[٤] وهذا هو الفرق بين الهمز واللمز قال الله تعالى : (وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ){الهمزة : ١} (((هُمَزَةٍ) أي : الذي يعيب النَّاسَ من خلفهم (لُّمَزَةٍ) أي : من يعيبهم مواجهة)) [٥]

فالغامز : المستهزئ بالآخرين بالإشارة إليهم بالجفن أو الحاجب أو اليد ، والهُمَزَةِ : الذي يعيب النَّاسَ من خلفهم أو بصوت خفيّ ، واللمَزَةِ : من يعيبهم مواجهة وبحضورهم

٢-الغمّ والهمّ : الغمّ : ((وغمّه الأمرُ يَغَمُّه غمًّا ، وهو شيء يغشى القلب ، معروف)) [٦] والغمّ : الكرب[١]قال تعالى : (فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ){آل عمران : ١٥٣} ((أي : كربًا بعد كرب))[٢]

---

(١) العين ص ١٠٢٠

(٢) المفردات ص ٥٧١

(٣) عمدة الحفّاظ ٢٥٩/٤

(٤) الفروق اللغوية ص ٦٥

(٥) مدارك التنزيل ص ١٣٧٣

(٦) مقاييس اللغة ص ٦٩٤

-**الهمّ** : الحزن ، والهمّ : ما هممتَ به في نفسك [٣]ولم يرد الهمّ بمعنى الغمّ بل ورد بمعنى ما هممتَ به في نفسك ، وورد بمعنى الاهتمام بالنفس في قوله تعالى : **(وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ)**{آل عمران : ١٥٤} يعني : ما يهمّهم إلّا أنفسهم وهم المنافقون وخلاصها لا همّ الدين ولا همّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم والمسلمين[٤]

وفرّق العسكري ((بين الهمّ والغمّ أنّ الهمّ هو الفكر في إزالة المكروه واجتلاب المحبوب ، وليس هو من الغمّ في شيء، ألا ترى أنَّك تقول لصاحبك : اهتمّ بحاجتي ، ولا يصحّ أن تقول : اغتمّبحاجتي ، والغمّ معنى ينقبض القلب معه ويكون لوقوع ضرر قد كان ، أو توقّع ضرر يكون أو يتوهّمه ، وقد سُمِّي الحزن الذي تطول مدته حتى يذيب البدن : همًّا ، واشتقاقه من قولك : انهمَّ الشحم إذا ذاب وهمَّه إذا أذابه))[٥]

((وأهمَّني الأمرُ إذا أقلقك وأحزنك٠٠٠وهمّه السقم يَهمُّه همًا أذابه وأذهب لحمه))[٦] ((وهمّه الأمر همًّا وأهمّه) [٧] ((والهمّ الحزن ، وأهمّني الأمرُ بالألف أقلقني وهمّني مثله))[٨] وهمّه الأمر فهو هامٌّ وأهمّه الأمرُ فهو

---

(١) المفردات ص ٣٧٩

(٢) جامع البيان للطبري ١٧٣/٤

(٣) ينظر : مقاييس اللغة ص ٩٢٣ والمفردات ص ٥٧٠-٥٧١

(٤) ينظر : مدارك التنزيل ص١٩١

(٥) الفروق اللغوية ص ٢٩٧

(٦) لسان العرب ٩٤/١٥

(٧) لسان العرب ٩٤/١٥

(٨) المصباح المنير ص ٦٤١

مُهمٌّ فقد جاز الوجهان : أمر هامٌّ وأمر مهمٌّ ، ولا معنى لما شاع : قل أمر مهمٌّ ولا تقل : أمر هامٌّ ، فقد وردت في اللغة الصيغتان الثلاثي والرباعي

و((قيل : الغمّ : ما لا يقدر الإنسان على إزالته كموت المحبوب ، والهمّ : ما يقدر على إزالته كالإفلاس مثلًا٠٠٠ويؤيده قوله تعالى في وصف أهل النّار : {كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ}{الحج : ٢٢} فإنّهم لم يكونوا قادرين على إزالةما بهم من عذاب))[١]

٣–**الغيث والمطر** : **الغيث** : ((الغين والياء والثاء أصل صحيح ، وهو الحيا النازل من السماء))[٢] ((والغيث : المطر))[٣] ((والغيث : المطر ، المطر ، وهو أيضًا مصدر غاث يغيثُ ، ك(باع)٠٠٠وقيل : هو المطر الخاصّ بالخير، الكثير النافع ؛ لأنّه يُغاثُ به النّاسُ ، وهذا من شرح الشِّفاء ، ومن المجاز : الغيث : الكلأ يَنبُتُ بماء السماء قاله الليث٠٠٠وغاث الله البلاد يَغيثُ غَيْثًا ، إذا أَنزلَ (الله) بها الغيثَ ، ومنه الحديث : فادعُ اللهَ يُغيثُنا٠٠٠ويقال : غاثَهُمُ اللهُ))[٤]

–**المطر** :قالوا : ((مطرتِ السماءُ وأمطرتِ بمعنى)) [٥] واحد ((ومطرَتْهم السماءُ تَمطرهم ، وأمطرَتْهم : أصابتهم بالمطر)) [٦]((قال الهروي : وأمّا لغة العرب ، يقال : مطرت السماء وأمطرت)) [٧]

---

(١) فروق اللغات ص ١٨٣

(٢) مقاييس اللغة ص ٧٠٣

(٣) المفردات ص ٣٨٢

(٤) تاج العروس ١٧٨/٥–١٧٩

(٥) لسان العرب ٩٠/١٤ وتاج العروس ٧١/١٤–٧٢

(٦) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ١٦٦/٩

(٧) عمدة الحفّاظ ٩٧/٤

والصحيح أنّهما ليسا بمعنى واحد قال ابن فارس : ((الميم والطاء والراء أصل صحيح فيه معنيان : أحدهما الغيث النازل من السماء ، والآخر جنس من العَدْو فالأوّل : المطر ، ومُطرنا مَطرًا ، وقال ناس ، لا يقال أُمطِر إلّا في العذاب))[١]وقال الراغب : ((والمطر : الماء المنسكب٠٠٠يقال : مَطرتنا السماء وأمطرتنا٠٠٠وقيل : إنّ (مَطَرَ) يقال في الخير و(أمطرَ) في العذاب)) [٢]((ويقال : يوم ماطر ومطير ومُمطر على المبالغة ، وجاء في التفسير : إنّ (أمطرنا) في العذاب ، و(مطرنا) في الرحمة)) [٣]

والقرآن الكريم استعمل الرباعي (أَمْطَر) ولم يستعمل الثلاثي ؛ ولهذا لم يرد في القرآن الكريم بمعنى الغيث ، وقد ورد المطر في القرآن الكريم في سبعة مواضع جاء في موضع واحد بمعنى الأذى ، فقد قرن القرآن الكريم المطر بالأذى في قوله تعالى : (وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ){النساء : ١٠٢} وجاءت في جميع المواضع الستة الباقية بمعنى العذاب ، كقوله تعالى : (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ){الأعراف : ٨٤} وقوله تعالى : (وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ){الفرقان : ٤٠} وقوله تعالى : (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاء مَطَرُ الْمُنذَرِينَ){الشعراء : ١٧٣}{النمل : ٥٨}

أمّا الغيث فقد ورد في ثلاثة موضع استعملت جميعها في سياق الخير والرحمة والبركة والاهتمام بوقت مجيئه وهي قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ){لقمان : ٣٤} وقوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ

(١) مقاييس اللغة ص ٨٦٤

(٢) المفردات ص ٤٩٠

(٣) عمدة الحفّاظ ٩٧/٤

الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ ۚ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ){الشورى : ٢٨} وقوله تعالى : (كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ){الحديد : ٢٠} والكفّار : الزرّاع ، يعني إعجاب الزرّاع من خضرة النبات الذي سُقيَ بماء الغيث

باب الفاء

١-**الفتيل والقطمير والنقير** : **الفتيل** : ((الفاء والتاء واللام أصل صحيح يدلّ على لَيِّ شيء ، من ذلك فتلتُ الحبلَ وغيره، والفتيل : مايكون في شِقّ النَّواة كأنّه قد فُتِل٠٠٠ويقال : بل الفتيل ما يُفتَل بين الإصبعين))[١] ((وفتلتُ الحبل فتلًا ، والفتيل المفتول ، وسمّي ما يكون في شقّ النَّواة فتيلًا لكونه على هيئته قال تعالى : (وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا){النساء : ٤٩} وهو ما تفتله بين أصابعك من خيط أو وسخ ، ويُضرَب به المثل في الشيء الحقير))[٢] ((قيل : هو ما في شقّ النّواة ممّا يشبه الخطّ الرقيق ، وقيل : ما يخرج من الوسخ عند فتلك أصابعك ، والمعنى : قدر فتيل ، وهو فعيل بمعنى مفعول ، يُضرَب به المثل في القلّة والنزارة))[٣]

وورد الفتيل في ثلاثة مواضع في الموضع المذكور (وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا){النساء : ٤٩} ((قال بعضهم : الفتيل ما تفتله بين إصبعيكَ من الوسخ ، قال بعضهم : الفتيل ما كان في باطن النَّواة من لحائها ، وقالوا في التفسير : ما كان في ظهرها ، وهو الذي تنبتُ منه النخلة ، والقطمير جملة ما التفّ عليها من لحائها))[٤] ((والفتيل : خيط رقيق في شِقّ النَّواة يُضرَب به المثل في القلّة ، وقيل :هو ما خرج من بين إصبعيكَ أو كفَّيك من الوسخ

(١) مقاييس اللغة ص ٧٢٧

(٢) المفردات ص ٣٨٦

(٣) عمدة الحفّاظ ١٩٦/٣

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤٩/٢

حين تفتلهما ، فهو فتيل بمعنى مفتول ، وقد ضربت العرب المثَل في القلّة التافهة بأربعة أشياء اجتمعن في النَّواة ، وهي الفتيل والنقير ، وهو النُّقرة في ظهر النّواة ، والقطمير ، وهو القشر الرقيق فوقها ، وهذه الثلاثة واردة في الكتابالعزيز ، والثَّفْروق : وهو ما بين النَّواة والقِمع الذي يكون في رأس التمرة كالعلاقة بينهما))[١]وفي قوله تعالى : (وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا){النساء : ٧٧} وقوله تعالى : (وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا){الإسراء : ٧١}

القطمير : ((القِطْمير : الحبّة في بطن النَّواة))[٢] ((قال تعالى : (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ){فاطر : ١٣} أي : الأثر في ظهر النّواة ، وذلك مثل للشيء الطفيف))[٣] ((أي : القشرة الملتفّة على النَّواة))[٤]

وورد في موضع واحد هو الموضع المذكور

النقير : ((النقير : نقطة في ظهر النَّواة ، والنقير : أصل شجرة يُنْقَرُ ويُنْبَذُ فيه ، وهو الذي جاء النهي فيه ، وفلان كريم النقير ، أي : الأصل ، كأنّه المكان الذينُقِرَ عنه حتّى خرج منه))[٥] ((والنقير وقْبَةٌ في ظهر النَّواة ويُضرَب به المثل في الشيء الطفيف قال تعالى : (وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا){النساء : ١٢٤} والنقير أيضًا خشب يُنقَر ويُنْبَذُ فيه ، وهو كريم النقير ، أي : كريم إذا نُقِرَعنه أي بُحِثَ))[٦]

---

(١) الدرّ المصون ٧٠٢/٣

(٢) مقاييس اللغة ص ٧٨٦

(٣) المفردات ص ٤٢٥ وينظر : عمدة الحفّاظ ٣٢٥/٣

(٤) مدارك التنزيل ص٩٧٤

(٥) مقاييس اللغة ص ٩١٣

(٦) المفردات ص ٥٢٦ وينظر : عمدة الحفّاظ ٢١٢/٤-٢١٣

وورد في موضعين في الموضع المذكور وفي قوله تعالى : (أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا){النساء : ٥٣}((والنقير : النقرة في ظهر النَّواة وهو مثل في القلّة كالفتيل))[١]

فصفوة ما تقدّم أنّ الله سبحانه ضرب مثلًا على القلّة بثلاثة أشياء موجودة في نوى التمرة وهي :

الفتيل : وهو خيط رفيع تجده على شق النواة .

والقطمير : وهو اللفافة ، غشاء رقيق تكون على نوى التمرة

والنقير : وهو نقطة صغيرة على ظهر النواة في الجهة المقابلة للشق .

٢-**الفخور والمختال** : **الفخور** : ((الفاء والخاء والراء يدلّ على عِظَم وقِدَم٠٠٠قال أبو زيد : فَخَرْتُ الرجلَ على الرجل أفخرُه فخرًا ، أي : فضلتُه عليه ، والفخير : الذي يفاخرك٠٠٠والتفخّر : التعظّم))[٢]و((الفخر : المباهات في الأشياء الخارجة عن الإنسان كالمال والجاه ، ويقال له الفَخَر ، ورجل فاخر وفخور وفِخّير على التكثير قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ){لقمان : ١٨}))[٣]

المختال : ((عن الأصمعي قال : كنتُ عند أبي عمرو بن العلاء، وعنده غلام أعرابيّ فسُئل أبو عمرو : لِمَ سُمِّيتْ الخيل خيلًا ؟ فقال : لا أدري ، فقال الأعرابي : لاختيالها ، فقال أبو عمرو : اكتبوا، وهذا صحيح ؛

---

(١) مدارك التنزيل ٢٣٢

(٢) مقاييس اللغة ص ٧٣٠

(٣) المفردات ص ٣٨٩

لأنّ المختال في مشيته يتلوّن في حركته))[1]و((والخُيَلاء : التكبّر عن تخيّل فضيلة تراءت للإنسان من نفسه ومنها يُتأوَّل لفظ الخيل))[2]

فالمختال هو المتكبّر ، والفخور هو الذي يعدد مناقبه ويفتخر بها كِبْرًا

وقد ورد المختال مقترنًا بالفخور في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع في قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا){النساء : ٣٦} (مُخْتَالًا) أي ((متكبّرًا يأنف عن قرابته وجيرانه فلا يلتفت إليهم (فَخُورًا) يعدد مناقبه كِبْرًا ، فإن عدّها اعترافًا كان شكورًا))[3]وقوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ){لقمان : ١٨}((مُخْتَالٍ) : متكبِّر (فَخُورٍ) من يعدد مناقبه تطاولًا))[4] وقوله تعالى : (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ){الحديد : ٢٣}

٣–الفِرق والفلق : الفرق : ((الفاء والراء والقاف أصيل صحيح يدلّ على تمييز وتزييل بين شيئين من ذلك الفرق : فرّق الشعرَ ، يقال : فرّقتُه فَرَقًا ، والفِرْق : القطيع من الغنم ، والفِرْقُ : الفِلْق من الشيء إذا انفلق ، قال الله تعالى : (فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ){الشعراء : ٦٣}))[5]و((الفَرْقُ يقارب الفَلْق لكن الفلق يقال اعتبارًا بالانشقاق ، والفَرْق يقال اعتبارًا بالانفصال، قال تعالى : (وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ){البقرة : ٥٠}والفِرْق : القِطعة المنفصلة ومنه الفِرْقة للجماعة المتفردة من الناس ،

---

(١) مقاييس اللغة ص ٢٧٦–٢٧٧

(٢) المفردات ص ١٦٩

(٣) مدارك التنزيل ص ٢٢٧

(٤) مدارك التنزيل ص ٩١٩

(٥) مقاييس اللغة ص ٧٣٤

وقيل : فَرَق الصبح وفَلَقَ الصبح٠٠٠والفريق : الجماعة المتفرّقة عن آخرين))[1]

-**الفلق** : ((الفاء واللام والقاف : أصل صحيح يدلّ على فُرْجة وبينونة في الشيء ، وعلى تعظيم شيء من ذلك٠٠٠والفلق : الصبح ؛ لأنّ الظلام ينفلق عنه ، وجمعه فِلقان ، والفلق : الخلق كلّه ، كأنّه شيء فُلِقَعنه شيء حتى أُبرِزَ وأُظهِر))[2] و((الفلق شقّ الشيء وإبانة بعضه عن بعض ، يقال : فلقته فانفلق قال تعالى : (إِنَّ اللَّـهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ){الأنعام : ٩٥}(فَالِقُ الْإِصْبَاحِ){الأنعام : ٩٦} وقوله تعالى : (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ){الفلق : ١} أي : الصبح)))[3]

والفِرق ما تميّز شيء عن شيء ، والفلق ما انفلق شيء عن شيء نقول : فلقَ الصبح إذا أردنا انبثاقه وانشقاقه من الليل ، ونقول : فرقَ الصبحُ إذا أردنا انفصاله عن الليل ، ولا نقول : فرقَ الصبح وفلقَ ، بل : فلق الصبح وفرق ؛ لأنّ الفرق يكون بعد الفلق ، قال الله تعالى : (فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ){الشعراء : ٦٣} والمعنى : ضرب البحر ((فانفلق وانشقّ فصار اثني عشر فِرْقًا على عدد الاسباط (فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ)أي : جزء تفرّق منه (كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ) كالجبل النطاد في السماء))[4]

٤-**الفرقان والكتاب** : قال الله تعالى : (وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ){البقرة : ٥٣} بعد أن عدَّ كثير من أهل اللغة والتفسير

---

(١) المفردات ص ٣٩٣

(٢) مقاييس اللغة ص ٧٢٠

(٣) المفردات ص٤٠١

(٤) مدارك التنزيل ص ٨٢١

الكتاب والفرقان هنا بمعنى واحد ؛ لأنَّ كليهما يعني التوراة واجهوا مشكلة عطف الشيء على نفسه ، فراحوا من أجل حلِّ هذا الإشكال يُؤوِّلون الآية بتأويلات ما أنزل الله بها من سلطان ، قال الفرّاء : ((وقوله تعالى : (وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) ففيه وجهان :

أحدهما أن يكون أراد : وآتينا موسى الكتاب ، ومحمدًا الفرقان .

والوجه الآخر : أنَّ العرب لتجمع بين الحرفين ، وإنَّهما لواحد ، إذا اختلف لفظاهما ، قال عَدِيٌّ بن زيد :

وقدَّمَتِ الأديمَ لراهِشَيهِ وألفى قولها كَذِبًا ومَيْنا

وقولهم : بُعْدًا وسُحْقًا ، والبُعْدُ والسُّحْقُ واحد ، فهذا وجه آخر ، وقال بعض المفسرين : الكتاب التوراة ، والفرقان انفراق البحر لبني إسرائيل ، وقال بعضهم : الحلال والحرام الذي في التوراة))[١] والقول الأخير أصحّ الأقوال ، وقال الزجاج : ((والفرقان عطف عليه ، ويجوز أن يكون الفرقان الكتاب بعينه إلّا أنَّه أعيد ذكره))[٢] وقال النحاس : (((وَالْفُرْقَانَ) عطف على الكتاب ، قال الفراء وقطرب : يكون (وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) أي : التوراة ، ومحمدًا صلى الله عليه وسلم الفرقان ، وهذا خطأ ... قال أبو إسحاق (الزجاج) : يكون الفرقان هذا الكتاب أعيد ذكره ، وهذا أيضًا بعيد ، إنَّما يجيء في الشعر كما قال : وألفى قولها كَذِبًا ومَيْنا)) [٣]

وقد أدخل ابن هشام عطف الكذب على المين في البيت المذكور في باب عطف الشيء على مرادفه[٤] ومصطلح الترادف الذي استعمله أهل اللغة

---

(١) معاني القرآن ٣٧/١

(٢) معاني القرآن وإعرابه ١٢٢/١

(٣) إعراب القرآن ص ٤١–٤٢

(٤) ينظر : مغني اللبيب ٣٥٧/٢ والأشباه والنظائر للسيوطي ٩٩/٢

يوقع الباحث في إشكال ؛ لأنَّ كثيرًا منهم استعمل هذا المصطلح بمعنى التطابق ، ومنهم من نبَّه على أنَّ المراد منه تقارب المعاني لا تطابقها ، فإذا أريد منه تقارب المعاني فهذا لا إشكال من وجوده في كلام الله ، وإذا أريد منه تطابقها فهو عيب لغوي ودلالي ، إن وجد في كلام البشر فلا وجود له في كلام الله ؛ لأنَّ البشر لا يهمهم الوقوع في هذا العيب ، بل قد يتعمدونه في الشعر لتوحيد القافية ، أو لإكمال تفعيلاته ، كما جاء في قول أحدهم : وألفى قولها كَذِبًا ومَيْنا .

فقد صحَّ عطف الفرقان على الكتاب في قوله تعالى : (وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) لأنَّ معنى الفرقان غير معنى الكتاب ، وإن كان المراد من كليهما التوراة[1] وهذا ((العطف من قبيل عطف الصفات للإشارة إلى استقلال كلٍّ منها ، فإنَّ التوراة لها صفتان كونها كتابًا ، وكونها فرقانًا تفرِّق بين الحق والباطل))[2] أي : صحَّ هذا العطف ؛ لأنَّه أراد هذين المعنيين الخاصّين المختلفين في الدلالة ، لا معنى اسم التوراة العام الذي يجمع بينهما في هذه الدلالة العامَّة

ومن أوضح الأمثلة في هذا الباب قوله تعالى : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ﴾{الأعلى : ١-٤} فقد كرر المعطوف ، والمعطوف عليه واحد ، وجاز ذلك ؛ لأنَّه أراد عطف الصفات بعضها على بعض لا عطف الموصوف .

---

(١) ينظر : الكشاف للزمخشري ١/١٤٢ وزاد المسير ١/٧٠-٧١ وأنوار التنزيل للبيضاوي ١/٨٠

(٢) روح المعاني للآلوسي ١/٢٦٠

ومن ذلك قوله تعالى : (الَرَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ){الحجر : ١} فالقرآن هو الكتاب ((وذكر بالصفتين لما فيهما من الفائدتين))[١] والكتاب : ما يُكتَب أو المراد به اللوح المحفوظ ، وأراد تسمية القرآن بالكتاب الذي تنطبق عليه هذه التسمية بأنَّه الكتاب المنَزَّل ، والكامل بتشريعاته وأحكامه وعقائده ، أي : كأنَّه أراد جميع القرآن ، وأراد بالقرآن صفة من صفاته ، وهو كونه يفرِّق بين الحق والباطل ، وبين الحلال والحرام ((وفي جمع وصفي الكتابية والقرآنية من تفخيم شأن القرآن ما فيه حيث أشير بالأول إلى اشتماله على صفات كمال جنس الكتاب الإلهية فكأنَّه كلّها ، وبالثاني إلى كونه ممتازًا عن غيره ، نسيج وحده ، بديعًا في بابه ، خارجًا عن دائرة البيان ، قرآنًا غير ذي عوج))[٢]

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى : (طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ){النمل : ١} وهذا العطف في فاتحة سورة النمل هو كالذي في فاتحة سورة الحجر ، إلّا أنَّه أخَّر ههنا الوصف بالكتابية عن الوصف بالقرآنية[٣] ((والمراد نفس القرآن فيكون من عطف بعض الصفات على بعض ، والمدلول واحد))[٤]وهو المدلول العام لا المدلول الخاص ((وقوله تعالى (وَكِتَابٍ مُّبِينٍ) عطف على (الْقُرْآنِ) والمراد به القرآن مع اتحاده معه في الصدق ، كعطف إحدى الصفتين على الأخرى ، كما في قولهم : هذا فعل السخي والجواد الكريم))[٥]

---

(١) الملخص في إعراب القرآن للخطيب التبريزي ص ١١١

(٢) روح المعاني للآلوسي ٢٥٠/٧

(٣) ينظر : روح المعاني للآلوسي ٢٥٠/٧

(٤) الدر المصون ٥٦٩/٨

(٥) روح المعاني ١٥٢/١٠ وقد فرّق العسكري بين السخاء والجود . الفروق ص ١٩٦

فقد جاز عطف الفرقان على الكتاب في قوله : (وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) وإن كان المراد منهما التوراة ؛ لأنَّه أريد من الفرقان الفرقان بعينه ، ومن الكتاب الكتاب بعينه ، أي : أريد من كلٍّ منهما معناه الخاص به ، وكذلك جاز عطف القرآن على الكتاب ، وعطف الكتاب على القرآن ، في قوله تعالى : (الَر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ) وقوله تعالى : (طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ) وإن كان المراد منهما القرآن الكريم ؛ لأنَّه أريد من القرآن القرآن بعينه ، ومن الكتاب الكتاب بعينه ، أي : أريد من كلٍّ منهما معناه الخاص به ؛ فقد جاز هذا العطف وذاك ؛ لأنَّ المعاني الخاصة هي المقصودة في القرآن الكريم .

٥-**الفسق والمعصية : الفسق** : (فسق فلان خرجَ عن حجر الشرع ،وذلك من قولهم : فسق الرَّطَبُ إذا خرج عن قشره وهو أعمّ من الكفر ، والفسق يقع بالقليل من الذنوب وبالكثير ، لكن تعورف فيما كان كثيرًا ، وأكثر ما يقال الفاسق لمن التزم حكم الشرع وأقرّ به ثمَّ أخلّ بجميع أحكامه ، وإذا قيل للكافر الأصلي فاسق فلأنّه أخلّ بحكمما ألزمه العقل واقتضته الفطرة ، قال تعالى : (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ){الكهف : ٥٠}٠٠٠وقال تعالى : (أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ){السجدة : ١٨}وقال تعالى : (وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ){النور : ٥٥}٠٠٠فالفاسق أعمّ من من الكافر ، والظالم أعمّ من الفاسق٠٠٠قال ابن الأعرابي : لم يُسمَع الفاسق في وصف الإنسان في كلام العرب ، وإنّما قالوا : فسقت الرُّطبة عن قشرها)) [١]

((والفسق الشرعي : عبارة عن الخروج عن الطاعة وهي امتثال الأوامر واجتناب النواهي٠٠٠قوله تعالى : (وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ){الأنعام : ١٢١} أي

---

(١) المفردات للراغب ص ٣٩٥-٣٩٦

: لخروج عن الحق))[1]

فالفاسق أعمّ من الكافر ، فكلّ كافر فاسق ، وليس كلّ فاسق كافرًا ، من ذلك مثلًا أنّ تارك الصلاة تكاسلًا مع إيمانه بأنّ الصلاة حق هو فاسق وليس بكافر ، وكذلك من لم يحكم بشرع الله مع إيمانه بأنّ شرع الله هو الحق وكلّ شرع ما عداه باطل هو فاسق وليس بكافر

-**المعصية** : ((عصى عصيانًا إذا خرج عن الطاعة وأصله أن يتمنّع بعصاه قال تعالى : (وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ){طه : ١٢١}٠٠٠ويقال فيمن فارق الجماعة شق العصا))[2]

و((قوله تعالى : (لَّا يَعْصُونَ اللَّـهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ){التحريم : ٦} العصيان : مخالفة الأمر ، وقيل عصى عصيانًا خرج عن الطاعة))[3]

هناك فرق دقيق بين المعصية والفسق أنّ المعصية تعني مخالفة الأمر والخروج عن طاعة ما أُمِر به ، والفسق هو الخروج عن الحق وعن شرع الله

٦-**الفلاح والفوز والنجاح : الفلاح** : ((الفلاح : الظفر وإدراك بُغْية ، وذلك ضربان : دنيوي وأُخروي ، فالدنيوي الظفر بالسعادات التي تطيب بها حياة الدنيا ، وهو البقاء والغنى والعزّ٠٠٠وفلاح أُخروي وذلك أربعة أشياء : بقاء بلا فناء ، وغنى بلا فقر ، وعزّ بلا ذلٍّ ، وعلم بلا جهل٠٠٠قال تعالى : (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ){المؤمنون : ١} وقوله تعالى : (وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ

---

(١) عمدة الحفاّظ ٣/٢٣٠-٢٣١

(٢) المفردات للراغب ص ٣٥٠

(٣) عمدة الحفاّظ ٣/٨٨

اسْتَعْلَىٰ){طه : ٦٤} فيصحّ أنّهم قصدوا الفلاح الدنيوي وهو الأقرب)) [١]
و((الفلاح : الفوز والظفر بالبغية٠٠٠وقيل : الفلاح : البقاء)) [٢]

–**الفوز** : ((الفوز : الظفر بالخير مع حصول السلامة٠٠٠والمفازة قيل : سُمِّيت تفاؤلًا للفوز ، وسُمِّيتْ بذلك إذا وصل بها إلى الفوز فإنّ القفر كما يكون سببًا للهلاك فقد يكون سببًا للفوز)) [٣] و((الفوز : النجاة والتقصّي من الشيء، وقيل : الظفر بالخير مع حصول السلامة ، والمفازة : الفلاة المهلكة ؛ وإنّما سُمِّيت بذلك على سبيل التفاؤل ، وقيل : سُمِّيت بذلك ؛ لأنّ سالكها إذا قطعها وصل إلى الفوز ، وهو النجاة)) [٤]

وقال العسكري في الفوز : ((الفوز هو الخلاص من المكروه مع الوصول إلى المحبوب ، ولهذا سمّى الله تعالى المؤمنين فائزين لنجاتهم من النار ونيلهم الجنّة ، ولمّا كان الفوز يقتضي نيل المحبوب قيل فاز بطلبته))[٥]

وقال في الفلاح : ((الفلاح نيل الخير والنفع الباقي أثره ، وسُمِّي الشيء الباقي الأثر فَلَحًا ، ويقال للأكّار[٦] : فلاح ؛ لأنّه يشق الأرض شقًّا باقيًا في الأرض)) [٧]

ولم يستعمل القرآن الكريم لفظ النجاح ؛ لضيق معناه ، فالنجاح يعني إدراكالشيء والوصول إليه ، وهذا لا يكون إلّا في أمر معيّن من أمور الدنيا

---

(١) المفردات ص ٤٠١

(٢) عمدة الحفّاظ ٢٤٩/٣

(٣) المفردات ص ٤٠٣

(٤) عمدة الحفّاظ ٢٥٥/٣

(٥) الفروق اللغوية ص ٢٣٧

(٦) الأكّار : الذي يحرث الأرض ينظر : المصباح المنير ص ١٧

(٧) الفروق اللغوية ص ٢٣٧

فقط ، وبصفة موقتة ، وليس كذلك الفوز والفلاح ، أمّا الفوز فيعني الظفر بالخير مع حصول السلامة ، أي الفوز بالجنّة والنجاة من النار قال تعالى : (فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ){آل عمران : ١٨٥}والفلاح أعظم من الفوز ، فهو يعني الظفر وإدراك البغية ونيل الخير كلّه ، والنفع الباقي أثره ، بقاءً بلا فناء ، وغنًى بلا فقر ، وعزًّا بلا ذلٍّ حتى يصل الظفر بجنّة الفردوس وأعلى الجنان ؛ ولهذا لا يكون إلّا بعمل ما يقتضيه قال تعالى : (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَـٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ){المؤمنون : ١-١٠}

٧-**الفناء والنفاد** : جاء في : ((الفرق بين الفناء والنفاد ، أنَّ النفاد هو فناء آخر الشيء بعد فناء أوله ، ولا يستعمل النفاد فيما يفنى جملة ، ألا ترى أنَّك تقول : فناء العالم ، ولا يقال : نفاد العالم ، ويقال : نفاد الزاد ونفاد الطعام ؛ لأنَّ ذلك يفنى شيئًا فشيئًا)) [١]ولأنّ المراد من الفناء فناء آخر الشيء بعد فناء أوله استعمله في قوله تعالى : (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ){الرحمن : ٢٦-٢٧}ولأنّ المراد من نفاد الشيء نفاده شيئًا فشيئًا استعمله في قوله تعالى : (قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا){الكهف : ١٠٩}

---

(١) الفروق اللغوية للعسكري ص ١٢٠

باب القاف

١ – **القانع والمعترّ** : القانع السائل الذي يسأل ويقنع بما تعطيه ، والمعترّ الذي يعتريك ويلمّ بك ويريك نفسه لتعطيه ولا يسأل [١] قال تعالى : (فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ){الحج : ٣٦} [٢]

٢ –**القَرْن والقوم** : ((والقَرْن : القوم المقترنون في زمن واحد وجمعه قرون ، قال تعالى : (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا){مريم : ٧٤} وقال تعالى : (ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ){المؤمنون : ٤٢}))[٣]

((قوله تعالى : (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ){مريم : ٩٨} القَرْنُ : الجماعة المقترنون في وقت واحد ، وقيل : كلّ طبقة في وقت اقترنت في زمان ، وقيل : كلّ طبقة بُعِثَ فيها نبيٌّ ، وقيل : القرن : المدة ، واختُلِف في قدرها ، فقيل : ثمانون سنة ، وقيل : أربعون سنة ، وقيل : مئة سنة))[٤] وقال تعالى : (أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ){الأنعام : ٦}

وفرّق العسكري ((بين القوم والقَرْن : أنّ القرن اسم يقع على من يكون من الناس في مدّة سبعين سنة٠٠٠وقال بعضهم : أهل كلّ عصر قرن ، وقال الزجّاج : القرن أهل كلّ عصر فيهم نبيٌّ أو من له طبقة عالية في العالم ، فجعله من اقتران أهل العصر بأهل العلم ، فإذا كان في زمن فترة وغلبة وجهل لم يكن قَرْنًا٠٠٠والقوم : هم الرجال الذين يقوم بعضهم مع بعض في الأمور ، ولا يقع على النساء إلّا على وجه التبع، كما قال عزّ

---

(١) الفروق اللغوية للعسكري ص ٢٠٤

(٢) ينظر : مدارك التنزيل ص ٧٤٠

(٣) المفردات ص ٤١٨

(٤) عمدة الحفّاظ ٣/٣٠٠

وجلّ : (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ){الشعراء : ١٠٥} والمراد الرجال ، والنساء تبع لهم ، والشاهد على ما قلتُه قول زهير :

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آلُ حصْنٍ أم نساء

فأخرج النساء من القوم))(١)

٣–**القليل واليسير** : العلاقة بين القليل واليسير أنّ الشيء إذا قلّت كميته أو قل عدده سهل ويسر حمله وعطاؤه وعدّه كقوله تعالى : (ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ){يوسف : ٦٥} ((أي : لقلّته يسهل إعطاؤه)) (٢)

باب الكاف

١–كاف التشبيه والمِثْل والمَثَل والنِّدّ : الكاف في اللغة للتشبيه بالصفات ، والمِثل للتمثيل بالذات ؛ لذلك جاز أن يقال : زيد كالأسد ، وما جاز أن يقال : زيد مثل الأسد ، لأنّ المراد تشبيه زيد بصفة من صفات الأسد وهي شجاعته وليس المراد جعله مثل الأسد في ذاته بصفاته وشكله وهيأته وحيوانيته ، فالتشبيه بالكاف يفيد تشبيه الصفات بعضها ببعض ، وبالمِثْل يقيد تشبيه الذوات بعضها ببعض ؛ لذلك يكون المراد من قوله تعالى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ){الشورى : ١١} هو نفي التشبيه بصفاته وذاته ، أي : ليس كصفاته صفات وليس كمتل ذاته ذات ، فهذا هو معنى المِثْل بكسر الميم وسكون الثاء ومن ذلك قوله تعالى : (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا){الشورى : ٤٠} فالمِثْلان ما تكافآ في الذات ، والمَثَل بالتحريك الصفة قال الله تعالى : (وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ۚ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ){البقرة : ١٧١}

والنِّدُّ هو المِثْل المنادّ من قولك : نادّ فلان فلانًا إذا عاداه وباعده ؛

---

(١) الفروق اللغوية ص ٣١٢–٣١٣

(٢) عمدة الحفّاظ ٣٥٦/٤

ولهذا سُمّي الضدّ نِدًّا فالندّ ما كان مِثْل الشيء يضادّه في أموره[١] وجمع النِّدّ أنداد قال الله تعالى : (وَجَعَلُوا لِلَّـهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ){إبراهيم : ٣٠}

٢–**الكفيل والوكيل : الكفيل** : ((الكاف والفاء واللام أصل صحيح يدلُّ تضمن الشيء للشيء٠٠٠والكفيل : الضامن الذي يكفل إنسانًا يعوله))[٢]((الكفالة : الضمان))[٣] و((الكفيل : الضامن للشيء٠٠٠والكفيل : الذي يكفل إنسانًا يعوله وينفق عليه قال تعالى : (وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا){آل عمران : ٣٧} أي : هو كفل مريم لينفق عليها))[٤]

الوكيل ☹(الواو والكاف واللام أصل صحيح يدلُّ على اعتماد غيرك في أمرك))[٥]((تقول وكلته إليك أكِلُه كِلةً ، أي : فوّضتُه))[٦] و((التوكيل أن تعتمد على غيرك وتجعله نائبًا عنك ، والوكيل فعيل بممعنى المفعول قال تعالى : (وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا){النساء : ٨١} أي : اكتف به أن يتولّى أمرك ويتوكّل لك ، وعلى هذا قوله تعالى : (وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ){آل عمران : ١٧٣}٠٠٠فعلى هذا قوله تعالى : (قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ){الأنعام : ٦٦}))[٧]

---

(١) ينظر : الفروق اللغوية للعسكري ص ١٧٤ ، ١٧٦

(٢) مقاييس اللغة ص ٨١١

(٣) المفردات ص ٤٥٤

(٤) العين ٨٤٩

(٥) مقاييس اللغة ص ٩٦٥

(٦) العين ص ١٠٦٦

(٧) المفردات ص٥٥٥

قال الله تعالى : (وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا){النحل : ٩١} ((أي : شاهدًا ورقيبًا ؛ لأنّ الكفيل مراع لحال المكفول به ومهيمن عليه))[١]

وقال الله تعالى : (أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا){الإسراء : ٢} ((أي : ربًّا تكلون إليه أموركم))[٢]

٣-**الكوكب والنجم** : ورد النجم مفردًا وجمعًا في ثلاثة عشر موضعًا ، وورد الكوكب مفردًا وجمعًا في خمسة مواضع ، وقد حدّد علم الفلك الحديث مفهوم مصطلح الكوكب والنجم بدقّة بأنّ الكواكب أجرام سماوية تدور حول الشمس غير مستنيرة ولا مضيئة بذاتها ، وإنّما تستنير وتستضيء بالشمس فهي تعكس لنا ضوءها ، وهي تسعة كواكب وترتيبها حسب بعدها عن الشمس : عطارد ، والزهرة ، والأرض ، والمريخ ثم الكويكبات ، والمشتري ، وزُحل ، ويورانس ، ونبتون ، وبلوتون ، وتعدّ عطارد والزهرة كوكبين سفليين ؛ لأنّ مساريهما يقعان داخل مسار الأرض ، وتُعدّ باقي الكواكب علويّة ، وأكبر الكواكب هو المشتري ويقدّر حجمه ألف مرّة من حجم الأرض ، وهناك كواكب صغيرة ، يقدّر عددها ١٥٠٠كوكبًا [٣]

أمّا النجوم ومن بينها شمسنا فهي أجرام سماوية ملتهبة مكوّنة من غازات شديدة الحرارة ، وهي بعيدة جدّاً عنّا ، وأقرب نجم إلينا بعد الشمس يبعد عنّا أكثر من أربع سنوات ضوئية ، أي : أنّ الضوء التي تبلغ سرعته ١٨٦ ألف ميل في الثانية فإنّ ضوء هذا النجم يستغرق أكثر من أربع سنوات حتى يصل إلينا ونراه ، أي : أنّنا لا نرى هذا النجم الآن على ما هو عليه الآن ، بل نراه على ما كان عليه قبل أربع سنوات ، أمّا شمسنا فهي قريبة

---

(١) مدارك التنزيل ص ٦٠٧

(٢) مدارك التنزيل ص ٦١٦

(٣) ينظر : الموسوعة العربية الميسّرة ٦/٢٩٢٦-٢٩٢٧

تبعد عنّا نحو تسع دقائق ضوئية ، أي : أنّ ضوءها يصل إلينا خلال تسع دقائق ، فتأمل كم يبلغ بعد النجوم بعضها عن بعض فهو أضعاف بعد الكواكب عن بعضها بملايين المرّات

وهذه النجوم منها ما هو بقدر حجم الشمس وحرارتها ومنها ما هو أكبر منها بمئة مرّة أو ألف مرّة أو مليون مرّة ، لكن نراها كواكب صغيرة لشدة بعدها عنّا ، فأقرب نجم إلينا يبعد عنّا أربع سنوات ، وهناك نجوم تبعد عنّا مئة سنة ضوئية ، وأخرى ألف سنة ضوئية ، أو مليون سنة ضوئية واكتشف حديثًا أنّ أعلاها تبعد عنّا أكثر من ١٢ بليون سنة ضوئية ، أمّا عددها فقد ذكر أحد الفلكيين بأنّ عددها قد يبلغ عدد ذرات المحيطات [١]

أمّا معنى الكوكب والنجم في اللغة ، فالكوكب هو جرم سماوي مضيء أو منير[٢] والنجم يعني الطلوع والظهور وأطلق على نجم الثريّا[٣]بل وحّد أهل اللغة بينهما فقد عرّفوا الكوكب بأنّه نجم ، وعرّفوا النجم بأنّه كوكب[٤]

فالنجم جرم سماويٌّ متوقّد ، وهو منير أيضًا ، أمّا الكوكب فهو في الحقيقة جرم سماوي مظلم ، لكن لكونه يعكس نور الشمس والنجوم صار كوكبًا منيرًا ، فلأنّ النجم جرم متوقّد ومنير صحّ أن يُطلَق عليه اسم النجم والكوكب ، ولأنّ الكوكب غير متوقّد ، لا يصحّ أن يطلَق عليه اسم النجم ، فكلّ نجم كوكب ، وليس كلّ كوكب نجمًا ، فالكوكب أعمّ من النجم ، وقد راعى القرآن الكريم هذه الحقيقة في استعمالهما ، فإذا استعمل لفظ النجم فقد

---

(١) ينظر : الموسوعة العربية الميسّرة ٣٤٦٢/٨

(٢) ينظر : مقاييس اللغة ص ٧٨٨

(٣) ينظر : مقاييس اللغة ص ٨٨٧

(٤) ينظر : الصحاح ص٩١٩ ، ١٠٢٤ وعمدة الحفّاظ ١٤٥/٤

أراد النجم حقيقته ، أي : كما حدّد مفهومه علم الفلك الحديث ، أمّا إذا استعمل لفظ الكوكب فإمّا أن يكون أراد الكوكب نفسه وكما حُدّد أيضًا مفهومه فلكيًّا ، أو أن يكون أراد النجم لكن بصفة إنارته وزينته لا بصفة توقّده وعظمته ، أو أراد كليهما ، أي : جاز إطلاق الكوكب على الكواكب والنجوم

والنجوم على الرغم من شدة سرعتها تكون ثابتة بالنسبة إلينا لشدّة بعدها ؛ لذلك ذكر النجوم من دون الكواكب لاعتماد العرب عليها من دون الكواكب في تحديد الوقت والجهة كقوله تعالى : (وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ){النحل : ١٦} وقوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ){الأنعام : ٩٧} وقوله تعالى : (وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ){الطور : ٤٩} ولذلك اتّجه إلي النجوم من دون الكواكب لفظ التسخير من باب تذكير الله نعمته عليهم بأن سخّر لهم النجوم لمعرفة الحساب كقوله تعالى : (وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ){النحل : ١٢}وقوله تعالى : (وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ){الأعراف : ٥٤}

ولذلك اتجه إليها من دون الكوكب العلم بالتنجيم فيقوله تعالى : (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ){الصافات : ٨٨-٨٩}

وبعد النجوم بعضها عن بعض أضعاف بعد الكواكب عن بعضها بملايين المرّات فلشدة بعد المسافات بين النجوم أقسم الله بمواقعها من دون الكواكب في قوله تعالى : (فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ){الواقعة : ٧٥-٧٦}

والنجوم أعظم وأكبر كثيرًا من الكواكب ، فالشمس مثلًا أكبر حجمًا من الأرض بمليون وربع مليون مرّة ، فلعظمة النجوم في شدة حرارتها وعظم حجمها وبعد المسافات بينها ذكرها القرآن الكريم من دون الكواكب في باب

سجودها لله في قوله تعالى : (وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ){الرحمن : ٦}وقوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّـهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ){الحج : ١٨} ولذلك أيضًا سمّيت بعض سوره بسورة النجم

ولعظم النجوم أقسم الله بها وعظّم شأنها في قوله تعالى : (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ){النجم : ١} وقوله تعالى : (وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ){الطارق : ١-٣}

فالكوكب لم يستعمل كالنجم بأنّه جرم عظيم في بعده وحجمه وشدة حرارته بل استعمل في باب جعله كالمصباح المنير يضيء ولا يحرق لذلك ذكره من دون النجم في قوله تعالى : (مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ){النور : ٣٥}

والكوكب هنا هل أريد به الكوكب أم أراد به النجم ، وأهل التفسير فسّروا الكوكب بمعناه المعروف اليوم فلكيّا، فقد قال الزمخشري المتوفّى ٥٣٨هـ في تفسير قوله تعالى : (كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ) ((أزهر شبّهه في زهرته بأحد الدراري من الكواكب ، وهي المشاهير ، كالمشتري ، والزهرة ،والمريخ ، وسهيل ونحوها))[(١)]ومثل هذا قال أبو حيّان الأندلسي المتوفّى٧٤٥هـ [(٢)]وبمثل [(٢)]وبمثل هذا قال النسفي المتوفّى ٧١٠هـ : ((مضيء٠٠٠شُبِّه في زهرته بأحد الكواكب الدراري كالمشتري والزهرة ونحوهما))[(٣)]

وقد استعمل الكوكب في قوله تعالى : (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ){يوسف : ٤}

---

(١) الكشاف ٣/٢٣٤-٢٣٥

(٢) البحر المحيط ٦/٥٥٦

(٣) مدارك التنزيل ص ٧٨١

((وقد تكلّم المفسرون على تعبير هذا المنام أنّ الأحد عشر كوكبًا عبارة عن إخوته وكانوا أحد عشر رجلًا سواه ، والشمس والقمر عبارة عن أمّه وأبيه ، روي هذا عن ابن عبّاس والضحّاك وقتادة وسفيان الثوري وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقد وقع تفسيرها بعد أربعين سنة وقيل : ثمانين سنة))[1]

ولم أجد عند أهل التفسير القدامى والمحدثين من حدّد المراد من الكوكب : الكوكب نفسه أم النجم؟ بل هو عندهم جميعًا بمعنى واحد ، ويبدو أنّ المراد الكواكب ؛ لأنّ الذي مع الشمس والقمر ضمن مجموعتنا الشمسية الكواكب التسعة المعروفة فلكيًّا ، أمّا النجوم فهي خارج هذه المجموعة والله أعلم

وقد أراد الكوكب بعينه في قوله تعالى : (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ){الأنعام : ٧٦} لأنّ النجوم لشدة بعدها تكون ثابتة بالنسبة إلينا ، أمّا الكواكب فلأنّها تدور حول الشمس يكون حالها حال القمر تظهر لنا وتغيب

وقد استعمل الكواكب وأراد النجوم بعينها ، لكن عبّر عنها بلفظ الكواكب ؛ لأنّه استعملها في باب الزينة ؛ ولأنّه أراد أن تكون بمعنى المصابيح المنيرة في قوله تعالى : (إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ){الصافّات : ٦}

وفي مشاهد قيام الساعة استعمل النجوم من دون الكواكب في قوله تعالى : (فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ){المرسلات : ٨}لأنّ المراد من طمس النجوم محو نورها وذهاب ضوئها [2] وفي قوله تعالى : (وَإِذَا النُّجُومُ

---

(١) تفسير ابن كثير ٢٥٧/٤

(٢) ينظر : جامع البيان للطبري ٢٧٧/٢٩ والوسيط للواحدي ٤٠٧/٤ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢٢/١٩ومدارك التنزيل للنسفي ص ١٣١٠ واللباب في علوم الكتاب ٦٧/٢٠

انكَدَرَتْ){التكوير : ٢}لأنّ المراد من انكدار النجوم ((طمس آثارها ، وسُمّيتْ النجوم نجومًا لظهورها في السماء بضوئها وعن ابن عبّاس (انكَدَرَتْ) تغيّرتْ فلم يبق لها ضوء لزوالها عن أماكنها))[١]

ولأنّ النجم يُطلّق على النجم من دون الكوكب استعمل النجوم من دون الكواكب في الشواهد السابقة ؛ ولأنّ الكوكب يجوز إطلاقه على النجم والكوكب استعمل الكواكب في قوله تعالى : (وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ){الانفطار : ٢} ولو استعمل النجوم ، وقال : وإذا النجوم انتثرت ، لكان المراد تناثر النجوم وحدها من دون الكواكب ، لكن لمّا أراد تناثر النجوم صغيرها وكبيرها وتناثر الكواكب صغيرها وكبيرها وليشملهما جميعًا استعمل الكواكب وقال (وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ)

باب اللام

١–اللسان واللغة :اللسان ☹(اللام والسين والميم أصل صحيح يدلُّ على طول لطيف غير بائن في عضو أو غيره ، من ذلك اللسان ، معروف ، وهو مذكَّر ، والجمع ألسن ، فإذا كثر فهي الألسنة٠٠٠وقد يعبَّر بالرسالة عن اللسان فيؤنَّث حينئذ))[٢]((اللسان : ما ينطق به ، يُذكَّر ويؤنَّث))[٣]((واللسان : الجارحة))[٤] ((جارحة الكلام ، وقد يكنَّى بها عن الكلمة٠٠٠واللسان : الثناء ، وقوله عزَّ وجلَّ : (وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧٦/١٩ وينظر : المحرر الوجيز لابن عطيّة الأندلسي ٤٤١/٥

(٢) مقاييس اللغة ص ٨٣٣

(٣) العين ص ٨٧٣

(٤) المفردات للراغب ص ٤٦٩

الأخِرِينَ) معناه : اجعل لي ثناء حسنًا باقيًا إلى آخر الدهر)) [١] ((واللسان بالكسر : المِقْوَل ، أي آلة القول ، يذكَّر ويؤنَّث٠٠٠واللسان : اللغة٠٠٠وصرَّحوا بأنَّه مجاز مشهور فيها من تسمية القول باسم سببه العادي٠٠٠واللسان : المتكلِّم عن القوم ، وهو مجاز ٠٠٠واللسان من الميزان عَذَبَتُه ، وهو مجاز ، ويقال : استوى لسان الميزان)) [٢]

-**اللغة** ☹(اللام والغين والحرف المعتل : أصلان صحيحان أحدهما يدل على الشيء لا يُعتدُّ به ، والآخر على اللهج بالشيء ، فالأول اللغو ما لا يعتدَّ به من أولاد الإبل ٠٠٠ يقال منه : لغا يلغو لغوًا ، وذلك في لغو الإيمان ٠٠٠ قال الله تعالى : (لاَّ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِيَ أَيْمَانِكُمْ){البقرة : ٢٢٥}{المائدة : ٨٩} فيمينه لغو ، لأنَّه لم يتعمد الكذب))[٣] فاللغة مشتقة من اللغو من ((لغا يلغو لغْوًا يعني : اختلاط الكلام في الباطل)) [٤]((ويقال للفحش لغوٌ ؛ لأنَّه ساقط من الكلام مطرح لا يُلتَفَت إليه٠٠٠ وقيل : اللغو في اليمين ؛ لأنَّه لا إثم فيه ، فكأنَّه ساقط لا معنى له))[٥]و((اللغو في الأصل : الكلام الذي لا فائدة فيه)) [٦]

لقد بان الفرق بين اللسان واللغة فإنَّ اللسان يُستعمل في الكلام الصحيح والمفهوم كقوله تعالى : (أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ {٨} وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ){البلد : ٩}

---

(١) لسان العرب ١٣/١٩٧

(٢) تاج العروس ٣٦/٥٧

(٣) مقاييس اللغة ص ٨٣٦ .

(٤) العين ص ٨٧٩ .

(٥) الوجوه والنظائر للعسكري ص ٢٩٦ .

(٦) نزهة الأعين ص ٢٥٣.

وفوله تعالى : (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ){المائدة : ٧٨}

وقوله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ){إبراهيم : ٤}

وقوله تعالى : (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ){النحل : ١٠٣}

وقوله تعالى : (وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الأخِرِينَ){الشعراء : ٨٤}

وقوله تعالى : (وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا){القصص : ٣٤}

وتستعمَل اللغة في الضدّ من ذلك ، والدليل على ذلك أنَّ القرآن الكريم لم يستعمل لفظ اللغة ، بل استعمل اللغو الذي اشتقت منه اللغة ولم يستعمل إلّا في الكلام الباطل كقوله تعالى : (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ){القصص : ٥٥}

وقوله تعالى : (وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا){الفرقان : ٧٢}

وقوله تعالى : (لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلا سَلامًا){مريم : ٦٢}

وقوله (لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا ولاَ تَاثِيمًا){الواقعة : ٢٥}

وقوله تعالى : (لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا ولاَ كِذَّابًا){النبأ : ٣٥}

٢-اللعب واللهو :اللعب : ((اللام والعين والباء كلمتان منهما يتفرّع كلمات ، إحداهما : اللَّعِب معروف والتِّلعابة الكثير اللَّعِب ، والمَلْعَب : مكان اللَّعِب ، واللِّعْبَة : اللون من اللَّعِب ، واللَّعْبَة : المرة منها٠٠٠والكلمة الأخرى : اللُّعاب : ما يسيل من فم الصبيّ ، ولَعَبَ الغلام يلْعَب : سال لُعابُه ، ولُعاب النحل : العسل ، ولُعاب الشمس السَّراب٠٠٠وقيل : إنّ أصل

الباب هو الذَّهاب على غير استقامة))[١] ((وقد لَعَبَ بفتح العين يلعَبُ لَعْبًا ، ولعِبَ فلان بكسر العين إذا كان فِعْلُه غير قاصد به مَقصدًا صحيحًا يلعَبُ لَعِبًا ، وقال تعالى : (وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا){الأنعام : ٧٠}))[٢]

فتأمّل كيف عبّر ابن فارس المتوفّى ٣٩٥هـ عن مصطلحات اللّعْب بنفس المصطلحات التي يستعملها الأطفال اليوم في التعبير عن لعبهم

-**اللّهو** ☹(اللام والهاء والحرف المعتلّ أصلان صحيحان : أحدهما يدلّ على شُغْلٍ عن شيء بشيء ، والآخر نبذ شيء من اليد ، فالأول : اللهو : وهو كلّ شيء شَغَلَكَ عن شيء فقد ألهاكَ ، ولهوتُ من اللهو ، ولهيتُ عن الشيء : إذا تركته لغيرك٠٠٠وقد يُكنّى باللهو عن غيره ، قال الله تعالى : (لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ){الأنبياء : ١٧}وقال الحسن وقتادة : أراد باللهو المرأة ، وقال قوم : أراد به الولد))[٣]

فالمراد من اللّعِب قضاء الوقت بما فيه التسلية وهو مباح إذا لم يشغله عن أمر من أمور دينه ، والمراد من ((اللهو ما يشغل الإنسان من هوى أو طرب))[٤] عن طاعة الله ، قال تعالى : (وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ){العنكبوت : ٦٤}فاللهو ما يشغل المرء عن دينه ، واللعب ((كما يلعب الصبيان ساعة ثمّ يتفرقون ، وفيه ازدراء بالدنيا وتصغير أمرها))[٥]

---

(١) مقاييس اللغة ص ٨٣٥-٨٣٦

(٢) المفردات ص ٤٦٩

(٣) مقاييس اللغو ص ٨٢٠-٨٢١

(٤) مدارك التنزيل ص ٣٢٧

(٥) مدارك التنزيل ص ٨٩٨

(وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ){العنكبوت : ٦١-٦٤}

تقديم اللعب على اللهو وتقديم اللهو على اللعب : ورد اللعب واللهو مقترنين في ستة مواضع تقدّم فيها اللعب على اللهو في أربعة مواضع وهي :

قوله تعالى : (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ){الأنعام : ٣٢}

وقوله تعالى : (وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا){الأنعام : ٧٠}

وقوله تعالى : (إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ){محمد : ٣٦}

وقوله تعالى : (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ){الحديد : ٢٠}

((وإنّما قدّم اللعب في الأكثر ؛ لأنّ اللعب زمانه الصبا ، واللهو زمانه الشباب ، وزمان الصبا مقدَّم على زمان الشباب))(١) وهذه الآيات وردت في سياق ذمّ الدنيا ، فيكون تقديم اللعب على اللهو جاء على الأصل

وقدّم اللهو على اللعب في موضعين في قوله تعالى : ((وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ۚ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا

---

(١) البرهان في توجيه متشابه القرآن ٦٢-٦٣

عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ){الأعراف : ٤٨-٥١}

فهذا الكلام زمانه في الآخرة وليس في الدنيا وهو ((قول المؤمنين أهل النّار إخبارًا عن حال الكافرين الموجبة لتعذيبهم فقدّموا في الذكر اللهو الشاغل عن الاستجابة الجاري مع سنّ التكليف والمساوق له ، الثاني عن اللعب ؛ إذ وجود اللعب أولي في السنّ التي معظمها غير سنّ التكليف٠٠٠ولم يذكر اللعب أوّلًا ؛ لأنّه جار في البدأةوحين لا تكليف))(١) فالذي جاء في هذه الآيات ((ذمٌّ لهم لهم بالإعراض عن اتّباع الحق وإهماله ؛ ولذلك قال بعده : (كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا){الأعراف : ٥١}))(٢)

والموضع الثاني الذي قدّم فيه اللهو على اللعب هو قوله تعالى : (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ){العنكبوت : ٦١-٦٤} فقد تقدّم قبلها قوله تعالى : (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ){العنكبوت : ٦١}وقوله تعالى : (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ){العنكبوت : ٦٣} فدلَّ بهما على إعراضهم عن

---

(١) ملاك التأويل للغرناطي ص ١٥٦-١٥٧

(٢) كشف المعاني في متشابه المثاني لابن جماعة ص ٥٩

الحقّ واتّباعه مع علمهم به ، ولا يسأل عن هذاويجيب إلّا منجاوز سنّ اللعب وبلغ السنّ التي فيها يتعلّق التكليف بالمخاطَب ويصحّ خطابه وعتابه على تفريطه ، فناسب ذلك من ذكر الحياة الدنيا تقديم ما يساوق تلك السنّ فقدّم ذكر اللهو))[١]

٣-**اللغوب والنصب** :قال الله تعالى ☹الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ){فاطر : ٣٥} قال ابن فارس : ((النصب : العناء ، ومعناه : أنَّ الإنسان لا يزال منتصبًا حتى يُعيي))[٢] وقال : ((واللغوب : التعب والإعياء والمشقة)) [٣]وقال الزمخشري : ((فإن قلتَ : ما الفرق بين النصب واللغوب ؟ قلتُ : النصب : التعب والمشقة التي تصيب المنتصب للأمر المزاول له ، وأمَّا اللغوب : فما يلحقه من الفتور بسبب النصب ، فالنصب : نفس المشقة والكلفة ، واللغوب : نتيجته ، وما يحدث منه من الكلال والفترة)) [٤]

٤-**اللقف واللقم** : ((لقفتُ الشيء بالكسر لقفته ألقفه وتلقّفته أيضًا ، أي : تناولته بسرعة))[٥] و((قوله تعالى : (تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا){طه : ٦٩} أي : تأخذه بقوّة وسرعة))[٦]

((ولقمتها بالكسر لَقْمًا وتلقمتُها ، إذا ابتلعتها في مهلة))[١]

---

(١) ملاك التأويل للغرناطي ص ١٥٦-١٥٧ وكشف المعاني في متشابه المثاني لابن جماعة ص ٥٩

(٢) مقاييس اللغة ص ٩٠١.

(٣) مقاييس اللغة ص٨٣٧.

(٤) الكشاف ٥٩٦/٣ .

(٥) الصحاح ص ٩٥٣

(٦) عمدة الحفّاظ٣٦/٤

فاللقف تناول الشيء بسرعة ؛ لذلك استعمله القرآن في ابتلاع عصى موسى عليه السلام لحيّات سحرة فرعون بسرعة لإظهار قوّة المعجزة وضعف كيد فرعون وأنصاره في قوله تعالى : (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ){الأعراف : ١١٧} وقوله تعالى : (فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ){الشعراء : ٤٥}

وهذه المواضع الثلاثة التي ورد فيها اللقف في القرآن الكريم ، ولمّا كان الالتقام يعني تناول الشيء في مهلة استعمله في التقام الحوت لموسى عليه السلام في قوله تعالى : (فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ){الصافّات : ١٤٢}وورد الالتقام في موضع واحد هو الموضع المذكور

وتعريف أهل اللغة والتفسير التقم الشيء بقولهم : ابتلعه ، غير دقيق ؛ لأنّ القرآن الكريم ما قال : لقفه ولا ابتلعه ، وإنّما قال (فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ) لأنّه أراد أنّ الحوت لم تدخل موسى عليه السلام في أمعائها بل بقي كاللقمة في في جوف فمها الواسع الذي فيه متسع لأن يتنفس فيه ويبقى حيًّا حتى لفظته ولو ابتلعته لهظم في بطنها

يقول الدكتور زغلول النجّار : ((كنت أقرأ كثيرًا ومنذ سنوات طويلة عن قصة سيّدنا يونس عليه السلام ، لكن قبل سنتين توقفت عند قوله تعالى : (فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ){الصافّات ١٤٢-١٤٦} فقلتُ في نفسي : لماذا قال ربنا تبارك وتعالى : (فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ) فبدأت أدرس طبيعة الحيتان فوجدتُ أنّ هناك مجموعة من الحيتان تُسمَّى الحيتان الزرقاء ، والحوت الأزرق أضخم حيوان خلقه ربّنا تبارك وتعالى ، فهو أضخم من الديناصورات

---

(١) الصحاح ص ٩٥٤ وينظر : لسان العرب ٢٢٤/١ وتاج العروس ٢٤٥/٣٣

وأضخم من القبلة ، فطوله يمكن أن يصل إلى أكثر من ٣٥ مترًا ، ويمكن أن يصل وزنه إلى أكثر من مئة وثمانين طنًّا

وهذا الحيوان على ضخامته لا يأكل إلّا الكائنات الميكروسكوبية الضئيلة التي تُسمّى البلانكتون الكائنات الطافية الهائمة ، فهو لا يملك أسنانًا إطلاقًا ، وله ألواح رأسية يصطاد بها هذه الكائنات .

وطريقة تناوله لطعامه كالآتي : يأخذ بفمه عدة أمتار مكعّبة من الماء ، فيصطاد كمية من هذه الكائنات ، ويخرج الماء من جانبي الفم يعني لا تفلت منه واحدة من البلانكتون

وهذا الحوت على ضخامته لا يبلع بلعومه إلّا هذه الكائنات الدقيقة فإذا دخل فمه أيّ شيء كبير لا يبتلعه ؛ ولذلك بقي سيدنا يونس عليه السلام في فمه كاللقمة ، لهذا قال الله ربّنا الحق (فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ) وما قال : فابتلعه ولا : فمضغه ؛ بل هو لا يعرف كيف يكون الابتلاع والمضغ ؛ لأنّه أهتم ليس له أسنان ، والحوت يتنفّس الأوكسجين ، ولذا فهو يرتفع فوق سطح الماء مرّة كلّ خمس عشرة دقيقة .

وقد قال علماء الحيوان : إنّ لسان الحوت يستطيع أن يقف عليه أكثر من رجل ، والفم مُغلَق وهذا يعني أنّ فم هذا الحوت كان كالغرفة المزوّدة بالأوكسجين وسيّدنا يونس عليه السلام كان جالسًا فيها ؛ ولهذا قال ربّنا وتعالى (فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ) ولم يقل : ابتلعه أو مضغه.

٥-**اللمس والمسّ** : فرّق العسكري ((بين اللمس والمسّ أنّ اللمس يكون باليد ليعرف اللين من الخشونة والحرارة من البرودة ، والمسّ يكون باليد وبالحجر وغير ذلك ولا يقتضي أن يكون باليد ؛ ولهذا قال تعالى : (مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ){البقرة : ٢١٤} وقال تعالى : (وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّـهُ بِضُرٍّ فَلَا

كَاشِفَ لَهُ){الأنعام : ١٧} ولم يقل : يلمسك)) [١]

باب الميم

١ –المجـذوذ والممنـون : المجـذوذ مـن جـذّه يجـذّه جـذًا إذا قطعـه وكسـره [٢] و((الجذّ كسـر الشـيء وتفتيتـه ، ويقـال لحجـارة الـذهب المكسـورة ولفتات الذهب جُذاذ ومنه قوله تعالى : (فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا){الأنبياء : ٥٨} وقال تعالى ☹عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ){هود : ١٠٨}))[٣]و((الجذّ التفتيت والتكسير))[٤] وورد المجذوذ في موضع واحد هو الموضع المذكور

الممنـون : ((الميم والنون أصلان أحدهما يدلّ على قطع وانقطاع ، والآخـر علـى اصـطناع خيـر))[٥]((ومـنّ الحبـلَ يمنّـه منًّـا : قطعـه))[٦]وورد الممنـون فـي أربعـة مواضـع منهـا قولـه تعـالى : (إِنَّ الَّـذِينَ آمَنُـوا وَعَمِلُـوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ){فصلت : ٨} وأهل اللغة والتفسير يذهبون إلى أنّ المجذوذ والممنون معناهما واحد ومعنى كليهما غير مقطوع ، والذي يبدو لي أنّ المجذوذ بما أنّه مأخوذ من الجذّ الذي هو التفتيت والتكسير يكون قولـه : (عَطَـاءً غَيْـرَ مَجْذُوذٍ){هود : ١٠٨} هـو بمعنـى عطـاء غيـر متقطّـع وغير مجزّأ وناقص ، يصل إليهم في وقت وينقطع عنهم في وقت

وبما أنّ الممنون مأخوذ من القطع والانقطاع كقطع الحبل يكون قوله تعـالى : (لَهُمْ أَجْرٌ غَيْـرُ مَمْنُونٍ){فصـلت : ٨} هـو بمعنـى أجـر مسـتمرّ لا

---

(١) الفروق اللغوية ص ٣٣٨

(٢) ينظر : مقاييس اللغة ص ١٤٩

(٣) المفردات ص ٩٥

(٤) عمدة الحفّاظ ٣١٣/١

(٥) مقاييس اللغة ص ٨٤١

(٦) تاج العروس ٩٧/٣٦

ينقطع ، أو يكون معناه أنّ الله سبحانه لا يمنّ عليهم بالأجر الذي كتبه لهم كما يمنّ بخلاء المنعمين [١]

٢-**المحراب والمسجد** ☹(المحراب ، وهو صدر المجلس ، والجمع محاريب)) [٢] و((المحراب عند العامَّة اليوم مقام الإمام في المسجد ، وكانت محاريب بني إسرائيل مساجدهم التي يجتمعون فيها للصلاة)) [٣]و((ومحراب المسجد قيل : سمي بذلك ؛ لأنَّه موضع محاربة الشيطان والهوى ، وقيل : سمي بذلك لكون حق الإنسان فيه حريبًا من أشغال الدنيا ومن توزّع الخواطر ، وقيل : الأصل فيه أنَّ محراب البيت صدر المجلس ، ثمَّ اتخذت المساجد فسمي صدره به ، وقيل : بل المحراب أصله في المسجد ، وهو اسم خُصَّ به صدر المجلس ، فسمي صدر البيت محرابًا تشبيهًا بمحراب المسجد ، وكأنَّ هذا أصحّ))[٤]

وفي الحديث أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم بعث عروة بن مسعود إلى قومه بالطائف فأتاهم ودخل محرابًا له ، فأشرف عليهم عند الفجر ، ثمَّ أذَّن للصلاة ، وهذا يدلَّ على أنَّ المحراب غرفة يُرتقى إليها ، وسمِّي المحراب محرابًا لانفراد الإمام فيه وبعده عن الناس ، والمحراب : صدر البيت وأكرم موضع فيه ، والمحراب : أكرم مجالس الملوك ، والمحراب : الموضع الذي ينفرد فيه الملك فيتباعد من الناس ، والمحاريب : صدور المجالس ومنه سمي محراب المسجد ، ومحراب المسجد : صدره وأشرف

---

(١) ينظر : لسان العرب ١٣٥/١٤ وتاج العروس ١٠٠/٣٦

(٢) مقاييس اللغة ص ٢٠٤

(٣) العين ص ١٨٠

(٤) المفردات ص ١١٧

موضع فيه ، والمحراب : القصر ، والمحراب : الغرفة والمكان العالي[١] فهذا هو معنى المحراب في اللغة ، أمَّا المسجد فهو ((موضع الصلاة اعتبارًا بالسجود)) [٢] يعني : أنَّ مكانًا يصلَّى فيه صلاة لا سجود فيها لا يسمَّى مسجدًا ، فالفرق واضح بين المحراب والمسجد .

قال الطبري في تفسير قوله تعالى : (يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاء مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ){سبأ : ١٣}((يعني تعالى ذكره : يعمل الجنّ لسليمان ما يشاء من محاريب ، وهي جمع محراب ، والمحراب مقدم كلِّ مسجد ، وبيت ، ومصلَّى٠٠٠وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل))[٣] وقال الزجاج : ((المحراب : الذي يُصلَّى فيه ، وأشرف موضع في الدار وفي البيت يقال له المحراب))[٤] وقال الواحدي : (((يَعْمَلُونَ لَهُ) لسليمان (مَا يَشَاء مِن مَّحَارِيبَ) من الأبنية الرفيعة والقصور ، قال المفسرون : فبنوا له الأبنية العجيبة باليمن صرواح ومرواح وقلثون وهندة وهنيدة وقلثوم وعمدان وبيتون ، وهذه حصون باليمن عملتها الشياطين)) [٥]

وقال الطبري في تفسير قوله تعالى : (إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ){ص :٢١} ((وقوله : (إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ) يقول : دخلوا عليه من غير باب المحراب ، والمحراب مقدَّم كل مجلس وبيت وأشرفه))[٦]وقال

---

(١) ينظر : تهذيب اللغة للأزهري ٧٧٢/١ والمحكم لابن سيده ٣١٤/٣ ولسان العرب : ٧١/٤ وتاج العروس ١٥٦/٢-١٥٧

(٢) ينظر : المفردات للراغب ص٢٣١

(٣) جامع البيان ٨٤/٢٢

(٤) معاني القرآن وإعرابه ١٨٦/٤

(٥) الوسيط ٤٨٩/٣

(٦) جامع البيان ١٦٦/٢٣

الواحدي : ((قوله تعالى : (إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ) يقال : تسورتُ الحائط والسور إذا علوته٠٠٠والمحراب ها هنا كالغرفة))[١]وقال ابن الجوزي : (((تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ)٠٠٠والمحراب ها هنا كالغرفة٠٠٠وَ(تَسَوَّرُوا) يدلَّ على علوّ))[٢]

وقال الواحدي في تفسير قوله تعالى : (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ){مريم : ١١}((فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ) : ((قال ابن زيد : من مصلاّه)) [٣] وقال ابن عطية : ((وقوله تعالى : (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ) المعنى : أنَّ الله تعالى أظهر الآية بأن خرج زكريا من محرابه ، وهو موضع مصلاه و(الْمِحْرَابِ) أرفع المواضع والمباني ، واختلف الناس في اشتقاقه فقالت فرقة : هو مأخوذ من الحَرْب كأنَّ ملازمه يحارب الشيطان والشهوات ، وقالت فرقة : هو مأخوذ من الحَرَب بفتح الراء كأنَّ ملازمه يلقى منه حربًا ونصبًا))[٤]

فقد تبيَّن من كلام أهل اللغة والتفسير أنَّ المحراب غير المسجد في اشتقاقه ودلالته ، وإذا جاء في بعض التفاسير تفسير المحراب في المسجد فهو من باب الإيضاح ، على أنَّ مصلَّيات بني إسرائيل كانت تقابل مساجد المسلمين ، قال الحلبي : ((المحراب لفظ قديم قبل حدوث المساجد ، فإنَّ المساجد ومحاريبها عرف شرعي))[٥] لذلك أطلَق القرآن الكريم لفظ المحراب على معابد بني إسرائيل ، كقوله تعالى : (فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي

---

(١) الوسيط ٥٤٦/٣

(٢) زاد المسير ١٦/٧

(٣) الوسيط ١٧٨/٣

(٤) المحرر الوجيز ٧/٤

(٥) عمدة الحفاظ ٣٨٥/١

فِي الْمِحْرَابِ){آل عمران : ٣٩}ولم يطلقه على مساجد المسلمين ، ولم يطلق لفظ المساجد على معابد بني إسرائيل إلاَّ المسجد الأقصى

٣-**المريء والهنيء : الهنيء** : قال ابن فارس : ((الهاء والنون والهمزة يدلّ على إصابة خير من دون مشقة ، والهَنء (بفتح الهاء) العطية ، وهو مصدر ، والاسم : الهِنء (بكسر الهاء) ، والهنيء : الأمر : يأتيك من غير مشقة))[1] وقال الراغب : ((الهنيء : كل ما لا يلحق فيه مشقة)) [2]

-**المريء** : ((المريء : رأس المعدة والكَرِش اللازق بالحلقوم))[3]

قال الله تعالى : (فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا){النساء : ٤}

وقال تعالى : (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ){الحاقة : ٢٤}

جاء في التفسير : (((هَنِيئًا مَّرِيئًا) صفتان مِن هنُؤ الطعام ومرُؤ : إذا كان سائغًا لا تنغيص فيه)) [4]

وقال الواحدي في النساء : ((معنى الهنيء : الطيّب المساغ الذي لا ينقصه شيء ، والمريء : المحمود العاقبة التام الهضم الذي لا يضر ولا يؤذي)) [5]

([1]) مقاييس اللغة ص ٩٤١

([2]) المفردات ص ٥٧١ .

([3]) مقاييس اللغة ص ٨٥٨

([4]) البحر المحيط ٢١٦/٣.، ٤٥٧/٨ وينظر : جامع البيان ٣٠٢/٤ ، ٧٣/٢٩ وزاد المسير ٩/٢ والجامع لأحكام القرآن ٢٣/٥ ، ٢٠١/١٨ ومدارك التنزيل ص ٢١٠ ، ١٢٧٥

([5]) الوسيط ١١/٢ .

وقال الزمخشري : ((الهنيء والمريء صفتان مِن هنؤ الطعام ومرؤ : إذا كان سائغًا لا تنغيص فيه ، وقيل : الهنيء : ما يلذه الأكل ، والمريء : ما يحمد عاقبته ، وقيل : هو ما ينساغ في مجراه ، وقيل لمدخل الطعام من الحلقوم إلى فم المعدة : المريء لمرور الطعام فيه ، وهو السياغة)) [١]

٤-**المشاعر والمناسك** ☹(النون والسين والكاف أصل صحيح يدل على عبادة وتقرب إلى الله تعالى ، ورجل ناسك ، والذبيحة التي تتقرب بها إلى الله نسيكة ، والمَنْسِك : الموضع : يُذبَح فيه النسائك ، ولا يكون ذلك إلّا في القربان)) [٢]

والمشاعر هي أسماء مواضع أُعْلِمَتْ للناس بأسمائها وأماكنها ، فجاز أن تُسمَّى مشاعر ، لأنَّها أصبحت معالم بالتعرف إليها يعلم الناس أين تكون ، وجاز أن تُسمَّى مناسك ؛ لأنَّ فيها من دون غيرها تُؤدى أمور العبادة ، فالكعبة مثلًا تسمى مشعرًا ، لأنَّه قد علمها الناس اسمًا وموضعًا ، وتسمى منسكًا لأنَّ فيها تحصل تأدية ركن من أركان الحج ، وهو الطواف ، وكذلك الشعائر ، فالطواف يسمى شعيرة ؛ لأنَّه علمه الناس طوافًا بالطريقة التي يُؤدَّى ، وهو دوران الإنسان حول الكعبة سبع دورات ، ومن اليسار إلى اليمين ، ويسمى أيضًا نُسكًا ؛ لأنَّ القيام بهذا العمل مع النية تتم تأدية ركن من أركان الحج ، فالبَدَنَة التي تُهْدى تسمى شعيرة عندما تُجعل فيها علامة ، وهي أن يُجَزَّ أصل سنامها حتى يسيل الدم فيُعْلَم أنَّها هَدْيٌ ، فعند ذبحها تقربًا لله تسمى نسيكة ، وهذا هو حال مواضع الحج وأعماله وأركانه ، فإذا قُصِد منها معنى الإعلام سُمِّيت مشاعر وشعائر ، وإذا قُصِد منها معنى العبادة سميت مناسك

---

(١) الكشاف ٤٦١/١ .

(٢) مقاييس اللغة ص ٨٩٦ .

٥-**المنـي والنُّطفـة** : ((المَنْـيُ : التقدير ، يقال : منى لك الماني ، أي : قدّر لك المقدّر ، ومنه المَنا الذي يوزن به فيما قيل ، والمَنيُّ للذي قُدِّرَ به الحيوانات قال تعالى : (أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ){القيامة :٣٧} أي : تُقَدَّر بالعزّة الإلهية ما لم يكن منه ، ومنه المنيّة وهو الأجل المقدّر للحيوان وجمعه مَنايا ، والتمنّي تقدير شيء في النفس وتصويره))(١)

والنُّطْفة : الماء الصافي ويُعبَّر بها عن ماء الرجل قال تعالى : (ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ){المؤمنون : ١٣}))(٢)

وفرّق العسكري ((بين النُّطفة والمَنِيُّ أنّ قولك : النطفة يفيد أنّها ماء قليل ، والماء القليل تسمّيه العرب النّطفَة يقولون هذه نُطفة عذبة أي : ماء عذب ثمّ استعمال النطفة في المنيّحتى صار لا يُعرَف بإطلاقه غيره ، وقولنا المنيّ يفيد أنّ الولد يُقدَّر منه ، وهو من قولك : منى الله له كذا أي : قدّره ، ومنه المنا الذي يوزن به ؛ لأنّه مقدّر تقديرًا معلومًا))(٣)

وقد وردت النطفة في القرآن الكريم في اثنـي عشر موضعًا وورد المنيّ في موضع واحد وهو مقترن بالنطفة ، والنطفة تسمّى نطفة بعد استقرارها في الرحم ، (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ){المؤمنون : ١٢-١٣}وفي هذه الحالة تكون النطفة مركبة من ماء الرجل وماء المرأة ، قال تعالى : (إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا){الإنسان : ٢}((مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ) أي : من نطفة قد امتزج فيها الماءان))(٤) وقال تعالى : (فَلْيَنظُرِ

---

(١) المفردات ص ٤٩٦

(٢) المفردات ص ٥١٨

(٣) الفروق اللغوية ص ٣٤٨

(٤) مدارك التنزيل ص ١٣٠٥

الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ){الطارق : ٥-٧} أي : يخرج ((من صلب الرجل وترائب المرأة))[١] أي : من ماء الرجل وماء المرأة ، أمّا المني فهو ما يمنيه الرجل ؛ لذلك لم يسمّه منيًّا إلّا في حال تدفقه ،كقوله تعالى : (أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ){القيامة :٣٧}((وقوله تعالى : ((مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ) يُصَبُّ في الرحم))[٢] ((أي : يراق المنيّ في الرحم))[٣]

وخلق الإنسان لا يحصل من ماء الرجل وحده ، وإنّما يحصل من النطفة التي هي مؤلفة من اجتماع ماء الرجل بماء المرأة واختلاطهما ، كقوله تعالى : (خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ){النحل : ٤}وقوله تعالى : (قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا){الكهف : ٣٧} أي : يحصل من النطفة لا من المني ؛ لذلك علّق الخلق على الأوّل من دون الثاني

٦-**الموت والهلاك** : قال الراغب : ((الهلاك على ثلاثة أوجه : افتقاد الشيء عنك ، وهو عند غيرك موجود كقوله تعالى : (هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ){الحاقة : ٢٩} وهلاك الشيء باستحالة وفساد كقوله تعالى : (وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ){البقر : ٢٠٥} ويقال : هلك الطعام ، والثالث : الموت ، كقوله تعالى : (إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ){النساء : ١٧٦} وقال تعالى مخبرًا عن الكفّار : (وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ){الجاثية : ٢٤} ولم يذكر الله الموت بلفظ الهلاك حيث لم يُقصَد الذمُّ إلّا في هذا الموضع وفي قوله تعالى : (وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ ۖ

(١) مدارك التنزيل ص ١٣٣٨

(٢) الوسيط ٣٩٦/٤

(٣) مدارك التنزيل ص ١٣٠٤

حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا){غافر : وذلك لفائدة يختصُّ ذكرُها بما بعد هذا الكتاب))[(١)]

وبعد هذا الكتاب كتاب الياء فلم أجد فيه ذكرًا لهذه الفائدة ، والفرق بين الموت والهلاك أنّ الهلاك أعمّ من الموت ، فيدخل في معنى الهلاك الموت والقتل ومن مات غرقًا أو حرقًا أو بسمّ ، أي : يعني كلّ حالاته لأيّ سبب كان ، والفرق الثاني هلاك الشيء يعني فناءه وفناء آثاره ، فاستعمل الهلاك في يوسف عليه السلام لأمرين ، الأول : أنّ قومه كانوا كافرين وكانوا ممن أخبر الله عنهم قولهم : (وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ){الجاثية : ٢٤} فكانت هذه هي عقيدتهم أنّ من يموت يهلك فلا بعث ولا نشور وقد قالها مؤمن آل فرعون عن لسانهم ، والثاني : أنّ كتب التاريخ وكتب التفسير لم تذكر أنّ يوسف عليه السلام قد تزوّج ، فلم يثبت أنّه تزوج امرأة العزيز أو غيرها ، لذلك عبّروا عن موته بهلاكه ؛ لأنّه لم يترك من بعده أثرًا من نسل وذرّيّة ، وكذلك قوله تعالى : (إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ){النساء : ١٧٦} فقد استعمل الهلاك في قضية الميراث لأمرين ، الأوّل : أنّه استعمل الهلاك لأنّه أعم من الموت ، أنّ هذا هو شرع الله في ميراث المعنيّ سواء مات أو قُتِل ، أو عُدِمَ أو فُقِد أو لأي سبب كان هلاكه ، والثاني : أنّ المراد من مات ليس له والد ولا ولد ،فهو يختلف عمّن يموت وله ولد ، إذ يبقى أصله وذكره بولده وذريَّته ، أمّا من مات وليس له ولد فإنّه بموته يستأصل أصله وعقبه ونسله ؛ لذلك عبّر عن موته بهلاكه .

٧-**الموت والنوم والوفاة : الوفاة :** ((الواو والفاء والحرف المعتل : كلمة تدلّ على إكمال وإتمام ، ومنه الوفاء : إتمام العهد، وإكمال الشرط٠٠٠ويقولون : أوفيتك الشيء : إذا قضيته إياه وافيًا ، وتوفيتُ الشيء

---

(١) المفردات ص ٥٦٩-٥٧٠.

واستوفيته : إذا أخذته كله حتى لم تترك منه شيئًا ، ومنه يقال للميت : توفاه الله))[1]و((كل شيء بلغ تمام الكمال فقد وفّى وتمّ ٠٠٠وتقول أوفيته حقه ، ووفيته أجره كله وحسابه، ونحو ذلك ، والوفاة المنية وتوفى فلان ، وتوفاه الله: إذا قبض نفسه)) [2]((والوفاة : اسم للموت ؛ لأنَّه يكون عند استيفاء العمر)) [3]

-**العلاقة بين النوم والموت** : إنَّ الإنسان عند نومه تخرج منه روحه ، وتبقى نفسه ، فمن الأدعية المشهورة أنَّ الرسول ﷺ، كان يقول عند استيقاظه من نومه : الحمد الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور ، ومن الأدعية المأثورة عنه عليه الصلاة والسلام ، أن يقول المسلم إذا استيقظ صباحًا : الحمد لله الذي رد إلي روحي وعافاني في جسدي وأذن لي بذكره .

وقد أدرك علماء المسلمين القدامى هذه الحقيقة ، فقد ذكر مثلا أبو حامد الغزالي أن للإنسان روحين، روحًا إنسانية ، وروحًا بهيمية ، وأنَّ الإنسان عند نومه تصعد روحه الإنسانية التي لا تحتاج لتعيش وتحيا إلى الأكل والشرب والتنفس ، وتبقى الروح البهيمية التي تحتاج إلى ذلك، ، ومنهم من ذكر أنَّ الإنسان ثلاثة أقسام : جسد وروح ونفس ، وأنَّ الإنسان إذا نام صعدت روحه ، وبقيت نفسه وجسده .

-**العلاقة بين الموت والوفاة** : عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: فلا يستبطئن أحد منكم رزقه فإن جبريل ألقى في روعي (بضم الراء، أي: ألقى في قلبي أو في نفسي أو في صدري) أن أحدًا منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه، فاتقوا الله أيها الناس وأجملوا في

---

(١) مقاييس اللغة ص ٩٦٢ .

(٢) العين ص ١٠٦٠ .

(٣) نزهة الأعين ص ٨١.

الطلب فإن استبطأ احد منكم رزقه (أي: إذا تأخر عنه رزقه فليصبر) فلا يطلبه بمعصية الله فان الله لا ينال فضله بمعصيته، رواه الحاكم.

وعنه صلى الله عليه وسلم : أنّ نفسًا لن تموت حتى تستكمل رزقها رواه الطبراني في معجمه الكبير وصححه الألباني

وعنه صلى الله عليه وسلّم : إنّ روح القدس (يعني جبريل) نفثَ في رُوعي أنّ نفسًا لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ، ولا يحملنّ أحدَكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصيةٍ فإنّ الله تعالى لا يُنالُ ما عنده إلّا بطاعته رواه أبو نعيم في حلية الأولياء حسّنه كثير من أهل العلم وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم ٢٠٨٥

فهذا الحديث يحدد الفرق بين الوفاة والموت ، فالموت هو الموتوهو فبض الروح والنفس ، واستكمال الأجل واستكمال الرزق واستيعابه هو الوفاة ، فالموت لا يكون إلّا بعد الوفاة ، فمن أكمل وأتمَّ اللهعمره ورزقه حتى الهواء والنَّفَس ، أي : وفَّى الله له ذلك كله ، أماته الله في الحال من غير إمهال ، فهذا يعني أنّ الوفاة تكون قبل الموت مباشرة . لكنّها ملازمة له ومتصلة به من دون أن يكون بينهما مهلة زمنية

فالله سبحانه وتعالى لا ينيم الإنسان إلّا بعد أن يوفيه كل ما كُتب له من رزق في ذلك اليوم ، ولم يرفع عيسى عليه السلام إليه في السماء إلّا بعد أن وفَّاه الله كل ما كُتِب له من عمل من يوم ولادته إلى يوم رفعه إليه ، وكذلك لا يميت الله أيَّ إنسان ، ولا يقبض نفسه وروحه إلّا بعد أن يوفيه كل ما كتب الله له من رزق وعمر وأولاد وأموال ، لذلك فإن الوفاة تسبق الموت ؛ كما قلتُ ؛ لأنَّ موت الإنسان لا يكون إلّا بعد أن يوفي الله ما لهذا الإنسان عند الله .

٨-**المولود والولد** : يُطلَق الولد على ولد الوالد وولد ولده ، أي :

يُطلَق على أولادك وأحفادك ، أمّا المولود فيُطلَق على من وُلِدَ منك من غير واسطةويدلّ عليه قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا){لقمان : ٣٣}((فإنّه تضمّن نفي النفع والشفاعة بأبلغ وجه ، فكأنّه قيل : إنّ الواحد منهم لو شفع للأب الأدنى الذي وُلِد منه لم تُقبَل شفاعته ، فضلًا أن يشفع لمن فوقه))(١)

٩-**الميد والميل** : قال الخليل : ((والمائدة الخوان اشتُقَّت من الميد ، وهو الذهاب والمجيء والاضطراب))(٢) وقال الراغب : ((الميد اضطراب الشيء العظيم قال تعالى : (وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ){النحل : ١٥}))(٣) و((الميل العدول عن الوسط إلى أحد الجانبين))(٤)

وفرّق العسكري ((بين الميل والميد أنّ الميل يكون في جانب واحد ، والميد أن يميل مرّة يَمْنَة ومرّة يَسْرَة ومنه قوله تعالى : (وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ){الأنبياء : ٣١} أيتضطرب يَمْنَة ويَسْرَة))(٥)

باب النون

١-**النزول والهبوط** :((الهبوط : الانحدار على سبيل القهر ، كهبوط الحجر ... وإذا استعمل في الإنسان فعلى سبيل الاستخفاف بخلاف الإنزال ؛ فإنَّ الإنزال ذكره تعالى في الأشياء التي نبَّه على شرفها ، كإنزال الملائكة والقرآن والمطر وغير ذلك ، والهبط ذُكِر حيث نبَّه على الغضِّ نحو قوله تعالى : (وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ){البقرة : ٣٦} وقوله

---

(١) فروق اللغات لابن نعمة الله الجزائري ص ٦٢

(٢) العين ص ٩٣٠

(٣) المفردات ص ٤٩٨

(٤) المفردات ص ٤٩٩

(٥) الفروق اللغوية ص ٢٤٢

تعالى : (قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ){الأعراف : ١٣} وقوله تعالى : (اهْبِطُواْ مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ){البقرة : ٦١} وليس في قوله (فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ) تعظيم وتشريف ؛ ألا ترى أنَّه تعالى قال : (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ) وقال جل ثناؤه : (قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً){البقرة : ٣٨}))[١]

وهناك فرق آخر ، وهو ((أنَّ الهبوط نزول يعقبه إقامة ، ومن ثَمَّ قيل : هبطنا مكان كذا ، أي : نزلناه ، ومنه قوله تعالى : (اهْبِطُواْ مِصْراً) وقوله تعالى : (قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً) ومعناه : انزلوا الأرض للإقامة فيها ، ولا يقال : هبط الأرض إلّا إذا استقر فيها ، ويقال : نزل ، وإن لم يستقر))[٢].

٢-**النصير والولي** : فرّق العسكري بين النصير والولي بـ((أنّ الولاية قد تكون بإخلاص المودّة ، والنصرة تكون بالمعونة والتقوية))[٣]

قال الله تعالى : (وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ){البقرة : ١٠٧}والمعنى : ((وما لكم من دون الله وليٌّ يلي أموركم ، ولا نصير يمنعكم من العذاب))[٤]

٣-**النقض والنكث** : قال تعالى في النقض : (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ){المائدة : ١٣} وقال تعالى في النكث : (أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ){التوبة : ١٣}والنقض هو إفساد ما أبرمت من عقد ونقض البناء يعني هدمه ونقض الحبل يعني قطعه ، والنكث نقض ما تعقده فهو يُطلَق

---

(١) المفردات ص ٥٦١ وينظر : عمدة الحفاظ للحلبي ٢٣٨/٤

(٢) الفروق اللغوية للعسكري ص ٣٣١

(٣) الفروق اللغوية ص ٢١٤

(٤) مدارك التنزيل ص ٧١

على نقض العقد فقط ، فيكون الفرق بينهما أنّ النقض أبلغ وأعمّ من النكث ، فكلّ نكث نقض وليس كلّ نقض نكثًا[1]

باب الهاء

١-الهون (بفتح الهاء وضمّها) : الهون بالفتح ((تذلل الإنسان في نفسه لما لا يلحق به غضاضة فيُمدَح به كقوله تعالى : (وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا){الفرقان : ٦٣} فالهَون بالفتح الترفّق والتثبّت واللين وهو الوقار

والهُون بالضم أن يكون من جهة متسلِّط مستخفٍّ فيُذَمّ به وهو الذل والعار كقوله تعالى : (فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ){الأحقاف : ٢٠}وقوله تعالى : (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ){النحل : ٥٨-٥٩}[2]

باب الواو

١-الوِرْد والعطش : ((الوِرد : وقت يوم الوِرد بين الظمئين ، وهو وقتان...وقوله تعالى : (وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا){مريم : ٨٦} يُفسَّر عَطاشى ، معناه : كما تساق الإبل يوم وقتها وِردًا وِردًا)) [3] و((قال الأزهري : مشاة عِطاشًا ، كالإبل التي ترد الماء ، وقال ابن عرفة : الوِرْدُ : القوم يردون الماءَ ، فسمي العطاش وِردًا لطلبهم ورود الماء))[4] لأنَّ الوِرد

---

(١) ينظر : لسان العرب ٣٣٩/١٤ ، ٣٥٠

(٢) ينظر : المفردات ص ٥٧٣ وعمدة الحفّاظ ٢٦٦/٤

(٣) العين ص ١٠٤٥

(٤) عمدة الحفاظ للحلبي ٣٠١/٤

يعني الوارد الذي يرد إلى الماء ، إنَّما يرده ليطفئ حرَّ العطش ، ويذهب ظمأه ، أي : إنَّما يراد من الورد لتسكين العطش وتبريد الأكباد ، والنار ضدّه[1] فقد شُبِّه سوقهم إلى جهنم بورود الإبل للماء للارتواء ، أي : أنَّ الورود دافعه وسببه العطش ، وهذا يدخل ضمن المجاز المرسل ، وهو ما كان من غير طريق التشبيه ، وعلاقاته أنواع ، منها علاقة السببية ، وهو كون الشيء المنقول عنه سببًا ومؤثِّرًا في شيء آخر نحو : رعت الماشية المطر ، أي : رعت العُشْبَ ، فسمَّى المسَبَّب باسم السبب ، أي : سمَّى العشب باسم المطر ، ومن ذلك علاقة المُسَبَّبيَّة ، وهو تسمية السبب باسم المَسَبَّب ، نحو : أمطرت السماء عُشبًا ، أي : تسمية الماء باسم العشب ، ومن هذا قوله تعالى : (وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا) حيث سمَّى العطاش باسم الورد ، فالعلاقة مسبَّبيَّة

٢-الوَقْرُ بفتح الواو والوِقْر بكسرها :الوقْر بالفتح ثقل في الأذن والوِقْر بالكسر الثقل يُحمَل على ظهر أو على رأس ، يقال : جاء يحمل وِقره ، وقيل : الوِقْر : الحمل الثقيل ، وأكثر ما يُستعمَلُ الوِقْرُ في حمل البغل والحمار والوسق في حمل البعير[2]وقد ورد الوَقْر بالفتح في ستة مواضع اقترن في جميعها بالإذن من ذلك قوله تعالى : (وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا){الأنعام : ٢٥}((أي : ثقلًا يمنع من السمع ووحّد الوقر ؛ لأنّه مصدر)) [3]

([1]) ينظر : الكشاف للزمخشري ٤١٠/٢ وفتح القدير للشوكاني ٦٦٦/٢

([2]) ينظر : الصحاح ص ١١٥٣ ولسان العرب ٢٥٦/١٥وعمدة الحفّاظ ٣٢١/٤ والمصباح المنير ص ٦٦٨

([3]) مدارك التنزيل ص ٣١٧

وورد الوِقْر بالكسر في موضع واحد وهو قوله تعالى : (وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا){الذاريات : ٢}والحاملات : ((السحاب ؛ لأنّها تحمل المطر)) [١]

باب الياء

١–يترك الشيء ويدعه ويذره ويغادره :لم أجد في كتب اللغة والتفسير من تطرّق إلى ذكر الفرق بين هذه الأفعال ، وقد ورد الترك فعلًا كامل التصرف ، فقد جاء منه الماضي والمضارع والأمر واسم الفاعل ، أمّا الفعلان الآخران فقد ورد منهما المضارع والأمر ، ولم يرد منهما الماضي ؛ ولذلك استعمل الماضي من الترك من دونهما كقوله تعالى : (وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ){النساء : ١٢} واستعمل أيضًا من الترك اسم الفاعل من دونهما كقوله تعالى : (فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ){هود : ١٢}

((والترك عند العرب : تخليف الشيء في المكان الذي هو فيه والانصراف عنه ؛ ولهذا يسمّون بيضة النعامة تريكة ؛ لأنّ النعامة تنصرف عنها ، والتريكة : الروضة يغفلها النّاس ولا يرعونها))[٢] كقوله تعالى : (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث){الأعراف : ١٧٦} وقوله تعالى : (أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ){العنكبوت : ٢} وقوله تعالى : (أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى){القيامٰ : ٣٣٦}وقوله

---

(١) مدارك التنزيل ص ١١٦٦

(٢) الفروق اللغوية للعسكري ص ١٢٩

تعالى : (وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا){الجمعة : ١١}
وقوله تعالى : (أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ){الشعراء : ١٤٦}

ولم يرد من الفعل الثاني إلّا الأمر وفي موضع واحد ، وهو قوله تعالى : (وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا){الأحزاب : ٤٨}

والدعة : الخفض ، وَدُعَ الرجلُ فهو وديع ، أي : ساكن ، أي : صاحب دعة وراحة ، وفي الحديث : لَينتَهِيَنَّ أقوام عن وَدْعِهم الجمعات أو لَيُخْتَمَنَّ على قلوبهم[1] أي : عن تركهم إيَّاها والتخلّف عنها ، يقال : وَدَعَ الشيءَ يدَعُه وَدْعًا إذا تركه ، وقد جاء الماضي في بعض الأشعار ، والنحاة يقولون : إنَّ العرب أماتوا ماضي يَدَعُ ومصدره ، واستغنوا عنه بـ(تَرَكَ) والنبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، أفصح من نطق بالضاد ، وإنّما يُحمَل قولهم على قلّة استعماله ، فهو شاذّ في الاستعمال ، صحيح في القياس وقد جاء في غير حديث

وَدُعَ الرجلُ يَوْدَعُ دَعَةً ووداعة ، زاد ابن برّي وودَعَهُ فهو وديع ووادع ، أي : ساكن٠٠٠ويقال : وَدَعَ الرجلُ يَدَعُ إذا صار إلى الدعة والسكون٠٠٠وقولهم : عليك بالمودوع ، أي : بالسكينة والوقار٠٠٠وعن الفرّاء : وفي الحديث : إذا لم ينكر الناس المنكَر فقد تُودِّعَ منهم ، أي : أُهملوا وما يرتكبون من المعاصي حتى يكثروا منها ولم يهدوا إلى رشدهم حتى يستوجبوا العقوبة فيعاقبهم الله ، وأصله من التوديع وهو الترك ، وهو

(1) أخرجه مسلم والنسائي

من المجاز ؛ لأنّ المعتني بإصلاح شأن الرجل إذا يئس من صلاحه تركه واستراح من معاناة النصب معه[1]

فقوله تعالى ☹وَدَعْ أَذَاهُمْ) يعني : تركهممع دعة وراحة وسكون ووقار يعني تركهم بعدم الاهتمام بهم وعدم مقابلة أذاهم بالأذى وعدم الاشتغال بهم بالردّ عليهم فهو بمعنى قوله تعالى : (وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا){الفرقان : ٦٣}

وأمّا الفعل الثالث : ذر ويذر ، فهو من الوذرة : القطعة الصغيرة من اللحم ، وقيل : أصل ذلك من القذف ، يقال : فلان يذر الشيءَ ، أي : يقذفه لقلّة اعتداده به وعدم المبالاة به وقولهم : ذرني وفلان ، أي : كِلْهُ إليَّ ، ولا تشغل قلبك به ، وبه فُسِّر قوله تعالى : (فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ){القلم : ٤٤}[2]

فيذر الشيءَ يعني تركهلقلة الاعتداد به ولعدم المبالاة به كقوله تعالى : (وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ){الأنبياء : ٨٩} أي : دعا ربّه أن لا يدعه وحيدًا بلا وارث[3]وقوله تعالى : (فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ){القلم : ٤٤}((يقال : ذرني وإيّاه ، أي : كله إليَّ ، فإنّي أكفيكه))[4]وقوله تعالى : (أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ){الشعراء ١٦٥-١٦٦}

---

(1) ينظر : الصحاح ص ١١٣١ والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير الجزري ٨٣٤/٢ ولسان العرب ١٨٦/١٥-١٨٧ والمصباح المنير ص٦٥٣

(2) ينظر : لسان العرب ١٥/ ١٨٦-١٨٧ وعمدة الحفّاظ ٢٩٧/٤-٢٩٨ وتاج العروس ١٩٤/١٤

(3) ينظر : مدارك التنزيل ص ٧٢٥

(4) ينظر : مدارك التنزيل ص ١٢٧٠

وقوله تعالى : (وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا){البقرة : ٢٣٤}قال : ويذرون ، لأنّ الخطاب موجّه إلى من صاروا ينتظرون انقضاء العدة ، للزواج من غيرهم مما يدلّ عل قلّة الاعتداد بأزواجهم المتوفَّينَ وعدم المبالاة بهم ، وقوله تعالى : (أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ){الصافات : ١٢٥}وقوله تعالى : (كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ){القيامة : ٢١} وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ){البقرة : ٢٧٨} وقوله تعالى : (وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ)}الأنعام : ١٢٠}

فتأمّل أنّ فعل الوذر استعمل بمعنى ترك الشيء لقلّة الاعتداد به وعدم المبالاة به ، وليس كذلك الترك فقد قال تعالى : (وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ){الدخان ٢٤} فقال : واترك ، ولم يقل : وذر ؛ لأنّه ما أراد أن يترك البحر لقلّة الاهتمام به وعدم المبالاة به ؛ لأنّه بحر مبارك فبه نجا موسى عليه السلام من فرعون وجنوده وانتصر عليهم بغرقهم فيه

ويغادر غير ما تقدّم من الأفعال ، قال الراغب : ((الغدر : الإخلال بالشيء وتركه ، والغدر يقال لترك العهد ومنه قيل : فلان غادر٠٠٠قال تعالى : (وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا){الكهف : ٤٧-٤٩}))[1]

([1]) المفردات ص ٣٧٢

((والغدر : الترك ، ومنه قولهم : غدر فلان عهد فلان ، أي : ترك حفظه ومراعاته ، وقيل الغدر : الإخلال بالشيء وتركه، ومنه : الغدير للماء ؛ لأنّه تركه السيل في مستنقع٠٠٠وغدرت الشاة فهي غَدِرَةٌ ، أي : تخلّفتْ وتركت أصحابها))[1]((وإنَّما سُمِّيَ الغدير غديرًا ؛ لأنّ الماء ذهب وتركه))[2]

فمغادرة الشيء يعني تركه والتخلّي عنه ونسيانه وإهماله ، فقوله تعالى : (لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً) يعني لا يترك صغيرة ولا كبيرة ثم يتخلّى عنها ويهملها وينساها بعد تركها ولذلك قال : (إِلَّا أَحْصَاهَا)

ثَبَت المصادر والمراجع

-الإتقان في علوم القرآن ، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت : ٩١١) تحقيق محمد سالم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ٢٠١٠م

-أساس البلاغة ، لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري(ت : ٥٣٨) قراءة وضبط وشرح د-محمد نبيل طريفي ، الطبعة الأولى ، دار صادر ، بيروت ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م .

-أسباب النزول لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت : ٤٦٨هـ) الطبعة الأولى ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م .

-إعراب القرآن ، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت : ٣٣٨هـ) اعتنى به الشيخ خالد العلي ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٧هـ =٢٠٠٦م .

---

(1) عمدة الحفّاظ ٣/١٥٣-١٥٤

(2) فتح القدير ٣٦١

-الأعلام لخير الدين الزِرِكْلي (بكسرالزاي والراء) ،الطبعة السادسة عشرة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ٢٠٠٥م.

-أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، المعروف بتفسير البيضاوي ، لناصر الدين أبي الخير ، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي (ت : ٦٩١هـ) إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشي ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان (د-ت) .

-البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، (ت : ٧٤٥هـ) حقق أُصوله الدكتور عبد الرزاق المهيدي ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي، بيروت،١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

-البرهان في توجيه متشابه القرآن لمحمود بن حمزة الكرماني (ت : ٥٠٥هـ) تحقيق عبد القادر عطا ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٦هـ=١٩٨٦م

- البرهان في علوم القرآن للزركشي (ت٧٩٤هـ) بدر الدين بن محمد، تحقيق : محمد أبي الفضل ، الطبعة الثالثة، بيروت .

-بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت : ٨١٧هـ) تحقيق الأستاذ محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ،بيروت (د-ت)

-بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي، الطبعة الأولى ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م -تأويل مشكل القرآن ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوَري (ت : ٢٧٦هـ) الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م

-تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى بن محمد الحيني الزَّبيدي (ت :١٢٠٥هـ) اعتنى به ووضع حواشيه الدكتور عبد

المنعم خليل إبراهيم والأستاذ كريم سيد محمد محمود ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ،بيروت ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٧م .

-التبيان في إعراب القران لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت:٦١٦هـ)، دار الفكر، بيروت ، ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م.

-تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد (تفسير ابن عاشور) محمد الطاهر ابن عاشور (١٣٩٣هـ) مؤسسة التاريخ العربي ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.

-التعريفات ، لأبي الحسن علي بن محممد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف (ت : ٨١٦هـ) العراق بغداد (د-ت) .

-تفسير غريب القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(ت : ٢٧٦) تحقيق السيد أحمد صفر ، المكتبة العلمية ، بيروت ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م .

-تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ت٧٧٤هـ) عماد الدين أبي الفداء اسماعيل الدمسقي ، علق عليه وخرَّج أحاديثه هاني الحاج ، المكتبة التوفيقية ، مصر ، القاهرة (د-ت) .

-تفسير مقاتل بن سليمان (ت : ١٥٠هـ) تحقيق أحمد فريد ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٤هـ =٢٠٠٣م .

-تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت : ٣٧٠هـ) تحقيق د-رياض زكي قاسم ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ١٤٢٢هـ=٢٠٠١م .

- جامع البيان عن تأويل أي القران، لمحمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) ، ضبط وتعليق محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٦هـ= ٢٠٠٦م.

- الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت :٦٧١هـ) تحقيق الدكتور حامد أحمد الطاهر ، الطبعة الأولى ، دار العلم الجديد ، القاهرة ١٤٣١هـ=٢٠١٠م .

-جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد ، لابن ظاهر المغربي المالكي ، المتوفى ١٠٩٤هـ، ضبطه وصححه محمد عبد الخالق الزناتي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٣هـ =٢٠٠٢م

- الجنى الداني في حروف المعاني ، للحسن بن قاسم المرادي (ت: ٧٤٩هـ) تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، والدكتور محمد نديم فاضل ، الطبعة الأُولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٣٠هـ =١٩٩٢م

-الجواهر الحسان في تفسير القرآن لأبي زيد الثعالبي المالكي المغربي (ت : ٨٧٥هـ) تحقيق الشيخ علي محمد معوّض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ١٤١٨هـ=١٩٩٧م

-الحجة في علل القراءات السبع ، لأبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي النحوي (ت : ٣٧٧هـ) تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ علي محمد معوض ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٨هـ =٢٠٠٧م .

-الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جنى (ت: ٣٩٢هـ) ، تحقيق عبد الحميد الهنداوي ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م .

-درة التأويل وغرة التنزيل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز ، للخطيب الاسكافي (ت :٤٢٠هـ) الطبعة الثانية ، دار الآفاق الحديثة ، بيروت ١٩٧٧م .

-الـدر المصـون فـي علـوم الكتـاب المكنـون، لأحمـد بـن يوسـف المعروف بالسمين الحلبي (ت:٧٥٦هـ) تحقيق الأستاذ الدكتور أحمد محمد الخراط ،الطبعة الثانية ،١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

-رصف المباني في شرح حروف المعاني ، لأحمد بن عبد النور المالقي (ت:٧٠٢هـ) تحقيق الأستاذ الدكتور أحمد محمد الخراط ، الطبعة الثالثة ، دار القلم، دمشق ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

-روح المعـاني فـي تفسير القـرآن العظـيم والسـبع المثـاني ، لأبـي الفضـل شـهاب الـدين السـيد محمـود الآلوسـي البغـدادي (ت : ١٢٧٠هـ) ، ضبطه وصححه علي عبد الباري عطية الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٦هـ=٢٠٠٥م .

-زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت:٥٩٧هـ) وضع حواشيه ، أحمد شمس الدين ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

-الزاهر في معاني كلام النّاس لأبي بكر بن الأنباري (ـ : ٣٢٧هـ) دار الحديث ، القاهرة ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م

-الزيـادة والإحسـان فـي علـوم القـرآن ، لأبـي عقيلـة المكـي (ت : ١١٥٠هـ) الطبعة الأولى ، جامعة الشارقة ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م .

-الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ، للشيخ أبي حاتم بن حمدان الـرازي (ت : ٣٢٢هـ) عارضـه بأصـوله وعلّـق عليـه حسـين بـن فـيض الله الهمذاني اليعبري الحرازى ، مطبعة الرسالة ١٣٠٥هـ .

-شـرح ابـن عقيـل علـى ألفيـة ابـن مالـك ، لبهـاء الـدين عبـد الله بـن عقيـل الهمـداني المصـري (ت : ٧٦٩هـ) : تحقيـق محمـد محيـي الـدين عبـد الحميـد، ، الطبعـة الرابعـة عشـرة ، مطبعـة السـعادة، مصـر، ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤م.

-شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ لابن مالك (ت٦٧١هـ) جمال الدين أبي عبد الله محمد، تحقيق عبد الرحمن عدنان الدوري، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م .

-شرح القصائد السبع الطِّوال الجاهليات لأبي بكر بن الأنباري (ت : ٣٢٧} المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م

-شرح القصائد العشر ، لأبي زكريا يحيى بن علي التبريزي (ت :٥٠٢هـ) تحقيق الأستاذ عبد السلام الحوفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤١٨هـ=١٩٩٧م .

-شرح كافية ابن الحاجب ، لرضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي (ت : ٦٨٦هـ) قدم له ووضع حواشيه وفهارسه الدكتور إميل بديع يعقوب ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م .

-شرح المفصل ، لموفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت:٦٤٣هـ) وضع هوامشه وفهارسه الدكتور إميل بديع يعقوب ، الطبعة الأُولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

-الصحاح للإمام إسماعيل بن حماد الجوهري (ت : في حدود ٤٠٠هـ) اعتنى به خليل مأمون شيحا ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة ، لبنان ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م .

-صحيح البخاري ، للإمام عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت : ٢٥٦هـ) الطبعة الثالثة ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ١٤٣١هـ=٢٠١٠م .

-عمدة الحافظ وعدة اللافظ ، لجمال الدين محمد بن مالك (ت : ٦٧١هـ) تحقيق أحمد بن إبراهيم بن عبد المولى المُغينيِّ ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٤٣٠هـ =٢٠٠٩م .

-عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، للشيخ أحمد بن يوسف بن عبد الدائم ، المعروف بالسمين الحلبي (ت :٧٥٦هـ) تحقيق حمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت (د-ت)

-العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت : ١٧٥هـ) الطبعة الثانية ، دار إحياء التراث العربي ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م

-فتح الباري شرح صحيح البخاري لان حجر العسقلاني ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، مصر

-فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ) ضبطه وصححه أحمد عبد السلام دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان (د-ت).

-فروق اللغات في التمييز بين مفاد الكلمات ، لنورالدين بن نعمة الله الجزائري ، حققه وشرحه الدكتور محمد رضوان الداية ، الطبعة الأولى ، مكتبة الرشد ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م .

-الفروق اللغوية ، لأبي هلال بن سهل العسكري (ت :٣٩٥هـ) تحقيق محمد باسل عيون السود ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، ٢٠٠٩م .

-فصول في فقه العربية ، للدكتور رمضان عبد التواب ، الطبعة السابعة ١٤٢٠=١٩٩٩م .

-الكتاب، أو كتاب سيبويه، لأبي بشر عمرو بن عثمان (ت:١٨٠هـ) ، علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه ، د إميل بديع يعقوب ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م .

-كشاف اصلاحات الفنون ، لمحمد علي بن علي بن محمد التهانوي ، المتوفى بعد سنة ١١٥٨هـ ، الطبعة الثالثة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٣٤هـ=٢٠١٣م .

-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (ت:٥٣٨هـ) رتبه وضبطه وصححه ، محمد عبد السلام شاهين ، الطبعة الثالثة ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م .

-الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها ، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت : ٤٣٧هـ) تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان ، الطبعة الرابعة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ١٤٠٧هـ =١٩٨٧م .

-كشف المعاني في متشابه المثاني ، لبدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي (ت : ٧٣٣هـ) تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م .

-الكليات ، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني القَريميِّ الكفويِّ (ت : ١٠٩٤هـ) تحقيق د-عدنان درويش ، ومحمد المصري ، الطبعة الثانية ١٤٣٢هـ=٢٠١١م .

-الكنز الثمين في تفسير ابن عثيمين ، الطبعة الأولى ، كتاب ناشرون ، بيروت ، لبنان ١٤٣١هـ=٢٠١٠م

- اللباب في علوم الكتاب ، لأبي جعفر عمر بن عادل الدمشقي الحنبلي المتوفى بعد سنة ٨٨٠هـ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأُولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

-لسان العرب ،لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت: ٧١١هـ) ، الطبعة الثانية ، دار صادر ، بيروت ، ٢٠٠٣م.

-مجاز القرآن ، لابي عبيدة مَعْمَر بن المثنَّى التيمي (ت : ٢١١هـ) تحقيق وتعليق أحمد فريد المزيدي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م

-محاسن التأويل / تفسير القاسمي ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٢٤هـ٢٠٠٢م

-المحتسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات لابن جني(ت : ٣٩٢) الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٩هـ=١٩٩٨م

-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت:٥٤٦هـ) تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

-المحكم والمحيط الأعظم ، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، المعروف بابن سيده (ت : ٤٨٥هـ) تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م

-مدارك التنزيل وحقائق التاويل ، لعبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت٧١٠هـ) اعتنى به عبد المجيد طعمة حلبي ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

-المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، حققه محمد أحمد جاد المولى ، وعلي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل بيروت (د-ت) .

-مشكل إعراب القرآن ، لمكي بن أبي طالب القيسي (ت : ٤٣٧هـ) تحقيق يس محمد السواس ، دمشق ١٣٩٤هـ=١٩٧٤م .

-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، تأليف أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت : ٧٧٠هـ) دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٤هـ=١٩٩٤م .

-معاني القران ،لأبي الحسن سعيد بن مسعدة المعروف بالأخفش الأوسط (ت:٢١٥هـ) وضع حواشيه وفهارسه إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

-معاني القران ، لأبي زكريا زياد بن عبد الله الفراء (ت:٢٠٧هـ) وضع حواشيه وفهارسه، إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

- معاني القران وإعرابه ، لأبي إسحاق الزجاج إبراهيم بن السري (ت:٣١١هـ) تحقيق الدكتور عبد الجليل عبد شلبي، دار الحديث، القاهرة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

-معاني القراءات ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت : ٣٧٠هـ) تحقيق الشيخ أحمد فريد المزيدي ، قدَّم له ، وقرَّظه الدكتور فتحي عبد الرحمن حجازي ، كلية اللغة العربة ، جامعة القاهرة ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م .

-المُعرَّب من الكلام الأعجمي ، لأبي منصور موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي (ت : ٥٤٠} تحقيق خالد عبد الغني محفوظ ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، يروت ، لبنان ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م

-مغني اللبيب عن كتب الاعاريب لابن هشام (ت٧٦١هـ) جمال الدين يوسف بن احمد بن عبد الله الانصاري، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، القاهرة .

-المفردات ي غريب القرآن ، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت : ٥٠٢هـ) ضبطه هيثم الطعيمي ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٨هـ=٢٠٠٨م .

-المفصل في علم العربية ،لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) ، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

-مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت : ٣٩٥هـ) تحقيق أنس محمد الشامي ، دار الحديث ، القاهرة ١٤٢٩هـ=٢٠٠٨م

-ملاك التأويل ، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي (ت:٧٠٨هـ) وضع حواشيه ، عبدالغني محمد علي الفاسي ، الطبعة الأُولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م .

-الملخّص في إعراب القرآن ، لأبي زكريا يحيى بن علي المعروف بالخطيب التبريزي (ت : ٥٠٢) تحقيق د-يحيى مراد ، دار الحديث ، القاهرة ١٤٢٥هـ=٢٠٠٤م .

-الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، من إعداد الدكتور أحمد مصطفى متولي ، الطبعة الأولى ، دار ابن الجوزي ، مصر ، القاهرة ، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م .

-موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، لمحمد علي التهانوي ، تقديم وإشراف ومراجعة د-رفيق العجم ، ود-عبد الله الخالدي ، ود-جورج زيناتي ، الطبعة الأولى ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، لبنان ١٩٩٦م .

-نزهة الأعين في علم الوجوه والنظائر ، للإمام جمال أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (ت : ٥٩٧هـ) وضع حواشيه

خليل المنصور ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ١٤٢١هـ=٢٠٠٠م .

–نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، لأبي االبركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن الأنباري (ت : ٥٧٧هـ) تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي ، الطبعة الأولى ، مكتبة المنار ، الأردن ، الزرقاء ، ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م

–النهاية في غريب الحديث والأثر ، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت : ٦٠٦هـ) الطبعة الثالثة ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م .

–الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، لأبي الهلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت : بعد ٣٩٥هـ) تحقيق أحمد السيد ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ٢٠١٠م .

– الوسيط في تفسير القران المجيد ، لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت:٤٦٨هـ) تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ=١٩٩٤م.

فهرس الفروق اللغوية

باب الألف

باب الباء

باب التاء

باب الثاء

باب الجيم

باب الحاء

باب الخاء

باب الدال

باب الزاي

باب السين

باب الطاء

باب الظاء

باب العين

باب الغين

ت	مواد الفروق اللغوية	الصفحة

باب الفاء

باب القاف

باب الكاف

باب الهاء

باب الواو

باب الياء

السيرة العلمية

-الاسم : عبد الجبار فتحي زيدان ذنون صوفي علي .

-محل وتاريخ الولادة : الموصل/١٩٤٧م ، محلة الشفاء ، قرب دورة قاسم الخياط .

-أنهيتُ دراستي الابتدائية ، في المدرسة القحطانية ، سنة ١٩٦٢ .

-أنهيتُ دراستي المتوسطة ، في متوسطة الحرية ، سنة ١٩٦٥م .

-أنهيتُ دراستي الإعدادية ، في الإعدادية المركزية ، القسم العلمي ، سنة ١٩٦٧م

-خريج كلية التربية الملغاة / قسم اللغة العربية /جامعة بغداد ، حصلتُ على شهادة البكالوريوس في هذه الكلية بدرجة جيد جدًّا ، سنة ١٩٧٢م .
-عُيِّنتُ مدرسًا في ثانوية قيارة في ١٩٧٣/١٠/٩م ، ثم نُقلتُ بعدها إلى متوسطة كرمليس ، ثم ثانوية قره قوش ، ثم متوسطة المثنى ، فمتوسطة أبي بكر الصديق ، وبعد حصولي على شهادة الماجستير، تم نقلي إلى معهد إعداد المعلمات سنة ١٩٨٩م .
-حصلتُ على شهادة الماجستير في اللغة العربية ، بدرجة جيد جدًّا عالٍ برسالتي الموسومة (المشاكلة بين واو الحال وواو المصاحبة في النحو العربي) بتاريخ ١٩٨٨/١٢/٢٠م جامعة الموصل / كلية الآداب ، بموجب الأمر الجامعي المرقم ٣١٩/١١/٣ في ١٩٨٩/١/٩م
-حصلت على شهادة الدكتوراه في اللغة العربية ، بدرجة امتياز ، بأطروحتي الموسومة ((ما) في القرآن الكريم /دراسة نحوية) في ١٩٩٧/٨/٢٦م ، بموجب الأمر الجامعي العدد ٢/١١/٣ع٧٢ بتاريخ ١٩٩٧/٩/١٦م
-تم نقل خدماتي إلى وزارة التعليم العالي ، وباشرتُ التدريس بكلية المعلمين في ١٩٩٧/٣/١٩م ، التي هي كلية التربية الأساسية حاليا
-كُلِّفتُ بالخطابة من لدن وزارة الأوقاف ، وكان عدد الجوامع التي صعدتُ فيها على منابرها ، خمسة عشر جامعًا ، وأول خطبة خطبتها كانت في جامع الطالب/حي الرفاعي ، في الأسابيع الأولى من افتتاحه ، سنة ١٩٨٧م ، وأكثر خطبي كانت في جامع يونس النحوي المعروف بجامع شيخ الشط ، وآخرها كانت في جامع العطاش/كوكجلي ، ثم تركتُ المنبر سنة ٢٠٠٠م
-بقيت أعمل تدريسيًّا بكلية التربية الأساسية ، جامعة الموصل ، ومحاضرًا في الدراسات العليا ، ومناقشًا ومشرفًا لرسائل الماجستير وأطاريح الدكتوراه . في قسم اللغة العربية في الكلية المذكورة ، حتى أُحلتُ على التقاعد بتاريخ ٢٠١٢/٦/٥م .

-ترقيتُ إلى الأستاذية بتاريخ ٢٠١٢/٦/٣م

موبايل : ٠٧٧٠٢٠٥٠٠٥٠

فايبر : ٠٧٧٠٢٠٥٠٠٥٠

فيسبوك : البروف النحوي

للمؤلف

١-الله والتقدم المادي عند الإنسان رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٤٦ لسنة ١٩٧٧م .

٢-اغتنم شبابك في طاعة الله ، الطبعة الأولى ، مطبعة أسعد بغداد ١٤٠٥هـ =١٩٨٥م ، رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد٢٩٩ لسنة ١٩٨٥م .

٣-فضل الصلاة وحكم تاركها في الكتاب والسنة ، أو رسالة إلى تارك الصلاة ، الطبعة الأولى ، مطبعة أسعد ، بغداد ١٩٨٥م رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٥٦٦ لسنة ١٩٨٦م .

وهذه الكتب الثلاثة نفدت نسخها ولم أُعد طبعها ؛ لأنَّها لم تكن وقتئذ مسجلة على قرص ، أو مخزونة في حاسبة .

٤-إعجاز القرآن الكريم . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد٨٠٢/ لسنة ٢٠٠٩م وهو كتاب منهجي كنتُ أدرِّسه لطلاب المرحلة الرابعة في قسم التربية الإسلامية / كلية التربية الأساسية / جامعة الموصل / أعددتُه حسب المنهج الذي قرّرتْه عمادة الكلية المذكورة .

٥-مواعظ إسلامية . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٣ لسنة ٢٠٠٩م

٦-دروس إسلامية . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٤ لسنة ٢٠٠٩م

٧-بين الماضي والحاضر / قصائد إسلامية . وهي من نظمي

وشـعري ، يضـمّ ثمـاني قصـائد ، رقـم الإيـداع فـي دار الكتـب والوثـائق ببغداد/٨٠٥ لسنة ٢٠٠٩م وغيرت عنوانه إلى : صيحاتي بأُمِّتي السبيَّة في ثماني قصائد إسلامية .

٨–المشاكلة بين واو الحال وواو المصاحبة في النحو العربي . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٦ لسنة ٢٠٠٩م

٩–(ما) في القرآن الكريم / دراسة نحوية . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/٨٠٧ لسنة ٢٠٠٩م

١٠–دراسات في النحو القرآني . . رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق ببغداد/٨١١ لسنة ٢٠٠٩م

١١–مـن مـزاعم النحـاة . رقـم الإيـداع فـي دار الكتـب والوثـائق ببغداد/٨٠٨ لسنة ٢٠٠٩م

١٢–النصب على نزع الخافض والتضمين من بدع النحاة والمفسرين ، رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق ببغداد/ ١٧٣٢ لسنة ٢٠١٠م .

١٣–(ظنَّ) وأخواتها والتضمين في القرآن الكريم . وقد دمجتُ هذا الكتاب في الكتاب السابق .

١٤– الوجوه الدخيلة في كتب الوجوه والنظائر ، لفظ (الذكر) نموذجًا ، مع بحث صغير بعنوان : لغة القرآن فوق نحو النحاة رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/ ١٧٩٨ لسنة ٢٠١١م

وقد جعلتُ الموضوع الأول من هذا الكتاب ضمن أحد مواضيع التمهيد في كتابي : لا وجوه ولا نظائر ، تحت عنوان دراسة نموذجية ، وجعلتُ كلامي في الموضوع الثاني ضمن التمهيد في كتابي : من مزاعم النحاة .

١٥–لا وجوه ولا نظائر في كتب الوجوه والنظائر . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/ ٨٣٢ لسنة ٢٠١٤م

١٦–اختلاق الأوجه والمعاني في كتب حروف المعاني . رقم الإيداع

في دار الكتب والوثائق ببغداد/ ٨٣٣ لسنة ٢٠١٤م

١٧-طرائق اختلاق الوجوه في كتب الوجوه . . رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد/ ٨٣٤ لسنة ٢٠١٤م

١٨- الأضداد في القرآن الكريم

١٩-معجم الفروق اللغوية في القرآن الكريم

٢٠-دلالة (كاد-يكاد) في القرآن الكريم

٢١-تقديم الجواب على شرطه في النحو العربي وشواهده في القرآن الكريم

٢٢-تأويل قوله تعالى : (وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ){يوسف : ٢٤}

٢٣-أسماء الله وصفاته